

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إصحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء الثامن عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة

BP

130.4

.T28

v. 18-21

HC  
JAN 12 1975

٢٥٥

فهارس الجزء الثامن عشر

من

جامع البيان ، عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر : محمد بن جرير الطبري

---

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثاني : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافي .

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	قد أفلح المؤمنون	١	٢٣	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٦
٢	والذين هم في صلاتهم خاشعون . . .	١	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	١٦
٣	والذين هم عن اللغو معرضون . . .	١	٢٥	إن هو إلا رجل به جنة . . .	١٦
٤	والذين هم للزكاة فاعلون . . .	٤	٢٦	قال رب انصرني بما كذبون . . .	١٦
٥	والذين هم لفروجهم حافظون . . .	٤	٢٧	فأوحينا إليه أن اصنع الفلأ بأعيننا . . .	١٦
٦	إلا على أزواجهم . . .	٤	٢٨	فإذا استويت أنت ومن معك . . .	١٨
٧	فمن ابتغى وراء ذلك . . .	٤	٢٩	وقل رب أنزلي مستزلا مباركا . . .	١٨
٨	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . . .	٥	٣٠	إن في ذلك لآيات . . .	١٨
٩	والذين هم على صلواتهم يحافظون . . .	٥	٣١	ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . . .	١٨
١٠	أولئك هم الوارثون . . .	٥	٣٢	فأرسلنا فيهم رسولا منهم . . .	١٨
١١	الذين يرثون الفردوس . . .	٦	٣٣	وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . .	١٩
١٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . . .	٧	٣٤	ولئن أطعتم بشرا مثلكم . . .	١٩
١٣	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . . .	٩	٣٥	آيبيد كمْ أنكم إذا متم وكنتم ترابا . . .	١٩
١٤	ثم خلقنا النطفة علقة . . .	٩	٣٦	هيات هيات لما توعدون . . .	٢٠
١٥	ثم إنكم بعد ذلك لميتون . . .	١١	٣٧	إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . . .	٢٠
١٦	ثم إنكم يوم القيامة تبعثون . . .	١١	٣٨	إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا . . .	٢٢
١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق . . .	١٢	٣٩	قال رب انصرني بما كذبون . . .	٢٢
١٨	وأنزلنا من السماء ماء بقدر . . .	١٢	٤٠	قال عما قليل ليصبحن نادمين . . .	٢٢
١٩	فأنشأنا لكم به جنات من نخيل . . .	١٢	٤١	فأخذتهم الصيحة بالحق . . .	٢٢
٢٠	وشجرة تخرج من طور سيناء . . .	١٣	٤٢	ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين . . .	٢٣
٢١	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٥	٤٣	ما تسبق من أمة أجلها . . .	٢٣
٢٢	وعليها وعلى الفلأ تحمكون . . .	١٥	٤٤	ثم أرسلنا رسلا تترى . . .	٢٣
			٤٥	ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون . . .	٢٤



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	إلى فرعون وملئه فاستكبروا . . .	٢٤	٧٤	وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٤
٤٧	فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا . . .	٢٥	٧٥	ولو رحمتهم وكشفنا ما بهم من ضرر . . .	٤٤
٤٨	فكذبوهما فكانوا من المهلكين . . .	٢٥	٧٦	ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا . . .	٤٤
٤٩	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٢٥	٧٧	حتى إذا فتحنا عليهم بابا . . .	٤٥
٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمه آية . . .	٢٥	٧٨	وهو الذي أنشأ لكم السمع . . .	٤٦
٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات . . .	٢٨	٧٩	وهو الذي ذرأكم في الأرض . . .	٤٦
٥٢	وإن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٢٨	٨٠	وهو الذي يحيي ويميت . . .	٤٦
٥٣	فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا . . .	٢٩	٨١	بل قالوا مثل ما قال الأولون . . .	٤٦
٥٤	فذرهم في غمرتهم حتى حين . . .	٣٠	٨٢	قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٦
٥٥	أيحسبون أننا نمد لهم به من مال وبنين . . .	٣٠	٨٣	لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا . . .	٤٧
٥٦	نسارع لهم في الخيرات . . .	٣٠	٨٤	قل لمن الأرض ومن فيها . . .	٤٧
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . . .	٣١	٨٥	سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . . .	٤٧
٥٨	والذين هم بأيات ربهم يؤمنون . . .	٣١	٨٦	قل من رب السموات السبع . . .	٤٧
٥٩	والذين هم بربهم لا يشركون . . .	٣١	٨٧	سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . . .	٤٧
٦٠	والذين يؤتون ما أتوا . . .	٣٢	٨٨	قل من بيده ملكوت كل شيء . . .	٤٨
٦١	أولئك يسارعون في الخيرات . . .	٣٢	٨٩	سيقولون لله ، قل فأتى تُسْحَرُونَ . . .	٤٨
٦٢	ولا تكلف نفسا إلا وسعها . . .	٣٥	٩٠	بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . . .	٤٩
٦٣	بل قلوبهم في غمرة من هذا . . .	٣٥	٩١	ما اتخذ الله من ولد . . .	٤٩
٦٤	حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب . . .	٣٦	٩٢	عالم الغيب والشهادة . . .	٤٩
٦٥	لا تجأروا اليوم . . .	٣٦	٩٣	قل رب إني تربيته ما يوعدون . . .	٥٠
٦٦	قد كانت آياتي تتلى عليكم . . .	٣٨	٩٤	رب فلا تجعلني في القوم الظالمين . . .	٥٠
٦٧	مستكبرين به سامرا تهجرون . . .	٣٨	٩٥	وإنا على أن نريك ما نعدهم . . .	٥٠
٦٨	أفلم يدبروا القول أم جاءهم . . .	٤١	٩٦	ادفع بالتي هي أحسن . . .	٥١
٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم . . .	٤١	٩٧	وقل رب أعوذ بك . . .	٥١
٧٠	أم يقولون به جِنَّةٌ بل جاءهم . . .	٤١	٩٨	وأعوذ بك رب أن يحضرون . . .	٥١
٧١	ولو اتبع الحق أهواءهم . . .	٤٢	٩٩	حتى إذا جاء أحدهم الموت . . .	٥٢
٧٢	أم تسألهم خَرَجًا فخَرَجَ ريبك خير . . .	٤٣	١٠٠	لعلني أعمل صالحا فيما تركت . . .	٥٢
٧٣	وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . . .	٤٣	١٠١	فلذا نُفِّح في الصور . . .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٢	فمن ثقلت موازينه . . .	٥٥	١٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٨٦
١٠٣	ومن خفت موازينه . . .	٥٥	١١	إن الذين جاءوا بالإفك . . .	٨٦
١٠٤	تلفح وجوههم النار . . .	٥٥	١٢	لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون . . .	٩٦
١٠٥	ألم تكن تتلى عليكم . . .	٥٦	١٣	لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . . .	٩٧
١٠٦	قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا . . .	٥٦	١٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٩٧
١٠٧	ربنا أخرجنا منها فإن عدنا . . .	٥٨	١٥	إذ تلتقون به بالسنتكم . . .	٩٧
١٠٨	قال اخشوا فيها ولا تكلمون . . .	٥٨	١٦	ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا . . .	٩٩
١٠٩	إنه كان فريق من عبادي يقولون . . .	٦٠	١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . . .	٩٩
١١٠	فاتخذتموهم سفيرا . . .	٦٠	١٨	ويبين الله لكم الآيات . . .	٩٩
١١١	إني جزيتهم اليوم بما صبروا . . .	٦٠	١٩	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . . .	١٠٠
١١٢	قال كم لبثتم في الأرض . . .	٦٢	٢٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	١٠٠
١١٣	قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم . . .	٦٢	٢١	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات . . .	١٠٠
١١٤	قال إن لبثتم إلا قليلا . . .	٦٣	٢٢	ولا يأتل أولوا الفضل منكم . . .	١٠١
١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا . . .	٦٣	٢٣	إن الذين يرمون المحصنات . . .	١٠٣
١١٦	فتعالى الله الملك الحق . . .	٦٤	٢٤	يوم تشهد عليهم ألسنتهم . . .	١٠٥
١١٧	ومن يدع مع الله إلها آخر . . .	٦٤	٢٥	يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . . .	١٠٦
١١٨	وقل رب اغفر وارحم . . .	٦٥	٢٦	الخبيثات للخبِيثين والخبِيثون للخبِيثات . . .	١٠٦
<u>سورة النور</u>					
١	سورة أنزلناها وفرضناها . . .	٦٥	٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا . . .	١٠٩
٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد . . .	٦٦	٢٨	فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها . . .	١١٢
٣	الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة . . .	٧٠	٢٩	ليس عليكم جناح أن تدخلوا . . .	١١٣
٤	والذين يرمون المحصنات . . .	٧٥	٣٠	قل للمؤمنين يغضوا . . .	١١٦
٥	إلا الذين تابوا من بعد ذلك . . .	٧٦	٣١	وقل للمؤمنات يغضضن . . .	١١٧
٦	والذين يرمون أزواجهم . . .	٨١	٣٢	وأنكحوا الأيامي منكم . . .	١٢٥
٧	والخامسة أن لعنة الله عليه . . .	٨١	٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا . . .	١٢٦
٨	ويدرأ عنها العذاب أن تشهد . . .	٨٥	٣٤	ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات . . .	١٣٤
٩	والخامسة أن غضب الله عليها . . .	٨٥	٣٥	الله نور السموات والأرض . . .	١٣٤
			٣٦	في بيوت أذن الله أن ترفع . . .	١٤٣
			٣٧	رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع . . .	١٤٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	ليجزئهم الله أحسن ما عملوا . . .	١٤٤	٦٢	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله . . .	١٧٥
٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب . . .	١٤٨	٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم . . .	١٧٧
٤٠	أو كظلمات في بحرٍ جحيمٍ . . .	١٥٠	٦٤	ألا إن الله ما في السموات والأرض . . .	١٧٩
٤١	ألم تر أن الله يسيح له . . .	١٥١	<u>سورة الفرقان</u>		
٤٢	والله مُلك السموات والأرض . . .	١٥١	١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . . .	١٧٩
٤٣	ألم تر أن الله يزلجني سبحا . . .	١٥٣	٢	الذي له ملك السموات والأرض . . .	١٨٠
٤٤	يقلب الله الليل والنهار . . .	١٥٣	٣	واتخذوا من دونه آلهة . . .	١٨١
٤٥	والله خلق كل دابة من ماء . . .	١٥٥	٤	وقال الذين كفروا إن هذا . . .	١٨١
٤٦	لقد أنزلنا آيات مبینات . . .	١٥٥	٥	وقالوا أساطير الأولين اكتتبها . . .	١٨٢
٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول . . .	١٥٥	٦	قل أنزله الذي يعلم السر . . .	١٨٢
٤٨	وإذا دُعوا إلى الله ورسوله . . .	١٥٦	٧	وقالوا مال هذا الرسول . . .	١٨٣
٤٩	وإن يكن لهم الحق يأتوا . . .	١٥٦	٨	أويُلستى إليه كنز، أو تَكُون له جنة . . .	١٨٣
٥٠	أفئ قلوبهم مرض أم ارتابوا . . .	١٥٦	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	١٨٤
٥١	إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا . . .	١٥٧	١٠	تبارك الذي إن شاء جعل لك . . .	١٨٤
٥٢	ومن يقطع الله ورسوله . . .	١٥٧	١١	بل كذبوا بالساعة . . .	١٨٦
٥٣	وأقسموا بالله جهد أيمانهم . . .	١٥٧	١٢	إذا رأتهم من مكان بعيد . . .	١٨٦
٥٤	قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . .	١٥٨	١٣	وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا . . .	١٨٧
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم . . .	١٥٨	١٤	لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا . . .	١٨٧
٥٦	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . .	١٦٠	١٥	قل أذلك خير أم جنة الخلد . . .	١٨٨
٥٧	لا تحسبن الذين كفروا معجزين . . .	١٦٠	١٦	لهم فيها ما يشاءون خالدين . . .	١٨٨
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم . . .	١٦١	١٧	ويوم يحشرهم وما يعبدون . . .	١٨٩
٥٩	وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم . . .	١٦٤	١٨	قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا . . .	١٩٠
٦٠	والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون . . .	١٦٥	١٩	فقد كذبوكم بما تقولون . . .	١٩٢
٦١	ليس على الأعمى حرج . . .	١٦٧	٢٠	ومن يظلم منكم نذقه . . .	١٩٣
			٢١	وما أرسلنا قبلك من المرسلين . . .	١٩٣

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٧٠	تأويل قوله تعالى « الزاني لا ينكح إلا زانية » ... الآية .
٧١	الخلاف فيمن نزلت فيه ، وفي المراد منه .
٧٥	حدّ القاذف ، وما تُسقطه توبته عنه .
٨١	اللّعان ، وفيمن يكون ، وأسباب نزول آيته .
٨٦	حديث الإفك .
٩٦	تأويل قوله تعالى « لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون » . . . وما فيه من العتاب .
١٠٢	ما كان من أبي بكر رضي الله عنه من إعادة الإفناق على مسطح ، عملاً بقوله « ولا يأتل » ... الآية .
١٠٣	تأويل قوله « إن الذين يرمون المحصنات » ... الآية .
١١٠	لا يحلّ للإنسان أن يدخل بيت غيره إلا بعد استئذانه .
١١٣	إذا استأذن المرء على غيره ولم يؤذن له ، فرجوعه يكون أظهر له .
١١٥	للإنسان أن يدخل حوانيت التُّجار إذا علم أنهم آذنون لمن يدخل .
١١٦	ما يجب على الرجال والنساء من غضّ أبصارهم ، وحفظ فروجهم .
١٢٠	من يجوز للمرأة إظهار زينتها لديه .
١٢٥	تأويل قوله تعالى « وأنكحوا الأيامى » ... الآية .
	تفسير سورة قد أفلح المؤمنون
	٥ المحافظة على الصلاة بفعلها في أوقاتها .
	٩ بيان أن الجنين ينفخ الروح يكون إنساناً ، وقبل ذلك كان صورة .
	١٦ قصة نوح عليه السلام .
	٢٦ المكان الذي أوت إليه مريم وابنها .
	٢٩ كل فريق من أهل الكتاب أحدث كتاباً من نفسه يحتاج به لمقاله .
	٣٢ تأويل قوله تعالى « والذين يؤثنون ما أتوا » ، وبيان أن وجلهم ليس من الذنوب ، بل من عدم قبول العمل .
	٣٧ التوبة عند الأخذ بالعذاب لاتفيد .
	٤٢ تأويل قوله تعالى « بل آتيناكم بالحق » . . . الآيات ، وما اشتملت عليه من بليغ الحجّة .
	٥١ ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على ما يلتقى قبل الأمر بالحرب .
	٥٣ بيان معنى البرزخ .
	٥٤ تأويل قوله تعالى « فإذا نُفِخَ في الصور » . . . وبيان آية النّفختين أريدت ، وذكر المحاسبة يوم القيامة .
	٥٧ ما يحصل لأهل النار من اليأس .
	٦٥ تفسير سورة النور
	٦٧ المراد بالرأفة المنهى عنها في إقامة الحدود :

الصفحة	الصفحة
١٦١	١٢٦
الساعات التي تُدب إلى الاستئذان فيهنّ .	هل يجب كتابة العبد إذا طلب أم لا ؟
١٦٥	١٣٢
ما يجوز من وضع الجلباب للمرأة الهَرَمَة .	ما كان يفعله أهل الجاهلية من إعداد الإماء
١٦٨	للزنا، وإكراههنّ عليه، ونهى المسلمين عنه .
تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حَرَجٌ »	١٣٥
... الآية ، وبيان الخلاف فيها .	تأويل قوله تعالى « الله نور السموات
١٧٦	والأرض » .
ما كان عليه المؤمنون من استئذان رسول	١٤٥
الله إذا أرادوا الانصراف .	ما يُندب فيه ذكر الله من البيوت .
١٧٩	١٤٨
تفسير سورة الفرقان	العمل في الكفر يكون هباء لاغناء فيه ،
١٨١	مع ضرب الأمثال له .
تأويل قوله « وقال الذين كفروا » ... الآية .	١٥٢
١٨١	تأويل قوله « ألم تر أن الله يسبح له ما في
الشبّه التي كانت كفار قريش تتمسك بها :	السموات » ... الآية ، وبيان المراد من
١٨٦	الصلاة والتسبيح .
معنى تغيّظ النار وزفيرها .	١٥٨
١٩٠	ما وعد الله المؤمنين من استخلافهم في
تأويل قوله تعالى « قالوا سبحانك » : : :	الأرض ، وإنجاز وعده .
الآية ، ومعنى البُورُ ، والشاهد عليه :	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل		ر		ء
٨	بَعْلُ	١٩١	بُورُ	٨٨	الجزاءُ
١٤	البَعْلُ	٣٩	غَمْرُ	٨٨	وِقَاءُ
٨	سَلَائِلُهُ	١٨٨	مَثْبُورُ	٨٨	القَدَاءُ
٢٠	تَوَاصِلُهُ	٤٨	لَايَسِيرُ	٨٨	الدَّلَاءُ
١٥٩	المُبْدَلُ	٤٨	وَزِيرُ		ب
٨	بالسَّلَائِلِ	١١	لَايَقْرِي	٢٨	لُحُوبُ
٨٨	العَوَافِلِ	٣٧	جُوَارَا	١٧	عَصِيبُ
١٥٣	إِنْقَالَهَا		ف		ج
	م	١٩	مُسْرَقَا	١٤	الفَلَجُ
١٢٥	أَتَايَسِمُ		ق	١٤	بالفَرَجِ
٢١	بالمَيَسِمِ	٩٨	وَزْمَلِيقُ		ح
	ن	٩٨	تَلِيقُ	٥٦	كَلْعُ
٨	حَصِينِ	٩٨	الْخَلْقُ		د
	ي	٩٨	الْيَلَامِيقِ	١٤٧	وَعَدُوا
١٢٥	العَوَانِيَا	٩٨	آلِيقِ	١٧	الشُّرْدَا

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة قد أفلح المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ (٣)

قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) : قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنّات ربهم ، وفازوا بطلابهم لديه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها تكلمي ، فقالت (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) لما علمت فيها من الكرامة . حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عبد العزيز ابن رفيع ، عن مجاهد ، قال : لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة ، نظر إليها فقال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) قال : ثنا حفص بن عمر ، عن أبي خلدة ، عن أبي العالية ، قال : لما خلق الله الجنة قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) فأنزل الله به قرآنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : « لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء : خلق آدم بيده ، وكتب الألواح بيده ، والتوراة بيده ، وغرس عدن بيده ، ثم قال (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) » . وقوله (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) يقول تعالى ذكره : الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته ، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها . وقيل : لأنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها ، فنهوا بهذه الآية عن ذلك :

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت خالدا ، عن محمد بن سيرين ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء ، فأُنزلت هذه الآية ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبي جعفر ، عن الحجاج الصواف ، عن ابن سيرين ، قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فقالوا بعد ذلك براء وسهم هكذا » .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : « ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت آية ، إن لم تكن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فلا أدري أية آية هي ، قال : فطأطأ » . قال : وقال محمد : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد استعاد النظر فليغمض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن عون ، عن محمد نحوه .

واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع ، فقال بعضهم : عني به : سكون الأطراف في الصلاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : السكون فيها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : سكون المرء في صلاته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن أبي سفيان الشيباني ، عن رجل ، عن علي ، قال : سئل عن قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : لانتفت في صلاتك .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : قال ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شاذب ، عن الحسن ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا به الجناح :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( خَاشِعُونَ ) قال : الخشوع في القلب ، وقال : ساكون .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن رجل من قومه ، عن علي رضي الله عنه ، قال : الخشوع في القلب ، وأن تلبين للمرء المسلم كتنفك ، ولا تلتفت :



قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : التخشع في الصلاة . وقال لي غير عطاء : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووجاهه ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فما رُؤى بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض .  
وقال آخرون : عنى به الخوف في هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : خائفون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال الحسن : خائفون . وقال قتادة : الخشوع في القلب .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) يقول : خائفون ساكنون .

وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا ، أن الخشوع : التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع : وإذ كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر ، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم . وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل ، من أنه : والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته ، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها :  
وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول تعالى ذكره : والذين هم عن الباطل ، وما يكرهه الله من خلقه معرضون .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول : الباطل .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال :  
عن المعاصي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ، ممن آمن به واتبعه وصدقه ، كانوا عن اللغو معرضين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ  
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون ، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤها . وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : والذين هم لفروج أنفسهم ، وعنى بالفروج في هذا الموضع : فروج الرجال ، وذلك أقبالهم ، حافظون : يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج ( إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يعنى بذلك : إماءهم . و « ما » التي في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) في محل خفض ، عطفا على الأزواج ( فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول : فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه وملك يمينه ، وحفظه عن غيره من الخلق ، فإنه غير موبّخ على ذلك ، ولا مذموم ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَا يُنْتَهَىٰ مِنْهُم ) يقول : رضى الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيمنهم . وقوله ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ) يقول : فمن انتس لفرجه منكم سوى زوجته وملك يمينه ، ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) يقول : فهم العادون حدود الله ، الجاوزون ما أحل الله لهم ، إلى ما حرم عليهم . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نهاهم الله نهيا شديدا ، فقال ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) فسمى الزاني من العادين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن ، في قوله ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : من زنى فهو عاد .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)  
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ) التي ائتمنوا عليها وعهدهم ، وهو عقودهم التي عاقدوا الناس (راعون) يقول : حافظون لا يضيعون ، ولكنهم يوفون بذلك كله .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءة عامة قراء الأمصار إلا ابن كثير (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ) على الجمع ، وقرأ ذلك ابن كثير (لَأَمَانَتِهِمْ) على الواحدة .  
والصواب من القراءة في ذلك عندنا : (لَأَمَانَتِهِمْ) لإجماع الحجة من القراء عليها .  
وقوله (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) يقول : والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون ، فلا يضيعونها ، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : على وقتها .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) على ميقاتها .  
حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنا ابن زحر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : أقام الصلاة لوقتها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على صلواتهم دائمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) قال : دائمون ، قال : يعني بها المكتوبة .  
وقوله (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا ، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأوله أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَسْزِلَانِ : مَسْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَسْزِلٌ فِي النَّارِ ، وَإِنْ مَاتَ وَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَسْزِلَهُ » فذلك قوله ( أَوْلِيكَ هُمْ الْوَارِثُونَ ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، في قوله ( أَوْلِيكَ هُمْ الْوَارِثُونَ ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم ، التي أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبي هريرة ( أَوْلِيكَ هُمْ الْوَارِثُونَ ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الوارثون الجنة أورثتموها ، والجنة التي نورث من عبادنا ، هن سواء ؛ قال ابن جريج : قال مجاهد : يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ، ومنزل الذين من أهل النار ، هم يرثون أهل النار ، فلهم منزلان في الجنة وأهلان ، وذلك أنه منزل في الجنة ، ومنزل في النار . فأما المؤمن فيسبني منزله الذي في الجنة ، ويهدم منزله الذي في النار . وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ، ويبني منزله الذي في النار . قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، أنه قال مثل ذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره ( الَّذِينَ يَرِثُونَ ) البستان ذا الكرم ، وهو ( الْفِرْدَوْسُ ) عند العرب . وكان مجاهد يقول : هو بالرومية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ) قال : الفردوس : بستان بالرومية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عدن : حديقة في الجنة قصرها فيها عدننا خلقها بيده ، تفتح كل فجر فينظر فيها ، ثم يقول ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : هي الفردوس أيضا تلك الحديقة ، قال مجاهد : غرسها الله بيده ؛ فلما بلغت قال ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) ثم أمر بها تغلق ، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ، ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) ثم تغلق إلى مثلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « قتل حارثة بن سُرَاقَة يوم بدر ، فقالت أمه : يا رسول الله ، إن كان ابني من أهل الجنة لم أبلك عليه ، وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنهما جنتان في الجنة ، وإن ابنتك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة . »

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال :  
 خلق الله بيده جنة الفردوس ، غرسها بيده ، ثم قال : تكلمي ، قالت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حُسام بن مِصْك ، عن قتادة أيضا ، مثله ، غير أنه قال :  
 تكلمي ، قالت : طوبى للمتقين .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود نفع ، قال :  
 لما خلقها الله ، قال لها تزييني ، فترزيتي ، ثم قال لها : تكلمي ، فقالت : طوبى لمن رضيت عنه .  
 وقوله ( هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) يعني ما كثون فيها ، يقول : هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون ،  
 يعني ما كثون فيها أبدا ، لا يتحولون عنها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ (١٢)

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ) أسلناه منه ، فالسلاة هي  
 المستلة من كل تربة ، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالإنسان في هذا الموضع ، فقال  
 بعضهم : عنى به آدم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مِّنْ طِينٍ ) قال : استل آدم  
 من الطين .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ  
 طِينٍ ) قال : استل آدم من طين ، وخلقت ذريته من ماء مهين .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقنا ولد آدم ، وهو الإنسان الذي ذكر في هذا الموضع ، من  
 سلاة ، وهي النطفة التي استلّت من ظهر الفحل من طين ، وهو آدم الذي خلق من طين .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن  
 أبي يحيى ، عن ابن عباس ( مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ) قال : صفوة الماء .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مِّنْ سُلَالَةٍ ) من منى آدم .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

بأنه وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم ، وهي صفة مائه وآدم هو الطين ، لأنه خلق منه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لدلالة قوله ( «مَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» ) على أن ذلك كذلك ، لأنه معلوم أنه لم يُصَرَّ في قرار مكين ، إلا بعد خلقه في صلب الفحل ، ومن بعد تحوله من صلبه صار في قرار مكين ؛ والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سليله وسلالته ، لأنهما مسلولان منه ؛ ومن السلالة قول بعضهم :

تَمَلَّتْ بِهِ عَضْبَ الْأَدِيمِ غَضَنْفَرًا      سُلَالَةَ فَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ<sup>١</sup>  
وقول الآخر :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً      سُلَالَةَ أَفْرَاسٍ تَحَلَّلَتْهَا بَغْلٌ<sup>٢</sup>

فن قال : سلالة جمعها سلالات ، وربما جمعها سلائل ، وليس بالكثير ، لأن السلائل جمع للسليل ؛ ومنه قول بعضهم :

إِذَا أُتِيحَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى تَشَابَهَتْ      عَلَى الْقَوْدِ إِلَّا بِالْأُتُوفِ سَلَالُهُ<sup>٣</sup>  
وقول الراجز :

يَقْدُ فَنَ فِي أَسْلَابِهَا لَسَالِيلُ<sup>٤</sup>

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان : سليل) وفيه : فجاءت في موضع حملت . وهو شاهد على أن السلالة بمعنى نطفة الإنسان ، وسلالة الشيء : ما استل منه . واستشهد به المؤلف على أن العرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سلالة . وفي اللسان : وقال الفراء : السلالة التي سل من كل تربة . وقال أبو الهيثم : السلالة : ما سل من صلب الرجل وترائب المرأة ، كما يسلم الشيء سلا . والسليل : الولد حين يخرج من بطن أمه ، لأنه خلق من السلالة . وعن عكرمة أنه قال في السلالة : إنه الماء يسلم من الظهر سلا . وعصب الأديم : غليظ الجلد ، ولعله يريد وصفه بالشفة والقسوة . ولم أجد هذا التعبير في معاجم اللغة ، ووجدته في حاشية جانبية على نسخة مصورة من مجاز القرآن محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقمها ٢٦٠٥٩ عند تفسير قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » .

(٢) البيت لهند بنت النعمان (اللسان : سليل) . وروايته : « وما هند إلا مهرة » . وهو شاهد على أن السليل الولد ، والأثني سليله ، قال أبو عمرو : السليلة بنت الرجل من صلبه . وتجلها : علاها . والمراد بالبغل هنا : الرجل الشبيه بالبغل ، والبغل مذموم عند العرب . وفي اللسان : سليل : قال ابن بري : وذكر بعضهم أنها تصحيف ، وأن صوابه « نغل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل . وقال ابن شميل : يقال للإنسان أول ما تضعه أمه : سليل . والسليل والسيلية : المهر والمهرة .

(٣) لم أجد هذا البيت في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ولا في شواهد معاجم اللغة . وهو شاهد على أن السلائل جمع سلالة ، وقد شرحنا معناها في الشاهدين السابقين ، بما أغنى عن تكراره هنا .

(٤) كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرفا . وحسبه المؤلف من الرجز ، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للناطقة الذيباني ، مسخه بعض السامع في بعض الكتب ، ولم يفتن له المؤلف . وبيت الناطقة من البحر الطويل ، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الفسافي بين مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، قال فيها :

وَقَدُّ حَيْفَتْ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي      عَلَى وَعِيلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ  
مَخَافَةَ عَمْرٍو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ      يَقْدُنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَتَاعِلٍ  
إِذَا اسْتَعْنَجَلُوهَا عَن مَحَبَّةٍ مَشْبِيهَا      تَتَلَعُّ فِي أَعْنَاقِهَا بِالْحَحَافِلِ  
وَيَقْدُ فَنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَسْتَزِلٍ      تَشْحَطُ فِي أَسْلَابِهَا كَالْوَصَائِلِ

وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا ، وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة ، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها . وأصل تشحط : تشحط ، أي تضطرب ، يريد أولاد الخيل . والسلي : الخلة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد . =

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا  
الْمُضْغَةَ عِظْمًا، فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)

يعني تعالى ذكره بقوله ( ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ) ثم : جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين ، نطفة في قرار مكين ، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين ، لأنه مكنٌ لذلك ، وهي له ، ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا . وقوله ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ) يقول : ثم صَبَّيْنَا النُّطْفَةَ الَّتِي جَعَلْنَاهَا فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ عَلَقَةً ، وهي القطعة من الدم ، ( فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغاً ، وهي القطعة من اللحم . وقوله ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ) على الجماع ، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك ( عِظْمًا ) في الحرفين على التوحيد جميعا . والقراءة التي نختار في ذلك : الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله ( فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عِظْمًا ) وعصبا ، فكسوناها لحما . وقوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) يقول : ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر ، وهذه الهاء التي في ( أَنْشَأْنَاهُ ) عائدة على الإنسان في قوله ( وَكَانَ خَلْقًا الْإِنْسَانِ ) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغ ، جعل ذلك كله كالشيء الواحد ، فقول : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) فقال بعضهم : إنشاؤه إياه خلقا آخر : نفخه الروح فيه ، فيصير حينئذ إنسانا ، وكان قبل ذلك صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا هشيم ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : الروح .

= والوسائل : الثياب الحمر المخططة . والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم ، وانظر البيت في (اللسان : شحط ) وفي المخصص .  
لا بن سيده ( ١ : ١٧ ) وختار الشعر الجاهل بشرح مصطلق السقا ( طبعة مصطلق البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٢١١ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ فيه الروح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ فيه الروح ، فهو الخلق الآخر الذي ذكر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ) يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : الروح الذي جعله فيه .

وقال آخرون : إنشأوه خلقا آخر ، تصريفه إياه في الأحوال بعد الولادة : في الطفولة ، والكهولة ، والإعتداء ، ونبات الشعر ، والسن ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عبي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) يقول : خرج من بطن أمه بعدما خلق ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ، ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه ، إلى أن قعد ، إلى أن جبا ، إلى أن قام على رجليه ، إلى أن مشى إلى أن فطيم ، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام ، إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ أن يتلقب في البلاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : يقول بعضهم : هو نبات الشعر ، وبعضهم يقول : هو نفخ الروح .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره .

وقال آخرون : بل عني بإنشائه خلقا آخر : سوى شبابه .

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **مَّمَّ** أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : حين استوى شبابه .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال مجاهد : حين استوى به الشباب .

﴿ وَأُولَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ ﴾ : قول من قال : عني بذلك نُفِخَ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه ، يتحوَّل خلقا آخر إنسانا ، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ، وبنفخ الروح فيه ، يَتَحَوَّلُ عن تلك المعاني كُلِّهَا إلى معنى الإنسانية ، كما تَحَوَّلُ أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا ، وخلقنا آخر غير الطين الذي خلق منه .

وقوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .

وقال آخرون : إنما قيل ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) لأن عيسى بن مريم كان يخلق ، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، في قوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : عيسى بن مريم يخلق .

﴿ وَأُولَى الْقَوْلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلِ مَجَاهِدٍ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي كُلِّ صَانِعٍ خَالِقًا ، وَمِنْهُ قَوْلُ زُهَيْرٍ :  
وَلَأَنْتَ تَقْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَقْرِي ١

ويروي :

وَلَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا قَرَيْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَقْرِي

القول في تأويل قوله تعالى

نَمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) نَمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره : ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا ، كما بدأناكم أول مرة . وإنما قيل ( نَمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ) لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن . وكذلك تقول

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلا ( اللسان : خلق ) يقول : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغبرك يقدر مالا يقطعه ، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاه على ما عزمت عليه . والخلق : التقدير ، يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل التقطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة أوقرية أو غفا . ولذلك سمت العرب كل صانع كالنجار والخياط ونحوها خالقا ، لأنه يقبس الخشب ويقدره على ما يريد له . والفري القطع بعد التقدير ، وقد يكون قبله ، بأن يقطع قطعة من جلد أو ثوب قطعا مقاربا ، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير على ما يريد . ولذلك جاءت رواية أخرى في البيت : ولأنت تخلق ما فريت . . . الخ البيت .

العرب لمن لم يميت: هومائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طَمِيع فيما عندك، إذا وصف بالطمع، فإذا أُخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرا لما ذكرناه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ، وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق، لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) قال: الطرائق: السموات.

وقوله (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ، فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء، فأسكناه فيها.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ) ماء هو من السماء.

وقوله (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، ونخرب أرضوكم، فلا تنبت زرا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ، لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء، بساتين من نخيل وأعناب، لكم فيها يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) يقول: ومن الفواكه تأكلون. وقد يجوز أن تكون الماء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب، وخص جل ثناؤه

الجنات التي ذكرها في هذا الموضع ، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها ، فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف ، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من ثمارها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء ، وشجرة منصوبة عطفًا على الجنات ، ويعنى بها : شجرة الزيتون .

وقوله ( تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) يقول : تخرج من جبل يُنْبِتُ الأشجار . وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهد ، واختلاف المختلفين ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وأما قوله ( سَيْنَاءَ ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة ( سيناء ) بكسر السين . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( سَيْنَاءَ ) بفتح السين ، وهما جميعا مجمعون على مدّها . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قرآءة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .

واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : المبارك ، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة تخرج من جبل مبارك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : المبارك . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل بالشام مبارك . وقال آخرون : معناه : حسن .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل حسن . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) الطور : الجبل بالنبطية ، وسيناء : حسنة بالنبطية . وقال آخرون : هو اسم جبل معروف .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخُراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم .  
حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل الطور الذي بالشام ، جبل ببيت المقدس ، قال : ممدود هو بين مصر وبين آيَلة .  
وقال آخرون : معناه : أنه جبل ذو شجر .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قاله .  
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن سينا اسم أضيف إليه الطور ، يعرف به ، كما قيل جبلا طي<sup>١</sup> ، فأضيفا إلى طي<sup>٢</sup> ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ، أو كما قال : من قال معناه حسن ، لكان الطور منونا ، وكان قوله سينا ، من نعته ، على أن سينا بمعنى : مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعمت الجبل ، ولكن القول في ذلك - إن شاء الله - كما قال ابن عباس ، من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك ، لا أن معنى سينا معنى مبارك .

وقوله ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ( تَنْبُتُ ) فقراءته عامة قرآء الأمصار ( تَنْبُتُ )  
بفتح التاء ، بمعنى : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن ، وقراءه بعض قرآء البصرة ( تَنْبُتُ ) بضم التاء ، بمعنى : تنبت الدهن : تخرجه . وذكر أنها في قراءة عبد الله ( تُنْخَرِجُ الدُّهْنَ ) وقالوا : الباء في هذا الموضع زائدة ، كما قيل : أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه وكما قال الرازي :

تَنْحَنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الفَلَاحِ نَضْرِبُ بالبَيْضِ وَتَرْجُو بالْفَرَجِ  
بمعنى : ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك أنهما لغتان : نبت ، وأنبت ؛ ومن أنبت قول زهير :  
رَأَيْتَ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ البَقْلُ<sup>٢</sup>

(١) البيت لتأنيف بني جعدة (خزانة الأدب للبغدادي ٤ : ١٦٠) والفلاح في الأصل : النهر الصغير ، والماء الجاري . والمراد به في البيت : موضع في أعلى بلاد قيس . ويروي : « يضرب بالسيف » . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله بالفرج ، أي ونرجو الفرج . وهي زائدة في المفعول به سماعا . قال ابن عصفور في الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة ، وقال ابن السيد في شرح أدب الكاتب لابن قتيبة : إنما عنى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالياء ، كقولك : طمعت بكذا . قال الشاعر :

طَمِعْتُ بِلَيْلِي أَنْ تَجُودَ وَإِنَّمَا تَقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

وبنو جعدة يروي بالرفع على أنه خبر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب . اهـ .

(٢) البيت في (اللسان : نبت) : قال : : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأنشد زهير بن أبي سلمى :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَمَتْ وَنَالَ كِيرَامَ النَّاسِ فِي الحُجْرَةِ الأَكْلُ =

ويروى : نبت ، وهو كقوله ( فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ ) وفاسر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإن القراءة التي لأختار غيرها في ذلك ، قراءة من قرأ ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء ، لإجماع الحجة من القرآء عليها . ومعنى ذلك : نبتت هذه الشجرة بثمر الدهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ) قال : بثمره . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والدهن الذي هو من ثمره الزيت ، كما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ) يقول : هو الزيت يؤكل ويُدَّهَنُ به . وقوله ( وَصَبِغٌ لِّلَّذَاكِيلِ ) يقول : نبتت بالدهن وبصبغ لآكلين ، يُصْطَبِغُ بالزيت الذين يأكلونه . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَصَبِغٌ لِّلَّذَاكِيلِ ) قال : هذا الزيتون صبغ لآكلين ، يأتدمون به ويصطبغون به . قال أبو جعفر : فالصبغ عطف على الدهن .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ، وَلكُمْ فِيهَا مَفِيعٌ كَثِيرَةٌ ،  
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ( وَإِنَّ لَكُمْ ) أيها الناس ( فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ) تعتبرون بها ، فتعرفون بها أيادي الله عندكم ، وقدرته على ما يشاء ، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولا يُعْجِزُهُ شيء شاءه . ( نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ) من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . ( وَلكُمْ ) مع ذلك ( فِيهَا ) يعني في الأنعام مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ ) وذلك كالإبل التي يُحْمَلُ عليها ، ويركب ظهرها ، ويشرب دَرَّها . ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يعني من لحومها تأكلون . وقوله ( وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ) يقول : وعلى الأنعام وعلى السفن تحمّلون على هذه في البرّ ، وعلى هذه في البحر .

ثم قال : يعني بالشبهاء البيضاء من الجذب ، لأنها تبيض بالثلج أو عدم النبات . والحجرة السنة الشديدة التي تحجر الناس في بيوتهم ، فينحروا كرائم إبلهم ليأكلوها . والقطلين : الخشم ، وسكان الدار . وأجحففت أضرت بهم ، وأهلكت أمولهم . قال : ونبت وأنبت : مثل قولهم مطرت السماء وأمطرت . وقال في قوله تعالى : « نبتت بالدهن » قرأ ابن كثير وأبو عمرو والخسري : « نبتت » بالضم في التاء ، وكسر الباء . وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر : بفتح التاء . وقال الفراء : هما لغتان : نبتت الأرض وأنبتت ، قال ابن سيده : أما نبتت ( بضم التاء ) فذهب كثير من الناس إلى أن معناه : نبتت الدهن ، أي شجر الدهن ، أو حب الدهن ، وأن الباء فيه زائدة ، وكذلك قول عنترة « شربت بماء الدرّضين . . البيت » ، قالوا : أراد شربت ماء الدرّضين . قال : وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وإنما تأويله والله أعلم - نبتت ما نبتته والدهن فيها ، كما تقول : خرج زيد بئيا به ، أي بئيا به عليه ؛ وركب الأمير بسيفه ، أي وسيفه معه . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ، فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ،  
أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا ، والبراءة من كل معبود سوانا . (فَقَالَ) لهم نوح : (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) يقول : قال لهم : ذلوا يا قوم الله بالطاعة (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) يقول : ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره (أَفَلَا تَتَّقُونَ) يقول : أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ،  
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فقالت جماعة أشرف قوم نوح ، الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوه لقومهم : مانوح أيها القوم إلا بشر مثلكم ، إنما هو إنسان مثلكم ، وكبعضكم (يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ) يقول : يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعا وأنتم له تبع (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) : يقول : ولو شاء الله أن لانعبد شيئا سواه لأنزل ملائكة ، يقول : لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة ، تؤدى إليكم رسالته . وقوله (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي يدعوننا إليه نوح ، من أنه لاله لنا غير الله في القرون الماضية ، وهي آباؤهم الأولون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ، فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)  
فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ  
كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ، إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ، وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا  
لَهُمْ مَغْرَقُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل الملائكة الذين كفروا من قوم نوح (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) : مانوح إلا رجل به جنون . وقد يقال أيضا للجن جنة ، فيتنق الاسم والمصدر ، وهو من قوله «إن هو» كناية اسم نوح . وقوله (فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) يقول : فتلبثوا به ، وتنظروا به حتى حين : يقول :

إلى وقت ما ، ولم يَعْتَنُوا بذلك وقتنا معلوما ، إنما هو كقول القائل : دعه إلى يوم مآ ، أو إلى وقت مآ . وقوله ( قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَّ بُونِ ) يقول : قال نوح داعيا ربه ، مستنصرا به على قومه ، لما طال أمره وأمرهم ، وتمادوا في غيهم : ( رَبِّ انصُرْنِي ) على قَوْمِي ( بِمَا كَدَّ بُونِ ) يعني بتكذيبهم لإي ، فيما بلغتهم من رسالتك ، ودعوتهم إليه من توحيدك . وقوله ( فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا ) يقول : فقلنا له حين استنصرتنا على كفرته قومه : اصنع الفللك ، وهي السفينة . بأعيننا : يقول : برأى منا ومنظر ، ووحينا : يقول : وبتعليمنا إياك صنعها . ( فإذآ جاء أمرنا ) يقول : فإذا جاء قضاؤنا في قومك ، بعذابهم وهلاكهم ( وَفَارَّ التَّنُورُ ) .

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور ، والصواب عندنا من القول فيه بشواهد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

( فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول : فأدخل في الفلك واحمل ، والهاء والألف في قوله ( فيها ) من ذكر الفلك ( مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقال سلكته في كذا وأسلكته فيه ، ومن سلكته قول الشاعر :

وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَصْمِكَ كَمِ أَعْرَدٍ      وَقَدَّ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ<sup>١</sup>

وبعضهم يقول : أسلكت بالألف ، ومنه قولي الهدى :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ      شَلًّا كَمَا تَطْرُدِ الْجَمَالَ الشُّرُودَ<sup>٢</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاسْأَلْكَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ) يقول لنوح : اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين ( وَأَهْلِكَ ) وهم ولده ونساؤهم ( إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ) من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك ، وهو يام الذي غرق . ويعني بقوله ( مِنْهُمْ ) من أهلك ، والهاء والميم في قوله منهم من ذكر الأهل . وقوله ( وَلَا تَخَاطِبْنِي ) . . . الآية ، يقول : ولا تسألني في الدين كفروا بالله أن أنجيهم ( لِإِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ ) يقول : فاني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم .

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي ( انظر شرحنا له في ص ٨٢ من الجزء الثاني عشر من هذا التفسير ، وقد استشهد به المؤلف هناك عند قوله تعالى « وقال هذا يوم عاصيب » أي شديد . واستشهد به هنا على أنه يقال سلكته في كذا : بمعنى أدخلته فيه ، وأسلكته فيه ، والبيت شاهد على الأول . قال في ( اللسان : سلك ) : والسلك ، بالفتح : مصدر سلكت الشيء في الشيء ، فانسلك ، أي أدخلته فيه فدخل . قال عدي بن زيد : « وكنت لراز . . . البيت » . كما استشهد به المؤلف مرة أخرى في ( ١٤ : ٩ ) من هذه الطبعة عند قوله تعالى : « كذلك نسلك في قلوب المجرمين » ، فراجعه ثمة .

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ( اللسان : سلك ) . قال : وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا ، وسلكه غيره ( ينصب غير ) وفيه ، وأسلكه إياه ، وفيه ، وعليه ( بمعنى أدخله فيه ) قال عبد مناف بن ربيع الهذلي : « حتى إذا أسلكوهم . . . البيت » . وقد سبق استشهاد المؤلف بالبيت في ( ص ٩ من الجزء الرابع عشر من هذه الطبعة ) عند قوله تعالى : « كذلك نسلك في قلوب المجرمين » . فراجعه ثمة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ ) : فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ، ممن حملته معك من أهلك ، راكبا فيها ، عاليا فوقها ( فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يعنى من المشركين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام : **وقل إذا سلمك الله وأخرجك من الفلك ، فنزلت عنها ( رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا ) من الأرض ( مُبَارَكًا ، وَأَنْتَ خَيْرُ ) من أنزل عباده المنازل .** وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( مُنْزَلًا مُبَارَكًا ) قال : لنوح حين نزل من السفينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ) بضم الميم ، وفتح الزاى ، بمعنى : أنزلنى إنزالا مباركا . وقرأه عاصم ( مُنْزَلًا ) بفتح الميم ، وكسر الزاى ، بمعنى : أنزلنى مكانا مباركا وموضعا .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : إن فى فعلنا بقوم نوح يا محمد من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا ، وجحدوا وحدانيتنا ، وعبدوا الآلهة والأصنام ، ليعبروا لقومك من مشركى قريش ، وعظمت وحججنا لنا ، يستدلون بها على سنتنا فى أمثالهم ، فينزعروا عن كفرهم ، ويرتدعوا عن تكذيبك ، حذرا أن يصيبهم مثل الذى أصابهم من العذاب . وقوله ( وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ) يقول تعالى ذكره : وكنا نختبرهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا ، لنتنظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ : أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلَا تَتَّقُونَ؟ (٣٢)



يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد مهالك قوم نوح ، قرنا آخرين ، فأوجدناهم ( فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ) داعيا لهم ( أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ ) يا قوم ، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام ، فإن العبادة لا تنبغي إلا له ( مَالِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) يقول : مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ( أَفَلَا تَتَّقُونَ ) : أفلا تخافون عقاب الله ، بعبادتكم شيئا دونه ، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا : مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ، يَا كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ ، وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح ، وعسى بالرسول في هذا الموضع : صالحا ، وبقومه : ثمود ( الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ ) يقول : الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا بلقاء الآخرة : يعني كذبوا بلقاء الله في الآخرة . وقوله ( وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : ونعمناهم في حياتهم الدنيا ، بما وسعنا عليهم من المعاش ، وبسطنا لهم من الرزق ، حتى بطّروا وعسّوا على ربهم ، وكفروا ، ومنه قول الراجز :

• وَقَدْ أَرَانِي بِالْدِيَارِ مُسْتَرَفًا •

وقوله ( مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ ) يقول : قالوا : بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيتنا ، وخصه بالرسالة دوننا ، وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ، ويشرب مما نشرب ، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته ؟ قال ( وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ) معناه : مما تشربون منه ، فحذف « من » الكلام « منه » ، لأن معنى الكلام : ويشرب من شرابكم ، وذلك أن العرب تقول : شربت من شرابك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ أَعْظَمَ بَشْرًا مِثْلَكُمْ لَأَنْتُمْ إِذَا تَلَخَسِرُونَ (٢٤) أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ رُءَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ؟ (٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل الملأ من قوم صالح لقومهم ( وَإِنَّ أَعْظَمَ بَشْرًا مِثْلَكُمْ ) فاتبعتموه ، وقبلتم ما يقول وصدقتموه ، ( لَأَنْتُمْ ) أي القوم ( إِذَا تَلَخَسِرُونَ ) يقول : قالوا : إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا ، باتباعكم إياه .

(١) البيت للمعاج (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري ص ١٩) قال في شرحه له : وقد أراي : أي قد كنت أراي . والمترف من الترف ، وهو التميم والرفه . وفي (اللسان : ترف) : والمترف : المنتعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها . ورجل مترف ، ومترف كمعظم : موسع عليه . وترف الرجل وأترفه : دله وملكه . وقوله تعالى : «إلا قال مترفوها» : أي أولو الترفه ، وأراد رؤسها وقادة الشرمها .

قوله ( أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : قالوا لهم : أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم تراباً في قبوركم ، وعظاماً قد ذهبت لحوم أجسادكم ، وبقيت عظامها ، أنكم مخرجون من قبوركم أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت « أنكم » مرتين . والمعنى : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ، مخرجون مرةً واحدة ، لما فرق بين « أنكم » الأولى ، وبين خبرها بلذا ، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظنّ وأخواته ، ثم اعترضت بالجزء دون خبره ، فتكرّر اسمه مرةً ، وتحذفه أخرى ، فتقول : أظنّ أنك إن جالسنا أنك محسن ، فإن حذفنا أنك الأولى أو الثانية صلح ، وإن أثبتنا صلح ، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز ، خطأ أن يقال : أظنّ أنك أنك جالس ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( أَيْعِدْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ) .

### القول في تأويل قوله تعالى

« هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) »

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملائكة من ثمود ، أنهم قالوا : هيهات هيهات : أى بعيد ما توعدون أيها القوم ، من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً ، مخرجون أحياء من قبوركم ، يقولون ذلك غير كاثن . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ) يقول : بعيد بعيد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ) قال : يعنى البعث . والعرب تدخل اللام مع هيهات في الاسم الذي يصحبها ، وتزعمها منه ، تقول : هيهات لك هيهات ، وهيهات ما تبغى هيهات ؛ وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيهات ، كأنه قال : بعيد ما يبغى لك ؛ كما قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ  
وَهَيْهَاتَ حَيْلٌ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ<sup>١</sup>

(١) البيت لجرير بن عطية الخطمي ( لسان العرب : هيه ) . والرواية فيه : « العقيق وأهله » . وفي الديوان ( طبعة الصاوي ص ٤٧٩ )

فَأَيْهَاتَ أَيهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ  
وَأَيْهَاتَ وَصَلٌ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ<sup>١</sup>

وهو من قصيدة يهيب بها الفرزدق . والعقيق : واد لبني كلاب ، نقله البكري في معجم ما استعجم ، عن عمارة بن عقيل ، وهيهات وأيهات : كلمة معناها البعد ، وقيل : هيهات كلمة تبعيد قال جرير : « فهيهات . . . البيت » . وثناء مفتوحة مثل كيف ، وأصلها هاء ، وناس يكسرونها على كل حال ، قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت في الفغار :

هَيْهَاتَ مَنْ مَصَّبَحُهَا  
هَيْهَاتَ حَجَرٌ مِنْ صُنْبُيْبَعَاتِ

وقال الغراء : نصب هيهات بمنزلة نصب ربه وثمه ، وأنشد :

مَآوِيَّ يَا رُبِّيَّمَا غَارَةً  
شَعْمَوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ

كأنه قال : العقيق وأهله ، وإنما أدخلت اللام مع هيات في الاسم ، لأنهم قالوا : هيات أداة غير مأخوذة من فعل ، فأدخلوا معها في الاسم اللام ، كما أدخلوها مع هلم لك ، إذ لم تكن مأخوذة من فعل ، فإذا قالوا أقبل ، لم يقولوا لك ، لاحتمال الفعل ضمير الاسم .

واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيات ، فكان الكسائي يختار الوقف فيها بالهاء ، لأنها منصوبة ؛ وكان الفراء يختار الوقف عليها بالتاء ، ويقول : من العرب من يخفف التاء ، فدل على أنها ليست بهاء التانيث ، فصارت بمنزلة دَرَاكِ وَتَنْظَارِ ، وأما نصب التاء فيهما ، فلائهما أداتان ، فصارتا بمنزلة خمسة عشر ؛ وكان الفراء يقول : إن قيل : إن كل واحدة مستغنية بنفسها ، يجوز الوقف عليها ، وإن نصبها كنصب قوله : «مَتَّ جَلَسْتُ» ؛ وبمنزلة قول الشاعر :

ماوِيَّ يَارُبَّتِمَا غَارِي شَعَوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسِمِ

قال : فنصب هيات بمنزلة هذه الهاء التي في « ربت » ، لأنها دخلت على حرف ، على رب ، وعلى ثم ، وكانا أداتين ، فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قرآء الأمصار غير أبي جعفر ( هَيَّهَاتَ هَيَّهَاتَ ) بفتح التاء فيهما . وقرأ ذلك أبو جعفر ( هيات هيات ) بكسر التاء فيهما . والفتح فيهما هو القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله ( إن هي إلا حياتنا الدنيا ) يقول : ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا ، يقول : تموت الأحياء منا فلا نحيا ، ويحدث آخرون منا ، فيولدون أحياء ( وما نحن بمبعوثين ) : يقول : قالوا : وما نحن بمبعوثين بعد الممات .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن هي إلا حياتنا الدنيا ، تموت ونحيا ، وما نحن بمبعوثين ) قال : يقول ليس آخرة ولا بعث ، يكفرون بالبعث ، يقولون : إنما هي حياتنا هذه ، ثم نموت ولا نحيا ، يموت هؤلاء ، ويحيا هؤلاء ، يقولون : إنما الناس كالزرع يحصد هذا ، ويثبت هذا : يقولون : يموت هؤلاء ، ويبقى آخرون ، وقرأ ( وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يسببكم إذا مرقمكم كل ممزق ، إنكم لسي خلق جديد ) وقرأ ( لاتأتينا الساعة ، قل بلى ورتبي لتأتينكم ) .

(١) البيت في (السان : هيه ، رب) قال في الثاني : الفرق بين ربما ورب أن رب لا يليه غير الاسم ، وأما ربما فإنه زيدت ( ما ) مع ( رب ) ليليهما الفعل ، تقول : رب رجل جامف ، وربما جامف زيد ، وكذلك ربنا ، وأنشد ابن الأعرابي « ماوى . . . الخ » . وقال الكسائي : أظنهم امتنعوا من جزم الباء ( أى تسكين باء رب ) لكثرة دخول التاء فيها في قوطم : ربت رجل . يريد أن تاء التانيث لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ، أو في نية الفتح ، فلما كانت تاء التانيث تدخلها كثيرا امتنعوا من إسكان ما قبل هذا التانيث ، وآثروا النسب ( يعنى بالنصب الفتح ) اه . وقال في شعا : أشعى القوم الغارة إشعاء : أشعلوها ، وغارة شعواء . فاشية متفرقة ، وأنشد ابن الأعرابي : « ماوى . . . البيت » . والميسم : المكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب ، والجمع : مواسم ومياسم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا ، وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من إله غير الله وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . . . وقوله (هُوَ) من ذكر الرسول ، وهو صالح ( وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ) يقول : وما نحن له بمصدقين فيما يقول : إنه لا إله لنا غير الله ، وفيما بعدنا من البعث بعد الممات . وقوله ( قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ) يقول : قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ، ومن تصديقهم إياه بقولهم ( وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ) رب انصرني على هؤلاء بما كذبون ، يقول : بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق ، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه ، وتكذيبهم له ، فقال الله له مجيبا ، في مسئلته إياه ما سألت : عن قليل يا صالح ليصبحن مكذّبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين ، وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَخَذْتُمُومُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ، فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : فانتقمنا منهم ، فأرسلنا عليهم الصيحة ، فأخذتهم بالحق ، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه ، بكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) يقول : فصيرناهم بمنزلة الغثاء ، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه ، كما لا ينفع به في شيء ، وإنما هذا مثل . والمعنى : فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول : جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( غُثَاءً ) كالريم الهامد ، الذي يحتمل السيل .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال : كالريم الهامد ، الذي يحتمل السيل .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال : هو الشيء البالي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال :  
هذا مثل ضربه الله .

وقوله ( فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول : فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم ، إذ كفروا بربهم ،  
وعصّوا رسله ، وظلموا أنفسهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أولئك  
ثمود ، يعني قوله ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين . وقوله ( ما تسبق من أمة أجلها ) :  
يقول : ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود ، قبل الأجل الذي أجلنا هلاكها ، ولا  
يستأخِر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا هلاكها ، والوقت الذي وقتنا لفنائها ، ولكنها تهلك شيئا . وهذا  
وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلام منه لهم ، أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به  
وتكذيبهم رسوله ، ليلبغوا الأجل الذي أجل لهم ، فيحل بهم نعمته ، كسفته فيمن قبلهم من الأمم السالفة ،

#### القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُوهَا كَذَّبُوهُ، فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَجَعَلْنَاهُمْ

أَحَادِيثَ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره ( ثم أرسلنا رسلنا تترًا ) إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ( رسلنا تترًا ) يعني : يتبع بعضها  
بعضا ، وبعضها في أثر بعض ، وهي من المواتر ، وهي اسم لجمع مثل شيء ، لا يقال : جاءني فلان تترًا ،  
كما لا يقال : جاءني فلان مواتر ، وهي تنون ولا تنون ، وفيها الياء ، فن لم ينوتها فعلى من وترت ، ومن  
قال « تترًا » يوهم أن الياء أصلية كما قيل : معزى بالياء ، ومعزى بهمى ونحو ذلك ، فأجريت أحيانا ،  
وترك إجراؤها أحيانا ، فن جعلها « فعلى » وقف عليها ، أشار إلى الكسر ، ومن جعلها ألف إعراب لم يشر ،  
لأن ألف الإعراب لا تكسر ، لا يقال : رأيت زيدا ، فيشار فيه إلى الكسر .  
وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ  
أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ) يقول : يتتبع بعضها بعضا .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) يقول : بعضها على أثر بعض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( **تَتْرَى** ) قال : اتباع بعضها بعضا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) قال : يتبع بعضها بعضا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى** ) قال : بعضهم على أثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .

واختلفت قراءة الأمصار في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة ، وبعض أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة ( **تَتْرَى** ) بالتنوين . وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قراء الكوفة يقرءونه : ( **تَتْرَى** ) بإرسال الياء على مثال « **فَعَلَى** » ، والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان في كلام العرب ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أني مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما .

وقوله ( **كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُوهَا كَذَّبُوهُ** ) يقول : كلما جاء أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود رسولها الذي نرسله إليهم ، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا . وقوله ( **فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا** ) : يقول : فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك ، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض . وقوله ( **وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ** ) للناس ، ومثلا يتحدث بهم في الناس ، والأحاديث في هذا الموضع جمع أحداث ، لأن المعنى ما وصفت ، من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم ، وقد يجوز أن يكون جمع حديث ، وإنما قيل : ( **وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ** ) لأنهم جعلوا حديثا ، ومثلا يتمثل بهم في الشر ، ولا يقال في الخير : جعلته حديثا ولا أحداث . وقوله ( **فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** ) يقول : فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون برسوله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ (٤٦)**

يقول تعالى ذكره : ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية ، موسى وأخاه هارون ، إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا ، يقول : بحججنا ( **فَاسْتَكْبَرُوا** ) عن اتباعها ، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ( **وَكَانُوا قَوْمًا عٰلِينَ** ) يقول : وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم ، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم ، قاهرين لهم .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقوله ( وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ) قال : علّوا على رسلهم ، وعصّوا ربهم ، ذلك علوّهم ، وقرأ ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ) . . . الآية .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَقَالُوا أَأُتُونَ مِنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوا بِهَاتَيْنِ الْآيَاتِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فقال فرعون وملؤه ( أنؤمن لبشرتين مثلنا ) فتبعهما ( وقومهما ) من بني إسرائيل ( لنا عابدون ) يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون ، يأترون لأمرهم ، ويدينون لهم ، والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له . ومن ذلك قيل لأهل الحيرة : العباد ، لأنهم كانوا أهل طاعة للملك العجم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال فرعون ( أنؤمن لبشرتين مثلنا ) . . . الآية ، نذهب نرفعهم فوقنا ، ونكون تحتمهم ، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا ، كيف نصنع ذلك ؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة ، وقرأ ( وَتَكُونَنَّ لَكُمْ أُلُوسًا فِي الْأَرْضِ ) قال : العلوّ في الأرض . وقوله ( فَكَذَّبُوا بِهَاتَيْنِ الْآيَاتِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ) يقول : فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون ، فكانوا ممن أهلكتهم الله ، كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ، وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، ليهتدى بها قومه من بني إسرائيل ، ويعملوا بما فيها ، ( وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ) يقول : وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم ، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل ، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ) قال : ولدته من غير أب هو له ، ولذلك وحّدت الآية ، وقد ذكر مريم وابنها .

وقوله ( وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ) يقول : وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة ، يقال : أوى فلان إلى موضع كذا ، فهو يأوي إليه : إذا صار إليه ؛ وعلى مثال « أفعلته » فهو يؤويه . وقوله ( إِلَى رَبْوَةٍ ) يعني : إلى مكان مرتفع من الأرض على ماحوله ، ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه ، وعزّ وشرف وعدد :

هو في ربوة من قومه ، وفيها لغتان : ضمّ الراء وكسرها ، إذا أريد بها الاسم ، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر ، قبل رَبِّا رَبِّوة .

واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة ، وآوى إليه مريم وابنها ، فقال بعضهم : هو الرملة من فلسطين .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنا ابن عمّ لأبي هريرة ، يقال له أبو عبد الله ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة من فلسطين ، فإنها الربوة التي قال الله ( وآويناها لى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ ) .

حدثني عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عباد أبو عتبة الخواص ، قال : ثنا يحيى ابن أبي عمرو السيباني ، عن ابن وعلمة ، عن كريب ، قال : ما أدرى ما حدثنا مرةً التبهزى ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة : هي الرملة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد الله بن عمّ أبي هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول في قول الله ( لى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ ) قال : هي الرملة من فلسطين . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنا أبو عبد الله بن عمّ ، أبي هريرة ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة التي بفلسطين ، فإنها الربوة التي قال الله : ( وآويناها لى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ ) وقال آخرون : هي دمشق .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية ( وآويناها لى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ ) قال : زعموا أنها دمشق . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : بلغني ، عن ابن المسيب أنه قال دمشق . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : ثنا ابن بكير ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا عبد الله بن هبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( وآويناها لى ربوة ذات قرارٍ ومعينٍ ) قال : إلى ربوة من ربا مصر قال : وليس الربا إلا في مصر ، والماء حين يُرسَل تكون الربا عليها القرى ، لولا الربا لغرقت تلك القرى .

وقال آخرون : هي بيت المقدس .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو بيت المقدس .  
قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان كعب يقول : بيت المقدس أقرب إلى  
السماء بثانية عشر ميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن كعب ، مثله .  
وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر ، وليس كذلك صفة  
الرملة ، لأن الرملة لاماء بها مَعِين ، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ) قال : الربوة : المستوية .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَى رَبْوَةٍ ) قال : مستوية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) يقول تعالى ذكره : من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى ،  
أنها أرض منبسطة ، وساحة ، وذات ماء ظاهر لغير الباطن ، جار .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَمَعِينٍ ) قال : المَعِين : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال الله ( قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبًّا ) .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ،  
عن مجاهد ، في قوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : المَعِين : الماء .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مَعِين ، قال : ماء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصَّائِت ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ،  
في قوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : المكان المستوي ، والمَعِين : الماء الظاهر .  
حدثت عن الحسين بن الفرغ ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال سمعت الضحاک  
يقول في قوله ( وَمَعِينٍ ) : هو الماء الظاهر .

وقال آخرون : عنى بالقرار : الثمار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) هي ذات ثمار ، وهي بيت المقدس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى (ذَاتِ قَرَارٍ) وإن لم يكن أراد بقوله : إنها وإنما وصفت بأنها ذات قرار ، لما فيها من الثمار ، ومن أجل ذلك ، يستقر فيها ساكنوها ، فلا وجه له نعرفه . وأما (مَعِينٍ) فإنه مفعول من عِينْتَهُ فَأَنَا أَعِينُهُ ، وهو معين ؛ وقد يجوز أن يكون فعلا من مَعَنَ يَمَعَنُ ، فهو معين من الماعون ؛ ومنه قول عبيد بن الأبرص :

وَأَهْيِيَّةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمَعِنٌ أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُحُوبٌ

القول في تأويل قوله تعالى

يَأْسَأُهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الخلال الذي طيبه الله لكم ، دون الحرام ، (وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) تقول في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنا أذاكم ، وكما قال الذين قال لهم الناس ، وهو رجل واحد . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد بن إسحاق الضبي العطار ، عن حفص بن عمر الفزاري ، عن أبي إسحاق السيمي ، عن عمرو بن شرحبيل (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وأعملوا صالحا) قال : كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه .

وقوله (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) يقول : إني بأعمالكم ذو علم ، لا يخفى على منها شيء ، وأنا مجازيكم بجميعها ، وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها ، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)

(١) البيت لعبيد بن الأبرص من قصيدته البائية المطولة (اللسان : معن) واستشهد به المؤلف ، عند قوله تعالى : وآويتاها إلى ربوة ذات قرار ومعين . وقال في اللسان : قال الفراء : ذات قرار : أرض منبسطة . ومعين : الماء الظاهر الجاري . قال ذلك أن يجعل المعين مفعولا من العيون ، (واختاره المؤلف) ، ذلك أن يجعله فعلا من الماعون ، يكون أصله المعن . والمعن والمعين : الماء السائل ، وقيل الجارى على وجه الأرض ، وقيل العذب الغزير ؛ وكل ذلك من السهولة ، والمعن : الماء الظاهر . والثوب : جمع لوب (بكسر اللام) : الفرجة والهواء بين الجبلين . وفي المحكم : مهارة ما بين كل جبلين . وقيل : هو الصدع في الجبل ، عن الحياض . وقيل : هو الشعب الصغير في الجبل . وقيل : هو وجه من الجبل كالحائط ، لا يستطيع ارتقاؤه . اهـ

اختلفت القراءة في قراءة قوله ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) ، فقرأ ذلك عامة قرآء أهل المدينة والبصرة ( وأن ) بالفتح ، بمعنى : إني بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، فعلى هذا التأويل « أن » في موضع خفض ، عطف بها على « ما » من قوله ( بِمَا تَعْمَلُونَ ) ، وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرئ ذلك كذلك . ويكون معنى الكلام حينئذ : واعلموا أن هذه ، ويكون نصبها بفعل مضمرة . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفيين بالكسر ( وَإِنَّ ) هذه على الاستثناف ، والكسر في ذلك عندي على الابتداء : هو الصواب ، لأن الخبر من الله عن قيله لعيسى ( يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ ) مبتدأ ، فقوله ( وَإِنَّ هَذِهِ ) مردود عليه عطفًا به عليه ، فكان معنى الكلام : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وقلنا : وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وقيل : إن الأمة الذي في هذا الموضع : الدين والملة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال : الملة والدين .  
وقوله ( وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ) يقول : وأنا مولاكم فاتقون ، بطاعتي تأمنوا عقابي ، ونصبت أمة واحدة على الحال . وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعًا . وكان بعض نحويي البصرة يقول : رَفَعَ ذلك إذا رفع على الخبر ، ويجعل أمتكم نصبًا على البدل من هذه . وأما نحويو الكوفة فيأبؤون ذلك إلا في ضرورة شعر ، وقالوا : لا يقال : مررت بهذا غلامكم ، لأن هذا لا يتبعه إلا الألف واللام والأجناس ، لأن هذا إشارة إلى عدد ، فالحاجة في ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أي الأجناس هو ؟ وقالوا : وإذا قيل : هذه أمتكم أمة واحدة ، والأمة غائبة ، وهذه حاضرة ، قالوا : فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب ، قالوا : فلذلك لم يجوز : إن هذا زيد قائم ، من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لآلى المعرفة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)

اختلفت القراءة في قراءة قوله ( زُبُرًا ) فقرأته عامة قرآء المدينة والعراق ( زُبُرًا ) بمعنى جمع الزبور . فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء : فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد ، والملة الواحدة ، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ( زُبُرًا ) كُتُبًا ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر ، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة ، وكذبوا بحكم الإنجيل والقرآن ، وكان نصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذبوا بحكم الفرقان .

ذكر من تأول ذلك كذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( زُبُرًا ) قال : كُتُبًا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَيَّنَّهُمْ زُبُرًا ) قال : كُتِبَ اللهُ فَرَقَها قطعاً .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) قال مجاهد : كُتِبَهم فَرَقَها قطعاً .  
وقال آخرون من أهل هذه القراءة : إنما معنى الكلام : ففتروا قوادينهم بينهم كتباً أحدثوها ، يحتجون فيها لمذاهبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) قال : هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب ، كل معجبون برأيهم ، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم ، وصاحبهم الذي اختلف ذلك لهم . وقرأ ذلك عامة قراء الشام ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) بضم الزاي ، وفتح الباء ، بمعنى : ففتروا أمرهم بينهم قطعاً كزبر الحديد ، وذلك القطع منها ، وأحدثها زبيرة ، من قول الله ( آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ) فصار بعضهم يهودا ، وبعضهم نصارى .

والقراءة التي نختار في ذلك : قراءة من قرأه بضم الزاي والباء ، لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك ، على أنه مراد به الكتب ، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك ، لأن الزبيرة هي الكتب ، يقال منه : زبرت الكتاب : إذا كتبه .

فتأويل الكلام : ففتروا الدين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم ، دينهم بينهم كتباً ، كما بيننا قبل .  
وقوله ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) يقول : كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون ، معجبون به ، لا يرون أن الحق سواه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) قطعة ، وهؤلاء هم أهل الكتاب :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كُلُّ حِزْبٍ ) قطعة أهل الكتاب :

القول في تأويل قوله تعالى

فَذَرَهُمْ فِي طَعْمِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ؟ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبيرا ، في غمرتهم : في ضلالتهم وغيهم . حتى حين : يعني إلى أجل سيأتهم عند مجيئه عذابي . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَذَرَهُمْ ) فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ) قال : في ضلالهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَذَرَهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ) قال : الغمرة : الغمير .

وقوله ( أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ) يقول تعالى ذكره : أيجسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبيرا ، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين ( نُسَارِعُ لَهُمْ ) يقول : نسبق لهم في خيرات الآخرة ، ونبادر لهم فيها ؟ وه ما من قوله ( أَلَمْ نَمَّا نُنَادُهُمْ بِهِ ) نصب ، لأنها بمعنى الذي ( بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم : ما ذلك كذلك ، بل لا يعلمون أن إمدادي لإياهم بما أمدهم به من ذلك ، إنما هو إمداء واستدراج لهم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَلَمْ نَمَّا نُنَادُهُمْ ) قال : نعطيهم ، نسارع لهم ، قال : نزيدهم في الخير ، نتملى لهم ، قال : هذا لقريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو بن علي ، قال : ثنا أشعث بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن خالد الحذاء ، قال : قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة ، قول الله ( نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال : يسارع لهم في الخيرات ، وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك ، إلى أن تأويله : يسارع لهم إمدادنا لإياهم بالمال والبنين في الخيرات .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِثَأْتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨)  
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩)

يعني تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون ، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته ، جادون في طلب مرضاته .

( وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) يقول : والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون ، والذين هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْكُرُونَ ) يقول : والذين يُخلصون لربهم عبادتهم ، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ، ولا لصنم ، ولا يُراءون بها أحدا من خلقه ، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا ، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة ، دون كل شيء سواه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أَوَلَيْكَ يُسْرِعُونَ  
فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ) والذين يعطون أهل سُهْمَانِ الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم ( ما آتَوْا ) يعنى : ما أعطوهم إياه من صدقة ، ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها . ( وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) يقول : خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون ، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله ، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك ، كما قال الحسن : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن ابن عمر ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : الزكاة .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبید الله بن موسى ، قال أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : المؤمن ينفق ماله وقلبه وجيل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : يعملون ما عملوا من أعمال البر ، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجيل أنه إلى ربه راجع .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا ، ثم تلا الحسن ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) إلى ( وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) وقال المنافق : إنما أوتيته على علم عندي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ) قال : يعطون ما أعطوا ( وَقَلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) يقول : خائفة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا سالم الأقفطس ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صاثرون إلى الموت ، وهي من المبشرات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا ، ويعملون ما عملوا من خير ، وقلوبهم وجلة خائفة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا علي ، قال : ثنا معاوية ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) يقول : يعملون خائفين .

قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا فرقا من الله ، ووجلا من الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ) ينفقون ما أنفقوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا ، وينفقون ما أنفقوا ، ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة ، اتقاء لسخط الله والنار . وعلى هذه القراءة ، أعني على ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا ) قراءة الأمصار ، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرا ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ووافقه خط مصاحف المسلمين .

وروي عن عائشة رضي الله عنها في ذلك ، ما حدثناه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا علي ابن ثابت ، عن طلحة بن عمر ، عن أبي خلف ، قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة ، فسألها عبيد ، كيف نقرا هذا الحرف ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا ) فقالت : ( يَأْتُونَ مَا آتَوْا ) ، وكأنها تأولت في ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله .

وكانها تأولت في ذلك : والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله ، كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن قيس ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه ؟ فقال : لا ، ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن مالك بن ميعول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، أن عائشة قالت : قلت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهم الذين يذنبون وهم مشفقون ، ويصومون وهم مشفقون ؟ »

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ، ويصومون الخ ، كما يتضح من حديث عائشة الآتي بعد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مغيث ، عن رجل من أهل مكة ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : فذكر مثل هذا :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن عائشة أنها قالت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال : لا يا بئنة أبي بكر ، أو يا بئنة الصديق ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا ، عن عائشة ، أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا بئنة أبي بكر ، أو يا بئنة الصديق ، هُمُ الَّذِينَ يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَقْرَأُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ » . وأن من قوله ( أَلَيْسَ ) إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) : في موضع نصب ، لأن معنى الكلام ( وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) من أنهم ، فلما حذف « مِنْ » اتصل الكلام قبلها ، فنصب . وكان بعضهم يقول : هو في موضع خفض ، وإن لم يكن الخافض ظاهرا .

وقوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم ، يبادرون في الأعمال الصالحة ، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال : والخيرات : المخافة والوجل والإيمان ، والكف عن الشرك بالله ، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات ، وقوله ( وَهُمْ كَلَّمَا سَابِقُونَ ) كان بعضهم يقول : معناه : سبقت لهم من الله السعادة ، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ كَلَّمَا سَابِقُونَ ) يقول : سبقت لهم السعادة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ كَلَّمَا سَابِقُونَ ) ، فتلك الخيرات .

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون . وتأوله آخرون : وهم من أجلها سابقون .  
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله ابن عباس ، من أنه سبقت لهم من الله السعادة ، قبل مسارعهم في الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها .

ولما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ، لأن ذلك أظهر معنييه ، وأنه لاجابة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك ، إلى تحويل معنى اللام التي في قوله ( وَهُمْ كَلَّمَا ) إلى غير معناها الأغلب عليها .



القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَ لَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ، وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : ولا تكلف نفسا إلا ما يسعها ، ويصلح لها من العبادة ، ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله ، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ( ولَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) يقول : وعندنا كتاب أعمال الخلق ، بما عملوا من خير وشر ( يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ يقول : يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا ، لازيادة عليه ولا نقصان ، ونحن موفو جميعهم أجورهم ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ( وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) يقول : وهم لا يظلمون ، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله ، فيعاقب على غير جرمه ، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه ، فينقص عما له من الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ، وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون ، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين ، يخير نسوقه بذلك إليهم ، والرضا منا عنهم ، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن . وعنى بالغمرة : ما عمى قلوبهم ، فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج . وعنى بقوله ( مِّنْ هَذَا ) من القرآن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : في عمى من هذا القرآن :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : من القرآن :

وقوله ( وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : ول هؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي . من دون ذلك : يقول : من دون أعمال أهل الإيمان بالله ، وأهل التقوى والخشية له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( وَهُمْ أَعْمَلُ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ) قال : الخطايا :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : الحق . حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : خطايا من دون ذلك الحق .

قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ ) . . . الآية ، قال : أعمال دُونَ الحق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة ، ثم قال للكفار ( بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ، وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال : من دون الأعمال التي منها قوله ( مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) والذين ، والذين .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن عن قول الله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال : أعمال لم يعملوها سيعملونها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال : لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ، ويصلي به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها . حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَكُلُّكُمْ لَمِنْ دُونَ ذَلِكَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ، إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ (٦٤) لَا تَجْتَرُوا يَوْمَ الْيَوْمِ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : ولؤلؤ الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ )

قال: الْمُسْتَرْقُونَ: العظماء (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا، ولعلّ الجوار: رفع الصوت، كما يجأر الثور؛ ومنه قول الأعشى:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا مُجْبُودًا وَطَوْرًا جُوَارًا<sup>١</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) يقول: يستغيثون.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالوا: ثنا سفيان، عن علقمة بن قردد، عن مجاهد، في قوله (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: بالسيوف يوم بدر.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، في قوله (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: يجزعون.

قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ) قال: عذاب يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: الذين بمكة.

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ) يعني أهل بدر، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول في قوله (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: يجزعون.

وقوله (لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ) يقول: لاتضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم، ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله، (إِنَّكُمْ مِمَّنْ لَا تَنْصَرُونَ) يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حلّ بكم لاتستقلدون، ولا يخلصكم منه شيء.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس (لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ): لاتجزعوا اليوم.

(١) البيت للأعشى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٣) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب. ويراوح بين العملين: يتداول هذا مرة، وهذا مرة. والجوار: مصدر جأر إلى الله إذا تضرع ورفع صوته. يقول إن يمدحه مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء، تقى يراقب ربه، ويتضرع إليه ويجأر في صلواته. واستشهد به المؤلف على أن الجوار: رفع الصوت كما يجأر الثور.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا الربيع بن أنس ( لا تَجْمَأُ رُؤَا الْيَوْمَ ) لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب ، إنه لا ينفعكم ، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ  
بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : لا تنصجوا اليوم وقد نزل بكم من الله وعذابه ، بما كسبت أيديكم ، واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم ( قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ) يعني : آيات كتاب الله ، يقول : كانت آيات كتابي تقرأ عليكم ، فتكذبون بها ، وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها ، كراهية منكم لسماعها . وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء : نكص فلان على عقبه .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) قال : تستأخرون .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) يقول : تدبرون .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ، فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ) يعني أهل مكة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( تَنكِصُونَ ) قال : تستأخرون .  
وقوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول : مستكبرين بحرم الله ، يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد ، لأننا أهل الحرم .  
وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) يقول : مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : بمكة بالبلد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوْدَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بحرمي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ، في قوله : ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) بالحرم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بالحرم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : بالحرم .

وقوله ( ساميراً ) يقول : تَسْمُرُونَ بالليل ، ووجد قوله ( ساميراً ) وهو بمعنى السَّمَار ، لأنه وضع موضع الوقت . ومعنى الكلام : وتهجرون ليلاً ، فوضع السامر موضع الليل ، فوجد لذلك . وقد كان بعض البصريين يقول : وَحَدَّ ومعناه الجمع ، كما قيل : طفل في موضع أطفال . ومما بين عن صحة ما قلنا في أنه وضع موضع الوقت ، فوجد لذلك ، قول الشاعر :

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِشْتَهُمْ سَمْرًا عَزَفُ الْقِيَانِ وَجَلِيسٌ غَمْرًا

فقال : سمرا لأن معناه : إن جشتم ليلاً وهم يسمرون ، وكذلك قوله ( ساميراً ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ساميراً ) يقول : يَسْمُرُونَ حول البيت .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجلساً بالليل .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجالس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( ساميراً ) قال : تَسْمُرُونَ بالليل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ساميراً ) قال : كانوا

(١) البيت لابن أحر الباهل : (اللسان : سمر) قال : قال ابن أحر ، وجعل السمر ليلاً : « من دونهم . . . البيت » أراد : إن جشتم ليلاً ، وبهذا المعنى أورده المؤلف . والشطر الثاني من البيت في رواية اللسان مختلف عنه في رواية المؤلف ، فقوله « حتى حلال لمع عكر » . والحى الحلال : يريد الجماعة التنازلين على الماء أو نحوه . ولمع : كثير مجتمع . وكذلك العكر . والمجلس الغمر : الجماعة الكثيرة ، يجتمعون للحديث والسمر .

يسمرون ليلتهم ويلعبون : يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( ساميراً ) قال : يعني ستمر الليل .

وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً ) يقول : سامرا من أهل الحرم ، آمننا لا يخاف ، كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، لا يخافون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً ) يقول : سامرا من أهل مكة آمننا لا يخاف ، قال : كانوا يقولون : نحن أهل الحرم لا نخاف .

وقوله ( تَهْجُرُونَ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء الأمصار ( تَهْجُرُونَ ) بفتح التاء وضم الجيم . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن القرآن أو البيت ، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه . والآخر : أن يكون عنى أنهم يقولون شيئاً من القول كما يهجر الرجل في منامه ، وذلك إذا هدأ ، فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ، ما لا معنى له من القول ، وذلك أن يقولوا فيه باطلاً من القول الذي لا يضره ، وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل .

ذكر من قال : كانوا يُعْرِضُونَ عن ذكر الله والحق ويهجرونه

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : يهجرُونَ ذكر الله والحق .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن أبي صالح ، في قوله ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : السب .

ذكر من قال : كانوا يقولون الباطل والسيء من القول في القرآن

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( تَهْجُرُونَ ) قال : يهجرُونَ في الباطل .

قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : يسمرون بالليل يخوضون في الباطل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَهْجُرُونَ ) قال : بالقول السيء في القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : الهذيان الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل ، كالمرضى الذي يتكلم بما لا يدري ، قال : كان أبي يقرؤها ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) .

وقرأ ذلك آخرون ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) بضم التاء وكسر الجيم ، ومن قرأ ذلك كذلك من قراء

الأمصار : نافع بن أبي نعيم ، بمعنى : يُفحشون في المنطق ، ويقولون الحننا ، من قولهم : أهجر الرجل : إذا أفحش في القول ، وذكر أنهم كانوا يسبون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (تَهْجِرُونَ) قال : تقولون هُجْرًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبي تهبك ، عن عكرمة ، أنه قرأ (ساميرًا تهجيرُونَ) : أي تسبون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوزة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله (ساميرًا تهجيرُونَ) رسولى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن (تَهْجِرُونَ) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة (تَهْجِرُونَ) يقول : يقولون سوءا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن (تَهْجِرُونَ) كتاب الله ورسوله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (تَهْجِرُونَ) يقول : يقولون المنكر والحننا من القول ، كذلك هَجَرَ القول .  
وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا : القراءة التي عليها قرأ الأمصار ، وهي فتح التاء ، وضم الجيم ، لإجماع الحجة من القراء .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَأَلَمٌ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ، وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه ، فيعلموا ما فيه من العبر ، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه ؟ (أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) ؟ يقول : أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم ، فاستكبروا ذلك وأعرضوا ، فقد جاءت الرسل من قبلهم ، وأنزلت معهم الكتب ، وقد يحتمل أن تكون « أم » في هذا الموضع بمعنى : بل ، فيكون تأويل الكلام : أفلم يدببروا القول ؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، فتركوا لذلك التدبر ، وأعرضوا عنه ، إذ لم يكن فيمن سلف من آباؤهم ذلك . وقد ذكر عن ابن عباس في نحو هذا القول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ) قال : لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين .  
وقوله ( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا هَؤُلَاءِ الْمَكذَّبُونَ مُحَمَّدًا ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، فَهَمَّ لَهُ مَنْكَرُونَ ، يَقُولُ : فَيَنْكَرُوا قَوْلَهُ ، أَوْ لَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصِّدْقِ ، وَيَحْتَجُّوا بِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فَكَيْفَ يُكذِّبُونَهُ وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ فِيهِمُ بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ! ( أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جَنَّةٌ ) يَقُولُ : أَيْقُولُونَ بِمُحَمَّدٍ جَنُونَ ، فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا لَمْ يَمَعْنِ لَهُ وَلَا يُفْهَمُ ، وَلَا يَدْرِي مَا يَقُولُ ( بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَإِنْ يَقُولُوا ذَلِكَ فَكَيْدٌ بِهِمْ فِي قِيلِهِمْ ذَلِكَ وَاضِحٌ بَيِّنٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنُونَ يَهْدِي ، فَيَأْتِي مِنَ الْكَلَامِ بِمَا لَمْ يَمَعْنِ لَهُ ، وَلَا يَعْقِلُ ، وَلَا يُفْهَمُ ، وَالَّذِي جَاءَهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ هُوَ الْحِكْمَةُ الَّتِي لَا أَحْكَمَ مِنْهَا ، وَالْحَقُّ الَّذِي لَا تَخْفَى صِدْقُهُ عَلَى ذِي فِطْرَةٍ صَحِيحَةٍ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : هُوَ كَلَامُ مَجْنُونٍ . وَقَوْلُهُ ( وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : مَا بِهِؤُلَاءِ الْكُفْرَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مُحَمَّدًا بِالصِّدْقِ ، وَلَا أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَهُمْ مَجْنُونٌ ، بَلْ قَدْ عَلِمُوهُ صَادِقًا حَقًّا فَمَا يَقُولُ ، وَفَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لِلِإِذْعَانِ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، وَالْأَتْبَاعُ مُحَمَّدٍ سَاخِطُونَ ، حَسَدًا مِنْهُمْ لَهُ ، وَبَغْيًا عَلَيْهِ ، وَاسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ؛ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)

يقول تعالى ذكره : وَلَوْ عَمِلَ الرَّبُّ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِمَا يَهْوَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَجْرَى التَّنْذِيرَ عَلَى مَشِيئَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ ، وَتَرَكَ الْحَقَّ الَّذِي هُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ ، وَالصَّحِيحَ مِنَ التَّنْذِيرِ وَالْفَاسِدَ ، فَلَوْ كَانَتِ الْأُمُورُ جَارِيَةً عَلَى مَشِيئَتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ ، مَعَ إِثَارِ أَكْثَرِهِمُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ ، لَمْ تَقَرَّ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ قَامَ بِالْحَقِّ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا السدي ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الله .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الحق : هو الله .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الحق : الله .

وقوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن .  
ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ ) يقول : بينا لهم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل أتيناهم بشرقهم ، وذلك أن هذا القرآن كان شرفاً لهم ، لأنه نزل على رجل منهم ، فأعرضوا عنه ، وكفروا به ، وقالوا ذلك نظير قوله ( وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَلِيقَوْمِكَ ) وهذان القولان متقاربا المعنى . وذلك أن الله جل ثناؤه ، أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما خلقه إليه الحاجة من أمر دينهم ، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه ، وشرف لهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ (٧٣)

يقول تعالى ذكره : أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا ، يعني أجرا على ما جنتهم به من عند الله من النصيحة والحق ( فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ) : فأجر ربك على نفاذك لأمره ، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجرا ، قال لهم كما قال الله له ، وأمره بقيله لهم ( قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ) وإنما معنى الكلام : أم تسألهم على ما جنتهم به أجرا ، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم ، مستكبرين بالحرم ، فخراج ربك خير .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ) قال : أجرا .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ، مثله ، وأصل الخراج والخروج : مصدران لا يجتمعان .

وقوله ( وَهُوَ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ) يقول : والله خير من أعطى عوضا على عمل ، ورزق رزقا .

وقوله (وَإِنَّكَ لَتَشُدُّ عُرُوسَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول تعالى ذكره: وإنا لك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد، والصراط المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥)

يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، وبجازاة الله عباده في الدار الآخرة (عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ) يقول: عن حَجَّجَةَ الحَقِّ، وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده، لعادلون، يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكَّب عنه: أي عدل عنه. وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، في قوله (عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ) قال: لعادلون. حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَسَكَبُونَ) يقول: عن الحق عادلون. وقوله (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) يقول تعالى: ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب، وضرَّ الجوع والهزال. (كَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ) يعني في عتوهم، وجرأتهم على ربهم. (يَعْمَهُونَ) يعني: يترددون. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيْج، في قوله (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) قال: الجوع.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيعنا عليهم معاشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سرانهم بالسيف. (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ) يقول: فما خضعوا لربهم، فيتقادوا لأمره ونهيه، ويئيدوا إلى طاعته (وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يقول: وما يتذللون له.

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الله قريشا بسنى الجذب، إذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو نميلة ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد . أتشُدُّكَ اللهُ والرحم ، فقد أكلنا العليهنز ، يعنى الوبر والدم ، فأنزل الله : ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْصُرُهُمْ عُونَ ) .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن غلباء بن أحر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن ابن أُمِّ ثَالِ الحنفي لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير ، فخلى سبيله ، فلاحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة ، حتى أكلت قريش العليهنز ، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال : بلى ، فقال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فأنزل الله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ) ... الآية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : قال الحسن : إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء ، فإنما هي نقمة ، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية ، ولكن استقبلوها بالاستغفار ، ونصروا إلى الله ، وقرأ هذه الآية ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْصُرُهُمْ عُونَ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ ) قال : الجوع والجدب ( فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ) فصبروا ( وَمَا يَنْصُرُهُمْ عُونَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال ، فقتلوا يوم بدر .

## ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبي هند ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قد مضى ، كان يوم بدر .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر ، وهو الباب ذو العذاب الشديد .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حتى إذا فتحتنا عليهم\* بابا ذأ عذاب شديد ) قال : لكفار قريش الجوع ، وما قبلها من القصة لهم أيضا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : وما قبلها أيضا . وهذا القول الذي قاله مجاهد : أولى بتأويل الآية ، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قصة الحجارة التي أصابت قريشا ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لاشك أنه كان بعد وقعة بدر .  
 وقوله ( إذا هم\* فيهِ مَبْلِسُونَ ) يقول : إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حَزَنَ في ، نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله ، في حين لا ينفعهم الندم والحزن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : والله الذي أحدث لكم أيها المكذَّبون بالبعث بعد الممات ، السمع الذي تسمعون به ، والأبصار التي تبصرون بها ، والأفئدة التي تفقهون بها ، فكيف يتعذَّر على من أنشأ ذلك ابتداء عاقبته بعد عدمه وفقده ، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد قليلا ما تشكرون ، يقول : تشكرون أيها المكذَّبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلقكم في الأرض ، وإليه تُحْشَرُونَ من بعد مماتكم ، ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟ (٨٠)

يقول تعالى ذكره : والله الذي يحيي خلقه : يقول : يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نُطْفًا أمواتا ، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها ، ويميت : يقول : ويميتهم بعد أن أحياهم ( وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ) يقول : وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين ، كما يقال في الكلام : لك المنّ والفضل ، بمعنى : إنك تَمُنُّ وتُفَضِّلُ . وقوله ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) يقول : أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل ، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم ، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَهَذَا مِثْنًا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَهْ نَالِبِعُوثُونَ ؟ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ، ولا تدبّروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته ، على فعل كلّ ما يشاء ، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم ، من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم ، ( قالوا أئذا ميتنا وكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا ) يقول : أئذا متنا ، وعدنا ترابا ، قد بليت أجسامنا ، وبرأت عظامنا من لحومنا ( أئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ) يقول : إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء ، كهيتنا قبل الممات ؟ إن هذا لشيء غير كائن .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ وَعَدْنَا لَاحِنًا وَأَبَاءَنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : قالوا : لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد ، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة أن هذا يقول : ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ( إلا أساطير الأولين ) يقول : ماسطره الأولون في كتبهم ، من الأحاديث والأخبار التي لاصحة لها ولا حقيقة .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ (٨٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك : لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق ، إن كنتم تعلمون من مالكمها ، ثم أعلمه أنهم سيقروا بأنها لله ملكا ، دون سائر الأشياء غيره ( قل أفلأ تذكرون ) يقول : فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون ، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم ، وإعادتهم خلقا سويا بعد فناءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

تَتَّقُونَ؟ (٨٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد ، من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش المحيط بذلك ؟ سيقولون ذلك كله لله ، وهو ربه ، فقل لهم : أفلا تتقون عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله ؟

وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام : ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) سوى أبي عمرو ، فإنه خالفهم فقرأه ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) في هذا الموضع ، وفي الآخر الذي بعده ، اتباعا لخط المصحف ، فإن ذلك كذلك في مصاحف الأمصار ، إلا في مصحف أهل البصرة ،

فإنه في الموضوعين بالألف ، فقرأوا بالألف كلَّها اتباعا لخط مصحفهم ، فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك ، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء ، وردّوا مرفوعا على مرفوع . وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم : قل من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش العظيم ، سيقولون ربّ ذلك الله ، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك . وأما الذين قرءوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف ، فإنهم قالوا : معنى قوله قل من ربّ السموات : لمن السموات ، لمن ملك ذلك ؟ فجعل الجواب على المعنى ، فقبل : الله ، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو ؟ قالوا : وذلك نظير قول قائل لرجل : من مولاك ؟ فيجيب الجيب عن معنى ما سئل ، فيقول : أنا لفلان ، لأنه مفهوم بذلك من الجواب ، ما هو مفهوم بقوله : مولاي فلان . وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده :

وأعلمتُ أنّي سأكونُ رمسا إذا سارَ التّواجيعُ لايسيرُ  
فقالَ السّائلونَ لمنَ حقّرتُم فقالَ المخبرونَ لهمُ : وزيراً

فأجاب المخفوض بمرفوع ، لأن معنى الكلام : فقال السائلون : من الميت ؟ فقال المخبرون : الميت وزير . فأجابوا عن المعنى دون اللفظ .

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القرّاء ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف ، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك ، سوى خط مصحف أهل البصرة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكَوَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ؟ (٨٨)  
سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد من بيده خزائن كلّ شيء .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( مَلَكَوَتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : خزائن كلّ شيء .

(١) البيتان ما أنشده الفراء عن بعض بني عامر ، في كتابه معاني القرآن ( الورقة ٢١٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) قال الفراء : وقوله « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله » هذه مسألة فيها ؛ لأنه قد استفهم بلام ، فرجعت في خبر المستفهم . وأما الآخران ، فإن أهل المدينة وعامة أهل الكوفة يقرؤنهما كقراءة أبي كذلك : لله ، لله ، لله ، ثلاثين . وأهل البصرة يقرؤون الآخرتين الله ، الله ، وهو في العربية آيين ، لأنه مردود مرفوع ؛ ألا ترى أن قوله « قل من ربّ السموات » مرفوع ، لاخفص فيه ، فجرى جوابه على مبتدأ به ، وكذلك هي في قراءة عبد الله . والعلّة في إدخال اللام في الآخرتين في قول أبي وأصحابه : أنك لو قلت لرجل : من مولاك ؟ فقال : أنا لفلان ، فكفاك من أن يقول : مولاي فلان ، فلما كان المعنيان واحدا ، جرى ذلك في كلامهم ؛ أنشدني بعض بني عامر « وأعلم أنّي سأكون رمسا » . . . البيتين . فرفع . أراد : الميت وزير . والتواجيع : جمع ناجمة ، وهي الجماعة تترك منازلها في طلب الكلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مجاهد ، في قول الله ( قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : خزائن كل شيء .

وقوله ( وَهُوَ يُجِيرُ ) من أراد من قصده بسوء ( وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ) يقول : ولا أحد يمنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه ( إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) من ذلك صفة ، فإنهم يقولون : إن ملكوت كل شيء ، والقدرة على الأشياء كلها لله ، فقل لهم يا محمد ( فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ) يقولون : فن أي وجد تُسْحَرُونَ عن التصديق بآيات الله ، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله ، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء ، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم ، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته .

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله ( تُسْحَرُونَ ) ما حدثني به علي ، قال : ثنا عبد الله قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ) يقول : تكذبون .

وقد بينت فيما مضى السحر : أنه تخيل الشيء إلى الناظر ، أنه على خلاف ما هو به من هيئته ، فذلك معنى قوله ( فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ) إنما معناه : فن أي وجه يُخَيَّلُ إليكم الكذب حقاً ، والفساد صحيحاً ، فتصرفون عن الإقرار بالحق ، الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ، إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)

يقول : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله ، من أن الملائكة بنات الله ، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ ) اليقين ، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام ، ولا يُعْبَدُ شيء سوى الله ، لأنه لا إله غيره ( وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) يقول : وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ، ويتحلقونه من الولد والشريك . وقوله ( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ) يقول تعالى ذكره : ما لله من ولد ، ولا كان معه في القديم ، ولا حين ابتدع الأشياء ، مَنْ تُصَلِّحُ عِبَادَتَهُ ، ولو كان معه في القديم ، أو عند خلقه الأشياء ، مَنْ تُصَلِّحُ عِبَادَتَهُ ( مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَدَّهَبَ ) يقول : إذن لا اعتزل كل إله منهم ( بِمَا خَلَقَ ) من شيء ، فأنفرد به ، ولتغالبوا ، فلعلنا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ الضعيف ، لأن القوى لا يرضى أن يعلوه ضعيف ، والضعيف لا يصلح أن يكون إلهاً ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأجزها لمن عقل وتدبر ! وقوله ( إِذَا لَدَّهَبَ ) جواب لمخذوف ، وهو : لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، اجتزئى بدلالة ما ذكر عليه عنه . وقوله ( سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره تنزيهاً لله عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له ولداً ، وعماً قالوه ، من أن له شريكاً ، أو أن معه في القدم إلهاً يُعْبَدُ ، تبارك وتعالى .

وقوله (عالم الغيب والشهادة) يقول تعالى ذكره : هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء ، فلم يرّوه ولم يشاهدوه ، وما رأوه وشاهدوه ، إنما هذا من الله خير عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين : اتخذ الله ولداً ، وعبدوا من دونه آلهة ، إنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلُونَ مَحْطُونَ ، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم ، بل عن جهل منهم به ، وإن العالم بتقديم الأمور وبحديثها ، وشاهدتها وغائبها عنهم ، الله الذي لا يخفى عليه شيء ، فخبّره هو الحق دون خبرهم ، وقال : (عالم الغيب) فرفع على الابتداء ، بمعنى : هو عالم الغيب ، ولذلك دخلت الفاء في قوله (فتعالى) كما يقال : مررت بأخيك المحسن ، فأحسنت إليه ، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء ، لأن معنى الكلام إذا كان كذلك : مررت بأخيك هو المحسن ، فأحسنت إليه . ولو جعل الكلام بالواو فقبل : وأحسنت إليه لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ ، ولذلك لوجاء فتعالى بالواو ، كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله ، وكان يكون معنى الكلام : سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى ! فيكون قوله « وتعالى » حينئذ معطوفاً على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء ، لأن العرب قد تبدى الكلام بالفاء ، كابتدائها بالواو ، وبالخفض كان يقرأ (عالم الغيب) في هذا الموضع أبو عمرو ، وعلى خلافه في ذلك قرآنة الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع ، لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القرآنة عليه ، والثاني : صحته في العربية .

وقوله (فتعالى عما يشركون) يقول تعالى ذكره : فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، بوصفهم إياه بما يصفون .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ رَبِّ إِنَّا نُرِيئُ مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : رب إننا نرئى في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك ، فلا تهلكنى بما تهلكهم به ، ونجنى من عذابك وسخطك ، فلا تجعلنى في القوم المشركين ولكن اجعلنى ممن رضيت عنه من أوليائك . وقوله (فلا تجعلنى) جواب لقوله : إما تُرِيئنى ، اعترض بينهما بالنداء ، ولو لم يكن قبله جزء لم يجز ذلك في الكلام ، لا يقال : يا زيد فقم ، ولا يارب فاغفر ، لأن النداء مستأنف ، وكذلك الأمر بعده مستأنف ، لا تدخله الفاء والواو ، إلا أن يكون جواباً لكلام قبله . وقوله (وإننا على أن نريك ما نعدهم) لقادرون) يقول تعالى ذكره : وإننا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما تعدهم من تعجيل العذاب لهم ، لقادرون ، فلا يحزنتك تكذيبهم إياك بما تعدهم به ، وإنما تؤخر ذلك ، ليلبغ الكتاب أجله .



القول في تأويل قوله تعالى

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه : ادفع يا محمد بالحليلة التي هي أحسن ، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين ، والصبر على أذاهم ، وذلك أمره إياه قبل أمره بحريهم ، وعنى بالسيئة : أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : أعرض عن أذاهم إياك .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الحزري ، عن مجاهد ( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : هو السلام ، تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيْتَهُ .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ، ويصفح عما يكره .  
وقوله ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : نحن أعلم بما يصفون الله به ، وينحكونه من الأكاذيب والفرية عليه ، وبما يقولون فيك من سوء ، ونحن مجازوهم على جميع ذلك ، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول .

وقوله ( وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد رب أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها ، والهمز : هو الغمز ، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام : همزة ، والهمزات جمع همزة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ) قال : همزات الشياطين : خنقهم الناس ، فذلك همزاتهم .  
وقوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) يقول : وقل أستجير بك رب أن يحضرون في أموري .  
كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) في شيء من أمري .

(١) في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : (همز) : «الهمز كالعصر» وهو مناسب لقول المؤلف : خنق الشياطين . لأن الخنق :

هو عصر الرقبة وضغطها ، لينتقلع النفس .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ؛ كَلَّا إِنَّهَا  
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ، وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . (١٠٠)

يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت ، وعاین نزول أمر الله به ، قال لعظيم ما يعاین مما يتقدم عليه من عذاب ، الله تندما على مافات ، وتلهفنا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ، ومسلته للإقالة ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) إلى الدنيا ، فردوني إليها ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ) يقول : كفى أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل ، فضيعته ، وفرطت فيه .  
وبنحو الذي قلنا فيه قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، قال : كان محمد بن كعب القرظي يقرأ علينا ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعوني ) قال محمد : إلى أي شيء يريد ؟ إلى أي شيء يرغب ؟ أجمع المال ، أو غرس الغراس ، أو بسني بنيان ، أو شق أنهار ؟ ثم يقول ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ) يقول الجبار : كلاً .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) قال : هذه في الحياة الدنيا ، ألا تراه يقول ( حتى إذا جاء أحدهم الموت ) قال : حين تنقطع الدنيا ، ويعاین الآخرة ، قبل أن يدوق الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار المسموم والأحزان ، فيقول بلى قد ماني إلى الله ، وأما الكافر فيقول : نرجعك ؟ فيقول : لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعوني ) : يعني أهل الشرك ، وقيل : رب أرجعون ، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل : أرجعون ، فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد . وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا ، إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم ، كما ذكر ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله . وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع ، والرد إلى الدنيا .

وكان بعض نحري الكوفة يقول : قيل ذلك كذلك ، لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله ( وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِن قَبْلُ وَكَمْ تَكُ شَيْئًا ) في غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذلك .

وقوله (كَلَاً) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر على ما قال هذا المشرك ، لن يُرْجَع إلى الدنيا ، ولن يُعاد إليها (لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ هَوَّ قَائِلُهَا) يقول : هذه الكلمة ، وهو قوله (رَبِّ ارْجِعُونِ) كلمة هو قائلها : يقول : هذا المشرك هو قائلها .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَلَاً لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ هَوَّ قَائِلُهَا) لا بد له أن يقولها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) يقول : ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع ، يعنى إلى يوم يبعثون من قبورهم ، وذلك يوم القيامة ؛ والبرزخ والحاجز والمُهَلَّة متقاربات في المعنى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) يقول : أجل إلى حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) قال : ما بعد الموت .

حدثني أبو حميد الحمصي أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا أبو حنيفة شريح بن يزيد ، قال : ثنا أروطة ، عن أبي يوسف ، قال : خرجت مع أبي أمامة في جنازة ، فلما وُضِعَتْ في لحدها ، قال أبو أمامة : هذا برزخ إلى يوم يُبعثون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مطر ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : ما بين الموت إلى البعث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : برزخ بقية الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) قال : البرزخ ما بين الموت إلى البعث .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول :

البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ ) من النفختين أيتهما عني بها ، فقال بعضهم : عني بها النفخة الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عمرو بن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، أن رجلا أتى ابن عباس فقال : سمعت الله يقول ( فلا أنساب بينهم يومئذ ) . . . الآية . وقال في آية أخرى ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فقال : أما قوله ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) فذلك في النفخة الأولى ، فلا يبقى على الأرض شيء ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) وأما قوله ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، في قوله ( فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ ) فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) قال : في النفخة الأولى .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) فذلك حين ينفخ في الصور ، فلا حتى يبقى إلا الله ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية .

قال أبو جعفر : فعني ذلك على هذا التأويل : فإذا نفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ، ولا يتساءلون ، ولا يتزاورون ، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم :

وقال آخرون : بل عني بذلك النفخة الثانية :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن هارون بن أبي وكيع ، قال : سمعت زاذان يقول : أتيت ابن مسعود ، وقد اجتمع الناس إليه في داره ، فلم أقدر على مجلس ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، من أجل أني رجل من العجم تحقيرني ؟ قال : أدن ، قال : فدنوت ، فلم يكن بيني وبينه جليس ، فقال : « يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة ، على رعوس الأولين والآخريين ، قال : وينادي مناد : ألا إن هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه ، قال : ففرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها ، أو على أبيها ، أو على أخيها ، أو على زوجها ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن هارون بن عتبة ، عن زاذان ،

قال : سمعت ابن مسعود يقول : « يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة ، فينصب على رءوس الأولين والآخريين ، ثم ينادى مناد ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد : أعطى هؤلاء حقوقهم ، فيقول : أي رب ، فنيت الدنيا ، فمن أين أعطيتهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته ، فإن كان له فضلٌ مثقال حبة من خردل ، ضاعفها الله له ، حتى يدخله بها الجنة ، ثم تلا ابن مسعود ( إن الله لا يظلمُ مثقالَ ذرةٍ ، وإن تك حسنةٌ يضاعفها ، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ) وإن كان عبداً شقياً قالت الملائكة : ربنا ، فنيت حسنة ، وبقي طالبون كثير ، فيقول : خذوا من أعمالهم السيئة ، فأضيفوها إلى سيئاته ، وصكوا له صكاً إلى النار . »

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج « ( فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال : لا يسأل أحد يومئذ بنسبٍ شيئاً ، ولا يتساءلون ، ولا يمت إليه برحم . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى محمد بن كثير ، عن حفص بن المغيرة ، عن قتادة ، قال : « ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه ، مخافة أن يذوب له عليه شيء ، ثم قرأ ( يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِيهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) . »

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا الحكم بن سنان ، عن سدوس صاحب السائري ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْشِ : يَا أَهْلَ النَّظَامِ تَدَارَكُوا مَطْلَمَاتِكُمْ ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ . »

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره ( فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ) : موازين حسناته وخفت موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يعني الخالدون في جنات النعيم ( وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ) يقول : ومن خفت موازين حسناته ، فرجحت بها موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) يقول : غببتوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ( فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ) يقول : هم في نار جهنم .  
وقوله ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) يقول : تستفح وجوههم النار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) قال : تنفح ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) والكالوح : أن تتقلص الشفتان عن الأسنان ، حتى تبدو الأسنان ، كما قال الأعشى :

وَلَهُ الْمُقَدَّمُ لَامِثْلَ لَهُ سَاعَةَ الشَّدَقُ عَنِ النَّابِ كَلَحًا

فتأويل الكلام : يَسْتَفْعَ وجوههم هب النار ، فحُحِرَقَهَا ، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان ، من إحراق النار وجوههم :  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ ) يقول : عابسون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ ) قال : ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه ، وقلصت شفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ، قرأ هذه الآية ( تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ ) . . . الآية ، قال : ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفاه ، وبدت أسنانه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ ) قال : ألم تر إلى الغم إذا مست النار وجوها كيف هي ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ مُتَلِّيًا عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٠٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)

يقول تعالى ذكره : يقال لهم ( أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ مُتَلِّيًا عَلَيْكُمْ ) يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ( فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ) وترك ذكر يقال ، لدلالة الكلام عليه . ( قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) بكسر الشين ، وبغير ألف . وقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( شِقَاوَتُنَا ) بفتح الشين والألف . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، وقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : قالوا : ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطأ لنا في أم الكتاب .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٤١ بشرح الدكتور محمد حسين ، طبع القاهرة) . والرمية فيه في الحرب « إذا » في موضع « لا مثل له » . والمقدم بضم الميم : مصدر بمعنى الإقدام . وكلح الشدق : كثر عن الأنبياء في عبوس .  
يحدح إلياس بن قبيصة الطائي ، بأن من صفاته الإقدام في الحرب حين تكره الأبطال النزال ، وتكثر أشداقهم عن أنيابهم ، كرها للحرب . واستشهد به المؤلف هنا على أن معنى الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) قال : التي كتبت علينا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) التي كتبت علينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال : قال ابن جريج : « بلغنا أن أهل النار نادوا خِزْرَةَ جهنم : أن ( ادْعُوا رَبِّكُمْ يَخْفَفْ عَنَا يَوْمَآ مِنَ الْعَذَابِ ) فلم يجيبوهم ما شاء الله ؛ فلما أجابوهم بعد حين ، قالوا : ( ادْعُوا وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ) . قال : ثم نادوا مالكا : يا مالكا ليقض علينا ربك ، فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ، ثم أجابهم فقال : ( إِنَّكُمْ مَا كُثِرُونَ ) . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا ( رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) . »

قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : « ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ، ثم يقال : أجيئوهم ، وقد قطع الرحيم والرحمة ، فيقول أهل الجنة : يا أهل النار ، عليكم غضب الله ، يا أهل النار ، عليكم لعنة الله ، يا أهل النار ، لا لبئسكم ولا سعد بكم ، ماذا تقولون ؟ فيقولون : ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون : بلى ، فيقولون ( أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ، قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَهْمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ) . »

قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : وثني عبدة المروزي ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن عمرو بن أبي ليلى ، قال : سمعت محمد بن كعب ، زاد أحدهما على صاحبه : قال محمد ابن كعب : بلغني ، أو ذكر لي ، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فردوا عليهم ما قال الله : فلما أيسوا نادوا : يا مالكا ، وهو عليهم ، وله مجلس في وسطها ، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها ، فقالوا : يا مالكا ، ليقض علينا ربك ، سألوا الموت ، فكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة ، أو كما قال : ثم انحط إليهم ، فقال ( إِنَّكُمْ مَا كُثِرُونَ ) فلما سمعوا ذلك قالوا : فاصبروا ، ففعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، فنادوا ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ ) : أي منجى ، فقام إبليس عند ذلك فخطبهم ، فقال ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) ؛ فلما سمعوا مقالهم ، مقتوا أنفسهم ، قال : فتودوا ( لَمَلَقْتُ

(١) لعل القائل هنا أيضا : هو القاسم ، راوى الحديث بالإسناد السابق على هذا .

اللهِ أَكْثَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا ...  
 الآية ، قال : فيجيبهم الله فيها ( ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا  
 فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ) قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . قال : ثُمَّ دَعَوَا مَرَّةً أُخْرَى ، فَيَقُولُونَ ،  
 ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ، إِنَّا مُوقِنُونَ ) قال : فيقول الرب تبارك وتعالى  
 ( وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ) يقول الرب : لو شئت لهديت الناس جميعا ، فلم يختلف منهم  
 أحد ( وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ، فَذُوقُوا بِمَا  
 نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ) يقول : بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) : أى تركناكم  
 ( وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . قال : فيدعون مرة  
 أخرى ( رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ) قال : فيقال لهم ( أَوْ لَمْ  
 تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنَ زَوَالٍ ، وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ  
 أَنْفُسَهُمْ ) . . . الآية ، قال : فيقولون : ما أيسنا بعد . ثم قالوا مرة أخرى ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ  
 صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ) ، قال : فيقول ( أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ  
 وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ ) . . . إلى ( نصير ) . ثم مكث عنهم ما شاء الله ، ثم ناداهم ( أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي  
 تُشَلِّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ) فلما سمعوا ذلك قالوا : الآن يرحمنا ، فقالوا عند ذلك ( رَبَّنَا  
 غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) : أى الكتاب الذى كتب علينا ( وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا )  
 . . . الآية ، فقال عند ذلك ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قال : فلا يتكلمون فيها أبدا ، فانقطع عند  
 ذلك الدعاء والرجاء منهم . وأقبل بعضهم يفتح فى وجه بعض ، فأطبقت عليهم . قال عبد الله بن المبارك  
 فى حديثه : فحدثنى الأزهر بن أبى الأزهر أنه قال : فذلك قوله ( هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ، وَلَا يُؤْذَنُ  
 لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر بن عبد الله ، أنه قال : فوالذى  
 أنزل القرآن على محمد ، والتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا  
 الشهيق والزئيق فى الخلد أبدا ، ليس له نفاذ .

قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، قال : كنا فى جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ ، فجلسنا ، فتنحى  
 أبو جعفر ، فبكى ، فقيل له : ما يبكيك يا أبا جعفر ؟ قال : أخبرنى زيد بن أسلم ، أن أهل النار لا يتنفسون .  
 وقوله ( وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ) يقول : كنا قوما ضللتنا عن سبيل الرشاد ، وقصد الحق .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيلى الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة فى جهنم : ربنا أخرجنا  
 من النار ، فإن عدنا لما تكره منا من عمل ، فإننا ظالمون .



وقوله ( قالَ اخْسِئُوا فِيهَا ) يقول تعالى ذكره : قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيباً : ( اخْسِئُوا فِيهَا ) : أى اقعّدوا فى النار ، يقال منه : خَسَأْتُ فلاناً اخْسِئُوهُ خَسْأً وخُسُوءاً ، وخَسِيٌّ هو يَخْسَأُ وما كان خاسئاً ، ولقد خَسِيَّ . ( ولا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ، ولقد كانوا طامعين فيه . كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، فى قصة ذكرها فى الشفاعة ، قال : فإذا أراد الله ألا يُخرج منها ، يعنى من النار أحداً ، غير وجوههم وألوانها ، فيجىء الرجل من المؤمنين ، فيشفع فيهم ، فيقول : يا ربّ ، فيقول من عرف أحداً فليخرجه ، قال : فيجىء الرجل فينظر ، فلا يعرف أحداً ، فيقول : يا فلان يا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، فعند ذلك يقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فيقول ( اخْسِئُوا فِيهَا ولا تُكَلِّمُونِ ) فإذا قالوا ذلك ، انطبقت عليهم جهنم ، فلا يخرج منها بشر .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن شهر ابن حوشب ، عن معدي كرب ، عن أبي الدرداء ، قال : يرسل ، أو يصبّ على أهل النار الجوع ، فيعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فلا يغنى ذلك عنهم شيئاً ، فيستغيثون ، فيغاثون بطعام ذى غصّة ، فإذا أكلوه نشب في حلوقهم ، فيذكرون أنهم كانوا فى الدنيا يحمدون الغصّة بالماء ، فيستغيثون ، فيرفع إليهم اللحم فى كلاليب الحديد ، فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم ، فإذا شربوه قطع أمعاءهم ، قال : فينادون مالكا ليقتض علينا ربك ، قال : فيتركهم ألف سنة ، ثم يجيبهم : إنكم ما كنون ، قال : فينادون خزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، قالوا : أو لم تنك تأتكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى ، قالوا : فادعوا ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ، قال : فيقولون ما نجد أحداً خيراً لنا من ربنا ، فينادون ربهم : ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) ، قال : فيقول الله ( اخْسِئُوا فِيهَا ولا تُكَلِّمُونِ ) قال : فعند ذلك يسوا من كل خير ، فيدعون بالويل والشهيق والشبور .

حدثني محمد بن حمارة الأسديّ ، قال : ثنا عاصم بن يوسف البربوعى ، قال : ثنا قُطَيْبَةُ بن عبد العزيز الأسديّ ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر بن حوشب ، عن أمّ الدرداء ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ » . . . ثم ذكر نحوه منه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن هارون بن عنبرة ، عن عمرو بن مرة ، قال : يرى أهل النار فى كل سبعين عاماً ساق مالك خازن النار ، فيقولون ( يا مالك ، ليقتض علينا ربك ) ! فيجيبهم بكلمة ، ثم لا يرونها سبعين عاماً ، فيستغيثون بالخزنة ، فيقولون لهم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ! فيجيبونهم : ( أو لم تنك تأتكم رسلكم بالبينات ) . . . الآية ، فيقولون : ادعوا ربكم ، فليس أحد أرحم من ربكم ، فيقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) . قال : فيجيبهم ( اخْسِئُوا فِيهَا ولا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك يباسون من كل خير ، يأخذون فى الشهيق والويل والشبور .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اخسئوا فيها ولا تكلمون ) : قال : بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون : ليقتض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ، ثم يقول ( إنكم ما كيثون ) قال : ثم ينادون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول ( اخسئوا فيها ولا تكلمون ) قال : فيبأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنما هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار : أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الله بن عيسى ، قال : أخبرني زياد الخراساني ، قال : أسنده إلى بعض أهل العلم ، فنسبته في قوله ( اخسئوا فيها ولا تكلمون ) قال : فيسكتون ، قال : فلا يسمع فيها حيس إلا كطين الطست .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اخسئوا فيها ولا تكلمون ) هذا قول الرحمن عز وجل ، حين انقطع كلامهم منه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩)

يقول تعالى ذكره ( إنّه ) وهذه الهاء في قوله « إنّه » هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة . وقد بينت معناها فيما مضى قبل ، ومعنى دخولها في الكلام ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( كان فريق من عبادي ) يقول : كانت جماعة من عبادي ، وهم أهل الإيمان بالله ، يقولون في الدنيا : ( ربنا آمتنا ) بك وبرسلك ، وما جاءوا به من عندك ، ( فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ) وأنت خير من رحم أهل البلاء ، فلا تعدبنا بعدابك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي ، وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ، أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰرِغُونَ (١١١)

يقول تعالى ذكره : فاتخذتم أيها القائلون لربهم ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ) في الدنيا ، الفائلين فيها ( ربنا آمتنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ) سُخْرِيًا . والهاء والميم في قوله ( فاتخذتموهم ) من ذكر الفريق .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( سُخْرِيًا ) فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ( فاتخذتموهم سُخْرِيًا ) بكسر السين ، ويتأولون في كسرها أن معنى ذلك الهزء ، ويقولون : إنها إذا ضمت ، فعنى الكلمة : السخرة والاستعباد . فعنى الكلام على مذهب هؤلاء : فاتخذتم أهل الإيمان بي

في الدنيا هزواً ولعباً، تهزءون بهم، حتى أنسوكم ذكرى . وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة ( فَأَتَّخَذُوا مَوَهُمُ سَخِرِيًّا ) بضم السين ، وقالوا : معنى الكلمة في الضم والكسر واحد . وحكى بعضهم عن العرب سماعاً يَلْحَى وَيُلْحَى ، وِدْرِي ، وِدْرِي ، منسوب إلى الدر ، وكذلك كِرْسِيٌّ وَكُرْسِيٌّ ؛ وقالوا ذلك من قيلهم كذلك : نظير قولهم في جمع العصا : العِصِيَّ بكسر العين ، والعُصَى بضمها ؛ قالوا : وإنما اخترنا الضم في السَخِرِيَّ ، لأنه أفصح اللغتين .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيهما قرأ القارئ ذلك فصيب ، وليس يُعْرَفُ من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت ، لما ذكرت من الرواية عن سمع من العرب ما حكيت عنه : ذكر الرواية به عن بعض من فَرَّقَ في ذلك بين معناه مكسورة سينه ومضمومة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( فَأَتَّخَذُوا مَوَهُمُ سَخِرِيًّا ) قال : هما مختلفتان : سَخِرِيَّا ، وسَخِرِيَّا ، يقول الله ( وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ) قال : هذا سَخِرِيًّا : يُسَخِّرُونَهُمْ ، والآخرون : الذين يستهزئون بهم هم سَخِرِيًّا ، فتلك سَخِرِيًّا يُسَخِّرُونَهُمْ عندك ، فسَخَّرَكَ : رفعك فوقه ؛ والآخرون : استهزءوا بأهل الإسلام هي سَخِرِيَّا يُسَخِّرُونَ مِنْهُمْ ، فهما مختلفتان . وقرأ قول الله ( كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرِيًّا ) مِنْهُ ، قالَ إِنَّ تَسَخَّرُ مِنَّا وَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ ) وقال : يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح ، اتخذوهم سَخِرِيًّا : اتخذوهم هزواً ، لم يزلوا يستهزئون بهم . وقوله ( حَتَّى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي ) يقول : لم يزل استهزؤكم بهم ، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى ، فَأَلْهَأَكُمْ عَنْهُ ( وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ) :

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حَتَّى أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي ) قال : أنسى هؤلاء الله استهزؤهم بهم ، وضحكهم بهم ، وقرأ ( إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ) حتى بلغ ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ) ، وقوله ( إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ) يقول تعالى ذكره : إني أيتها المشركون بالله المخلدون في النار ، جزيت الذين اتخذوهم في الدنيا سخرياً من أهل الإيمان بي ، وكنتم منهم تضحكون . اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا ، لأنهم هم الفائزون .

اختلفت القرآء في قراءة ( لَأَنَّهُمْ ) فقرآته عامة قرآء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( أَلَهُمْ ) ، بفتح الألف من « آتهم » بمعنى : جزيتهم هذا ، فأن في قراءة هؤلاء : في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها ، لأن معنى الكلام عندهم : إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة ؛ وقد يحتمل النصب من وجه آخر ، وهو أن يكون موجهاً معناه إلى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا ، على ما لَقُوا

في ذات الله . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة (إتى « بكسر الألف منها ، بمعنى الابتداء ، وقالوا : ذلك ابتداء من الله مدحهم .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الألف ، لأن قوله : جزيتهم ، قد عمل في الهاء والميم ، والجزء إنما يعمل في منصويين ، وإذا عمل في الهاء والميم ، لم يكن له العمل في « أن » فيصير عاملا في ثلاثة إلا أن يُنَوَى به التكرير ، فيكون نصب « أن » حينئذ بفعل مضمر ، لا بقوله : جزيتهم ، وإن هي نصبت بإضمار لام ، لم يكن له أيضا كبير معنى ، لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة ، إنما هو على ما سأل من صالح أعمالهم في الدنيا ، وجزاؤه إياهم ، وذلك في الآخرة هو الفوز ، فلا معنى لأن يَشْرُطَ لهم الفوز بالأعمال ، ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون .

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا : إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها ، في أهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم ، والكرامة الباقية أبدا ، بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا ، ولقوا في طلب رضاى من المكاره فيها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَلَّ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، فَسْتَلِّ

الْعَادِينَ (١١٣)

اختلقت القراء في قراءة قوله ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ) ، وفي قوله ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر ( قال كَمْ لَبِثْتُمْ ) ، وكذلك قوله ( قال إن لَبِثْتُمْ ) . ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال هؤلاء الأشقياء من أهل النار ، وهم في النار ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ ) وأنهم أجابوا الله فقالوا ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) ، ففسى الأشقياء ، لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصُرَ عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها ، لما حلَّ بهم من نعمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوما أو بعض يوم . ولعلَّ بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل ، والسنين الكثيرة .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة ، على وجه الأمر لهم بالقول ، كأنه قال لهم : قولوا كم لبثتم في الأرض؟ وأخرج الكلام مُخْرَجَ الأمر للواحد ، والمعنى به الجماعة ، إذ كان مفهوما معناه ، وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة ، لأن ذلك في مصاحفهم ، قُلُّ بغير ألف ، وفي غير مصاحفهم بالألف .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ذلك ( قال كَمْ لَبِثْتُمْ ) على وجه الخبر ، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمرا ، أن يكون « قولوا » على وجه الخطاب للجمع ، لأن الخطاب فيها قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار ، فالذى هو أولى أن يكون كذلك قوله « قولوا » : لو كان الكلام جاء على وجه الأمر ، وإن كان الآخر جائزا ، أعنى التوحيد ، لما بيّنت من العلة لقارئ ذلك كذلك ، وجاء الكلام بالتوحيد

في قراءة جميع القرآء ، كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه ، إذا كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين ؟ قالوا مجيبين له : لبثنا فيها يوما أو بعض يوم ، فاسأل العاديين ، لأننا لاندرى ، قد نسينا ذلك . واختلف أهل التأويل في المعنى بالعاديين ، فقال بعضهم : هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ، ويحصىون عليهم ساعاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فاسأل العاديين ) قال : الملائكة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقال آخرون : بل هم الحُساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فاسأل العاديين ) قال : فاسأل الحُساب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فاسأل العاديين ) قال : فاسأل أهل الحساب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ( فاسأل العاديين ) وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائر أن يكونوا الملائكة ، وجائر أن يكونوا بني آدم وغيرهم ، ولا حجة بأى ذلك من أى ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العاديين دون بعض .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)

اختلفت القرآء في قراءة قوله ( قال إن لبثتم إلا قليلا ) اختلافهم في قراءة قوله ( قال كم لبثتم ) والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع ، نحو القول الذي بيناه قبل ، في قوله ( كم لبثتم ) وتأويل الكلام على قراءتنا : قال الله لهم : ما لبثتم في الأرض إلا قليلا يسيرا ، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها . وقوله ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ؟ ) يقول تعالى ذكره : أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا ، وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لاتصيرون أحياء ، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون ؟ وقد اختلفت القرآء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قرآء المدينة والبصرة والكوفة ( لاتُرْجَعُونَ ) بضم التاء : لاتُردون ، وقالوا : إنما هو من مَرَّجِع الآخرة ، لا من الرجوع إلى الدنيا ، وقرأ ذلك عامة قرآء

الكوفة ( لا تَرْجِعُون ) وقالوا : سواء في ذلك مرجع الآخرة ، والرجوع إلى الدنيا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن من رده الله إلى الآخرة من الدنيا بعد فوائده ، فقد رَجَعَ إليها ، وأن من رجع إليها ، فبرده الله إياها إليها رجع . وهما مع ذلك قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال : باطلا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)

يقول تعالى ذكره : فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له شريكا ، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ( لا إلهَ إلا هو ) يقول : لا معبود تنبغي له العبادة إلا الله الملك الحق ، رب العرش الكريم ، والرب : مرفوع بالرد على الحق ، ومعنى الكلام : فتعالى الله الملك الحق ، رب العرش الكريم ، لا إله إلا هو .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
الْكَافِرُونَ (١١٧)

يقول تعالى ذكره : ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر ، لاجحة له بما يقول ويعمل من ذلك ، ولا بينة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : بينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : حجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : لاجحة .

وقوله ( فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول : فإنما حساب عمله السَّيِّئِ عند ربه ، وهو مؤفَّيه جزاءه إذا

قدم عليه ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) يقول : إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . ( ١١٨ )

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد ، رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها ، وارحمني بقبول توبتك ، وتركك عقابي على ما اجترمت ( وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ) يقول : وقل أنت يارب خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته ، ولم يعاقبه على ذنبه .

آخر تفسير سورة المؤمنين

## تفسير سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ، وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ( ١ )

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) وهذه السورة أنزلناها ، وإنما قلنا معنى ذلك كذلك ، لأن العرب لا تكاد تبتدىء بالتكرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا ، لأنها توصل كما يوصل «الذي» ، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة ، فيستصبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة ، إذ كان يصير خبرها إذا ابتدئ بها كالصلة لها ، ويصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها ، بعد إذ كان الخبر عنها بعدها ، كالصلة لها ، وإذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها ، لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم . . وقد بيننا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأه بعض قرآء الحجاز والبصرة ( وَفَرَضْنَاهَا ) ويتأولونه : وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة . وكذلك كان مجاهد يقرؤه ويتأوله .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه كان يقرؤها ( وَفَرَضْنَاهَا ) يعني بالتشديد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) قال : الأمر بالحلال ، والهي عن الحرام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقد يحتمل

ذلك إذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يوجه إلى أن معناه : وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة . وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة والشأم ( وَقَرَّضْنَاهَا ) بتخفيف الراء ، بمعنى : أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم ، وألزمناكموه وبيئنا ذلك لكم .  
والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وذلك أن الله قد فصلها ، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام ، وأمر فيها ونهى ، وفرض على عباده فيها فرائض ، ففيها المعنيان كلاهما : التفريض ، والفرض ، فلذلك قلنا بأية القرآءتين قرأ القارئ فصيب الصواب .

ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( وَقَرَّضْنَاهَا ) يقول : بينهاها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَقَرَّضْنَاهَا ) قال : فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها ، وقرأ فيها ( آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) .  
وقوله ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ بينات ، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل ، أنها من عند الله ، فإنها الحقّ المبين ، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : الحلال والحرام والحدود ( لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ ) يقول : لتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها

القول في تأويل قوله تعالى

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)

يقول تعالى ذكره : من زنى من الرجال ، أو زنت من النساء ، وهو حرّ بكر غير مُحْصَنٍ بزوج ، فاجلدوه ضربا مئة جلدة ، عقوبة لما صنع ، وأتى من معصية الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رأفة ، وهي رقة الرحمة في دين الله ، يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحدّ عليهما ، على ما ألزمكم به .  
واختلف أهل التأويل في المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما ، فقال بعضهم : هو ترك إقامة حدّ الله عليهما ، فأما إذا أقيم عليهما الحدّ ، فلم تأخذهم بهما رأفة في دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، عن عبيد الله



ابن عبد الله بن عمر ، قال : جلد ابن عمر جارية له أحدثت ، فجلد رجلها ، قال نافع : وحسبت أنه قال : وظهرا ، فقلت ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقال : وأخذتني بها رافة ، إن الله لم يأمرني أن أقتلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن ابن جرير ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول : ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله بن عمر حدث جارية له ، فقال للجالد : وأشار إلى رجلها ، وإلى أسفلها ، قلت : فأين قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أفأقتلها ؟ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن تقيم الحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، ابن جرير ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتضيعوا حدود الله . قال ابن جرير : وقال مجاهد : ( لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) : لاتضيعوا الحدود في أن تقيموها ، وقالها عطاء بن أبي رباح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الملك وحجاج ، عن عطاء ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : يقام حد الله ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن المشي ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجلد . حدثني عبيد بن إسماعيل الهبّاري ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبي مجلز ( الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ) . . . إلى قوله ( وَالْيَوْمَ الْآخِرِ ) إنا لترحّمهم أن يجلد الرجل حداً ، أو تقطع يده ، قال : إنما ذلك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتقام الحدود .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها ، وافترضها عليهما .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن أبي عمير ، عن خالد بن أبي عمران ، أنه سأل سليمان بن يسار ، عن قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) أي في الحدود ، أو في العقوبة ؟ قال : ذلك فيهما جميعاً .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأميلي ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن يقام حد الله ، ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب الشديد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فَتُخَفَّفُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا ، وَلَكِنْ أَوْجَعُهُمَا ضَرْبًا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد ابن المسيب ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الجلد الشديد .  
قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، قال : يُجَدِّدُ الْقَازِفَ وَالشَّارِبَ وَعَلَيْهِمَا ثِيَابُهُمَا .  
وأما الزاني فتخلع ثيابه ، وتلا هذه الآية ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقلت لحماد : أهذا في الحكم ؟ قال : في الحكم والجلد .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : يجتهد في حدّ الزاني والفرية ، ويخفف في حدّ الشرب . وقال قتادة : يخفف في الشرب ، ويجتهد في الزاني .  
بيّن وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما ، الذي افترض عليكم إقامته عليهما .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لدلالة قول الله بعده « في دين الله » ، على طاعة الله التي أمركم بها ، ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانين : إقامة الحدّ عليهما ، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة ، مع أن الشدة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه ، وكلّ ضرب أوجع فهو شديد ، وليس للذي يوجع في الشدة حدّ لازية فيه ، فيؤمر به . وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به ، وذلك هو إقامة الحدّ على ما قلنا . وللعرب في الرأفة لغتان : الرأفة بتسكين الهمزة ، والرأفة بمدّها ، كالسامة والسامة ، والكأبة والكأبة . وكان الرأفة المرّة الواحدة ، والرأفة المصدر ، كما قيل : ضَوَّلَ ضَالَّةً ، مثل فَعَلُ فَعَالَةً ، وَقَبَّحَ قِبَاحَةً .

وقوله ( إِنَّ كُنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) يقول : إن كنتم تصدقون بالله ربكم وباليوم الآخر ، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة ، وللتواب والعقاب ، فإن من كان بذلك مصدقا ، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه ، خوف عقابه على معاصيه . وقوله ( وَلَيْسَ شَهْدُ عِدَاكُمْ عَلَيْكُمْ إِذْ حَضَرَ الزَّانِينَ الْبِكْرَيْنِ ) يقول تعالى ذكره : وليحضر جلد الزانين البكرين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين . والعرب تسمى الواحد فما زاد : طائفة . وقوله ( مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : من أهل الإيمان بالله ورسوله .

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانين البكرين ، فقال بعضهم : أقله واحد :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .

حدثنا علي بن سهل بن موسى بن إسحاق الكناني وابن القوّاس ، قالا : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة رجل ، قال علي : فما فوق ذلك ؛ وقال ابن القوّاس : فأكثر من ذلك .

حدثنا علي ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل .  
حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : قال ابن أبي نجيح ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال مجاهد : أقله رجل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : الواحد إلى الألف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد في هذه الآية ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة واحد إلى الألف ( وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، قال ( وَإِنَّ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) : إنما كانا رجلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت عيسى بن يونس ، يقول : ثنا النعمان بن ثابت ، عن حماد وإبراهيم قالا : الطائفة : رجل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : رجل واحد فما فوقه .  
وقال آخرون : أقله في هذا الموضع رجلان .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، في قوله ( وَلَيَشْهَدَنَّ عِدَّاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : قال عطاء : أقله رجلان .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، قال : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال : ليحضر رجلان فصاعدا .

وقال آخرون : أقل ذلك ثلاثة فصاعدا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : الطائفة : الثلاثة فصاعدا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : نفر من المسلمين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا أشعث ، عن أبيه ، قال : أتيت أبا بَرَزَةَ الأَسلمى في حاجة ، وقد أخرج جارية إلى باب الدار ، وقد زنت ، فدعا رجلا فقال : اضربها خمسين ، فدعا جماعة ، ثم قرأ ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن أشعث ، عن أبيه ، أن أبا بَرَزَةَ أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ، ضربا غير مبرح ، قال : فألقى عليها ثوبا وعنده قوم ، وقرأ ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا ) الآية . وقال آخرون : بل أقل ذلك أربعة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : فقال : الطائفة التي يجب بها الحد أربعة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين : الواحد فصاعدا ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا طَائِفَةٌ ) والطائفة : قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد ، كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد ، مما أمره الله به بقوله ( وَلَيْشْهَدَ عَدَا بِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ، غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت ، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس ، عدد من تقبل شهادته على الزنا ، لأن ذلك إذا كان كذلك ، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك ، وهم فيما دون ذلك مختلفون .

## القول في تأويل قوله تعالى

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ،  
وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٥)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ، وكن أصحاب رايات ، يُكذِّرين أنفسهن ، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين ، فقال الزاني من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركة ، لأنهن

كذلك ، والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين ، أو مشرك مثلها ، لأنهن كنّ مشركات ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحرم الله نكاحهن في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنى الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا من المسلمين استأذن نبي الله في امرأة يقال لها أم مهزول ، كانت تسافح الرجل ، وتشرط له أن تنفق عليه ، وأنه استأذن فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر له أمرها ، قال : فقرأ نبي الله صلى الله عليه وسلم ( الزَّانِيَةُ لَإِيْتَانِيهَا لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) أو قال : فأنزلت « الزانية » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هشيم ، عن التيمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو في قوله ( الزَّانِي لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كنّ نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة ممنه لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك .  
قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كنّ نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : نزلت في نساء موارد كنّ بالمدينة .  
حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن عمرو بن شعيب ، قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق ، وكان رجلا شديدا ، وكان يقال له دُدُكُ ، وكان يأتي مكة فيحمل ضعة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقى صديفته ، فدعته إلى نفسها ، فقال : إن الله قد حرم الزنا ، فقالت : أتني تنبرز ، فخشى أن تشيع عليه ، فرجع إلى المدينة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية ، فهل ترى لي نكاحها ؟ قال : فأنزل الله ( الزَّانِي لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كنّ نساء معلومات يُدْعَوْنَ القليقيات ١ .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، قال : سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ( الزَّانِي لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : كنّ بغايا في الجاهلية .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن أخبره ، عن مجاهد ، نحوا من حديث ابن المنثي ، إلا أنه قال : كانت امرأة ممنه يقال لها : أم مهزول ، يعني في قوله ( الزَّانِي لَإِيْتَانِيهَا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة ممنه لتنفق عليه ، فنهاهم الله عن ذلك ، هذا في حديث التيمي .

(١) كذا جاءت هذه الكلمة في الأصول . ولعل أصلها : القليقيات ، نسبة إلى القلق ، وهو ضرب من القلائد المنظومة بالقول ، كن يلبسه يستهوين به الرجال . أو نسبة إلى القلق ، لكثرة اضطرابه وتحركه . ( أنظر التاج : قلق ) .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) قال : رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعاملات كنَّ في الجاهلية ، فقبل لهم هذا حرام ، فأرادوا نكاحهن ، فحرم الله عليهم نكاحهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : بغايا مُعْلِنَات كنَّ كذلك في الجاهلية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ وابن أبي ذئب ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، قال : كنَّ بغايا في الجاهلية ، على أبوأبهنّ آيات مثل آيات البيطار ، يعرفن بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : نساء بغايا متعاملات ، حرم الله نكاحهنّ ، لا ينكحهنّ إلا زان من المؤمنين ، أو مشرك من المشركين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : كانت بيوت تسمى المواخير في الجاهلية ، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ ، وكانت بيوتنا معلومة للزنا ، لا يدخل عليهنّ ولا يأتينّ ، إلا زان من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان ، فحرم الله ذلك على المؤمنين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّ ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : بغايا متعاملات كنَّ في الجاهلية بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، فأنزل الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحكم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام ، فقال له سليمان بن موسى ، أبلغك ذلك عن ابن عباس ؟ فقال : نعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك : كنَّ بغايا متعاملات ، بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، وكنَّ زواني مشركات ، فقال ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : أحكم الله من أمر الجاهلية بهذا ، قيل له : أبلغك هذا عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

قال ابن جريج : وقال عكرمة : إنه كان يسمّى تسعا بعد صواحب الرايات ، وكنّ أكثر من ذلك ، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات : أمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي ، وأمّ عليّط جارية صفوان بن أمية ، وحنّة القبطية ، جارية العاصي بن وائل ، ومريّة جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة ، جارية سهيل بن عمرو ، وأمّ سويد ، جارية عمرو بن عثمان المخزومي ، وسريفة ، جارية زمعة بن الأسود ، وفرسة ، جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي ، وقريبا ، جارية هلال ابن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقال الزهري وقتادة ، قالوا : كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ ، فأنزل الله ( الزّاني لا يتنكح إلاّ زانية أو مشرّكة ، والزّانية لا يتنكحها إلاّ زانٍ أو مشرّك ) . . . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقاله الزهري وقتادة ، قالوا : كانوا في الجاهلية بغايا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن القاسم بن أبي بزة : كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها ، يتخذها مآء كلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة ، فنهوا عن ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال القاسم بن أبي بزة ، فذكر نحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كنّ نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير أن نساء في الجاهلية كنّ يؤاجرن أنفسهنّ ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ ، يريد أن يصيب منها عرسا ، فنهوا عن ذلك ، ونزل ( الزّاني لا يتنكح إلاّ زانية أو مشرّكة ، والزّانية لا يتنكحها إلاّ زانٍ أو مشرّك ) ومنهنّ امرأة يقال لها أمّ مهزول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، في قوله ( الزّاني لا يتنكح إلاّ زانية أو مشرّكة ، والزّانية لا يتنكحها إلاّ زانٍ أو مشرّك ) قال : كنّ نساء يكترين أنفسهنّ في الجاهلية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشرّكة ، والزانية لا يزني بها إلا زانٍ أو مشرّك . قالوا : ومعنى النكاح في هذا الموضع : الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : لا يزني إلا بزانية أو مشركة .

حدثنا ابن المنثري قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلَى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة أنه قال في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : لا يزني الزاني إلا بزانية مثله . أو مشركة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن شبرمة ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جبيرة ومجاهد ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم وشعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قالوا : لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزني مشركة إلا بمنثلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : هؤلاء بغايا كن في الجاهلية ، والنكاح في كتاب الله الإصابة ، لا يصيبها إلا زان أو مشرك ، لا يحرم الزنا ، ولا تصيب هي إلا مثلها . قال : وكان ابن عباس يقول : بغايا كن في الجاهلية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : إذا زنى بها فهو زان .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة . قال : والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزنان مثلها من أهل القبلة ، أو مشرك من غير أهل القبلة ، ثم قال ( وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقال آخرون : كان هذا حكم الله في كل زان وزانية ، حتى نسخه بقوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) ، فأحل نكاح كل مسلمة ، وإنكاح كل مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) ، وحرّم ذلك على



المؤمنين ) قال : يَرَوْنَ الآية التي بعدها نسختها ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) قال : فهن من أباي المسلمين .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : نسخها التي بعدها ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) وقال : إنهن من أباي المسلمين .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وذكر عن يحيى ، عن ابن المسيب ، قال : نسخها ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : نسخها قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى ، قال : ذكر عند سعيد بن المسيب ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : فسمعتة يقول : إنها قد نسخها التي بعدها ، ثم قرأها سعيد ، قال يقول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ثم يقول الله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) فهن من أباي المسلمين .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عني بالنكاح في هذا الموضع : الوطء ، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرابات ، وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك ، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان . فعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أنه لم يُعَنَّ بِالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة . وإذا كان ذلك كذلك ، فبين أن معنى الآية : الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا ، أو بمشركة تستحلها .

وقوله ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين ، فيرمونهن بالزنا ، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول ، يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك ، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله ، وخرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .

وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن خصيف ، قال : قلت لسعيد بن جبير : الزنا أشد ، أو قذف المحصنة ؟ قال : لا ، بل الزنا ، قلت : إن الله يقول ( والَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) قال : إنما هذا في حديث عائشة خاصة .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . الآية في نساء المسلمين .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَوْلَتْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) قال : الكاذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) فقال بعضهم : استثنى من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأَوْلَتْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) وقالوا : إذا تاب القاذف قبلت شهادته ، وزال عنه اسم الفسق ، حُدِّثَ فِيهِ أَوْ لَمْ يَحْدَثْ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن حماد الدؤلابي ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد إن شاء الله ، أن عمر قال لأبي بكر : إن تبت قبلت شهادتك ، أو ردَّيت شهادتك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كندة حدَّهم ، وقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته ، فأكذب شبل نفسه ونافع ، وأبى أبو بكر أن يفعل . قال الزهري : هو والله سنة فاحفظوه .  
حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : إذا تاب ، يعني القاذف ، ولم يعلم منه إلا خير ، جازت شهادته .  
حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجحد ، فإن تاب وأونس منه خير ، جازت شهادته ، وإن لم يتب فهو خليع ، لا تجوز شهادته .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أنه قال في القاذف إذا تاب وعلم منه خير ، إن شهادته جائزة ، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته ، وتوبته إكذابه نفسه .  
قال : ثنا ابن أبي عدى ، عن داود ، عن الشعبي ، نحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال في القاذف إذا تاب وأكذب نفسه ، قُبلت شهادته ، وإلا كان خليعا لا شهادة له ، لأن الله يقول : ( لتوَّلا جاءوا عليكُم بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي : أنه كان يقول في شهادة القاذف : إذا رجع عن قوله حين يُضرب ، أو أكذب نفسه ، قُبلت شهادته .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي أنه كان يقول : يقبل الله توبته ، وتردّون شهادته ؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب .

قال : أخبرنا إسماعيل عن الشعبي : أنه كان يقول في القاذف : إذا شهد قبل أن يُضرب الحدّ ، قُبلت شهادته . قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن سالم ، عن الشعبي ، أنهما قالا في القاذف : إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعني ابن عُلَيَّة ، سمعت ابن أبي نجيح يقول : القاذف إذا تاب تجوز شهادته ، وقال : كنا نقوله ، فقيل له من ؟ قال : قال عطاء وطاوس ومجاهد .

حدثنا ابن بشار ، وابن المنثي ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عَشْمَةَ ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن عمر بن طلحة ، عن عبد الله ، قال : إذا تاب القاذف جلد ، وجازت شهادته ، قال أبو موسى : هكذا قال ابن أبي عَشْمَةَ .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : ثنا ابن أبي عَشْمَةَ ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن سليمان ابن يسار والشعبي قالا : إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف ، فقال : أَكْذِبْ نَفْسَكَ ، حتى تجوز شهادتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، قال : سمعت إبراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف ، فقال الشعبي لإبراهيم : لم لاتقبل شهادته ؟ فقال : لأنني لأدري تاب أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : تُقبل شهادته إذا تاب .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن يعقوب بن القعقاع ، عن محمد بن زيد ، عن سعيد بن جبير ، مثله . قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن جُرَيْج ، عن عمران بن موسى ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : قال الشعبي : إذا تاب جازت شهادته ، قال ابن المنثي ، قال : عندي ، يعني في القذف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عمرآن بن عمير ، أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : إذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعني القاذف .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، قال : تقبل شهادة القاذف إذا تاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الزهري : إذا حد القاذف ، فإنه ينبغي للإمام أن يستتبه ، فإن تاب قبلت شهادته ، وإلا لم تقبل ، قال : كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ، فتابوا إلا أبا بكر ، فكان لا تقبل شهادته .

وقال آخرون : الاستثناء في ذلك من قوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) .  
وأما قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، قال : كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل إذا تاب إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه ، ولا يجيز شهادته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، عن شريح بنحوه ، غير أنه قال : صاحب كل حد إذا كان عدلا يوم شهد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : كان لا يجيز شهادة القاذف ، ويقول : توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن أبي عثمان ، عن شريح في القاذف : يقبل الله توبته ، ولا أقبل شهادته .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : أتاه خصمان ، فجاء أحدهما بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى ما به ؟ قال : قد أراه ، قال : فسأل القوم ، فأثنوا عليه خيرا ، فقال شريح : يجيز شهادة كل صاحب حد ، إذا كان يوم شهد عدلا ، إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : جاء خصمان إلى شريح ، فجاء أحدهما ببينة ، فجاء بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى إلى ما به ؟ فقال شريح : قد رأيناه ، وقد سألنا القوم فأثنوا خيرا ، ثم ذكر سائر الحديث ، نحو حديث أبي كريب .

- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن الشعبي ، عن شريح أنه كان يقول :  
لا تُقبل له شهادة أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، يعني القاذف .
- قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأشعث ، عن الشعبي ، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق ، قال :  
فقطع يده ورجله ، قال : ثم تاب وأصلح ، فشهد عند شريح ، فأجاز شهادته ، قال : فقال المشهود  
عليه : أئجيز شهادته علىّ وهو أقطع ؟ قال : فقال شريح : كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح ،  
فشهادته جائزة إلا القاذف .
- حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال المغيرة : أخبرني ، قال : سمعت إبراهيم  
يحدث عن شريح ، قال : قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، قال أبو موسى :  
يعني القاذف .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال شريح : لا يقبل الله  
شهادته أبدا .
- حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال :  
لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال :  
القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .
- حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال :  
لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .
- حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف  
توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .
- حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أنه قال في  
الرجل يُجَلد الحدّ ، قال : لا تجوز شهادته أبدا .
- حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا ،  
وتوبته فيما بينه وبين الله ، يعني القاذف .
- حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن حجاج ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، عن  
جدّه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجوز شهادةٌ تُحدود في الإسلام » .
- حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( ولا تقبلوا لهم شهادةً  
أبداً ) قال : كان يقول : لا تقبل شهادة القاذف أبدا ، إنما توبته فيما بينه وبين الله . وكان شريح يقول :  
لا تقبل شهادته .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ثم قال ( فَمَنْ تَابَ وَأَصْلَحَ ) فشهادته في كتاب الله تقبل .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الاستثناء من المعنيين جميعا ، أعني من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ومن قوله ( وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أن ذلك كذلك ، إذ لم يحد في القذف حتى تاب ، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقدوفة عنه ، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها . فإذا كان ذلك كذلك ، وحدثت منه توبة ، صححت له بها العدالة .

فإذا كان من الجميع إجماعا ، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد في رمية ، بل هي عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحد ، وسماه فيها فاسقا ، كان معلوما بذلك أن إقامة الحد عليه في رمية ، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه ، ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه ، بل توبته بعد إقامة الحد عليه من ذنبه ، أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه ، لأن الحد يزيد الحدود عليه تطهيرا من جرّمه الذي استحقّ عليه الحد .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله ( فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) فتكون التوبة مسقطا عنه الحد ، كما كانت لشهادته عندك قبل الحد وبعده مجيزة ، ولاسم الفسق عنه مزيلة ؟ قيل : ذلك غير جائز عندنا ، وذلك أن الحد حقّ عندنا للمقدوفة ، كالقصاص الذي يجب لها من جناية يجنيها عليها ، مما فيه القصاص ، ولاخلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا ترضع عنه الواجب لها من القصاص منه ، فكذلك توبته من القذف لا ترضع عنه الواجب لها من الحد ، لأن ذلك حقّ لها ، إن شاءت عفته ، وإن شاءت طالبت به ، فتوبة العبد من ذنبه ، إنما ترضع عن العبد الأسماء الذميمة ، والصفات القبيحة . فأما حقوق الآدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كل الأحوال ، فلا تزول بها ولا تبطل .

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف ، التي تقبل معها شهادته ، فقال بعضهم : هو إكذابه نفسه فيه .

وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى قبل ، ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره ، مما لم نذكره قبل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن طاوس ، قال : توبة القاذف أن يكذب نفسه . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : رأيت رجلا ضرب حدّا في قذف بالمدينة ، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ، ثم قال : أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات ، قال : فلقيت أبا الزناد ، فذكرت ذلك له ، قال : فقال : إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه ، ولم نعلم منه إلا خيرا قبلت شهادته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، وَأَوْلَيْكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ) . . . الآية ، قال : من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان ، وتاب إلى الله توبة نصوحا . والنصوح : أن لا يعودوا وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالجلد ، فقد تاب والله غفور رحيم .

وقال آخرون: توبته من ذلك: صلاح حاله، وندمه على ما فرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود في مثل ذلك من الجرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائله فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد، أو عصى عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسيبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجهامه. فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموا، بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه. (فإن الله غفورٌ رحيمٌ) يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعدّ بهم عليها، فاقبلوا شهادتهم، ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسماهم التي هي لهم في حال توبتهم.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ) من الرجال (أَزْوَاجَهُمْ) بالفاحشة، فيقذفونهم بالزنا، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصبا، ولنصيبهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون الأربع منصوبا بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله: والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله (إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتي ألف مرة: إنك لرجل سوء. وذلك أن العرب ترفع الإيمان بأجوبتها، فتقول: حكيّفٌ صادقٌ لأقومن، وشهادة عمرو ليقعدن. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ)، برفع الأربع، ويجعلونها للشهادة مرافعة، وكأنهم وجهوا تأويل الكلام، فالذي يلزم من الشهادة، أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ: (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) بنصب أربع، بوقوع الشهادة عليها، والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين

قبل . وأحب وجهيهما إلى : أن تكون به مرفوعة بالجواب ، وذلك قوله ( إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) وذلك أن معنى الكلام : والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، تقوم مقام الشهادة الأربعة ، في دفع الحدّ عنه . فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة ، اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذُكِرَ من الكلام ، فصار مُرَافِعَ الشهادة ما وصفت . ويعنى بقوله ( فَشَهَادَةٌ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ) : فحلف أحدهم أربع أيمان بالله ، من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين ، فيها رمى زوجته به من الفاحشة . ( والخامسة ) يقول : والشهادة الخامسة . ( أن لعنة الله عليه ) يقول : إن لعنة الله له واجبة ، وعليه حالة ، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت به جماعة من أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك ، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، قال : « لما نزلت ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ ، فاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) قال سعد بن عباد : الله إن أنا رأيت لكناح متفخذها رجل ، فقلت بما رأيت ، إن في ظهري ثمانين ، إلى ما أجمع أربعة قد ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار ، ألا تسمعون إلى ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : يا رسول الله لا نعلمه ، وذكروا من غيرته ، فأتزوج امرأة قطّ إلا بكرا ، ولا طلق امرأة قطّ فرجع فيها أحد منا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله يأتي إلا ذاك ، فقال : صدق الله ورسوله . قال : فلم يلبثوا أن جاء ابن عمّ له ، فرمى امرأته ، فشقّ ذلك على المسلمين ، فقال : لا والله ، لا يجعل في ظهري ثمانين أبدا ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استشفيت حتى استشفيت . قال : فأنزل الله القرآن باللّعان ، فقبل له : احلف ، فحلف ، قال : قفوه عند الخامسة ، فإنها موجبة . فقال : لا يبدخله الله النار بهذا أبدا ، كما درأ عنه جلد ثمانين ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استشفيت حتى استشفيت ، فحلف ، ثم قيل : احلفي ، فحلفت ، ثم قال : قفوها عند الخامسة ، فإنها موجبة ، فقبل لها : إنها موجبة ، فنلكأت ساعة ، ثم قالت : لأخزري قومي ، فحلفت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جاءت به كذّا وكذّا ، فهو ليزوجيها ، وإن جاءت به كذّا وكذّا ، فهو للذي قبيل فيه ما قبل . قال : فجاءت به غلاما كأنه حمل أورك ، فكان بعد أميراً بمصر ، لا يعرف نسبه ، أو لا يدري من أبوه . »

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا عباد ، قال : سمعت عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ ، فاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون ) قال سعد بن عباد : هلكذا أنزلت يا رسول الله ؟ لو أتيت لكناح قد تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتى بأربعة شهداء ، فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته ،



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، أما تسمعون إلى ما يقول سيّدكم ، قالوا : لا نلّمه فإنه رجل غيور ، ما تزوج فينا قطّ إلا عدراء ، ولا طلق امرأة له ، فاجترأ رجل منا أن يتزوجها ، قال سعد : يا رسول الله ، بأبي وأمي ، والله إنى لأعرف أنها من الله ، وأنها حق ، ولكن عجبت لو وجدت لكّاع قد تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتى بأربعة شهداء ، والله لا آتى بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته . فوالله ما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له ، فرأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، فأمسك حتى أصبح ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس مع أصحابه ، فقال : يا رسول الله ، إنى جئت أهلى عشاء ، فوجدت رجلا مع أهلى ، رأيت بعيني ، وسمعت بأذنى ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به ، وثقل عليه جدا ، حتى عرف ذلك فى وجهه ، فقال هلال : والله يا رسول الله إنى لأرى الكراهة فى وجهك مما أتيتك به ، والله يعلم أنى صادق ، وما قلت إلا حقا ، فإنى لأرجو أن يجعل الله فرجا . قال : واجتمعت الأنصار ، فقالوا : ابتلينا بما قال سعد ، أيجلّد هلال بن أمية ، وتبطل شهادته فى المسلمين ؟ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه ، فإنه لكذلك ، يريد أن يأمر بضربه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه ، إذ نزل عليه الوحي ، فأمسك أصحابه عن كلامه ، حين عرفوا أن الوحي قد نزل ، حتى فرغ ، فأنزل الله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) . . . إلى ( أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشّر يا هلال ، فإن الله قد جعل فرجا ، فقال : قد كنت أرجو ذلك من الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسِلُوا إِلَيْهَا ، فجاءت ، فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها ، فكذّبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : يا رسول الله ، بأبي وأمي لقد صدقت ، وما قلت إلا حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عينوا بيّنهنّ ، قيل لهلال : يا هلال اشهد ، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فقيل له عند الخامسة : يا هلال اتق الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإنها الموجبة ، التى توجب عليك العذاب ، فقال هلال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد الخامسة : ( أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) ، ثم قيل لها : اشهدى ، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، فقيل لها عند الخامسة : اتقى الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإن هذه الموجبة ، التى توجب عليك العذاب ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : والله لأفصح قومي ، فشهدت الخامسة : ( أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقضى أن الولد لها ، ولا يدعى لأب ، ولا يرمى ولدها .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما قذف هلال بن أمية امرأته ، قيل له : والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة ، قال : الله أعدل من ذلك ، أن يضربني ضربة وقد علم أنى

قد رأيت حتى استيقنت ، وسمعت حتى استثبتت ، لا والله لا يضربني أبدا ، فنزلت آية الملاعة ، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية ، فقال : الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : والله إني لصادق ، فقال له : احلف بالله الذي لا إله إلا هو : إني لصادق ، يقول ذلك أربع مرآت ، فإن كنت كاذبا فعلى لعنة الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فحلف ، ثم قالت أربعاً : والله الذي لا إله إلا هو : إنه لمن الكاذبين ، فإن كان صادقا فعليها غضب الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوها عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فترددت وهمت بالاعتراف ، ثم قالت لأفصح قومي .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي ، قالوا : ثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا ليلة الجمعة في المسجد ، فدخل رجل فقال : لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله آية اللعان ، ثم جاء الرجل بعد ، فقذف امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، فقال : عسى أن تجيء به أسود جعداً ، فجاءت به أسود جعداً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أيُفترق بين المتلاعنين ؟ فقال : نعم ، سبحان الله ! إن أول من سأل عن ذلك فلان ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : رأيت لو أن أحدنا رأى صاحبه على فاحشة ، كيف يصنع ؟ فلم يجبه في ذلك شيئا . قال : فأتاه بعد ذلك فقال : إن الذي سألت عنه قد ابتليت به ، فأنزل الله هذه الآية في سورة النور ، فدعا الرجل فوعظه وذكره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، قال : والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت وما كذبت عليها ، قال : ودعا المرأة فوعظها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقالت : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب ، وما رأى شيئا ، قال : فبدأ الرجل ، فشهد أربع شهادات بالله : إنه لمن الصادقين ، والخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، وفرق بينهما .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : لما أنزل ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كُنَّ يَأْتِيَنَّهُنَّ بَأْرِبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا ) قال عاصم بن عدي : إن أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين ، وإن أنا سكت ، سكت على الغيظ ! قال : فكان ذلك شقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزلت هذه الآية : ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَكُنَّ يَرْمُونَ شُهَدَاءَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) قال : فما لبثوا إلا جمعة ، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَكَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) . . . الآية ، والخامسة : أن يقال له : إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين ، وإن أقرت المرأة بقوله رُبِحْتِ ، وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله : إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن يقال لها : غضب الله عليك إن كان من الصادقين ، فيُبدَأُ عنها العذاب ، ويفترق بينهما ، فلا يجتمعان أبداً ، ويلحق الولد بأمه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) قال هلال بن أمية : والذي رُميت به شريك بن صمء ، والذي استفتى عاصم ابن عدى .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني الزهري عن الملاعة والسنة فيها ، عن حديث سهل بن سعد ، أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ، أيقنله فتقتلونه ؟ أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَدْ قَضَى اللَّهُ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ ، فتلاعنا وأنا شاهد ، ثم فارقتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت السنة بعدها أن يفترق بين المتلاعنين ، وكانت حاملة ، فأنكره ، فكان ابنها يدعى إلى أمه ، ثم جرت السنة أن ابنها يرثها ، وترث مافرض الله لها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) . . . إلى قوله ( إِنَّ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) قال : إذا شهد الرجل خمس شهادات ، فقد برئ كل واحد من الآخر ، وعِدَّتُهَا إن كانت حاملا أن تضع حملها ، ولا يجلد واحد منهما ، وإن لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ : إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخُمِيسَةَ :

أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)

يعنى جل ذكره بقوله ( وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ) : ويدفع عنها الحد .

واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع ، أنه يدروء عنها شهادتها الأربع ، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ، من أن الحد جلد مئة إن كانت بكرا ، أو الرجم إن كانت ثيبا قد أحصنت . وقال آخرون : بل ذلك الحبس ، وقالوا : الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والتعانه : الحبس دون الحد .

وإنما قلنا : الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج ، الحد الذي وصفنا ، قياسا على

إجماع الجميع ، على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع ، على تصديقه فيما رماها به ، أن الحد عليها واجب ، فجعل الله إيمانه الأربع ، والتعانه في الخامسة ، مخرجا له من الحد الذي يجب لها ، برميها إياها ، كما جعل الشهداء الأربعة ، مخرجا له منه في ذلك ، وزائلا به عنه الحد ، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك ، واجبا عليها حدها ، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها ، لافرق بين ذلك ، وقد استقصينا العال في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى « لطيف القول في شرائع الإسلام » ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضوع . وقوله ( أن تشهد أربع شهادات بالله ) يقول : ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان : أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة ، لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا . وقوله ( والخامسة أن غضب الله عليهما ) . . . الآية ، يقول : والشهادة الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ؛ ورفع قوله ( والخامسة ) في كلتا الآيتين ، بأن التي تليها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله ، حكيم في تدبيره إياهم ، وسياسته لهم ، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم ، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم ، وترك فضيحتكم بها عاجلا ، رحمة منه بكم ، وتفصلا عليكم ، فاشكروا نعمه ، وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه . وترك الجواب في ذلك ، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ : لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره : إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان . ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) يقول : جماعة منكم أيها الناس . ( لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ) يقول : لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرا لكم عند الله ، وعند الناس ، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين ، وذلك أن الله يجعل ذلك ، كفارة للمرء به ، ويظهر براءته مما رمى به ، ويجعل له منه مخرجا . وقيل : إن الذي عسى الله بقوله ( إن الذين جاءوا بالإفك ، عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) : جماعة ، منهم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحمنة بنت جحش .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلى تسألني في الذين جاءوا بالإفك ، وهم كما قال الله ( إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) ، وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحمنة بنت جحش ، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم ، غير أنهم عصبة ، كما قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله ( جاءُوا بالإفكِ عَصْبَةَ مِنْكُمْ ) هم أصحاب عائشة ، قال ابن جُرَيْج : قال ابن عباس : قوله ( جاءُوا بالإفكِ عَصْبَةَ مِنْكُمْ ) . . . الآية ، الذين افترَوا على عائشة : عبد الله بن أُبَيِّ ، وهو الذي تولى كِبْرَهُ ، وحسان بن ثابت ، ومِسْطَاح ، وحمئة بنت جحش .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) ، لا تحسبوه شرًّا لكم ، بل هو خبيرٌ لكم ) قال : الشر لكم بالإفك الذي قالوا ، الذي تكلموا به ، كان شرًّا لهم ، وكان فيهم من لم يقله ، إنما سمعه ، فعائبهم الله ، فقال : أول شيء ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) ، لا تحسبوه شرًّا لكم ، بل هو خبيرٌ لكم ) ثم قال : ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

وقوله ( لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ) يقول : لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزء ما اجترم من الإثم ، بمجيئه بما جاء به ، من الأولى عبد الله . وقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم : هو الذي بدأ بالخوض فيه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : الذي بدأ بذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) قال : أصحاب عائشة عبد الله بن أبي ابن سلول ، ومِسْطَاح ، وحسان . قال أبو جعفر : له من الله عذاب عظيم يوم القيامة .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( كِبْرَهُ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار ( كِبْرَهُ ) بكسر الكاف ، سوى حميد الأعرج . فإنه كان يقرؤه ( كَبْرَهُ ) بمعنى : والذي تحمل أكبره .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : القراءة التي عليها عوام القراء ، وهي كسر الكاف ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأن الكبير : بالكسر : مصدر الكبير من الأمور ، وأن الكُتْبِر بضم الكاف : إنما هو من الولاء والنسب ، من قولهم : هو كُتْبِر قومه ؛ والكبير في هذا الموضع : هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك . فإذا كان ذلك كذلك ، فالكسر في كافته هو الكلام الفصيح ، دون ضمها ، وإن كان لضمها وجه مفهوم .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) . . . الآية ، فقال

بعضهم : هو حسان بن ثابت .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عائشة قالت : ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ لِحَسْبِكُمْمَا الْفِدَاءُ  
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبِحَسْرِي لَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ<sup>١</sup>

ف قيل : يا أم المؤمنين ، أليس هذا لغوا ؟ قالت : لا ، إنما اللغو ما قيل عند النساء . قيل : أليس الله يقول : ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قالت : أليس لقد أصابه عذاب عظيم ، أليس قد ذهب بصره ، وكُنِعَ بالسيف<sup>٢</sup> .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : كنت عند عائشة ، فدخل حسان بن ثابت ، فأمرت ، فألقى له وسادة ، فلما خرج قلت لعائشة : ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال ؟ فقالت : قال الله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وقد ذهب بصره ، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم : ذهاب بصره .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق قال : دخل حسان بن ثابت على عائشة ، فشبب بأبيات له ، فقال :

• وَتُصْبِحُ غَرْمِي مِنْ حُومِ الْغَوَافِلِ<sup>٣</sup> •

فقالت عائشة : أما إنك لست كذلك ! فقلت : تدعين هذا الرجل يدخل عليك ، وقد أنزل الله فيه ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ) . . . الآية ؟ فقالت : وأي عذاب أشد من العمى ، وقالت : إنه كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المُعْتَلِي بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله ابن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا التي نزل تزويجي من السماء ،

(١) هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، هجو بها أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ، شاعر قريش قبل إسلامه . وهي من قصيدته التي مطلعها : « عفت ذات الأصابع فابغوا » . والأبيات قرب نهاية القصيدة ، وقبلها « ألا أبلغ أبا سفيان عني مغللة فقد برح الخفاء » ( وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج ٤ : ٦٤ - ٦٦ ) وقد استشهد بها المؤلف على أن حسان كان من غاض في حديث الأفك ، الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة ، رضي الله عنها .

(٢) كنع بالسيف : ضرب به حتى يبس جلده ( اللسان ) .

(٣) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت ، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن نزلت برامتها في سورة النور ، من الإفك الذي غاض فيه بعض الصحابة ، وكان حسان من أشدهم غوصاً فيه ، حتى إذا ححصن الحق ، وظهرت براءة أم المؤمنين ، قدم حسان واعتذر ، وقال يمدحها في أبيات له . وصدر البيت : « حصان رزان ما ترن بريية » . والحصان : العفيفة والرزان : الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش . وترن : ترمي وتتهم . والرزية : التهمة والشك . وغرقي : جائعة ، يريد لا تغتاب النساء ، والغوافل : جمع غافلة ، وهي التي غفل قلبها عن الشر ( وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣ : ٣١٩ ، ٣٢٠ ) .

قال : وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري في كتابه ، حين حملني ابن المعطل على الراحلة ، فقالت لها زينب : يا عائشة ، ما قلت حين ركبتها ، قالت : قلت : حسبي الله ونعم الوكيل ، قالت : قلت كلمة المؤمنين . وقال آخرون : هو عبد الله بن أبي ابن سلول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولى كبره ، وميسطحا ، وحسان بن ثابت .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قالوا : قالت عائشة : كان الذي تولى كبره : الذي يجمعهم في بيته ، عبد الله بن أبي ابن سلول .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان الذي تولى كبره : عبد الله بن أبي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إن الذين جاءوا ) . . . الآية ، الذين افستروا على عائشة : عبد الله بن أبي ، وهو الذي تولى كبره ، وحسان ، وميسطح ، ومحنة بنت جحش .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك ، يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول ، أحد بني عوف بن الحزرج ، وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم ، فيقره ويسمعه ويستوشيه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذي تولى كبره منهم ، فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث ، هو الذي ابتداء هذا الكلام ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول ، وهو بداه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : الذي تولى كبره من عصابة الإفك ، كان عبد الله بن أبي ، وذلك أنه لاختلاف بين أهل العلم بالسيرة ، أن الذي بدأ بذكر الإفك ، وكان يجمع أهله ويحدثهم ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، وفعله ذلك على ما وصفت ، كان توليه كبر ذلك الأمر .

وكان سبب مجيء أهل الإفك ، ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله ، وكلهم حدثني طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض ، وأثبت اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضا :

زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أفرغ بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، قالت عائشة : فأفرغ بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، وأنا أحمّل في هودجى ، وأنزل فيه ، فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، وقفل إلى المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقممت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عيقد لي من جزع ظنمّار قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدي ، فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجى ، فراحوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه ، قالت : وكانت النساء إذ ذاك خيفافا ، لم يهيبنهن ولم يبخشن اللحم ، إنما يأكلن العلقمة من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين راحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الحمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجنحت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيمنت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني ، ويرجعون إلي ، فيينا أنا جالسة في منزلي ، غلبتني عيني ، فتمت حتى أصبحت . وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني ، قد عرس من وراء الجيش ، فادلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رأني ، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب عتني ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فحسرت وجهي يجلباني ، والله ما تكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقود في الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كيبه عبد الله بن أبي سلول . فقدمنا المدينة ، فاشتكيت شهرا ، والناس يفتبضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يرييني في وجعي ، أني لأعرف من رسول الله اللطيف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ فذلك يرييني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجت بعد ما زعمت ، فخرجت مع أم مسطح قبيل المناصع ، وهو مستبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكسوف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه ، وكنا نتأذى بالكسوف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في ميرطها ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : يتس ما قالت ! أتسيين رجلا قد أشهد بدرا ؟ فقالت : أي هنتاه ، أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل

(١) كذا رواه الإمام مسلم في صحيحه (١٧ : ١٠٦) بشرح النووي . وفي صحيح البخاري طبعة الحلبي (٥ : ١٥٠) : البرية قبل الغائط ، في مكان : التنزه .



الإفك ، فازددت مَرَضًا على مرضي ؛ فلما رجعت إلى منزلي ، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : كَيْفَ تَيْكُمُ ؟ فقلت : أتأذن لي أن آتيَ أبوي ؟ قال : نعم . قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستبثب الخبر من قبلهما . فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلت أبوي ، فقلت لأمي : أي أمته ، ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت : أي بُنية ، هَوَى عليك ! فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا أكثرن عليها . قالت : قلت : سبحان الله ، أو قد تحدث الناس بهذا ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت ، فدخل على أبو بكر وأنا أبكي ، فقال لأمي : ما يبكيها ؟ قالت : لم تكن علمت ما قيل لها ، فأكتب يبكي ، فبكي ساعة ، ثم قال : اسكتي يا بنية ، فبكيت يومئذ ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلي المقيل لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى ظنّ أبوي أن البكاء سيفلق كبدي .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، حين استلبث الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله ؛ قالت : فأما أسامة ، فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما عليّ فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعني بريرة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : هل رأيت من شيء يتريسك من عائشة ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمرا قطّ أغمضه عليها ، أكثر من أنها حديثه السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأقي الداجن فتأكله . فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : مَنْ يَعْدِرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغْتَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ يعني عبد الله بن أبي بن سلول . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا : يا معشر المسلمين ، مَنْ يَعْدِرُنِي مِمَّنْ رَجُلٌ قَدْ بَلَغْتَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعَى . فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : أنا أعذرُك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ فقام سعد بن عبادة ، فقال ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال : أي سعد بن معاذ ، لعمر الله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عمه سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله لا تقتلته ، فإنك منافق ، تجادل عن المنافقين . فثار الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حتى سكتوا ، ثم أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في بيت أبوي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ؛ قالت : فبينما نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس عندي ، ولم يجلس عندي منذ قبل ما قيل ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه .

(١) هذه رواية مسلم . وفي صحيح البخاري (٥ : ١٥٠) : قالت : أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما . قالت : فأذن . الخ .

في شأني بشيء ، قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : أماً بَعْدُ يا عائشةُ فإنه بَلَغَنِي عَنْكَ كَدَاً وَكَدَاً ، فإن كُنْتُ بِرِيئَةً فَسَيَّبَرْتُكَ اللهُ ، وإن كُنْتُ الْمَمْتِ بِدَتِّبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللهُ ، وتَوَبِّي إِلَيْهِ ، فإن الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِدَتِّبِهِ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، فَلَصَّ دَمْعِي ، حتى ما أَحَسَّ مِنْهُ دَمْعَةٌ ، قلت لأبي : أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأبي : أجبني عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، : فقلت وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد عرفت أن قد سمعتم بهذا ، حتى استقر في أنفسكم ، حتى كيدتم أن تصدقوا به ، فإن قلت لكم : إني بريئة ، والله يعلم أني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني منه بريئة ، لتصدقنني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ١ : ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) .

ثم توليت واضطجعت على فراشي ، وأنا والله أعلم أني بريئة ، وأن الله سيرتني ببراءتي ، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحتى يتلى ، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام رؤيا يبرئني الله بها . قالت : والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من البيت أحد ، حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني ، من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت : فلما سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها أن قال : أبشيري يا عائشةُ ، إن الله قد برأك . فقالت لي أمي ، قومي إليه ، فقلت : والله لأقوم إليه ، ولا أحد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي . فأنزل الله ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) عشر آيات ، فأنزل هذه الآيات براءة لي . قالت : فقال أبو بكر : وكان ينفق على مسطح لقريبته وفقره : والله لأنفق عليه شيء أبدا بعد الذي قال لعائشة . قالت : فأنزل الله : ( ولا يأتئلك أولو الفضل منكم والسعة ) حتى بلغ ( غفورٌ رحيمٌ ) فقال أبو بكر : إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال : لا أزعمها منه أبدا .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسأل زينب بنت جحش عن أمري ، وما رأت ، وما سمعت ، فقالت : يا رسول الله ، أحمي سمعي وبصري ، والله ما رأيت إلا خيراً . قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني ، فعصمها الله بالورع ، ووظفت أختها حمزة تجار ، فهلكت فيمن هلك .

قال الزهري بن شهاب : هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، وعن علقمة بن وقاص الليثي ، عن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود . قال الزهري : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان له أوعى من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذي قد حدثني :

(١) لم تذكر أم المؤمنين رضي الله عنها اسم النبي يعقوب أبي يوسف عليهما السلام ، لأنها كانت جارية حديثة السن ، ولم تقرأ كثيراً من القرآن بعد .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ؛ قال : وثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثني عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها ، حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض ، وكل كان عنها ثقة ، وكل قد حدث عنها ماسمعا .

قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أفرغ بين نسائه ، فأبتهنّ خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزاة بني المصطلق ، أفرغ بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهنّ ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق ، لم يهتجن اللحم فيثقلن ؛ قالت : وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودج ، ثم يأتي القوم الذين يرحلون بي بعيري ويحملوني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فينطلقون به ؛ قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، نزل منزلا ، فبات بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ؛ فلما ارتحل الناس ، خرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي من جزع ظفار ، فلما فرغت انسلت من عنقي وما أدري ؛ فلما رجعت إلى الرحل ، ذهبت أتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ؛ قالت : فرجعت عودى إلى بدقي ، إلى المكان الذي ذهبت إليه ، فالتسته حتى وجدته ؛ وجاء القوم خلافا للذين كانوا يرحلون بي البعير . ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما ذكر من شأني الذي ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت ، فتشهد ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد أشيروا عليّ في أناس أبئسوا أهليا ، والله ما علمت عليّ أهليا سوء قط ، وأبئسوا هم ؛ بمنّ والله ما علمت عليه سوء قط ، ولا دخل بيّتي قط إلا وأنا حاضِرٌ ، ولا أغيب في سفر إلا غاب معي ، فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، نرى أن نضرب أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أمّ حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت ، أما والله لو كانوا من الأوس ، ما أحبيت أن تضرب أعناقهم ، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج في المسجد شرّ ، وما علمت به ؛ فلما كان مساء ذلك اليوم ، خرجت لبعض حاجتي ومعى أمّ مسطح ، فعثرت ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت علام تسيين ابنك ؟ فسكتت ، ثم عثرت الثانية ، فقالت : تعس مسطح ! قلت : علام تسيين ابنك ؟ فسكتت الثانية ؛ ثم عثرت الثالثة ، فقالت : تعس مسطح ! فانتهرت ، وقلت : علام تسيين ابنك ؟ قالت : والله ما أسبه إلا فيك ، قلت : في أيّ شأني ، فبقرت لي الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ؛ قالت : فرجعت إلى بيّتي فكان الذي خرجت له لم أخرج له ، ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ، ووُعيت ، فقلت : يا رسول الله ، أرسلني إلى بيت أبي ، فأرسل معي الغلام ، فدخلت الدار ، فإذا أنا بأبي أمّ رومان ، قالت : ما جاء بك يا بنية ؟

فأخبرتها ، فقالت : حَقَّقْصِي عَلَيْكَ الشَّانَ ، فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا حسدنها وقلن فيها . قلت : وقد علم بها أُنِي ؟ قالت : نعم . قلت : ورسول الله ؟ قالت : نعم . فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ ، فنزل فقال لأُمِّي : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذي ذُكِرَ من أمرها ، ففاضت عيناه ، فقال : أقسمت عليك إلا جَعَعْتُ إلى بيتك . فرجعت .

فأصبح أبوإي عندي ، فلم يزالا عندي حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد العصر ، وقد اكتنفني أبوإي ، عن يميني ، وعن شمالي ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ كُنْتِ قَارَفْتِ سَوْءًا أَوْ أَلَمْتِ ، فَتَوُوبِي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ . وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة ، فقلت : ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئا ؟ فقلت لأُنِي : أجيء . فقال : أقول ماذا ؟ قلت لأُمِّي : أجيئه . فقالت : أقول ماذا ؟ فلما لم يجيبها تشهدت ، فحمدت الله ، وأثنت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إنى لم أفعل ، والله يعلم إنى لصادقة ، ماذا بنافعي عندكم ، لقد تُكَلِّمُ به ، وأُشْرِبُهُ قلوبكم ، وإن قلت إنى قد فعلت ، والله يعلم أنى لم أفعل ، لَتَقُولُنَّ قد باءت به على نفسها ، وإيم الله ما أجدلى ولكم مثالا إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه : ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) . وأنزل الله على رسوله ساعتئذ ، فرفع عنه ، وإني لأتبين السرور في وجهه ، وهو يمسح جبينه يقول : أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ ، فَتَقَدَّ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْسِكَ ، فكنت أشد ما كنت غضبا ، فقال لي أبوإي : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله لأقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحد كما ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه ، ولكني أحمد الله الذي أنزل براءتي ، ولقد جاء رسول الله بيبي ، فسأل الجارية عنى ، فقالت : والله ما أعلم عليها عيبا ، إلا أنها كانت تنام ، حتى كانت تدخل الشاة ، فتأكل حصيرها أو عجينا ، فانتهرها بعض أصحابه ، وقال لها : اصدُقِي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة : فعتب على من قاله ، فقال : لا ، والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، وبلغ ذلك الرجل الذي قيل له ، فقال : سبحان الله ! ما كشفت كنتف أنثى قط ، فقتل شهيدا في سبيل الله . قالت عائشة : فأما زينب بنت جحش ، فعصمها الله بدنيها ، فلم تقل إلا خيرا ، وأما حمزة أختها ، فهلكت فيمن هلك . وكان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولى كعبه ، ومسطحا ، وحسان بن ثابت ، فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة ، فأنزل الله : ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يعنى أبا بكر ( أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ ) يعنى مسطحا ( أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) ، والله غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قال أبو بكر : بلى والله ، إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به ، حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن علقمة بن رقاص وغيره أيضا ، قال : خرجت عائشة تريد المذهب ، ومعها أم مسطح ، وكان مسطح بن أثانة ممن قال ما قال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس قبل ذلك ، فقال :

(١) المذهب : مكان التبرز في الخلا .

كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِيَنِي فِي أَهْلِي، وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِيَنِي؟ فقال سعد بن معاذ: أي رسول الله، إن كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا فأطعنك. فقال سعد بن عباد: يا بن معاذ، والله ما بك نُصْرَة رسول الله، ولكنها قد كانت ضعائن في الجاهلية وإحن لم تحلل لنا من صدوركم بعد، فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت، فقام أُسَيْد بن حُضَيْر، فقال: يا بن عباد، إن سعدا ليس شديدا، ولكنك تجادل عن المنافقين، وتدفع عنهم، وكثر اللَغَط في الحيين في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر، فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يومي بيده إلى الناس ههنا وههنا، حتى هدا الصوت.

وقالت عائشة: كان الذي تولى كِبْرَه، والذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول، قال: فخرجت إلى المدْهُب ومعى أمّ مسطح، فعُثِرْتُ، فقالت: تَعَسَّ مِسْطُوح! فقلت: غفر الله لك، أتقولين هذا لابنك، ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرتين، وما شعرت بالذي كان، فحدثت، فذهب عني الذي خرجت له، حتى ما أجد منه شيئا، ورجعت على أبوي: أبي بكر، وأمّ رومان، فقلت: أما اتقينا الله في وما وصلنا رحي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال، وتحدث الناس بالذي تحدثوا به، ولم تعلماني، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أي بنية، والله لقلما أحبّ رجل قطّ امرأته، إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك، أي بنية ارجعي إلى بيتك، حتى نأتيك فيه، فرجعت وارتكبت صالِب من حمي، فجاء أبواي فدخلا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجاهي، فقالا: أي بنية، إن كنت صنعت ما قال الناس، فاستغفري الله، وإن لم تكوني صنعتيه، فأخبري رسول الله بعذرِك. قلت: ما أجد لي ولكم إلا كآبي يوسف (فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون). قالت: فالتست اسم يعقوب، فما قدرت، أو فلم أقدر عليه، فشخص بصر رسول الله إلى السقف، وكان إذا نَزَرَ عليه وجَد، قال الله (إِنَّا سَنَلْقَىٰ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) فوالذي هو أكرمه، وأنزل عليه الكتاب، ما زال يضحك، حتى إنني لأنظر إلى نواجذه سرورا، ثم مسح عن وجهه، فقال: يا عائشة أبشيري، قد أنزل الله عُدْرَكَ. قلت: بحمد الله لا بحمدك، ولا بحمد أصحابك، قال الله (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بنافعة، وكان بينهما رَحِم، فلما أنزلت (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال أبو بكر: بلى، إى ربّ، فعاد إلى الذي كان لمسطح (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ مُّسَرَّوُونَ مِمَّا يَقُولُونَ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل في كتاب، ولا أطمع به، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تُدْهِب ما في نفسه، قالت: وسأل البخارية الحبشية، فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجيبها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس، ليخبرتك الله، قال: فعجب الناس من فقها.

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا، وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (٦٣)

وهذا عتاب من الله تعالى ذكروه أهل الإيمان به، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة، بما أرجف به، يقول لم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة، ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا: يقول: ظننتم بمن قرئ بذلك منكم خيرا، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال بأنفسهم، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن بعض رجال بني النجار، أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما نزل القرآن، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون) . . . الآية: أي كما قال أبو أيوب وصاحبه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها، إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه، يقول: إنما كانت عائشة أما، والمؤمنون بنون لها، محرما عليها، وقرأ (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) . . . الآية.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) قال لم خيرا، ألا ترى أنه يقول: لا تقتلوا أنفسكم، يقول بعضكم بعضا، وسلموا على أنفسكم، قال: يسلم بعضكم على بعض.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هود، قال: ثنا عوف عن الحسن، في قوله (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات.

وقوله (وقالوا هذا إفك مبين) يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القول الذي رمى به عائشة من الفاحشة: كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه، أنه كذب وإثم وبهتان.

كما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هود، قال: أخبرنا عوف عن الحسن (وقالوا هذا إفك مبين) قالوا: إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود، وأقيم عليه حد الزنا.

القول في تأويل قوله تعالى

لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ، فإذ لم يأتوا بالشهداء فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ  
الْكَذِبُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالهم فيها، وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به ( فأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ) يقول : فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون ، فيما جاءوا به من الإفك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ (١٤)

يقول تعالى ذكره ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) أيها الخائفون في أمر عائشة ، المُشيعُونَ فيها الكذب والإثم، بتركة تعجيل عقوبتكم ( وَرَحْمَتُهُ ) إياكم، لعفوه عنكم ( في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ، ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا ) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ) هذا للذين تكلموا ، فذسروا ذلك الكلام ( لَمَسَّكُمْ فِيهَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ، وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ  
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره : لَمَسَّكُمْ فِيهَا أَفَضْتُمْ فِيهِ من شأن عائشة عذاب عظيم ، حين تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ ، و « إذ » من صلة قوله لَمَسَّكُمْ . ويعني بقوله ( تَلَقَّوْنَهُ ) تَلَقُّونَ الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يقال : تَلَقَّيْتُ هَذَا الكلامَ عن فلان ، بمعنى أخذته منه ؛ وقيل ذلك ، لأن الرجل منهم فيما ذُكِرَ يَلْتَقِي آخر ، فيقول : أَوْ مَا بَلَغَكَ كَذَا وكذا عن عائشة ؟ لِيُشِيعَ عَلَيْهَا بِذَلِكَ الفاحشة . وذكر أنها في قراءة أبي ( إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ) بتاءين ، وعليها قرآءة الأمصار ، غير أنهم قرءوها ( تَلَقَّوْنَهُ ) بتاء واحدة ، لأنها كذلك في مصاحفهم .

وقد روى عن عائشة في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقرأ هذه الآية ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) تقول : إنما هو وُلِّقَ الكذب ، وتقول : إنما كانوا يَلْقَوْنَ الكذب . قال ابن أبي مليكة : وهي أعلم بما فيها أنزلت . قال نافع : وسمعت بعض العرب يقول : اللَّيْقُ : الكذب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِيُّ ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أنها كانت تقرأ ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت ، قال ابن أبي مليكة : هو من وُلِّقَ الكذب .

قال أبو جعفر : وكان عائشة وَجَّهَتْ معنى ذلك بقراءتها ( تَلَقُّونَهُ ) بكسر اللام وتخفيف القاف ، إلى إذ تستمرون في كذبكم عليها ، وإفككم بألسنتكم ، كما يقال : وُلِّقَ فلان في السير فهو يَلْقُ : إذا استمر فيه ؛ وكما قال الراجز :

إِنَّ الْجُلَيْدَ زَلِقَ وَزَمَلِقُ جَاءَتْ بِهِ عَنَسٌ مِّنَ الشَّامِ تَلِقُ  
مَجْجُوعُ الْبَطْنِ كِلَابِي الْخُلُقِ ٢

وقد روى عن العرب في الوُلِّقِ : الكذب : الأَلْقُ ، والإِلْقُ : بفتح الألف وكسرها ، ويقال في فعلت منه : أَلَقْتُ ، فأنا أَلِقُ ، وقال بعضهم :

مَنْ لِي بِالْمُنَزَّرِ الْيَلَامِ صَاحِبِ أَدْهَانٍ وَأَلِقِ آلِقِ ٣  
والقراءة التي لا أستجيز غيرها ( إذ تَلَقُّونَهُ ) على ما ذكرت من قراءة الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض :

(١) لم نقف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلعله مصحف .

(٢) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للقلاخ بن حزن المنقري ، نقلها صاحب ( اللسان : زلق ) . قال : . رجل زلق وزملق مثال هديد وزمالمق ( بتشديد الميم ) ، وهو الذي ينزل قبل أن يجمع . قال القلاخ بن حزن المنقري . . . الأبيات . ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابي . التهذيب : والعرب تقول : زلق وزملق ، وهو الشكاز ، الذي ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخبث الطباشير : زملق وزملوق وزمالمق وفي ( اللسان : ولق ) قال : وولق في سيره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشباح ، ولم أجدها في ديوان الشباح المطبوع بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) هذان بيتان من الرجز أنشدهما الأزهرى عن بعضهم ( اللسان : ولق ) . وألق الكلام : متابته في سرعة . والألق : الاستمرار في الكذب وألق يألُق ألقا مثال ضرب يضرب ضربا . واليلاق : جمع يلق ، وهو القباء ( فارسي معرب ) . . . واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم » بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار في الكذب .



قوله (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ) يقول تعالى ذكره : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه ، فتقولون : سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ، ولا تعلمون حقيقة ذلك ، ولا صحته ( وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا ) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالسنتكم ، وتلقيكموه بعضكم عن بعض ، هين سهل ، لا إثم عليكم فيه ولا حرج ( وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) يقول : وتلقيكم ذلك كذلك ، وقولكموه بأفواهكم ، عند الله عظيم من الأمر ، لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)

يقول تعالى ذكره : ( فلتولا ) أيها الخائفون في الإفك ، الذي جاءت به عصابة منكم ( إذ سمعتموه ) من جاء به ( قُلْتُمْ ) ما يحل لنا أن نتكلم بهذا ، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ( سُبْحَانَكَ ، هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) ، تنزيها لك يا رب ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء . ( هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) يقول : هذا القول بهتان عظيم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : يذكركم الله ، وينهاكم بأي كتابه ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة ، من تلقيكم الإفك الذي روى عليها بالسنتكم ، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم تتعظون بعظات الله ، وتأتمرون لأمره ، وتنتهون عما نهاكم عنه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : والذي هو خير لنا من هذا ، أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه ، لولا أن الله أعلمنا هلكنا كما هلك القوم ، أن يقول الرجل : أنا سمعته ولم أخترقه ولم أقوله ، فكان خيرا حين أعلمناه الله ، لئلا ندخل في مثله أبدا ، وهو عند الله عظيم : وقوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) : ويفصل الله لكم حججه عليكم ، بأمره ونهيه ، ليتبين المطيع له منكم من العاصي ، والله عليم بكم وبأفعالكم ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، حكيم في تدبير خلقه ، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال ، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ، ويظهر ذلك فيهم ، لهم عذاب أليم : يقول : لهم عذاب وجيع في الدنيا ، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك ، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرأ على ذلك غير تائب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر في شأن عائشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : الخبيث عبد الله بن أبي ابن سبول ، المنافق ، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية ، لهم عذاب أليم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر ، يتحدث عن شأن عائشة .

وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك ، لأنكم لا تعلمون الغيب ، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب : يقول : فلا تروا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأن الله ذو رافة ، ذو رحمة بخلقه ، هللكم فيما أفضتم فيه ، وعاجلتمكم من الله العقوبة . وترك ذكر الجواب ، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده ، وهو قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ ، وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ  
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ،

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تقتنوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا ، وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ، وهي الزنا ، والمنكر من القول .

وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي

مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ، ما تطهر منكم من أحد أبدا ، من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) يقول : ما اهتدى منكم من الخلاق لشيء من الخير ، ينفع به نفسه ، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) قال : ما زكى : ما أسلم ، وقال : كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى فهو الإسلام .

وقوله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يقول : والله سميع لما تقولون بأفواهكم ، وتلقونه بالسننكم ، وغير ذلك من كلامكم ، عليم بذلك كله ، وبغيره من أموركم ، محيط به ، محصيه عليكم ، ليجازيكم بكل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلِيَعْفُوا وَيُلِيفُوا وَيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم ، يعني ذوى الفضل والسعة : يقول : وذوو الجيدة . واختلف القراء في قراءة قوله ( وَلَا يَأْتَلِ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( وَلَا يَأْتَلِ ) بمعنى : يفتعل من الأكلية ، وهي القسم بالله ، سوى أبي جعفر وزيد بن أسلم ، فإنه ذكّر عنهما أنهما قرآ ذلك ( وَلَا يَتَأَلِ ) بمعنى : يتفعل من الأكلية .

والصواب من القراءة في ذلك عندى : قراءة من قرأ : وَلَا يَأْتَلِ بمعنى : يفتعل من الأكلية ، وذلك أن

ذلك في خطِّ المصحف كذلك ، والقراءة الأخرى مخالفة خطِّ المصحف ، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء ، وصحة المقرء به ، أولى من خلاف ذلك كله . وإنما عُنِيَ بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، في حلفه بالله لا ينفق على مِسْطَح ، فقال جل ثناؤه : ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون ، بالله ألا يُعْطُوا ذَوِي قَرَابَتِهِمْ ، فيصِلُوا به أرحامهم ، كِمِسْطَح ، وهو ابن خالة أبي بكر ، ( والمساكين ) : يقول : وذوى خَلَّةِ الحاجة ، وكان مِسْطَح منهم ، لأنه كان فقيراً محتاجاً ، ( والمهاجرين في سبيل الله ) ، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله ، وكان مِسْطَح منهم ، لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا ( وَلْيَعْتَفُوا ) يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم ، وذلك كجرم مِسْطَح إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ، ما أشاع من الإفك . ( وَلْيَصْفَحُوا ) يقول : وليتركوا عقوبتهم على ذلك ، بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه ، من الإفضال عليهم ، ( أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بأفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ( وَاللَّهُ غَفُورٌ ) للذنوب من أطاعه ، واتباع أمره ، رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره ، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة . قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : لما نزل هذا ، يعني قوله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ) في عائشة ، وفيمن قال لها ما قال . قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً ، بعد الذي قال لعائشة ما قال ، وأدخل عليها ما أدخل ، قالت : فأنزل الله في ذلك ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِّنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) . . . الآية ، قالت : فقال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

حدثني علي ، قال ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِّنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : لا تُنْقَسِمُوا أَلَا تَنْفَعُوا أَحَدًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِّنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالقبیح ، وأفسوا ذلك ، وتكلموا به ، فأقسم ناس من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو بكر ، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله ، فقال : لا يُقسِم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك ، فأمر الله أن يُغفَر لهم ، وأن يُعَسِّي عنهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء ، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين ، والله لا نصل رجلا منهم تَكَلَّم بشيء من شأن عائشة ، ولا ننفعه . فأنزل الله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : ولا يحلف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : يَأْتَلُونَ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى ( قال : كان مسطح ذا قرابة (والمساكين) قال : كان مسكينا (والمهاجرين في سبيل الله) كان بدريا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) قال : أبو بكر حلف أن لا ينفع يتيما في حجره ، كان أشاع ذلك ، فلما نزلت هذه الآية قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، فلا تكونن ليتي خيرا ما كنت له قط .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاقِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ) بالفاحشة ( الْمُحْصَنَاتِ ) يعني العفيفات ( الغافلات ) عن الفواحش ( الْمُؤْمِنَاتِ ) بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة ( وَهُمْ ) في الآخرة ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وذلك عذاب جهنم .

واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن ، فقال بعضهم : إنما ذلك لعائشة خاصة ، وحكم من الله فيها وفيمن رماها ، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خصيف ، قال : قلت لسعيد ابن جبيرة : الزنا أشد أم قذف المحصنة ؟ فقال : الزنا ، فقلت : أليس الله يقول ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) . . . الآية ، قال سعيد : إنما كان هذا لعائشة خاصة .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : رُميت بما رُميت به وأنا غافلة ، فبلغني بعد ذلك ، قالت : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندى جالس ، إذ أوحى إليه ، وكان إذا أوحى إليه أخذته كهيئة السبات ، وإنه أوحى إليه وهو جالس عندى ، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه ، وقال : يا عائشة أبشري ، قالت : فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقرأ ( إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . حتى بلغ ( أَوْلَيْتِكَ مِسْرَةً وَنَمَّمًا يَقُولُونَ ) .

وقال آخرون : بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، دون سائر النساء غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، وعنى بها كل من كان بالصفة التي وصف الله هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كل من رمى محصنة ، لم تقارف سوءا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن جعفر بن برقان ، قال : سألت ميمونا ، قالت : الذي ذكر الله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ كَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فجعل في هذه توبة ، وقال في الأخرى : ( إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ) . . . إلى قوله ( لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال ميمون : أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت ، وأما هذه ، فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس ، قال : فسّر سورة النور ، فلما أتى على هذه الآية ( إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مبهمه ، وليست لهم توبة ، ثم قرأ ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ كَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) . . . الآية ، قال : فجعل هؤلاء توبة ، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة ، قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسّر سورة النور . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعِينُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في عائشة ، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات ، فله ما قال الله ، ولكن عائشة كانت إمام ذلك .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك كذلك ، حتى نزلت

الآية التي في أول السورة فأوجب الجحد ، وقبل التوبة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . إلى ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، رماهن أهل النفاق ، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله . وكان ذلك في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا يَأْتُوا بَرَبَهُمْ شُهَدَاءُ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تُقبل ، والشهادة ترد .

وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها .

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله عم بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) كل محصنة غافلة مؤمنة ، رماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض ، فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية ، فلعون في الدنيا والآخرة ، وله عذاب عظيم ، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته ، فإن الله دل باستثنائه بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) على أن ذلك حكم رامى كل محصنة بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية ، وعلى أن قوله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ، ولهم عَذَابٌ عَظِيمٌ ) معناه : لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ) فالיום الذي في قوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ) من صلة قوله ( وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) . وعني بقوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ) يوم القيامة ، وذلك حين يحدد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب ، عند تقرير الله إياه بها ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

فإن قال قائل : وكيف تشهد عليهم ألسنتهم ، حين يختم على أفواههم ، قيل : عني بذلك أن السنة بعضهم تشهد على بعض ، لأن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ ، فَيُقَالُ لَهُ هُوَ لَاءَ جِيرَانِكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا ، فَيَقُولُ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، فَيَقُولُ كَذَبُوا ، فَيَقُولُ : أَتَحْلِفُونَ ؟ فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللَّهُ ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ » .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم .

والدين في هذا الموضع : الحساب والجزاء كما حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) يقول : حسابهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( الْحَقَّ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( دِينَهُمُ الْحَقَّ ) نصبا على النعت للدين ، كأنه قال : يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ، ثم أدخل في الحق الألف واللام ، فنصبه بما نصب به الدين . وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) برفع الحق على أنه من نعت الله .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه قرأها الحق بالرفع . قال جرير : وقرأتها في مصحف أبي بن كعب ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قراء الأمصار ، وهو نصب الحق على إتباعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه .

وقوله ( وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي بين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق ، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون .

القول في تأويل قوله تعالى

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ،  
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)

يختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس ، للطيبات من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا علي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ) يقول : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال ، للخبيثات من القول .



وقوله ( وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ) يقول : الطيبات من القول ، للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ، ويقال : الخبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح ، في قول الله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيئ والحسن ، للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيئ ( أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين ، كل برىء مما ليس بحق من الكلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام . حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مثله :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) . . . الآية ، يقول : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، فهذا في الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون . حدثنا أبو زرعة ، قال ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، يعني ابن نبيط الأشجعي ، عن الضحاك ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح و عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال ( الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين ، والطيبون من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا محمد بن بكر بن مقدم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، يعني ابن أبي سليمان ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن مجاهد ( والخبيثون للخبيثات ) قال : الخبيثات من القول للخبيثين من الناس .

قال : ثنا عباس بن الوليد النرسي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين ، والطيبون من الناس للخبيثات ) يقول : الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، قال : الطيبات من القول ، والخبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين ، والطيبون من الناس ) قال : نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالهتان والفرية ، فبرأها الله من ذلك . وكان عبد الله بن أبي هو خبيث ، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا ، وكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة ، وكان أولى أن يكون لها الطيب . ( أولئك مسبرءون مما يقولون ) قال : ها هنا برئت عائشة ( لهم مغفرة ورزق كريم ) .

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية : قول من قال : عتني بالخبيثات : الخبيثات من القول ، وذلك قبيحه وسدته ، للخبيثين من الرجال والنساء ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها ، والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجمله ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، لأنهم أهلها ، وأحق بها .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للمقاتلين في عائشة الإفك ، والرايين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خصصهم به على إفكهم ، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الراي والمرى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .

وقوله (أُولَئِكَ مُّسْبِرٌ وُنَّ) يقول : الطيبون من الناس مبرّعون من خبيثات القول ، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ، ويغفرها لهم ، وإن قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم ، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به ، لأن الله لا يتقبله ، ولو قيلت له لضرته ، لأنه يلحقه عارها في الدنيا ، وذلك في الآخرة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أُولَئِكَ مُّسْبِرٌ وُنَّ مِمَّا يَقُولُونَ) فمن كان طيبا فهو مبرا من كل قول خبيث ، يقول : يغفره الله ، ومن كان خبيثا فهو مبرا من كل قول صالح ، فإنه يرده الله عليه ، لا يقبله منه ، وقد قيل : عني بقوله (أُولَئِكَ مُّسْبِرٌ وُنَّ مِمَّا يَقُولُونَ) عائشة وصفوان بن المعطل الذي رُميت به ، فعلى هذا القول قيل أولئك ، فجمع ، والمراد ذاك ، كما قيل : فإن كان له إخوة ، والمراد أخوان

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس : مغفرة من الله لذنوبهم ، والخبيث من القول إن كان منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة ، وذلك الجنة ، وما أُعِدَّتْ لهم فيها من الكرامة .

كما حدثنا أبو زرعة ، قال : ثنا العباس بن الوليد النرسي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في الجنة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ، حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ، ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَمَلَكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)

اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت غير بيوتكم حتى تستأذنوا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) قال : وإنما تستأذنوا وهم من الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) وقال : إنما هي خطأ من الكاتب : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بمثله ، غير أنه قال : إنما هي حتى تستأذنوا ، ولكنها سقطت من الكاتب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد عن ابن عباس ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : أخطأ الكاتب . وكان ابن عباس يقرأ ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش أنه كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) قال سفيان : وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وقال : إنها خطأ من الكاتب .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : الاستئذان : الاستئذان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال في مصحف ابن مسعود ( حتى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جعفر بن إياس ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) قال : وإنما تستأذنونهم من الكتاب .

قال : ثنا هشيم ، قال مغيرة ، قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة ، وقد آذاه الرَّمضاء ، فأقى فسطاط امرأة من قريش ، فقال : السلام عليكم ، أدخل ؟ فقالت : أدخل بسلام ، فأعاد ، فأعدت ، وهو يراوح بين قدميه ، قال : قولي أدخل ، قالت : أدخل ، فدخل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد الثقفي ، أن رجلا استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليج أو أتليج ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم له يقال لها روضة : قومي إلى هدا فكلميه ، فإنه لا يحسن يستأذن ، فقولي له يقول : السلام عليكم ، أدخل ؟ فسمعها الرجل ، فقالها ، فقال : أدخل .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : الاستئذان ، ثم نسخ واستثنى ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ )

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حزة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) قال : حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، قال أشعث ، عن عدى بن ثابت ،

أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لأحب أن يراني أحد عليها: والدولا ولد، وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، قال: فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) . . . الآية .  
وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله (لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) قال: حتى تتنحنحوا وتنخموا .

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (حتى تستأنسوا) قال: حتى تجسّسوا وتسلموا .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (حتى تستأنسوا) قال: تتنحنحوا وتتخّموا .

قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس، قال: ثلاث آيات قد جحدنّ الناس، قال الله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا، قال: والإذن كله قد جحدته الناس، فقلت له أستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت على من حضرني، فأبى، قال: أتحب أن تراها عريانة، قلت: لا، قال: فاستأذن، فراجعته أيضا، قال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستأذن، فقال لي سعيد بن جبير: إنك لسُترّدّ عليه، قلت: أردت أن يرخص لي .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن طاوس، عن أبيه، قال: ما من امرأة أكره إلى أن أرى، كأنه يقول عريتها أو عريانة، من ذات محرم، قال: وكان يشدد في ذلك .

قال ابن جريج، وقال عطاء بن أبي رباح: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا، فوجب على الناس أجمعين إذا احتلموا أن يستأذنوا على من كان من الناس، قلت لعطاء: أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته؟ قال: نعم، قلت: أيرّ وجب؟ قال قوله (وإذا بَلَغَ الأطفالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) .

قال ابن جريج: وأخبرني ابن زياد: أن صفوان مولى لبي زُهرة، أخبره عن عطاء بن يسار أن

(١) في ابن كثير فرددت عليه يرخص لي، فأبى، فلمله تصحف عنه .

وجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لِمَ لَا يَسْأَلُهَا خَادِمٌ غَيْرِي، أَفَأَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَلِمًا دَخَلْتُ؟ قَالَ: أُنْحَبُ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا .

قال ابن جرير عن الزهري، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جرير، قال: قلت لعطاء: أيسأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا .

حدثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الخزاز، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنهى إلى الباب، تنحنح وبزق، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأذنوا) قال: الاستئناس: التنحنح والتجسس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: والتجسس: كلامه وتنحنحه .

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنبهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنبهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم . وقد حكى عن العرب سماعاً: اذهب فاستأنس، هل ترى أحداً في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحداً؟ .

فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس .

وقوله (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأدبتم بذلك أيضاً حتى الله عليكم في الاستئذان والسلام . وقوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أو الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فنتطعموه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا، هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدا ، يأذن لكم بالدخول إليها ، فلا تدخلوها ، لأنها ليست لكم ، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها ، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها ، فادخلوها ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) يقول : وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها ، وارجعوا عنها ولا تدخلوها ( هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) يقول : رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا ، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها ، أظهر لكم عند الله . وقوله ( هُوَ ) : كناية من اسم الفعل ، أعنى من قوله ( فَارْجِعُوا ) . وقوله ( وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلَيْكُمْ ) يقول جل ثناؤه : والله بما تعملون من رجوعكم ، بعد استئذانكم في بيوت غيركم ، إذا قيل لكم ارجعوا ، وترك رجوعكم عنها ، وطاعتكم الله فيما أمركم ، ونهاكم في ذلك وغيره ، من أمره ونهيه ، ذو علم محيط بذلك كله ، مُخَصَّصٌ جميعه عليكم ، حتى يجازيكم على جميع ذلك .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) قال : إن لم يكن لكم فيها متاع ، فلا تدخلوها إلا بإذن ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هاشم بن القاسم المزني ، عن قتادة ، قال : قال رجل من المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها : أن أستأذن على بعض إخواني ، فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط ، لقوله ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ، هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) . وهذا القول الذي قاله مجاهد في تأويل قوله ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) بمعنى : إن لم يكن لكم فيها متاع ، قول بعيد من مفهوم كلام العرب ، لأن العرب لا تكاد تقول : ليس بمكان كذا أحد ، إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم . وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم ، ومن كان سييله سييلهم ، فلا تقول ذلك فيها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ليس عليكم أيها الناس إثم وجرح ، أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها ، بغير استئذان . ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عسني ، فقال بعضهم : عسني بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون ، وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة ، ليأووا إليها ، ويؤووا إليها أمتعتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن سالم المكي ، عن محمد بن الحنفية ،

(١) يريد باسم الفعل : المصدر ، لأنه اسم الحدث ، ولا يريد ما اصطلاح النحاة على تسميته اسم فعل كصه وأف .

في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات التي تكون في الطرق .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا عمر بن قَرْوُخ ، قال : سمعت قتادة يقول : ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات ، تكون لأهل الأسفار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا ، فرُخِّص لهم أن يدخلوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي البيوت التي ينزلها السفر ، لا يسكنها أحد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة ، في بيوت ليس فيها أحد ، فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله ، غير أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) هي البيوت التي ليس لها أهل ، وهي البيوت التي تكون بالطرق والحربة ( فيها متاع ) منفعة للمسافر في الشتاء والصيف ، يأوى إليها . وقال آخرون : هي بيوت مكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن سعيد بن سائق ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن سالم بن محمد بن الحنفية ، في ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي بيوت مكة .

وقال آخرون : هي البيوت الحربة . والمتاع الذي قال الله فيها لكم : قضاء الحاجة ، من الخلاء والبول فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : سمعت عطاء يقول ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : الخلاء والبول .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا حسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، في هذه الآية ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : التخلي في الحراب .



وقال آخرون : بل عني بذلك بيوت التجار ، التي فيها أمتعة الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : بيوت التجار ، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن ، الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق . وقرأ ( فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) متاع للناس ، ولبنى آدم . وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عم بقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) كل بيت لساكن به ، لنا فيه متاع ، ندخله بغير إذن ، لأن الإذن إنما يكون ليؤتس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا ، أو كان فيه ساكنا . فأما إن كان لا مالك له ، فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه ، والتسليم عليه ، لئلا يهجم على ما لا يجب رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه . فإذا كان ذلك ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكل بيت لا مالك له ولا ساكن ، من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأوا إليه ، أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان ، لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به ، لقضاء حقه ، من بول أو غائط أو غير ذلك . وأما بيوت التجار ، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها .

فإن ظنَّ ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس ، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنَّ ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره ، بغير ضرورة أبلغاته إليه ، أو بغير سبب أباح له دخوله ، إلا بإذن ربه ، لاسيما إذا كان فيه متاع ، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول ، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا ، من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن من معنى قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) في شيء ، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت ، هي ما لم يكن مسكونا ، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه ، وهو مع ذلك مسكون ، فتبين أنه مما عسى الله من هذه الآية بمعزل .

وقال جماعة من أهل التأويل : هذه الآية مستثناة من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) ثم نسخ واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ( حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا )

... الآية ، فسخ من ذلك ، واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) . وليس في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) دلالة على أنه استثناء من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) ، لأن قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) : حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب . وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) : حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون ، فكل واحد من الحكمين حكم في معنى غير معنى الآخر ، وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه ، في الفعل أو النفس . فأما إذا لم يكن كذلك ، فلا معنى لاستثنائه منه . وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ( وَمَا تَكْتُمُونَ ) يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به : إطاعة الله والانتهاء إلى أمره ، أم غير ذلك ؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِكَيْسٍ ) ( يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) يقول : يكفوا من نظرهم إلى ما يشهون النظر إليه ، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ( وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ( ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ) يقول : فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه ، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين ، أظهر لهم عند الله وأفضل ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) يقول : إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس ، فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه ، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له . وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) قال : كل فرج ذكر حفظه في القرآن ، فهو من الزنا ، إلا هذه ( وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) فإنه يعني الستر .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلْ

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ - وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) قال : يغضوا أبصارهم عما يكره الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) قال : يغض من بصره : أن ينظر إلى ما لا يحل له ، إذا رأى ما لا يحل له غَضَّ من بصره ، لا ينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله ، إنما قال الله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِمَخْرُجِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقُلْ ) يا محمد ( لِلْمُؤْمِنَاتِ ) من أمتك ( يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ) عما يكره الله النظر إليه ، مما نهاكم عن النظر إليه ( وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) يقول : ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم .  
 وقوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) يقول تعالى ذكره : ولا يُظْهَرْنَ للناس الذين ليسوا لهم بمحرم زينتهن ، وهما زينتان : إحداهما : ما خفي ، وذلك كالحلخال والسوارين والقُرْطَيْنِ والقلائد . والأخرى : ما ظهر منها ، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية ، فكان بعضهم يقول : زينة الثياب الظاهرة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن الحجاج ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود ، قال : الزينة زينتان : فالظاهرة منها : الثياب ، وما خفي : الحلخالان والقُرطان والسواران .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الثوري ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، أنه قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) : قال : هي الثياب .  
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) :  
قال : الثياب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا بعض أصحابنا ، إما يونس ، وإما غيره ، عن  
الحسن ، في قوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ،  
عن عبد الله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .

قال أبو إسحاق : ألا ترى أنه قال ( خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا محمد بن الفضل ، عن الأعمش ،  
عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن ابن مسعود ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : هو الرداء .

وقال آخرون : الظاهر من الزينة التي أبيض لها أن تبديه : الكحل ، والخاتم ، والسواران ، والوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا مسلم الملقى ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس  
( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكحل والخاتم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان ، عن مسلم الملقى ، عن سعيد بن جبيرة ، مثله ،  
ولم يذكر ابن عباس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي عبد الله نهل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :  
الظاهر منها : الكحل والخدآن .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز ، عن سعيد  
ابن جبيرة ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الوجه والكف .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي ، عن  
سعيد بن جبيرة ، مثله .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عطاء في قول الله ( وَلَا  
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكفتان والوجه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي عن سعيد ، عن قتادة قال : الكحل ، والسواران والخاتم :

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : والزينة الظاهرة : الوجه ، وكحل العين ، وخيضاب الكف ، والخاتم ؛  
فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ  
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : المسكتان والخاتم والكحل ، قال قتادة : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « لا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُخْرِجَ يَدَهَا إِلَّا إِلَى هَاهُنَا ، وَقَبْضُ نِصْفِ الذَّرَاعِ »  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن رجل ، عن المسور  
ابن مخرمة ، في قوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : القليلين ، والخاتم ، والكحل : يعني السوار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله  
(وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الخاتم والمسكة .

قال ابن جريج ، وقالت عائشة : القَلْبُ والفَتْخَةُ ، قالت عائشة : « دخلت على ابنة أخي لأبي عبد الله  
ابن الطفيل مزينة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، فقالت عائشة : يا رسول الله إنها ابنة  
أخي وجارية ، فقال : إذا عَرَكَتِ الْمَرْأَةُ الْمِجْلَ لَهَا أَنْ تَظْهَرَ إِلَّا وَجْهَهَا ، وَإِلَّا مَا دُونَ هَذَا ، وَقَبْضُ عَلَى  
ذِرَاعِ نَفْسِهِ ، فَتَرَكَ بَيْنَ قَبْضَتِهِ وَبَيْنَ الْكَفِّ مِثْلَ قَبْضَةِ أُخْرَى . » وأشار به أبو علي .

قال ابن جريج ، وقال مجاهد : قوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الكحل والخضاب والخاتم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن عامر (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الكحل ،  
والخضاب ، والثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
مَا ظَهَرَ مِنْهَا) من الزينة : الكحل ، والخضاب والخاتم ، هكذا كانوا يقولون ، وهذا يراه الناس .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمر بن أبي سلمة ، قال : سئل الأوزاعي عن (وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الكفين والوجه .

حدثنا عمرو بن بندق ، قال : ثنا مروان ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)  
قال : الكف والوجه .

وقال آخرون : عَسَى بِهِ الْوَجْهَ وَالثِّيَابَ .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال يونس (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ  
مِنْهَا) قال الحسن : الوجه والثياب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ،  
في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) قال : الوجه والثياب .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عَسَى بِذَلِكَ الْوَجْهَ وَالْكَفَّانِ ، يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ إِذَا كَانَ  
كَذَلِكَ : الكحل ، والخاتم ، والسوار ، والخضاب .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل : لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته  
في صلاته ، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها ، وأن عليها أن تستر ماعدا ذلك من بدنها ،  
إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديته ، من ذراعها إلى قدر النصف . فإذا كان ذلك

(١) عرَكَتِ الْبِجَارِيَةَ تَعْرَكَ (كتنصر) عركا وعراكا وعروكا : حاضت ، فهي عارك ؛ وأعرَكَتِ فهي معرك .

من جميعهم إجماعاً ، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال ، لأن ما لم يكن عورة ، فغير حرام إظهاره . وإذا كان لها إظهار ذلك ، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره ، بقوله (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) ، لأن كل ذلك ظاهر منها .

وقوله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : وليلقين خُمُرهنّ ، وهي جمع خمار ، على جيوبهنّ ، ليسترن بذلك شعورهنّ وأعناقهنّ وقُرطهنّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم بن نافع ، قال : ثنا الحسن بن مسلم بن يناق ، عن صفية بنت شيبة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) قال : شققن السُرد مما يلي الحواشي ، فاختمرن به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أن قرّة بن عبد الرحمن ، أخبره ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : برحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) شققن أكثف مروطنهنّ ، فاختمرن به .  
وقوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) التي هي غير ظاهرة ، بل الخفية منها ، وذلك الخللخال والقرط والمُلُج ، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب ، وما وراء ما أبيض لها كشفه وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس ، والنراعين إلى فوق ذلك ، إلا لبعولتهنّ .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلحة بن مُصَرِّف ، عن إبراهيم (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) قال : هذه ما فوق الذراع .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن طلحة ، عن إبراهيم ، قال في هذه الآية (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ) أو آباء بُعُولَتِهِنَّ) قال : ما فوق الجيب ، قال شعبة : كتب به منصور إلى ، وقرأته عليه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : تبدى لهؤلاء الرأس .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) . . . إلى قوله (عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) قال : الزينة التي يبدونها لهؤلاء : قرطها وقلاذتها وسوارها ، فأما خلخالها ومِعْضُداها ونحرها وشعرها ، فإنه لا تبديه إلا لزوجها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، قال ابن مسعود ، في قوله (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) قال : الطوق والقرطين ، يقول الله تعالى ذكره :

قل للمؤمنات الحرائر لا يظهرن هذه الزينة الخفية، التي ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن، وهم أزواجهن، واحدهم: بعل، أو لآبائهن، أو لآباء بعولتهن، يقول: أو لآباء أزواجهن، أو لأبنائهن، أو لأبناء بعولتهن، أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن. ويعنى بقوله (أو لإخوانهن) أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن، أو لبني أخواتهن، أو نساءهن. قيل: عنى بذلك نساء المسلمين.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله (أو نساءهن) قال: بلغني أنهن نساء المسلمين، لا يحلّ لمسلمة أن ترى مشركة عريتها، إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: (أو ما ملكت أيمانهن).

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام بن الغازي، عن عبادة بن نسي، أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول أو نساءهن.

قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن عبادة، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك، وحلّ دونه. قال: ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلاً: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم، تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقوله (أو ما ملكت أيمانهن) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: أو مما ليكن، فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره هؤلاء.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن محمد التيمي، أنه قال، في قوله (أو ما ملكت أيمانهن) قال: في القراءة الأولى: أيمانكم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيمانهن من إماء المشركين، كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل، من أنه لما قال (أو نساءهن) عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات، ثم قال: أو ما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات.

القول في تأويل قوله تعالى

أَوِ التَّبَعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِزْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ، وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لأرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن، ولا يريدن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأوّل لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده ، وهو الأحمق الذي لاحاجة له في النساء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) فهذا الرجل يتبع القوم ، وهو مُعْتَقَلٌ في عقله ، لا يكثرث للنساء ، ولا يشبهنّ ، فالزينة التي تبديها لهؤلاء : قرطها ، وقلايتها ، وسوارها ، وأما خلتها ، ومعضداها ، ونحرها ، وشعرها ، فإنها لا تبديه إلا لزوجها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ ) قال : هو التابع يتبعك يصيب من طعامك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيَّةَ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : الذي يريد الطعام ، ولا يريد النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذين لا يهمهم إلا بطونهم ، ولا يُخافون على النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّيّ قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : الأبلّة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الأبلّة ، الذي لا يعرف شيئا من النساء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذي لأرب له بالنساء مثل فلان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن حدثه ، عن ابن عباس ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الذي لا تستحي منه النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُعْتَبِرَةَ ، عن الشعبيّ ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : من تَبَعَ الرجل وحشمه : الذي لم يبلغ أَرَبَهُ أن يطلع على عورة النساء .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ( غير أولي الإربة ) قال : الذي لأرب له في النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : المعنوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري في قوله ( أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ) قال : هو الأحمق ، الذي لاهمة له بالنساء ولا أرب .

وبه عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، في قوله ( غير أولي الإربة من الرجال ) يقول : الأحمق ، الذي ليست له همة في النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الذي لا حاجة له في النساء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ) قال : هو الذي يتتبع القوم ، حتى كأنه كان منهم ، ونشأ فيهم ، وليس يتبعهم لإربة نسائهم ، وليس له في نسائهم إربة ، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت « كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُحْتَسِثًا ، فكانوا يعدونه من غير أولي الإربة ، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة ، فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أرى هَذَا يَعْلَمُ مَا هَاهُنَا ، لا يَدْخُلُنَّ هَذَا عَلَيْكُمْ ، فَحَجِّبُوهُ » .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكيم المِصْرِيُّ ، قال : ثنا حفص بن عمر التَّعَدَنِيُّ ، قال : ثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة في قوله ( أو التابعين غير أولي الإربة ) قال : هو الْمُحْتَسِثُ ، الذي لا يقوم زُبَّةً . واختلف القراء في قوله ( غير أولي الإربة ) فقرأ ذلك بعض أهل الشام ، وبعض أهل المدينة والكوفة ، ( غير أولي الإربة ) بنصب غير ؛ ولنصب غير هاهنا وجهان : أحدهما على القطع من التابعين ، لأن التابعين معرفة وغير نكرة ، والآخر على الاستثناء ، وتوجيه غير إلى معنى « إلا » ، فكانه قيل : إلا . وقرأ غير من ذكرت بخفض ( غير ) ، على أنها نعت للتابعين ، وجازعت التابعين بغير ، والتابعون معرفة ، وغير نكرة ، لأن التابعين معرفة غير مؤقته . فتأويل الكلام على هذه القراءة ، أو الذين هذه صفتهم .

والقول في ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضة القراءة بهما في الأمصار ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الخفض في غير : أقوى في العربية ، فالقراءة به أعجب إلى ، والإربة : الفِعْلَةُ من الأرب ، المثل الجلِسة من الجُلوس ، والمِشْيَةُ من المَشْيِ ، وهي الحاجة : يقال : لأرب لى فيك : لا حاجة لى فيك ، وكذا أربيتُ لكذا وكذا : إذا احتجت إليه ، فأنا أرب له أربا . فأما الأربة ، بضم الألف : فالعُقْدَةُ :

وقوله ( أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَنْظُوهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) يقول تعالى ذكره : أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن ، فيظهروا عليهن ، لصغرهن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( على عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) قال : لم يَدْرُوا مَا تَمَّ ، من الصَّغَرِ قبل الخُلْمِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره : ولا يجعلن في أرجلهن من الخُلْمِ ، ما إذا مَشَّين أو حَرَكْنِهِنَّ ، علم الناس الذين مشين بينهم ، ما يخفين من ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرِمِي ، أن امرأة اتخذت بُرْتَمِينَ من فضة ، واتخذت جزعا ، فرت على قوم ، فضربت برجلها ، فوقع الخلكال على الخزع . فصوت ، فأنزل الله ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال : كان في أرجلهن خرز ، فكن إذا مررن بالمجالس ، حركن أرجلهن ، ليعلم ما يخفين من زينتهن .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ ) فهو أن تقسرع الخلكال بالآخر عند الرجال ، ويكون في رجلها خلخال ، فتحركهن عند الرجال ، فهي الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، لأنه من عمل الشيطان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال : هو الخلكال ، لاتضرب امرأة برجلها ، ليسمع صوت خلخالها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ) قال : الأجراس من حليهن يجعلنها في أرجلهن ، في مكان الخلال ، فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن ، لتسمع تلك الأجراس .

(١) مشى برة ، بتخفيف الراء وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . قال • وتمقن الخلال والبريتا • وفي الأصل : « مرين » بدون نقط . وانظر ( اللسان : برا ) .

وقوله ( وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضَّ البَصَرَ ، وحفظ الفرج ، وترك دخول بيوت غير بيوتكم ، من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا وتدرکوا طلبياتكم لديه ، إذا أنتم أظعنتموه فيما أمركم ونهاكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ، إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم . والأيامى : جمع أيم ، وإنما جمع الأيم أيامى ، لأنها فعيلة في المعنى ، فجمعت كذلك ، كما جمعت اليتيمة : يتامى ، ومنه قول جميل :

أَحِبُّ الْأَيَامَى إِذْ بُشِينَةُ أَيْمٌ وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنَيْتِ الْغَوَانِيَا

ولو جمعت أيامم كان صوابا ، والأيم يوصف به الذكر والأنثى ، يقال : رجل أيم ، وامرأة أيم وأيمة ؛ إذا لم يكن لها زوج ؛ ومنه قول الشاعر :

فَإِنْ تَنكِحِي أَنْكِحِ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي (وإن كنت أفتى منكم) أُنَايِمٌ ٢

(إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ) يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم ، أهل فاقة وفقر ، فإن الله يغنيهم من فضله ، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ) قال : أمر الله سبحانه بالنكاح ، ورغبهم فيه

(١) البيت لجميل العذري صاحب بيتية ، كما قال المؤلف ، وكما في (اللسان : غنا) . قال : والغانية : التي غنيت بالزوج ، وقال جميل : « أحب الأيامى . . . البيت » وغنيت المرأة بزوجه غنيا . أي استفتت . والأيامى : جمع أيم ، وهي في الأصل : التي لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقا كانت أو متوفى عنها (اللسان) . وفي التنزيل العزيز : « وأنكحوا الأيامى منكم » : دخل فيه الذكر والأنثى ، والبكر والثيب . واستشهد به المؤلف على أن الأيم : التي ليس لها زوج .

(٢) البيت أنشده صاحب (اللسان) في أيم ، قال : وتأيم الرجل زمانا ، وتأيمت المرأة : إذا مكثت أياما وزمانا لا يتزوجان ، وأنشد ابن بري :

فَإِنْ تَنكِحِي أَنْكِحِ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي (يَدَّ الدَّهْرُ مَا لَمْ تَنكِحِي) أُنَايِمٌ

وفي رواية الشطر خلاف بين ما أنشده المؤلف ، وما أنشده ابن بري . والشاهد فيه عند المؤلف ، كما قدمناه في الشاهد الذي قبله ، وهو أن الأيم من الرجال أو النساء : من لا زوج له أو لها . والفعل منه أم يئيم ، وتأيم يتأيم .

وأمرهم أن يزوجه أحرارهم وعبيدهم ، ووعدهم في ذلك الغنى ، فقال ( إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن أبو الحسن ، وكان إسماعيل بن صبيح مولى هذا ، قال : سمعت القاسم بن الوليد ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « التمسوا الغنى في النكاح ، يقول الله ( إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ) » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأنكحوا الأيامى منكم ) قال : أيامى النساء : اللاتي ليس لهن أزواج .

وقوله ( والله واسع عليم ) يقول جل ثناؤه : والله واسع الفضل ، جواد بعطاياه ، فزوجوا إماءكم ، فإن الله واسع بوسع عليهم من فضله ، إن كانوا فقراء . عليم : يقول : هو ذو علم بالفقير منهم والغنى ، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ، وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

يقول تعالى ذكره : ( ولَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ) ما ينعكسون به النساء عن إتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش ( حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ ) سعة ( فَضْلِهِ ) ، ويوسع عليهم من رزقه .

وقوله ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول جل ثناؤه : والذين يلتمسون المكاتب منكم من ممالئكم ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) .

واختلف أهل العلم في وجه مكاتب الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا ، وهل قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) على وجه القرض ، أم هو على وجه النذب ؟ فقال بعضهم : فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا ، إذا سأله العبد ذلك .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أوجب على إذا علمت مالا أن أكاتبه ، قال : ما أراه إلا واجبا ، وقالها عمرو بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أتأثيره عن أحد ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن سيرين ، أراد أن يكاتبه ، فتلكأ عليه ، فقال له عمر : لتكاتبته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال ، يريد أن يكاتب ألا يكاتبه .

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله (فَكَاتِبُهُمْ) : نَدَبٌ من الله سادة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير ، لا لإيجاب .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال مالك بن أنس : الأمر عندنا: أن ليس على سيد العبد أن يكتبه، إذا سأله ذلك ، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكتب عبده . وقد سمعت بعض أهل العلم، إذا سئل عن ذلك ، فقيل له : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ( فَكَاتِبُهُمْ ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يتلو هاتين الآيتين ( فَإِذَا حَكَتُمْ فَاصْطَادُوا ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنِّي فَضْلَ اللَّهِ ) قال مالك : وإنما ذلك أمر أذن الله فيه للناس، وليس بواجب على الناس ، ولا يلزم أحدا . وقال الثوري : إذا أراد العبد من سيده أن يكتبه ، فإن شاء السيد أن يكتبه كاتبه ، ولا يُجبر السيد على ذلك .

حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه ؛ وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( فَكَاتِبُهُمْ ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : ليس بواجب عليه أن يكتبه ، إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل .

وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب : قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكتبه ، إذا علم فيه خيرا ، وسأله العبد الكتابة، وذلك أن ظاهر قوله ( فَكَاتِبُهُمْ ) ظاهر أمر ، وأمر الله فرض الانتهاء إليه، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة ، على أنه ندب، لما قد بيننا من العلة في كتابنا المسمى « البيان عن أصول الأحكام » .

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم ، فهو القُدرة على الاحتراف والكسب ، لأداء ما كوتبوا عليه :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم الجزري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كره أن يكتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة ، قال : تطعمني أو ساخ الناس .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكَاتِبُهُمْ ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول : إن علمتم لهم حيلة ، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك بن أنس ، عن قوله ( فَكَاتِبُهُمْ ) : إن علمتم فيه خيرا ) فقال : إنه ليقال : الخير : القوة على الأداء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثني ابن زيد ، عن أبيه ، قول الله ( فَكَاتِبُهُمْ ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : الخير : القوة على ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقا ، ووفاء ، وأداء :

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علي ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، وأداء ، وأمانة .  
 قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد وطاوس ، أنهما قالا في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قالا : مالا ، وأمانة .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ، وأمانة .  
 حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، قال : كان إبراهيم يقول في هذه الآية ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، أو أحدهما .  
 حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ومالا .  
 حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جُرَيْج ، قال : قال عمرو بن دينار : أحسبه كل ذلك المال والصلاح .  
 حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يعني : صدقا ، ووفاء ، وأمانة .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) ، قال : إن علمت فيه خيرا لنفسك ، يؤدّي إليك ويصدقك ما حدثك ، فكاتبه .  
 وقال آخرون بل معنى ذلك : إن علمتم لهم مالا .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول : إن علمتم لهم مالا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .  
 حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .  
 حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال لهم مالا ، فكاتبوهم .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ( فكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : إن علمتم لهم مالا ، كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت .  
حدثنا محمد بن المنبهي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن زاذان ، عن عطاء بن أبي رباح ( فكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، قال : إن علمتم عندهم مالا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني محمد بن عمرو اليافي ، عن ابن جرير ، أن عطاء بن أبي رباح ، كان يقول : ما نراه إلا المال ، يعني قوله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : ثم تلا ( كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ) .

وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي : قول من قال : معناه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكساب ، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها ، وصدق لهجة . وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده ، مما يكون في العبد ، فأما المال وإن كان من الخير ، فإنه لا يكون في العبد ، وإنما يكون عنده أوله لا فيه ، والله إنما أوجب علينا مكاتبه العبد إذا علمنا فيه خيرا ، لا إذا علمنا عنده أوله ، فلذلك لم نقل : إن الخير في هذا الموضع معنى به المال .

وقوله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول تعالى ذكره : وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم .

ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه من هو؟ وفي المال أي الأموال هو؟ فقال بعضهم : الذي أمر الله بإعطاء المكاتب من مال الله : هو مولى العبد المكاتب ، ومال الله الذي أمر بإعطائه منه هو مال الكتابة ، والقدر الذي أمر أن يعطيه منه : الربع .  
وقال آخرون : بل ما شاء من ذلك المولى .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عمرو بن علي ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : ربع المكاتب .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المخاربي ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن علي ، في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : ربع الكتابة يحطها عنه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي رضي الله عنه ، في قول الله ( وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : الربع من أول نجومه .

قال : أخبرنا ابن عُلَيْبَةَ ، قال : عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، عن عليّ ، في قوله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : الربع من مكاتبته .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسيّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عبد الملك بن أعين ، قال : كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم ، ثم وضع له الربع ، ثم قال : لولا أني رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ، ثم وضع له الربع ، ما وضعت لك شيئا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ أنه كاتب غلاما له على ألف ومئتين ، فترك الربع وأشهدني ، فقال لي : كان صديقك يفعل هذا ، يعني عليا رضوان الله عليه ، يتأول ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ثنا فضالة بن أبي أمية ، عن أبيه ، قال : كاتبني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاستقرض لي من حَقْنَصَةِ مِثْقَاتِي درهم . قلت : ألا تجعلها في مكاتبتي ؟ قال : إني لأدري أدرك ذلك أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، بلغني أنه كاتبه على مِثْقَةِ أوقية : قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ذكرت ذلك لعكرمة ، فقال : هو قول الله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قول الله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول : ضعوا عنهم من مكاتبهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول : ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : مما أخرج الله لكم منهم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : آتاهم مما في يديك .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السديّ ، عن أبيه ، قال : كاتبني زينب بنت قيس بن مخزومة من بني المطلب بن عبد مناف ، على عشرة آلاف ، فتركت لي ألفا ، وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين جميعا :

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا أبو مسعود الحريريّ ، عن أبي نصرّة ، عن أبي سعيد ، مولى أبي أسيد ، قال : كاتبني أبو أسيد ، على ثلثي عشرة مئة ، فجنّته بها ، فأخذ منها ألفا ، وردّ عليّ مئتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه ، لم يضع عنه شيئا من أوّل نجومه ، مخافة أن يعجز ، فترجع إليه صدقته ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته ، وضع عنه ما أحبّ .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مَحْرَمَةٌ ، عن أبيه ، عن نافع ، قال : كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف ، على خمسة وثلاثين ألف درهم ، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ، ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذي وضع له .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال مالك : سمعت بعض أهل العلم يقول : إن ذلك أن يكتب الرجل غلامه ، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى ، قال مالك : وذلك أحسن ما سمعت ، وعلى ذلك أهل العلم ، وعمل الناس عندنا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان : أحبّ إلىّ أن يعطيه الربع ، أو أقلّ منه شيئا ، وليس بواجب ، وأن يفعل ذلك حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلميّ ، عن عليّ رضي الله عنه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : هو ربع المكتوبة .

وقال آخرون : بل ذلك حصّ من الله أهل الأموال ، على أن يعطوهم سهمهم الذي جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم في أموالهم بقوله : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرَّقَابِ ) قال : فالرقاب التي جعل فيها أحد سبعمائة الصدقة الثمانية : هم المكاتبون ، قال : وإياه عنى جلّ ثناؤه بقوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) : أي سهمهم من الصدقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن ابن زيد ، عن أبيه ، قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يحث الله عليه ، يُعْطَوْنَهُ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : حثّ الناس عليه : مولاة وغيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، في قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يعطي مكاتبه وغيره ، حثّ الناس عليه .

حدثني يعقوب قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال في قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر مولاة والناس جميعا أن يعينوه .

حدثنا ابن المنّي ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : ذلك في الزكاة على الولاة يعطونهم من الزكاة ، يقول الله ( وفي الرقاب ) .

قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : القسء والصدقات . وقرأ قول الله ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ) ، وقرأ حتى بلغ ( وفي الرقاب ) فأمر الله أن يوفوها

منه ، فليس ذلك من الكتابة ، قال : وكان أبي يقول ماله وللكتابة ، هو من مال الله الذي فرّض له فيه نصيبا .  
 وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو قول من قال : عَسَىٰ بِهِ إِيْتَاءَهُمْ سَهْمُهُمْ  
 من الصدقة المفروضة .

وإنما قلنا ذلك أولى القولين ؛ لأن قوله ( وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الأموال ، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه ، ما لم يخبرهم أن مراده التدب ، لما قد بيننا في غير موضع من كتابنا ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن أخبرنا في كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه تدب ، ففرض واجب . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الحاجة قد قامت أن لاحقاً لأحد في مال أحد غيره من المسلمين ، إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة ، في أموال الأغنياء منهم ، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب ، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين ، أن يؤتوه من أموالهم ، هو ما فرّض على الأغنياء في أموالهم له ، من الصدقة المفروضة ، إذ كان لاحقاً في أموالهم لأحد سواها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ

يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : زوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ، ولا تُكْرَهُوا إماءكم على البغاء ، وهو الزنا : ( إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ) يقول : إن أردن تعففا عن الزنا ( لِتَبْتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : لتلتمسوا بإكراهكم إياهن على الزنا عرض الحياة ، وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة ، من ريشها وزينتها وأموالها ، ( وَمَنْ يُكْرِهِنَّ ) يقول : ومن يُكْرِهْ فتياته على البغاء ، فإن الله من بعد إكراهه إياهن على ذلك ، لهم ( غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) ، ووَزَّرَ ما كان من ذلك عليهم دونهن . .

وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي أسود ، حين أكره أمته مسيكة على الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن الصباح ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : جاءت مسيكة لبعض الأنصار فقالت : إن سيدي يكرهني على الزنا ، فنزلت في ذلك ( وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي أسود ، يقال لها مسيكة ، فأجرها وأكرهها « الطبري شك » فأنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فشككت ذلك إليه ، فأنزل الله ( وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى

البيغاء إن أردنَ تَحَصَّنَا لِيَتَبَتَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَنْ يُكْرِهَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (يعني بهن .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عَبَّاسٌ، قال: ثنا حصين، عن الشعبي، في قوله (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) قال: رجل كانت له جارية تفجر، فلما أسلمت نزلت هذه . حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جُرَيْجٍ، قال: أخبرني أبو الزبير، عن جابر، قال: جاءت جارية لبعض الأنصار، فقالت: إن سيدي أكرهني على البغاء، فأنزل الله في ذلك: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) قال ابن جُرَيْجٍ: وأخبرني عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: أمة لعبد الله بن أبي، أمرها فزنت، فجاءت ببرد، فقال لها ارجعي فازني، قالت: والله لأفعل، إن يك هذا خيرا، فقد استكرت منه، وإن يك شرا فقد آن لي أن أدعه . قال ابن جُرَيْجٍ، وقال مجاهد نحو ذلك، وزاد قال: البيغاء: الزنا . (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) قال: للمكروهات على الزنا، وفيها نزلت هذه الآية .

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، أن رجلا من قريش أسير يوم بدر . وكان عبد الله بن أبي أمره، وكان لعبد الله جارية يقال لها مُعَاذَةُ، فكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه، لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك ويضربها، رجاء أن تحمل للقرشي، فيطلب فداء ولده، فقال الله: (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصَّنَا) قال الزهري (وَمَنْ يُكْرِهَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول: غفور لمن ما أكرهن عليه .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جبيرة: أنه كان يقرأ (فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيَهُنَّ لَكُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصَّنَا) يقول: ولا تكروها إماءكم على الزنا، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لمن غفور رحيم، وإئمهن على من أكرهن .

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) . . . إلى آخر الآية، قال: كانوا في الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا، يأخذون أجورهن، فقال الله: لا تكروهن على الزنا من أجل المتالة في الدنيا، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لمن: يعني إذا أكرهن .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ) على الزنا، قال عبد الله بن أبي ابن سَكُولٍ أمرأته له بالزنا، فجاءته بدينار أو ببرد، شك أبو عاصم، فأعطته، فقال: ارجعي فازني بآخر، فقالت: والله ما أنا براجعة، فإله غفور رحيم للمكروهات على الزنا، ففي هذا أنزلت هذه الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : أمر أمة له بالزنا ، فزنت ، فجاءته ببرد فأعطته ، فلم يشك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) يقول : على الزنا ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول : غفور لمن ، للمكرهات على الزنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ ) قال : غفور رحيم لمن حين أكرهن ، وقسرن على ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يأمرؤن ولائدهم يباغين ، يفعلن ذلك ، فيصبن ، فيأتينهم بكسبن ، فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية ، فكانت تباغي ، فكرهت وحلفت أن لا تفعله ، فأكرهها أهلها ، فانطلقت فباغت ببرد أخضر ، فأتتهم به ، فأنزل الله تبارك وتعالى ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ، وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً  
لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلائل وعلامات مبينات : يقول : مفسلات الحق من الباطل ، وموضحات ذلك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين ( مُبَيِّنَاتٍ ) بفتح الياء : بمعنى مفسلات ، وأن الله فصلهن وبيّنهن لعباده ، فهن مفسلات مبينات . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( مُبَيِّنَاتٍ ) بكسر الياء ، بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس ، وتهديهن إلى الحق .  
والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذ فصلها وبيّنها صارت مبينة بنفسها الحق ، لمن اتمس من قبلها ، وإذا بيّنت ذلك لمن اتمس من قبلها ، فبيّن الله ذلك فيها ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ، فصيب في قراءته الصواب .  
وقوله ( وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ) من الأمم ، وموعظة لمن اتقى الله ، فخاف عقابه وخشى عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ،  
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ

زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ  
لِلنَّاسِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)

يعنى تعالى ذكره بقوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هادى من فى السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحقّ يهتدون، ويهداه من حيرة الضلالة يعتصمون.

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم: فيه نحو الذى قلنا.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يقول: الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض.

حدثني سليمان بن عمر بن خلدن الرّقى، قال: ثنا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك، قال: إن إلهى يقول: نورى هُداى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الله مدبّر السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جرّيج، قال: قال مجاهد وابن عباس فى قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) يدبّر الأمر فيهما: نجومهما وشمسهما وقمرهما.

وقال آخرون: بل عنى بذلك النور: الضياء. وقالوا: معنى ذلك: ضياء السموات والأرض.

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا أبو جعفر الرازى، عن الربيع ابن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، فى قول الله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال: فبدأ بنور نفسه، فذكره، ثم ذكر نور المؤمن.

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك، لأنه عقيب قوله (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ، وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِن قَبْلِكُمْ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع يقع تنزيله من خلقه. ومن مدح ما ابتداءً بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره.

فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم آياتها الناس، آيات مبيّنات الحق من الباطل.

(وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِن قَبْلِكُمْ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) فهديناكم بها، وبيننا لكم معالم دينكم بها، لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض، وترك وصل الكلام باللام، وابتداء الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذى ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره، ثم ابتداء فى الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبيّنات التى أنزلنا إليهم، فقال (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) يقول:

مثل ما أنار من الحقّ بهذا التنزيل فى بيانه: كمشكاة.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) علام هي عائدة ، ومن ذكر ما هي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر المؤمن ، وقالوا : معنى الكلام : مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن : مثل مشكاة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالوية ، عن أبي بن كعب ، في قول الله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : ذكر نور المؤمن فقال : مثل نوره ، يقول : مثل نور المؤمن . قال : وكان أبي يقرؤها كذلك : مَثَلُ المؤمن ، قال : هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالوية ، عن أبي ابن كعب (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) قال : بدأ بنور نفسه ، فذكره ، ثم قال (مَثَلُ نُورِهِ) يقول : مثل نور مَنْ آمَنَ به . قال : وكذلك كان يقرأ أبي ، قال : هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل نور المؤمن .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أبي سينان ، عن ثابت ، عن الضحاک في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : نور المؤمن .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بالنور : محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : الهاء التي في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : عائدة على اسم الله .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن حفص ، عن شَمِير ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثني عن قول الله عز وجل (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . . . الآية ، فقال كعب : الله نور السموات والأرض ، مَثَلُ نوره : مثل محمد صلى الله عليه وسلم : كمشكاة .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبيرة في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك : هَدَى الله وبيانه ، وهو القرآن ، قالوا : والهاء من ذكر الله : قالوا : ومعنى الكلام : الله هادى أهل السموات والأرض بآياته المبينات ، وهي النور الذي استنار به السموات والأرض ، مَثَلُ هداة وآياته التي هَدَى بها خلقه ، ووعظهم بها في قلوب المؤمنين : كمشكاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس (مَثَلُ نُورِهِ) مثل هُدَاهُ في قلب المؤمن .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل هذا القرآن في القلب : كمشكاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : نور القرآن الذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده ، هذا مثل القرآن (كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عبيّاش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تبارك وتعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ) ونوره الذي ذكر : القرآن ، ومثله الذي ضَرَبَ له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مثل نور الله ، وقالوا : يعنى بالنور : الطاعة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) وذلك أن اليهود قالوا ل محمد : كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثله ذلك لنوره ، فقال (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، ثم سهاها أنوارا شتى .

وقوله (كَمِشْكَاةٍ) اختلف أهل التأويل في معنى المشكاة والمصباح ، وما المراد بذلك ، وبالزجاجة ، فقال بعضهم : المشكاة كل كوة لا منفذ لها ، وقالوا : هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شَمِيرٍ ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثني عن قول الله (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ) قال : المشكاة وهي الكوة ، ضربها الله مثلا ل محمد صلى الله عليه وسلم ، المشكاة (فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ) قلبه (فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ) صدره الزجاجة (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرّي ، ثم رجع المصباح إلى قلبه ، فقال (تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) لم تمسها شمس المشرق ولا شمس المغرب (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ) يكاد محمد يبين للناس ، وإن لم يتكلم أنه نبيّ ، كما يكاد ذلك الزيت يضيء (وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَمِشْكَاةٍ) يقول : موضع الفتيلة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . . . إلى ( كَيْشْكَاةٍ ) قال : المِشْكَاةُ : كَوَاةُ الْبَيْتِ . وقال آخرون : عني بالمشكاة : صدر المؤمن ، وبالمصباح : القرآن والإيمان ، وبالزجاجة : قلبه . ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : مَثَلُ الْمُؤْمِنِ قَدْ جَعَلَ الْإِيمَانَ وَالْقُرْآنَ فِي صَدْرِهِ كَمِشْكَاةٍ ، قال : المشكاة : صدره ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره ( الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) قال : والزجاجة : قلبه . ( الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَوَقَّدُ ) ، قال : فثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري ، يقول : مُضِيءٌ ( تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) والشجرة المباركة ، أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ( لِأَشْرَقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : فثله مَثَلُ شَجَرَةِ التَّفِّ بِهَا الشَّجَرُ ، فهي خضراء ناعمة ، لانصبابها الشمس على أي حال كانت ، لا إذا طلعت ، ولا إذا غربت ، وكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الغيب ، وقد ابتلى بها ، فثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال ، إن أُعْطِيَ شكر ، وإن ابتلى صبر ، وإن حَكَمَ عدل ، وإن قال صدق ، فهو في سائر الناس كالرجل الحَيِّ يَمْشِي فِي قُبُورِ الْأَمْوَاتِ ، قال ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني يحيى بن العيمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : المشكاة : صدر المؤمن ( فيها مصباح ) ، قال : القرآن . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، نحو حديث عبد الأعلى ، عن عبيد الله .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) قال : مثل هداه في قلب المؤمن ، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء ، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ، ونورا على نور ، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة ( قَالَ هَذَا رَبِّي ) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا ، فلما أخبره الله أنه ربه ، ازداد هُدًى على هدى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : كيف يخلص نور الله من دون السماء ، فضرب الله مَثَلُ ذَلِكَ لِنُورِهِ ، فقال ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) والمِشْكَاةُ : كَوَاةُ الْبَيْتِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، (١) الكوة : بفتح الكاف ، والضم لفة (السان) .



(المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ) والمصباح : السراج يكون في الزجاج ، وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، وسماها أنواعا شتى .  
قوله ( تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هي شجرة لانيء عليها ظل شرق ، ولا ظل غرب ، ضاحية ، ذلك أصنى للزيت ، ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَكَوْنُهَا تَمَسُّهُ نَارٌ ) قال معمر ، وقال الحسن : ليست من شجر الدنيا ، ليست شرقية ولا غربية .

وقال آخرون : هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده ، والمشكاة مثل لجوفه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال مجاهد وابن عباس جميعا ، المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه ، المصباح مثل الفؤاد ، والكوة مثل الجوف .

قال ابن جرير ( كَمِشْكَاةٍ ) : كوة غير نافذة . قال ابن جرير ، وقال ابن عباس : قوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعني : إيمان المؤمن وعمله .

وقال آخرون : بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) قال : ككوة ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ) نور القرآن الذي أنزل على رسوله وعباده ، فهذا مثل القرآن ( كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) فقرأ حتى بلغ ( مَبَارَكَةٍ ) فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به ، وهو كما هو لا ينقص ، فهذا مثل ضربه الله لنوره. وفي قوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) قال : الضوء : إشراق ذلك الزيت ، والمشكاة : التي فيها الفتيلة التي في المصباح ، والقناديل تلك المصابيح .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض في قوله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : الكوة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن عطية ، في قوله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : قال ابن عمر : المشكاة : الكوة .

وقال آخرون : المشكاة : القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : القنديل ، ثم العمود الذي فيه القنديل .

(١) في الأصل : الزيت ، بدون لام قبلها ، وأظنه عرفا عما أبتناه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كِشْكَاةٌ ) : الصُّفْرُ الذي في جوف القنديل .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال : المشكاة : القنديل .

وقال آخرون : المشكاة : الحديد الذي يعلق به القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن المفضل ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن مجاهد ، قال : المشكاة : الحدائد التي يعلق بها القنديل .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به ، فقال : مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد ، الذي أنزله إليهم ، فأمنوا به ، وصدقوا بما فيه ، في قلوب المؤمنين ، مثل مشكاة ، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة ، لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى ، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ ، ثم قال ( فيها مصباح ) وهو السراج ، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ، ثم قال ( المصباح في زجاجة ) يعني : أن السراج الذي في المشكاة : في القنديل ، وهو الزجاج ، وذلك مثل للقرآن ، يقول : القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره ، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله ، والشك فيه ، واستنارته بنور القرآن ، واستضاءته بآيات ربه المبينات ، ومواعظه فيها ، بالكوكب الدرّي ، فقال : الزجاج ، وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكب درّي .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( درّي ) فقرأه عامة قرآء الحجاز ( درّي ) بضم الدال ، وترك الهمز : وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة : ( درّي ) بكسر الدال وهمزة . وقرأ بعض قراء الكوفة ( درّي ) بضم الدال وهمزة ، وكان الذين ضموا داله ، وتركوا الهمزة ، وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم ، من أن الزجاج في صفاتها وحسنها كالدرّ ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعتها وصفها . ووجه الذين قرءوا ذلك بكسر داله وهمزة ، إلى أنه فيعيل من درّي الكوكب : أي دُفِعَ ورجم به الشيطان ، من قوله ( ويدراً عتتها العذاب ) : أي يدفع ، والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : هي الدراري بالهمز ، من يدراً . وأما الذين قرءوه بضم داله وهمزة ، فإن كانوا أرادوا به دروء مثل سُبُوحٍ و قدوس من درأت ، ثم استنقلوا كثرة الضمات فيه ، فصرفوا بعضها إلى الكسرة ، فقالوا : درّي ، كما قيل : ( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) وهو فُعُول ، من عتوت عتواً ، ثم حوِّلت بعض ضماتها إلى الكسر ، فقيل : عتيا ، فهو مذهب ، وإلا فلا

أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها، وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فِعِيلٌ ، وقد كان بعض أهل العربية يقول : هو لحن :

والذي هو أولى القراءات عندي في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ( دُرِّي ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل يتأويل ذلك جاءوا، وقد ذكرنا أقوالهم في ذلك قبل، ففي ذلك مُكْتَنِي عن الاستشهاد على صحّتها بغيره ، فتأويل الكلام : الزجاجية : وهي صدر المؤمن ، ( كأنها ) : يعني كأن الزجاجية ، وذلك مثل لصدر المؤمن ( كَوُكَب ) : يقول : في صفائها وضيائها وحسنا . وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ ، في أسباب الإيمان بالله، وبعده من دنس المعاصي ، كالكوكب الذي يُشبه الدرّ في الصفاء والضياء والحسن :

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( تَوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريين ( تَوَقَّدَ مِنْ شَجَرَةٍ ) بالتاء، وفتحها، وتشديد القاف، وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوَقَّدَ المصباحُ من شجرة مباركة . وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيّين ( يُوَقَّدُ ) بالياء ، وتخفيف القاف، ورفع الدال ، بمعنى : يُوَقِّدُ المصباحُ مَوْقِدَهُ من شجرة ، ثم لم يُسَمِّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ( تَوَقَّدُ ) بضمّ التاء وتخفيف القاف ورفع الدال ، بمعنى : يُوَقِّدُ الزجاجية مَوْقِدُهَا من شجرة مباركة الما لم يسمّ فاعله ، فقبل تَوَقَّدَ . وقرأه بعض أهل مكة ( تَوَقَّدُ ) بفتح التاء ، وتشديد القاف ، وضمّ الدال ، بمعنى : تَتَوَقَّدُ الزجاجية من شجرة ، ثم أسقطت إحدى التاءين ، اكتفاء بالباقية من الذاهبة : وهذه القراءات متقاربات المعاني ، وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاجية إذا وُصِفَتْ بالتوقد، أو بأنها تَوَقَّدَ ، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوَقَّدَ فيها المصباح، أو يُوَقَّدَ فيها المصباح، ولكن وجهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك، أقرب في الكلام منها ، وفهم السامعين معناه . والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءات قرأ القارئ فصيب، غير أن أعجب القراءات إلى ، أن أقرأ بها في ذلك ( تَوَقَّدَ ) بفتح التاء، وتشديد القاف، وفتح الدال ، بمعنى : وصف المصباح بالتوقد، لأن التوقد والانتقاد لاشكّ أنهما من صفته، دون الزجاجية، فعنى الكلام إذن : كشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية. وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف في ذلك فيما قد مضى ، ونذكر باقي ما حضرنا مما لم نذكره قبل ، فقال بعضهم : إنما قيل لهذه الشجرة : لاشرقية ولا غربية : أي ليست شرقية وحدها، حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداء ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق ، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب ؛ ولا هي غربية وحدها ، فتصيبها الشمس بالعشيّ، إذا مالت إلى جانب الغرب ، ولا تصيبها بالغداء ، ولكنها شرقية غربية ، تطلع عليها الشمس بالغداء ، وتغرب عليها ، فيصلبها حرّ الشمس بالغداء والعشيّ ، قالوا : وإذا كانت كذلك ، كان أجود لزيّتها .

(١) لعل هنا سقطا في العبارة ، تقديره : « ثم بنى » كما يفهم من السياق .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ ، لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لا يسترها من الشمس جبل ولا واد ، إذا طلعت ، وإذا غربت .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا حيرم بن محمارة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أنخبرني محمارة ، عن عكرمة ، في قوله ( لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء ، تطلع عليها ، وتغرب عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد وابن عباس ( لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قالا : هي التي بشقّ الجبل ، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها ، إذا طلعت أصابها ، وإذا غربت أصابها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليست شرقية ولا غربية .

## ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثني محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هي شجرة وسط الشجر ، ليست من الشرق ، ولا من الغرب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) متيامنة الشام ، لا شرق ولا غرب .

وقال آخرون : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعني ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( زَيْتُونَةٍ لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لو كانت في الأرض هذه الزيتون ، كانت شرقية أو غربية ، ولكن والله ما هي في الأرض ، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( لَاشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا ، لكانت إما شرقية ، وإما غربية .  
 وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : قول من قال : إنها شرقية غربية ؛ وقال : ومعنى الكلام : ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة ، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب ، فهي شرقية غربية .

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام ، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يُوقَد على هذا المصباح بالصفاء والجوادة ، فإذا كان شجره شرقيا غربيا ، كان زيته لاشك أجود وأصنى وأضوأ .  
 وقوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) يقول تعالى ذكره : يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه ، وحسن ضيائه . ( وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ) يقول : فكيف إذا مسته النار .  
 وإنما أريد بقوله ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) أن هذا القرآن من عند الله ، وأنه كلامه ، فجعل مثله ومثّل كونه من عنده ، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة ، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية . وعني بقوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) : أن حُجَجَ الله تعالى ذكره على خلقه ، تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر ، أو أعرض عنها ولها ( وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ) يقول : ولو لم يتردها الله بيانا ووضوحا ، بإنزاله هذا القرآن إليهم ، منها لم على توحيده ، فكيف إذا نبههم به ، وذكرهم بآياته ، فزادهم به حجة إلى حُجَجِهِ عليهم قبل ذلك ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله .

وقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ، ولو لم تمسه النار .  
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) قال : النار على الزيت .  
 قال أبو جعفر : وهو عندي كما ذكرت مثله القرآن ، ويعني بقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) هذا القرآن نور من عند الله ، أنزله إلى خلقه يستضيئون به . ( على نور ) على الحُجَجِ والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه ، مما يدل على حقيقة وحدانيته ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان وضعه لهم ، ونصبه قبل نزوله .

وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يضيء بعضه بعضا ، يعني القرآن .  
 وقوله ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ) : يقول تعالى ذكره : يُوقِّقُ اللَّهُ لَاتِّبَاعِ نُورِهِ ، وهو هذا القرآن ، من يشاء من عباده . وقوله ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ) يقول : ويُثَمِّلُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ لِلنَّاسِ ، كما مثّل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن ، بالمصباح في المشكاة ، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال . ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله بضرب الأمثال ، وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .

القول في تأويل قوله تعالى

فِي يُبُوتِ أذنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذُكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)  
 رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا

تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) نِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

يعني تعالى ذكره بقوله ( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) الله نور السموات والأرض ، مثل نوره  
كمشكاة فيها مصباح ، في بيوت أذن الله أن ترفع .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المشكاة : التي فيها الفتيلة التي فيها  
المصباح ، قال : المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع .

قال أبو جعفر : قد يحتمل أن تكون من في صلة توقد ، فيكون المعنى : تُوَقَّدُ من شجرة مباركة ذلك  
المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع ، وعنى بالبيوت : المساجد .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالوا : ثنا حكام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن  
أبي صالح في قول الله ( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( فِي  
بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) وهي المساجد تُكْرَمُ ، ونهى عن اللغو فيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
في قوله ( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) يعني : كل مسجد يصلى فيه ، جامع أو غيره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله  
( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : مساجد تُبْنَى .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( فِي بُيُوتٍ  
أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : في المساجد .

قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أدركت أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهم يقولون : المساجد : بيوت الله ، وإنه حق على الله أن يُكْرَمَ من زاره فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سالم بن عمر ، في قوله ( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ )  
قال : هي المساجد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فِي بُيُوتٍ أذِنَ اللَّهُ أَنْ  
تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

وقال آخرون : عنى بذلك البيوت كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالا : حدثنا حكام بن سلم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عكرمة ( في بيوت أذن الله أن ترفع ) قال : هي البيوت كلها .  
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك ، لدلالة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لِاتِّلَاهِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) على أنها بيوت بنيت للصلاة ، فلذلك قلنا هي المساجد .  
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) فقال بعضهم : معناه : أذن الله أن تُبَسَّطِي :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : تُبَسَّطِي .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .  
وقال آخرون : معناه : أذن الله أن تعظم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( أذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) يقول : أن تعظم لذكره .  
وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله مجاهد ، وهو أن معناه : أذن الله أن ترفع بناء ، كما قال جل ثناؤه ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ) وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية .  
وقوله ( وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَهُ ) يقول : وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها . وقد قيل : عنى به ، أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : ( وَيُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَهُ ) يقول : يُتْلَى فِيهَا كِتَابَهُ . وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك ، لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله ، غير أن الذي قلنا به أظهر معنيته ، فلذلك اخترنا القول به .  
وقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لِاتِّلَاهِهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) :  
اختلفت القراء في قراءة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وكسر الياء ، بمعنى : يصلي له فيها رجال ، ويجعل يسبح فعلا للرجال ، وخبرا عنهم ، وترفع به الرجال ، سوى عاصم وابن عامر ، فإنهما قرأا ذلك ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وفتح الياء ، على ما لم يسم فاعله ، ثم يرفعان الرجال بخبر ثان مضمرة ، كأنهما أرادا : يسبح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع ، فسبح له رجال فرفعا الرجال ، بفعل مضمرة :

والقراءة التي هي أولهما بالصواب : قراءة من كسر الباء ، وجعله خبراً للرجال وفعلاً لهم . وإنما كان الاختيار رفع الرجال بمضمرة من الفعل ، لو كان الخبر عن البيوت لا يتم إلا بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ) ، فأما والخبر عنها دون ذلك تام ، فلا وجه لتوجيه قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) إلى غيره ، أي غير الخبر عن الرجال . وعني بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يصلّي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمّار الدهني ٢ ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يقول : يصلّي له فيها بالغدوة والعشي ، يعني بالغدوة : صلاة الغداة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض الله من الصلاة ، فأحب أن يذكرهما ، ويذكر بهما عبادته . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ ) أذن الله أن تبنى ، فيصلّي فيها بالغدوة والآصال .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يعني الصلاة المفروضة .

وقوله ( رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلّون في هذه المساجد ، التي أذن الله أن ترفع ، عن ذكر الله فيها ، وإقام الصلاة ، تجارة ولا بيع . كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ ، وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( وَالْأَبْصَارِ ) قال : هم قوم في تجاراتهم وبيوعهم ، لاتلهيهم تجاراتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم بن عبد الله ، أنه نظر إلى قوم من السوق ، قاموا وتركوا بيعاتهم إلى الصلاة ، فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه ( لَاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عن حدثه ، عن ابن مسعود ، نحو ذلك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، قال : حدثت عن ابن مسعود ، أنه رأى قوماً من أهل السوق حيث نودي بالصلاة ، تركوا بيعاتهم ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال عبد الله : هؤلاء

(١) فالأصل : إلى غير . ولعله تحريف . (٢) هو عمار بن معاوية الدهني بضم المهملة ، التوقي ، وثقه أحمد . مات سنة ١٣٣ هـ .



من الذين ذكر الله في كتابه ( لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) .

وقال بعضهم : معنى ذلك ( لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ) عن صلاتهم المفروضة عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال ( رجال لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول : عن الصلاة المكتوبة .

وقوله ( وإقام الصلاة ) يقول : ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها .

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن رجل نسي عوف اسمه في ( وإقام الصلاة ) قال : يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة .

فإن قال قائل : أوليس قوله ( وإقام الصلاة ) مصدرا من قوله أقمته ؟ قيل : بلى . فإن قال :

أو ليس المصدر منه إقامة ، كالمصدر من آجرت إجارة ؟ قيل : بلى . فإن قال : وكيف قال ( وإقام الصلاة ) ، أو تجيز أن نقول : أقمته إقاما ؟ قيل : ولكني أجزيت أعجبتني إقام الصلاة . فإن قيل : وما وجه

جواز ذلك ؟ قيل : إن الحكم في أقمته إذا جعل منه مصدر ، أن يقال إقواما ، كما يقال : أقمته فلانا إقعاما ،

وأعطيته إعطاء . ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمته ، فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة ، والميم

وهي ساكنة ، بنوا المصدر على ذلك ، إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة ، فسقطت

الأولى منهما ، فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف ، كالتكثير للحرف ، كما فعلوا ذلك في قولهم : وَعَدْتَهُ عِدَّةً ،

ووزنته زنة ، إذ ذهبت الواو من أوله ، كثره من آخره بالهاء ؛ فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة ، حذفوا

الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير ، وهي الهاء في آخرها ، لأن الخافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد ،

فاستغنوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد ، وقد قال بعضهم في نظير ذلك :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجَدُّوا الْبَيْتَ فَأَنْجَرَدُوا وَأَخْلَفُواكَ عِدَّ الْأَمْرِ النَّدَى وَعَدُّوا

يريد : عدة الأمر ، فأسقط الهاء من العدة لما أضافها ، فكذلك ذلك في إقام الصلاة .

وقوله ( وإيتاء الزكاة ) قيل : معناه : وإخلاص الطاعة لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وأقيموا

الصلاة وآتوا الزكاة ) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وقوله ( وأوصاني بالصلاة والزكاة ) ، وقوله

(١) البيت للفصل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، وهو في (اللسان : وعد) قال : وقال الفراء : وعدت عدة ، ويحذفون الهاء إذا

أضافوا ، وأنشد : « إن الخليط ... البيت » . وقال ابن الأنباري وغيره : القراء يقول عدة وعدى ، وأنشد : « وأخلفوك عدى ... »

البيت » . وقال : أراد : عدة الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة ، قال : ويكتب بالياء . وقال الجوهري : والعدة الوعد ، والهاء

عوض من الواو . والخليط : اسم لمن يخالطك بجوار أو قرابة أو عمل أو نحوه . وأجدوا البين : أسرعوا في الفراق ، واجتهدوا فيه . وانجردوا :

أسرعوا وشروا . والشاهد في البيت عند المؤلف ، أن الهاء في عدة ونحوها تحذف منها عند الإضافة ، استغناء عنها بالمضاف إليه عن الحرف الزائد .

(وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) ، وقوله (وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً) ونحو هذا في القرآن ، قال: يعنى بالزكاة : طاعة الله والإخلاص ، وقوله (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) يقول : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هولته ، بين طمع بالنجاة ، وحذر بالهلاك . (والأبصار) : أى ناحية يؤخذ بهم : أذات اليمين أم ذات الشمال ؟ ومن أين يؤتون كتبهم : أمن قبل الأيمان ، أم من قبل الشكائل ؟ وذلك يوم القيامة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الله بن عياش ، قال زيد بن أسلم ، في قول الله ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) . . . إلى قوله ( تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) يوم القيامة .

وقوله ( لِيَجْزِيَهِمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ) يقول : فعلوا ذلك ، يعنى أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا ربهم ، مخافة عذابه يوم القيامة ، كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، من فضله ، فيفضل عليهم من عنده ، بما أحب من كرامته لهم . وقوله ( وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) : يقول تعالى ذكره : يتفضل على من شاء وأراد ، من طوَّله وكرامته ، مما لم يستحقه بعمله ، ولم يبلغه بطاعته ( بغير حساب ) يقول : بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْثًا ، وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ، فَوْقَهُ حِسَابَهُ ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)

وهذا مثل ضرب به الله لأعمال أهل الكفر به ، فقال : والذين جحدوا توحيد ربهم ، وكذبوا بهذا القرآن ، وبين جاء به ، مثل أعمالهم التى عملوها ( كسراب ) يقول : مثل سَرَاب ، والسراب : ما تصيق بالأرض ، وذلك يكون نصف النهار ، وحين يشتد الحر . والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض ، وذلك يكون أول النهار ، يرفع كل شىء ضحى . وقوله ( بِقِيعَةٍ ) وهى جمع قاع ، كالجيرة جمع جار ، والقاع : ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه يكون السراب . وقوله ( يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً ) يقول : يظن العطشان من الناس السراب ، ماء ( حتى إذا جاءه ) والهاء من ذكر السراب ، والمعنى : حتى إذا جاء الظمآن السراب ، ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه ، لم يجده شيئا ، يقول : لم يجد السراب شيئا ، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التى عملوها فى غرور ، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه ، كما حسب الظمآن الذى رأى السراب ، فظنه ماء يرويه من ظمته ، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذى كان يرى أنه نافعه عند الله ، لم يجده ينفعه شيئا ، لأنه كان عمله على كفر بالله ، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالميرصاد ، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التى عملها فى الدنيا ، وجازاه بها جزاءه الذى يستحقه عليها منه .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( حتى إذا جاءه كَمْ يُجِدُهُ شَيْئًا ) فإن لم يكن السراب شيئًا ، فعلام أدخلت الهاء في قوله ( حتى إذا جاءه ) ؟ قيل : إنه شيء يُرَى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفًا من بعيد ، والهباء ، فإذا قرب منه المرء ، رقق وصار كالهواء . وقد يحتمل أن يكون معناه : حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئًا ، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه ( وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) يقول : والله سريع حسابه ، لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ، ولا حفظ بقلب ، ولكنه عالم بذلك كله ، قبل أن يعمله العبد ، ومن بعد ما عمله .

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، قال : ثم ضرب مثلًا آخر ، فقال ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) قال : وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة ، وهو يحسب أن له عند الله خيرا ، فلا يجد ، فيدخله النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب بنحوه .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) يقول : الأرض المستوية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) قال : هو مثل ضربه الله لرجل عطش ، فاشتد عطشه ، فرأى سرايا ، فحسبه ماء ، فطلبه وظن أنه قد قدر عليه ، حتى أتاه ، فلما أتاه لم يجده شيئا ، وقبض عند ذلك . يقول : الكافر كذلك ، يحسب أن عمله مغن عنده ، أو نافعه شيئا ، ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت ، فإذا أتاه الموت ، لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) قال : بقاع من الأرض ، والسراب : سعمله ، زاد الحارث في حديثه عن الحسن : والسراب عمل الكافر ( إِذَا جَاءَهُ كَمْ يُجِدُهُ شَيْئًا ) . إتيانه إياه : موته وفراقه الدنيا . ( وَوَجَدَ اللَّهُ ) عند فراقه الدنيا ، ( فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ) قال : بقية من الأرض ( يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ) : هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول : يحسب أنه في شيء ، كما يحسب هذا السراب ماء ( حتى إذا جاءه كَمْ يُجِدُهُ شَيْئًا ) ، وكذلك الكافر إذا مات ، لم يجد عمله شيئا ( وَوَجَدَ اللَّهُ عِندَهُ ، فَوَقَّاهُ حِسَابَهُ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا ) . . .

إلى قوله (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) قال : هذا مثل ضربه الله للذين كفروا (أَعْمَأُ لُهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ) : قد رأى السراب ، ووثق بنفسه أنه ماء ، فلما جاءه لم يجده شيئا ، قال : وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة ، وأنهم سيبرجعون منها إلى خير ، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب ، فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه .

### القول في تأويل قوله تعالى

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوَاجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظَلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِيرْهَا ، وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ (٤٠)

وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار ، في أنها عملت على خطأ وفساد ، وضلالة وحيرة من عملها فيها ، وعلى غير هدى ، مثل ظلمات في بحر لُجِّيٍّ ، ونسب البحر إلى اللُجَّة ، وصفاء له بأنه عميق كثير الماء ، ولجئة البحر : معظمه ، (يَغْشَاهُ مَوْجٌ) يقول : يغشى البحر موج ، (مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) : يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، (مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) : يقول : من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحب ، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجِّيُّ مثلا لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد تحمَّره الجهل ، وتغشَّته الضلالة والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجِّيُّ موج من فوقه موج ، من فوقه سحب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله ، بأن الله حتم عليه ، فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة ، فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض .<sup>١</sup>

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوَاجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) . . . إلى قوله (مِنْ نُّورٍ) قال : يعني بالظلمات : الأعمال ، وبالبحر اللجِّيُّ : قلب الإنسان ، قال : يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ، قال : ظلمات بعضها فوق بعض ، يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهو كقوله (حَمَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) . . . الآية ، وكقوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) . . . إلى قوله (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) عميق ، وهو مثل ضربه الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة ، قال (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) .

(١) قال الشوكاني في فتح القدير (٤ : ٣٨) ومن غرائب التفسير : أن سبحانه وتعالى أراد بالظلمات أعمال الكافر ، وبالبحر اللجِّي قلبه ، وباللجج : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة . والسحاب : الرين والحتم والطبع على قلبه . وهذا تفسير هو عن لغة العرب بمكان بعيد . اه .

وروي عن أبي بن كعب، ما حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قوله (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ يَغْشَاهُ مَوْجٌ) . . . الآية، قال: ضرب مثلاً آخر للكافر، فقال: (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ) . . . الآية، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة، إلى النار. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر الرازي، عن أبي الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحِيمِ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) . . . إلى قوله (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) قال: شرّ بعضه فوق بعض: وقوله (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ كَمْ يَكْتَدُ بِرَأْيَا) يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات، لم يكد يراها. فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكد يراها، مع شدة هذه الظلمة التي وصف، وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية، ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه، فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها، ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده راثياً لها لم يكد يراها: أي لم يعرف من أين يراها، فيكون من المقدم الذي معناه التأخير، ويكون تأويل الكلام على ذلك: إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها. والثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها، ويكون قوله (كَمْ يَكْتَدُ) في دخوله في الكلام، نظير دخول الظنّ فيهما هو يقين من الكلام، كقوله (وَتَسْتَوْسِقُونَ مِنْ مَحِيصٍ) ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بقاء وجهه، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه، ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها، قول أوضح من جهة التفسير، وهو أخفى معانيه. وإنما حسن ذلك في هذا الموضع، أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر، لأن ذلك مشل لاخبر عن كائن كان (وَمَنْ كَمْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا) يقول: من لم يبرزه الله إيماناً وهدى من الضلالة، ومعرفة بكتابه، (فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ) يقول: فماله من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ، كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)

(١) في فتح القدير للشوكاني (طبعة الحلبي ٤ : ٣٨) قال الزجاج وأبو عبيدة: لم يرها ولم يكد. وقال الفراء: إن كاد زائدة. وقال المحقق الرضي في شرحه لكافية بن الحاجب (٢ : ٣٠٦) إن نون القرب من الفعل، أبلغ في انتفاء ذلك الفعل، من نون الفعل نفسه؛ فإن ما قربت من الضرب، أكد في نون الضرب من ما ضربت. اهـ.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والأرض ، من ملك وإنس وجن ( والطَّيْرُ صَافَاتٍ ) الهراء أيضا تسبيح له ( كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، والتسبيح عندك صلاة ، فيقال : قيل : إن الصلاة لبني آدم ، والتسبيح لغيرهم من الخلق ، ولذلك فصل فيما بين ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ، كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : والصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ، كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : صلته : للناس ، وتسبيحه : عامة لكل شيء .

ويتوجه قوله ( كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) لوجوه : أحدها : أن تكون الهاء التي في قوله ( صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) من ذكر كل ، فيكون تأويل الكلام : كل مصلى ومسيح منهم قد علم الله صلته وتسبيحه ، ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله ( كَلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، وهو الهاء التي في الصلاة .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ، ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في ( عَلِيمَ ) ، ويكون ( عَلِيمَ ) فعلا للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مصلى ومسيح منهم صلاة نفسه وتسبيحه ، الذي كلفه وألزمه .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله ، والعلم للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مسبح ومصلى صلاة الله التي كلفه إياها ، وتسبيحه . وأظهر هذه المعاني الثلاثة ، على هذا الكلام : المعنى الأول ، وهو أن يكون المعنى : كل مصلى منهم ومسبح ، قد علم الله صلته وتسبيحه .

وقوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يفعل كل مصلى ومسيح منهم ، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم ، طاعتها ومعصيتها ، محيط بذلك كله ، وهو مجازيهم على ذلك كله .

وقوله ( وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول جل ثناؤه : والله سلطان السموات والأرض وملكها ، دون كل من هو دونه من سلطان وملك ، فلا يهواه فارهوا أيها الناس ، وإليه فارغبوا ، لا إلى غيره ، فإن بيده خزائن السموات والأرض ، لا يخشى بعباياكم منها فقرا . ( وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ) : يقول : وأنتم إليه

(١) يظهر أن في الكلام سقطا . تقديره : فإن قيل : ما فائدة عطف « وتسبيحه » على صلته . . . الخ . بدليل قوله : قيل . . . الخ وهو جواب عن سؤال .

بعد وفاتكم ، مصيركم ومعادكم ، فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، فأحسنوا عبادته ، واجتهدوا في طاعته ، وقدّموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقِ السَّحَابَ ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَرِ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنْ اللَّهَ يَرْزُقِي ) يعني . يسوق ( السَّحَابًا ) حيث يريد . ( ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ) يقول : ثم يؤلف بين السحاب ، وأضاف بين إلى السحاب ، ولم يذكر معه غيره ، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين ، لأن السحاب في معنى جمع ، واحده سحابة ، كما يجمع النخلة : نخئل ، والتمر : تمر ، فهو نظير قول قائل : جلس فلان بين النخل ، وتأليف الله السحاب : جمعه بين متفرقها .

وقوله ( ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا ) يقول : ثم يجعل السحاب الذي يزجيه ، ويؤلف بعضه إلى بعض ( رُكَّامًا ) : يعني : متراكما بعضه على بعض .

وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا خالد ، قال : ثنا مطر ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبيد بن عمير الليثي ، قال : الرياح أربع : يبعث الله الريح الأولى ، فتتم الأرض قسماً ، ثم يبعث الثانية ، فتنشئ سحاباً ، ثم يبعث الثالثة ، فتؤلف بينه ، فتجعله رُكَّاماً ، ثم يبعث الرابعة فتطره .

وقوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) يقول : ترى المطر يخرج من بين السحاب ، وهو الْوَدْقُ ، قال الشاعر :

فَلَا مَزْنَةَ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلِ إِبْقَالَهَا

والهاء في قوله ( مِنْ خِلَالِهِ ) من ذكر السحاب ، والخلال : جمع خكل . وذُكِرَ عن ابن عباس وجماعة ، أنهم كانوا يقرعون ذلك ( مِنْ خِكْلِهِ ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا حيرم بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا قتادة ، عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : مِنْ خِكْلِهِ .

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي (اللسان : ودق) قال : الودق المطر كله : شديده وهينه . وقد ودق يدق ودقا : أي قطر . قال عامر بن جوين الطائي : « فلا مزنة . . . البيت » . والمزنة : السحابة . واستشهد المؤلف بالبيت على أن معنى الودق : المطر .

قال : ثنا شُعْبَةُ ، قال : أخبرني عُمارَةُ ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأ هذا الحرف ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِيَالِهِ ) : من خَلَّكِهِ .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرني عُمارَةُ بن أبي حفصة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( مِنْ خَلَّكِهِ ) بفتح الخاء ، من غير ألف . قال هارون : فذكرت ذلك لأبي عمرو ، فقال : إنها لحسنة ، ولكن خيالُه أعم .

وأما قرء الأمصار ، فإنهم على القراءة الأخرى : من خيالِه ، وهي التي نختار ، لإجماع الحجّة من القراء عليها . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِيَالِهِ ) قال : الودق : القطر ، والخيال : السحاب .

وقوله ( وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ) : قيل في ذلك قولان : أحدهما : أن معناه : وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برّد ، مخلوقة هنالك خلقة ، كأن الجبال على هذا القول ، هي من برّد ، كما يقال : جبال من طين . والقول الآخر : أن الله ينزل من السماء قدر جبال ، وأمثال جبال من برّد إلى الأرض ، كما يقال : عندي بيتان تبنا . والمعنى : قدر بيتين من التبن ، والبيتان ليسا من التبن . وقوله ( فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ) يقول : فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء ، من جبال فيها من برّد ، من يشاء فيهلكه ، أو يهلك به زروعه وماله ( وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ) من خلقه ، يعنى عن زروعهم وأموالهم .

وقوله ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) : يقول : يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره ، والسنا : مقصور ، وهو ضوء البرق .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ) قال : ضوء برقه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ ) يقول : كَمَعَانِ البرق يذهب بالأبصار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) قال : سناه : ضوء يذهب بالأبصار .

وقرأت قرء الأمصار ( يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ ) بفتح الياء من يذهب ، سوى أبي جعفر القاري ، فإنه قرأه بضم الياء ( يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ) .

والقراءة التي لا تختار غيرها هي فتحها ، لإجماع الحجّة من القراء عليها ، وأن العرب إذا أدخلت الياء في مفعول ذهبت ، لم يقولوا : إلا ذهبت به ، دون أذهبت به ، وإذا أدخلوا الألف في أذهبت ، لم يكادوا أن يدخلوا الياء في مفعوله ، فيقولون : أذهبت به ، وذهبت به .

وقوله ( يُتْلَى اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ) يقول : يُعْتَقِبُ اللهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وإذا أذهب هذا



جاء هذا ، وإذا أذهب هذا ، جاء هذا ( إن في ذلك لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ) يقول : إن في إنشاء الله السحاب ، وإنزاله منه الودق ، ومن السماء البرد ، وفي تقليبه الليل والنهار ، لعبرة لمن اعتبر به ، وعظة لمن انعظ به ، ممن له فهم وعقل ، لأن ذلك ينبي ويدل على أن له مدبراً ومصرفاً ومقلباً ، لا يشبهه شيء .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) فقرأته عامة قراءة الكوفة غير عاصم : ( وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ ) وقراءته عامة قراءة المدينة والبصرة وعاصم ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) بنصب كل ، وخلق على مثال فَعَلَّ ، وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك « خالق » تدل على أن معنى ذلك المضي ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وقوله ( خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) يعني : من نطفة ، ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ) كالحيات وما أشبهها ، وقيل إنما قيل : ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ ) والمشى لا يكون على البطن ، لأن المشى إنما يكون لما له قوائم ، على التشبيه ، وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له ، جاز ، كما قال ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ) كالطير ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ) كالبهائم .

فإن قال قائل : فكيف قيل : فمنهم من يمشى ، ومن للناس ، وكل هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم ؟ قيل : لأنه تفريق ما هو داخل في قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) وكان داخلاً في ذلك الناس وغيرهم ، ثم قال : فمنهم ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم ، فكفى عن جميعهم كناية عن بني آدم ، ثم فسره بمن ، إذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة . ( يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يقول : يحدث الله ما يشاء من الخلق ( إن الله على كل شيء قدير ) يقول : إن الله على إحداث ذلك وخلقها ، وخلق ما يشاء من الأشياء غيره ، ذو قدرة لا يتعدر عليه شيء أراد .

## القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات ، دالات على طريق الحق ، وسبيل الرشاد . ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ) يقول : والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه ، فيهديه إلى دين الإسلام ، وهو الصراط المستقيم ، والطريق القاصد ، الذي لا عوجاج فيه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ، ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا

أُولَئِكَ يَا لَأْمُومِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ  
مُعْرِضُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله وأطعنا الرسول، (مُمَّ يَتَوَكَّلِي فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) يقول: ثم تدبير كل طائفة منهم، من بعد ما قالوا هذا القول، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها. (وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ) يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعنى قوله (آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا) بالمؤمنين، لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإعراضهم عنه إذا دُعُوا إِلَيْهِ. وقوله (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) يقول: وإذا دُعِيَ هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسول الله (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) فيما اختلفوا فيه بحكم الله (إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبول الحق، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَلِ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ، أَمْ أَرْتَابُونَ؟ أَمْ يَخَافُونَ  
أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ؟ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قبيل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله، يأتوا إلى رسول الله مذعنين، يقول مذعنين: متقادين لحكمه، مقرين به، طائعين غير مكرهين؛ يقال منه: قد أذعن فلان بحقه: إذا أقر به طائعا غير مستكره، وانقاد له وسلم.

وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك، ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله (يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) قال: سیراعا.

وقوله (أَلِ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه لله رسول، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه، والرضا به (أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ) إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله، وحكم رسوله، وقال (أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ) والمعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره، تعظيما لله، كما يقال: ما شاء الله، ثم شئت، بمعنى: ماشئت. ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك، قوله (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) فأفرد الرسول بالحكم، ولم يقل: ليحكموا. وقوله (بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ عرضوا عن الإجابة إلى ذلك، مما دُعُوا إِلَيْهِ، أن يحيف عليهم رسول الله، فيجور في حكمه عليهم، ولكنهم

قوم أهل ظلم لأنفسهم ، بخلافهم أمر ربهم ، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أحبوا وكرهوا ، والتسليم له .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا،  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله ، (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ) وبين خصومهم (أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا) ما قيل لنا ، (وَأَطَعْنَا) من دعانا إلى ذلك . ولم يُعَنَّ بكان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ، ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم ، وتأديب منه آخرين غيرهم . وقوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) يقول تعالى ذكره : والذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . (المفلحون) : يقول : هم المنجِحون المدركون طلباتهم ، بفعلهم ذلك ، المخلدون في جنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ، ويسلم لحكما له وعليه ، ويحفظ عاقبة معصية الله ويحذره ، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه (فَأُولَئِكَ) يقول : فالذين يفعلون ذلك ، هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة ، وأمنهم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ : لَنْ أَمْرَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ ، قُلْ لَا تُقْسِمُوا ، طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ دعوا إليه (بالله جهداً أيمانهم) يقول : أغلظ أيمانهم وأشدّها : (لَنْ أَمْرَهُمْ) يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين (لِيَخْرُجُنَّ) : لا تخلفوا ، فإن هذه (طاعة معروفة) منكم ، فيها التكذيب . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ) قال : قد عرفت طاعتكم إلى أنكم تكذبون (إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) : يقول : إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله ، أو خلافتكم أمرهما ، أو غير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم بكل ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،

وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره ( قُلْ ) يا محمد هؤلاء المقسمين بالله جهداً أيمانهم لئن أمرتهم ليخترجنّ ، وغيرهم من أمتك ( أَطِيعُوا اللَّهَ ) أيها القوم ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ( وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) فإن طاعته لله طاعة . ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) يقول : فإن تعترضوا وتذبذبوا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو نهاكم عنه ، وتأبوا أن تزدعبنوا لحكمه لكم وعليكم . ( فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ) يقول : وإنما عليه فعل ما أمر بفعله ، من تبليغ رسالة الله إليكم ، على ما كلفه من التبليغ ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) يقول : وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألتزمكم ، وأوجب عليكم ، من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتهاج إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم . وقلنا : إن قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) بمعنى : فإن تولوا ، فإنه في موضع جزم ، لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ( أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ) يدل على أن ذلك كذلك ، قوله ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ) ، ولو كان قوله ( تَوَلَّوْا ) فعلاً ماضياً ، على وجه الخبر عن غيب ، لكان في موضع قوله ( وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا )

وقوله ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) يقول تعالى ذكره : وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ، تترشدوا ، وتصيبوا الحق في أموركم ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) يقول : وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته ، بلاغاً يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به ، يقول : فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم ، وعليكم الطاعة ، وإن أظعتموه لحظوظ أنفسكم تصيبون ، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون . ٢

## القول في تأويل قوله تعالى

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يُعْبُدُونََنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ) بالله ورسوله ( مِنْكُمْ ) أيها الناس ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) يقول : وأطاعوا الله ورسوله فيما أمره ونهاه ( لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : لسيورثهم الله أرض المشركين من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وسامتها ( كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) يقول : كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل ، إذ أهلك الجبابرة بالشام ، وجعلهم ملوكها

(١) كأنه على تقدير الفاء في جواب الشرط ، أي فلحظوظ . . الخ .

(٢) كان الأول أن يقول : وإن عصيتموه فلا أنفسكم توبقون .

وسكانها ( وَلَيَسْمَكَنَّ كُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ) يقول : وليوطن لهم دينهم ، يعنى ملتهم التي ارتضاها لهم ، فأمرهم بها . وقيل : وعد الله الذين آمنوا ، ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ( لَيَسْتَخْلَفَنَّهُمْ ) لأن الوعد قول يصلح فيه « أن » ، وجواب اليمين كقوله : وعدتك أن أكرمك ، ووعدتك لأكرمك .  
واختلف القراء في قراءة قوله ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) فقرأته عامة القراء ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) بفتح التاء واللام ، بمعنى : كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم . وقرأ ذلك عاصم ( كَمَا اسْتُخْلِفَ ) بضم التاء ، وكسر اللام ، على مذهب ما لم يسم فاعله .

واختلفوا أيضا في قراءة قوله ( وَلَيَسْبُدَنَّ لَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( وَلَيَسْبُدَنَّ لَهُمْ ) بتشديد الدال ، بمعنى : وليغيرن حالهم عما هي عليه ، من الخوف إلى الأمن ، والعرب تقول : قد بُدِّل فلان : إذا غيرت حاله ، ولم يأت مكان فلان غيره ، وكذلك كل مغير عن حاله ، فهو عندهم مبدل بالتشديد . وربما قيل بالتخفيف ، وليس بالفصح . فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره ، فذلك بالتخفيف : أبْدَلته فهو مبدل . وذلك كقولهم : أبْدَل هذا الثوب : أى جعل مكانه مكانه آخر غيره ، وقد يقال بالتشديد ، غير أن الفصح من الكلام ما وصفت . وكان عاصم يقرؤه ( وَلَيَسْبُدَنَّ لَهُمْ ) بتخفيف الدال .

والصواب من القراءة في ذلك : التشديد ، على المعنى الذى وصفت قبل ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه ، وأن ذلك تغيير حال الخوف إلى الأمن ، وأرى عاصمًا ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف ، وجه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف ، وجاء بحال الأمن ، فحُفِّف ذلك .  
ومن الدليل على ما قلنا ، من أن التخفيف إنما هو ما كان في إبدال شيء مكان آخر ، قول أبي النجم :

• عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ ١ •

وقوله ( يَعْْبُدُونَنِي ) يقول : يخضعون لى بالطاعة ، ويتذللون لأمرى ونهى ( لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) يقول : لا يشركون في عبادتهم إياى الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها ، بل يخلصون لى العبادة ، فيفردونها لى ، دون كل ما عبُد من شيء غيرى . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه ، في بعض الأوقات التي كانوا فيها من العدو في خوف شديد ، مما هم فيه من الرعب والخوف ، وما يلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قوله ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الآية ، قال : « مكث النبي صلى الله عليه وسلم عشرة سنين خائفا ، يدعو إلى الله سرا وعلاية ، قال : ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فكث بها

(١) البيت من مشطور الرجز ، لأبي النجم العجل الراجز (اللسان : بدل) قال : قال أبو العباس (يعنى ثعلبا) وحقيقته : أن التبدل تغير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها ، الإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى . منه قول أبي النجم • عزل الأمير للأمير المبدل • ألا ترى أنه نعى جسما ، وجعل مكانه جسما غيره ؟

هو وأصحابه خائفون ، يُصَبِّحُونَ فِي السَّلَاحِ ، وَيُمْسُونَ فِيهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا بَأْسُ عَلَيْنَا يَوْمَ نَأْمَنُ فِيهِ ، وَنَضَعُ عَنَّا السَّلَاحَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تَعْتَبِرُونَ إِلَّا بِسَيْرٍ ، حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنَكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُخْتَبِئًا فِيهِ ، لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ يَدْعُو ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ) . . . إِلَى قَوْلِهِ ( فَكَفَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ ) « قَالَ يَقُولُ : مَنْ كَفَرَ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ( فَأَوْلَيْتُكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) وَلَيْسَ بِعَنَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ . قَالَ : فَظَاهَرَهُ اللَّهُ عَلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، فَآمَنُوا ، ثُمَّ تَجَسَّسُوا ، فَغَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِمْ ، وَكَفَرُوا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ ، فَأَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخُوفَ الَّذِي كَانَ رَفَعَهُ عَنْهُمْ ، قَالَ الْقَاسِمُ : قَالَ أَبُو عَلِيٍّ ٢ : بِقَتْلِهِمْ عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله ( فَكَفَرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ ) فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله .

وروى عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبي الشعثاء ، قال : كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود ، فقال حذيفة : ذهب النفاق ، وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، قال : فضحك عبد الله ، فقال : لم تقول ذلك ؟ قال : علمت ذلك ، قال ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) . . . حَتَّى بَلَغَ آخِرَهَا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي الشعثاء ، قال : قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة ، فقال حذيفة : ذهب النفاق فلا نفاق ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، فقال عبد الله : تعلم ما تقول ؟ قال : فتلا هذه الآية ( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) . . . حَتَّى بَلَغَ ( فَأَوْلَيْتُكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) قال : فضحك عبد الله ، قال : فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام ، فقلت : من أي شيء ضحك عبد الله ؟ قال : لأدري ، إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه ، وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه ، فمن أي شيء ضحك ؟ لأدري . والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية ، أنه منعم به عليهم ، ثم قال عقيب ذلك : فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك ( فَأَوْلَيْتُكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قول : ( يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : لا يخافون غيري .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ، وَلَيْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

(١) في فتح القدير للشوكاني (٤ : ٤٧) ليست فيهم جديدة . ولعلها رواية أخرى . (٢) لعله أبو العالية ، راوى الحديث .

يقول تعالى ذكره ( وأقيموا ) أيها الناس ( الصلاة ) بحدودها ، فلا تضيعوها ( وآتوا الزكاة ) التي فرضها الله عليكم أهلها ، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ( لتعلمنكم ) ترتمون ) يقول : كفى برحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه ، وقوله ( لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ) يقول تعالى ذكره : لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض ، إذا أراد إهلاكهم ( وما وأهم ) بعد هلاكهم ( النار ) ، ولتيسر التصير ) الذي يصيرون إليه ذلك المأوى . وقد كان بعضهم يقول : لا يحسبن الذين كفروا بالياء ، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية ، وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين . وإذا قرئ ( يحسبن ) لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد ، غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين ، وأن منصوبه الثاني في الأرض ، وذلك لأمعنى له إن كان ذلك قصد .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ، طَوَّفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) فقال بعضهم : عني بذلك : الرجال دون النساء ، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم في هذه الأوقات الثلاثة ، هؤلاء الذين آمنوا في هذه الآية إلا بإذن .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قوله : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هي على الذكور دون الإناث . وقال آخرون : بل عني به الرجال والنساء .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هي في الرجال والنساء ، يستأذنون على كل حال ، بالليل والنهار .  
 وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عني به الذكور والإناث ، لأن الله عم بقوله ( الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) جميع أملاك أيماننا ، ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل .

فتأويل الكلام : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم ، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم .

( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) يقول : والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرّات ، يعني ثلاث مرّات ، في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) قال : عبيدكم المملوكون ( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) قال : لم يحتلموا من أحراركم .

قال ابن جرير : قال لي عطاء بن أبي رباح : فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن ، كما قال ( ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) قالوا : هي العتمة ، قلت : فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة ، استأذنوا عليهم حتى يصبحوا ، قال نعم : قلت لعطاء : هل استأذنتهم إلا عند وضع الناس ثيابهم ؟ قال لا :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن صالح بن كيسان ويعقوب ابن عتبة ، وإسماعيل بن محمد ، قالوا : لا استأذنان على خدام الرجل عليه ، إلا في العورات الثلاث :

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول : إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء ، فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا باذن ، حتى يصلّي الغداة ، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني قرة بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن ثعلبة ، عن أبي مالك القرظي ، أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإذن في العورات الثلاث ، فقال : إذا وضعت ثيابي من الظهر ، لم يلبح عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ، ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار ، إلا بإذن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جرير ، قال : سمعت عطاء يقول : قال ابن عباس : ثلاث آيات جحد هنّ الناس : الإذن كله ، وقال ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) وقال الناس : أكرمكم أعظمكم بيتا ، ونسيت الثالثة :

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في هذه الآية : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : كان الحسن يقول : إذا أبات الرجل خادمه معه ، فهو إذنه ، وإن لم يبتعه معه ، استأذن في هذه الساعات :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي في قوله ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : لم تُنسخ ، قلت : إن الناس لا يعملون به ، قال الله المستعان .



قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي ، وسألته عن هذه الآية ( لَيْسَتْ أَدِينُكُمْ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَأُولَئِكَ يَلْمِزُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَأُولَئِكَ يَلْمِزُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ وَأُولَئِكَ يَلْمِزُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ ) قلت : منسوخة هي ؟ قال : لا والله ما نسخت ، قلت : إن الناس لا يعملون بها ، قال : الله المستعان :

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : إن ناسا يقولون نسخت ، ولكنها مما يتهاون الناس به .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ( يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَأْذِنُ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَتْ بِهِ مِنَ الْكِتَابِ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : لا يعمل بها اليوم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة ، أنه سمع القاسم بن محمد يسأل عن الإذن ، فقال : يستأذن عند كل عورة ، ثم هو طواف ، يعني الرجل على أمه :

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : أخبرني رجل من أهل الطائف ، عن غيلان بن شريحيل ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَغْلِبُ بَيْنَكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ » وَإِنَّمَا الْعَتَمَةُ عَتَمَةُ الْإِبِلِ .

وقوله ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة : ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) برفع الثلاث ، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت ، كأنه عندهم قيل : هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن ، ثلاث عورات لكم ، لأنكم تضعون فيها ثيابكم ، وتخلون بأهلكم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ ) بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الأولى . وكان معنى الكلام عندهم : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، ثلاث عورات لكم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيح .

وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) يقول تعالى ذكره : ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ، ولا عليهم ، يعني : ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء ، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهن ، يعني بعد العورات الثلاث ، والهاء والنون في قوله ( بَعْدَ هُنَّ ) عائدتان على الثلاث من قوله ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) ، وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس ، أن يدخل عليهم مما يليكهم البالغون ، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث ، اللاتي ذكرهن في قوله ( مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنْ الظَّهْرِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن ، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر ، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء ، أنه رخص لخدام الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن ، قال : وهو قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ) فأما من بلغ الحُلُم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال : وقوله ( طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) رفع الطوائفون بمضمر ، وذلك هم ، يقول هؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوائفون عليكم أيها الناس ، ويعني بالطوائفين : أنهم يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن ، يطوفون عليهم ، بعضكم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ) يقول جل ثناؤه : كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية ، كذلك بين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بما يصلح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم ، وغير ذلك من أموره .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : وإذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ، ويعني بقوله ( مِنْكُمْ ) من أحراركم : ( الْحُلُمَ ) يعني الاحتلام واحتلموا ( فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) يقول : فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن ، لافي أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها . وقوله ( كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) : يقول : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار ، وخصّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر ، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان ، دون ذكر ماملكت أيماننا ، وقد تقدمت الآية التي قبلها ، بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك ، لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد ، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم ، في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : أما من بلغ الحُلُم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله ، يعني من الصبيان الأحرار ، إلا بإذن على كل حال ، وهو قوله ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء ( وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ) قال : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا ، على من كان من الناس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب ، قال : يستأذن الرجل على أمه ، قال : إنما أنزلت ( وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ) في ذلك ( كذلك يبسئ الله لكم آياته ) يقول : هكذا بين الله لكم آياته ، أحكامه وشرايع دينه ، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ ( والله عليكم حكيم ) يقول : والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء ، حكيم في تدييره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : واللواتي قد قعدن عن الولد ، من الكبر ، من النساء ، فلا يحضن ولا يلدن ، واحدهن قاعد ( اللاتي لا يترجون نكاحا ) يقول : اللاتي قد يئسن من البعولة ، فلا يطمعن في الأزواج ( فليست عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) يقول : فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن ، يعني جلابيهم ، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار ، والرداء الذي يكون فوق الثياب ، لاجراج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال ، وغير المحارم من الغرباء ، غير متبرجات بزينة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( والقواعد من النساء اللاتي لا يترجون نكاحا ) وهي المرأة لاجتراح عليها أن تجلس في بيتها بديرع وخمار ، وتضع عنها الجلاب ، ما لم تتبرج لما يكره الله ، وهو قوله ( فليست عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ) ثم قال ( وأن يستعففن خير لهن ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( يضعن ثيابهن ) يعني : الجلاب ، وهو القناع ، وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد ، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الخمار . وأما كل امرأة مسلمة حرة ، فعليها إذا بلغت الخيض أن تدين الجلاب على الخمار . وقال الله في سورة الأحزاب ( يدنين عليهن من جلابيهن ) ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين ) وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى ، حسب

المنافقون أنها مزينة ، وأنها من بغيتهم ، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ، ولا يعلمون الحرمة من الأمة ، فأنزل الله في ذلك ( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) يقول : إذا كان زيهن حسنا ، لم يطمع فيهن المنافقون :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله ( والقوا عيد من النساء ) التي قعدت من الولد وكبرت . قال ابن جريج : قال مجاهد : ( اللاتي لا يرجون نكاحا ) قال : لا يردنه ( فليئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : جلابيبهن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والقوا عيد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا ، فليئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ) قال : وضع الخمار ، قال : التي لا ترجو نكاحا ، التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ، ولا للرجال فيها حاجة ، فإذا بلغت ذلك وضعن الخمار ، غير متبرجات بزينة ، ثم قال ( وأن يستعفين خبيرهن ) كان أبي يقول هذا كله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ذر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، في قوله ( فليئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الجلاب أو الرداء ، شك سفيان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ( لئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الرداء .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مالك ابن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله في هذه الآية ( فليئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : هي الملتحمة .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا وائل قال : سمعت عبد الله يقول في هذه الآية ( فليئس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الجلاب . حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : أخبرني الحكم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، مثله . حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، في قوله ( أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ) قال : هو الرداء .

قال الحسن ، قال : عبد الرزاق ، قال الثوري : وأخبرني أبو حصين وسالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، قال : هو الرداء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( أن يضعن ثيابهن غير متبرجات

بِزِينَةٍ) قال : تضع الجلابب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج . قال الشعبي : فإن أُنِيَّ بن كعب يقرأ ( أنْ يَضَعْنَ مِنْ ثِيَابِهِنَّ ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، قال : قلت لابن أبي نجيح ، قوله ( فَلَئِيسَ عَلَيَّهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال : الجلابب ، قال يعقوب ، قال أبو يونس : قلت له : عن مجاهد ؟ قال : نعم ، في الدار والحجرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَئِيسَ عَلَيَّهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) قال : جلاببهن .

وقوله ( غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) يقول : ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن إذا لم يرُدن بوضع ذلك عنهن ، أن يبدن ما عليهن من الزينة للرجال . والتبرج : هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره . وقوله ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) يقول : وإن تعففن عن وضع جلاببهن وأرديتهن ، فيلبسها ، خير لهن من أن يضعنها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) قال : أن يلبسن جلاببهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) قال : ترك ذلك ، يعني ترك وضع الثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لهنَّ ) والاستعفاف : لبس الخمار على رأسها ، كان أبي يقول هذا كله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ ) ما تنطقون بالسنتكم ( عليكم ) بما تضمرة صدوركم ، فاتقوه أن تنطقوا بالسنتكم ، ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها ، أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم ، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ، وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ يُوتِكُمْ أَوْ يِيوتِ ، أَبَائِكُمْ أَوْ يِيوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ يِيوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ يِيوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ يِيوتِ أُمَّمِكُمْ أَوْ يِيوتِ عَمَمِكُمْ أَوْ يِيوتِ إِخْوَالِكُمْ أَوْ يِيوتِ

خَلْتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا  
أَوْ أَشْتَاتًا ، فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ ، كَذَلِكَ  
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه ، فقال بعضهم : أنزلت هذه  
الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم ، من أجل أنهم  
كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم ، خشية أن يكونوا قد آتوا بأكلهم معهم من طعامهم ،  
شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم ببينكم بالباطل ، إلا أن  
تكون تجارة عن تراض منكم ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ  
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بِيُوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أو أشتاتا ) وذلك لما أنزل الله ( يا أيها الذين  
آمنوا لا تأكلوا أموالكم ببينكم بالباطل ) فقال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا  
بالباطل ، والطعام من أفضل الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكف الناس عن ذلك ،  
فأنزل الله بعد ذلك ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . إلى قوله ( أو ما ملكتم مفاتيحه ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . الآية ، كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم  
لا يخاطبهم في طعامهم أعمى ولا مريض ، فقال بعضهم : إنما كان بهم التقدر والتقرز . وقال بعضهم :  
المريض لا يستوفى الطعام كما يستوفى الصحيح ، والأعرج المنحيس لا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والأعمى  
لا يبصر طيب الطعام ، فأنزل الله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ ) في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج ، فعنى  
الكلام على تأويل هؤلاء : ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج ، أن تأكلوا منه ومعه ، ولا في الأعرج  
حرج ، ولا في المريض حرج ، ولا في أنفسكم ، أن تأكلوا من بيوتكم ، فوجهوا معنى « على » في هذا  
الموضع إلى معنى « في » . . .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانة ، في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه  
الآية ، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ،  
ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم ، أو بعض من سمى الله في هذه الآية ، فكان أهل الزمانة يتخوفون من  
أن يطعموا ذلك الطعام ، لأنه أطعمهم غير ملكه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ) قال : كان رجال زَمَسِي . قال ابن عمرو في حديثه : مُخْمِيَان وَعُرْجَان . وقال الحارث : مُخْمِيَانٌ عُرْجٌ أُولُو حَاجَةٍ ، يَسْتَتِبِعُهُمْ رِجَالٌ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، فَلَمَّ لَمْ يَجِدُوا طَعَامًا ذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى بُيُوتِ آبَائِهِمْ ، وَمِنْ عَدَدِ مَنْهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ الْمُسْتَتَبِعُونَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) ، وَأَحْلَى لَهُمُ الطَّعَامَ حَيْثُ وَجَدُوهُ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه ، أو إلى بيت أخيه ، أو عمه ، أو خاله ، أو خالته ، فكان الزماني يتحرّجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث ابن عمرو ، عن أبي عاصم .

وقال آخرون : بل نزلت ترخيصا لأهل الزمالة الذين وصفهم الله في هذه الآية ، أن يأكلوا من بيوت من خالفهم في بيوتهم من الغزاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : قلت للزهري ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ما بال الأعمى ذكر هاهنا ، والأعرج والمريض ، فقال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزوا خالفوا زمناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا ، وكانوا يتحرّجون من ذلك ، يقولون : لاندخلها وهم غيب ، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم .

وقال آخرون : بل عني بقوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ) في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، قالوا : وقوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) كلام منقطع عما قبله .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ) قال : هذا في الجهاد في سبيل الله ، وفي قوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أَوْ صَدِيقِكُمْ ) قال : هذا شيء قد انقطع ، إنما كان هذا في الأول ، لم يكن لهم أبواب ، وكانت الستور مرفوعة ، فربما دخل الرجل

البيت وليس فيه أحد، وربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا أخرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية ترخيصة للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن قيس بن مسلم، عن مِقْسَم، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) قال: كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج، فنزلت ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ).

واختلفوا أيضا في معنى قوله ( أَوْ مَا مَسَّكُمْ مَقَاتِحُهُ ) فقال بعضهم: عنى بذلك: وكيل الرجل وقبضته، أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته، ونحو ذلك.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ( أَوْ مَا مَسَّكُمْ مَقَاتِحُهُ ) وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر، ويشرب اللبن.

وقال آخرون: بل عني بذلك: منزل الرجل نفسه، أنه لا بأس عليه أن يأكل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ( أَوْ مَا مَسَّكُمْ مَقَاتِحُهُ ) يعني: بيت أحدهم، فإنه يملكه، والعبيد منهم مما ملكوا.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، في قوله ( أَوْ مَا مَسَّكُمْ مَقَاتِحُهُ ) مما تحبون يا بن آدم:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال ( أَوْ مَا مَسَّكُمْ مَقَاتِحُهُ ) قال: خزائن لأنفسهم، ليست لغيرهم.

وأشبه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . إلى قوله ( أَوْ صَدِّيقُكُمْ ) القول الذي ذكرنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك أن أظهر معاني قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ )، ولا على الأعرج حرجٌ: أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُموا في هذه الآية، أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على ما أباح لهم من الأكل منها، فإذا كان ذلك أظهر معانيه، فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعرف من معانيه، أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذا كان ذلك كذلك، كان ماخالف من التأويل قول من قال: معناه: ليس في الأعمى والأعرج حرج، أولى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّنْ بِيُوتِكُمْ ) أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء



والزَّمْسِيُّ الذين ذكرهم قبل في الخطاب ، فقال : أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبير الغائب والمخاطب ، غَلَّبَتِ المخاطب ، فقالت : أنت وأخوك قعماً ، وأنت وزيد جلستما ، ولا تقول : أنت وأخوك جلسا ، وكذلك قوله ( وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض ، غَلَّبَ المخاطب ، فقال : أن تأكلوا ، ولم يقل : أن يأكلوا .

فإن قال قائل : فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه ، كان لهم حللاً ، إذ كان ملكاً لهم ، أو كان أيضاً حللاً لهم الأكل من مال غيرهم ؟ قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ، ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله ابن عبد الله ، أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم ، وتخلف أهل الزمانة منهم ، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم ، فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام ، فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربه غائب ، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه ، وأذن لهم في أكله ، فإذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال : إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستبغ أكل طعام غير المستبغ ، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك ، لقبيل : ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم ، أو من طعام آباء من دعاكم ، ولم يقل : أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، وكذلك لا وجه لقول من قال : معنى ذلك : ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، لأن قوله ( أن تأكلوا ) خبر ليس ، وأن في موضع نصب على أنها خبر لها ، فهي متعلقة بليس ، فعلوم بذلك أن معنى الكلام : ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته ، لا ما قاله الذين ذكرنا ، من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد . فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، تبين أن معنى الكلام : لا ضيق على الأعمى ، ولا على الأعرج ، ولا على المريض ، ولا عليكم أيها الناس ، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، أو من بيوت آبائكم ، أو من بيوت أمهاتكم ، أو من بيوت إخوانكم ، أو من بيوت أخواتكم ، أو من بيوت أعمامكم ، أو من بيوت عماتكم ، أو من بيوت أخوالكم ، أو من بيوت خالاتكم ، أو من البيوت التي ملكتم مفاتيحها ، أو من بيوت صديقتكم ، إذا أذنوا لكم في ذلك ، عند مغيبهم ومشهدهم . والمفاتيح : الخزائن ، واحدها : مفّتح ، إذا أريد به المصدر ، وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها ، فهي مفّتح ومفاتيح ، وهي هاهنا على التأويل الذي اخترناه جمع مفّتح الذي يفتح به .

وكان قتادة يتأول في قوله ( أو صدّيقكم ) : ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ( أو صدّيقكم ) فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره ، لم يكن بذلك بأس ، قال معمر : قلت لقتادة : أو لا أشرب من هذا الحبّ ، قال : أنت لى صديق .  
وأما قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : كان الغنى من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير ، فرخص لهم في الأكل معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس ، قوله ( أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) قال : كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه ، فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه ، فيقول : والله إنى لأجرح أن آكل معك ، والجرح : الخرج ، وأنا غنى وأنت فقير ، فأمروا أن يأكلوا جميعا ، أو أشتاتا .

وقال آخرون : بل عني بذلك حتى من أحياء العرب ، كانوا لا يأكل أحدهم وحده ، ولا يأكل إلا مع غيره ، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ، ومن شاء منهم مع غيره .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يأفنون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم ، فقال ( لئیس علیکم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت بنو كنانة يستحى الرجل منهم أن يأكل وحده ، حتى نزلت هذه الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كانوا لا يأكلون إلا جميعا ، ولا يأكلون متفرقين ، وكان ذلك فيهم دينا ، فأنزل الله : ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى ، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لئیس علیکم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) قال : كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ، ومنهم من لا يأكل إلا جميعا ، فقال الله ذلك .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت ( لئیس علیکم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) في حتى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده ، كان يحمله بعض يوم ، حتى يجد من يأكله معه ، قال : وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة .

وقال آخرون : بل عني بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف الإلمع ضيفهم ، فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح وعكرمة ، قالا : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف ، لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم ، فرخص لهم ، قال الله ( لا جناح علیکم أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ) .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وضع الخرج عن المسلمين ، أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا ، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدثنا ، وبسبب

غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه . والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل ، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل .  
وقوله ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم ، فسلموا على أهل بيوتكم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري وقتادة في قوله ( فسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قالوا : بيتك إذا دخلته ، فقل : سلام عليكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : سلم على أهلك . قال ابن جريج ، وسئل عن عطاء بن أبي رباح : أحق على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم ، قال : نعم ، وقالها عمرو بن دينار ، وتكلموا ( فإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ( تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال : ما رأيته إلا يوجهه .  
قال ابن جريج ، وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم .  
قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : إذا خرجت أوجب السلام ، هل أسلم عليهم ؟ فإنما قال ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ) قال : ما أعلمه واجبا ، ولا آثر عن أحد وجوبه ، ولكن أحب إلي ، وما أدعه إلا ناسيا .

قال ابن جريج ، وقال عمرو بن دينار : لا ، قال : قلت لعطاء : فإن لم يكن في البيت أحد ؟ قال : سلم ، قل : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله ، قلت له : قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ممن تآثره ؟ قال : سمعته ولم يؤثرني عن أحد .

قال ابن جريج ، وأخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : السلام علينا من ربنا ، وقال عمرو بن دينار : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .  
حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا صدقة ، عن زهير ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، قال : ما رأيته إلا يوجهه .

حدثنا محمد بن عباد الرازي ، قال : ثنا حجاج بن محمد الأعمش ، قال : قال لي ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول ، فذكر مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) يقول : سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم ، وعلى غير أهاليكم ، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم .  
وقال آخرون : بل معناه : فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : هي المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتك فقل : السلام عليكم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم ، فليسلم بعضهم على بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ، فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) أى ليسلم بعضهم على بعض ، كقوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخل المسلم سلم عليه ، كمثل قوله ( لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) إنما هو : لا تقتل أخاك المسلم .

وقوله ( ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ) قال : يقتل بعضهم بعضا ، قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ :  
وقال آخرون : معناه : فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد ، فسلموا على أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، قال : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين ، فقل مثل ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سينان ، عن ماهان ، قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، قال : تقولوا : السلام علينا من ربنا .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة عن منصور ، قال شعبة : وسأله عن

هذه الآية (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) قال : قال إبراهيم : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، عن نافع ، أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد ، قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين :  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا منصور ، عن إبراهيم (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) قال : إذا دخلت بيتا فيه يهود ، فقل : السلام عليكم ، وإن لم يكن فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال معناه : فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين ، فليسلم بعضكم على بعض .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله جل ثناؤه قال (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا) ولم يخص من ذلك بيتا دون بيت ، وقال (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) يعني : بعضكم على بعض ، فكان معلوما إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض ، أنه معنى به جميعها ، مساجدها وغير مساجدها . ومعنى قوله (فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ) نظير قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ، وقوله (تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) ونصب تحية ، بمعنى : تحيئون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية ، فكأنه قال : فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله . وقد كان بعض أهل العربية يقول : إنما نصبت بمعنى : أمركم بها ففعلونها تحية منه ، ووصف جل ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة ، لما فيها من الأجر الجزيل ، والثواب العظيم :  
 وقوله (كَذَلِكَ يَسْبِغُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) يقول تعالى ذكره : هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم ، فيبينها لكم ، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها ، وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ، (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)  
 يقول تعالى ذكره : ما المؤمنون بحق الإيمان ، إلا الذين صدقوا الله ورسوله (وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) ،  
 يقول : وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) يقول : على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت ، أو صلاة اجتمع لها ، أو تشاور في أمر نزل (لَّمْ يَذْهَبُوا) يقول : لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ، حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) يقول : إذا كان أمر طاعة لله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال : أمر من طاعة الله عام .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : سألت مكحولاً الشامي إنسان وأنا أسمع ، ومكحول جالس مع عطاء ، عن قول الله في هذه الآية ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) فقال مكحول : في يوم الجمعة ، وفي زحفت ، وفي كل أمر جامع ، قد أمر أن لا يذهب أحد في يوم جمعة حتى يستأذن الإمام ، وكذلك في كل جامع ، ألا ترى أنه يقول ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) .

حدثني يعقوب ، قال : ثني ابن علقمة ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن الحسن ، قال : كان الرجل إذا كانت له حاجة والإمام يخطب ، قام فأمسك بأنفه ، فأشار إليه الإمام أن يخرج ، قال : فكان رجل قد أراد الرجوع إلى أهله ، فقام إلى هرم بن حبان وهو يخطب ، فأخذ بأنفه ، فأشار إليه هرم أن يذهب ، فخرج إلى أهله ، فأقام فيهم ، ثم قدم ، قال له هرم : أين كنت ؟ قال : في أهلي ؟ قال : أباذن ذهبت ؟ قال : نعم ، قمت إليك وأنت تخطب ، فأخذت بأني ، فأشرت إلى أن اذهب فذهبت ، فقال : أفأخذت هذا دغلاً ، أو كلمة نحوها ، ثم قال : اللهم أحرر رجال سوء إلى زمان سوء .

حدثني الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ ) قال : هو الجمعة إذا كانوا معه ، لم يذهبوا حتى يستأذِنوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ) قال : الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو جمعة ، قال : والجمعة من الأمر الجامع ، لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة إلا بإذن سلطان ، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه ، ولا يخرج إلا بإذن ، وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ، ولا يصل إليه ، فالله أولى بالعتق .

وقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول تعالى ذكره : إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع ، عنك إلا بإذنك لهم ، طاعة منهم لله ولك ، وتصديقا بما أتيتهم به من عندي ، أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقاً ، لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله ، فينصرف عنك بغير إذن منك له ، بعد تقدّمك إليه أن لا ينصرف عنك إلا بإذنك . وقوله ( فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ

لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ، فَأُذِّنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فإذا استأذنتك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنتك في هذه المواطن لبعض شأنهم ، يعني لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم ، فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لقضائها ( وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ ) يقول : وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعفو عن تبعات ما بينه وبينهم ( إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ) لذنوب عباده التائبين ( رَحِيمٌ ) بهم أن يعاقبهم عليها ، بعد توبتهم منها .

#### القول في تأويل قول تعالى

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَأَذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( لَا تَجْعَلُوا ) أيها المؤمنون ( دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) .

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : نهى الله بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم ، وقال لهم : اتقوا دعاءه عليكم ، بأن تفعلوا ما يسخطه ، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا ، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس ، فإن دعاءه موجبة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) دعوة الرسول عليكم موجبة ، فاحذروها .

وقال آخرون : بل ذلك نهى من الله أن يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلظ وجفاء ، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يدعوا : يارسول الله ، في لين وتواضع ، ولا يقولوا : يا محمد ، في تجهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يدعوه : يارسول الله ، في لين وتواضع .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) قال : أمرهم أن يفخضوه ويشرفوه .

﴿ وَأُولَى التَّوْبِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصُّوَابِ عِنْدِي : التَّوْبِيلُ الَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي قَبَّلَ قَوْلَهُ ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَتِكُمْ كَدُّعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) نَهَى مِنْ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْ يَأْتُوا مِنَ الانْصِرَافِ عَنْهُ ، فِي الْأَمْرِ الَّذِي يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ ، مَا يَكْرَهُهُ ، وَالَّذِي بَعْدَهُ وَعِيدٌ لِلْمُنْصَرِفِينَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ عَنْهُ ، فَالَّذِي بَيْنَهُمَا بَأَنْ يَكُونَ تَحْذِيرًا لَهُمْ مُخْطَئُهُ ، أَنْ يَضْطَرَّهُ إِلَى الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ ، أَشْبَهَ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَهُمْ بِمَا لَمْ يَجْرُلْهُ ذِكْرٌ ، مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ بِالْقَوْلِ وَالدُّعَاءِ .

وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه ، تسترون وخفية منه ، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يعلم ذلك ، ولا يخفى عليه ، فليتق من يفعل ذلك منكم ، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه ، أن تصيبهم فتنة من الله ، أو يصيبهم عذاب أليم ، فيطبع على قلوبهم ، فيكفروا بالله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن جؤبير ، عن الضحاك ، في قول الله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : كانوا يستتر بعضهم ببعض ، فيقومون ، فقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، قال : يطبع على قلبه ، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه ، فتضرب عنقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : خلافا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : اللواذ : يلوذ عنه ويبروغ : ويذهب بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم ( فَكَلِمَاتٍ لِيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) الذين يصنعون هذا ( أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . الفتنة هاهنا : الكفر ، واللواذ : مصدر لاوذت بفلان ملاءمة وليواذا ، ولذلك ظهرت الواو ، ولو كان مصدرا للذت ل قيل : لياذا ، كما يقال : قمت قياما ، وإذا قيل : قاومتك ، قيل : قواما طويلا . واللواذ : هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، وهذا بهذا ، كما قال الضحاك .

وقوله ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول : أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع ، على صنيعهم ذلك ، وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( فَكَلِمَاتٍ لِيُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ) وأدخلت « عن » ، لأن معنى الكلام : فليحذر الذين يلوذون ، عن أمره ، ويؤيدون عنه معرضين .



القول في تأويل قوله تعالى

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤) .

يقول تعالى ذكره : ألا إن لله ملك جميع السموات والأرض : يقول : فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه ، فيستوجب بذلك عقوبته . يقول : فكذلك أنتم أيها الناس ، لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو ما لكم ، فأطيعوه ، وأتوا بالأمر ، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع ، إلا بإذنه . وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك ، كما حدثني أيضا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) صنعكم هذا أيضا ( وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ) يقول : ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ، ( فَيُنَبِّئُهُمْ ) يقول : فيخبرهم حينئذ ( بِمَا عَمِلُوا ) في الدنيا ، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها ، من خلافهم على ربهم ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم ، وغير ذلك من الأمور ، لا ينبغي عليه شيء ، بل هو محيط بذلك كله ، وهو مؤف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه .

آخر تفسير سورة النور

## تفسير سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)

قال أبو جعفر : تبارك : تفاعل من البركة ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : تبارك : تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدس ربنا ، فقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ) يقول : تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل ، فصلا بعد فصل ، وسورة بعد سورة ، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون محمد بجميع الجن والإنس ، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه ، نذيرا : يعني منذرا ينذرهم عِقابه ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحده ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلصوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

[ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ  
الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَلْكَوْنَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) قال النبي النذير ، وقرأ ( وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا  
نَذِيرٌ ) وقرأ ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ) قال : رسل ، قال : المنذرون : الرسل  
قال : وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ، ذو القرنين ، ثم بلغ السدتين ، وكان نذيرا ، ولم أسمع  
أحدا يُحَقِّقُ أنه كان نبيا ( وأوحى إلى هذا القرآنُ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : من بلغه القرآن  
من الخلق ، فرسول الله نذيره ، وقرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) وقال : لم يرسل  
الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا ، بدأ به الخلق ، فكان رسول أهل الأرض كلهم ، ومحمد صلى الله  
عليه وسلم ختم به .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ، وَآمَنَ بِرَبِّكَ فِي الْمَلِكِ ،

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره : ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ - الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) فالذي الثانية  
من نعت الذي الأولى ، وهما جميعا في موضع رفع ، الأولى بقوله تبارك ، والثانية نعت لها ، ويعنى بقوله ( الَّذِي  
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) الذي له سلطان السموات والأرض يُسْفِذُ في جميعها أمره وقضاه ،  
وَيُمِضِي في كلها أحكامه ، يقول : فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، ومن في سلطانه ، ولا  
يعصوه ، يقول : فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس ، واتبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحق ( وَاَمْ  
يَتَّخِذْ وَلَدًا ) يقول : تكذبا لمن أضاف إليه الولد ، وقال : الملائكة بنات الله ، ما اتخذ الذي نزل  
الفرقان على عبده ولدا ، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافترى على ربه ( وَاَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ  
فِي الْمُلْكِ ) يقول تكذبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ،  
ويقول في تليته : لَسْبِيكَ لِشَرِيكَ لَكَ ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، كذب قائلو هذا القول ، ما كان  
لله من شريك في ملكه وسلطانه ، فيصلح أن يُعْبَدَ من دونه ، يقول تعالى ذكره : فَأَفْرَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ  
لِرَبِّكُمْ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَلُوْهُةَ ، وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، دُونَ كُلِّ  
مَاتَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، فَإِنْ كُلَّ ذَلِكَ خَلَقَهُ وَفِي مَلِكِهِ ، فَلَا  
تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك ، وقوله ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول تعالى ذكره : وَخَلَقَ  
الَّذِي نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْفُرْقَانَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَأَلْشَاءَ كُلِّهَا خَلَقَهُ وَمَلَكَهُ ، وَعَلَى الْمَمَالِكِ طَاعَةَ مَالِكِهِمْ ،  
وَخِدْمَةَ سَيِّدِهِمْ دُونَ غَيْرِهِ ، يقول : وَأَنَا خَالِقُكُمْ وَمَالِكُكُمْ ، فَأَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِي ، وقوله  
( فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ) يقول : فَسَوَّى كُلَّ مَا خَلَقَ ، وَهَيَأَ لِمَا يَصْلِحُ لَهُ ، فَلَا خَلْقَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ :

القول في تأويل قوله تعالى

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ، وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)

يقول تعالى ذكره : مُتَقَرِّعًا مشركي العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ، ومعجباً أولى النهى منهم ، ومنسبهم على موضع خطأ فعلهم ، وذاهبهم عن منهج الحق ، وركوبهم من سبيل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي ، مسلوب العقل ، واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له ملك السموات والأرض وحده ، من غير شريك ، الذي خلق كل شيء فقدره ، آلهة : يعني أصناما بأيديهم يعبدونها ، لا تخلق شيئاً وهي مُتَخَلِّقٌ ، ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها ، ولا ضرراً تدفعه عنها ممن أرادها بضر ، ولا تملك إمامة حتى ، ولا إحياء ميت ، ولا نثره من بعد مماته ، وتركوا عبادة خالق كل شيء ، وخالق آلهتهم ، ومالك الضر والنفع ، والذي بيده الموت والحياة والنشور . والنشور : مصدر نُشِرَ الميت نشورا ، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ، فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤)

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ، الذين اتخذوا من دونه آلهة : ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد (إلا إفك) يعني : إلا كذب وبُهتان (افتراه) اختلقه وتخرّصه بقوله (وأعانه عليه قوم آخرون) ذكر أنهم كانوا يقولون : إنما يُعَلِّمُ محمداً هذا الذي يجئنا به اليهود ، فذلك قوله (وأعانه عليه قوم آخرون) يقول : وأعان محمداً على هذا الإفك الذي افتراه يهود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وأعانه عليه قوم آخرون) قال : يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله : وقوله (فقد جاءوا ظلماً وزوراً) يقول تعالى ذكره : فقد أتى قائلو هذه المقالة ، يعني الذين قالوا : (إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون) ظلماً ، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله ، إلى أنه إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم : وضع الشيء

في غير موضعه ، فكان ظلم قائل هذه المقالة القرآن بقليلهم هذا ، وصفهم إياه بغير صفته . والزور : أصله تحسين الباطل . فتأويل الكلام : فقد أتى هؤلاء القوم في قليلهم ( إن هَذَا إِلَّا إِفْكَ أَفْسَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ) كذباً محضاً .  
وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ) قال : كذباً .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا ، فَهِيَ تُلَعَلُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ : أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ، وأنه المعنى بقوله ( وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ) :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : « ثنا شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النضر بن الحارث بن كندة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، تعلم بها أحاديث ملوك فارس ، وأحاديث رؤسهم وأسفنديار ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلساً ، فذكر بالله ، وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم ، من نعمة الله ، خلقه في مجلسه إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثنا منه ، فهلتموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورؤسهم وأسفنديار ، ثم يقول : ما محمد أحسن حديثنا مني ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمانى آيات من القرآن ، قوله ( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ) وكل ما ذُكِرَ فيه الأساطير في القرآن . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس نحوه ، إلا أنه جعل قوله « فأنزل الله في النضر ثمانى آيات ، » عن ابن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أساطيرُ الأولين ) أشعارهم وكنهاتهم ، وقالها النضر بن الحارث .

فتأويل الكلام : وقال هؤلاء المشركون بالله ، الذين قالوا لهذا القرآن : إن هذا إلا إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذي جاءنا به محمد ، أساطير الأولين ، يعنون أحاديثهم التي كانوا يُسَطِّرونها في كتبهم ، اكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود ، ( فهبي تملى عليك ) يعنون بقوله ( فهبي تملى عليك ) فهذه الأساطير تُقرأ عليه ، من قولهم : أملت عليك الكتاب ، وأملت ( بكثرة وأصيلاً ) يقول : وتملى عليه غدوة وعشيا .

وقوله ( قل أنزلته الذي يعلم السر في السموات والأرض ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك : ما الأمر كما تقولون ، من أن هذا القرآن أساطير الأولين ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، بل هو الحق ، أنزله الرب الذي يعلم سر من في السموات ومن في الأرض ، ولا يخفى عليه شيء ، ومُخْصِي ذلك على خلقه ، ومُجَازِيهِم بما عزمت عليه قلوبهم ، وأضمره في نفوسهم ( إنه كان غمورا رحيا ) يقول : إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم ، فيفضل عليهم بعفوه ، يقول : فلأن ذلك من عادته في خلقه ، يُمَهِّلِكُمْ أيها القائلون ما قلتم من الإفك ، والفاعلون ما فعلتم من الكفر .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( قل أنزلته الذي يعلم السر في السموات والأرض ) قال : ما يسر أهل الأرض وأهل السماء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ؟ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكًا فَيَكُون مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْنَا كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ : إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا (٨)

ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة ، وعرضوا عليه أشياء ، وسألوه الآيات .

فكان فيما كلموه به حينئذ ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد ابن أبي محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، وأن قالوا له : فإن لم تفعل لنا هذا ، يعني ما سألوه من تسيير جباهم عنهم ، وإحياء آبائهم ، والمجئء بالله والملائكة قبيلًا ، وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل ، فخذ لنفسك ، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسكته فيجعل لك قصورا وجنانا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، تغنيك عما نراك ،

تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولاً كما تزعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعلٍ ، فأنزل الله في قولهم : أن أخذنا لنفسك ما سألوه أن يأخذها : أن يجعل له جناحاً وقصوراً وكنوزاً ، أو يبعث معه ملكاً يصدقه بما يقول ، ويرد عنه من خاصمه ، (وقالوا ما لهذا الرسول يا كلُّ الطعام ، ويمشي في الأسواق ، لولا أنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيراً ، أو يلقى إليه كسرٌ ، أو تكون له جنةٌ يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبععون إلا رجلاً مسحوراً) .

فتأويل الكلام : وقال المشركون ( ما لهذا الرسول ) : يتبعون محمداً صلى الله عليه وسلم ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا ( يسأكلُ الطعام ) كما نأكل ، ( ويمشي ) في أسواقنا كما نمشي . ( لولا أنزل إليه ) يقول : هلا أنزل إليه ( ملك ) إن كان صادقا من السماء ( فيكون معه ) منذراً للناس ، مصداقاً له على ما يقول ، أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ( أو تكون له جنة ) : يقول : أو يكون له بستان ( يسأكلُ منها ) .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( يا كلُّ ) بالياء ، بمعنى : يأكل منها الرسول . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( تأكلُ منها ) بالنون ، بمعنى : نأكل من الجنة . وأولى القراءتين في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بالياء ، وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لاهم ؛ فإذا كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك ، فغير جائز أن يقولوا له : سل لنفسك ذلك ، لنأكل نحن . وبعد ، فإن في قوله تعالى ذكره : ( تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ) ، دليلاً بيئنا على أنهم إنما قالوا له : اطلب ذلك لنفسك ، لنأكل أنت منه ، لأنحن .

وقوله ( وقال الظالمون ) يقول : وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ( إن تتبععون أيها القوم ، باتباعكم محمداً ( إلا رجلاً ) به سحر .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلُ فَضَلُّوا ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (١٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشياء بقولهم لك : هو مسحور ، فضلوا بذلك عن قصد السبيل ، وأخطأوا طريق الهدى والرشاد ، فلا يستطيعون : يقول : فلا يجدون سبيلاً إلى الحق ، إلا فيما بعثت به ، ومن الوجه الذي ضلوا عنه : وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ( انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) أى التمسوا الهدى فى غير ما بعثك به إليهم فضلوا ، فلن يستطيعوا أن يصيبوا الهدى فى غيره . وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) قال : تخترجا يخرجهم من الأمثال التى ضربوا لك .

وقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول تعالى ذكره : تقدس الذى إن شاء جعل لك خيرا من ذلك .

واختلف أهل التأويل فى المعنى « بذلك » التى فى قوله ( جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد ، هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بين تعالى ذكره عن الذى لو شاء جعل له من خير مما قالوا ، فقال ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) خيرا مما قالوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) قال : مما قالوا ، وتمنوا لك ، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار .

وقال آخرون : عني بذلك المشى فى الأسواق ، والتماس المعاش .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، فيما يرى الطبري ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) من أن تمشى فى الأسواق ، وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس ، ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) .

قال أبو جعفر : والقول الذى ذكرناه عن مجاهد فى ذلك : أشبه بتأويل الآية ، لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يُلْتَمَسَ إليه كنز ، واستنكروا أن يمشى فى الأسواق ، وهو لله رسول ، فالذى هو أولى بوعد الله إياه ، أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما ، لا بما

كان منكرا عندهم ، وعُيِّنَ بقوله ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) : بساتين تجري في أصول أشجارها الأنهار .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) قال : حوائط .

وقوله ( وَيَجْعَلُ لَكُمْ قُصُورًا ) يعني بالقصور : البيوت المبنية .  
وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكُمْ قُصُورًا ) قال : بيوتا مبنية مشيدة ، كان ذلك في الدنيا ، قال : كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كأننا ما كان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكُمْ قُصُورًا ) مشيدة في الدنيا ، كل هذا قالته قريش ، وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قَصُورًا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب قال : « قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ، ما لم يعط نبي قبلك ، ولا يعطى من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى ، فقال : اجمعوها لي في الآخرة ، فأنزل الله في ذلك ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ، وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ

سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : ما كذب هؤلاء المشركون بالله ، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق ، من أجل أنك تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالثواب والعقاب ، تكذبا منهم بالقيامة ، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة . وأعتدنا : يقول : وأعددنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة ، نارا تسعر عليهم ، وتتقد إذا رأتهم من مكان بعيد ، يقول : إذا رأت هذه النار التي أعتدناها هؤلاء المكذبين ، أشخاصهم من مكان بعيد ، تغيطت

(١) الظاهر أنه سقط من قلم الناسخ « أو كبيرا » كما يفيد ما قبله . والذي في ابن كثير « صغيرا كان أو كبيرا » .



عليهم ، وذلك أن تغلى وتفور ، يقال : فلان تغيط على فلان ، وذلك إذ غضب عليه ، فغلتى صدره من الغضب عليه ، وتبين في كلامه ، وزفيرا ، وهو صوتها .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا ) والتغيط : لا يسمع ، قيل : معنى ذلك : سمعوا لها صوت التغيط ، من التلهب والتوقد .

حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، قال : ثنا أصعب بن زيد الوراق ، عن خالد بن كثير ، عن فديك ، عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُونِي بَيْنَ عَيْسَىٰ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » قالوا : يا رسول الله ، وهل لها من عين ؟ قال : ألم تسمعوا إلى قول الله ( إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ) . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر في قوله ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ) قال : أخبرني المنصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبيى ملك ولا نبي إلا خرّ ترعد فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ، فيقول : يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « إن الرجل ليُجسّرَ إلى النار ، فتنزوى ، وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه ليستجير مني ، فيقول : أرسلوا عبي ، وإن الرجل ليُجسّرَ إلى النار ، فيقول : يا رب ما كان هذا الظن بك ؟ فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك ، قال : فيقول أرسلوا عبي . وإن الرجل ليُجسّرَ إلى النار ، فتشبه إليه النار شقوق البغلة إلى الشعر ، وتنزفر زفرة لا يبيى أحد إلا خاف . »

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا

وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤)

يقول تعالى ذكره : وإذا أُلقي هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا ، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) .

واختلف أهل التأويل في معنى الثبور ، فقال بعضهم : هو الوَيْل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله

( وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) يقول : وَيْلًا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، يقول : لاتدعوا اليوم ويلا واحدا ، وادعوا ويلا كثيرا .  
وقال آخرون : الثبور : الهلاك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) الثبور : الهلاك .

قال أبو جعفر : والثبور في كلام العرب : أصله انصراف الرجل عن الشيء ، يقال منه : ما تترك عن  
هذا الأمر : أي ما صرفك عنه ، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم ، على انصرفهم عن طاعة الله  
في الدنيا ، والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل :  
واندامتاه ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة  
يقول في قوله ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) أي هَلَكَةً ، ويقول : هو مصدر من ثَبُرَ الرجل : أي أهلك ،  
ويستشهد لقبيله في ذلك بيت ابن الزبعرى :

إِذْ أَجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَتَنِ النَّغْسِ ، وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورًا

وقوله ( لاتدعوا اليوم ) أيها المشركون ندما واحدا : أي مرة واحدة ، ولكن ادعوا ذلك كثيرا ،  
وإنما قيل ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) لأن الثبور مصدر ، والمصادر لا تجمع ، وإنما توصف  
بامتداد وقتها وكثرتها ، كما يقال : قعد قعودا طويلا ، وأكل أكلا كثيرا .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علي بن زيد ، عن أنس بن  
مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حِلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ ، فَيَضَعُهَا  
عَلَى حَاجِبَيْهِ ، وَيَسْتَحْبِبُّهَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَذَرِيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ  
يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقِفُوا عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ  
فَيُقَالُ ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ، كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا

مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ، كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلًا (١٦)

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى شاعر قريش ، الذي كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم خرج إليه وأسلم بعد فتح  
مكة ، وقال حين أسلم شعرا ، منه هذا البيت ، من مقطوعة أربعة أبيات ، أنشدها ابن إسحاق في السيرة ( طبعة الحلبي ٤ : ٦١ ) ومعنى  
أجاري : أباري وأعارض . والسنن بالتحريك : وسط الطريق . ومثبور : هالك . والشاهد فيه عند المؤلف أن الثبور معناه الهلاك ،  
والمثبور : الهالك .

\* يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة : أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها، خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبديد، الذي وعد من انقائه في الدنيا، بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله (إِكَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) يقول : كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته ، وثواب تقواهم إياه ، ومصيرا لهم ، يقول : ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة . وقوله ( لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ) يقول : لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ، ما يشاءون مما تشبیه الأنفس ، وتلذذ الأعين ( خالدين ) فيها ، يقول : لا يثين فيها ما كثرين أبدا ، لا يزولون عنها ، ولا يزول عنهم نعيمها . وقوله ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) وذلك أن المؤمنين سألوها ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ( آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ) يقول الله تبارك وتعالى : كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة ، وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا ، ومثلتهم إياه ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال : فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعَدًّا مَسْئُولًا ) قال : سألوها إياها في الدنيا ، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم ، إذ سألوها أن يعطيهم ، فأعطاهم ، فكان ذلك وعدا مسئولا ، كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم ، فجعلها أقواتا للسائلين ، وقت ذلك على مثلهم ، وقرأ ( وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ) .  
وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله ( وَعَدًّا مَسْئُولًا ) إلى أنه معنى به وعدا واجبا ، وذلك أن المسئول واجب ، وإن لم يسأل كالدين ، ويقول ذلك نظير قول العرب : لأعطيتك ألفا وعدا مسئولا ، بمعنى واجب لك ، فتسأله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَقُولُ، أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ

صَلُّوا السَّبِيلَ (١٧)

\* يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة ، العابدين الأوثان ، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن :

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فيقول ( أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) قال : عيسى وعزير والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، نحوه .  
واختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارى وعبد الله بن كثير ( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ) بالياء جميعا ، بمعنى : ويوم يحشرهم ربك ، ويحشر ما يعبدون من  
دونه فيقول . وقرأته عامة قراء الكوفيين ( تَحْشُرُهُمْ ) بالنون ، فنقول . وكذلك لقرأه نافع .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ  
القارى فصيح .

وقوله ( فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) يقول : فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون  
يعبدونهم من دون الله : أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء : يقول : أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى ، ودعوتموهم إلى  
الغى والضلالة ، حتى تاهوا وهلكوا ، أم هم ضلوا السبيل ، يقول : أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشـد  
والحق ، وسلخوا العطب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ، وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ  
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)

يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى : تنزيها لك  
يا ربنا ، وتبرئة مما أضف إليك هؤلاء المشركون ، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم ،  
أنت ولينا من دونهم ، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة ، حتى نسوا الذكر ، وكانوا قوما هلكى ،  
قد غلب عليهم الشقاء والحذلان .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : قوم قد ذهب  
أعمالهم وهم في الدنيا ، ولم تكن لهم أعمال صالحة .

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانُوا  
قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) قال :  
هم الذين لاخير فيهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكنوا قوماً بوراً ) قال : يقول : ليس من الخير في شيء . البور : الذي ليس فيه من الخير شيء .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( نتخذ ) بفتح النون ، سوى الحسن ، ويزيد بن القعقاع ، فإنهما قرآه ( أن نتخذ ) بضم النون ، فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بينناه في تأويله ، من أن الملائكة وعيسى ، ومن عبد من دون الله من المؤمنين ، هم الذين تبرءوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره . وأما الذين قرءوا ذلك بضم النون ، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا ، إنما تبرءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه ، كما أخبر الله عن عيسى ، أنه قال : إذا قيل ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي لآلهتين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ) ما قلت كسم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه بفتح النون ، لعل ثلاث إحداهن إجماع الحجة من القراء عليها ، والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ ، فقال ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليتنا من دونهم ) ، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سئلوا عن عبادهم ، تبرءوا إلى الله من ولايتهم ، فقالوا لربهم : ( أنت وليتنا من دونهم ) ، فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) بمعنى : ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء . والثالثة : أن العرب لا تدخل « من » هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء ، ولا تدخلها في الإخبار ، لا يقولون : ما رأيت أخاك من رجل ، وإنما يقولون : ما رأيت من أحد ، وما عندي من رجل ، وقد دخلت هاهنا في الأولياء ، وهي في موضع الخبر ، ولو لم تكن فيها « من » ، كان وجهها حسناً . وأما البور : فصدر واحد ، وجمع للباثر ، يقال : أصبحت منازلهم بوراً : أي خالية لا شيء فيها ، ومنه قولهم : بارت السوق ، وبار الطعام : إذا خلا من الطلاب والمشتري ، فلم يكن له طالب ، فصار كالشيء الهالك ، ومنه قول ابن الزبير :

يا رسول المليك إن لساني راتيق ما فتقت إذ أنا بوراً

وقد قيل : إن بور : مصدر ، كالعدل والزور والقطع ، لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة ، لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس .

(١) البيت لعبد الله بن الزبير ، قاله حين أسلم عند فتح مكة . وهو في أول المقطوعة قبل البيت الذي مضى شرحه قبل هذا . ورائق : مصلح لما أفسدت ، وأصل الرقيق : السد للثوب الممزق ، بإصلاح ما تقطع منه . وفتقت : أي أفسدت من الدين ، فكل إنم فتق وتمزيق ، وكل قوبة رتق وإصلاح . وبور : هالك . يقال رجل بور وبائر ، وقوم بور ، وأصل البور : مصدر ياريبور بوراً ، ثم وصف به ، فلزم الأفراد ، لأن المصادر لا تجمع . وقال المؤلف إنه مصدر واحد ( غير مجموع ) ، وجمع للباثر ، قال يقال : أصبحت منازلهم بوراً ، أي خالية .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبْكُمْ، بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا

يقول تعالى ذكره محبوا عما هو قائل للمشركين عند تبرئ من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم ، قد كذبوكم أيها الكافرون ، من زعمتم أنهم أضلوكم ، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون ، يعني بقولكم ، يقول : كذبوكم بكذبكم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة ، يكذبون المشركين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ بِمَا تَقُولُونَ) قال : عيسى وعزير والملائكة ، يكذبون المشركين بقولهم .

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) قال : كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به ، وكذب هؤلاء ، فوجه ابن زيد تأويل قوله (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ) إلى : فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله ، بما تقولون من الحق ، وهو أن يكون خيرا عن الذين كذبوا الكافرين ، في زعمهم أنهم دعوتهم إلى الضلالة ، وأمرهم بها ، على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه ، أشبه وأولى ، لأنه في سياق الخبر عنهم . والقراءة في ذلك عندنا (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ بِمَا تَقُولُونَ، بِالنَّاءِ) على التأويل الذي ذكرناه ، لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه . وقد حكى عن بعضهم أنه قرأه (فَقَدْ كَذَّبْكُمْ بِمَا يَقُولُونَ) بالياء ، بمعنى : فقد كذبوكم بقولهم .

وقوله جل ثناؤه (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) يقول : فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم ، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) قال : المشركون لا يستطيعونه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : المشركون لا يستطيعونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : المشركون . قال ابن جُرَيْج : لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ، ولا نصر أنفسهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذي نزل بهم حين كُذِّبُوا ، ولا أن ينتصروا . قال : وينادي مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق : مالكم لاتنصرون ، قال : من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده ، وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم إله الذي يعبد من دون الله ، فقال الله تبارك وتعالى : ( بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ) ، وقرأ قول الله جل ثناؤه ( فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ) . ورؤي عن ابن مسعود في ذلك ما حدثنا به أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف عبد الله بن مسعود ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ كَصَرْفًا ) فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة ، صح التأويل الذي تأوله ابن زيد في قوله ( فَكَيْدٌ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) ، ويصير قوله ( فَكَيْدٌ كَذَّبُوكُمْ ) خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ، ويكون تأويل قوله حينئذ ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذي هداه الله له ، ولا نصر أنفسهم ، مما بهم من البلاء الذي هم فيه ، بتكذيبهم إياك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ( وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ ) أيها المؤمنون ، يعني بقوله ( وَمَنْ يَظْلِمْ ) ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ، فذلك نذقه عذابا كبيرا ، كالذي ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثني الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، في قوله ( وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ ) قال : يشرك ( نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَنْ يَظْلِمْ مِّنْكُمْ ) قال : هو الشرك :

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ،

وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ، أَتَصْبِرُونَ ؟ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢١)

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبهه على مشركى قومه الذين قالوا ( مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا: الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، من أكلك الطعام ، ومشيك في الأسواق ، وأنت لله رسول ، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، كالذى تأكل أنت وتمشي ، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة .

فإن قال قائل : فإن « مَنْ » ليست في التلاوة ، فكيف قلت : معنى الكلام : إلا مَنْ لِيَنْهَمَ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ؟ قيل : قلنا في ذلك : معناه : أن الهاء والميم في قوله : إنهم ، كناية أسماء لم تُذكر ، ولا بد لها من أن تعود على من كُنِيَ عنه بها ، وإنما ترك ذكر « مَنْ » وإظهاره في الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله ( مِنْ الْمُرْسَلِينَ ) عليه ، كما اكتفى في قوله ( وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ) من إظهار « مَنْ » ، ولا شك أن معنى ذلك : وما منا إلا من له مقام معلوم ، كما قيل ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ومعناه : وإن منكم إلا من هو واردها ، فقوله ( لِيَأْكُلُوا مِنَ الطَّعَامِ ) صلة لمن المتروك ، كما يقال في الكلام : ما أرسلت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليبلغك الرسالة ، فإنه ليبلغك الرسالة : صلة لمن .

وقوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) يقول تعالى ذكره : وامتنحنا أيها الناس بعضكم ببعض ، جعلنا هذا نبيا ، وخصصناه بالرسالة ، وهذا مليكا ، وخصصناه بالدنيا ، وهذا فقيرا ، وحرمناه الدنيا ، لنختبر الفقير بصبره على ما حرّم مما أعطيه الغنى ، والمملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة ، وكيف رضى كل إنسان منهم بما أعطى ، وقسم له ، وطاعته ربه مع ما حرّم مما أعطى غيره . يقول : فمن أجل ذلك لم أعط محمد الدنيا ، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق ، ولأبتليكم أيها الناس ، وأختبر طاعتكم ربكم ، وإجابتكم رسوله إلى مادعاكم إليه ، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه ، لأنى لو أعطيته الدنيا ، لسارع كثير منكم إلى اتباعه ، طمعا في دنياه أن ينال منها .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : ثنا عبد القدوس ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) . . . الآية ، يقول : هذا الأعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ، ويقول هذا الفقير : لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان ، ويقول هذا السقيم : لو شاء الله لجعلني صحيحا مثلا فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ صَابِرُونَ ؟ ) قال : يُمَسِّكُ عَنْ هَذَا ، وَيُوسِّعُ عَلَى هَذَا ، نيقول : لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ، وبيتلى بالوجع كذلك ، فيقول : لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان ، في أشباه ذلك من البلاء ، ليعلم من يصبر ممن يجزع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد ، فيما يروى



الطبري ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل عليه في ذلك من قولهم ( ما لَهَذَا الرَّسُولِ يَا كُلُّ الطَّعَامِ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) . . . الآية ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَبِنَاءٌ كَلُّونَ الطَّعَامِ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ ) : أي جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا على ما تسمعون منهم ، وترون من خلافهم ، وتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي ، فلا يخالفون لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم ، وأبتليكم بهم .

وقوله ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ) يقول : وربك يا محمد بصير بمن يجزع ، ومن يصبر على ما امتحن به من المحن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ) إن ربك لبصير بمن يجزع ، ومن يصبر .

تمّ الجزء الثامن عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

وبليه الجزء التاسع عشر

وأوله : القول في تأويل قوله تعالى ( وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ) . . .

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى سنة ٣٢٠ هـ

الجزء التاسع عشر

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير

10/10/10

10/10/10

10/10/10

10/10/10

10/10/10

10/10/10

## فهارس

الجزء التاسع عشر من جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبري

### ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	وقال الذين لا يرجون لقاءنا . . .	١	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون . . .	١٧
٢٢	يوم يرون الملائكة لا يبشرون . . .	١	٤٥	ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ . . .	١٨
٢٣	وقدمنا إلى ما عملوا . . .	٣	٤٦	ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا . . .	١٨
٢٤	أصحاب الجنة يومئذ خير . . .	٣	٤٧	وهو الذي جعل لكم الليل لباسا . . .	٢٠
٢٥	ويوم تشقق السماء بالغمام . . .	٦	٤٨	وهو الذي أرسل الرياح بشرا . . .	٢١
٢٦	الملك يومئذ الحقّ للرحمن . . .	٦	٤٩	لنحيي به بلدة ميتا ونُسقيهم مما خلقنا . . .	٢١
٢٧	ويوم يعصّ الظالم على يديه . . .	٧	٥٠	ولقد صرفناه بينهم ليدكروا . . .	٢٢
٢٨	يا ويلستى ليتنى لم أتخذ فلانا . . .	٧	٥١	ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا . . .	٢٢
٢٩	لقد أضلني عن الذكر . . .	٧	٥٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به . . .	٢٢
٣٠	وقال الرسول يا ربّ إن قومي . . .	٩	٥٣	وهو الذي مرج البحرين . . .	٢٣
٣١	وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوا . . .	٩	٥٤	وهو الذي خلق من الماء بشرا . . .	٢٥
٣٢	وقال الذين كفروا لولا نزل عليه . . .	١٠	٥٥	ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم . . .	٢٦
٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحقّ . . .	١١	٥٦	وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا . . .	٢٧
٣٤	الذين يحشرون على وجوههم . . .	١١	٥٧	قل ما أسألكم عليه من أجر . . .	٢٧
٣٥	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	١٣	٥٨	وتوكل على الحىّ الذي لا يموت . . .	٢٧
٣٦	فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا . . .	١٣	٥٩	الذي خلق السموات والأرض . . .	٢٨
٣٧	وقوم نوح لما كذبوا الرسل . . .	١٣	٦٠	وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن . . .	٢٨
٣٨	وعادا وثمود وأصحاب الرس . . .	١٣	٦١	تبارك الذي جعل في السماء سُجُوجا . . .	٢٩
٣٩	وكلا ضربنا له الأمثال . . .	١٣	٦٢	وهو الذي جعل الليل والنهار خليفتة . . .	٣٠
٤٠	ولقد آتوا على القرية التي أمطرت . . .	١٦	٦٣	وعباد الرحمن الذين يمشون على . . .	٣٢
٤١	وإذا رأوك إن يتخذونك . . .	١٧	٦٤	والذين يبيتون لربهم سُجُودا وقياما . . .	٣٥
٤٢	إن كاد ليضلنا عن آلهتنا . . .	١٧	٦٥	والذين يقولون ربنا اصرف عنا . . .	٣٥
٤٣	أرأيت من اتخذ إلهه هواه . . .	١٧	٦٦	إنها ساءت مستقرّا ومقاما . . .	٣٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦٧	والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا . . .	٣٧	١٦	فتأتيا فرعون فقولا إنا رسول . . .	٦٥
٦٨	والذين لا يدعون مع الله إلها آخر . . .	٤٠	١٧	أن أرسل معنا بني إسرائيل .	٦٥
٦٩	يضاعف له العذاب يوم القيامة . . .	٤٠	١٨	قال ألم نربك فينا وليدا . . .	٦٥
٧٠	إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا . . .	٤٠	١٩	وفعلت فعلتك التي فعلت . . .	٦٥
٧١	ومن تاب وعمل صالحا . . .	٤٠	٢٠	قال فعلتها إذا وأنا من الضالين .	٦٦
٧٢	والذين لا يشهدون الزور . . .	٤٨	٢١	ففررت منكم لما خفتكم . . .	٦٧
٧٣	والذين إذا ذكروا بآيات ربهم . . .	٥١	٢٢	وتلك نعمة تمنُّها على . . .	٦٨
٧٤	والذين يقولون ربنا هب لنا . . .	٥٢	٢٣	قال فرعون وما رب العالمين ؟	٦٨
٧٥	أولئك يُجزون العرفة بما صبروا . . .	٥٤	٢٤	قال رب السموات والأرض . . .	٦٨
٧٦	خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقاما . . .	٥٥	٢٥	قال لمن حوله ألا تستمعون ؟	٦٩
٧٧	قل ما يعبا بكم ربي . . .	٥٥	٢٦	قال ربكم ورب آبائكم الأولين . . .	٦٩
<u>سورة الشعراء</u>					
١	طسم .	٥٨	٢٧	قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم . . .	٦٩
٢	تلك آيات الكتاب المبين .	٥٨	٢٨	قال رب المشرق والمغرب وما بينهما . . .	٦٩
٣	لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين .	٥٨	٢٩	قال لئن اتخذت إلها غيري . . .	٦٩
٤	إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية . . .	٥٩	٣٠	قال أو لو جئتكم بشيء مبين .	٧٠
٥	وما يأتيهم من ذكر من الرحمن . . .	٦٢	٣١	قال فتأت به إن كنت من الصادقين .	٧٠
٦	فقد كذبوا فسيأتيهم أبناء ما كانوا . . .	٦٢	٣٢	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين .	٧٠
٧	أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها . . .	٦٣	٣٣	ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين .	٧٠
٨	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٦٣	٣٤	قال للملأ حوله إن هذا لساحر عليم .	٧١
٩	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٦٣	٣٥	يريد أن يخرجكم من أرضكم . . .	٧١
١٠	وإذ نادى ربك موسى . . .	٦٣	٣٦	قالوا أرجيه وأخاه . . .	٧١
١١	قوم فرعون ألا يتقون .	٦٤	٣٧	يأتوك بكل سحار عليم . . .	٧١
١٢	قال رب إني أخاف أن يكذبون .	٦٤	٣٨	فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . . .	٧٢
١٣	ويضيق صدري ولا ينطق لساني . . .	٦٤	٣٩	وقيل للناس هل أنتم مجتمعون .	٧٢
١٤	ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون .	٦٤	٤٠	لعلنا نتبع السحرة . . .	٧٢
١٥	قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم . . .	٦٥	٤١	فلما جاء السحرة قالو الفرعون . . .	٧٢
			٤٢	قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين .	٧٢
			٤٣	قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون .	٧٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	فألقوا حياهم وعصيهم . . .	٧٢	٧٢	قال هل يسمعونكم إذ تدعون ؟	٨٣
٤٥	فألقى موسى عصاه . . .	٧٣	٧٣	أو يشفعونكم أو يضرون ؟	٨٣
٤٦	فألقى السحرة ساجدين .	٧٣	٧٣	قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ؟	٨٣
٤٧	قالوا آمنا برب العالمين .	٧٣	٧٣	قال أفرايتم ما كنتم تعبدون ؟	٨٤
٤٨	رب موسى وهارون .	٧٣	٧٣	أنتم وآباؤكم الأقدمون .	٨٤
٤٩	قال آمنتم له قبل أن آذن لكم . . .	٧٣	٧٣	فإنهم عدو لي إلا رب العالمين .	٨٤
٥٠	قالوا لاضير إنا إلى ربنا منتقلون .	٧٣	٧٣	الذي خلقني فهو يهدين .	٨٥
٥١	إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا . . .	٧٤	٧٤	والذي هو يطعمني ويسقني .	٨٥
٥٢	وأوحينا إلى موسى أن أسر . . .	٧٤	٧٤	وإذا مرضت فهو يشفين .	٨٥
٥٣	فأرسل فرعون في المدائن . . .	٧٤	٧٤	والذي يميتني ثم يحيين .	٨٥
٥٤	إن هؤلاء لشيرذمة قليلون .	٧٤	٧٤	والذي أطمع أن يغفر لي . . .	٨٥
٥٥	وإنهم لنا لغائظون .	٧٤	٧٤	رب هب لي حكما، وألحقني بالصالحين .	٨٥
٥٦	وإنا لجميع حاذرون .	٧٤	٧٤	واجعل لي لسان صدق في الآخرين .	٨٥
٥٧	فأخرجناهم من جنات وعيون .	٧٨	٧٨	واجعلني من ورثة جنة النعيم .	٨٦
٥٨	وكنوز ومقام كريم .	٧٨	٧٨	واغفر لأبي إنه كان من الضالين .	٨٦
٥٩	كذلك وأورثناها بني إسرائيل .	٧٨	٧٨	ولا تحزني يوم يبعثون .	٨٦
٦٠	فأتبعوهم مشركين .	٧٨	٧٨	يوم لا ينفع مال ولا بنون .	٨٦
٦١	فلما تراءى الجمعان . . .	٧٨	٧٨	إلا من أتى الله بقلب سليم .	٨٦
٦٢	قال كلا إن معي ربي سيهدين .	٧٨	٧٨	وأزلفت الجنة للمتقين .	٨٧
٦٣	فأوحينا إلى موسى . . .	٧٨	٧٨	وبرزت الجحيم للغاوين .	٨٧
٦٤	وأزلفنا ثم الآخرين .	٨١	٨١	وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون .	٨٧
٦٥	وأنجيئنا موسى ومن معه أجمعين .	٨١	٨١	من دون الله هل ينصرونكم . . . ؟	٨٧
٦٦	ثم أغرقنا الآخرين .	٨١	٨١	فكذبوا فيها هم والغاوون .	٨٧
٦٧	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٨١	٨١	وجنود إبليس أجمعون .	٨٧
٦٨	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٨١	٨١	قالوا وهم فيها يختصمون .	٨٨
٦٩	واتل عليهم نبأ إبراهيم .	٨٣	٨٣	تالله إن كنا لفي ضلال مبين .	٨٨
٧٠	إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟	٨٣	٨٣	إذ نسويكم رب العالمين .	٨٨
٧١	قالوا نعبد أصناما ، فنظّل لها عاكفين .	٨٣	٨٣	وما أضلنا إلا المخرمون .	٨٩

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٠	فأنا من شافعين .	٨٩	١٢٨	أتبنون بكل ربيع آية ؟	٩٣
١٠١	ولا صديق حميم .	٨٩	١٢٩	وتتخذون مصانع لعلكم .	٩٣
١٠٢	فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين .	٨٩	١٣٠	وإذا بطشتم بطشتم جبارين .	٩٣
١٠٣	إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم . . .	٨٩	١٣١	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٦
١٠٤	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٨٩	١٣٢	واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون .	٩٦
١٠٥	كذبت قوم نوح المرسلين .	٩٠	١٣٣	أمدكم بأنعام وبنين .	٩٦
١٠٦	إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون ؟	٩٠	١٣٤	وجنات وعيون .	٩٦
١٠٧	إني لكم رسول أمين .	٩٠	١٣٥	إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم .	٩٦
١٠٨	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٦	قالوا سواء علينا أوعظت . . .	٩٧
١٠٩	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٠	١٣٧	إن هذا إلا خلق الأولين .	٩٧
١١٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٠	١٣٨	وما نحن بمعتدين .	٩٧
١١١	قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ؟	٩٠	١٣٩	فكذبوه فأهلكناهم . . .	٩٨
١١٢	قال وما علمى بما كانوا يعملون ؟	٩٠	١٤٠	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٨
١١٣	إن حسابهم إلا على ربى لو تشعرون ؟	٩٠	١٤١	كذبت ثمود المرسلين .	٩٨
١١٤	وما أنا بطارد المؤمنين .	٩١	١٤٢	إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون ؟	٩٨
١١٥	إن أنا إلا نذير مبين .	٩١	١٤٣	إني لكم رسول أمين .	٩٨
١١٦	قالوا لئن لم تنته يا نوح . . .	٩١	١٤٤	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١١٧	قال رب إن قومى كذّبون .	٩١	١٤٥	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٩
١١٨	فافتح بينى وبينهم فتحا . . .	٩١	١٤٦	أتركون في ما هاهنا آمنين .	٩٩
١١٩	فأنجيناه ومن معه في الفلك . . .	٩١	١٤٧	في جنات وعيون .	٩٩
١٢٠	ثم أغرقنا بعد الباقين .	٩١	١٤٨	وزروع ونخل طلعها هضيم .	٩٩
١٢١	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	٩٢	١٤٩	وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين .	٩٩
١٢٢	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	٩٢	١٥٠	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٩
١٢٣	كذبت عاد المرسلين .	٩٢	١٥١	ولا تطيعوا أمر المسرفين .	١٠٢
١٢٤	إذ قال لهم أخوهم هود . . .	٩٢	١٥٢	الذين يفسدون في الأرض . . .	١٠٢
١٢٥	إني لكم رسول أمين .	٩٢	١٥٣	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٢
١٢٦	فاتقوا الله وأطيعون .	٩٣	١٥٤	ما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٣
١٢٧	وما أسألكم عليه من أجر . . .	٩٣	١٥٥	قال : هذه ناقة لها شرب . . .	١٠٣



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥٦	ولا تمسوها بسوء . . .	١٠٣	١٨٤	واتقوا الله الذي خلقكم . . .	١٠٨
١٥٧	فعمقروها فأصبحوا نادمين .	١٠٤	١٨٥	قالوا إنما أنت من المسحرين .	١٠٨
١٥٨	فأخذهم العذاب . . .	١٠٤	١٨٦	وما أنت إلا بشر مثلنا . . .	١٠٨
١٥٩	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٤	١٨٧	فأسقط علينا كسفا من السماء . . .	١٠٨
١٦٠	كذبت قوم لوط المرسلين .	١٠٤	١٨٨	قال ربني أعلم بما تعملون . . .	١٠٩
١٦١	إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون ؟	١٠٤	١٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلَّة . . .	١٠٩
١٦٢	إني لكم رسول أمين .	١٠٤	١٩٠	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١١١
١٦٣	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٤	١٩١	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١١١
١٦٤	وما أسألكم عليه من أجر . . .	١٠٤	١٩٢	ولإنه لتنزيل رب العالمين .	١١١
١٦٥	أتأتون الذمكران من العالمين ؟	١٠٥	١٩٣	نزل به الروح الأمين .	١١١
١٦٦	وتذرون ما خلق لكم ربكم . . .	١٠٥	١٩٤	على قلبك لتكون من المنذرين .	١١١
١٦٧	قالوا لئن لم تنته يا لوط . . .	١٠٥	١٩٥	بلسان عربي مبين .	١١١
١٦٨	قال إني لعملكم من القالين .	١٠٥	١٩٦	ولإنه لفي زبر الأولين .	١١٢
١٦٩	رب نجني وأهلي مما يعملون .	١٠٦	١٩٧	أو لم يكن لهم آية . . .	١١٢
١٧٠	فأنجيناه وأهله أجمعين .	١٠٦	١٩٨	ولو نزلناه على بعض الأعجمين .	١١٢
١٧١	إلا عجوزا في الغابرين .	١٠٦	١٩٩	فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين .	١١٢
١٧٢	ثم دمرنا الآخرين .	١٠٦	٢٠٠	كذلك سلكتناهم في قلوب المجرمين .	١١٢
١٧٣	وأمطرنا عليهم مطرا . . .	١٠٦	٢٠١	لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم .	١١٢
١٧٤	إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم . . .	١٠٦	٢٠٢	فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .	١١٦
١٧٥	وإن ربك هو العزيز الرحيم .	١٠٦	٢٠٣	فيقولوا هل نحن منظرون ؟	١١٦
١٧٦	كذب أصحاب الأيكة المرسلين .	١٠٦	٢٠٤	أفبعذابنا يستعجلون ؟	١١٦
١٧٧	إذ قال لهم شعيب ألا تتقون ؟	١٠٦	٢٠٥	أفرأيت إن متعناهم سنين ؟	١١٦
١٧٨	إني لكم رسول أمين .	١٠٦	٢٠٦	ثم جاءهم ما كانوا يوعدون .	١١٦
١٧٩	فاتقوا الله وأطيعون .	١٠٦	٢٠٧	ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون .	١١٦
١٨٠	وما أسألكم عليه من أجر .	١٠٧	٢٠٨	وما أهلكنا من قرية إلا لها منثرون .	١١٧
١٨١	أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين .	١٠٧	٢٠٩	ذكرى وما كنا ظالمين .	١١٧
١٨٢	وزنوا بالقسطاس المستقيم .	١٠٨	٢١٠	وما تنزلت به الشياطين .	١١٧
١٨٣	ولا تبخسوا الناس أشياءهم .	١٠٨	٢١١	وما ينبغي لهم وما يستطيعون .	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١٢	لأنهم عن السمع لمعزولون .	١١٧	١١	إلا من ظلم ثم بدّل حسنا . . .	١٣٥
٢١٣	فلا تدع مع الله إلها آخر . . .	١١٨	١٢	وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء . . .	١٣٨
٢١٤	وأنذر عشيرتك الأقربين .	١١٨	١٣	فلما جاءهم آياتنا مبصرة . . .	١٣٩
٢١٥	واخفض جناحك لمن اتبعك . . .	١١٨	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم . . .	١٣٩
٢١٦	فلن عصوك فقل إني بريء . . .	١٢٣	١٥	ولقد آتينا داود وسليمان علما . . .	١٤٠
٢١٧	وتوكل على الله العزيز الرحيم .	١٢٣	١٦	وورث سليمان داود . . .	١٤١
٢١٨	الذي يراك حين تقوم .	١٢٣	١٧	وحسب لسليمان جنوده . . .	١٤١
٢١٩	وتقلبك في الساجدين .	١٢٣	١٨	حتى إذا أتوا على واد النخل . . .	١٤٢
٢٢٠	إنه هو السميع العليم . . .	١٢٣	١٩	فتبسم ضاحكا من قولها . . .	١٤٣
٢٢١	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟	١٢٥	٢٠	وتفقد الطير . . .	١٤٣
٢٢٢	تنزل على كل أفك أئيم .	١٢٥	٢١	لأعذبه عذابا شديدا . . .	١٤٣
٢٢٣	يلقون السمع وأكثرهم كاذبون .	١٢٥	٢٢	فكث غير بعيد فقال أحطت . . .	١٤٧
٢٢٤	والشعراء يتبعهم الغاؤون .	١٢٦	٢٣	إني وجدت امرأة تملكهم . . .	١٤٨
٢٢٥	ألم تر أنهم في كل واد يهيمون .	١٢٦	٢٤	وجدتها وقومها يسجدون للشمس . . .	١٤٨
٢٢٦	وأنتهم يقولون ما لا يفعلون .	١٢٦	٢٥	ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء . . .	١٤٩
٢٢٧	إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٢٦	٢٦	الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .	١٤٩
<u>سورة النمل</u>					
١	طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين .	١٣١	٢٧	قال سننظر أصدقت . . .	١٥١
٢	هدى وبشرى للمؤمنين .	١٣١	٢٨	اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم . . .	١٥١
٣	الذين يقيمون الصلاة . . .	١٣١	٢٩	قالت يا أيها الملأ إني أتقي إلى . . .	١٥٢
٤	إن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	١٣٢	٣٠	إنه من سليمان . . .	١٥٢
٥	أولئك لهم سوء العذاب . . .	١٣٢	٣١	ألا تعلوا على وأتوني مسلمين .	١٥٢
٦	وإنك لتسكتي القرآن من لدن . . .	١٣٢	٣٢	قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري . . .	١٥٣
٧	إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا .	١٣٢	٣٣	قالوا نحن أولوا قوة . . .	١٥٣
٨	فلما جاءها نودي أن بورك . . .	١٣٢	٣٤	قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية . . .	١٥٤
٩	يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم .	١٣٥	٣٥	وإني مرسله إليهم بهدية . . .	١٥٥
١٠	وألق عصاك ، فلما رآها تهتز . . .	١٣٥	٣٦	فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال . . .	١٥٥
			٣٧	ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود . . .	١٥٥
			٣٨	قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها . . .	١٥٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٩	قال عفريت من الجن . . .	١٥٨	٤٨	وكان في المدينة تسعة رهط . . .	١٧١
٤٠	قال الذي عنده علم من الكتاب . . .	١٥٨	٤٩	قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله . . .	١٧١
٤١	قال نكروا لها عرشها . . .	١٦٥	٥٠	ومكروا مكرا ومكرنا مكرا . . .	١٧٣
٤٢	فلما جاءت قيل أهكذا عرشك . . ؟	١٦٦	٥١	فانظر كيف كان عاقبة مكرم . . .	١٧٣
٤٣	وصدّها ما كانت تعبد من دون الله . .	١٦٧	٥٢	فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . . .	١٧٤
٤٤	قيل لها ادخلي الصرح . . .	١٦٨	٥٣	وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون .	١٧٤
٤٥	ولقد أرسلنا إلى ثمود . . .	١٧٠	٥٤	ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة . . .	١٧٥
٤٦	قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة . . ؟	١٧٠	٥٥	أئنكم لتأتون الرجال شهوة . . .	١٧٥
٤٧	قالوا اطيرنا بك وبمن معك . . .	١٧١			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٩٠ قصة نوح عليه السلام مع قومه .	١ تأويل قوله تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » ، وأن رؤية الملائكة لاتصلح لعموم الناس إلا في الدار الآخرة .
٩٢ قصة هود عليه السلام مع قومه .	٥ ينتهى الحساب يوم القيامة في نصف يوم ، حتى يقبل أصحاب الجنة في منازلهم .
٩٨ خبر ثمود مع صالح عليه السلام .	٧ ما كانت عليه قريش من إضلال بعضهم بعضا وطعنهم في القرآن .
١٠٤ خبر لوط مع قومه .	١١ فوائد نزول القرآن على حسب الوقائع .
١٠٦ خبر شعيب مع أصحاب الأيكة .	١٣ خبر أصحاب الرس .
١١٣ من كان يعلم من بنى إسرائيل صدق النبي ، وأن كفار قريش كان كفرهم عنادا ، حتى لو نزل هذا القرآن على بعض الحيوانات العجم ، وقرأه عليهم ما آمنوا .	٢٤ معنى البرزخ .
١١٨ ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة عشيرته	٢٦ الكافر يظاهر الشيطان على ربه .
١٢٦ ذم الشعراء قاصر على شعراء المشركين ومن كان على صفتهم .	٣٣ تأويل قوله « وعباد الرحمن » . . . الآية .
تفسير سورة النمل	٣٤ فضيلة الحلم والثأني .
١٤١ ما أوتي سليمان من سعة الملك .	٣٥ عذاب جهنم يلزم الإنسان كالغريم .
١٤٣ السبب في تفقد سليمان الطير ، وذكر بعض خصال للهدهد .	٣٧ نخلى المؤمنين عن وصفي الإسراف والتقتير .
١٤٧ سبأ وملكتهم .	٤٠ تأويل قوله تعالى « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر » .
١٥٢ كتاب سليمان إلى بلقيس واستشارتها قومها .	٤١ كبائر الذنوب .
١٥٥ الهدية التي أرسلتها بلقيس إلى سليمان .	٤٢ التوفيق بين هذه الآية وآية « ومن يقتل مؤمنا » الخ .
١٥٩ من أحضر عرشها لسليمان .	٤٩ محاسن الغضب عن سفساف الأمور .
١٦٥ كيفية تنكير العرش وما قيل فيه .	تفسير سورة الشعراء
١٧٢ التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض من قوم صالح .	٦٤ قصة موسى عليه السلام مع فرعون .
	٨٣ قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه .

## ٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ع	١١٦	تَبَسَّرِدُ		ا
١٤٢	وَأَزِعُ	١٠٧	بِالِإِثْمِدِ	٦٥	مُنْتَهَاهَا
٣١	بَجَمَعَا	٤٥	مُوقِدِ	٣٧	لَا يَرَاهَا
٣١	بِيَعَا	٨١	أَطْوَادِ		ب
٢٨	انْقِطَاعَا		ر		
	ف	٧٧	حَدِرُ	٥٢	الْحَضَابُ
		٦٩	تَنْتَظِرُ	٥٢	الْجِلْبَابُ
٦٠	المُسَجِّفُ	٢	الْمُحَجَّرُ	٥٢	الْأَرْكَابُ
٥٦	اللَّقِيفُ	٥٨	الْمُقَادِرُ	٥٩	لُعَابُ
١٣٥	أَسْدَقَا	١٤٩	الدَّهْرُ	١٥٦	فَتَصَوَّبُوا
١٣٥	رُجْفَا	١٠٣	المُسْحَرُ	١٠١	تُرَابِ
١٣٥	خَبِطْنَا	٢١	النَّاشِرِ	٣٦	الطَّلَبِ
٨١	فَزَلْنَا	٣١	وَأَحْجَارِ	٣٩	تَأْوِيبِ
٨١	أَحْقَوْفْنَا	٥٤	بِأَمِيرِ		وَمُنْتَقَبَا
٤٧	الْوَجِيفَا		س		ت
	ق			١٤٢	الْفَتَاةُ
٧٥	أَخْلَاقُ	١١٦	الْفَرَسُ	٦١	الْكُمَاةُ
٧٥	التَّوَاقُ	٥٥	عَرُوسُ	٦٠	أُبْعَدَتْ
٦٠	خَيْفَقُ	٢	الدَّهَارِيسُ		ج
٦٠	المُوقِقُ	١٣٣	الْقَبَسِ	٢٣	تَمْرَجَا
٩٣	يَتَرَقِرُقُ	١٤٧	الْجَوَامِيسِ		د
١٣٩	فَرُوقُ	١٤	الرَّسَاسَا	١١٦	لَا تَرِدُ
٨٣	وَالْأَبْقَا				

الجزء التاسع عشر

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
٣٢	مَجْسَمٌ	٣٥	لَا يُبَالِي	٣	ل الضَّلَالُ وقَالُوا حَلَالُ أُفْنَا الجِبِيلِ بِرَسُولِ الهِلَالِ
٣٦	غَرَامَا	٥٧	وَقَيْتَالَا		
٦٨	وَعُبْدَانُ	١١٣	م عُجْنَمُ		
٧٥	وَاحِدِينَا				
	ن ي	٤٠	أَثَامُ	١٠٨	
		٦١	طَاعِمُ	٦٥	
١١٤	دَوَّارِي	٦٠	الدَّمُ	٦٢	

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا : لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُورِي رَبَّنَا ، لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٢١)

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا ، ولا يحشون عقابنا ، هلا أنزل الله علينا ملائكة ، فتخبرنا أن محمداً محقّ فيما يقول ، وأن ما جاءنا به صدق ، أو نرى ربنا ، فيخبرنا بذلك ، كما قال جل ثناؤه مخبراً عنهم (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُنْزِلَ لَنَا مِنَ السَّمَاءِ سَائِغًا مِمَّنْ يَنْزِلُ ) . ثم قال بعد ( أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ) يقول الله : لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم ، وتعظموا : ( وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ) يقول : وتجاوزوا في الاستكبار بقيلهم ذلك حده .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال كفار قريش : لولا أنزل علينا الملائكة ، فيخبرونا أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد استكبروا وعتوا عتواً ، لأن عتوا من ذوات الواو ، فأخرج مصدره على الأصل بالواو ، وقيل في سورة مريم ( وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ) وإنما قيل ذلك كذلك ، لموافقة المصادر في هذا الوجه جمع الأسماء ، كقولهم : قعد قعوداً ، وهم قوم قعود ، فلما كان ذلك كذلك ، وكان العاني يجمع عتيّاً بناء على الواحد ، جعل مصدره أحياناً موافقاً لجمعه ، وأحياناً مردوداً إلى أصله .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)

يقول تعالى ذكره : يوم يرى هؤلاء الذين قالوا : لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا بتصديق

محمد الملائكة ، فلا بُشِّرِي لَمْ يَوْمُئِذٍ بِخَيْرٍ (يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين : حجرا محجورا ، حراما محرما عليكم اليوم البشري ، أن تكون لكم من الله ؛ ومن الحجِر قول المتلمس : حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةٍ الْقُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا حِجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ<sup>١</sup> ومنه قولهم : حَجَرَ القاضى على فلان ، وحَجَرَ فلان على أهله ؛ ومنه حِجْر الكعبة ، لأنه لا يدخل إليه في الطواف ، وإنما يطاف من ورائه ؛ ومنه قول الآخر : فَهَمَمْتُ أَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا مَحْجَرًا فَلَمِثْلُهَا يُلْقَى إِلَيْهِ الْمَحْجَرُ<sup>٢</sup> أى مثلها يركب منه المحجرام .

واختلف أهل التأويل في الخبر عنهم بقوله ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) ومن قائلوه ؟ فقال بعضهم : قائلو ذلك الملائكة للمجرمين ، نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأجلح ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم ، وسأله رجل عن قول الله ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : تقول الملائكة : حراما محرما أن تكون لكم البشري .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، عن جدي ، عن الحسن ، عن قتادة : ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : هي كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل إذا نزل به شدة قال : حِجْرًا يقول : حراما محرما .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( لا بُشِّرِي يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ) لما جاءت زلازل الساعة ، فكان من زلازلها أن السماء انشقت ، ( فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ) على شفة كل شيء تشقق

(١) البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح ( عن معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري : رسم نخلة ) . . وحت : اشتاقت . وفي ( اللسان : دهرس ) : حجت . ونخلة القصوى : موضع على ليلة من مكة . وقيل : هما نخلة الشامية ونخلة إجمانية ؛ فالشامية : واد ينصب من الغمير . وإجمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة . وحجر : مثلث الحاء بمعنى حرام ، وفي معجم البكري : يسئل عليك ، وهو الحرام أيضا . والدهاريس جمع دهرس ، مثلث الدال ، وهي الداهية ( عن اللسان ) . والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٦٧ من مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ) وعنه أخذ المؤلف .

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي ( اللسان : حجر . والديوان طبعة دار الكتب المصرية ص ٨٤ ) . وفي رواية الديوان واللسان : أغشى في موضع : ألقى . والحجر : الحرام . قال في اللسان : لمثلها يؤق إليه الحرام . وقبل البيت ثلاثة أبيات ، وهي :

لَمْ أَلْقَ عَمْرَةَ بَعْدَ إِذْ هِيَ نَاشِيَةٌ      خَرَجْتَ مُعْطَفَةً عَلَيْهَا مُنْزَرٌ  
بَرَزْتَ عَقِيلَةَ أَرْبَعٍ هَادِيَتَهَا      بِيضِ الْوُجُوهِ كَأَنَّهِنَّ الْعُنُقُرُ  
ذَهَبْتَ بِعَقْلِكَ رِيْطَةً مَطْوِيَةً      وَهِيَ الَّتِي تُهْدِي بِهَا لَوْ تَشْعُرُ

والبيت : شاهد على أن الحجر الحرام . وقال القراء في معاني القرآن ( الورقة ٢٢٤ من مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ) : ألقى : من لقيت أى مثلها يركب منه المحجرام . وعنه أخذ المؤلف .



من السماء ، فذلك قوله ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍَ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ ) : يعني الملائكة تقول للمجرمين : حراما محرّما أيها المجرمون ، أن تكون لكم البشري اليوم حين رأيتمونا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ ) قال : يوم القيامة ( وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا )  
قال : عَوْدًا مَعَادًا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله ،  
وزاد فيه : الملائكة تقول له :

وقال آخرون : ذلك خبر من الله عن قيل المشركين إذا عابوا الملائكة :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ  
لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍَ لِلْمُجْرِمِينَ ، وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ) قال ابن جريج : كانت العرب إذا  
كروهوا شيئا قالوا حجرا ، فقالوا حين عابوا الملائكة . قال ابن جريج : قال مجاهد : ( حِجْرًا ) : عَوْدًا ،  
يستعيذون من الملائكة .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، من أجل أن الحِجْرَ هو الحرام ، فعلوم  
أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البشري عليهم حرام . وأما الاستعاذة ، فإنها الاستجارة ، وليست  
بتحريم ، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم ، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل  
المجرمين للملائكة :

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا  
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤)

يقول تعالى ذكره : وقدمنا : وحمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون من عمل ؛ ومنه قول الراجز :

وَقَدِمَ الْخَوَارِجُ الضُّلَّالُ إِلَىٰ عِبَادِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا  
إِنَّ دِمَاءَكُمْ لَنَا حَلَالٌ

يعني بقوله : قدم : عمد :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

(١) الرجز من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٦٧ مصورة الجامعة ٢٦٠٥٩ ) . وقدم إلى الشيء : عمد إليه وقصد . وهو  
عمل الشاهد عند المؤلف .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ( وَقَدْ مَنَّا ) قال : عمَدنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله ، وقوله ( فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ) يقول : فجعلناه باطلا ، لأنهم لم يعملوه لله ، وإنما عملوه للشيطان . والهباء : هو الذي يَرَى كهيئة الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كَوَّة ، يحسبه الناظر غبارا ، ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تمسه ، ولا يَرَى ذلك في الظل .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المنثني ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن سيّك ، عن عِكْرِمَةَ : أنه قال في هذه الآية : ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : الغبار الذي يكون في الشمس .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : الشعاع في كَوَّة أحدهم ، إن ذهب يقبض عليه لم يستطع .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : شعاع الشمس من الكَوَّة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : ما رأيت شيئا يدخل البيت من الشمس ، تُدْخِلُهُ مِنَ الْكَوَّةِ ، فهو الهباء .

وقال آخرون : بل هو ما تسفيه الرياح من التراب ، وتذروه من حطام الأشجار ، ونحو ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : ما تسفي الرياح وتبثه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : هو ما تذرو الرياح من حطام هذا الشجر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَبَاءً مَّنْثُورًا ) قال : الهباء : الغبار .

وقال آخرون : هو الماء المُهْرَاق .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبَاءٌ مُنْتَشُورًا ) يقال : الماء المهراق .  
وقوله جل ثناؤه ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول تعالى ذكره :  
أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا ، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة ، من مستقر هؤلاء  
المشركين ، الذين يفتخرون بأموالهم ، وما أوتوا من عَرْض هذه الدنيا في الدنيا ، وأحسن منهم فيها مقيلًا .  
فإن قال قائل : وهل في الجنة قائلة ؟ فيقال ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) فيها ؟ قيل : معنى ذلك : وأحسن فيها  
قرارًا في أوقات قائلهم في الدنيا ، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميعات النهار ، من  
أوله إلى وقت القائلة ، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة ، فذلك معنى قوله ( وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

## ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) يقول : قالوا في الغرف في الجنة ، وكان  
حسابهم أن عَرَضُوا على ربهم عَرْضة واحدة ، وذلك الحساب اليسير ، وهو مثل قوله ( فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ  
كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَنَتَقَلَّبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ) .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة  
في نصف النهار ، فيقبل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ  
خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : لم ينتصف النهار حتى يقضى الله بينهم ، فيقبل أهل الجنة في الجنة ،  
وأهل النار في النار . قال : وفي قراءة ابن مسعود : ثم إن مقيلهم إلى الجحيم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ  
خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) قال : قال ابن عباس : كان الحساب من ذلك في أوله ، وقال القوم  
حين قالوا في منازلهم من الجنة ، وقرأ ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث أن سعيدا الصواف حدثه ، أنه بلغه  
أن يوم القيامة يُقَضَى على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس ، وأنهم يقبلون في رياض  
الجنة ، حتى يُفْرَغ من الناس ، فذلك قول الله ( أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ) .  
قال أبو جعفر : وإنما قلنا : معنى ذلك : خير مستقرًا في الجنة منهم في الدنيا ، لأن الله تعالى ذكره عمّ  
بقوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا ، جميع أحوال الجنة في الآخرة ، أنها خير في الاستقرار  
فيها ، والقائلة من جميع أحوال أهل النار ، ولم يخص بذلك أنه خير من أحوالهم في النار دون الدنيا ، ولا

في الدنيا دون الآخرة ، فالواجب أن يَعْمَ كما عم ربنا جل ثناؤه ، فيقال أصحاب الجنة يوم القيامة خير مستقر في الجنة من أهل النار في الدنيا والآخرة ، وأحسن منهم مقبلا . وإذا كان ذلك معناه ، صحّ فساد قول من توهم أن تفضيل أهل الجنة بقول الله ( خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ) على غير الوجه المعروف من كلام الناس بينهم في قولهم : هذا خير من هذا ، وهذا أحسن من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥) الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَقُّ  
لِلرَّحْمَنِ، وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦)

اختلف القراء في قراءة قوله ( تَشْقُقُ ) فقرأه عامة قراء الحجاز ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ ) بتشديد الشين بمعنى : تَشْقُقُ ، فأدغموا إحدى التاءين في الشين ، فشدّ دواها ، كما قال ( لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ) . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ ) بتخفيف الشين ، والاجتزاء بإحدى التاءين من الأخرى .

والقول في ذلك عندي : أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارى فصيّب ، وتأويل الكلام : ويوم تُشَقَّقُ السماء عن الغمام . وقيل : إن ذلك غمام أبيض ، مثل الغمام الذي ظلل على بنى إسرائيل ، وجعلت الباء ، في قوله ( بِالْغَمَامِ ) مكان « عن » ، كما تقول : رميت عن القوس وبالقوس ، وعلى القوس ، بمعنى واحد .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ) قال : هو الذي قال : ( فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ) الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ، ولم يكن في تلك قط إلا لبنى إسرائيل . قال ابن جريج : الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة .  
قال : « ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو قال : يهبط الله حين يهبط ، وبينه وبين خلقه سبعون حجبا ، منها النور والظلمة والماء ، فيصوت الماء صوتا تنخلع له القلوب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ ) يقول : والملائكة حوله .

قال : ثنى حجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهزيب ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ، فيقولون : لم يجئ وهو

آت ، ثم تشقق السماء الثانية ، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف ، إلى السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ، ومن الجن والإنس ، قال : فتنزل الملائكة الكُروبيون ، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة ، قال : وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثديه ، يقول : سبحان الملك القدوس ، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القبايا ، والعرش فوق ذلك ، ثم وقف . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن هارون بن وثاب ، عن شهر بن حوشب ، قال : حملة العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك . وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : إذا نظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورجفت كُلامهم في أجوافهم . قال : وطارت قلوبهم من مقرها في صدورهم إلى حناجرهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يعني يوم القيامة حين تشقق السماء بالغمام ، وتنزل الملائكة تنزيلاً .

وقوله ( وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ) يقول : ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلاً ( المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ) يقول : الملك الحق يومئذ خالص للرحمن ، دون كل من سواه ، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه . وقد كان في الدنيا ملوك ، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ( وكان يوماً على الكافرين عسيراً ) : يقول : وكان يوم تشقق السماء بالغمام ، يوماً على أهل الكفر بالله عسيراً ، يعني صعباً شديداً .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ، يَقُولُ يَلِيَدَيَّ أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَوْمَ يَلْتَمِسُ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره ويوم يعضُّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ، ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به ، في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه ، يقول : يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً ، يعني طريقاً إلى النجاة من عذاب الله . وقوله ( يا ويلتنا ليتنينا لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( الظَّالِمُ ) وبقوله ( فلانا ) ، فقال بعضهم : عني بالظالم : عقيبته بن أبي معيط ، لأنه ارتدّ بعد إسلامه ، طلباً منه لرضا أبي بن خلف ، وقالوا : فلان هو أبي .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : كان أبي بن خلف يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عَقْبَةُ بن أبي مُعَيْط ، فنزل ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) . . . إلى قوله ( خَذُوا ) قال : الظالم : عَقْبَةُ ، وفلاننا خليلًا : أبي بن خلف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغْبِرَةَ ، عن الشعبي في قوله ( لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : كان عقبة بن أبي معيط خليلًا لأمية بن خلف ، فأسلم عقبة ، فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدًا ، فكفر ، وهو الذي قال ( لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة وعثمان الجزري ، عن مِقْسَم في قوله ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) قال : اجتمع عَقْبَةُ بن أبي معيط وأبي بن خلف ، وكانا خليلين ، فقال أحدهما لصاحبه : بلغني أنك أتيت محمدًا ، فاستمعت منه ، والله لأرضى عنك حتى تنفصل في وجهه وتكذبه ، فلم يسلطه الله على ذلك ، فقتل عقبة يوم بدر صبرًا . وأما أبي بن خلف ، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد في القتال ، وهما اللذان أنزل الله فيهما ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ) . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) . . . إلى قوله ( فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : هو أبي بن خلف كان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزجره عقبة بن أبي معيط .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ) قال : عقبة ابن أبي معيط دعا مجلسًا فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لطعام ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأكل ، وقال : «لَا آكُلُ حَتَّى تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فقال : ما أنت بآكل حتى أشهد؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فلقبه أمية بن خلف فقال : صبوت؟ فقال : إن أخاك على ماتعلم ، ولكني صنعت طعامًا فأبى أن يأكل حتى أقول ذلك ، فقلته ، وليس من نفسي . وقال آخرون : عنى بفلان : الشيطان .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعًا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فُلَانًا خَلِيلًا ) قال : الشيطان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

(١) يقال : قتل فلان صبرًا ؛ ومعناه : قدم فقتل ، وهو يرى وينظر ؛ وهو غير من يقتل في حرب أو حادث . السقا .

وقوله ( لَقَدْ أَضَلَّتْني عَنْ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَني ) يقول جل ثناؤه مخبراً عن هذا النادم على ما سلف منه في الدنيا ، من معصية ربه في طاعة خليله ، لقد أضلني عن الإيمان بالقرآن ، وهو الذكر ، بعد إذ جاءني من عند الله ، فصدتني عنه ، يقول الله ( وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ) يقول : مسلماً لما ينزل به من البلاء غير منقذه ولا منجيه .

#### انقول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ

نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول : يوم يتعض الظالم على يديه : يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك ، اتخذوا هذا القرآن مهجوراً .

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هجراً ، قولهم فيه السبي من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال : يَهْجُرُونَ فيه بالقول ، يقولون : هو سحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَقَالَ الرَّسُولُ ) . . . الآية ، يَهْجُرُونَ فيه بالقول ، قال مجاهد : وقوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ) قال : مستكبرين بالبلد سامراً مجالس تهجرون ، قال : بالقول السبي في القرآن غير الحق .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، في قول الله ( إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) قال : قالوا فيه غير الحق ، ألم تر إلى المريض إذا هذى قال غير الحق .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الخبر عن المشركين أنهم هَجَرُوا القرآن ، وأعرضوا عنه ، ولم يسمعوا له :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) لا يريدون أن يسمعوه ، وإن دُعُوا إلى الله قالوا لا ، وقرأ ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) قال : ينهون عنه ، ويعدون عنه .

قال أبو جعفر : وهذا القول أولى بتأويل ذلك ، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا : لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ، وذلك هجرهم إياه .

وقوله (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك ، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدوًّا من مشركي قومه ، فلم تُتَخَصَّصْ بذلك من بينهم ، يقول : فاصبر لما نالك منهم ، كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن عباس (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ) قال : يُوطَّنُ محمداً صلى الله عليه وسلم أنه جاعل له عدوًّا من المجرمين ، كما جعل لمن قبله .

وقوله (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) يقول تعالى ذكره لنبيه : وكفاك يا محمد بربك هاديا يهديك إلى الحق ، ويصيرك الرُّشْدَ ، ونصيرا : يقول : ناصر لك على أعدائك ، يقول : فلا يهولنك أعداؤك من المشركين ، فإني ناصرك عليهم ، فاصبر لأمرى ، وامض لتبليغ رسالتي إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ، كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ  
وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)

يقول تعالى ذكره (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ) يقول : هلا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم القرآن (جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله : (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) تنزيله عليك الآية بعد الآية ، والشئ بعد الشئ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ نزلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ، وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) قال : كان الله ينزل عليه الآية ، فإذا عَلِمَهَا نبي الله نزلت آية أخرى ، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ، ويثبت به فؤاده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قوله (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً) كما أنزلت التوراة على موسى ؟ قال (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) قال : كان القرآن يُسْرَزَلُ عليه جوابا لقولهم : ليعلم محمد أن الله يجيب القوم بما يقولون بالحق .  
ويعنى بقوله (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) : لنصحح به عزيمة قلبك ، ويقين نفسك ، ونشجعك به .



وقوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) يقول : وشيئا بعد شيء علمناكه ، حتى تحفظته ، والترتيل في القراءة : الرسل والتثبت .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال : نزل متفرقا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال : كان ينزل آية وآيتين وآيات ، جوابا لهم إذا سألوا عن شيء أنزله الله جوابا لهم ، وردا عن النبي فيما يتكلمون به ، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال : كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم لثنتين أو ثلاث وستين .

وقال آخرون : معنى الترتيل : التبيين والتفسير .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ) قال : فسره تفسيرا ، وقرأ ( وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ  
إِلَىٰ جَهَنَّمَ ، أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق ، بما يبطل به ما جاءوا به ، وأحسن منه تفسيرا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ) قال : الكتاب بما ترد به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها ، وأحسن تفسيرا .

وعنى بقوله ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) : وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ) يقول : أحسن تفصيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وأحسن تفسيرا ) قال بيانا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وأحسن تفسيرا ) يقول : تفصيلا .

وقوله ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ) يقول تعالى ذكره لنيبه : هؤلاء المشركون يا محمد ، القائلون لك ( لَوْلَا نُنزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ جُمَّلًا وَأَحَدَةٌ ) ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله ، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم ، فيساقون إلى جهنم ، شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة ، وأضلّ منهم في الدنيا طريقا .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) قال : الذي أمشاهم على أرجلهم ، قادر على أن يمشيهم على وجوههم ( أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ) من أهل الجنة ( وَأَضَلُّ سَبِيلًا ) قال : طريقا .

حدثني محمد بن يحيى الأزدي ، قال : ثنا الحسين بن محمد ، قال : ثنا شيبان ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) قال : حدثنا أنس بن مالك ، أن رجلا قال : يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه ، قال : الذي أمشاه على رجله قادر أن يمشي على وجهه .  
حدثنا أبو سفيان الغنوي يزيد بن عمرو ، قال : ثنا خلاد بن يحيى الكوفي ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : أخبرني من سمع أنس بن مالك يقول : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف يحشرهم على وجوههم ؟ قال : الَّذِينَ يُحْشَرُهُمْ عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ بِأَن يُحْشَرَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .

حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود ، عن أنس بن مالك ، قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يحشر أهل النار على وجوههم ؟ فقال : إِنَّ الَّذِينَ أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ ، قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .  
حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن يقول : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ( الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ) فقالوا : يا نبي الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ ، أَلَيْسَ قَادِرًا أَنْ يُمَشِّيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ » .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور بن زاذان ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي خالد ، عن أبي هريرة ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف :

صنف على الدواب ، وصنف على أقدامهم ، وصنف على وجوههم ، فقيل : كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم ، قادر أن يمشيهم على وجوههم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نعمته بهم ، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها (وَلَقَدْ آتَيْنَا) يا محمد (مُوسَى الْكِتَابَ) يعنى التوراة ، كالذى آتيناك من الفرقان (وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا) ، يعنى معينا وظهيرا (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) يقول : فقلنا لهما : اذها إلى فرعون وقومه ، الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا ، فدمرناهم تدميرا . وفى الكلام متروك ، استغنى بدلالة ما ذكر من ذكره ، وهو : فذها فكذبوهما ، فدمرناهم حينئذ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ، وَجَعَلْنَا لِنَاسٍ آيَةً، وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقوم نوح لما كذبوا رسلنا ، وردوا عليهم ما جاءهم به من الحق ، أغرقناهم بالطوفان (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِنَاسٍ آيَةً) يقول : وجعلنا تغريقنا إياهم وإهلاكنا ، عظة وعبرة للناس يعتبرون بها (وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا) يقول : وأعدنا لهم من الكافرين بالله فى الآخرة عذابا ألما ، سوى الذى حل بهم من عاجل العذاب فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ، وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ، وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩)

يقول تعالى ذكره : ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرس . واختلف أهل التأويل فى أصحاب الرس ، فقال بعضهم : أصحاب الرس : من ثمود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : (وأصحاب الرس) قال : قرية من ثمود .

وقال آخرون : بل هي قرية من اليمامة يقال لها الفلنج .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم ، قال : قال قتادة : الرس : قرية من اليمامة يقال لها الفلنج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال عكرمة : أصحاب الرس بفلج هم أصحاب يس .

وقال آخرون : هم قوم رسوا نبيهم في بئر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كان الرس بئرا رسوا فيها نبيهم .

وقال آخرون : هي بئر كانت تسمى الرس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، (وأصحاب الرس) قال : هي بئر كانت تسمى الرس .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبید الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد في قوله (وأصحاب الرس) قال : الرس بئر كان عليها قوم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : هم قوم كانوا على بئر ، وذلك أن الرس في كلام العرب : كل محفور ، مثل البئر ، والقبر ، ونحو ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

سَبَقَتْ إِلَى قَرْطٍ بَاهِلٍ تَنَابِلَةٌ يَحْفُرُونَ الرَّسَاسَا

يريد أنهم يحفرون المعادن ، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة ، ذكرهم الله في كتابه ، إلا أصحاب الأخدود ، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله (وأصحاب الرس) فلإنا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتبهنا إلى سورة البروج ، وإن يكونوا غيرهم ، فلا نعرف لهم خيرا ، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم ، أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة .

إلا ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الأسود » . وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث نبيا إلى أهل قرية ، فلم يؤمن من أهلها أحد إلا ذلك الأسود ، ثم إن أهل

(١) في تاج العروس : وقيل (فلج) : بلد . ومنه قيل لطريق مأخذه من البصرة إلى اليمامة : طريق بطن فلج . ٥١ .

(٢) البيت لتأنيب الجعدي (اللسان : رس) . والتفرط بالتحريك : القوم يتقدمون إلى الماء قبل الورد ، فيهبون لهم الأرسان والدلاء ، ويملثون الحياض ، ويستقون لهم (عن اللسان) . والباهل : المنرد بلا عمل . والتنايلة : جمع تقيل ، يوزن جعفر ، وهو الرجل القصير . ولعله كناية عن البطء والمعجز عن العمل . والرساس : جمع رس ، وهي البئر القديمة أو المعدن (المنجم تستخرج منه المعادن كالحديد ونحوه) . استشهد به المؤلف على أن كل محفور مثل البئر والقبر والمعدن ، فهو رس عند العرب .

القرية عدوا على النبي عليه السلام ، فحفروا له بئرا ، فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر ضخم . قال : وكان ذلك العبد يذهب فيحتطب على ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتي به إلى ذلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، فيعينه الله عليها ، فيدلى إليه طعامه وشرابه ، ثم يعيدها كما كانت ، قال : فكان كذلك ما شاء الله أن يكون ، ثم إنه ذهب يوما يحتطب ، كما كان يصنع ، فجمع حطبه ، وحزم حزمته ، وفرغ منها ، فلما أراد أن يحمّلها وجد سِنَّة ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه سبع سنين نائما ، ثم إنه هب فتمطى ، فتحول لشقه الآخر ، فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هب ، فاحتمل حزمته ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية ، فباع حزمته ، ثم اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ، ثم ذهب إلى الحفرة في موضعها التي كانت فيه ، فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ، قال : فكان النبي عليه السلام يسألهم عن ذلك الأسود ما فعل ؟ فيقولون : ما ندري ، حتى قبض الله النبي ، فأهب الله الأسود من نومته بعد ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لِأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْحَسَّةَ » غير أن هؤلاء في هذا الخبر يذكر محمد بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم آمنوا بنبيهم ، واستخرجوه من حفرة ، فلا ينبغي أن يكونوا المعنيين بقوله ( وأصحاب الرّس ) لأن الله أخبر عن أصحاب الرّس أنه دمّهم تدميرا ، إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذي استخرجوه من الحفرة وآمنوا به ، فيكون ذلك وجها ( وقرونا بين ذلك كثيرا ) يقول : ودمرنا بين أضعاف هذه الأمم التي سميناها لكم أمما كثيرة .

كما حدثنا الحسن بن شبيب ، قال : ثنا خلف بن خليفة ، عن جعفر بن علي بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خلفت بالمدينة عسمى ممن يفتي على أن القرن سبعون سنة ، وكان عمه عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي رضي الله عنه .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن إبراهيم ، قال : القرن أربعون سنة .

وقوله ( وكلاً ضربنا له الأمثال ) يقول تعالى ذكره : وكل هذه الأمم التي أهلكتناها ، التي سميناها لكم أو لم نسمها ، ضربنا له الأمثال ، يقول : مثلنا له الأمثال ، ونبناها على حججنا عليها ، وأعدنا إليها بالعبر والمواعظ ، فلم نهلك منهم أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعبرة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وكلاً ضربنا له الأمثال ) قال : كل قد أعد الله إليه ، ثم انتقم منه .

وقوله ( وكلاً تسبنا تنبيها ) يقول تعالى ذكره : وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم ، استأصلناهم ، فدمرناهم بالعذاب إبادة ، وأهلكناهم جميعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله ( وَكَلَّا تَتَّبِعُنَا )  
تَتَّبِعِينَ ( قال : تبر الله كلاً بعذاب تنبيها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ( وَكَلَّا تَتَّبِعُنَا )  
تَتَّبِعِينَ ( قال : تنبير : بالنبطية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله ( وَكَلَّا تَتَّبِعُنَا )  
تَتَّبِعِينَ ( قال : بالعذاب .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَطَرَ السَّوْءَ ، أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا  
لَا يَرْجُونَ نَشُورًا (٤٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجورا على القرية التى أمطرها الله مطر السوء ،  
وهى سدوم ، قرية قوم لوط ، ومطر السوء : هو الحجارة التى أمطرها الله عليهم ، فأهلكهم بها .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ  
الَّتِي أَمْطَرَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْمَطَرَ السَّوْءَ ) قال : حجارة ، وهى قرية قوم لوط ، واسمها سدوم . قال ابن عباس :  
خمس قرىات ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صعوة ، لم تهلك صعوة ، كان أهلها لا يعملون  
ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهى التى نزل بها لوط ، ومنها بعث ، وكان إبراهيم صلى الله عليه  
وسلم ينادى نصيحة لهم : يا سدوم ، يوم لكم من الله ، أنها كم أن تعرضوا لعقوبة الله .  
زعموا أن لوطا ابن أخى إبراهيم صلوات الله عليهما .

وقوله ( أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ) يقول جل ثناؤه : أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على  
القرية التى أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية ، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم ،  
فيعتبروا ويتذكروا ، فيراجعوا التوبة من كفرهم ، وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا لا يرجون  
نشورا ، يقول تعالى ذكره : ما كذبوا محمدا فيما جاءهم به من عند الله ، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية  
التي وُصِفَتْ ، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشورا بعد الممات ، يعنى أنهم لا يوقنون بالعقاب  
والتواب ، ولا يؤمنون بقيام الساعة ، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ، بَلْ كَانُوا لَا يَتْرُجُونَ نُشُورًا ) : بعثنا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا ، أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإذا رأك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم ( إن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا ) يقول : ما يتخذونك إلا سخرية يسخرون منك ، يقولون : أهذا الذي بعث الله إلينا رسولا من بين خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ، لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا (٤٢)

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنهم يقولون إذا رأوه : قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبدها ، فيصدتنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها ، وثبتوتنا على عبادتها ( وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ) يقول جل ثناؤه : سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة ( مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ) يقول : من الراكب غير طريق الهدى ، والسالك سبيل الردى أنت أوهم .  
وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( إن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ، لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ) قال : ثبتنا عليها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟ (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ، إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)

يقول تعالى ذكره : أرايت يا محمد من اتخذ إلهه شهوته التي يهواها ، وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخر يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره نفسه ،

فلذلك قال جل ثناؤه ( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ) يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله ؟ أم تحسب يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين يسمعون ما يتلى عليهم ، فيعزّون أو يعقلون ما يعاينون من حُجج الله ، فيفهمون ( إنهم إلا كالأنعام ) يقول : ما هم إلا كالبهائم التي لاتعقل ما يقال لها ، ولا تفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلا ، لأن البهائم تهتدى لمراعبيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لايطيعون ربهم ، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خلقهم وبرّاهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاءَ كِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد كيف مدّ ربك الظلّ ، وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يقول : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : مدّه ما بين صلاة الصبح إلى طلوع الشمس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبّير ، في قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاءَ كِنًا ) قال : الظلّ : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا أبو محصن ، عن حصين ، عن أبي مالك ، قال ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : ظلّ الغداة قبل أن تطلع الشمس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، عن مجاهد ، قال : الظلّ : ظلّ الغداة .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، عن عكرمة ، قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) قال : مدّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ) يعني من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس . قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَّهٗ سَاكِنًا ) يقول : ولو شاء لجعله دائماً لا يزول ، ممدوداً لا تذهب الشمس ، ولا تنقصه .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَّهٗ سَاكِنًا ) يقول : دائماً .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَّهٗ سَاكِنًا ) قال : لانصبيه الشمس ولا يزول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَّهٗ سَاكِنًا ) قال : لا يزول .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَوْشَاءَ بَلَعَلَّهٗ سَاكِنًا ) قال : دائماً لا يزول .

وقوله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول جل ثناؤه : ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه ، أنه خلق من خلق ربكم ، يوجهه إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد ، والهاء في قوله « عليه » من ذكر الظل . ومعناه : ثم جعلنا الشمس على الظل دليلاً . قيل : معنى دلالتها عليه : أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه ، لم يعلم أنه شيء ، إذ كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها ، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض ، والبارد بالحار ، وما أشبه ذلك .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) يقول : طلوع الشمس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال : تحويه : حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ) قال : أخرجت ذلك الظل ، فذهبت به .

وقوله ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) يقول تعالى ذكره : **مَّمَّ قَبَضْنَا ذَلِكَ الدَّلِيلَ مِنَ الشَّمْسِ عَلَى الظِّلِّ إِلَيْنَا قَبْضًا خَفِيًّا سَرِيعًا ، بِالنِّيِّ الَّذِي نَأْتِي بِهِ بِالْعَشِيِّ .**  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : حوى الشمس الظل . وقيل : إن الهاء التي في قوله ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا** ) عائدة على الظل ، وإن معنى الكلام : **مَّمَّ قَبَضْنَا الظِّلَّ إِلَيْنَا** بعد غروب الشمس ، وذلك أن الشمس إذا غربت غاب الظل الممدود ، قالوا : وذلك وقت قبضه .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( **يَسِيرًا** ) فقال بعضهم : معناه : سريعا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) يقول : سريعا .  
وقال آخرون : بل معناه : قبضا خفيا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن مجاهد ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : خفيا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( **قَبْضًا يَسِيرًا** ) قال : خفيا ، قال : إن ما بين الشمس والظل مثل الخيط ، واليسير الفعيل من اليسر ، وهو السهل الهين في كلام العرب . فعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك ، يتوجه لما روى عن ابن عباس ومجاهد ، لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء . وقيل : إنما قيل ( **مَّمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا** ) لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة ، ولا يقبل الظلام كله جملة ، وإنما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا ، شيئا بعد شيء ، ويعقب كل جزء منه يقبضه ، جزء من الظلام .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ، وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧)

\* يقول تعالى ذكره : الذي مدّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلا ، هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لياسا . وإنما قال جل ثناؤه ( **جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسَا** ) لأنه جعله لخلقه جنّة يجتنون فيها ويسكنون ، فصار لهم سترًا يسترون به ، كما يسترون بالثياب التي يكسونها . وقوله ( **وَالنَّوْمَ سُبَاتًا** ) يقول : وجعل

لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم ، وتهدأ به جوارحكم . وقوله ( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ) يقول تعالى ذكره : وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم : نَشَرَ المِيتَ ، كما قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ  
ومنه قول الله ( لَا يَمْلِكُونَ مَوْتَنَا وَلَا حَيَاتَنَا وَلَا نُشُورًا ) .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني محمد بن عمر ، وقال ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( والنَّهَارَ نُشُورًا ) قال : يُنْشَرُ فِيهِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ، لأنه عقيب قوله ( والنَّوْمَ سُبَاتًا ) في الليل . فلذا كان ذلك كذلك ، فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه إذ كان النوم أخا الموت . والذي قاله مجاهد غير بعيد من الصواب ، لأن الله أخبر أنه جعل النهار معاشا ، وفيه الانتشار للمعاش ، ولكن النشور مصدر من قول القائل : نَشَرَ ، فهو بالنشر من الموت والنوم أشبه ، كما صححت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨)  
لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُنْقِئَهُ مِمَّا خَلَقْنَا آنَعْمًا وَأَنَا مِيٌّ كَثِيرًا (٤٩)

يقول تعالى ذكره ، والله الذي أرسل الرياح الملقحة نُشُورًا : حياة ، أو من الحيا والغيث ، الذي هو منزله على عباده ( وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ) يقول : وأنزلنا من السحاب الذي أنشأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ، ماء طَهُورًا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا) يعني أرضا قَحِيطةً عَدِيَّةً لَا تُنْبِتُ . وقال ( بَلْدَةً مَيِّتًا ) ولم يقل مَيِّتة ، لأنه أريد بذلك ، لنحيي به موضعا ومكانا مَيِّتًا ، وننقيه من خلقنا أنعاما من البهائم ، وأناسي كثيرا ، يعني بالأناسي : جمع إنسان ، وجمع أناسي ، فجعل الياء عوضا من النون التي في إنسان ، وقد يجمع إنسان : إناسين ، كما يجمع النَّشِيَانُ : نَشَائِينَ . فإن قيل : أناسي : جمع واحده إنسي ، فهو مذهب أيضا

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) وهو من قصيدة يهجو بها علقمة ابن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، في المناقرة التي جرت بينهما) . وقيل البيت قوله :

لَوْ أَسْنَدْتُ مَيِّتًا إِلَى صَدْرِهَا عَاشَرَ وَكَمْ يُنْقَلُ إِلَى قَابِرِ

والبيت كذلك في (اللسان : نشر) قال : ونشر الله الميت ينشره نشرًا ونشورًا ، وأنشره ، فنشر الميت ( برقع الميت ) لا غير : أحياء ، قال الأعشى : « حتى يقول . . . البيت » . وهذا عمل الشاهد عند المؤلف .

(٢) يقال رجل نشوان ، من السكر ؛ ونشيان الخبز ؛ يختبر الأخبار أول ورودها ، ويبحث عنها . وأصلها الواو .

محكى ، وقد يجمع أناسى مخففة الياء ، وكأن من جمع ذلك كذلك ، أسقط الياء التى بين عين الفعل ولامه ، كما يجمع القُرُقور : قراقرى وقراقر . ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف ، قول العرب : أناسية كثيرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ، فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)

يقول تعالى ذكره : ولقد قسمنا هذا الماء الذى أنزلناه من السماء طهورا ، لنحى به الميت من الأرض بين عبادى ، ليتذكروا نعمى عليهم ، ويشكروا أبادىّ عندهم ، وإحسانى إليهم ، ( فأبى أكثرهم إلا كُفُورًا ) يقول : إلا جحودا لنعمى عليهم ، وأبادىّ عليهم . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : سمعت الحسن بن مسلم يحدث طاوسا ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكن الله يصرّفه بين خلقه ، قال : ثم قرأ ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ )

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن سليمان التيمى ، قال : ثنا الحسن بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : ما عام بأكثر مطرا من عام ، ولكنه يُصَرِّفه فى الأرضين ، ثم تلا ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ) قال : المطر ينزله فى الأرض ، ولا ينزله فى الأرض الأخرى ، قال : فقال عكرمة : صرفناه بينهم ليدذكروا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ) قال : المطر مرة هاهنا ، ومرة هاهنا .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن يزيد بن أبى زياد ، أنه سمع أبا جُحَيْفَةَ يقول : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : ليس عام بأكثر من عام ، ولكنه يصرّفه ، ثم قرأ عبد الله ( وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ ) .

وأما قوله ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ( فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ) قال : قولهم فى الأنواء .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدُهُمْ بِهِ جِهَادًا

كَبِيرًا (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلِّ مصر ومدينة نذيرا ينذرهم بأسنا، على كفرهم بنا ، فيخفّ عنك كثيرا من أعباء ما حملناك منه ، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة ، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى ، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ، ما أعدَّ الله لك من الكرامة عنده ، والمنازل الرفيعة قبيلته ، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه ، من أن تعبد آلهتهم ، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات ، ولكن جاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا ، حتى يتقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله ، ويدينوا به ، ويدعونا للعمل بجميعة ، طوعا وكرها .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ ، وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ) قال : بالقرآن .  
وقال آخرون في ذلك بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ) قال : الإسلام ، وقرأ ( وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ ) وقرأ ( وَلَيَسْجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ) وقال : هذا الجهاد الكبير .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣)

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلط البحرين ، فأمرج أحدهما في الآخر ، وأفاضه فيه ، وأصل المَرَجُ : الخلط ، ثم يقال للتخلية مَرَجٌ ، لأن الرجل إذا خلَى الشيء حتى اختلط بغيره ، فكأنه قد مرجه ، ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقوله لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ بِكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، قَدْ مَرَجَتْ عَنْهُمُ أَمْوَالُهُمْ ، وَأَمَّا نَأْتُهُمْ ، وَصَارُوا هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ؟ » يعني بقوله : قد مَرَجَتْ : اختلطت ، ومنه قول الله ( فِي أَمْرِ مَرْيَمَ ) : أي مختلط . وإنما قيل للمَرَجِ مَرَجٌ من ذلك ، لأنه يكون فيه أخلاط من الدواب ، ويقال : مَرَجَتْ دَابَّتُكَ : أي خلقتها تذهب حيث شاءت ، ومنه قول الراجز :

رَعَى بِهَا مَرَجَ رَبِيعٍ مَرَجًا

وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت من مشطور الراجز ، للمعراج الراجز (ديوان طبع ليبسج سنة ١٠٩٣ ص ٩) وهو البيت الثاني والثمانون من أرجوزته التي مطلعها • ماهاج أحزاننا وشجوا قد شجا • وضبط ناشره لفظه مرَج ، بضم الميم الأول وكسر الراء ، والصواب ما في اللسان ، ونقلناه عنه ، وهو اسم مكان من مرَج الدابة يمرجها (من باب نصر) إذا أرسلها ترعى في المرَج .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) : أفاض أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ) يقول : خلع أحدهما على الآخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تيملة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ( مَرَجَ ) أفاض أحدهما على الآخر .

وقوله ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ) الفرات : شديد العذوبة ، يقال : هذا ماء فرات : أي شديد العذوبة .  
وقوله ( وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) يقول : وهذا ملح مر ، يعني بالعذب الفرات : مياه الأنهار والأمطار ، وبالملح الأجاج : مياه البحار .

وإنما عني بذلك أنه من نعمته على خلقه ، وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر المالح الأجاج ، ثم يمنع المالح من تغيير العذب عن عذوبته ، وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضر إفساده إياه بركبان المالح منها ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جل ثناؤه ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) يقول : وجعل كل واحد منهما حراما محرما على صاحبه أن يغيره ويفسده .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ) يعني أنه خلع أحدهما على الآخر ، فليس يفسد العذب المالح ، وليس يفسد المالح العذب ، وقوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : البرزخ : الأرض بينهما ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) يعني : حجرا أحدهما على الآخر بأمره وقضائه ، وهو مثل قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ) .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : محبسا ، قوله ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : لا يخلط البحر بالعذب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : حاجزًا لا يراه أحد ، لا يَخْتَلط العذب في البحر ، قال ابن جُرَيْج : فلم أجد بحراً عذبا إلا الأنهار العذبا ، فإن دجلة تقع في البحر ، فأخبرني الخبير بها أنها تقع في البحر ، فلا تمر فيه بينهما مثل الخيط الأبيض ، فإذا رجعت لم ترجع في طريقها من البحر ، والنيل يصب في البحر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو ثيملة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) قال : البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان ، وقوله ( حِجْرًا مَحْجُورًا ) : أي لا يختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا ، لا يبغي أحدهما على الآخر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : هذا اليبس .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) قال : جعل هذا ملحا أجاجا ، قال : والأجاج : المر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ، وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ ) يقول : خلع أحدهما على الآخر ، فلا يغير أحدهما طعم الآخر ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ) هو الأجل ما بين الدنيا والآخرة ( وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) جعل الله بين البحرين حِجْرًا ، يقول : حاجزًا حَجَزَ أحدهما عن الآخر ، بأمره وقضائه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) وجعل بينهما سترًا لا يلتقيان . قال : والعرب إذا كلم أحدهم الآخر بما يكره قال : حِجْرًا ، قال : سترًا دون الذي تقول .

قال أبو جعفر : وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في معنى قوله ( وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ) دون القول الذي قاله من قال معناه : إنه جعل بينهما حاجزًا من الأرض أو من اليبس ، لأن الله تعالى ذكره أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين ، والمرج : هو الخلط في كلام العرب ، على ما بينت قبل ، فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين ، والملح الأجاج ، أرضًا أو يَبَسًا ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه . فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ، ويذكرون به ، وإن كان كل ما ابتدعه ربنا عجيبًا ، وفيه أعظم العبر والمواعظ والحجج البوالغ :

القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤)

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق من التُّنْطَفِ بشرا إنسانا ، فجعله نسا ، وذلك سبعة ، وصهرا ، وهو خمسة .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ) النسب : سبع ، قوله ( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ) . . . إلى قوله ( وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ) ، والصهر خمس ، قوله ( وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ ) . . . إلى قوله ( وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ) ، وقوله ( وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ) يقول : وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق ، وتصريفهم فيما شاء وأراد .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم ، فتجلب إليهم نفعا إذا هم عبدوها ، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها ، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا تكفأ لأدناها ، وهي ما عدد علينا جل جلاله في هذه الآيات من قوله ( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظُّلَّ ) إلى قوله ( قَدِيرًا ) ، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراده ، ولا يتعدر عليه فعل شيء أراد فعله ، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده ، أحل به ما أحل بالذين وصف صفتهم ، من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرس ، وقرونا بين ذلك كثيرا ، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر ، ولا له عنه دافع ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) يقول تعالى ذكره : وكان الكافر معينا للشيطان على ربه ، مظاهرا له على معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) قال : يظاهر الشيطان على معصية الله يعينه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( على ربه ظهيرا ) قال : معينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : أبو جهل معينا ظاهر الشيطان على ربه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وكان الكافر على ربه ظهيرا ) قال : عوننا للشيطان على ربه على المعاصي .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ) قال : على ربه عوينا . والظهير : العوين . وقرأ قول الله ( فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ) قال : لا تكونن لهم عوينا . وقرأ أيضا قول الله ( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِبَاصِيهِمْ ) قال : ظاهروهم : أعانوهم .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ) يعني : أبا الحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبا جهل بن هشام .

وقد كان بعضهم يوجه معنى قوله ( وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ) . . . إلى : وكان الكافر على ربه هينا ؛ من قول العرب : ظهرت به ، فلم ألتفت إليه ، إذا جعله خلف ظهره ، فلم يلتفت إليه ، وكان الظهير كان عنده فعيل ، صرف من مفعول ، إليه من مظهر به ، كأنه قيل : وكان الكافر مظهورا به .  
والقول الذي قلناه هو وجه الكلام ، والمعنى الصحيح ، لأن الله تعالى ذكره أخبر عن عبادة هؤلاء الكفار من دونه ، فأوتى الكلام أن يتبجح ذلك ذمه إياهم ، وذم فعلهم ، دون الخبر عن هوانهم على ربهم ، ولما يجر لاستكبارهم عليه ذكر ، فيتبع بالخبر عن هوانهم عليه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِلَّا مَنْ شَاءَ ، أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّد ) إلى من أرسلناك إليه ( إِلَّا مُبَشِّرًا ) بالثواب الجزيل ، من آمن بك وصدقك ، وآمن بالذي جنتهم به من عندي ، وعملوا به ، ( وَنَذِيرًا ) من كذبك وكذب ما جنتهم به من عندي ، فلم يصدقوا به ، ولم يعملوا ( قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ) يقول له : قل هؤلاء الذين أرسلناك إليهم ، ما أسألكم يا قوم على ما جنتكم به من عند ربى أجرا ، فتقولون : إنما يطلب محمد أموالنا ، بما يدعوننا إليه ، فلا نتبعه فيه ، ولا نعطيه من أموالنا شيئا ، ( إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ) يقول : لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا ، طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله ، وفيما يقربه إليه من الصدقة ، والنفقة في جهاد عدوه ، وغير ذلك من سبل الخير .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨)  
يقول تعالى ذكره : وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة ، التي لا موت معها ، فتق به في أمر ربك ، وفوض إليه ، واستسلم له ، واصبر على ما نابتك فيه . قوله ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ) يقول : واعبده شكرا منك

له على ما أنعم به عليك . قوله ( وَكَفَىٰ بِهِ بَدَأُ نُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ) يقول : وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه ، فإنه لا يخفى عليه شيء منها ، وهو محصٍ جميعها عليهم ، حتى يجازيهم بها يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ، الرَّحْمَنُ  
فَسْتَلِّ بِهِ خَبِيرًا (٥٩)

يقول تعالى ذكره : ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ - الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) فقال : وما بينهما ، وقد ذكر السموات والأرض ، والسموات جماع ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشيتين ، كما قال القسطلي :

ألم يحزنك أن حبال قيس وتغلب قد تباننتا انقطاعا

يريد : وحبال تغلب ، فتنى ، والحبال جمع ، لأنه أراد الشيتين والنوعين .

وقوله ( فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) قيل : كان ابتداء ذلك يوم الأحد ، والفراغ يوم الجمعة ( ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ) يقول : ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه ، وذلك يوم السبت فيما قيل . وقوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) يقول : فاسأل يا محمد خبيراً بالرحمن ، خبيراً بخلق ، فإنه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) قال : يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك شيئاً ، فاعلم أنه كما أخبرتك ، أنا الخبير ، والخبير في قوله ( فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ) منصوب على الحال من الهاء التي في قوله : به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ ، قَالُوا ؟ وَمَا الرَّحْمَنُ ؟ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ؛ وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم : اسجدوا للرحمن : أى اجعلوا سجدكم لله خالصاً دون الآلهة والأوثان ، قالوا : أنسجد لما تأمرنا : واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ( لِمَا تَأْمُرُنَا ) بمعنى : أنسجد نحن

(١) البيت للقسطلي ، وقد سبق الكلام عليه مفصلاً . والشاهد فيه هنا : أن الشاعر قال « تباننتا » بالثنية ، مع أن حبال جمع حبل . والمسوغ لذلك : أن حبال قيس جماعة ، وحبال تغلب جماعة أخرى ، فعاملهما في إعادة التفسير عليهما معاملة المفردين ، ومثله في القرآن : « الذي خلق السموات والأرض وما بينهما » ، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين .

يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له ؟ ! وقرآته عامة قرآء الكوفة (لِمَا يَا مُرْتَنَا) بالياء ، بمعنى : أنسجد لما يأمرنا الرحمن ، وذكر بعضهم أن مسيلمة كان يدعى الرحمن ، فلما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : اسجدوا للرحمن ، قالوا : أنسجد لما يأمرنا رَحْمَنُ العِمامة ؟ يعنون مسيلمة ، بالسجود له .  
قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، أنهما قراءتان مستفيضتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .  
وقوله (وَزَادَهُمْ نُفُورًا) يقول : وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم : اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله ، وإفراد الله بالعبادة ، بعدا ومما دعوا إليه من ذلك وفرارا .

القول في تأويل قوله تعالى

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١)

يقول تعالى ذكره : تقدّس الربّ الذي جعل في السماء بروجاً . ويعنى بالبروج : القصور في قول بعضهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ومحمد بن المنثي وسكّيم بن جنادة ، قالوا : ثنا عبد الله بن إدريس ، قال : سمعت أبا ، عن عطية بن سعد ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء ، فيها الحرس :

حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا أبو معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن يحيى بن رافع ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن إبراهيم (جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا عليّ بن مسهر ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : قصورا في السماء فيها الحرس .  
وقال آخرون : هي النجوم الكبار :

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن المنثي ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) قال : النجوم الكبار .

قال : ثنا الضحاك ، عن مخلد ، عن عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قال : الكواكب : حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بُرُوجًا) قال : البروج : النجوم .

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: هي قصور في السماء، لأن ذلك في كلام العرب (وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ) وقول الأخطل:

كَأَنَّهَا بُرُجٌ رُّومِيٌّ يُشْسِدُهُ<sup>١</sup> بَانٍ يَجِيصُ<sup>٢</sup> وَأَجْرٌ وَأَحْجَارًا

يعنى بالبرج: القصر.

قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) اختلف القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا) على التوحيد، ووجهوا تأويل ذلك إلى أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عنى عندهم، بقوله (جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا).

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا) قال: السراج: الشمس.

وقرأته عامة قراء الكوفيين (وَجَعَلَ فِيهَا سُرُجًا) على الجماع، كأنهم وجهوا تأويله: وجعل فيها نجومًا (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وجعلوا النجوم سُرُجًا، إذ كان يُهتدى بها.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، لكل واحدة منهما وجه مفهوم، فأبيتهما قرأ القارئ فصيبي.

وقوله (وَقَمَرًا مُنِيرًا) يعنى بالمنير: المضيء.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) فقال بعضهم: معناه: أن الله جعل كل واحد منهما خلفًا من الآخر، في أن ما فات في أحدهما من عمل يعمل فيه لله، أدرك قضاؤه في الآخر.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية، عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن الله جعل الليل والنهار خلفًا لمن، أراد أن يذَّكَّرَ أو أراد شكورًا.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (وَهُوَ

(١) البيت للأخطل كما قال المؤلف. والبرج: المراد به القصر كما قاله. وقد كثر في كلام العرب تشبيه إبل السفر القوية الموثقة الخلق بأبنية الروم، ومن ذلك قول طرفة في وصف ناقته:

كَفَنَظْرَةَ الرُّومِيِّ أَقْسَمَ رَبُّهَا لَتَكْتَنَنَّ حَتَّى تُشَادَ بِقَمَرٍ مَدٍ

والبيت شاهد على أن البرج معناه: القصر.

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ( يقول : من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : جعل أحدهما خلفاً للآخر ، إن فات رجلاً من النهار شيء ، أدركه من الليل ، وإن فاته من الليل ، أدركه من النهار .

وقال آخرون : بل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً صاحبه ، فجعل هذا أسود ، وهذا أبيض .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : أسود وأبيض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر بن قيس ، بن أبي مسلم الماصر ، عن مجاهد ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : أسود وأبيض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كل واحد منهما يخلف صاحبه ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا قيس ، عن عمر بن قيس الماصر ، عن مجاهد ، قوله ( جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : هذا يخلف هذا ، وهذا يخلف هذا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ) قال : لو لم يجعلهما خلفة لم يدرك كيف يتعمّل ، لو كان الدهر ليلاً كله ، كيف يدري أحد كيف يصوم ؟ أو كان الدهر نهاراً كله ، كيف يدري أحد كيف يصلي . قال : والخلفة : مختلفان ، يذهب هذا ويأتي هذا ، جعلهما الله خلفة للعباد ، وقرأ ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ ، أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) والخليفة : مصدر ، فلذلك وُحِدَتْ ، وهي خبر عن الليل والنهار ، والعرب تقول : خالف هذا من كذا خلفة ، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله ، كما قال الشاعر :

وَلَمَّا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا  
خِلْفَةً حَتَّى إِذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنْتَ مِنْ جِلْقٍ بَيْعًا

(١) البيتان : ليزيد بن معاوية ، من مقطوعة له ذكرها صاحب ( خزنة الأدب الكبرى ٣ : ٢٧٨ - ٢٨٠ ) قالها متغزلاً في امرأة نصرانية ، كانت قد تربت في دُجند الماطرون ، وهو بستان بظاهر دمشق . وفي الأبيات « خرقة » في موضع « خلفة » والخرقة بضم الخاء : ما يحترق ويحترق ، وهذه رواية المبرد في الكامل . ورواية المؤلف موافقة لرواية صاحب العباب ، وكذلك رواها العمري عن ابن القوطية قال : الرواية : هي الخلفة باللام ، وهو ما يطلع من الثمر بعد الثمر الطيب . قال البغدادي : والجيد عندي رواية الخلفة ، على =

وكما قال زهير :

بِهَا الْعَيْنُ وَالْآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ

يعنى بقوله : يمشين خلفه : تذهب منها طائفة ، وتختلف مكانها طائفة أخرى . وقد يحتمل أن زهيراً أراد بقوله : خلفه : مختلفات الألوان ، وأنها ضروب في ألوانها وهيئاتها . ويحتمل أن يكون أراد أنها تذهب في مشيها كذا ، وتجيء كذا .

وقوله ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْدَكَّرَ ) يقول تعالى ذكره : جعل الليل والنهار ، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله ، فينيب إلى الحق ، أو أراد شكورا : أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْدَكَّرَ ) ذلك آية له ( أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ) قال : شكر نعمة ربه عليه فيهما .

واختلفت القرآء في قراءة قوله ( يَنْدَكَّرَ ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين : ( يَنْدَكَّرُ ) مشددة ، بمعنى يتذكر . وقرأه عامة قرآء الكوفيين ( يَنْدَكَّرَ ) مخففة ، وقد يكون التشديد والتخفيف في مثل هذا بمعنى واحد ، يقال : ذكرت حاجة فلان وتذكرتها .  
والقول في ذلك أنهما قرآءتان معروفتان متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب الصواب فيهما .

القول في تأويل قوله تعالى

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)

= أنها اسم من الاختلاف ، أى التردد . وارتبعت : دخلت في الربيع . ويروى : ربت ، بمعناه . ويروى : ذكرت : بدل سكتت . وخلق : مدينة بالشام ، والبيع : جمع بيعة بكسر الباء ، وهى متعبدة قال الجوهري وصاحبا العباب والمصباح : هى لتنصارى ، وقال العيني : البيعة : لليهود ، والكنيسة لتنصارى ، وهذا لا يناسب قوله إن الشعر في نصرانية . ومعنى البيتين : إن هذه المرأة ترددا إلى المناطرون في الشتاء ، فإن النمل يخزن الحب في الصيف ، ليأكله في الشتاء ، وإذا دخلت في أيام الربيع ارتحلت إلى البيع التى يخلق . ٨١ .  
وأورد المؤلف الشعر شاهدا على معنى الخلفة كما شرحه البغدادي .

(١) البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلح السقا ، طبعة مصطلح البابى الحلبي وأولاده ص ٢٢٨ ) قال شارحه : العين : جمع عيناه ، بقر الوحش . والآرام : جمع رئم ، وهو الطيبى الخالص البياض . وخلفة : يختلف بعضها بعضا . والأطلاء : جمع الطلاء ، وهو الولد من ذوات الطلغ . والهيم : المرئض والشاهد في البيت عند المؤلف في قوله « خلفة » كما في الشاهد الذى قبله : أى يذهب بعضها ويخلفه بعض .

يقول تعالى ذكره (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) بالحلم والسكينة والوقار ، غير مستكبرين ، ولا متجبرين ، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا ، فقال بعضهم : عن بقوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكرم ، عن مجاهد ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالحلم والوقار .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، وعبد الرحمن ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قالوا : بالسكينة والوقار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن شريك ، عن جابر ، عن عمار ، عن عكرمة ، في قوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أيوب ، عن عمرو الملائي ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : بالوقار والسكينة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) بالطاعة والعفاف والتواضع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : يمشون على الأرض بالطاعة .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنى عمي ، عبد الله بن وهب ، قال : كتب إلى إبراهيم بن سويد ، قال : سمعت زيد بن أسلم يقول : التمس تفسير هذه الآية ( الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) فلم أجدها عند أحد ، فأتيت في النوم ، فقيل لي : هم الذين لا يريدون يفسدون في الأرض .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أسامة بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : لا يفسدون في الأرض :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : لا يتكبرون على الناس ، ولا يتجبرون ، ولا يفسدون . وقرأ قول الله : ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن في : ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : حلماء ، وإن جهيل عليهم لم يجهلوا .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : حلماء .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) قال : علماء حلماء لا يجهلون :

وقوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) يقول : وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول ، أجابوهم بالمعروف من القول ، والسداد من الخطاب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ) . . . الآية ، قال : حلماء ، وإن جهيل عليهم لم يجهلوا :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى بن المختار ، عن الحسن ، في قوله ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : إن المؤمنين قوم ذُكُلٌ ، ذُكُلٌ منهم والله الأسماع والأبصار والحوارج ، حتى يحسبهم الجاهل مرضى ، وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، والله ما حزنهم حزن الدنيا ، ولا تعظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، وإنه من لم يتعز بعزاء الله ، تَقَطَّعَ نفسه على الدنيا حسرات ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب ، فقد قلَّ علمه ، وحضر عذابه .



حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : سدادا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) قال : سداد من القول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله :  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ) حلماء .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسهوا ، هذا نهارهم فكيف ليهم ؟ خير ليل صفوا أقدامهم ، وأجروا دموعهم على خدودهم ، يطلبون إلى الله جل ثناؤه في فكك رقابهم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبادة ، عن الحسن ، قال : حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦)

يقول تعالى ذكره : والذين يبتغون لربهم يصلون لله ، براوحون بين سجود في صلاتهم وقيام . وقوله ( وقِياما ) جمع قائم ، كما الصيام جمع صائم ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ) يقول تعالى ذكره : والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حلدا منه ووجلا . وقوله ( إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ) يقول إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما ، غير مفارق من عذاب به من الكفار ، ومهلكا له ، ومنه قولهم : رجل مغرم ، من الغرم والدين . ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه ، وإلحاحه على صاحبه فيه . ومنه قيل للرجل المولع بالنساء : إنه لمغرم بالنساء ، وفلان مغرم بفلان : إذا لم يصبر عنه ؛ ومنه قول الأعشى :

إِنْ يُعَاقِبُ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْطِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

يقول : إن يعاقب يكن عقابه عقابا لازما ، لا يفارق صاحبه مهلكا له ، وقول بشر بن أبي حازم :

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة ، بشرح الدكتور محمد حسين ، ص ٩ ) وهو من قصيدة يمدح بها الأسود بن المنذر الضمي ، وأولها « ما بكاء الكبير بالأطلال » والغرام : الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى « إن عذابها كان غراما » أي هلاكا ولزاما لهم . يقول : إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبالي العذال .

وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْخِيفَا رِيكَانَ عِيقَابَا وَكَانَ غَرَامَا  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن اللاني ، قال : أخبرنا المعاني بن عمران الموصلي ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامَا ) قال : إن الله سأل الكفار عن نعمه ، فلم يردّوها إليه ، فأغرمهم ، فأدخلهم النار .

قال : ثنا المعاني ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامَا ) قال : قد علموا أن كلَّ غريم مفارق غريمه ، إلا غريم جهنم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامَا ) قال : الغرام : الشر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( إنَّ عَدَّآبَهَا كَانَ غَرَامَا ) قال : لا يفارقه .

وقوله ( إِنَّمَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ) يقول : إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا ، يعني بالمستقر : القرار ، وبالمقام : الإقامة ، كأن معنى الكلام : ساءت جهنم منزلاً ومقامًا ، وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة ، وإذا فتحت فهو من قمت ، ويقال : المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس ، ومن المقام بضم الميم بمعنى الإقامة ، قول سلامة بن جندل :

يَوْمَانِ : يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ وَيَوْمٌ سَتِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبٍ ؟

(١) البيت لبشر بن أبي خازم كما قال المؤلف . وفي اللسان نسبة للطرماع . قال : والغرام : اللازم من العذاب ، والشر الدائم ، والبلاد ، والحب والشق ، وما لا يستطاع أن يتفصى منه ، وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » ، وقال الطرماع : « ويوم النصار . . . البيت » . وقوله عز وجل : « إن عذابها كان غراما » : أي ملحا دائما ملازما . وفي معجم ما استعجم للبكري « طبعة القاهرة ص ٣٨٥ » الجفار : بكسر أوله ، وبالراء المهملة : موضع بنجد ، وهو الذي عنى بشر بن أبي خازم بقوله : « ويوم الجفار . . . البيت » . وقال أبو عبيدة : الجفار : في بلاد بني تميم . وقال البكري في رسم النصار : النصار ، بكسر أوله : على لفظ الجمع ، وهي أجبل صغار ، شبهت بأنسر واقعة ، ذكر ذلك أبو حاتم . وقال في موضع آخر : هي ثلاث قارات سود ، تسمى الأنسر . وهناك أوقعت طيبي وأسد وطلقان ، وهم حلفاء ، بين عامر وبني تميم ، ففرت تميم ، وثبتت بنو عامر ، فقتلوه قتلًا شديداً ؛ فغضبت بنو تميم لبني عامر ، فتنجموا ولقوه يوم الجفار ، فلقبت أشد ما لقيت بنو عامر ، فقال بشر بن أبي خازم :

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تُقْتَلَ عَامِرًا وَيَوْمَ النَّسَارِ فَأَعْقَبُوا بِالصَّيْلَمِ

قلت : الصيلم : الداهية المتأصلة . وفي رواية : فأعتبوا .

(٢) البيت لسلامة بن جندل ، كما قال المؤلف . ( وانظر اللسان : أوب ) . والمقامات جمع المقامة ، بمعنى الإقامة . والتأويب في كلام العرب : سير النهار كله إلى الليل . يقول : إننا نفضى حياتنا على هذا النحو : نجعل يوما للإقامة ، يجتمع أولو الرأي فينا في أنديتهم ومجالسهم ، ليتشاوروا ويديروا أمر القبيلة ؛ واليوم الآخر نجعله للإغارة على الأعداء ، نشأنا عليهم ، ولو سرنا إليهم النهار كله فإني ، لأننا أهل عزة ومنعة . واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى في صفة جهنم : « إنها ساءت مستقرا ومقاما » أي إقامة .

ومن المقام الذي بمعنى المجلس ، قول عباس بن مرداس :  
فَأَيُّ مَا وَأَيْتُكَ كَانَ شَرًّا فَتَقَيَّدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

يعنى : المجلس .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها .

ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي عنها الله في هذا الموضع ، وما الإسراف فيها والإقتار ، فقال بعضهم : الإسراف : ما كان من نفقة في معصية الله ، وإن قلت . قال وإياها ، عنى الله ، وسماها إسرافا . قالوا : والإقتار : المنع من حق الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) ، وكان بين ذلك قواما قال : هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله ، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، قال : لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله ، ما كان سرفا ، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان سرفا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) قال : في النفقة فيما نهاهم ، وإن كان درهما واحدا ، ولم يقتروا ولم يقصروا عن النفقة في الحق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) ، وكان بين ذلك قواما قال : لم يسرفوا فينفقوا في معاصي الله ؛ كل ما أنفق في معصية الله ، وإن قل فهو إسراف ، ولم يقتروا فيمسكوا عن طاعة الله . قال : وما أمسيك عن طاعة الله وإن كثر فهو إقتار .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني إبراهيم بن نسيط ، عن عمر مولى غنم ، أنه سئل عن الإسراف ما هو ؟ قال : كل شيء أنفقته في غير طاعة الله فهو سرف .

وقال آخرون : السرف : المجاوزة في النفقة الحد ؛ والإقتار : التقصير عن الذي لا بد منه .

(١) البيت لعباس بن مرداس ، أنشده ابن ربي في (اللسان: قوم) وهو شاهد على أن المقام والمقامة ، بفتح الميم : المجلس . وقال ، البغدادي في الخزانة (٢ : ٢٣٠) يدعو على الشر منهما ، أي من كان منا شرا أعماه الله في الدنيا ، فلا يبصر حتى يقاد إلى مجلسه . وقال شارح الباب : أي قيد إلى مواضع إقامة الناس وجمعهم في العرصات لا يراها ، أي قيد أعمى لا يرى المقامة . والبيت من جملة أبيات لعباس بن مرداس السلمي ، قالها لحفاف بن نديبة ، في أمر شجر بينهما .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) قال : لا يجيئهم ولا يعريهم ولا ينفق نفقة يقول الناس قد أسرف .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن يزيد بن تحنيس أبو عبد الله الخزومي المكي ، قال : سمعت وهيب بن الورد أبي الورد مولى بني مخزوم ، قال : لقي عالم عالما هو فوَّقه في العلم ، فقال : يرحمك الله أخبرني عن هذا البناء الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : هو ما سترك من الشمس ، وأكنك من المطر ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ماسد الجوع ودون الشبع ، قال : يرحمك الله ، فأخبرني عن هذا اللباس الذي لإسراف فيه ما هو ؟ قال : ما ستر عورتك ، وأدفاك من البرد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن يزيد بن أبي حبيب في هذه الآية ( وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا ) . . . الآية ، قال : كانوا لا يلبسون ثوبا للجمال ، ولا يأكلون طعاما للذة ، ولكن كانوا يريدون من اللباس ما يستر به عورتهم ، ويكتنون به من الحر والقر ، ويريدون من الطعام ما سد عنهم الجوع ، وقوَّاهم على عبادة ربهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن يزيد بن مرة الجعفي ، قال : العلم خير من العمل ، والحسنة بين السيئتين ، يعني : إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وخير الأعمال أوساطها :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فروخ ، قال : ثنا قتادة ، عن مطرف ابن عبد الله ، قال : خير هذه الأمور أوساطها ، والحسنة بين السيئتين ، فقلت لقتادة : ما الحسنة بين السيئتين ؟ فقال ( الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ) . . . الآية . وقال آخرون : الإسراف : هو أن تأكل مال غيرك بغير حق .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا سالم بن سعيد ، عن أبي معَّدان ، قال : كنت عند عون بن عبد الله ابن عتبة ، فقال : ليس المسرف من يأكل ماله ، إنما المسرف من يأكل مال غيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ، قول من قال : الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده ، إلى ما فوَّقه ، والإقتار : ما قصر عما أمر الله به ، والقوام : بين ذلك .

وإنما قلنا إن ذلك كذلك ، لأن المسرف والمقتّر كذلك ، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ، ما كانا مذمومين ، ولا كان المسرف ولا المقتّر مذموما ، لأن ما أذن الله في فعله ، فغير مستحق فاعله الذم .

فإن قال قائل : فهل لذلك من حدّ معروف تبينه لنا ؟ قيل : نعم ، ذلك مفهوم في كلّ شيء من المطاعم والمشارب والملابس والصدقة وأعمال البرّ وغير ذلك ، نكره تطويل الكتاب بذكر كلّ نوع من ذلك مفصلاً ، غير أن جملة ذلك هو ما بيّنا ، وذلك نحو أكل آكل من الطعام فوق الشبع ما يضعف بدنه ، وينهك قواه ، ويشغله عن طاعة ربه ، وأداء فرائضه ، فذلك من السرف ، وأن يترك الأكل وله إليه سبيل حتى يضعف ذلك جسمه ، وينهك قواه ، ويضعفه عن أداء فرائض ربه ، فذلك من الإقتار ، وبين ذلك القوام على هذا النحو ، كلّ ما جانس ما ذكرنا . فأما اتخاذ الثوب للجمال ، يلبسه عند اجتماعه مع الناس ، وحضوره المحافل والجمع والأعياد ، دون ثوب مهنته ، أو أكله من الطعام ما قواه على عبادة ربه ، مما ارتفع عما قد يسدّ الجوع ، مما هو دونه من الأغذية ، غير أنه لا يعين البدن على القيام لله بالواجب معونته ، فذلك خارج عن معنى الإسراف ، بل ذلك من القوام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر ببعض ذلك ، وحض على بعضه ، كقوله « ما على أحدكم لئوٍ تتخذ ثوبين : ثوباً لمهنته ، وثوباً لجموعته وعيده » وكقوله « إذا أنعم الله على عبده نعمة أحبّ أن يرى أثره عليه » ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي قد بيّناها في مواضعها .

وأما قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) فإنه النفقة بالعدل والمعروف ، على ما قد بيّنا .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سليمان ، عن وهب بن منبه ، في قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) قال : الشطر من أموالهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) النفقة بالحق .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) قال : القوام : أن يتفقوا في طاعة الله ، ويمسكوا عن محارم الله .  
قال : أخبرني إبراهيم بن شيط ، عن عمر مولى غفيرة ، قال : قلت له : ما القوام ؟ قال : القوام : أن لا تنفق في غير حقّ ، ولا تمسك عن حقّ هو عليك . والقوام في كلام العرب ، بفتح القاف ، وهو الشيء بين الشيتين ، تقول للمرأة المعتدلة الخلق : إنها لحسنة القوام في اعتدائها ، كما قال الخبطية :  
طافت أمانةً بالركبان آونةً يا حسنة من قوام ما ومشتقياً !  
فأما إذا كسرت القاف فقلت : إنه قوام أهله ، فإنه يعني به : أن به يقوم أمرهم وشأنهم . وفيه لغات

(١) البيت للخطبة . وآونة : جمع أوان . والقوام : حسن الطول . والمشتقب : مصدر ميمي بمعنى الانتقاب . يقول : إن أمانة كانت أسيانا تطوف بالركبان ، فأعدل قوامها ، وأحسن نقبها . والنقاب : ما وضع على مارن الأنف من أغطية الوجه . والنقبة : هيئة الانتقاب به ، يقال إن فلانة لحسنة النقبة . ويكون معنى القوام كذلك : الشيء الوسط بين الشيتين . وقد حل عليه المؤلف معنى البيت .

أُخْرَ ، يقال منه : هو قيام أهله وقبائهم ، في معنى قوامهم . فعنى الكلام : وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً ، لا مجاوزة عن حد الله ، ولا تقصيراً عما فرضه الله ، ولكن عدلاً بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه ، وأذن فيه ورخص .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَكَمْ يَفْسُرُوا ) فقرأته عامة قراء المدينة ( وَكَمْ يُقْسِرُوا ) بضم الياء ، وكسر التاء من : أقر يقتر . وقرأته عامة قراء الكوفيين ( ولم يفسرُوا ) بفتح الياء وضم التاء من قسّر يقسّر . وقرأته عامة قراء البصرة ( وَكَمْ يَفْسِرُوا ) بفتح الياء وكسر التاء ، من قسّر يقسّر .

والصواب من القول في ذلك : أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها ، لغات مشهورات في العرب ، وقراءات مستفيضات وفي قراء الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيها قرأ القارئ فصيب .

وقد بيننا معنى الإسراف والإقتار بشواهدهما فيما مضى في كتابنا في كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . وفي نصب القوام وجهان : أحدهما ما ذكرت ، وهو أن يجعل في كان اسم الإنفاق بمعنى : وكان إنفاقهم ما أنفقوا بين ذلك قواماً : أى عدلاً ، والآخر أن يجعل بين هو الاسم ، فتكون وإن كانت في اللفظة نصبا في معنى رفع ، كما يقال : كان دون هذا لك كافياً ، يعنى به : أقل من هذا كان لك كافياً ، فكذلك يكون في قوله ( وكان بين ذلك قواماً ) لأن معناه : وكان الوسط من ذلك قواماً .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)  
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١)

يقول تعالى ذكره : والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ، فيشركون في عبادتهم إياه ، ولكنهم يخلصون له العباد ، ويفردونه بالطاعة ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، إما بكفر بالله بعد إسلامها ، أو زنا بعد إحصانها ، أو قتل نفس ، فتقتل بها ، ولا يزنون ، فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج . ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) يقول : ومن يأت هذه الأفعال ، فدعا مع الله إلهاً آخر ، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، وزنى ( يَلْقَى أَثَامًا ) يقول : يلقى من عقاب الله عقوبة ونكالاً ، كما وصفه ربنا جل ثناؤه وهو أنه ( يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ) ، ومن الأثام قول بلعاء بن قيس الكناني :  
جزى الله ابن عروة حيث أمسى  
عقوقاً والعقوق له أثم !

يعنى بالأثام : العقاب .

(١) البيت لبلعاء بن قيس بن ربيعة بن عبد الله بن يعمر ، واسمه حمضة ، وهو من كنانة بن خزيمه ، وكان بلعاء رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم ، وكان كثير الغارات على العرب ، وله أخبار في حروب الفجار . وهو شاعر محسن ، قال في كل فن أشعاراً =

وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام ، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب ، فخافوا ألا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام ، فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : ثنى يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إن الذي تدعوننا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ) ، ونزلت ( قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بِغَتَّةٍ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ) . قال ابن جُرَيْج : وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء . حدثنا عبد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي معاوية ، عن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله ، قال : « سألت النبي صلى الله عليه وسلم : ما الكبائر ؟ قال : أن تدعو الله ندا وهو خلقك ، وأن تقتل ولتلك من أجل أن يأكل معك ، وأن تزني بحليلة جارك ، وقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتاب الله : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان عن الأعمش ومنصور ، عن أبي وائل عن عمرو ابن شريح ، عن عبد الله ، قال : « قلت : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولتلك خشية أن يأكل معك . قلت : ثم أي ؟ قال : ثم أن تزني بحليلة جارك » . فأنزل تصديق قول النبي صلى الله عليه وسلم ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ) . . . الآية .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا علي بن قادم ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهمداني ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن أبي ميسرة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

جيدا (انظر المؤلفات والمختلف ١٠٦ ومعجم الشعراء المرزباني ٣٥٧) . والبيت أنشده صاحب (اللسان: أثم) ونسبه إلى شافع الميبي . ونسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن إلى بلعاء بن قيس الكتافي ، وعنه أخذ المؤلف . قال في اللسان : قال أبو إسحاق : تأويل الأثم : المجازاة وقال أبو عمرو الشيباني : لقي فلان أثم ذلك : أي جزاء ذلك ، فإن الليل وسبويه يذهب إلى أن معناه : يلق جزاء الأثم . وقول شافع الميبي في ذلك : جزى الله بن عروة . . . له أثم « أي عقوبته مجازاة العقوق ، وهي طيبة الرحم . وقال الميبي : الأثم في جملة التفسير : عقوبة الإثم . وقيل في قوله تعالى « يلق أثمًا » : قيل هو واد في جهنم . قال ابن سيده : والصواب عندي : أن معناه : يلق عقاب الأثم . ٥١ .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنى عمي يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن عبد الله قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أى الذنوب أكبر ؟ ثم ذكر نحوه » .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا عامر بن مدرك ، قال : ثنا السري ، يعنى ابن إسماعيل قال : ثنا الشعبي ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، فاتبعته ، فجلس على نَشْر من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، فاغتنمت خلوته ، وقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، أى الذنوب أكبر ؟ قال : « أن تَدْعُوَ لِهَيْبَةِ اللَّهِ وَهُوَ خَلَقَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : - أن تَقْتُلَ وَكَذَلِكَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ . قلت : ثم مه ؟ قال : أن تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ ، ثم تلا هذه الآية « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ » . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلحة بن غنم ، عن زائدة ، عن منصور ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، أو حدثت عن سعيد بن جبير ، أن عبد الرحمن بن أبزى أمره أن يسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . إلى آخر الآية ، والآية التي في الفرقان ( وَمَنْ يَقْتُلْ ذَلِكَ يَلْتَقِ أَثَامًا ) . . . إلى ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) قال ابن عباس : إذا دخل الرجل في الإسلام ، وعلم شرائعه وأمره ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فلا توبة له ، والتي في الفرقان ، لما أنزلت قال المشركون من أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله بغير الحق ، فما ينفعنا الإسلام ؟ قال : فنزلت ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) قال : فن تاب منهم قبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، أو قال : حدثني الحكم عن سعيد بن جبير ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أبزى ، فقال : سل ابن عباس ، عن هاتين الآيتين ، ما أمرهما عن الآية التي في الفرقان ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ) . . . الآية ، والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) . فسألت ابن عباس عن ذلك ، فقال : لما أنزل الله التي في الفرقان ، قال مشركو أهل مكة : قد قتلنا النفس التي حرم الله ، ودعونا مع الله إلها آخر ، فقال ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . الآية . فهذه لأولئك . وأما التي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ) . . . الآية ، فإن الرجل إذا عرف الإسلام ، ثم قتل مؤمنا متعمدا ، فجزاؤه جهنم ، فلا توبة له ، فذكرته لجاهد ، فقال : إلا من ندم .

حدثنا محمد بن عوف الطائي ، قال : ثنا أحمد بن خالد الذهني ، قال : ثنا شيبان ، عن منصور بن المعتمر ، قال : ثنى سعيد بن جبير ، قال لي سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى : سل ابن عباس عن هاتين الآيتين عن قول الله ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى ( مَنْ تَابَ ) ، وعن قوله ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . إلى آخر الآية . قال : فسألت عنها ابن عباس ، فقال : أنزلت



هذه الآية في الفرقان بمكة إلى قوله ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) فقال المشركون : فما يغني عنا الإسلام ، وقد عدلنا بالله ، وقتلنا النفس التي حرم الله ، وأتيننا الفواحش ، قال : فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأما من دخل في الإسلام وعقله ، ثم قتل ، فلا توبة له . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال في هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَتَمَتَّلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) . . . الآية ، قال : نزلت في أهل الشرك .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : أمرني عبد الرحمن بن أوزي أن أسأل ابن عباس عن هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) ، فذكر نحوه .

حدثني عبد الكريم بن عمير ، قال : ثنا إبراهيم بن المنذر ، قال : ثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان ، مولى لبني الدليل من أهل المدينة ، عن فليح الشماس ، عن عبيد بن أبي عبيد ، عن أبي هريرة ، قال : « صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العتمة ، ثم انصرفت ، فإذا امرأة عند بابي ، ثم سلمت ، ففتحت ودخلت ، فبينما أنا في مسجدي أصلي ، إذ نقرت الباب ، فأذنت لها ، فدخلت فقالت : إني جئتك أسألك عن عمل عملت ، هل لي من توبة ؟ فقالت : إني زني وولدت ، فقتلته ، فقلت : ولا : لا نعمت العين ولا كرامة ، فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول : يا حسرتاه ، أخليق هذا الحسن للنار ؟ قال : ثم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح من تلك الليلة ، ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه ، فأذن لنا ، فدخلنا ، ثم خرج من كان معي ، وتخلفت ، فقال : مالك يا أبا هريرة ، ألك حاجة ؟ فقلت له : يا رسول الله صليت معك البارحة ، ثم انصرفت ، وقصصت عليه ما قالت المرأة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما قلت لها ؟ قال : قلت لها : لا والله ولا نعمت العين ولا كرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بئس ما قلت أما كنت تقرأ هذه الآية ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَلَا يَتَمَتَّلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ) . . . الآية ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) فقال أبو هريرة : فخرجت ، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارا إلا وقفت عليها ، فقلت : إن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة ، فلتأني ولتبشر ، فلما صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ، فإذا هي عند بابي ، فقلت : أبشري ، فإني دخلت على النبي ، فذكرت له ما قلت لي ، وما قلت لك ، فقال : بئس ما قلت لها ، أما كنت تقرأ هذه الآية ؟ فقرأتها عليها ، فخرت ساجدة ، فقالت : الحمد لله الذي جعل مخرجنا وتوبة مما عملت ، إن هذه الجارية وابنها حران لوجه الله ، وإني قد تبت مما عملت . »

حدثنا ابن حديد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، قال : اختلفت إلى ابن عباس ثلاث عشرة سنة ، فما شيء من القرآن إلا سأله عنه ، ورسولي يختلف إلى عائشة ، فما سمعته ولا سمعت أحدا من العلماء يقول إن الله يقول لذنب لا أغفره .

وقال آخرون : هذه الآية منسوخة بالتي في النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني المغيرة بن عبد الرحمن الحراني ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد أنه دخل على أبيه وعنده رجل من أهل العراق ، وهو يسأله عن هذه الآية التي في تبارك الفرقان ، والتي في النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) فقال زيد بن ثابت : قد عرفت النسخة من المنسوخة ، نسخها التي في النساء بعدها بستة أشهر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال الضحاك بن مزاحم : هذه السورة بينها وبين النساء ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) ثمان حجج . وقال ابن جريج وأخبرني القاسم بن أبي بزة ، أنه سأله سعيد بن جبيرة : هل لمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ فقال : لا ، فقرأ عليه هذه الآية كلها ، فقال سعيد بن جبيرة : قرأتها على ابن عباس ، كما قرأتها على ، فقال : هذه مكية ، نسخها آية مدنية ، التي في سورة النساء .

وقد أتينا على البيان عن الصواب من القول في هذه الآية التي في سورة النساء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول ، قال أهل التأويل ، إلا أنهم قالوا : ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر ، بواد في جهنم يدعى أثاما .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث ، عن قتادة ، عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : الأثام : واد في جهنم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( يَلْتَقِ أَثَامًا ) قال : واديا في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، حدثنا ابن حميد قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، في قوله ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْتَقِ أَثَامًا ) قال : واديا في جهنم فيه الزناة .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا محمد بن زياد ، قال : ثنا شريك بن قطامي ، عن لقمان بن عامر الخزاعي ، قال : جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي ، فقلت : حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فدعا لي بطعام ، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ أَنَّ صَخْرَةَ زَيْنَةَ عَشْرٍ عَشْرَ آوَاتٍ قُدِّفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا تَحْسِينِ خَرِيفًا ، ثُمَّ تَنْتَهَى إِلَى غَيِّ وَأَثَامٍ » ، قلت : وما غيٌّ وأثام ؟ قال : بِيْرَانٍ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ ، يَسِيلُ فِيهِمَا

صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ ، وهما اللذان ذكر الله في كتابه ( أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ) ، وقوله في الفرقان ( وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال : الأثام الشر ، وقال : سيكفيك ماوراء ذلك ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يَلْقَى أَثَامًا ) قال : نكالا ، قال : وقال إنه واد في جهنم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن هشيم ، قال : أخبرنا زكريا بن أبي مریم ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : إن ما بين شفير جهنم إلى قرعها مسيرة سبعين خريفا بحجر يهوي فيها ، أو بصخرة تهوي ، عظيمها كعشر عشاوات سمان ، فقال له رجل : فهل تحت ذلك من شيء ؟ قال : نعم ، غي وأثام .

قوله ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( يُضَاعَفُ ) جزما ( وَيَخْلُدُ ) جزما . وقرأه عاصم : ( يُضَاعَفُ ) رفعا ( وَيَخْلُدُ ) رفعا ، كلاهما على الابتداء ، وأن الكلام عنده قد تنهى عند ( يَلْقَى أَثَامًا ) ثم ابتداء قوله ( يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ) . والصواب من القراءة عندنا فيه : جزم الحرفين كليهما : يضاعف ، ويخلد ، وذلك أنه تفسير للأثام ، لافعل له ، ولو كان فعلا له كان الوجه فيه الرفع ، كما قال الشاعر :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْهُ إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ  
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرٌ مَوْقِدًا

فرجع تعشو ، لأنه فعل لقوله تأته ، معناه : متى تأته عاشيا .

وقوله ( وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ) ويبقى فيه إلى ما لانهاية في هوان . وقوله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) يقول تعالى ذكره : ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلق أثاما ( إِلَّا مَنْ

(١) البيت للحطية (السان : عشا) . قال : عشا إلى النار وعشاها عشوا وعشوا (كفعل) واعتشاها واعتشى بها : كله : رأها ليلا على بعد ، فقصدتها مستضيئا بها ؛ قال الحطية : « متى تأته تعشو . . . » البيت . أى متى تأته لالتقين ناره من ضعف بصرك . اه . وجملة تعشو : في محل نصب على الحال : ولذلك قال المؤلف : فرجع تعشو لأنه فعل لقوله تأته ، أى هو حال من فاعل تأته . أى متى تأته عاشيا . أما ما رواه الطبري من أن القراء مختلفون في قراءة : « يضاعف » جزما ورفعا فهو كلام وجيه ، ولكل قراءة تأويلها من جهة النحو ، ولكنه يؤثر رواية الجزم على التفسير ، أى البديل لما قبله ، وهو « يلق » . والذي ذهب إليه المؤلف تبع فيه الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٢٦) قال : وقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة » : قرأت القراء بجزم يضاعف ، ورفعه عاصم بن أبي النجود ؛ والوجه الجزم . وذلك إن فسرتة ولم يكن فعلا لما قبله (أى مصاحبا الفعل الذى قبله) فالوجه الجزم . وما كان فعلا لما قبله رفعتة ، فأما المفسر للمجزم (أى المبدل منه) فقوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ثم فسر الأثام ، فقال : يضاعف له العذاب . ومثله في الكلام : « إن تكلمنى توصنى بالخير والبر أقبل منك » . ألا ترى أنك فسرت الكلام بالبر ، ولم يكن فعلا له ، فلذلك جزمت - ولو كان الثانى فعلا للأول لرفعتة ، كقولك : « إن تأتانا تطلب الخير تجده » . ألا ترى تجد تطلب فعلا للإتيان ، كقولك : « إن تأتانا طالبا للخير تجده » ، قال الشاعر : متى تأته تعشو . . . البيت ، فرجع تعشو لأنه أراد : متى تأته عاشيا . ورفعه عاصم يضاعف له ، لأنه أراد الاستئناف ، كما تقول : إن تأتانا نكرمك ، نعطيك كل ما تريد ، لاعل الجزاء .

تاب) يقول : إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك ، وإنابته إلى ما يرضاه الله (وَأَمَّنَ) يقول : وصدق بما جاء به محمد نبي الله (وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) يقول : وعمل بما أمره الله من الأعمال ، وانتهى عما نهاه الله عنه .

قوله ( فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فأولئك يبدل الله بقبايح أعمالهم في الشرك ، محاسن الأعمال في الإسلام ، فيبدله بالشرك إيماناً ، وبقيبل أهل الشرك بالله قبل أهل الإيمان به ، وبالزنا عفة وإحصاناً .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : هم المؤمنون كانوا قبل إيمانهم على السيئات ، فرغب الله بهم عن ذلك ، فحوّتهم إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات حسنات .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هم الذين يتوبون فيعملون بالطاعة ، فيبدل الله سيئاتهم حسنات حين يتوبون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن سعيد ، قال : نزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى آخر الآية ، في وحشي وأصحابه ، قالوا : كيف لنا بالتوبة ، وقد عبدنا الأوثان ، وقتلنا المؤمنين ، ونكحنا المشركات ، فأنزل الله فيهم ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ، فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) ، فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتلهم مع المشركين ، قتالاً مع المسلمين للمشركين ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن عباس ، في قوله ( فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : بالشرك إيماناً ، وبالقتل إمساكاً ، وبالزنا إحصاناً . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) وهذه الآية مكية نزلت بمكة ( وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ) يعني : الشرك ، والقتل ، والزنا جميعاً . لما أنزل الله هذه الآية قال المشركون من أهل مكة : يزعم محمد أن من أشرك وقتل وزنى فله النار ، وليس له عند الله خير ، فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ ) من المشركين من أهل مكة ، ( فَأَوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) يقول : يبدل الله مكان الشرك والقتل والزنا : الإيمان بالله ، والدخول في الإسلام ، وهو التبديل في الدنيا . وأنزل الله في ذلك ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ) يعنيهم بذلك ( لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) يعني ما كان في الشرك ، يقول الله لهم : أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، يدعوهم إلى الإسلام ، فهاتان الآيتان مكيتان ،

والتي في النساء ( وَمَنْ يَبْتَغُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا ) . . . الآية ، هذه مدنية ، نزلت بالمدينة ، وبينها وبين التي نزلت في الفرقان ثمان سنين ، وهي مبهمة ليس منها مخرج .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميمة ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد ، قال : سئل ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه ( يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) فقال :

بُدِّلْنِ بَعْدَ حَرِّهِ خَرِيْفًا وَبَعْدَ طُولِ النَّفْسِ الْوَجِيْفًا

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) . . . إلى قوله ( يَحْتَلِدُ فِيهِ مَهَانَا ) فقال المشركون : ولا والله ما كان هؤلاء الذين مع محمد إلا معنا ، قال : فأنزل الله ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ) قال : تاب من الشرك ، قال : وآمن بعقاب الله ورسوله ( وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ) ، قال : صدق ، ( فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : يبدل الله أعمالهم السيئة التي كانت في الشرك بالأعمال الصالحة حين دخلوا في الإيمان .

وقال آخرون : بل معنى ذلك ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : ثنا قريش بن أنس أبو أنس ، قال : ثنا صالح بن رستم ، عن عطاء الخراساني ، عن سعيد بن المسيب ( فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ) قال : تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن حازم أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المعمر بن سويد ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَتِي لَأَعْرِفُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ ، قَالَ : يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقَالُ : تَحْوًا كِبَارَ ذُنُوبِهِ وَسَلُوهُ عَنْ صِغَارِهَا ، قَالَ : فَيَقَالُ لَهُ : سَمِعْتَ كَذَاً وَكَذَاً ، وَوَعَمِلْتَ كَذَاً وَكَذَاً ، قَالَ : فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا أَرَاهَا هَاهُنَا ، قَالَ : فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، قَالَ : فَيَقَالُ لَهُ : كَلَّكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً » .

قال أبو جعفر : وأولئك التأويلين بالصواب في ذلك : تأويل من تأوله : فأولئك يبدل الله سيئاتهم : أعمالهم في الشرك ، حسنات في الإسلام ، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى .

(١) هذا بيت للبيد العامري الشاعر . وروايته هكذا غامضة . ولم أجده في أصل ديوانه ، وإنما وجدته في الملحق بالديوان طبع ليدن ص ٥٦ ، وروايته فيه كرواية السيوطي في (الانتقان) ١ : ( وهذه الرواية أجود وأوضح ، وهي :

بُدِّلْنِ بَعْدَ النَّفْسِ الْوَجِيْفًا وَبَعْدَ طُولِ الْجِرَّةِ الصَّرِيْفًا

يصف لبيد جماعة من الإبل ، بأنها كانت ترمى ليلاً زمناً طويلاً ، ثم بدلت بذلك الوجيف ، وهو ضرب من سير الإبل والخيل سريع ، يقال وجف البعير والفرس وجفاً ، ووجيفا : أسرع . وبدلت بعد طول الاجترار في مباركها الصريف . والاجترار : أن يخرج ذو الكرش جزءاً من الطعام يفضفه جيداً ثم يعيده . والصريف يطلق على معان ، منها اللبن ساعة يحلب ، والحمر : والمراد به هنا : صوت ناب الناقة إذا حركته ، وإنما يكون ذلك إذا نالها الإعياء والكلال . فكان لبيد يقول : تبدلت أحوالها بعد التعم بؤساً .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية ، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبْح ، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة ، إلى خلاف ما كانت عليه ، إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى ، فيجب إن فعل ذلك كذلك ، أن يصير شرك الكافر الذي كان شركاً في الكفر بعينه إيماناً يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة ، وذلك ما لا يقوله ذو حجاً .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) يقول تعالى ذكره : وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده ، وراجع طاعته ، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها . قوله ( وَمَنْ تَابَ ) يقول : ومن تاب من المشركين ، فأمن بالله ورسوله ( وَصَمِعِلَّ صَالِحًا ) يقول : وعمل بما أمره الله فأطاعه ، فإن الله فاعل به من إبداله سببي أعماله في الشرك ، بحسبها في الإسلام ، مثل الذي فعل من ذلك ، بمن تاب وآمن وعمل صالحاً قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ تَابَ وَصَمِعِلَّ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) قال : هذا للمشركين الذين قالوا لما أنزلت ( وَالَّذِينَ لَا يَتَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ هَوْلًا إِلَّا مَعْنًا ) . . . إلى قوله ( وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كان هؤلاء إلا معنا ، قال : ( وَمَنْ تَابَ وَصَمِعِلَّ صَالِحًا ) فإن لهم مثل ما لهؤلاء ( فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ) لم تخطر التوبة عليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه ، فقال بعضهم : معناه الشرك بالله :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن جويبر ، عن الضحاك ، في قوله : ( لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : هؤلاء المهاجرون ، قال : والزور قولهم لآلهم ، وتعظيمهم إياها . وقال آخرون : بل عسني به الغناء .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن عبد الأعلى المحاربي قال : ثنا محمد بن مروان ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : لا يسمعون الغناء .

وقال آخرون : هو قول الكذب :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قوله ( وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ) قال : الكذب :

قال أبو جعفر : وأصل الزُّور تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته ، حتى يُخَيَّل إلى من يسمعه أو يراه ، أنه خلاف ما هو به ، والشرك قد يدخل في ذلك ، لأنه محسَّن لأهله ، حتى قد ظنوا أنه حقّ ، وهو باطل ، ويدخل فيه الغناء ، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت ، حتى يستحلى سامعُه سماعه ، والكذب أيضا قد يدخل فيه ، لتحسين صاحبه إياه ، حتى يظنّ صاحبه أنه حقّ ، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزُّور : **يُظَنُّ** فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله : أن يقال : والذين لا يشهدون شيئا من الباطل ، لا شركا ، ولا غناء ، ولا كذبا ولا غيره ، وكلّ ما لزمه اسم الزور ، لأن الله عمّ في وصفه إياهم ، أنهم لا يشهدون الزور ، فلا ينبغي أن يُخصَّص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل : وقوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) اختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذُكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين ، ويكلمونهم به من الأذى ، ومرورهم به كراما : إعراضهم عنهم وصفحهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : صفحوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا أودوا مرّوا كراما ، قال : صفحوا . وقال آخرون : بل معناه : وإذا مرّوا بذكر النكاح ، كفوا عنه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا ذكروا النكاح كفّوا عنه :

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن مجاهد ، ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : كانوا إذا أتوا على ذكر النكاح كفوا عنه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتز ، عن أبي مخزوم ، عن سيار ( وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ) قال : إذا مرّوا بالرفق كفّوا .

وقال آخرون : إذا مرّوا بما كان المشركون فيه من الباطل مرّوا منكربين له :

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا مَرَّوْا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا ) قال : هؤلاء المهاجرون ، واللغو ما كانوا فيه من الباطل ، يعني المشركين ، وقرأ ( فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) :

وقال آخرون : عُنِيَ باللغو هاهنا : المعاصي كلها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( وَإِذَا مَرَّوْا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا ) قال : اللغو كله : المعاصي .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ، أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم ، بأنهم إذا مرَّوا باللغو مرَّوا كراما ، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل ، أو ما يستقبح ، فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو ؛ وذكر النكاح بصريح اسمه مما يُستقبح في بعض الأماكن ، فهو من اللغو ، وكذلك تعظيم المشركين آفئهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه ، على نحو ما عظموه ، وسباع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين ، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو ، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو ، أن يقال : عُنِيَ به بعض ذلك دون بعض ، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : وإذا مرَّوا بالباطل فسمعه أو رأوه ، مرَّوا كراما ، مرورهم كراما في بعض ذلك بآلا يسمعه ، وذلك كالغناء . وفي بعض ذلك : بأن يعرضوا عنه ويصفحوا . وذلك إذا أذوا بإسراع القبيح من القول ، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك ، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول . وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف ، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم ، فيستصرخهم المراد ذلك منهم ، فيصرخونهم ، وكل ذلك مرورهم كراما . وقد حدثني ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : مرَّ ابن مسعود بلهو مسرعا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيمًا » : وقيل : إن هذه الآية مكية .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدي يقول ( وَإِذَا مَرَّوْا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا ) قال : هي مكية ، وإنما عُنِيَ السدي بقوله هذا إن شاء الله ، أن الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين بقوله ( فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ) ، وأمرهم إذا مرَّوا باللغو الذي هو شرك أن يقتلوا أمراءه ، وإذا مرَّوا باللغو الذي هو معصية لله أن يغيروه ، ولم يكونوا أمروا بذلك بمكة ، وهذا القول نظير تأويلنا الذي تأولناه في ذلك .



القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣)

يقول تعالى ذكره : والذين إذا ذكّرهم مذكّر بحجج الله ، لم يكونوا صمّا لا يسمعون ، وعميا لا يبصرونها . ولكنهم يقاطط القلوب ، فهماء العقول ، يفهمون عن الله ما يذكّرهم به ، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه ، فيوعون مواعظه آذانا سمعته ، وقلوبا وعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) فلا يسمعون ، ولا يبصرون ، ولا يفقهون حقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال : لا يفقهون ، ولا يسمعون ، ولا يبصرون :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، قال : قلت للشعبي : رأيت قوما قد سجدوا ، ولم أعلم ما سجدوا منه ، أسجدا ؛ قال ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) قال : هذا مثل ضربه الله لهم ، لم يدعوها إلى غيرها ، وقرأ قول الله ( إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ) . . . الآية .

فإن قال قائل : وما معنى قوله ( لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ) أو يخرّ الكافرون صمّا وعميانا إذا ذكروا بآيات الله ، فبئسنى عن هؤلاء ما هو صفة للكفار ؟ قيل : نعم ، الكافر إذا تلبت عليه آيات الله خرّ عليها أصمّ وأعمى ، وخرّ عليها كذلك ، إقامته على الكفر ، وذلك نظير قول العرب : سببت فلانا ، فقام يبكي ، بمعنى فظل يبكي ، ولا قيام هنالك ، ولعله أن يكون بكى قاعدا ؛ وكما يقال : نهيت فلانا عن كذا ، فعد يشتمني ؛ ومعنى ذلك : فجعل يشتمني ، وظلّ يشتمني ، ولا يعود هنالك ، ولكن ذلك قد جرى على ألسن العرب ، حتى قد فهموا معناه وذكر الفراء أنه سمع العرب تقول : قعد يشتمني ، كقولك : قام يشتمني ، وأقبل يشتمني ؛ قال : وأنشد بعض بني عامر :

(١) أي فكنت أسجد معهم . ولكنه اختصر الكلام . وكثير من هؤلاء السائلين بين والمجيبين ، يختصرون الكلام إلى حد الرمز والإشارة ، اكتفاء بدلالة الحال .

لَا يُقْنَعُ الْخَارِيَّةَ الْخِضَابُ وَلَا الْوِشَاحَانِ وَلَا الْجِلْبَابُ  
مِنْ دُونِ أَنْ تَلْتَقِيَ الْأَرْكَابُ وَيَقْعُدَ الْأَيْرُ لَهُ لُعَابُ

بمعنى : يصير ، فكذلك قوله ( كَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمَّا وَعَمِيَانَا ) إنما معناه : لم يصموا عنها ، ولا عموا عنها ، ولم يصيروا على باب ربه صُمَّا وَعَمِيَانَا ، كما قال الراجز :  
وَيَقْعُدُ الْمَنْ لَهُ لُعَابُ  
بمعنى : ويصير

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)

يقول تعالى ذكره : والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألهم بأن يقولوا : ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ) ما تقر به أعيننا من أن تربناهم يعملون بطاعتك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) يعنون : من يعمل لك بالطاعة ، فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة .  
حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت كثيرا سأل الحسن ، قال : يا أبا سعيد ، قول الله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) في الدنيا والآخرة ، قال : لا بل في الدنيا ، قال : وما ذاك ؟ قال : المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله .

حدثنا الفضل بن إسحاق ، قال : ثنا سالم بن قتيبة ، قال : ثنا حزم ، قال : سمعت الحسن فذكر نحوه .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قرأ حضرمي ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : وإنما قرأ أعينهم أن يروهم يعملون بطاعة الله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جرير فيما قرأنا عليه في قوله ( هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يعبدونك فيحسنون عبادتك ، ولا يجرون الجرائز .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، قوله ( رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يعبدونك يحسنون عبادتك ، ولا يجرون علينا الجرائز .

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها الفراء في معاني القرآن عن بعض العرب ( مصورة الجامعة ص ٢٢٧ ) قال : وسمعت العرب تقول : قد يشتمني ، كقولك : قام يشتمني ، وأقبل يشتمني ، وأنشدني بعض العرب : لا يقنع البخارية . . . . الأبيات . وفي البيت الرابع : « ويقعد المن » . . . الخ ، كقولك يصير . وقوله : الأركاب ، هو جمع ركب ، كسبب ، وهو العانة أو منبتها ، أو ظاهر الفرج . قال الخليل : هو للمرأة خاصة . وقال الفراء : هو للرجل والمرأة . وأنشد الفراء : « لا يقنع البخارية . . . . الأبيات » . وفي التهذيب : ولا يقال : ركب للرجل . وقيل يجوز أن يقال ركب للرجل . والمن ( في رواية الفراء ) : الحر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) قال : يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .  
حدثنا محمد بن عون ، قال : ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا أبي ، عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، قال : جلسنا إلى المقداد بن الأسود ، فقال : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أشدّ حالة بُعث عليها نبيّ من الأنبياء في فترة وجاهلية ، ما يرون ديننا أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان ففرّق به بين الحقّ والباطل ، وفرّق بين الوالد وولده ، حتى إن كان الرجل ليرى ولده ووالده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه بالإسلام ، فيعلم أنه إن مات دخل النار ، فلا تقرّ عينه ، وهو يعلم أن حبيبه في النار ، وإنما لثي قال الله ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) . . . الآية .

حدثني ابن عون ، قال : ثنا عليّ بن الحسن العسقلانيّ ، عن عبد الله بن المبارك ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ، عن المقداد ، نحوه .  
وقيل : هب لنا قرّة أعين ، وقد ذكر الأزواج والذريات وهم جمع ، وقوله ( قُرَّةَ أَعْيُنٍ ) واحدة ، لأن قوله : قرّة أعين : مصدر من قول القائل : قرّت عينك قرّة ، والمصدر لانكاد العرب تجمعه .  
وقوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : اجعلنا أئمة يقتدي بنا من بعدنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عون بن سلام ، قال : أخبرنا بشر بن عمار ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس . في قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) يقول : أئمة يقتدي بنا .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) أئمة التقوى ولأهلهم يقتدي بنا . قال ابن زيد : كما قال لإبراهيم ( إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ) .

وقال آخرون : بل معناه : واجعلنا للمتقين إماما : نأتمّ بهم ، ويأتمّ بنا من بعدنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) قال : أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ونكون أئمة لمن بعدنا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) قال : اجعلنا مؤتمين بهم ، مقتدين بهم .  
يقول أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك ، ويخافون عقابك ؟ إماما يأتمون بنا في الخيرات ، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ، ولم

يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما ، وقال ( وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) ولم يقل أئمة ، وقد قالوا : واجعلنا ، وهم جماعة ، لأن الإمام مصدر من قول القائل : أم فلان فلانا إماما ، كما يقال : قام فلان قياما ، وصام يوم كذا صياما . ومن جمع الإمام أئمة ، جعل الإمام اسما ، كما يقال : أصحاب محمد إمام ، وأئمة للناس ، فن وحد قال : يأتهم بهم الناس . وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويي أهل الكوفة . وقال بعض أهل البصرة من أهل العربية : الإمام في قوله ( لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ) جماعة ، كما تقول : كلهم عدو . قال : ويكون على الحكاية ، كما يقول القائل : إذا قيل له : من أميركم ، هؤلاء أميرنا ، واستشهد لذلك بقول الشاعر :

يا عاذِلاني لا تُردنَ ملامتي إنَّ العَوَازلَ لَسُننَ لي بأَميرِ

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا كَبِيرًا (٧٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي ، وذلك من ابتداء قوله ( وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ) . . إلى قوله ( وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا . . . الآية ) يُجْزَوْنَ ) يقول : يُثَابِرُونَ على أفعالهم هذه ، التي فعلوها في الدنيا ( الْغُرْفَةَ ) وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ( بِمَا صَبَرُوا ) يقول : بصبرهم على هذه الأفعال ، ومقاومة شدتها . وقوله ( وَيُلَقَوْنَ فِيهَا كَبِيرًا ) فيها كَبِيرًا وسلاما ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَيُلَقَوْنَ ) مضمومة الياء ، مشددة القاف ، بمعنى : وتلقاهم الملائكة فيها بالتحية . وقراء ذلك عامة قراء الكوفة : ( وَيُلَقَوْنَ ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءتين إلى أن أقرأ بها ( وَيُلَقَوْنَ فِيهَا ) بفتح الياء ، وتخفيف القاف ، لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد ، قالت : فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ، ونحن نتلقاهم بالسلام ، قرنته بالياء ، وقلما تقول : فلان يُتَلَقَّى السلام ، فكان وجه الكلام ، لو كان بالتشديد ، أن يقال : وَيُتَلَقَوْنَ فِيهَا بالتحية والسلام . وإنما اخترنا القراءة بذلك ، كما تجيز : أخذت بالخطام ، وأخذت الخطام . وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع .

(١) البيت من شواهد ابن هشام في المغني في حرف اللام ، على أن قوله : « لا تردن ملامتي » أبلغ من : لا تلمني ، لأنه نهي عن السب ، والنهي عن إرادة الفعل أبلغ من النهي عن الفعل نفسه . وقال الأمير في حاشيته : قوله : « بأمر » : أخبر به عن الجمع ، إما لكونه فيلما يستوي فيه الواحد وغيره ، قال الله تعالى « والملائكة بعد ذلك ظهير » أو إنه صفة لمفرد لفظا جمع معنى مخلوف ، أي بقرين أمير . فلاحظ في الإخبار معناه ، وفي وصفه لفظه . قلت : ولم ينسب البيت ابن هشام ولا الأمير ، ولا ذكره السيوطي في شرح شواهد المغني ، في حرف اللام . وتوحيد الأمير في البيت نظير توحيد الإمام في قوله تعالى : واجعلنا للمتقين إماما ، وكلاهما يراد به الجمع في المعنى . قال في اللسان : وقوله تعالى : « واجعلنا للمتقين إماما » . قال أبو عبيدة : هو واحد يدل على الجمع اه .

## القول في تأويل قوله تعالى

خَلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ ، فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) .

يقول تعالى ذكره : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، خالدين في الغرفة ، يعني أنهم ما كثون فيها ، لا يثون إلى غير أمد ، حسنت تلك الغرفة قراراً لهم ومقاماً : يقول : وإقامة . وقوله ( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) يقول جل ثناؤه لنبيه : قل يا محمد هؤلاء الذين أرسلت إليهم : أي شيء يعبدكم ، وأي شيء يصنع بكم ربى ، يقال منه : عبأت به أعبأ عبثاً ، وعبأت الطيب أعبأه : إذا هيأته ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ بِنَحْرِهِ وَبِمَنْكِبَيْهِ عَبِيرًا بَاتَ يَعْبِؤُهُ عَرُوسًا

يقول : يبيته ويعمله ، يعبؤه عبثاً وعبوا ، ومنه قولهم : عبأت الجيش بالشديد والتخفيف ، فأنا أعبأه : أهينه ، والعبأ : الثقل .

وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) : يصنع لولا دعاؤكم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي ) قال : يعبأ : يفعل . وقوله ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول : لولا عبادة من يعبد منكم ، وطاعة من بطيئه منكم .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) يقول : لولا إيمانكم ، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم ، إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان ، كما حبب إلى المؤمنين .

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ) قال : لولا دعاؤكم إياه ، لتعبدوه وتطيعوه :

(١) البيت لأبي زيد الطائي يصف أسداً (اللسان : عبأ) . قال : وعبأ الطيب يعبؤه عبثاً : صنته وخلطه ، قال أبو زيد يصف أسداً : « كأن بنحره . . . البيت . . . ويروى : « بات يخبؤه » . وقال الفراء في معاني القرآن : وقوله : « ما يعبأ بكم ربى » : استفهام : أي ما يصنع بكم لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام ؟ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( ص ١٧٠ ) ومث قولهم : ما عبأت بك شيئاً : أي ما عدتلك شيئاً . اهـ .

وقوله (فَقَدَّ كَذَّبْتُمْ) يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد كذبتُم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم ، وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به ، لو تمسكتُم به ، كان يعبأ بكم ربي ، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم ، وخلافكم أمر بارئكم ، عذابا لكم ملازما ، قتلا بالسيوف ، وهلاكاً لكم مفنيا يلحق بعضكم بعضاً ، كما قال أبو ذؤيب الهذلي :

فَفَجَأَهُ بِعَادِيَةِ لِيْزَامٍ كَمَا يَتَفَجَّرُ الْحَوْضُ اللَّتْفِيفُ!

يعنى بالليزام : الكبير الذي يتبع بعضه بعضاً ، وباللتفيف : المتساقط الحجارة المهتم ، ففعل الله ذلك بهم ، وصدقهم وعده ، وقتلهم يوم بدر بأيدي أوليائه ، وألحق بعضهم ببعض ، فكان ذلك العذاب الليزام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني مولى لشقيق بن ثور أنه سمع سلمان أبا عبد الله ، قال : صليت مع ابن الزبير فسمعتة يقرأ : فقد كذب الكافرون .

حدثنا ابن المنثني ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سعيد بن أدهم السدوسي ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن عبد الحميد ، قال : سمعت مسلم بن عمار ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ هذا الحرف : فقد كذب الكافرون ، فسوف يكون لزاما .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدَّ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِيْزَامًا ) يقول : كذب الكافرون أعداء الله .

حدثنا ابن المنثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن ابن مسعود ، قال : فسوف يلقون لزاما يوم بدر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ، قال : قال عبد الرحمن : خمس قد مضين : الدخان ، والليزام ، والبطشة ، والقمر ، والروم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيْزَامًا ) قال أبي بن كعب : هو القتل يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن عمرو ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : الليزام : يوم بدر .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي (اللسان : لقف) . قال : وحوض لقف ولقيف : تهور من أسفله واتسع ، ومنه قول أبي ذؤيب : فلم تر غير عادية لزاما . . . البيت قال : ويقال : الملان . والأول : هو الصحيح . قال : والعادية : القوم يعدون على أرجلهم أي : فعلتهم لزاما ، كأنهم لزموه ، لا يفارقون ما هم فيه . اه . وقال في (لزم) : والليزام : الملازم قال أبو ذؤيب : (البيت كروايته في لقف) ثم فسره كما فسره هناك . قال : واللتفيف : التهور من أسفله . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن (مسورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص ١٧٠) : لزام : أي كثيرة ، بعضها في أثر بعض . وبهاشبه اللقيف المهتم ، التي سقطت حجارة بعضها على بعض . اه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا )  
قال : هو يوم بدر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) قال : يوم بدر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن مَعْمَر ، عن منصور ، عن سفيان ، عن ابن مسعود ، قال :

اللزام : القتل يوم بدر .

حدثت عن الحسين قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا ) الكفار كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء به من  
عند الله ، فسوف يكون لزاما ، وهو يوم بدر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : قد مضى اللزام ،  
كان اللزام يوم بدر ، آسروا سبعين ، وقتلوا سبعين .

وقال آخرون : معنى اللزام : القتال .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَسَوْفَ يَكُونُ لِيَزَامَا )  
قال : فسوف يكون قتالا ؛ اللزام : القتال .

وقال آخرون : اللزام : الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَسَوْفَ يَكُونُ  
لِيَزَامَا ) قال : موتا .

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب : معنى ذلك : فسوف يكون جزاء ، يلزم كل عامل ماعمل من خير أو شر .  
وقد بينا الصواب من القول في ذلك . وللنصب في اللزام وجه آخر غير الذي قلناه ، وهو أن يكون في قوله

( يَكُونُ ) مجهول ، ثم ينصب اللزام على الخبر كما قيل :

إِذَا كَانَ طَعَنَّا بَيْنَهُمْ وَقِتَالَا

وقد كان بعض من لا علم له بأقوال أهل العلم ، يقول في تأويل ذلك : قل ما يعبا بكم ربى لولا دُعَاؤكم  
ماتتدُعُونَ من دونه من الآلهة والأنداد . وهذا قول لامعنى للتشاغل به . لخروجه عن أقوال أهل العلم ،

من أهل التأويل :

آخر سورة الفرقان والحمد لله وحده

## تفسير سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣)

قال أبو جعفر: وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وقد بيننا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه، فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته، وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله: طسم وطس، نظير الذي ذكر عنهم في الم والمر والمص.

وقد حدثني علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنى معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله (طسم) قال: فإنه قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (طسم) قال: اسم من أسماء القرآن.

فتأويل الكلام على قول ابن عباس: والجميع، إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد صلى الله عليه وسلم في هذه السورة، لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها، الذي بين لمن تدبره بفهم، وفكر فيه بعقل، أنه من عند الله جل جلاله، لم يتخرصه محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يتقوله من عنده، بل أوحاه إليه ربه. وقوله (لَعَلَّكَ بَاحِيعٌ نَفْسِكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به. والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب؛ ومنه قول ذي الرمة:

ألا أيهدأ الباخعُ التَّوَجُّدُ نَفْسَهُ لِيَشَىءَ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: (باخعٌ نَفْسِكَ): قاتل نفسك.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (لَعَلَّكَ بَاحِيعٌ نَفْسِكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) قال: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك؛ قال: ذلك البخع.

(١) البيت لذي الرمة، وقد تقدم الاستشهاد به في سورة الكهف (١٥: ١٩٤) على أن معنى البخع: القتل، فراجعه ثمة.



حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( لَعَلَّكَ بِاِخْتِإِ نَفْسِكَ ) عليهم حرصا ، وأن من قوله ( أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) في موضع نصب بياجع ، كما يقال : زُرْتُ عبد الله أَنْ زَارَنِي ، وهو جزاء ؛ ولو كان الفعل الذي بعد أَنْ مستقبلا ، لكان وجه الكلام في « أَنْ » الكسر ، كما يقال ؛ أزور عبد الله أَنْ يزوني .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ، فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)

يختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ ) ... الآية ، فقال بعضهم : معناه : فظل القوم الذين أنزل عليهم من السماء آية ، خاضعة أعناقهم لها من الذلّة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : فظلوا خاضعة أعناقهم لها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( خَاضِعِينَ ) قال : لو شاء الله لنزل عليه آية يذلون بها ، فلا يتكوى أحد عنقه إلى معصية الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ ) قال : لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده بمعصية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : ملقنين أعناقهم .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ) قال : الخاضع : الذليل .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فضلت ساداتهم وكبرائهم للآية خاضعين ، ويقول : الأعناق : هم الكبراء من الناس .

واختلف أهل العربية في وجه تذكير خاضعين ، وهو خير عن الأعناق ، فقال بعض نحويي البصرة : يزعمون أن قوله ( أَعْنَاقُهُمْ ) على الجماعات ، نحو هذا عشق من الناس كثير ، أو ذكر كما يذكر بعض المؤنث ، كما قال الشاعر :

تَمَرَزَتْهَا وَالذَّيْكَ يُدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُو نَعَشٍ دَتَّوْا فَتَصَوَّبُوا

(١) هذا البيت أشده سيويه لتأنيده الجمدي ، (السان : نَش) وقيل بيت آخر ، يصف بهما الخمر ، وهو قوله :

وَصَهْبَاءُ لَا يَخْفَى الْقَدَى وَهِيَ دُونَهُ تُصَفِّقُ فِي رَأُوقِهَا نَمَّ تَقْطَبُ

قال : وبنات نَش سبعة كواكب ، أربعة منها مربعة ، وثلاثة بنات نَش ، الواحد : ابن نَش لأن الكوكب مذكر ، فيذكرونه على تذكيره . وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ، ذهبوا إلى البنات ، وكذلك بنات نَش الصغرى . واتفق سيويه والقراء على ترك صرف نَش للمعرفة =

فجماعات هذا أعناق، أو يكون ذكره لإضافته إلى المذكر كما يؤنث لإضافته إلى المؤنث، كما قال الأعشى:

وتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعَتْهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنْ الدَّمِ<sup>١</sup>

وقال العجاج:

لَمَّا رَأَى مَسْتَنَ السَّمَاءِ أَبْعَدَتْ<sup>٢</sup>

وقال الفرزدق:

إِذَا التَّقْنِبُضَاتُ السُّودُ طَوَّفْنَ بِالضُّحَى رَقَدْنَ عَلَيَّهِنَّ الْحِجَالُ الْمُسَجَّفُ<sup>٣</sup>

وقال الأعشى:

وَإِنَّ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ مِنْ الْأَرْضِ يَهْمَاءُ وَيَبِيدَاءُ خَيْفَقُ<sup>٤</sup>

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِييَ لِيَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعَلَّمِي أَنْ الْمُعَانَ الْمُوقِقُ<sup>٥</sup>

« والتأنيث . وقيل شبهت بحملة الشمس في تريمها . وجاء في الشعر بنو نعش ، أنشد سيبويه لتنايفة الجعلى : « وصهباء لا يخق ... البيتان » الصهباء الحمرة . وقوله « لا يخق القذى وهي دونه » : أي لا تستره إذا وقع فيها ، لكونها صافية ، فالقذى يرى فيها إذا وقع . وقوله وهي دونه : يريد أن القذى إذا حصل في أسفل الإناء ، رآه الرائي في الموضع الذي فوقه الحمرة ، والحمرة أقرب إلى الرائي من القذى . يريد أنها ترى ما وراءها . وتصفق تدار من إناه إلى إناه . وقوله تمزجتها : أي شربتها قليلا قليلا . وتقطب : تمزج بالماء . قال الأزهرى : وللشاعر إذا اضطر أن يقول : بنو نعش ، كما قال الشاعر ، وأنشد البيت ، ووجه الكلام : بنات نعش ، كما قالوا : بنات آوى ، وبنات عرس ، والواحد منها ابن عرس ، يؤنثون جمع ما خلا الآدميين ، ورواية أبي عبيدة في مجاز القرآن ص ١٧١ ) شربت إذا ما الذيك . . . الخ البيت .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (اللسان : شرق) قال شرق الشيء شرقا ، فهو شرق : اشتدت حرته ، بدم ، أو بحسن لون أحمر ، قال الأعشى : « وتشرق بالقول . . . البيت . والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه ( طبع القاهرة ص ١٢١ ) يحجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر لباجيه . قال شارح الديوان : « وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم » . وصدر القناة : أعلاها . والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرق بالياء ، مع أن فاعله وهو « صدر » مذكر . ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة ، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها .

(٢) لم أجد البيت في ديوان العجاج وروية . ووجدت أرجوزة من نفس القافية للزيان ملحقة بديوان العجاج (٩٤ ، ٩٥) وليس فيها البيت والمثنى : الظاهر . والشاهد في هذا الرجز أنه أنث الفعل أبعدت بالياء ، مع أن الضمير فيه راجع إلى المثنى ، وهو مذكر ؛ لكن لما أضيف المثنى إلى السماء وهي مؤنثة ، فكأن الشاعر أعاد الضمير على السماء ، وتناسى المثنى ، فأنت لذلك ، وكأنه قال : « لما رأى السماء أبعدت » . وهو كالشاهد الذي قبله .

(٣) البيت للفرزدق (اللسان : قبض) والتقبضة من النساء : القصيرة ، والنون زائدة ، والضمير في رقدن : يعود إلى نساء وصفهن بالنعمة والترف ، إذا كانت التقبضات السود في خدمة وتعبد . اه . يعنى بالتقبضات الولائد والإماء من الخدم . والحجال : جمع حجلة ، بالتحريك ، وهي بيت كالثياب يستر بالثياب ، ويكون له أزرار كبار . ومنه حديث : «أعروا النساء يلزمن الحجال» . وجمع الحجلة : حجل وحجال ، قال الفرزدق : « رقدن عليهن الحجال المسجف » قال الحجال ، وهي جماعة ، ثم قال المسجف فذكر ، لأن لفظ الحجال لفظ الواحد ، مثل الجراب . قال : ومثله قوله تعالى : «قال من يحسى العظام وهي رميم» ، ولم يقل رميمه . وانظر البيت أيضا في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي ص ٥٥٢) قال : والتسجيف : إرخاء السجفين ، وهما ستر باب الحجلة للعروس ، وكل باب يستره ستران بينهما مشقوق ، فكل شق منهما مسجف .

(٤) البيتان لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٢٣) من قافيته التي مطلعها : « أرتقت وما هذا السهاد المورق » يمدح بها الملقب ابن خنم بن شداد بن ربيعة . وفي رواية البيت الأول فيه وفي خزانة الأدب الكبرى (للبيدادي ١ : ٥٥١ ، ٢ : ٤١٠) أسرى : في موضع : أهدى . و « أن المعان موفق » في موضع « أن المعان الموفق » . ومعنى أهدى من الهدية ، وهذا لا يصلح إلا على أن الخطاب للناقدة ، وكان قد أهداها الممدوح إليه ، لاعلم أن الخطاب للمرأة المذكورة في القصيدة قبل البيت في قوله « وكم دون ليل » وتتمام رواية البيت على أنه خطاب للناقدة هو :

وإن أمراً أهداك بيني وبينه فياف تنوفات وهيماء سملق

والأكثرون على رواية أسرى إليك ، وأنه خطاب للمرأة ، وعليه بنى الكوفيون كلامهم في الاستشهاد بالبيت . وأسرى : لغة في سرى أي «

قال : ويقولون : بنات نعش وبنو نعش ، ويقال : بنات عيرس ، وبنو عيرس ؛ وقالت امرأة : أنا امرؤ  
لأخبر السر ، قال : وذُكِرَ لرؤية رجل فقال : هو كان أحد بنات مساجد الله ، يعني الحصى ؛ وكان بعض  
نحوي الكوفة يقول : هذا بمنزلة قول الشاعر :

تَرَى أَرْمَاحَهُمْ مُتَّقِلِدِيهَا إِذَا صَدَيْتِ الْحَدِيدُ عَلَى الْكُمَاةِ ٢

فعناه عنده : فظلت أعناقهم خاضعياً لهم ، كما يقال : يدك باسطها ، بمعنى : يدك باسطها أنت ، فاكتفي  
بما ابتداء به من الاسم أن يكون ، فصار الفعل كأنه للأول ، وهو الثاني ، وكذلك قوله : لمحقوقة أن تستجيب  
لصوته إنما هو لمحقوقة أنت ، والمحقوقة : الناقة ، إلا أنه عطفه على المرء ، لما عاد بالذكر . وكان آخر  
منهم يقول : الأعناق : الطوائف ، كما يقال : رأيت الناس إلى فلان عنقاً واحدة ، فيجعل الأعناق الطوائف  
والعصَب ؛ ويقول : يحتمل أيضاً أن تكون الأعناق هم السادة والرجال الكبراء ، فيكون كأنه قيل :  
فظلت رموس القوم وكبراؤهم لها خاضعين . وقال : أحب إلى من هذين الوجهين في العربية ، أن يقال :  
إن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولاً للأعناق ، ثم جعلت خاضعين للرجال ،  
كما قال الشاعر :

عَلَى قَبْضَةِ مَرَجُوتٍ ظَهَرُ كَفِّهِ فَلَا الْمَرْءُ مُسْتَحْيٍ وَلَا هُوَ طَاعِمٌ ١

فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه ، كما أنك تكتفى بأن تقول : خضعت لك ، من أن  
تقول : خضعت لك رقبتي ، وقال : ألا ترى أن العرب تقول : كل ذي عين ناظر وناظرة إليك ، لأن

سار ليلا . والمومة : الأرض التي لاماء فيها . والبيداء واليهام القفر . والسلق : الأرض المستوية . وقد اختلف النحويون في تخريج  
قوله : « لمحقوقة أن تستجيب » ، فقيل : لمحقوقة استجابتك ، أي استجابتك لمحقوقة . وعليه فالتأنيث في محقوقة للمصدر المؤنث جوازاً .  
وعليه أيضاً فلا شاهد في البيت . وقال الكوفيون : محقوقة خبر إن امرأ ، غير جار على من هو له ، وهو امرأ ، وإنما هو جار على المرأة  
المخاطبة بقوله إليك . والبصريون يوجبون إذا جرى الخبر على غير من هو له إبراز الضمير المستتر فيه ، فكان حقه أن يقول : لمحقوقة  
أنت أن تستجيب لصوته . ويرى الكوفيون أن إبراز الضمير المستتر في مثل هذه الحالة ، حكمه الجواز لا الوجوب ، واستدلوا بالبيت على  
ترك إبرازه . ورد البصريون كلامهم بما لا محل لذكره هنا . واستشهد المؤلف بالبيت على ما يستشهد به الكوفيون .

(١) البيت ذكره ابن الأنباري في الإنصاف ، ولم ينسبه ، وكذلك لم ينسبه البغدادي في الخزانة (٢ : ٤١١) وهو كالشاهد الذي قبله  
قال البغدادي : الظاهر من كلام ابن السجري في أماليه ، ومن كلام ابن الأنباري في مسائل الخلاف ، ومن كلام غيرهما : أن مذهب  
الكوفيين ، جواز ترك التأكيده مطلقاً ، سواء أمن الميس أم لا . قال ابن الأنباري : احتج الكوفيون لمذهبهم بالشعر المتقدم ، وبقوله :  
« ترى أرباقهم » . . . البيت . ولو كان إبراز الضمير واجبا لقال : متقلديها هم . فلما لم يبرز الضمير دل على جوازه . وأجاب  
البصريون عن هذا بأنه على حذف مضاف ، أي ترى أصحاب أرباقهم متقلديها . ورواية البيت في الخزانة والإنصاف : « ترى أرباقهم »  
في موضع « ترى أرباقهم » . وكذلك أنشده الفراء في معاني القرآن : أرباقهم (ص ٢٢٨) .

(٢) هذا البيت مما استشهد به الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٢٨) قال عند قوله تعالى : « فظلت أعناقهم لها خاضعين » : الفعل  
للأعناق ، فيقول القائل : كيف لم يقل خاضعة . وفي ذلك وجه كلها صواب . أولها : أن مجازاً جعل الأعناق الرجال الكبراء ،  
فكانت الأعناق هادئة بمنزلة قولك : ظلت رموسهم ، رموس القوم وكبراؤهم لها خاضعين ، الآية . والوجه الآخر : أن تجعل الأعناق :  
الطوائف ، كما تقول : رأيت الناس إلى فلان عنقاً واحداً ، فتجعل الأعناق : الطوائف والعصب . وأحب إلى من هذين الوجهين  
في العربية : أن الأعناق إذا خضعت ، فأربابها خاضعون ، فجعلت الفعل أولاً للأعناق . ثم جعلت خاضعين للرجال ، كما قال الشاعر :  
« على قبضة مرجوة » . . . البيت . فأنت فعل الظهر ، لأن الكف تجمع الظهر ، وتكنى منه .

قولك : نظرتُ إليك عيني ، ونظرتُ إليك بمعنى واحد بترك كل ، وله الفعل وبرده إلى العين ، فلو قلت :  
فظلت أعناقهم لها خاضعة ، كان صوابا :

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق  
هي أعناق الرجال ، وأن يكون معنى الكلام : فظلت أعناقهم ذليلة ، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء ،  
وأن يكون قوله خاضعين مذكرا ، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق ، فيكون ذلك نظير قول جرير :

أرَى مَرَّ السَّنِينِ أَخَذَنْ مِيَّيَ كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنْ الْهِلَالِ

وذلك أن قوله : مرّ ، لو أسقط من الكلام ، لأدى ما بقي من الكلام عنه ولم يفسد سقوطه معنى الكلام عما  
كان به قبل سقوطه ، وكذلك لو أسقطت الأعناق من قوله : فظلت أعناقهم ، لأدى ما بقي من الكلام  
عنها ، وذلك أن الرجال إذا ذلّوا ، فقد ذلت رقابهم ، وإذا ذلت رقابهم فقد ذلوا .

فإن قيل في الكلام : فظلوا لها خاضعين ، كان الكلام غير فاسد ، لسقوط الأعناق ، ولا متغير معناه  
عما كان عليه قبل سقوطها ، فصرف الخبر بالخضوع إلى أصحاب الأعناق ، وإن كان قد ابتداء بذكر الأعناق  
لما قد جرى به استعمال العرب في كلامهم ، إذا كان الاسم المبتدأ به ، وما أضيف إليه يؤدّي الخبر كلّ  
واحد منهما عن الآخر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُنْذِرًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥)

يقول تعالى ذكره : وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون ما أتيتهم به يا محمد من عند  
ربك من تذكير وتنبية على مواضع حجج الله عليهم على صدقك ، وحقيقة ماتدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك  
ويوحيه إليك ، لتذكركم به ، إلا أعرضوا عن استماعه ، وتركوا أعمال الفكر فيه وتدبره .

القول في تأويل قوله تعالى

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذکر الذي أتاهم من عند الله ، وأعرضوا  
عنه ( فسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ) يقول : فسَيَأْتِيهِمْ أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون  
وذلك وعيد من الله لهم أنه محلّ بهم عقابه على تماديهم في كفرهم ، وتمردهم على ربهم .

(١) البيت لجرير ، وقد سبق الاستشهاد به في الجزء (١٢ : ١٥٧) وذكره صاحب (اللسان : خضع) قال : جاز أن يخبر عن  
المضات إليه كما قال الشاعر « رأيت مر السنين » ، لما كانت السنون لا تكون إلا بمر أخير عن السنين ، وإن كان أضاف إليها المرور .  
والسرار : القيلة يخفى فيها الهلال آخر الشهر . ورواية « رأيت مر السنين » هي رواية الديوان ( طبعة الصاوي ٤٢٦ ) . ورواية  
أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ص ١٧١ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المشركون المكذّبون بالبعث والنشر إلى الأرض ، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لانبات فيها ( من كل زوج كريم ) يعني بالكريم : الحسن ، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل : كريمة ، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا ، فكثرت ألبانها : ناقة كريمة ، وشاة كريمة .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أنبتنا فيها من كل زوج كريم ) قال : من نبات الأرض ، مما تأكل الناس والأنعام .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( من كل زوج كريم ) قال : حسن .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره : إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم آية : لدلالة هؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث ، على حقيقته ، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها ، لن يعجزه أن ينشئ بها الأموات بعد مماتهم ، أحياء من قبورهم . وقوله ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) يقول وما كان أكثر هؤلاء المكذّبين بالبعث ، الجاحدين نبوتك يا محمد ، بمصدقك على ما أتيتهم به من عند الله من الذكر ، يقول جل ثناؤه : وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون ، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم . وقوله ( وإن ربك لهو العزيز الرحيم ) يقول : وإن ربك يا محمد هو العزيز في نعمته ، لا يمتنع عليه أحد أراد الانتقام منه ، يقول تعالى ذكره : وإني إن أحللت بهؤلاء المكذّبين بك يا محمد ، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي ، عقوبتي بتكذيبهم إياك ، فلن يمنعهم مني مانع ، لأنني أنا العزيز الرحيم ، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته ، أن يعاقبه على ما سلف من جرّمه بعد توبته .

وكان ابن جريج يقول في معنى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا الحجاج ، عن ابن جريج قال : كل شيء في الشعراء من قوله ( عزيز رحيم ) فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم ، يقول عزيز ، حين انتقم من أعدائه ، رحيم بالمؤمنين ، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه .

ﷺ قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع، لأن قوله (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهَوَّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) عقيب وعيد الله قوماً من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أهل الكوا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه. ولعل ابن جرير بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من الأمم، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)

ﷺ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران (أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) يعني الكافرين قوم فرعون، ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الأول، وقوله (أَلَا يَتَّقُونَ) يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به. ومعنى الكلام قوم فرعون قتل لهم ألا يتقون، وترك إظهار «قتل لهم» لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء، ولم يقل ألا تتقون بالياء، لأن التنزيل كان قبل الخطاب، ولو جاءت القراءة فيها بالياء كان صواباً، كما قيل: «قل للذين كفروا سيئغبون وستغلبون».

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)

ﷺ يقول تعالى ذكره (قال) موسى لربه (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ) من قوم فرعون الذين أمرني أن آتيهم (أَنْ يُكَذِّبُونِ) بقبلي لهم: إنك أرسلتني إليهم. (وَيَضِيقُ صَدْرِي) من تكذيبهم إياي إن كذبتوني، ورفع قوله (وَيَضِيقُ صَدْرِي) عطفاً به على أخاف، وبالرفع فيه قرأته عامة قرآء الأمصار، ومعناه: وإني يضيق صدري. وقوله (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) يقول: ولا ينطلق بالعبرة عما ترسلني به إليهم، للغة التي كانت بلسانه. وقوله (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي) كلام معطوف به على يضيق. وقوله (فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ) يعني هارون أخاه، ولم يقل: فأرسل لآتي هارون ليؤازرنى وليعينني، إذ كان مفهوماً معنى الكلام، وذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك، بمعنى: لفزعنا إليك لتعيننا. وقوله (وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ) يقول: ولقوم فرعون على دعوى ذنب أذنبت إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) قال: قتل النفس التي قتل منهم.

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قَتَلَ موسى النفس .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَهَلُمُّ عَلَى ذَنْبٍ ) قال قتل النفس ، وقوله ( فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) يقول : فأخاف أن يقتلوني قَوْدًا بالنفس التي قُتِلت منهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)

يقول تعالى ذكره ( كَلَّا ) : أى لن يقتلك قوم فرعون ( فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ) يقول : فاذهب أنت وأخوك بآياتنا ، يعنى بأعلامنا وحُججنا التي أعطيناك عليهم . وقوله ( إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ) من قوم فرعون ما يقولون لكم ، ويحييونكم به ، وقوله ( فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا ) . . . الآية ، يقول : فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون ( فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) إليك ، ( أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وقال رسول رب العالمين ، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا ، لأنه أراد به المصدر من أرسلت ، يقال : أرسلت رسالة ورسولا ، كما قال الشاعر :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا بُحْتُ عِنْدَهُمْ بِيَسْوءٍ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ ١

يعنى برسالة ، وقال الآخر :

أَلَا مَنْ مَبْلِغٌ عَنِّي خُفَافًا رَسُولًا بَيْتُ أَهْلِكَ مُنْتَهَاهَا ٢

يعنى بقوله : رسولا : رسالة ، فأنت لذلك الهاء :

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ، وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ مُهْمَرِكَ سِنِينَ (٨١) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)

وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر عليه منه ، وهو : فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة ربهما إليه ،

(١) البيت في (اللسان : رسل) . وفي روايته « بليل » في موضع « بسوء » . قال : والإرسال التوجيه ، وقد أرسل إليه . والاسم الرسالة ( بكسر الراء المشددة وفتحها ) والرسول والرسيل . الأخيرة عن ثعلب . وأنشد : « لقد كذب الوأشون » . . . البيت قال : والرسول بمعنى الرسالة ، يؤنث ويذكر . وفي (اللسان : رسل) رواية أخرى لبيت كرواية المؤلف ، ونسبه إلى كثير .

(٢) البيت لعباس بن مرداس (اللسان : رسل) . قال : فأنت الرسول (بعود الضمير المؤنث) حيث كان بمعنى الرسالة . وهذا البيت من المقطوعة التي منها الشاهد السابق ص ٣٧ وهو : فأني ما وأهلك . . . البيت . يهجو به العباس بن مرداس خفاف بن نديبة لشيء كان بينهما (خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ٢٢٩) .

فقال فرعون : ألم نربك فينا يا موسى وليدا ، ولبثت فينا من عمرك سنين ، وذلك مكثه عنده قبل قتله القليل الذي قتله من القبط ، وفعلت فعلتك التي فعلت : يعنى قتله النفس التي قتل من القبط .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . ، قال : قتل النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وإنما قيل ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ ) لأنها مرة واحدة ، ولا يجوز كسر الفاء إذا أريد بها هذا المعنى .  
وذكر عن الشعبي أنه قرأ ذلك ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ ) بكسر الفاء ، وهى قراءة لقراءة القراء من أهل الأمصار مخالفة .

وقوله ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك :  
وأنت من الكافرين بالله على ديننا .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يعنى على ديننا هذا الذى تعيب :  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وأنت من الكافرين نعمتنا عليك :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) قال : ربيناك فينا وليدا ، فهذا الذى كافأنا ، أن قتلنا منا نفسا ، وكفرت نعمتنا :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ) يقول : كافرا للنعمة ، أن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر :  
قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية ، لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية ، وإنما كان يزعم أنه هو الرب ، فغير جائز أن يقول لموسى : إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القليل على ما قاله السدى : فعلت الفعل وأنت من الكافرين ، الإيمان عنده : هو دينه الذى كان عليه موسى عنده ، إلا أن يقول قائل : إنما أراد : وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى ، على قولك اليوم ، فيكون ذلك وجها يتوجه . فتأويل الكلام إذن : وقتلت الذى قتلنا منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك ، وإحساننا إليك ، فى قتلك إياه . وقد قيل : معنى ذلك : وأنت الآن من الكافرين لنعمتى عليك ، وتربيتى إياك .



القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : فَعَلْتُمْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون : فعلت تلك الفعلة التي فعلت : أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الضالين : يقول : وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحى بتحريم قتله على : والعرب تضع الضلال موضع الجهل ، والجهل موضع الضلال ، فتقول : قد جهل فلان الطريق ، وضل الطريق ، بمعنى واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ؛ قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأنا من الضالين ) قال : من الجاهلين ؛ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج : وفي قراءة ابن مسعود ( وأنا من الجاهلين ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وأنا من الضالين ) قال : من الجاهلين حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وأنت من الكافرين ) فقال موسى : لم أكفر ، ولكن فعلتها وأنا من الضالين . وفي حرف ابن مسعود ( فعلمتوها إذا وأنا من الجاهلين ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( قال فعلمتوها إذا وأنا من الضالين ) قبل أن يأتيني من الله شيء ، كان قتلى إياه ضلالة خطأ ؛ قال : والضلالة ههنا الخطأ ، لم يقل ضلالة فيما بينه وبين الله ؛

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( قال فعلمتوها إذا وأنا من الضالين ) يقول : وأنا من الجاهلين ؛

وقوله ( ففررت منكم لما خيفتكم ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل موسى لفرعون : ففررت منكم معشر الملأ من قوم فرعون ، لما خفتكم أن تقتلوني بقتلي القتل منكم ( فوهب لي ربي حكما ) يقول : فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم .

كما حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط عن السدي ( فوهب لي ربي حكما ) والحكم : النبوة .

وقوله ( وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه ، مبلغا عنه رسالته إليهم ، بإرساله إياي إليك يا فرعون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)  
قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ )  
يعنى بقوله وتلك : تربية فرعون إياه ، يقول : وتربيتك إياي ، وتركت استعبادي ، كما استعبدت بني إسرائيل ،  
نعمة منك تمنها عليّ بحقّ ، وفي الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وهو : وتلك نعمة تمنها  
عليّ أن عبّدت بني إسرائيل وتركتني ، فلم تستعبدني ، فترك ذكر وتركتني ، لدلالة قوله أن عبّدت بني إسرائيل  
عليه ، والعرب تفعل ذلك اختصارا للكلام ، ونظير ذلك في الكلام أن يستحقّ رجلان من ذى سلطان  
عقوبة ، فيعاقب أحدهما ، ويعفو عن الآخر ، فيقول المعفو عنه هذه نعمة عليّ من الأمير ، أن عاقب فلانا  
وتركتني ، ثم حذف وتركتني ، لدلالة الكلام عليه ، ولأن في قوله ( أن عبّدت بني إسرائيل ) وجهين :  
أحدهما النصب ، لتعلق تمّنها بها ، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام : وتلك نعمة تمنها عليّ لتعبّدك  
بني إسرائيل . والآخر : الرفع على أنها ردّ على النعمة . وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام : وتلك نعمة  
تمنها عليّ تعبّدك بني إسرائيل . ويعنى بقوله ( أن عبّدت بني إسرائيل ) : أن اتخذتهم عبيدا لك ؛  
يقال منه : عبّدت العبيد وأعبدتهم ، كما قال الشاعر :

عَلَامٌ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا أَبَاعِرُ مَا شَاءُوا وَعَبْدَانُ<sup>١</sup>  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال :  
قَهَرْتَهُمْ واستعملتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : تمنّ عليّ أن عبّدت  
بني إسرائيل ، قال : قَهَرْتُ وغلّبت واستعملت بني إسرائيل .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا  
عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ) ورينتي قبل وليدا .

(١) البيت من شواهد ( اللسان : عبد ) قال : تعبد الرجل ( وعبه ) بشديد الباء فيهما ، وأعبده : صيره كالعبد . قال الشاعر :  
« حتام يعبدني قومي . . . البيت » .

وقال آخرون : هذا استفهام كان من موسى لفرعون ، كأنه قال : أتمنّ علىّ أن أتخذت بني إسرائيل عبيدا .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ) قال : يقول موسى لفرعون : أتمنّ علىّ أن أتخذت أنت بني إسرائيل عبيدا .  
واختلف أهل العربية في ذلك ، فقال بعض نحويّ البصرة : وتلك نعمة تمنها عليّ ، فيقال : هذا استفهام كأنه قال : أتمنّها عليّ ؟ ثم فسّر فقال : ( أن عبّدت بني إسرائيل ؟ ) وجعله بدلا من النعمة . وكان بعض أهل العربية ينكر هذا القول ، ويقول : هو غلط من قائله ، لا يجوز أن يكون همز الاستفهام يُلْقَى ، وهو يطلب ، فيكون الاستفهام كالخبر ، قال : وقد استتبع ومعه أم ، وهي دليل على الاستفهام واستتبعوا  
تَرَوْحُ مِِنَ الْحَيِّ أَمْ تَبْتَكِرُ وَمَاذَا يَبْضُرُكَ لَوْ تَنْتَظِرُ ١٢

قال : وقال بعضهم : هو أتروح من الحيّ ، وحذف الاستفهام أولا اكتفاء بأم . وقال أكثرهم : بل الأول خبر ، والثاني استفهام ، وكان أم إذا جاءت بعد الكلام فهي الألف ، فأما وليس معه أم ، فلم يقله إنسان .  
وقال بعض نحويّ الكوفة في ذلك ما قلنا . وقال : معنى الكلام : وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين لنعمتي : أي لنعمة تربيتي لك ، فأجابه فقال : نعم هي نعمة عليّ أن عبّدت الناس ولم تستعبدني : وقوله ( قال فرعون وما ربّ العالمين ) يقول : وأتى شيء ربّ العالمين ؟ قال موسى هو ( ربّ السموات والأرض ) وما لكهنّ ( وما بيئتهما ) يقول : وما لك ما بين السموات والأرض من شيء ( إن كنتم مؤمنين ) يقول : إن كنتم مؤمنين أن ما تعابونه كما تعابونه ، فكذلك فأيقنوا أن ربنا هو ربّ السموات والأرض وما بينهما .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ :  
إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ : رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ : لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ (٢٩)

بأنه يعني تعالى ذكره بقوله ( قال لمنّ حوله أَلَا تَسْتَمِعُونَ ) قال فرعون لمن حوله من قومه : ألا تستمعون لما يقول موسى ، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالحبوب عن مسألة فرعون إياه وقيله له ( وما ربّ العالمين ؟ ) ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون ، وجوابه إياه عما سأله ، إذ قال لهم فرعون ( ألا

(١) البيت : لامرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطلح السقا طبعه الحلبي ص ١١٥ ) تروح : أتروح وتبتكر : تخرج مبكرا . يقول : أتروح إلى أهك آخر النهار ، أم تخرج إليهم بكرة ، وما الذي يعجلك عن الانتظار ، وهو خير لك . والبيت شاهد على أنه حذف همزة الاستفهام اكتفاء بدلالة أم عليه . وبعضهم يستحق الحذف في هذا الموضع . ويمتنع فيما يليس بالخبر .

تَسْتَمْعُونَ) إلى قول موسى ، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته (رَبُّكُمْ) الذي خلقكم (وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ) فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك ، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه (إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم ، مغلوب على عقله ، لأنه يقول قولاً لا يعرفه ولا يفهمه . وإنما قال ذلك ، ونسب موسى عدواً لله إلى الجحفة لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا ربَّ غيره يُعبد ، وأن الذي يدعو إليه موسى باطل ، ليست له حقيقة ، فقال موسى عند ذلك محتجاً عليهم ، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته ، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت ، هو فرعون ، وأن الذي يعرفونه لآبائهم أرباباً ملوك آخر ، كانوا قبل فرعون ، قد مضوا ، فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه ، ولذلك قال لهم فرعون : إنه مجنون : لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه ، الذي أدعوكم ، وفرعون إلى عبادته ربَّ المشرق والمغرب وما بينهما ، يعني ملك مشرق الشمس ومغربها ، وما بينهما من شيء ، لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لآبائكم فضوا ، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم ، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم ؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح ، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر ، لم يجاوز ملكهم عرش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته ، هو الملك الذي يملك الملوك قال فرعون حينئذ استكباراً عن الحق ، وتمادياً في الغي لموسى (لَيْتِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي) يقول : لئن أقررت بمعبود سواي (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) يقول : لأسجنك مع من في السجن من أهله :

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: أَوْلَوْجِثُّكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ (٣٠) قَالَ: فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى

عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لفرعون لما عرفه ربه ، وأنه ربَّ المشرق والمغرب ، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له ، وأجابه فرعون بقوله (لَيْتِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) أتجعلني من المسجونين (وَلَوْ جِثُّكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) بين لك صدق ما أقول يا فرعون ، وحقيقة ما أدعوك إليه ؟ وإنما قال ذلك له ، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف ، والإجابة إلى الحق بعد البيان ؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك ، قال له فرعون : فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول ، فلنا لن نسجنك حينئذ ، إن اتخذت إلهاً غيري ، إن كنت من الصادقين ، يقول : إن كنت محققاً فيما تقول ، وصادقاً فيما تصصف وتخبّر . (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) يقول جل ثناؤه : فألقى موسى عصاه ، فتحولت ثعباناً ، وهي الحية الذكر ، كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله (مُّبِينٌ) يقول : بين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب عن ابن عباس ، قوله ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ) يقول : مبين له خلق حية : وقوله ( وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ) يقول : وأخرج موسى يده من جيبه ، فإذا هي بيضاء تلمع ( لِلنَّاطِرِينَ ) لمن ينظر إليها ويراها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن علي ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، قال : ارتفعت الحية في السماء قدر ميل ، ثم سقطت حتى صار رأس فرعون بين نايبها ، فجعلت تقول : ياموسى مرني بما شئت ، فجعل فرعون يقول : ياموسى أسألك بالذي أرسلك ، قال : فأخذه بطنه .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ حَوَّلُوهُ ، إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا ثَوَكُ بِكُلِّ سَعْتٍ عَلِيمٍ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه ، حجة عليه لموسى بحقيقة مادعاه إليه ، وصدق ما أتاه به من عند ربه ( لِلْمَلَآئِكَةِ حَوَّلُوهُ ) يعني لأشرف قومه الذين كانوا حول حوله ( إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ) يقول : إن موسى ساحر عصاه ، حتى أراكموها ثعباناً ( عَلِيمٌ ) يقول : ذو علم بالسحر وبصر به . ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ) يقول : يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر . وإنما قال : يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط ، والمعنى به بنو إسرائيل ، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل ، واتخذوهم خدماً لأنفسهم ومهتأناً ، فلذلك قال لهم ( يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ ) وهو يريد أن يخرج خدماكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام . وإنما قلت معنى ذلك كذلك ، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون ، بأمره بإرسال بني إسرائيل معه ، فقال له ولأخيه ( فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ ، فَتَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) وقوله ( فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ) يقول : فأى شيء تأمرون في أمر موسى ؟ وما به تشيرون من الرأى فيه ؟ ( قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ، وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ) يقول تعالى ذكره : فأجاب فرعون الملأ حوله ، بأن قالوا له : أخيراً موسى وأخاه وأنظره ، وابعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحر عليم بالسحر .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَتَمُّ مَجْتَمِعُونَ؟ (٣٩) لَعَلْنَا نَتَّبِعُ  
السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فجتمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة ( لميقات يوم معلوم ) يقول : لوقت واعد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم ، وذلك يوم الزينة ، وأن يحشر الناس ضحى . وقيل للناس : هل أنتم مجتمعون لتنظروا إلى مايفعل الفريقان ، ولئن تكون الغلبة ، لموسى أو للسحرة ؟ فلعلنا نتبع السحرة ، ومعنى لعل هنا كى ، يقول : كى نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين موسى . وإنما قلت ذلك معناها ، لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون ، فغير معقول أن يقول : من كان على دين أنظر إلى حجة من هو على خلافى ، لعل أتبع دينى ، وإنما يقال : أنظر إليها كى أزداد بصيرة بدينى ، فأقيم عليه ، وكذلك قال قوم فرعون ، فإياها عسّوا بقبلهم : لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين . وقيل : إن اجتماعهم للميقات الذى اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية :

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَتَمُّ مَجْتَمِعُونَ ) قال : كانوا بالإسكندرية ، قال : ويقال : بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ ، قال : وهربوا ، وأسلموا فرعون ، وهمت به ، فقال : فخذها يا موسى ، قال : فكان فرعون مما يلى الناس منه ، أنه كان لا يضع على الأرض شيئا ، قال : فأحدث يومئذ نخته ، قال : وكان إرساله الحية فى القبة الحمراء .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ ، قَالُوا لِفِرْعَوْنَ : أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَتَمُّ مُلْقُونَ (٤٣) ؟ فَأَلْقَوْا حِبًا لَهُمْ وَعَصِيصَهُمْ ، وَقَالُوا : بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره ( فلما جاء السحرة ) فرعون لوعده لموسى وموعده فرعون ( قائلوا لفرعون ) أئنا لنا أجرا ( إن كنا نحن الغالبين ) موسى ؟ ( قال ) فرعون لهم ( نعم ) ، لكم الأجر على ذلك ( وإنكم لمن المقربين ) منا ، فقالوا عند ذلك لموسى : إما أن تلتقى ، وإما أن نكون نحن الملقين ، وترك ذكر قبيلهم ذلك ، لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى : ألقوا ما أنتم ملقون ، على أن ذلك معناه ( فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ) من حبالكم وعصيكم ( فألقوا حبا لهم )

وَعَصِيَّتِهِمْ) من أيديهم (وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ) يقول: أقسموا بقوة فرعون، وشدة سلطانه، ومنفعة ملكته (إِنَّا لَنَسْحَنُ الْغَالِبُونَ) موسى

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ (٤٦)  
قَالُوا: ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ: ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ  
لَكُمْ، إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ

يقول تعالى ذكره: فألقى موسى عصاه حين ألقت السحرة جباهم وعصبيهم، (فإذا هي تلقف ما يافكون) يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من القيرية والسحر، الذي لاحقيقة له، وإنما هو مخايل<sup>١</sup> وخدعة (فألقت السحرة ساجدين) يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله، الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خروا لوجوههم سجدا لله، مُدْعِنِينَ له بالطاعة، مقرين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين: آمنا برب العالمين، الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه، رب موسى وهارون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته: فآمنوا: آمنتم لموسى بأن ما جاء به حق، قبل أن آذن لكم في الإيمان به (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علمكموه، ولذلك آمنتم به، فسوف تعلمون عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعتم من الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى

لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا: لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)

يقول: لأقطعن أيديكم وأرجلكم، مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف (ولأصلبناكم أجمعين) فوكّد ذلك بأجمعين، إعلاما منه أنه غير مستبق منهم أحدا (قالوا لا ضير) يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلان فلانا فهو يضير ضييرا، ومعناه: لا ضرر.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل:

(١) مخايل: جمع مخيلة، بمعنى المظنة، وأصله مخايل. والكوفيون يزيدون في مثل هذا الجمع ياء قبل آخره، مثل دراهم

وصياريف بمعنى درهم وصيرف.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لا ضير ) قال : يقول : لا يضرنا الذي تقول ، وإن صنعته بنا وصلبتنا ( إننا إلى ربنا مستقلبون ) يقول : إنا إلى ربنا راجعون ، وهو مجازينا بصبرنا على عقوبتك إيانا ، وثباتنا على توحيده ، والبراءة من الكفر به .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِيٰ-إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل السحرة : إنا نطمع : إنا نرجو أن يصفح لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به ، فلا يعاقبنا بها .

كما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا ) قال : السحر والكفر الذي كانوا فيه ( أن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : لأن كنا أول من آمن بموسى ، وصدقوه بما جاء به من توحيد الله ، وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : كانوا كذلك يومئذ أول من آمن بآياته حين رأوها . وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِعِبَادِي ) يقول : وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا ، أن أسر بعبادي : يقول : أن سر ببني إسرائيل ليلاً من أرض مصر ( إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل ، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم ، أرض مصر .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : فأرسل فرعون في المدائن يحشر له جنده وقومه ، ويقول لهم : إن هؤلاء : يعني هؤلاء : بني إسرائيل ( لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) يعني بالشرذمة : الطائفة والعصبة الباقية من عصب جيرة ، وشرذمة كل شيء : بقيته القليلة ، ومنه قول الراجز :



جاءَ الشتاءُ وقَمِيصِي أخلاقٌ شرَّاذِمٌ يضحكُ مِنْهُ التَّوَّاقُ<sup>١</sup>

وقيل : قليلون ، لأن كل جماعة منهم : كان يلزمها معنى القلة ؛ فلما جمع جماعاتهم قيل : قليلون ، كما قال الكُمَيْت :

فَرَدَّ قَوَاصِيَ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ فَقَدَّ صَارُوا كَحَيِّ وَاحِدِنَا<sup>٢</sup>

وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين ، كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة (إن هؤلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، قال : كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : الشرذمة : ست مئة ألف وسبعون ألفا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : اجتمع يعقوب وولده إلى يوسف ، وهم اثنان وسبعون ، وخرجوا مع موسى وهم ست مئة ألف ، فقال فرعون (إن هؤلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) ، وخرج فرعون على فرس أدهم حصان على لون فرسه في عسكره ثمان مئة ألف .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علي ، عن سعيد الجري ، عن أبي السليل ، عن قيس بن عباد ، قال : وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل ، قال : فحدثنا أن الشرذمة الذين ساهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف ، قال : وكان مقدمة فرعون سبع مئة ألف ، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة ، وفي يده حربة ، وهو خلفهم في الداهية . فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر ، قالت بنو إسرائيل : يا موسى أين ما وعدتنا ، هذا البحر بين أيدينا ، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا ، فقال موسى للبحر : انقلق أبا خالد ، قال : لا ، لن أنقلق لك يا موسى ، أنا أقدم منك

(١) البيت في (اللسان : خلق) منسوب لراجز . قال : يقال ثوب أخلاق ، يصفون به الواحد ، إذا كانت الخلوقة فيه كله ، كما قالوا : برمة أعشار ، وحبل أرمام ، وأرض سباب ، وكذلك برمة أخلاق عن الحياني ، أي نواحيها أخلاق . وقال الراجز : « جاء الشتاء . . . البيت » . هـ . كأنه لما صار خلقا كله ، كان كل جزء فيه خلقا ، فجمعه باعتبار أجزاءه ، كما تفيد عبارة الحياني . والتواق اسم ولد الراجز . (وفي اللسان : شرذم) الشرذمة : القطعة من الشيء ، والجمع شراذم . والشرذمة : الجماعة من الناس القليلة ، وفي التنزيل « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » . وثياب شراذم : أي أخلاق ، منقطعة . وثوب شراذم أي قطع . وأنشد البيت ابن بري .

(٢) البيت للكيت (اللسان : وحد) . قال الجوهري : العرب تقول : أنتم حي واحد ، وحي واحدون ، كما يقال شرذمة قليلون ، وأنشد للكيت : « فرد قواصي الأحياء . . . البيت » . وهو يشبه كلام القراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٢٩ ) قال : وقوله « إن هؤلاء لشرذمة قليلون » : يقول عصبة قليلة ، وقليلون وكثيرون . وأكثر كلام العرب أن يقولوا : قومك قليل وقومنا كثير . وقليلون وكثيرون : جائز عربي ، وإنما جاز لأن القلة إنما تدخلهم جميعا ، فقليل قليل ؛ وأوثر « قليل » على « قليلين » ، وجاز الجمع إذا كانت القلة تلزم جميعهم في المعنى ، فظهرت أمماؤهم على ذلك . ومثله أنتم حي واحد ، وحي واحدون . ومعنى واحدون : واحد ، كما قال الكيت : « فرد قواصي الأحياء . . . البيت » .

خلقا ؛ قال : فنودى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه ، فانفلق البحر ، وكانوا اثني عشر سببطا . قال البحريرى : فأحسبه قال : إنه كان لكل سبط طريق ، قال : فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر ، هابت الخيل للهيب ؛ قال : ومثّل لحصان منها فرس ودّيق ، فوجد ريحها فاشتدّت ، فاتبعه الخيل ؛ قال : فلما تنام آخر جنود فرعون في البحر ، وخرج آخر بني إسرائيل ، أمر البحر فانصفق عليهم ، فقالت بنو إسرائيل : مامات فرعون وما كان ليموت أبدا ، فسمع الله تكذيبهم نبيه عليه السلام ، قال : فرمى به على الساحل ، كأنه ثور أحمر يتراءاه بنو إسرائيل .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، في قوله ( إن هؤلآء لشيرذمة قليلون ) يعني بني إسرائيل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( إن هؤلآء لشيرذمة قليلون ) قال : هم يومئذ ست مئة ألف ، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون ) قال : أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل ، كل أربعة أبيات في بيت ، ثم اذبحوا أولاد الضأن ، فاضربوا بدمائها على الأبواب ، فإني سأمر الملائكة ألا تدخل بيوتا على بابها دم ، وسأمرهم بقتل أبنكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم ، ثم اخبزوا خبزا قظيرا ، فإنه أسرع لكم ، ثم أسر بعبادي ، حتى تنهى للبحر ، فيأتيك أمري ، ففعل ؛ فلما أصبحوا قال فرعون : هذا عمل موسى وقومه ، قتلوا أبنكارنا من أنفسنا وأموالنا ، فأرسل في أثرهم ألف ألف ، وخمس مئة ألف ، وخمس مئة مئلك مسور ، مع كل ملك ألف رجل ، وخرج فرعون في الكرش العظيم ، وقال ( إن هؤلآء لشيرذمة قليلون ) قال : قطعة ، وكانوا ست مئة ألف ، مئتا ألف منهم أبناء عشرين سنة إلى أربعين .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : كان مع فرعون يومئذ ألف جبار ، كلهم عليه تاج ، وكلهم أمير على خيل :

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانوا ثلاثين ملكا ساقه خلف فرعون ، يحسبون أنهم معهم ، وجبرائيل أمامهم ، يردّ أوائل الخيل على أواخرها ، فأتبعهم حتى انتهى إلى البحر ، وقوله ( ولأنهم لنا لغائظون ) يقول : وإن هؤلآء الشردمة لنا لغائظون ، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبنكارهم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( ولأنهم لنا لغائظون ) يقول : بقتلهم أبنكارنا من أنفسنا وأموالنا ، وقد يحتمل أن يكون معناه : ولأنهم لنا لغائظون ، بذهابهم منهم

بالعواري التي كانوا استعاروها منهم من الخلى ، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم ، وخروجهم من أرضهم ، بكره لهم لذلك .

وقوله ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) بمعنى : أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) بغير ألف . وكان القراء يقول : كأن الحاذر الذي يحذر الآن ، وكان الحذر المخلوق حذرا ، لانتقاله إلا حذرا ؛ ومن الحذر قول ابن أحر :

هَلْ أُنْسَأَنُ يَوْمًا إِلَى غَسْبِيرِهِ إِتَى حَوَالِيَّ وَإِنِّي حَازِرٌ

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ ، فصيب الصواب فيه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت الأسود بن يزيد يقرأ ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) قال : مقوون مؤدون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عيسى بن عبيد ، عن أيوب ، عن أبي العرجاء عن الضحاك بن مزاحم أنه كان يقرأ ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) يقول : مؤدون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي في قوله ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) يقول : حذرننا ، قال : جمعنا أمرنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) قال : مؤدون معدون في السلاح والكرراع .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج أبو معشر ، عن محمد بن قيس قال : كان مع فرعون ست مئة ألف حصان أدهم سوى ألوان الخيل .

(١) البيت لابن أحر الباهل . قاله المؤلف . ونسبه في (اللسان : حول) إلى المرار بن متقذ العدوي . قال : ويقال رجل حوال : للجيد الرأي ذي الخيلة كما قال ابن أحر ، ويقال للمرار بن متقذ العدوي « أوتنسان يومى إلى غيره » . وقال في « حذر » : ورجل حذر وحذر ( بكسر الهمزة وضمها ) وحاذرة ، وحذريان : متيقظ ، شديد الحذر والفرع متحرز . وحاذر : متأهب معد ، كأنه يحذر أن يفاجأ . والجمع « حذرون وحذاري » . وفي التنزيل « وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ » وقرئ « حذرون وحذرون » . الأخيرة بضم الذال ( حكاه الأئمة ) . ومعنى « حاذرون » متأهبون ، ومعنى « حذرون » حائفون . وقيل : معنى « حذرون » معدون . الأزهرى : من قرأ « وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ » أى : مستعدون . ومن قرأ « حذرون » فعناه : إنا نخاف شرهم . وقال الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ، الورقة ٢٢٩ ) وقوله « حاذرون ، وحذرون » : حدثني أبو ليلى السجستاني ، عن ابن جرير قاضي سجستان ، أن ابن مسعود قرأ : « وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ » . يقولون : مؤدون في السلاح . يقولون ذوو أداة من السلاح . و « حذرون » . وكان الحاذر : الذي يحذر الآن ؛ وكان « الحذر » : المخلوق حذرا ، لانتقاله إلا حذرا . ٨١ .

حدثنا عمرو بن عليّ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا سليمان بن مُعَاذ الضبيّ ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزيّن ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( وَإِنَّا بِجَمِيعٍ حَازِرُونَ ) قال : مؤدّون مقوون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء ، وكنوز ذهب وفضة ، ومقام كريم . قيل : إن ذلك المقام الكريم : المنابر . وقوله ( كَذَلِكَ ) يقول : هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها ( وَأَوْرَثْنَاهَا ) يقول : وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل . وقوله ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) فاتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل ، مشرقين حين أشرقت الشمس ، وقيل حين أصبحوا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) قال : خرج موسى ليلا ، فكسف القمر وأظلمت الأرض ، وقال أصحابه : إن يوسف أخبرنا أنا سننجدى من فرعون ، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا ، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره ، فوجد عجوزا بيّتها على قبره ، فأخرجته له بحمها ، وكان حكمها (أو كلمة تشبه هذا) ، أن قالت : احملي فأخرجني معك ، فجعل عظام يوسف في كسائه ، ثم حمل العجوز على كسائه ، فجعله على رقبته ، وخيل فرعون هي ملأ أعنتها حضرا في أعينهم ولا تبرح ، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ) قال : فرعون وأصحابه ، وخيل فرعون في ملأ أعنتها في رأى عيونهم ، ولا تبرح ، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، قَالَ : أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ : كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ، فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : فلما تناظر الجمعان : جمع موسى وهم بنو إسرائيل ، وجمع فرعون وهم القبط .

(١) في الأصل خضراء ، والراجع أنه « حضرا » ، وهو الإسراع في العدو . أي يرونها مسرعة وهي لا تبرح أماكنها .

( قال أصحابُ موسىَ إنّنا لمدركونَ ) أي إنا للمحققون ، الآن يلاحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا ، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى ، تشاؤماً بموسى :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قلت لعبد الرحمن ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّآ لَمُدْرِكُونَ ) قال : تشاءموا بموسى ، وقالوا : أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا .

حدثنا موسى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ) فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رمقهم ، قالوا ( إنّنا لمدركونَ ) ( قالوا ) : يا موسى ( أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا ، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ) ، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ، إنا لمدركون ، البحر بين أيدينا ، وفرعون من خلفنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس ، قال : لما انتهى موسى إلى البحر ، وهاجت الرياح العاصف ، فنظر أصحاب موسى خلفهم إلى الرياح ، وإلى البحر أمامهم ( قالوا يا موسى إنّنا لمدركونَ ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين ) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى الأعرج ( إنّنا لمدركونَ ) ، وقراه الأعرج ( إنّنا لمدركونَ ) كما يقال نزلت ، وأنزلت .

والقراءة عندنا التي عليها قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وقوله ( كلاً إن معي ربي سيهدين ) قال موسى لقومه : ليس الأمر كما ذكرتُم ، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين ، يقول : سيهدين لطريق أنجو فيه من فرعون وقومه .

كما حدثني ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل ، سوى ما في جنده من شية الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف ، طلع فرعون في جنده من خلفهم ( فلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّآ لَمُدْرِكُونَ ، قال كلاً إن معي ربي سيهدين ) أي للنجاة ، وقد وعدني ذلك ، ولا خلف لموعوده :

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قال كلاً إن معي ربي سيهدين ) يقول : سيكفني ، وقال ( عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ) ، وقوله ( فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ) ذكر أن الله كان قد أمر البحر ألا ينفلق حتى يضربه موسى بعصاه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : فتقدم هارون ، فضرب البحر ، فأبى أن يفتتح ، وقال : من هذا الجبار الذي يضربني ، حتى أتاه موسى ، فكناه أبا خالد ، وضربه فانفلق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : أوحى الله فيما ذكر إلى البحر إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال : فبات البحر يضرب بعضه بعضا ، فرقا من الله ، وانتظار أمره ، وأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، فانفلق .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، ظن سليمان التيمي ، عن أبي السليل ، قال : لما ضرب موسى بعصاه البحر ، قال : إياها أبا خالد ، فأخذه إفكلك :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج وحجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بتياره ، ويموج مثل الجبال ، وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا ، فقال له يوشع : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ها هنا ، قال : فجاز البحر ما يوارى حافره الماء ، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك ، فلم يقدرُوا ، وقال له الذي يكتم إيمانه : يا كليم الله أين أمرت ؟ قال : ها هنا ، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شذقيه ، ثم قحمه البحر فأرسل في الماء ، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق ، فإذا الرجل واقف على فرسه ، لم يبتل سرجه ولا لبدته .

وقوله ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يقول تعالى ذكره : فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى ، كالجبل العظيم ، وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة ، على عدد الأسباط ، لكل سبط منهم فرق : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فانفلق - فكان كل فريق كالطود العظيم ) يقول : كالجبل العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقا ، في كل طريق سبط ، وكان الطريق كما إذا انفلقت الجدران ، فقال : كل سبط قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى دعا الله ، فجعلها قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر آخرهم إلى أولهم حتى خرجوا جميعا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج وحجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله وغيره ، قالوا : انفلق البحر ، فكان كل فريق كالطود العظيم ، اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط ، وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا ، وكانت الطرق بجدران ، فقال كل سبط : قد قتل أصحابنا ؛ فلما رأى ذلك موسى ، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهيئة الطيقان ، ينظر بعضهم إلى بعض ، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر .  
قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما انفلق البحر لهم صار فيه كئوي ينظر بعضهم إلى بعض : حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ( فكان كل فريق كالطود العظيم )  
أي كالجبل على تشب من الأرض .

حدثني علي ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ) يقول : كالجبل .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( كالتطود العظيم ) قال : كالجبل العظيم ؛ ومنه قول الأسود بن يعفور :  
 حَلُّوا بِأَنْقِرَةَ بِسَبِيلِ عَلَيْهِمُ مَاءُ الْقُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ  
 يعني بالأطواد : جمع طود ، وهو الجبل :

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ  
 (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ (٦٨)

ببني يعنى بقوله تعالى ذكره ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) : وقربنا هنالك آل فرعون من البحر ، وقدمناهم  
 إليه ، ومنه قوله ( وَأَزَلَفْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُتَّقِينَ ) بمعنى : قربت وأدريت ؛ ومنه قول العجاج :  
 طَيَّ اللَّيَالِي زُلْفًا فزُلْفًا سَمَاوَةَ الْهَلَالِ حَتَّى احْتَقَوْقَفًا  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن  
 ابن عباس ، قوله ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) قال : قربنا .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ  
 الْآخِرِينَ ) قال : هم قوم فرعون قربهم الله ، حتى أغرقهم في البحر .

(١) البيت للأسد بن يعفر ، قاله المؤلف . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مخطوطة الجامعة ص ١٧٢) قال : كالتطود  
 العظيم : أي الجبل . قال : « حلوا بأنقرة . . . البيت » وفي (اللسان : طود) : التطود : الجبل العظيم . وفي حديث عائشة تصف  
 أباه (رضي الله عنها) : ذلك طود منيف : أي جبل عال . والتطود : الهضبة . عن ابن الأعرابي . والجمع : أطواد . هـ . وفي رواية  
 أبي عبيدة في مجاز القرآن : « يجيش » في موضع : يسيل . ورواية البكري في معجم ما استعجم ص ٣٠٤ طبعة القاهرة : « يسيل » كرواية  
 المؤلف . وأنقرة : موضع يظهر الكوفة ، أسفل من الخورنق ، كانت إياد تنزله في الدهر الأول ، إذا غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة .  
 قال البكري : وفيه اليوم طيس . وسليح ، وفي بارق إلى حيث وما يلها ، كلها منازل طيس . وسليح . هذا قول عمر بن شبة . وقال غيره :  
 أنقرة : موضع بالخيرة . وقد صرحوا بأن أنقرة هذه غير أنقرة التي في بلاد الروم (الأناتول) وهي الآن قاعدة دولة الترك .  
 (٢) البيت من مشطور الرجز ، وهما للعجاج ، من أرجوزة مطولة له ، وصف ارتحاله في ظلال الليل ، وجلا ناجيا حله . ( انظر  
 اللسان : زلف . وأراجيز العرب للسيد البكري ص ٥٢ ) . وقبل البيتين بيت متصل بمعناها ، وهو قوله « ناج طواه الأين ما  
 وجفا » قال في اللسان : يقول : منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة . وقال السيد البكري : زلفا فزلفا : أي درجة فدرجة .  
 وسماوة : أي أعلى . واحتوقف : اعوج . يريد طواه السير كما تطوى الليالي الأهلة حتى تنحل (من التحول) وتعوج هـ . وفي اللسان :  
 الزلف (كسبب) والزلفة والزلفي : القرية ، والدرجة والمنزلة . وأزلف الشيء : قربه . وفي التنزيل : « وَأَزَلَفْنَا الْجَنَّةَ لِّلْمُتَّقِينَ » :  
 أي قربت . قال الزجاج : وتأويله : أي قريب دسولهم فيها ، ونظرهم إليها . وقوله عز وجل : « وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ » : معنى  
 أزلفنا : جمعنا ، وقيل : قربنا الآخرين من الفرق ، وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما : حسن جميل ، لأن جمعهم : تقريب بعضهم من  
 بعض . والبيتان من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( ص ١٧٢ من مخطوطة جامعة القاهرة ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : دنا فرعون وأصحابه بعد ما قطع موسى ببني إسرائيل البحر ، من البحر ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقا ، قال : ألا ترون البحر فترق مني ، قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ، فذلك قول الله ( وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) يقول : قربنا ، ثم الآخرين هم آل فرعون ؛ فلما قام فرعون على الطرق ، وأبت خيله أن تتحتم ، فنزل جبرائيل صلى الله عليه وسلم على ماذيابة ، فتشامت الحصن ريح الماذيابة ، فافتحمت في أثرها ، حتى إذا هم أولم أن يخرج ، ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم ، فالتطم عليهم ، وتفرد جبرائيل بمقلة من مقل البحر ، فجعل يدسها في فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : أقبل فرعون فلما أشرف على الماء ، قال أصحاب موسى : يا مكرم الله ، إن القوم يتبعوننا في الطريق ، فاضرب بعصاك البحر فاخبطه ، فأراد موسى أن يفعل ، فأوحى الله إليه : أن اترك البحر رهوا ؛ يقول : أمره على سكناته ، ( لَأَنَّهُمْ جُنُودٌ مُّغْرَقُونَ ) إنما أمكر بهم ، فإذا سلخوا طريقكم غرقهم ؛ فلما نظر فرعون إلى البحر ، قال : ألا ترون البحر فترق مني ، حتى تفتح لي ، حتى أدرك أعدائي فأقتلهم ؟ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان ، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال ، هاب وخاف ، وقال فرعون : أنا راجع ، ففكر به جبرائيل عليه السلام ، فأقبل على فرس أنثى ، فأدناها من حصان فرعون ، فطفق فرسه لا يقر ، وجعل جبرائيل يقول : تقدم ، ويقول : ليس أحد أحق بالطريق منك ، فتشامت الحصن الماذيابة ، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره ؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر ، أوحى الله إلى البحر ، خذ عبدى الظالم وعبادى الظلما ، سلطاني فيك ، فإني قد سلطتك عليهم ، قال : فَتَغَطَّمَطَتْ تِلْكَ الْفِرْقَ مِنْ الْأُمُوجِ ، كأنها الجبال ، وضرب بعضها بعضا ؛ فلما أدركه الغرق ( قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لِإِلَهِ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) وكان جبرائيل صلى الله عليه وسلم شديد الأسف عليه ، لما رد من آيات الله ، ولطول علاج موسى لإياه ، فدخل في أسفل البحر ، فأخرج طينا ، فحشاه في فم فرعون لكيلا يقولها الثانية ، فتدركه الرحمة ، قال : فبعث الله إليه ميكائيل يُعْبِرُهُ ( آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) ؟ وقال جبرائيل : يا محمد ما أبغضت أحدا من خلق الله ما أبغضت اثنين : أحدهما من الجن ، وهو إبليس ، والآخر فرعون ؛ قال : أنا ربكم الأعلى ، ولقد رأيتني يا محمد ، وأنا أحشو في فيه مخافة أن يقول كلمة يرحم الله بها ، وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ( وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ) وجمعنا ، قال : ومنه ليلة المزدلفة ، قال : ومعنى ذلك : أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأزلنا ثم : وأهلكنا . وقوله ( وَأُنَجِّيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الغرق في البحر ، ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين ، وقوله ( ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ) يقول : ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر ، بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه ، وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلت بفرعون ومن معه ، من تغريق إياهم في البحر ، إذ كذبوا رسولي موسى ، وخالفوا أمري بعد الإعدار إليهم والإنذار ، لدلالة بيته يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي ،



وعظة لهم وعبرة، إن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك، مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم، فيحلّ بهم من العقوبة نظير ما حلّ بهم، ولك آية في فعلى بموسى، وتنجيتى إياه، بعد طول علاجه فرعون وقومه منه، وإظهارى إياه، وتوريثه وقومه دورهم وأرضهم وأمواهم، على أنى سالك فيك سبيله، إن أنت صبرت صبره، وقمت من تبليغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه قيامه، ومظهرك على مكذّبيك ومعليك عليهم، (وما كان أكثرهم مؤمنين) يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين، بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق لهم في علمى أنهم لا يؤمنون، (وإن ربك لهو العزير) في انتقامه ممن كفر به، وكذب رسله من أعدائه، (الرحيم) بمن أنجى من رسله وأتباعهم من الغرق والعذاب الذى عذب به الكفرة.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَسَكِينَ (٧١)

يقول تعالى ذكره: واقصص على قومك من المشركين يا محمد، خبر إبراهيم حين قال لأبيه وقومه: أى شئ تعبدون؟ (قالوا) له: (نعبد أصناما فننظّل لها عاكفين)، يقول: فنظّل لها خدما مقيمين على عبادتها وخدمتها. وقد بيننا معنى العكوف بشواهد فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع: وكان ابن عباس فيما روى عنه يقول فى معنى ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، قوله (قالوا نعبد أصناما فننظّل لها عاكفين) قال: الصلاة لأصنامهم.

## القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَ نَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَ نَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ؟ (٧٣) قَالُوا: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: هل تسمع دعاءكم هؤلاء الآلهة إذ تدعونهم. واختلف أهل العربية فى معنى ذلك، فقال بعض نحوئى البصرة معناه: هل يسمعون منكم، أو هل يسمعون دعاءكم، فحذف الدعاء، كما قال زهير:

القائد الخيّل منكوباً دوابيرها قد أحكمت حكام القيد والأبقا

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى المزنى، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان (مختار الشعر الجاهل، بشرح مصطلق السقا، طبعة الحلبي ٢٤٨) قال شارحه: الدوابير: الحوافر، أى تأكلها الأرض وتؤثر فيها. (وفى اللسان: دبر): دابرة الحافر مؤخره. وقيل: هى التى تلى مؤخر الرسخ. وجمعها: دوابير. (وأحكمت): جعل لها حكمت. والحكمة: التى تكون على الأنف من الرمن. القيد: ما قطع من الجلد. والأبق: شبه الكنان، وقيل: هو القنب. اه. وفى (اللسان: حكم): والحكمة: حديدة فى العمام، =

وقال : يريد أحكمت حكمت الأبق ، فألقى الحكمت وأقام الأبق مقامها . وقال بعض من أنكر ذلك من قوله من أهل العربية الفصيح من الكلام في ذلك هو ما جاء في القرآن ، لأن العرب تقول : سمعت زيدا متكلماً ، يريدون : سمعت كلام زيد ، ثم تعلم أن السمع لا يقع على الأناسي ، إنما يقع على كلامهم ، ثم يقولون : سمعت زيدا : أي سمعت كلامه ، قال : ولو لم يقدم في بيت زهير حكمت القدم لم يجوز أن ينسق بالأبق عليها ، لأنه لا يقال : رأيت الأبق ، وهو يريد الحكمة ، وقوله ( أَوْ يَسْمَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) يقول : أو تنفعكم هذه الأصنام ، فيرزقونكم شيئاً على عبادتكموها ، أو يضرُّونكم فيعاقبونكم على ترككم عبادتها ، بأن يسلبوكم أموالكم ، أو يهلكوكم إذا هلكتم وأولادكم ( قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وفي الكلام مَرُوك استغنى بدلالة ما ذكر عما ترك ، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسأله إياهم ( هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ) فكان جوابهم إياه : لا ، ما يسمعوننا إذا دعوناهم ، ولا ينفعوننا ولا يضرُّون ، يدل على أنهم بذلك أجابوه قولهم ( بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وذلك رجوع عن مجحود ، كقول القائل : ما كان كذا بل كذا وكذا . ومعنى قولهم ( وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ) وجدنا من قبلنا . ولا يضرُّون ، يدل على أنهم بذلك أجابوه . قولهم من آباؤنا يعبدونها ، ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها ، فنحن نفع ذلك اقتداء بهم ، واتباعاً لمهاجهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٥٨) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي

إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : ( أفرايتم ) أيها القوم ( ما كنتم تعبدون ) من هذه الأصنام ( أنتم وآباؤكم الأقدمون ) يعني بالأقدمين : الأقدمين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم ، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ، ( فإنهم عدوٌّ لي إلا رب العالمين ) : يقول قائل : وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعداوة ابن آدم ، فإن معنى ذلك : فإنهم عدوٌّ لي لو عبدتهم يوم القيامة ، كما قال جل ثناؤه ( واتخذوا من دون الله آلهة ليكفونوا لهم عزراً ، كلاً سيكفرون بعبادتهم ويكفونون عنهم صيداً ) . وقوله ( إلا رب العالمين ) نصبا على الاستثناء ، والعدو بمعنى الجمع ، ووجد لأنه أخرج مخرج المصدر ، مثل القعود والجلوس . ومعنى الكلام : أفرايتم كل معبود لكم ولآبائكم ، فإنني منه بريء لا أعبد ، إلا رب العالمين .

تكون على أنف الفرس وحته ، تمتع عن مخالفة راحته ( وحكم الفرس حكماً ) بفتح الحاء ( وأحكه بالحكمة : جعل للجهاد حكمة ) وكانت العرب تتخذها من القدر والأبق لأن قصدهم الشجاعة ، لا التزينة ، قال زهير : « القائد الحيل . . . البيت . يريد قد أحكمت بحكمت القدر ، وبحكمت الأبق . فحذف الحكمت ، وأقام الأبق مكانها . وروى : « محكومة حكمت القدر والأبق » على اللغتين جميعاً . قال أبو الحسن : على « قد أحكمت » لأن فيه معنى قلقت ، وقلقت : متعدية إلى مفعولين . الأزهرى : وفرس محكومة : في رأسها حكمة ، وأنشد « محكومة حكمت القدر والأبق . ابن شميل : الحكمة : حلقة تكون في فم الفرس .

القول في تأويل قوله تعالى

الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ (٨٠)

يقول: فإنهم عدوا لي إلا رب العالمين (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) للصواب من القول والعمل ، ويسدوني للرشاد ( وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ) يقول : والذي يغذوني بالطعام والشراب ، ويررزقني الأرزاق ( وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ) يقول : وإذا سقم جسمي واعتلّ ، فهو يبرئه ويعافيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي مِمَّا يَخْتَفِي (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)

يقول : والذي يبيّن لي إذا شاء ثم يخفي إذا أراد بعد مماتي ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) فرتب هذا الذي بيده نفعي وضرّي ، وله القدرة والسلطان ، وله الدنيا والآخرة ، لا الذي لا يسمع إذا دُعِيَ ، ولا ينفع ولا يضرّ ، وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجا على قومه ، في أنه لا تصلح الألوهة ، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال ، لا لمن لا يطبق نفعا ولا ضرا . وقيل : إن إبراهيم صلوات الله عليه ، عني بقوله ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) والذي أرجو أن يغفر لي قولي ( إِنِّي سَقِيمٌ ) ، وقولي ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) ، وقولي لسارة إنها أختي .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) قال : قوله ( إِنِّي سَقِيمٌ ) ، وقوله ( فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) ، وقوله لسارة : إنها أختي ، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله ( وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ) قال : قوله ( إِنِّي سَقِيمٌ ) ، وقوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) ، وقوله لسارة : إنها أختي .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تَمِيْلَةَ ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد نحوه . ويعني بقوله ( يَوْمَ الدِّينِ ) يوم الحساب ، يوم المجازاة ، وقد بينّا ذلك بشواهد فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ، وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَأَجْمَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن مسألة خليله إبراهيم إياه ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ) يقول : رب هب لي نبوة ( وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) يقول : واجعلني رسولا إلى خلقك ، حتى تلحقني بذلك بعداد من أرسلته من رسلك إلى خلقك ، وأتمنته على وحيك ، واصطفيته لنفسك ، وقوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) يقول : واجعل لي في الناس ذكرا جميلا ، وثناء حسنا ، باقيا فيمن يحيى من القرون بعدى . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : إن الله فضله بالخلعة حين اتخذ خليلا ، فسأل الله فقال ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) حتى لا تكذبني الأمم ، فأعطاه الله ذلك ، فإن اليهود آمنت بموسى ، وكفرت بعيسى ، وإن النصارى آمنت بعيسى ، وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وكلهم يتولى إبراهيم ؛ قالت اليهود : هو خليل الله وهو منا ، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به ، فقال ( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ) ، ثم ألحق ولايته بكم فقال ( إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ) فهذا أجره الذي عجل له ، وهى الحسنة ، إذ يقول ( وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ) وهو اللسان الصدق الذى سأل ربه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ) قال : اللسان الصدق : الذكر الصدق ، والثناء الصالح ، والذكر الصالح فى الآخريين من الناس ، من الأمم .

#### اقول فى تأويل قول تعالى

وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)

يعنى إبراهيم صلوات الله عليه بقوله ( وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ) أورثنى يارب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة ، وأسكنى ذلك ( وَأَغْفِرْ لِأَبِي ) يقول : واصفح لأبى عن شركه بك ، ولا تعاقبه عليه ( إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ) يقول : إنه كان ممن ضلّ عن سبيل الهدى ، فكفر بك . وقد بيّنا المعنى الذى من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه ، واختلاف أهل العلم فى ذلك ، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .  
وقوله ( وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ) يقول : ولا تؤذنى بعقابك إياى يوم تبعث عبادك من قبورهم

لموقف القيامة (يَوْمَ لَا يَنْتَفِعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا ، ولا بنوه الذين كانوا له فيها ، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه ، ولا ينجيه منه . وقوله (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) يقول : ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع إلا القلب السليم . والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع : هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله ، والبعث بعد الممات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن عون ، قال : قلت لمحمد : ما القلب السليم ؟ قال أن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : لاشك فيه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْجٍ ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : ليس فيه شك في الحق . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : سليم من الشرك ، فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد . حدثني عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك ، في قول الله (إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) قال : هو الخالص .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ؟ (٩٣) فَكُفُّوا فَمَا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ، (٩٤) وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥)

بمعنى جل ثناؤه بقوله (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ) وأدريت الجنة وقربت للمتقين ، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة ، بطاعتهم إياه في الدنيا (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) يقول : وأظهرت النار للذين غواوا فضلوا عن سواء السبيل (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الأنداد (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) اليوم من الله ، فينقذونكم من عذابه (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) لأنفسهم ، فيسجنونها مما يراد بها ؟

وقوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) يقول : فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض ، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم . وأصل كذبوا : كذبوا ، ولكن الكاف كررت كما قيل : ( بربيع صرصر ) يعني به صر ، ونهني ينهني ، يعني به : نهني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله : ( فَكُذِّبُوا ) قال : فدهوروا .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله : ( فَكُذِّبُوا فِيهَا ) يقول : فجمعوا فيها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا ) قال : طرحوا فيها ، فتأويل الكلام : فكذب هؤلاء الأنداد التي كانت تعبد من دون الله في الجحيم (والغَاوُونَ) .  
وذكر عن قتادة أنه كان يقول : الغاوون في هذا الموضع : الشياطين .

ذكر الرواية عن ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) قال : الغاوون : الشياطين .  
فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة : فكذب فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين .  
وقوله ( وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ) يقول : وكذب فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون ، وجنوده ، كل من كان من تبعه من ذريته كان أو من ذرية آدم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَاقِلُكَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نَسَوَيْكُمْ

بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس ، وهم في الجحيم يختصمون ( تالله إن كنا لَناقِلُكَ ضلالٍ مُبينٍ ) يقول : تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق ، إن كنا لِنَاقِلُكَ ضلالٍ مُبينٍ ، يبين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه ، لمن تأمله وتدبره ، أنه ضلال وباطل . وقوله ( إِذْ نَسَوَيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) يقول : الغاوون : للذين يعبدونهم من دون الله ، تالله إن كنا لِنَاقِلُكَ ضلالٍ مُبينٍ عن الحق حين نعدلكم برب العالمين فنعبدكم من دونه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال : لتلك الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ  
أَنَّ لَنَا كَرَّةً ، فَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوين في الجحيم ( وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ) يعنى بالمجرمين إبليس ، وابن آدم الذي سنّ القتل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ) قال : إبليس وابن آدم القاتل .

وقوله ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) يقول : فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعاد ، فيعفو عنا ، وينجيننا من عقابه ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) من الأقارب .

واختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بالشافعين ، وبالصديق الحميم ، فقال بعضهم : عنى بالشافعين : الملائكة ، وبالصديق الحميم : النسب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) قال : من الملائكة ( وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال : من الناس ، قال مجاهد : صديق حميم ، قال : شقيق . وقال آخرون : كل هؤلاء من بنى آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا إسحاق بن سعيد البصرى المسمعى ، عن أخيه يحيى بن سعيد المسمعى ، قال : كان قتادة إذا قرأ ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ) قال : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحا شفع .  
وقوله ( فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا ، فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

يقول تعالى ذكره : إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له ، لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر ، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة ، ويقتدون بهم في ذلك ، ماسنّ فيهم في الدار الآخرة ، من كبريتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم ، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين ، وإن ربك يا محمد هو الشديد الانتقام ممن عبد دونه ، ثم لم يتب من كفره حتى هلك ، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧)

يقول تعالى ذكره : كذّبت قوم نوح رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما قال لهم أخوهم نوح ( ألا تتقون ) ، فتحذروا عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم رسله ( إني لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ) من الله ( أمينٌ ) على وحيه إليّ ، برسالته إياي إليكم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١١٠)

يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به ، وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باتقائه ( وما أسألكم عليه من أجرٍ ) يقول : وما أطلب منكم على نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باتقاء عقاب الله ، بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، من ثواب ولا جزاء ( إن أجرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ) دونكم ودون جميع خلق الله ، فاتقوا عقاب الله على كفركم به ، وخافوا حلول سخطه بكم ، على تكذيبكم رسله ، وأطيعون : يقول : وأطيعوني في نصيحتي لكم ، وأمرى إياكم باخلاص العبادة لخالقكم .

القول في تأويل قوله تعالى

\* قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ (١١١) قَالَ : وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْرُونُ (١١٣)

يقول تعالى ذكره : قال قوم نوح له ، مجيبه عن قوله لهم : إني لكم رسول أمين ، فاتقوا الله وأطيعون . قالوا : أنؤمن لك يا نوح ، ونقرّ بتصديقك فيما تدعوننا إليه ، وإنما اتبعك منا الأردلون ، دون ذوى الشرف وأهل البيوتات ( قال وما علمي بما كانوا يعملون ) قال نوح لقومه : وما علمي بما كان أتباعي



يعملون، وإنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أُكَلِّفَ عِلْمَ باطنهم، وإنما كَلِّفْتُ الظاهر، فمن أظهر حسنا، ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا، ظننت به سيئا (إن حِسابُهم إلا على ربي لو تشعروُنَ) : يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون، فإنه يعلم سر أمرهم وعلايته . وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله (إن حِسابُهم إلا على ربي لو تشعروُنَ) قال: هو أعلم بما في نفوسهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني، على التصديق بما جئت به من عند الله (إن أنا إلا نذير مبين) يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم، أنذركم بأسه وسطوته على كفركم به . مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتفكم نصيحته (قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) يقول: قال لنوح قومه: لن لم تنته يانوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيب به آهتنا، لتكونن من المثلومين . يقول: لنشتمك .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا، وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانجِئْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)

يقول تعالى ذكره: (قَالَ) نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّابُونَ) فيما أنيهم به من الحق من عندك، وردوا على نصيحتي لم (فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك، تهلك به المبطل، وتنتقم به ممن كفر بك وجحد توحيذك، وكذب رسولاك .

كما حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) قال: فاقض بيني وبينهم قضاء .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا) قال: يقول: اقض بيني وبينهم، (وَنَجِّنِي) يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم (وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك، والتصديق لي .

وقوله ( فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) يقول : فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين ، حين فتحنا بينهم وبين قومهم ، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين في الفلك المشحون ، يعنى في السفينة الموقرة المملوءة وبنحو الذى قلنا في تأويل قوله ( الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال : يعنى الموقر .

حدثنا محمد بن سنان القرزى ، قال : ثنا الحسين بن الحسن الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : المشحون : الموقر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال : المفروغ منه المملوء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : المشحون : المفروغ منه تحميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قول الله ( الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ) قال : هو المحمل .

وقوله ( ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ) من قومه الذين كذبوه ، وردوا عليه النصيحة .

القول فى تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين فى الفلك المشحون ، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا بقومه الذين كذبوه ، لآية لك ولقومك المصدقك منهم والمكذبيك ، فى أن سنقنا تنجية رسلنا وأتباعهم ، إذا نزلت نعمتنا بالمكذبين بهم من قومهم ، وإهلاك المكذبين بالله ، وكذلك سنقني فيك وفى قومك ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق فى قضاء الله أنهم لن يؤمنوا . ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) فى انتقامه ممن كفر به ، وخالف أمره ( الرَّحِيمُ ) بالتائب منهم ، أن يعاقبه بعد توبته .

القول فى تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولُ أَمِينٍ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : كذبت عاد رسل الله إليهم ( إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ) عقاب الله على كفركم به ( إني لكم رسول ) من ربي يأمركم بطاعته ، ويحذركم على كفركم بأسه ، ( أمين ) على وحيه ورسالته ( فاتقوا الله ) بطاعته والانتها إلى ما يأمركم وينهاكم ( وأطيعوا ) فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته ( وما أسألكم عليه من أجر ) يقول : وما أطلب منكم على أمرى إياكم باتقاء الله جزاء ولا ثوابا ( إن أجرى إلا على رب العالمين ) يقول : ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩)  
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل هود لقومه ( أتبتنون بكل ريع آية تعبتون ) والريع : كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد ، ومنه قول ذي الرمة :

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرُقُ

وقول الأعشى :

وَيَهْمَاءُ قَفَسٍ تَجَاوَزَتْهَا إِذَا حَبَّ فِي رِيْعَهَا آهَلًا

(١) البيت لدى الرمة (اللسان : ريع) . قال : والريع : الجبل ، والجمع أرياع ، وريوع ، ورياع . وقيل : الواحدة ريمة . والجمع : ريع . وحكى ابن بري عن أبي عبيدة : الريمة : جمع ريع ، خلاف قول الجوهري ، قال ذو الرمة : « طراق الخوافي واقعا فوق ريمة » والريع : السبيل ، سلك أو لم يسلك . وقوله تعالى : « أتبتنون بكل ريع آية » . وقري : « بكل ريع » ، ( يفتح الراء ) : قيل في تفسيره : بكل مكان مرتفع . وقيل معناه : بكل فج . والفج : الطريق المنفرج في الجبال خاصة . وقيل : بكل طريق . وقال الفراء : الريع والريع ( بكسر الراء وفتحها ) لغتان ، مثل الزير والريز . اد . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( مصورة الجامعة ١٧٣ ) : بكل ريع ، وهو الارتفاع من الأرض ، والطريق . والجمع أرياع وريعة . قال ذو الرمة :

طِرَاقُ الْخَوَافِي مُشْرِفٌ فَوْقَ رِيْعَةٍ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرُقُ

وق (اللسان : طرق) : وطائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضا . قال ذو الرمة يصف بازيا :

طِرَاقُ الْخَوَافِي وَأَقِيعٌ فَوْقَ رِيْعِهِ نَدَى لَيْلِيهِ فِي رِيْشِهِ يَتَرَقَّرُقُ

ويترقرق : يلعب . وكل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رقرق . والخوافي : ما تحت القوادم في الطائر من الريش . والقوادم : جمع قادمة ، وهي أربع ريشات طويلة في أول جناحه .

(٢) البيت نسبة المؤلف للأعشى (أعشى بن قيس بن ثعلبة) يوفى ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ١٦٣ - ١٦٩) قصيدة من هذا البحر المتقارب ومن القافية نفسها ، عدتها ٤٧ بيتا ، يمنح بها إياس بن قبيصة الطائي . ولكن البيت سقط منها في نسخة =

وفيه لغتان : ربيع ورّيع ، بكسر الراء وفتحها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَسُونَ ) يقول : بكلّ شرف .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : فجع .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً ) قال : بكلّ طريق .  
حدثني سليمان بن عبيد الله الغيلاني ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا مسلم بن خالد ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : الربيع : الثانية الصغيرة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال عكرمة ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : فجع وواد ، قال : وقال مجاهد ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) بين جبلين .  
قال : ثني حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قوله ( أَتَبَسُّونَ بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : شرف ومنظر .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) قال : بكلّ طريق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( بِكُلِّ رَيْعٍ ) بكلّ طريق . ويعني بقوله ( آيَةً ) بنيانا ، علكما . وقد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا ، أن الآية هي الدلالة والعلامة ، بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً ) قال : الآية : علكم .

الدهوان ، ولعله يوجد في نسخ أخرى منه قديمة . واليهما : المفازة : لاماها ولا أنيس . وخب : تحرك واضطرب . والربيع قد فسرناه في الشاهد قبل هذا ، ونقلنا كلام العلماء . والآل : السراب . وخب السراب : أي تحرك ولمع . وهذا الشاهد كالذي قبله . يريد المؤلف : أنه كل مكان مشرف من الأرض مرتفع ، أو طريق أو واد . وفيه لغتان : ربيع ورّيع بكسر الراء وفتحها كما قال ، وكما قال غيره من أهل اللغة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةٌ ) قال : آية : بنيان .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( آيَةٌ ) بنيان :  
 حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، في قوله ( بِكُلِّ رِيْعٍ آيَةٌ ) قال : بنيان الحمام .  
 وقوله ( تَعَبَّثُونَ ) قال : تلعبون .  
 وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( تَعَبَّثُونَ ) قال : تلعبون .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله ( تَعَبَّثُونَ ) قال : تلعبون .  
 وقوله ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) اختلف أهل التأويل في معنى المصانع ، فقال بعضهم : هي قصور مشيدة :  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) قال : قصور مشيدة ، وبنيان مخلد .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( مَصَانِعَ ) : قصور مشيدة وبنيان .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن مجاهد ، قال : ( مَصَانِعَ ) يقول : حصون وقصور .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا يحيى بن حسان ، عن مسلم ، عن رجل ، عن مجاهد ، قوله ( مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) قال : أبرجة الحمام .  
 وقال آخرون : بل هي مأخذ للماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( مَصَانِعَ ) قال : مأخذ للماء .  
 قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن المصانع جمع مَصْنَعَةٍ ، والعرب تسمى كلَّ

بناء مصنعة ، وجائر أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة ، وجائر أن يكون كان مأخذ للماء ، ولا خبر يقطع العذر بأى ذلك كان ، ولا هو مما يدرك من جهة العقل .  
فالصواب أن يقال فيه ، ما قال الله : إنهم كانوا يتخذون مصانع .  
وقوله ( لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) يقول : كأنكم تتخذون ، فتبقون في الأرض .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) يقول : كأنكم تتخذون .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال فى بعض الحروف ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ ) كأنكم تتخذون . وكان ابن زيد يقول : لعلكم : فى هذا الموضع استفهام .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَتَّخِذُونَ ) قال : هذا استفهام ، يقول : لعلكم تتخذون حين تبنون هذه الأشياء .  
وكان بعض أهل العربية يزعم أن لعلكم فى هذا الموضع بمعنى « كما » .  
وقوله ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) يقول : وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف ، وضربا بالسياط .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ( وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ) قال : القتل بالسيوف والسياط .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ

وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَّتِ وَعُيُونِ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد : اتقوا عقاب الله أيها القوم ، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم ، وانتهوا عن اللهو واللعب ، وظلم الناس ، وقهرهم بالغبلة والفساد فى الأرض ، واحذروا نخط الذى أعطاكم من عنده ما تعلمون ، وأعانكم به من بين المواشى والبنين والبساتين والأنهار ( إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ ) من الله ( عَظِيمٍ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ

الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨)

يقول تعالى ذكره : قالت عاد لنبيهم هود صلى الله عليه وسلم : مُعْتَدِلٌ عِنْدَنَا وَعِظْتُكَ إِيَّانَا ، وَتَرَكَكَ الْوَعْظَ ، فَلَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ، وَلَنْ نَصَدَّقَكَ عَلَى مَا جِئْتَنَا بِهِ .

وقوله ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة سوى أبي جعفر ، وعامة قراء الكوفة المتأخرين منهم ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) من قبلنا . وقرأ ذلك أبو جعفر ، وأبو عمرو بن العلاء ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) بفتح الحاء وتسكين اللام ، بمعنى : ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين وأحاديثهم .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، نحو اختلاف القراء في قراءته ، فقال بعضهم : معناه : ما هذا إلا دين الأولين وعاداتهم وأخلاقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : دين الأولين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قوله ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : هكذا خلقة الأولين ، وهكذا كانوا يَحْيُونَ ويموتون . وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما هذا إلا كذب الأولين وأساطيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : أساطير الأولين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : كذبهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : إن هذا إلا أمر الأولين ، وأساطير الأولين اكتبها ، فهي تُمَلَى عليه بكرة وأصيلا .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن علقمة ، عن ابن مسعود ( إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ) يقول : إن هذا إلا اختلاق الأولين .

قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد الله ، أنه كان يقرأ ( إن هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ ) ويقول شيئاً اختلقوه .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن داود ، عن الشعبي ، قال : قال علقمة ( إن هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ ) قال : اختلاق الأولين .  
 وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ( إن هَذَا إِلَّا خُلِقُ الْأَوَّلِينَ ) بضم الخاء واللام ، بمعنى : إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم ، كما قال ابن عباس ، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه ، وبطشهم بالناس بطش الجبابة ، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم ، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك ، احتذاءً منهم سنة من قبلهم من الأمم ، واقتفاءً منهم آثارهم ، فقالوا : ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين ، يعنون بالخلق : عادة الأولين . ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل ، قولهم ( وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ) لأنهم لو كانوا لا يفترون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم ، ما قالوا ( وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ) بل كانوا يقولون : إن هذا الذي جئتنا به يهود إلا خلق الأولين ، وما لنا من معذب يعذبنا ، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع ، ويعبدون الآلهة ، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها ، ويقولون ( إِنَّمَا تَقَرَّبْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) ، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون نبوته ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضَّتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ) ثم قالوا له : ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم ، وما الله معذبنا عليه ، كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا ، أنهم كانوا يقولون لرسولهم ( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

يقول تعالى ذكره : فكذب عاد رسول ربهم هوداً ، والهاء في قوله ( فَكَذَّبُوهُ ) من ذكر هود ، ( فَأَهْلَكْنَاهُمْ ) يقول : فأهلكنا عاداً بتكذيبهم رسولنا ، ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد ، المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك . ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : وما كان أكثر من أهلكتنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله . ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ) في انتقامه من أعدائه ، ( الرَّحِيمُ ) بالمؤمنين به .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ



رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

يقول تعالى : كذبت ثمود رسول الله ، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله ، فقال لهم : ألا تتقون عقاب الله يا قوم ، على معصيتكم إياه ، وخلافكم أمره ، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله ، ( إني لئن لم أرسلنكم رسولاً ) من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته ، على خلافكم أمره . ( أمين ) على رسالته التي أرسلها معي إليكم ، فاتقوا الله أيها القوم ، واحذروا عقابه ( وأطيعوا ) في تحذيري إياكم وأمر ربكم ، باتباع طاعته . ( وما أسألكم عليه من أجر ) يقول : وما أسألكم على نصحي إياكم ، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب ( إن أجرى إلا على رب العالمين ) يقول : إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات وما في الأرض ، وما بينهما من خلق .

القول في تأويل قوله تعالى

أُتِرَ كَوْنٌ فِي مَا هَبْنَاهُ آمِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتَا فَرِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود : أترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمين ، لا تخافون شيئاً ( في جناتٍ وعيونٍ ) يقول : في بساتين وعيون ماء ( وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيمٌ ) يعني بالطلع الكفري .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( هضيمٌ ) فقال بعضهم : معناه البائع النضيج .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وتخلط طلعها هضيمٌ ) يقول : أبيع وبلغ ، فهو هضيم . وقال آخرون : بل هو المتهشم المفتت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وتخلط طلعها هضيمٌ ) قال محمد بن عمرو في حديثه : تهشم هشياً . وقال الحارث : تهشم تهشماً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الكريم يقول : سمعت مجاهداً يقول في قوله ( وتخلط طلعها هضيمٌ ) قال : حين تطلع يقبض عليه فيهضمه :

قال ابن جرير ، قال مجاهد : إذا مُسَّ تَهْتَمَ وتفتت ، قال : هو من الرُّطْبِ هَضِيمٌ ، تقبض عليه فهضمه .  
وقال آخرون : هو الرُّطْبُ اللين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة قوله ( وَتَحُلُّ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) قال :  
الهضم : الرُّطْبُ اللين .  
وقال آخرون : هو الراكب بعضه بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( طَلْعُهَا هَضِيمٌ ) إذا كثر حمل النخلة فركب بعضها بعضا ، حتى نقص بعضها بعضا ، فهو حينئذ هضم .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : الهضم : هو المتكسر من لينه ورطوبته ، وذلك من قولهم :  
هضم فلان حقه : إذا انتقصه وتخيَّفه ، فكذلك الهضم في الطلع ، إنما هو التتقص منه ، من رطوبته ولينه ،  
إما بمس الأيدي ، وإما بركوب بعضها بعضا ، وأصله مفعول صُرِفَ إلى فاعيل .  
وقوله ( وَتَسْحِتُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَرَاهِينَ ) يقول تعالى ذكره : وتتخذون من الجبال بيوتا ،  
فاختلفت القراء في قراءة قوله ( فَرَاهِينَ ) فقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( فَارَاهِينَ ) بمعنى : حاذقين بنحتها .  
وقراءته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( فَرَاهِينَ ) بغير ألف ، بمعنى : أشيرين بطيرين .  
واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته ، فقال بعضهم : معنى فراهين :  
حاذقين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح وعبد الله بن شداد  
( وَتَسْحِتُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَارَاهِينَ ) قال أحدهما : حاذقين ، وقال الآخر : يتجبرون .  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح  
( وَتَسْحِتُونَ مِّنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَارَاهِينَ ) قال : حاذقين بنحتها .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَارَاهِينَ )  
يقول : حاذقين .

وقال آخرون : معنى فراهين : مستفرهين متجبرين :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن عبد الله بن شداد في قوله  
( فَارَاهِينَ ) قال : يتجبرون .  
قال أبو جعفر : والصواب : فراهين :

وقال آخرون ممن قرأه فارهين : معنى ذلك : كَيْسِين .  
ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (فارِهينَ) قال : كيسين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك أنه قرأ (فارِهينَ) قال : كيسين .

وقال آخرون : فَرِهينَ : أَشِيرينَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهينَ) يقول : أشيرين ، ويقال : كيسين .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (بُيُوتًا فَرِهينَ) قال : شَرِهينَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بمثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك : أفوياء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهينَ) قال : الفَرِه : القوي .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، في قوله (فَرِهينَ) قال : مُعْجَبينَ بصنيعكم .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن قراءة من قرأها (فارِهينَ) وقراءة من قرأ (فَرِهينَ) : قراءتان معروفتان ، مستفيضة القراءة بكل واحدة منهما في علماء القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . ومعنى قراءة من قرأ (فارِهينَ) : حاذقين بنحها ، متخيرين لمواضع نحتها كَيْسِين ، من الفراهة . ومعنى قراءة من قرأ (فَرِهينَ) : مَرِحِين أَشِيرين . وقد يجوز أن يكون معنى فارِه وفَرِه واحدا ، فيكون فارها مبنيا على بنائه ، وأصله من فعل يفعل ، ويكون فَرِه صفة ، كما يقال : فلان حاذق بهذا الأمر وحَدِّق ، ومن الفاره بمعنى المرح قول الشاعر عدى بن وادع العوفي من الأزدي :

لا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أْزَمَةً أْزَمْتُ وَلَنْ تَرَانِي بِحَسِيرٍ فَارِهَ الطَّلَبِ

(١) البيت لعدى بن وادع الشاعر الأزدي الأعمى ، (كما سماه صاحب معجم الشعراء ص ٢٥٢) ، وكما في مجاز القرآن لأبي عبيدة (مصورة الجامعة ص ١٧٣) قال : « وتنتحون من الجبال بيوتنا فارهين » أي مرحين . قال عدى بن وادع العوفي من العفاة بن عمرو ابن فهم من الأزدي :

أى مرح الطلب . وقوله ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ) يقول تعالى ذكره : فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم ، وخلافكم أمره ، وأطيعوا في نصيحتي لكم ، وإنذارى إياكم عقاب الله تترشّدوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)

قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٥٣)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه من ثمود : لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم ، في تماديهم في معصية الله ، واجترأهم على سخطه ، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض ، ولا يصلحون ، من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله ( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) يقول : الذين يسهون في أرض الله بمعاصيه ، ولا يصلحون ، يقول : ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله .

وقوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم معناه : إنما أنت من المسحورين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : من المسحورين حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : إنما أنت من المسحورين . وقال آخرون : معناه : من المخلوقين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد ، قال : ثنا موسى بن عمرو ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ) قال : من المخلوقين .

= لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أْزَمْتُهُ أْزَمْتُ وَكَمْ تَرَانِي بِجَهَنَّمَ فَارِهِ اللَّيْبِ

أى مرح الليب . قال : ويجوز : « فرهين » في معنى « فارهين » .

أوهو ابن وداع العوق ، كما في ( اللسان : فره ) قال : الفاره : الخاذق بالشيء والفروحة ، والفراحة والفراحية : النشاط . وفره بالكسر : أشرب ويطر ، ورجل فره نشيط أشرب . وفي التنزيل : « وتنتحون من الجبال بيوتا فرهين » . فن قرأه كذلك ، فهو من هذا : شرهين بطرين . ومن قرأه : « فارهين » ، فهو من فره بالضم . قال ابن بري عند هذا الموضع : قال ابن وداع العوق :

لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أْزَمْتُهُ أْزَمْتُ وَلَنْ تَرَانِي بِجَهَنَّمَ فَارِهِ اللَّيْبِ

قال الفراء : معنى فارهين : حاذقين . أم . وأما « الليب » في رواية أبي عبيدة ، فعملها الرواية الصحيحة . ومعناه : البال . يقال : إنه لرشى الليب . وفي التهذيب : فلان في بال رشى ، وليب رشى : أى في سعة وخصب وأمن .

وَاجْتَلَفَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، فَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ : كُلٌّ مِنْ أَكْلٍ مِنْ  
 إِنْسٍ أَوْ دَابَّةٍ فَهُوَ مَسْحَرٌ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ سَحْرًا يَقْرِي مَا أَكَلَ فِيهِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ لَيْبِدٍ :  
 فَإِنْ تَسَأَلْتِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ  
 وَقَالَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكُوفِيِّينَ نَحْوَ هَذَا ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : أَخَذَ مِنْ قَوْلِكَ : انْتَفَخَ سَحْرُكَ : أَي أَنْكَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ  
 وَالشَّرَابَ ، فَتَسْحَرُ بِهِ وَتُعَلَّلُ . وَقَالَ : مَعْنَى قَوْلِ لَيْبِدٍ : « مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ » : مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُعَلَّلِ  
 الْخُدُوعِ . قَالَ : وَيُرْوَى أَنَّ السَّحْرَ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَالْخُدَيْعَةِ .  
 وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي : الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْتَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ مَعْنَاهُ : إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْخُلُوقِ  
 الَّذِينَ يُعَلَّلُونَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِثْلَنَا ، وَلَسْتَ رَبًّا وَلَا مَلِكًا فَتَطِيعُكَ ، وَنَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تَقُولُ ،  
 وَالْمُسْحَرُ : الْمُفْعَلُ مِنَ السَّحَرَةِ ، وَهُوَ الَّذِي لَهُ سَحْرَةٌ .

## القول في تأويل قوله تعالى

مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا  
 شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ  
 عَظِيمٍ (١٥٦)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَجْرِبًا عَنْ قَبْلِ ثُمُودَ لِنَبِيِّهَا صَالِحٍ (مَا أَنْتَ) يَا صَالِحُ (إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا) مِنْ بَنِي آدَمَ ،  
 تَأْكُلُ مَا نَأْكُلُ ، وَتَشْرَبُ مَا نَشْرَبُ ، وَلَسْتَ بَرَبًّا وَلَا مَلِكًا ، فَعَلَامٌ تَبْعُكَ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي قَوْلِكَ ،  
 وَأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ إِلَيْنَا (فَأْتِ بَيِّنَاتٍ) يَعْنِي : بِدَلَالَةٍ وَحُجَّةٍ عَلَى أَنَّكَ مُحَقِّقٌ فِيمَا تَقُولُ ، إِنْ كُنْتَ مِنْ صَادِقَاتِنَا  
 فِي دَعْوَاهُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا .  
 وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمِ الْكَلَابِيِّ ، قَالَ : ثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الْفَرَاتِ ،  
 قَالَ : ثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَرَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ صَالِحًا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى  
 قَوْمِهِ ، فَأَمَّنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ ، فَأَتَتْ صَالِحًا ، فَرَجَعُوا عَنِ الْإِسْلَامِ ، فَأَتَاهُمْ صَالِحٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَنَا صَالِحٌ ، قَالُوا :  
 إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِنَا بِآيَةٍ ، فَأَتَاهُمْ بِالنَّاقَةِ ، فَكَذَّبُوهُ وَعَقَرُوهَا ، فَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ .

(١) سبق الاستشهاد ببيت لبيد هذا في (١٥ : ٩٦) وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٤)  
 قال : وكل من أكل إنس أو دابة فهو مسحور ، وذلك أن له سحرا يقري فيه ما أكل ، قال لبيد (وأشد البيت) . وفي (السان :  
 سحر) : سحره بالطعام والشراب يسحره سحرا وسحره : غذاه وعله . وقيل : غدعه . والسحر : الغذاء . قال امرؤ القيس :

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

موضعين : مسرعين . ولأمر غيب : يريد الموت ، وأنه قد غيب عنا وقته ، ونحن نلهي عنه بالطعام والشراب . والسحر : الخديعة .  
 وقول لبيد : « فَإِنْ تَسَأَلْتِنَا . . . الْبَيْتِ » . يكون على وجهين . وقوله تعالى : « إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ » ؛ يكون من التثنية ومن  
 الخديعة . وقال الفراء : « إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ » : قَالُوا لِنَبِيِّ اللَّهِ : لَسْتَ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلَنَا . قَالَ : وَالْمُسْحَرُ : الْمَجْبُوفُ ؛  
 كَأَنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَخَذَ مِنْ قَوْلِكَ : انْتَفَخَ سَحْرُكَ ، أَي أَنَّكَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، فَتُعَلَّلُ بِهِ . وَقِيلَ « مِنَ الْمُسْحَرِينَ » أَي مِنْ سَحَرِ  
 مَرَّةٍ بَعْدَ مَرَّةٍ .

وقوله ( قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فأنهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة يا قوم ، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم ، ما لكم من الشرب ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا ، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئا ، ويعنى بالشرب : الحظ والنصيب من الماء ، يقول : لها حظ من الماء ، ولكم مثله ، والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر .

وقد حكى عن العرب سماعا : آخرها أقلها شربا وشربا .

وقوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) يقول : لاتمسوها بما يؤذيها من عقْر و قتل ونحو ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

أذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ) لاتعقروها . وقوله ( فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) يقول : فيحل بكم من الله عذاب يوم عظيم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

يقول تعالى ذكره ، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح صلى الله عليه وسلم ، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح : لاتمسوها بسوء ، فاصبحوا نادمين على عقْرها ، فلم ينفعهم ندمهم ، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به ، فأهلكهم ( إن في ذلك لآية ) يقول : إن في إهلاك ثمود بما فعلت من عقْرها ناقة الله وخلافها أمر نبي الله صالح لعبرة لمن اعتبر به يا محمد من قومك ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) يقول : ولن يؤمن أكثرهم في سابق علم الله ( وإن ربك ) يا محمد ( لهو العزيز ) في انتقامه من أعدائه ( الرحيم ) بمن آمن به من خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطِ الْمُرْسَلِينَ (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

يقول تعالى ذكره : كذبت قوم لوط من أرسله الله إليهم من الرسل ، حين قال لهم أخوهم لوط : ألا تتقون الله أيها القوم (إني لكم رسولٌ) من ربكم (أمينٌ) على وحيه ، وتبليغ رسالته . (فاتقوا الله) في أنفسكم ، أن يحيل بكم عقابه على تكذيبكم رسوله (وأطيعون فيما دعوتكم إليه ، أهدكم سبيل الرشاد) وما أسألكم عليه من أجرٍ) يقول : وما أسألكم على نصيحتي لكم ودعابتكم إلى ربي ، جزاء ولا ثوابا (إن أجرى إلا على رب العالمين) يقول : ماجزائي على دعابتكم إلى الله ، وعلى نصيحتي لكم ، وتبليغ رسالات الله إليكم ، إلا على رب العالمين .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)

يقول (أتأتون الذكوران من العالمين) : أتتكحون الذكوران من بني آدم في أدبارهم ، وقوله (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) يقول : وتدعون الذي خلق لكم ربكم من أزواجكم من فروجهن ، فأحلته لكم . وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وتذرون ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم) .  
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم) قال : تركتم أقبال النساء ، إلى أدبار الرجال ، وأدبار النساء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه .  
وقوله (بل أنتم قوم تتجاوزون ما أباح لكم ربكم ، وأحلته لكم من الفروج ، إلى ما حرم عليكم منها) .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (بل أنتم قوم عادون) قال : قوم معتدون .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالُوا : لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخُرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨)

يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط ( لَسِنَّ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ ) عن نبينا عن إتيان الذكركان ( لَسْتُ كُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ ) من بين أظهرنا وبلدنا ( قَالَ لَأَتَى لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ) يقول : لهم لوط إني لعملكم الذي تعملونه ، من إتيان الذكركان في أدبارهم ، من القالين ، يعني من المُبْغِضِينَ ، المنكبرين فعله .

القول في تأويل قوله تعالى

رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) فَنجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي  
الْغَابِرِينَ (١٧١)

يقول تعالى ذكره : فاستغاث لوط حين توعدته قومه بالإخراج من بلدهم ، إن هو لم ينته عن نهيهم عن ركوب الفاحشة ، فقال ( رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي ) من عقوبتك إياهم على ما يعملون من إتيان الذكركان ( فَسَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ) من عقوبتنا التي عاقبنا بها قوم لوط أجمعين ( إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ) يعني في الباقين ، لطول مرور السنين عليها ، فصارت هيرمة ، فإنها أهليكت من بين أهل لوط ، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف . وقد قيل : إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم ، وإنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه ، فكانت من الغابرين بعد قومها ، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة ، وقد بيننا ذلك فيما مضى ، بشواهد المغنية عن إعادتها .

القول في تأويل قوله تعالى

ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً ، مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

يقول تعالى ذكره : ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير ، ( وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ) ، وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل ، من السماء ( فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ) يقول : فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ) يقول تعالى ذكره : إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا ، بتكذيبهم رسولنا ، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد ، يتعظون بها في تكذيبهم إياك ، وردهم عليك ما جئتهم به من عند ربك من الحق ( وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) في سابق علم الله ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ) بمن آمن به .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّيْكََةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟ (١٧٧) إِنْ لَكُمْ  
رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩)



يقول تعالى ذكره ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ) والأَيْكَةُ : الشجر الملتف ، وهى واحدة الأَيْكُ ، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أَيْكَةٌ ؛ ومنه قول نابغة بنى ذبيان :

تَجَلُّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةَ أَيْكَةٍ بِرَدًّا أُسِيفَ لِيثَاتِهِ بِالْإِثْمِيدِ

وأصحاب الأَيْكَةِ : هم أهل مدين فيما ذكر .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : أصحاب الغِيضَةِ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : الأَيْكَةُ : مجمع الشجر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : أهل مدين ، والأَيْكَةُ : الملتف من الشجر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ) قال : الأَيْكَةُ : الشجر ، بعث الله شعبيا إلى قومه من أهل مدين ، وإلى أهل البادية ، قال : وهم أصحاب ليكة وليكة ، والأَيْكَةُ : واحد .

وقوله ( إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال لهم شعيب : ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم ( إِنِّي لَكُمْ ) من الله ( رَسُولٌ آمِنٌ ) على وحيه . ( فَاتَّقُوا ) عقاب ( الله ) على خلافكم أمره . ( وَأَطِيعُوا ) ترشدوا .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) \* أَوْفُوا الْكَيْلَ

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١)

يقول : ( وَمَا أَسْأَلُكُمْ ) على نصحي لكم من جزاء وثواب ، ما جزأى وثوابى على ذلك ( إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ ) يقول : أوفوا الناس حقوقهم من الكيل ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ) يقول : ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم .

(١) البيت للتأنيب الذى يأتى زياد بن معاوية ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفي السقا طبعة المجلسى ص ١٨٥ ) قال شارحه : تجلو : تكشف . والقوادم : الريش المقدم فى جناح الطائر ، ويكون شديد السواد . شبه سواد شفتيها . بالقوادم ؛ وشبه بياض ثغرها ببياض البرد . والثلاث : مغارز الأسنان ، ومن عاداتهم أن يذروا عليها الإيتمد ، ليبين بياض الأسنان . اه . والأريكة : الشجر الكثير الملتف . وقيل : هى الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوها من ناعم الشجر . وخص بعضهم به منبت الأثل ومجتمعه . وقال أبو حنيفة الدينورى : قد تكون الأَيْكَةُ : الجماعة من كل الشجر ، حتى من النخل . قال : والأول : أعرف . والجمع أَيْكُ .

القول في تأويل قوله تعالى

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ (١٨٣)

يعني بقوله (وزنوا بالقسطاس المستقيم) الذي لا يخنس فيه على من وزنتم له (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) يقول : ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن (ولا تعتوا في الأرض مفسدين) يقول : ولا تكثروا في الأرض الفساد. وقد بينا ذلك كله بشواهد ، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى (١٨٤) قَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٨٥)

وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧)

يقول تعالى ذكره : (واتقوا) أيها القوم عقاب ربكم (الذي خلقكم) وخلق (الجبلية الأولى) ، يعني بالجبلية : الخلق الأولين . وفي الجبلية للعرب لغتان : كسر الجيم والباء وتشديد اللام ، وضم الجيم والباء وتشديد اللام ، فإذا نزلت الماء من آخرها كان الضم في الجيم والباء أكثر ، كما قال جل ثناؤه (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا) وربما سكنوا الباء من الجبل ، كما قال أبو ذؤيب :

مَنَايَا يُمْتَرِبْنَ الْحُتُوفَ لِأَهْلِهَا جِيهَارًا وَيَسْتَمْتِعْنَ بِالْأَنْسِ الْجِبِلِّ

وبنحو ما قلنا في معنى الجبلية قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَاتَّقُوا

الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى) يقول : خلق الأولين .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهدل (اللسان : جبل) والمنايا : جمع منية ، وهي الموت . والحتوف جمع حتف ، وهو الهلاك . والأنس الناس . والجبل : الأمة من الخلق . وفيه لغات ، فيكون مثلث الجيم ، ساكن التون . ويكون بضم الجيم والباء وتشديد اللام . قال في اللسان : وحى جبل كثير . قال أبو ذؤيب : «منايا . . . البيت» . أي الكثير . يقول : الناس كلهم منة للموت ، يستمتع بهم . قال ابن بري : ويروى : الجبل ، بضم الجيم . قال : وكذا رواه أبو عبيدة . وقول الله عز وجل : «ولقد أضل منكم جبلا كثيرا» : يقرأ : جبلا (بضم فسكون) عن أبي عمرو وجبلا (بضمين) عن الكسائي . وجبلا (ببكر فسكون) عن الأعرج وعيسى ابن عمر . وجبلا (ببكرتين فلام مشددة) عن أهل المدينة . وجبلا (بضمين مع التشديد) عن الحسن وابن أبي إسحاق . قال : ويجوز أيضا جبيل (ببكر ففتح) جمع جبلة (ببكرة فسكون) . وهو في جميع هذه الوجوه : خلقا كثيرا . اهـ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( وَالْجِبِلَّةِ الْأُولِينَ ) قال : الخليفة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالْجِبِلَّةِ الْأُولِينَ ) قال : الخلق الأولين ، الجبلية : الخلق .

وقوله ( قَالُوا لَأَنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ) يقول : قالوا : إنما أنت يا شعيب معلل تغلل بالطعام والشراب ، كما نغلكل بهما ، ولست ملكا ( وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ) تأكل وتشرب ( وَإِنْ نَطْنُوكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ) يقول : وما نحسبك فيما نخبرنا ، وتدعوننا إليه ، إلا ممن يكذب فيما يقول ، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ( فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ) يعني قِطْعًا من السماء ، وهي جمع كِسْفَةٍ ، جمع كذلك كما تجمع ثمرة : تمرا .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كِسْفًا ) يقول : قِطْعًا .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ) : جانبًا من السماء .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ ) قال : ناحية من السماء ، عذاب ذلك الكسف .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)

يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : ( رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) يقول : بأعمالهم هو بها محيط ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم بها جزاءكم . ( فَكَذَّبُوهُ ) يقول : فكذب به قومه ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) يعني بالظُلَّةِ : سحابة ظللتهم ، فلما تاملوا تحتها ، التهب عليهم نارا وأحرقتهم ، وبذلك جاءت الآثار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية ، في قوله ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : أصابهم حرّ أفلقتهم في بيوتهم ، فنشأت لهم سحابة كهيئة الظلّة ، فابتدروها ، فلما تاملوا تحتها أخذتهم الرجفة .

(١) كذا في الأصل . وقياس الجمع الأخير على ما قبله ليس بواضح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، في قوله ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : كانوا يحفرون الأسراب ، ليتبرّدوا فيها ، فإذا دخلوها وجدوها أشدّ حرّاً من الظاهر ، وكانت الظلّة سخابة .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعِثَ شُعَيْبٌ إِلَى أُمَّتَيْنِ : إِلَى قَوْمِهِ أَهْلِ مَدْيَنَ ، وَإِلَى أَصْحَابِ الْاَيْكَةِ . وَكَانَتِ الْاَيْكَةُ : مِنْ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَرّاً شَدِيداً ، وَرَفَعَ لَهُمُ الْعَذَابَ كَأَنَّهُ سَخَابَةٌ ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهَا رِجَاءً بِرَدِّهَا ، فَلَمَّا كَانُوا تَحْتَهَا مَطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَاراً ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ ( فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ )  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : ثنا يزيد الباهلي ، قال : سألت عبد الله بن عباس ، عن هذه الآية ( فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) فقال عبد الله بن عباس : بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً ، فأخذ بانفاسهم ، فدخلوا البيوت ، فدخل عليهم أجواف البيوت ، فأخذ بانفاسهم ، فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرية ، فبعث الله عليهم سخابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذّة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحبّها ، أرسلها الله عليهم نارا . قال عبد الله بن عباس : فذلك عذاب يوم الظلّة ، إنه كان عذاب يوم عظيم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : إضلال العذاب إياهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قال : أظلم العذاب قوم شعيب .

قال ابن جرير : لما أنزل الله عليهم أول العذاب ، أخذهم منه حرّاً شديداً ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها رَوْحٌ ، وبرد وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله ( عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : ثنا رجل من أصحابنا ، عن بعض العلماء قال : كانوا عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعّلوا كلما عطّلوا حدّاً وسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد إهلاكهم ، سلّط الله عليهم حرّاً ، لا يستطيعون أن يتقارّوا ، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم ، فاستظلّ تحت ظلّة ، فوجد رَوْحاً ، فنادى أصحابه : هلموا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعا ، حتى إذا اجتمعوا أهبها الله عليهم نارا ، فذلك عذاب يوم الظلّة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو نميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن ابن عباس ، قال من حدثك من العلماء ما عذاب يوم الظلّة ؟ فكذب .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) قوم شعيب ، حبس الله عنهم الظل والريح ، فأصابهم حر شديد ، ثم بعث الله لهم سخابة فيها العذاب ، فلما رأوا السحابة انطلقوا يؤمنونها ، زعموا يستظلون ، فاضطربت عليهم نارا فأهلكتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ) ، إنه كان عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) قال : بعث الله إليهم ظُلَّةً من سحاب ، وبعث إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظُلَّة ، حتى إذا اجتمعوا كلهم ، كشف الله عنهم الظلة ، وأحى عليهم الشمس ، فأحرقوا كما يحترق الجراد في المقلتي . وقوله ( إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

يقول تعالى ذكره : إن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة ، بتكذيبهم نبينهم شعيبا ، لآية لقومك يا محمد ، وعبرة لمن اعتبر ، إن اعتبروا أن سنتنا فيهم بتكذيبهم إياك ، سنتنا في أصحاب الأيكة ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) في سابق علمنا فيهم ( وَإِنَّ رَبَّكَ ) يا محمد ( لَهُوَ الْعَزِيزُ ) في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ( الرَّحِيمُ ) بمن تاب من خلقه ، وأتاب إلى طاعته .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ ، لَتَكُونَ مِنَ

الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)

يقول تعالى ذكره : وإن هذا القرآن ( لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) والهاء في قوله ( وَإِنَّهُ ) كناية الذكر الذي في قوله ( وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال : هذا القرآن .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ) فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة ( نَزَلَ ) به مخففة ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) رفعا بمعنى : أن الروح الأمين هو الذي نزل بالقرآن على محمد ، وهو جبريل .  
وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( نَزَلَ ) مشددة الزاي ( الرُّوحُ الْأَمِينُ ) نصبا ، بمعنى : أن رب العالمين نزل بالقرآن الروح الأمين ، وهو جبريل عليه السلام .

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرآء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، وذلك أن الروح الأمين إذ نزل على محمد بالقرآن، لم ينزل به إلا بأمر الله إياه بالنزول، ولن يجهد أن ذلك كذلك، ذو إيمان بالله، وأن الله إذا أنزله به نزل: وبنحو الذي قلنا في أن المعنى بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل: ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال: جبريل.

حدثنا الحسين، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قول الله (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) قال: جبريل.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج قال: الروح الأمين: جبريل: حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاک يقول في قوله (الروح الأمين) قال: جبريل.

وقوله (عَلَى قَلْبِكَ) يقول: نزل به الروح الأمين فتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك، وقوله (لِيَتَكُون مِّنَ الْمُتَذَكِّرِينَ) يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا يندرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتتلر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله. وقوله (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) يقول: لتتلر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله (بِلِسَانٍ) من صلة قوله: (نَزَلَ)، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلاماً منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأننا لا نفهمه، وإنما هذا تقرير لهم، وذلك أنه تعالى ذكره قال (مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُخَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) ثم قال: لم يعرضوا عنهم لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين، بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه، تكديبا به واستكباراً (فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ، أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها، أنباء ما كانوا به يكذبون.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (٩٦١) أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧)  
 وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ  
 سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)

يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لى زُبُرُ الأولين: يعنى فى كتب الأولين، وخرَجَ مَخْرَجَ العموم، ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لى بعض زُبُرُ الأولين، يعنى: أن ذكره وخبره فى بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل): يقول تعالى ذكره: أو لم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتىك يا محمد من ذكر ربك، دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عنى بعلماء بني إسرائيل فى هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه، ممن كان قد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من بني إسرائيل فى عصره.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل، وكان من خيارهم، فأمن بكتاب محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لهم الله: أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فى قوله (علماء بني إسرائيل) قال: عبد الله بن سلام وغيره من علماءهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (أو لم يكن لهم آية): قال محمد: (أن يعلمه) قال: يعرفه (علماء بني إسرائيل).

قال ابن جريج، قال مجاهد: علماء بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، وغيره من علماءهم.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فى قوله (أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) قال: أو لم يكن للنبي آية: علامة، أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم، وقوله (ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تتنطق، وإنما قيل على بعض الأعجميين): يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التى لا تتنطق، وإنما قيل على بعض الأعجميين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول: إذا نعتت الرجل بالعجمة، وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عجم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وُصِفَ به العربى والأعجمى، لأنه إنما يعنى أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب، ومن هذا المعنى قول الشاعر:

مِنْ وَائِلٍ لَاحِيٍّ يَبْعُدُ لَهُمْ مِنْ سُوْقَةِ عَرَبٍ وَلَا عَجْمٍ<sup>١</sup>

(١) السوقة: الرعية التى تسومها الملوك. يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر. والعجم بضم العين: جمع أعجم. قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة ١٧٥): يقال: رجل أعجم: إذا كان فى لسان عجمة، ورجل عجمي: أى من العجم. والدواب: عجم، لأنها لا تتكلم. وفى (اللسان: عجم) قال أبو إسحاق: الأعجم: الذى لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن

فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم ، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان ، فإنه يقال : هذا رجل عَجَمِيّ ، وهذان رجلان عجميان ، وهؤلاء قوم عَجَم ، كما يقال : عربيّ ، وعربيان ، وقوم عرب . وإذا قيل : هذا رجل أعجميّ ، فلإنما نسب إلى نفسه ، كما يقال للأحمر : هذا أحمريّ : ضخم ، وكما قال العجاج :

والدهرُ بالإنسانِ دَوَارِيٌّ

ومعناه : دوار ، فنسبه إلى فعل نفسه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة ، فتلا هذه الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) قال : لو نزل على يعربى هذا ، فتكلم به ما آمنوا به ، لقالوا : لولا فصلت آياته ، حتى يفقهه عربيّ وعجميّ ، لو فعلنا ذلك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كان عبد الله بن مطيع واقفا بعرفة ، فقرأ هذه الآية ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) فقرأه عليهم ، قال : فقال : جملي هذا أعجم ، فلو أنزل على هذا ما كانوا به مؤمنين .

وروى عن قتادة في ذلك ما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) قال : لو نزله الله أعجميا ، كانوا أخسر الناس به ، لأنهم لا يعرفون بالعجمية .

— كان عربي النسب ، كزياد الأعجم . والأثنى عجماء ، وكذلك الأعجمي . فأما العجمي فالذي من جنس العجم : أفصح أولم يفصح ، والجمع : عجم ( بالتحريك ) كعربي وعرب . ورجل أعجمي وأعجم : إذا كانت في لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية . وكلام أعجم وأعجمي : بين العجمة . وفي التنزيل : « لسان الذي يلحدون إليه أعجمي » . وجمعه بالواو والنون ، تقول : أحمري وأحمرون ، وأعجمي وأعجمون ، عل حد أشعني وأشعنين ، وأشعري وأشعرين . وعليه قوله عز وجل : « ولو نزلناه على بعض الأعجمين » . ( ٢ ) هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج الراجز المشهور ( اللسان : دور . وأرا جيز العرب لسيد توفيق البكري ١٧٤ ) وهو من أرجوزة له حزينة ، بدأها بقوله :

بَكَيْتُ وَالْمُحْتَرِنُ الْبَكِيُّ      وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ  
أَطْرَبَا وَأَنْتَ قَيْسَرِي      وَالدهرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَارِيُّ  
أَفْتَى الْقُرُونِ وَهُوَ قَيْسَرِي      وَبِالدهاءِ يُخْتَلُّ الْمَدْهِيُّ

يقول : بكيت ومن حزن كان يكثر . والقنصري : المنس القديم . ودواري دائر ، أي أنه يتصرف بالإنسان ويدوره أطوارا وأحوالا . والقنصري : الشديد ، يريد الدهر . ومحل الشاهد في قوله : « دواري » قال في اللسان : أي دائر به ، عل إضافة الشيء إلى نفسه ( أي نسبه إلى نفسه ، لأن دواري منسوب إلى دوار ، فلفظ المنسوب إليه كلفظ المنسوب ) . قال ابن سيده : هذا قول القويين . قال الفارسي : هو عل لفظ النسب ، وليس ينسب ، ونظيره يخى وكرمى . وفي ( اللسان : عجم ) : وينسب إلى الأعجم الذي في لسانه عجمة ، فيقال : لسان أعجمي ، وكتاب أعجمي ، ولا يقال : رجل أعجمي : فنسب إلى نفسه ، إلا أن يكون أعجم وأعجمي بمعنى ، مثل دوار ودواري ، وجل قنصر وقنصري ؛ هذا إذا ورد ورودا لا يمكن رده . اهـ .



وهذا الذي ذكرناه عن قنادة، قول لاوجه له ، لأنه وجه الكلام أن معناه : ولو أنزلناه أعجميا ، وإنما التنزيل ( وَكَلَّمَ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) يعني : ولو أنزلنا هذا القرآن العربي على بهيمة من العجم أو بعض ما لايفصح ؛ ولم يقل : ولو أنزلناه أعجميا . فيكون تأويل الكلام ما قاله .  
وقوله ( فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ ) يقول : فقرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد ، الذين حتمت عليهم ألا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين : يقول : لم يكونوا ليؤمنوا به ، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء . وهذا تسلية من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن قومه ، لئلا يشتدَّ وجده بإدبارهم عنه ، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن ، لأنه كان صلى الله عليه وسلم شديدا حرصه على قبولهم منه ، والدخول فيما دعاهم إليه ، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم ، فقال له ( لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَنْ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ) . ثم قال مؤيسه من إيمانهم ، وأتهم هالكون ببعض مشلاته ، كما هلك بعض الأمم ، الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة ، ولو أنزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك ، فإنك رجل منهم ، ويقولون لك : ما أنت إلا بشر مثلنا ، وهلا نزل به ملك ، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن ، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق ، وأنه تنزيل من عندي ، ما كانوا به مصدقين ، فحفض من حرصك على إيمانهم به ، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين ، الذين آيس نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من إيمانهم ، من الشقاء والبلاء ، فقال : كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ( وَكَلَّمَ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ) فقرأه عليهم ( كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ ) التكذيب والكفر ، في قلوب المجرمين . ويعني بقوله : سلكتنا : أدخلنا ، والهاء في قوله ( سَلَكْنَاهُ ) كناية من ذكر قوله ( مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ) ، كأنه قال : كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ ) قال : الكفر ( فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) ، لا يؤمنون به حتى يرووا العذاب الأليم )<sup>١</sup> .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن سفيان ، عن حميد ، عن الحسن ، في هذه الآية ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال : خلقناه .

قال : ثنا زيد ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن في بيت أبي خليفة ، عن قوله ( كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ) قال : الشرك سلكته في قلوبهم ، وقوله ( لا يؤمنون به حتى يرووا العذاب الأليم ) يقول : فعلنا ذلك بهم لئلا يصدقوا بهذا القرآن ، حتى يرووا العذاب الأليم في عاجل

(١) سقط تفسير ابن زيد لما أراد من الآية ، ولعله الكفر ، أو الشرك ، أو نحوه أو مثله .

الدنيا ، كما رأيت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة ، ورفع قوله ( لا يُؤْمِنُونَ ) لأن العرب من شأنها إذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع « لا » ربما جازمت مابعداها ، وربما رفعت فتقول : ربطت الفرس لا تنفلت ، وأحكمت العقد لا ينحل جزما ورفعا . وإنما فعل ذلك ، لأن تأويل ذلك : إن لم أحكم العقد انحل ، فجزمه على التأويل ، ورفعه بأن الجازم غير ظاهر . ومن الشاهد على الجزم في ذلك قول الشاعر :

لَوْ كُنْتُ إِذْ جِئْتَنَا حَاوِلْتَ رُؤْيَيْنَا      أَوْ جِئْتَنَا مَاشِيًا لَا يَعْرِفِ الْفَرَسُ  
وقول الآخر :

لَطَالَمَا حَلًّا تَمَاهَا لَا تَرِدُ      فَحَلِّيَّاهَا وَالسَّجَالُ تَبْتَرِدُ<sup>٢</sup>

القول في تأويل قوله تعالى

فِي آيَاتِهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا  
يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤)

يقول تعالى ذكره : في آيات هؤلاء المكذبين بهذا القرآن ، العذاب الأليم بغتة ، يعني فجأة ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه ، حتى يفجأهم بغتة ( فَيَقُولُوا ) حين تأتيهم بغتة ( هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ) : أي هل نحن مؤخر عنا العذاب ، ومُنْذَرًا في آجالنا لتتوب ، وننيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله ، فنراجع الإيمان به ، وننيب إلى طاعته . وقوله ( أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ) : يقول تعالى ذكره : أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون ، بقولهم : لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يُكْتُمُونَ (٢٠٧)

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٣٠ ) قال : وقوله : « كذلك سلكتاه » يقول : سلكتنا التكذيب في قلوب المهريين ، كيلا يؤمنوا به ، حتى يروا العذاب الأليم . وإذا كان موقع كفي في مثل هذا « لا » و « إن » جميعا ، صلح الجزم في « لا » والرفع . والعرب تقول : ربطت الفرس لا تنفلت : جزما ورفعا ، وأوثقت العبد لا يفر : جزما ورفعا ، وإنما جزم ، لأن تأويله : إن لم أربطه فر ، فجزم على التأويل . أنشدني بعض بني عقيل :

وَحَتَّىٰ رَأَيْتَنَا أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَيْنِنَا      مُسَاكِنَةً لَا يَفْرِقُ الشَّرُّ فَارِقُ

يشد رفعا وجزما . وقال آخر : « لو كنت إذ جئتنا . . . البيت » : رفعا وجزما ، وقوله « لطالما حللتماها . . . » الشاهد الآتي بعد « من ذلك » .

(٢) البيت في (اللسان : حلا . . . وروايته : قد طالما . . . الخ . قال : حلا الإبل والماشية عن الماء تحليتها وتحلته : طردها أو حبسها عن الورود ، ومنها أن ترده . وكذلك حلا القوم عن الماء . وقال ابن الأعرابي : قالت قريبة : كان رجل عاشق لمرأة ، =

يقول تعالى ذكره : ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا ، وتكذيبهم رسولنا ، ( ما أغتني عنهم ) : يقول : أى شئ أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم ، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة ، إذ لم يتوبوا من شركهم ، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالا ، وهل نفعهم شيئا ، بل ضرهم بازديادهم من الآثام ، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتنعوا لم يكتسبوه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أفرايت إن متعناهم سنين ) إلى قوله ( ما أغتني عنهم ما كانوا يمتنعون ) قال : هؤلاء أهل الكفر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩)  
وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظِيلُونَ (٢١١) إِيَّاهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
لَمَّزُولُونَ (٢١٢)

يقول تعالى ذكره ( وما أهلكنا من قرية ) من هذه القرى ، التي وصفت في هذه السور ( إلا لها منذرُونَ ) يقول : إلا بعد إرسالنا إليهم رسلا ، ينذرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم ( ذكرى ) يقول : إلا لها منذرُونَ ينذرونهم ، تذكرة لهم وتنبها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا . ففي الذكرى وجهان من الإعراب : أحدهما النصب على المصدر من الإنذار على ما بينت ، والآخر : الرفع على الابتداء <sup>١</sup> ، كأنه قيل : ذكرى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرُونَ ، ذكرى ) قال : الرسل . قال ابن جريج : وقوله ( ذكرى ) قال الرسل . وقوله ( ما كنا ظالمين ) يقول : وما كنا ظالمين ، في تعذيبناهم وإهلاكهم ، لأننا إنما أهلكناهم ، إذ عتوا علينا ، وكفروا نعمتنا ، وعبدوا غيرنا ، بعد الإعذار عليهم والإنذار ، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه ، فأبوا إلا التمادى في النفي .

وقوله ( وما تنزلت به الشياطين ) يقول تعالى ذكره : وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد ، ولكنه ينزل به الروح الأمين ( وما ينبغى لهم ) يقول : وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه ، ولا يصلح لهم ذلك ( وما يستطيعون ) يقول : وما يستطيعون أن ينزلوا به ، لأنهم لا يصلون إلى استماعه

١ - فزوجها ، فجاهها النساء ، فقال بعضهن لبعض : قد طالما حلاتها لآرد . . . البيت . والسجال : جمع سجل وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء ( اللسان ) والبيت شاهد كالفى قبله ، على أن « لا ترد » يجوز فيه الرفع والجزم على التأويل الذي ذكره الفراء .

(١) يجوز أن يكون قوله تعالى ( ذكرى ) مرفوعا على الابتداء ، والخبر محذوف ، أى ذكرى لهم . ويجوز أن يكون مرفوعا على أنه خبر عن مبتدأ ، تقديره : « هم » أى المنفرون ، ذكرى لهم .

في المكان الذي هو به من السماء (لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) يقول : إن الشياطين عن سماع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون ، فكيف يستطيعون أن ينزلوا به .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) قال : هذا القرآن . وفي قوله (لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ) قال : عن سماع السماء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، بنحوه ، إلا أنه قال عن سماع القرآن .

والقرآن مجمعة على قراءة ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ) بالتاء ورفع النون ، لأنها نون أصلية ، واحدهم شيطان ، كما واحد البساتين بستان . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ ) بالواو وذلك لحن ، وينبغي أن يكون ذلك إن كان صحيحا عنه ، أن يكون توهم أن ذلك نظير المسلمين والمؤمنين ، وذلك بعيد من هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعذُوبِينَ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)  
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ( فَلَا تَدْعُ ) يا محمد ( مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ) : أى لانعبد معه معبودا غيره ( فَتَكُونُ مِنَ الْمَعذُوبِينَ ) فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا ، وعبدوا غيرنا . وقوله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : يقول جل ثناؤه لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : وأنذر عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة ، وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم .  
وذكر أن هذه الآية لما نزلت ، بدأ بنى جده عبد المطلب وولده ، فحذرهم وأنذرهم .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَافَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثني أبي ويونس بن بكير ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عبسة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قام النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَيَا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ، ثم ذكر نحو حديث ابن المقدام .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ثنا سلامة ، قال : قال عقييل : ثنى الزهري ، قال : قال سعيد ابن المسيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

حدثني محمد بن عبد الملك ، قال : ثنا أبو الهيثم ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهري ، قال : أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن : أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ » . ثم ذكر نحو حديث يونس ، عن سلامة ، غير أنه زاد فيه « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » ولم يذكر في حديثه فاطمة .

حدثني يونس ، قال : ثنا سلامة بن رَوْح ، قال : قال عقييل : بنى ابن شهاب : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جمع قريشا ، ثم أتاهم ، فقال لهم : « هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ ؟ » فقالوا لا إلا ابن أخت لنا ، لانراه إلا منا ، قال : إِنَّهُ مِنْكُمْ ، فوعظهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال لهم في آخر كلامه : لَا أَعْرِفَنَّ مَا وَرَدَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسُوقُونَ الْآخِرَةَ ، وَجِئْتُمْ إِلَى تَسُوقُونَ الدُّنْيَا » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني سعيد بن المسيب وأبوسلمة بن عبد الرحمن ، أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حين أنزل عليه ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، سَلِّبِي مَا شِئْتِ ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت الحجاج يحدث ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما أنزل الله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، أَنْقِذِي نَفْسِكَ مِنَ النَّارِ ، إِلَّا أَنْ لَكُمْ رَحِمًا سَابَلُهَا بِبِلَالِهَا » .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن موسى بن طلحة ، عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية : ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعمم وخصص ، فقال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللَّهِ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَقُولُ لِكُلِّهِمْ : أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَابَلَهَا بَيْبِلَاهَا . »

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو عثمان ، عن زهير بن عمرو وقبيصة ابن مخارق : أنهما قالا : أنزل الله على نبي الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) ، فحدثنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم « أنه علا صخرة من جبل ، فعلا أعلاها حجرا ، ثم قال : يَا آلَ عَبْدِ مَنْفَاهُ ، يَا صَبَاحَاهُ ، إِنِّي نَذِيرٌ ، إِنَّ مَشَلِي وَمَشَلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ أَتَى الْجَيْشُ ، فَخَشِيَهِمْ عَلَى أَهْلِهِ ، فَذَهَبَ يَرْبُؤُهُمْ ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ : يَا صَبَاحَاهُ ! أَوَمَا قَالَ . »

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن قسامة بن زهير ، قال : « بلغني أنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جاء فوضع أصبعه في أذنه ، ورفع من صوته ، وقال : يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ وَأَصْبَاحَاهُ ! »

قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عرف ، عن قسامة بن زهير ، قال : أظنه عن الأشعري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا أبو زيد الأنصاري سعد بن أوس ، عن عوف ، قال : قال قسامة بن زهير ، حدثني الأشعري ، قال : لما نزلت ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : وضع أصبعه في أذنيه .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، ثم نادى يا صباحاه ، فاجتمع الناس إليه ، فبين رجل يجيء ، وبين آخر يبعث رسوله ، فقال : يَا بَنِي هَاشِمٍ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي يَاسِينَ ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنْ خَيْلًا يَسْفَعُ هَذَا الْجَبَلَ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ صَدَقْتُمْوَنِي ؟ قالوا : نعم ، قال : فلما نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، فقال أبو لهب : تَبًّا لَكُمْ سَائِرَ الْيَوْمِ ، مادعوتوني إلا لهذا ؟ فنزلت ( تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ) . »

حدثنا أبو كُرَيْب وأبو السائب ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا ، فقال : يا صباحاه ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا له : مالك ؟ فقال : أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ أَنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصِيبٌ حُكْمٌ ؟ »

(١) يقال : ربا التوم يربوهم ، وربأ لهم : إذا وقف على مكان عال ، ونظر بعيدا ، يرقب عدوا أو جيشا مقبلا ، أو نحو ذلك .

أَوْ مَمْسِيكُمْ أَلَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي؟ قالوا: بلى، قال: فلأني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ .  
قال أبو لهب: تبتاً لك، ألهذا دعوتنا أو جمعتنا، فأنزل الله (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) . . . إلى آخر السورة .  
حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن سعيد بن جبَّير ،  
عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك منهم المخلصين ،  
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي  
يهتف ؟ فقالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه ، فقال : يا بني فلان ، يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ،  
يا بني عبد مناف ، فاجتمعوا إليه ، فقال : أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ  
هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال : فلأني نذيرٌ لكم بين يدي  
عذابٍ شديدٍ ، فقال أبو لهب : تبا لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت هذه السورة (تَبَّتْ يَدَا  
أَبِي لَهَبٍ) وَقَدْ تَبَّ كذا قرأ الأعمش ، إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن حبيب ، عن سعيد ، عن ابن  
عباس ، قال : لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام  
على الصفا ، فقال : يا صباحاه !

قال : ثنا خالد بن عمرو ، قال : ثنا سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبَّير ،  
عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
الصفا ، فقال : يا صباحاه ! فجعل يُعَدِّدُهُمْ : يا بني فلان ، ويا بني فلان ، ويا بني عبد مناف .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عمرو بن مرة الجهملي ، قال : « لما نزلت (وَأَنْذِرْ  
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال : أتى جبلا ، فجعل يهتف : يا صباحاه ، فأناه مَنْ خَفَّ مِنَ النَّاسِ ، وَأَرْسَلَ  
إِلَيْهِ الْمُتَنَاقِلُونَ مِنَ النَّاسِ رُسُلًا ، فجعلوا يجيئون يتبعون الصوت ، فلما انتهوا إليه قال : إِنْ مِنْكُمْ مَنْ  
جَاءَ لِيَسْتَنْظِرَ ، وَمِنْكُمْ مَنْ أَرْسَلَ لِيَنْظَرَ مَنْ الْهَائِفُ ، فلما اجتمعوا وكثروا قال : أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ  
أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا مُصَبَّحَتِكُمْ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك  
كذبا ، فقرأ عليهم هذه الآيات التي أنزلن ، وأنذرهم كما أمر ، فجعل ينادي : يا قريش ، يا بني هاشم ،  
حتى قال : يا بني عبد المطلب ، إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عمرو ، أنه كان يقرأ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ورهطك  
المخلصين .

قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن  
عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب :  
« لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعاني رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ ، قال : فضقت بذلك  
ذُرْعًا ، وعرفت أني متى ما أنادهم بهذا الأمر أَرَّ منهم ما أكره ، فصمت حتى جاء جبرائيل ، فقال :

يا محمد ، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام ، واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب ، حتى أكلهم ، وبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو يتقصونه ، فيهم أعمامه : أبوطالب ، وحزرة ، والعباس ، وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، ففعلت به . فلما وضعت تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم ، فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحفة ، قال : خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا مواضع أيديهم ، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال : استقى الناس ، فجيثتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ؛ فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم ، بدّره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدٌ ما سحركم به صاحبكم ، ففترق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا علي ، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما قد سمعت من القول ، ففترق القوم قبل أن أكلهم ، فأعدي لنا من الطعام مثل الذي صنعت ، ثم اجمعهم لي ، قال : فعلت ثم جمعهم ، ثم دعاني بالطعام ، فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، قال : استقيهم ، فجيثهم بذلك العس فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني عبدي المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جيئكم به ، إني قد جيئكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكنم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي وكذا وكذا ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدتهم سناً ، وأرمصهم عينا ، وأعظمهم بطناً ، وأخمشهم ساقاً ، أنا يا نبي الله أكون وزيرك ، فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثني إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بني عبدي المطلب ، يا بني عبدي مناف ، يا بني قصي ، قال : ثم فخذ قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مر على آخرهم ، إني أدعوكم إلى الله ، وأندركم عند أبيه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال : أمير محمد أن ينذر قومه ، ويبدأ بأهل بيته وفصيلته ، قال : ( وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

(١) في (اللسان : حذا) : أعطيته حذية من لحم ، وحذفة وفلذة ، كل هذا إذا قطع طولاً . هـ . وقيل هي القملة الصغيرة .

(٢) في (اللسان : هد) وفي الحديث أن أبا لهب قال : «هد ما سحركم صاحبكم» قال : هُد : كلمة يتمجب بها ، يقال : هُد الرجل أي ما أجلده . قلت : وهو كقولنا : لشد ما قال فلان ، أي ما أشد .



« لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبد المطلب ، اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) : بدأ بأهل بيته وفصيلته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : لما نزلت ( وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ) جمع النبي صلى الله عليه وسلم بنى هاشم ، فقال : « يا بني هاشم ، ألا لا ألفينكم تأتونني تحمّلون الدنيا ، ويأتي الناس يحمّلون الآخرة ، ألا إن أوليائي منكم المتقون ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لما نزلت هذه الآية بدأ بأهل بيته وفصيلته ؛ قال : وشق ذلك على المسلمين ، فأنزل الله تعالى ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقوله ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ ) يقول : وألن جانبك وكلامك ( لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : يقول : لين لهم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)  
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

يقول تعالى ذكره : فإن عصيتك يا محمد عشيرتك الأقربون ، الذين أمرتك بإنذارهم ، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان ، والإشراك بالرحمن ، فقل لهم ( إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ) من عبادة الأصنام ، ومعصية باري الأنام ( وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ ) في نعمته من أعدائه ( الرَّحِيمِ ) بمن أناب إليه ، وتاب من معاصيه ، ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) يقول : ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) إلى صلاتك .

وكان مجاهد يقول في تأويل ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد ، قوله ( الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ) قال : أيما كنت . ( وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ويرى تقلبك في صلاتك حين تقوم ، ثم تركع ، وحين تسجد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ) يقول : قيامك وركوعك وسجودك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت أبي وعلى بن بديمة يحدثان عن عكرمة ، في قوله ( يَبْرَأُكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : قيامه وركوعه وسجوده .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال عكرمة ، في قوله : ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : قائما وساجدا وراكعا وجالسا .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى قلبك في المصلين ، وإبصارك منهم من هو خلفك ، كما تبصر من هو بين يديك منهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) كان يرى من خلفه ، كما يرى من قدّامه .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : المصلين كان يرى من خلفه في الصلاة .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : المصلين ، قال : كان يرى في الصلاة من خلفه .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتقلبك مع الساجدين : أي تصرفك معهم في الجلوس والقيام والقعود .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس ، قال ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : يراك وأنت مع الساجدين تقليب وتقوم وتقعده معهم .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : في المصلين .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) : قال : في الساجدين : المصلين .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ويرى تصرفك في الناس .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، قال : سألت الحسن عن قوله : ( وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ) قال : في الناس .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : وتصرفك في أحوالك ، كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله ، والساجدون في قول قائل هذا القول : الأنبياء .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( الَّذِي يَرَاكَ ) . . . الآية ، قال : كما كانت الأنبياء من قبلك .  
 قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بتأويله : قول من قال تأويله : ويرى قلبك مع الساجدين في صلاتهم معك ، حين تقوم معهم وتركع وتسجد ، لأن ذلك هو الظاهر من معناه . فأما قول من وجهه إلى أن معناه : وقلبك في الناس ، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة ، وإن كان له وجه ، لأنه وإن كان لاشيء إلا وظله يسجد لله ، فإنه ليس المفهوم من قول القائل : فلان مع الساجدين ، أو في الساجدين ، أنه مع الناس أو فيهم ، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم يسجد ، السجود المعروف ، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر ، وكذلك أيضا في قول من قال : معناه : تتقلب في أبصار الساجدين ، وإن كان له وجه ، فليس ذلك الظاهر من معانيه .

فتأويل الكلام إذاً : وتوكل على العزيز الرحيم ، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك ، ويرى قلبك في المؤمنين بك فيها ، بين قيام وركوع وسجود وجلس .  
 وقوله ( إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) يقول تعالى ذكره : إن ربك هو السميع تلاتك يا محمد ، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر ، العليم بما تعمل فيها ، ويعمل فيها من يتقلب فيها معك ، مؤتما بك ، يقول : فرتل تبيها القرآن ، وأقم حدودها ، فإنك بمرأى من ربك ومسمع .

## القول في تأويل قوله تعالى

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ (٢٢٣)

يقول تعالى ذكره : هل أنبئكم أيها الناس على من تنزل الشياطين من الناس ؟ تنزل على كل أفَّاكٍ ، يعني كذاب بهتات . أثيم ، يعني : آثم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : كل كذاب من الناس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : كذاب من الناس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) قال : هم الكهنة ، تسرق الجن السمع ، ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس .

حدثني محمد بن ثُمارة الأَسديّ ، قال : ثنا عبيد الله بن مِسي ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وهب ، قال : كنت عند عبد الله بن الزُّبير ، فقيل له : إن المختار يزعم أنه يُوحى إليه ، فقال : صدق ، ثم تلا ( هَلْ أَنْبَشُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) .  
وقوله ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) يقول تعالى ذكره : يلقي الشياطين السمع ، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعهم من حين حدث من السماء إلى ( كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ) من أوليائهم من بني آدم .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) قال : الشياطين ما سمعته ألقته على كلِّ أفَّاكٍ كذاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( يُلْقُونَ السَّمْعَ ) الشياطين ما سمعته ألقته ، على ( كُلِّ أَفَّاكٍ ) قال : يُلْقُونَ السَّمْعَ ، قال : القول .  
وقوله ( وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) يقول : وأكثر من نزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله ( وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) عن عروة ، عن عائشة قالت : الشياطين تسترق السمع ، فتجىء بكلمة حق ، فيقذفها في أذن وليه ؛ قال : ويزيد فيها أكثر من مئة كذبة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (١٢٧)

يقول تعالى ذكره : والشعراء يتبعهم الغاؤون ، والشعراء يتبعهم أهل الغنى ، لأهل الرشاد والهدى .  
واختلف أهل التأويل في الذين وصفوا بالغنى في هذا الموضع ، فقال بعضهم : رُواة الشعر .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحسن بن يزيد الطَّحَّان ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا قيس ، عن يعلى ، عن عكرمة عن ابن عباس ؛ وحدثني أبو كُرَيْب ، قال : ثنا طلحة بن غنم ، عن قيس ؛ وحدثنا أبو كُرَيْب ، قال :

ثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن يعلى بن النعمان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : الرواة .

وقال آخرون : هم الشياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) الشياطين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : يتبعهم الشياطين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ،

عن عكرمة ، في قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : عصاة الجن .

وقال آخرون : هم السفهاء ، وقالوا : نزل ذلك في رجلين تهاجيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم : أحدهما من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، وأتتاهما تهاجيا ، وكان مع كل واحد منهما

غواة من قومه ، وهم السفهاء ، فقال الله : ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ

يَهيمُونَ ) ؟

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) : قال : كان رجلا ن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحدهما

من الأنصار ، والآخر من قوم آخرين ، تهاجيا ، مع كل واحد منهما غواة من قومه ، وهم السفهاء .

وقال آخرون : هم ضلال الجن والإنس .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَالشُّعْرَاءُ

يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) قال : هم الكفار ، يتبعهم ضلال الجن والإنس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ ) قال : الغاؤون المشركون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه : إن شعراء المشركين

يتبعهم غواة الناس ، ومردة الشياطين ، وعصاة الجن ، وذلك أن الله عمّ بقوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ

الغَاوُونَ) فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض ، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ألم تر يا محمد أنهم ، يعني الشعراء ، في كل واد يذهبون ، كالهائم على وجهه على غير قصد ، بل جائرا على الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل . وإنما هذا مثل ضربه الله لهم ، في افتنائهم في الوجوه التي يُفْتَنُونَ فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ، ويهجون آخرين كذلك ، بالكذب والزور .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) يقول : في كل لغو يخوضون .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) قال : في كل فن يفتنون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ) قال : فن يهيمون ، قال : يقولون .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ) قال : يمدحون قوما بباطل ، ويشتمون قوما بباطل .  
وقوله ( وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) يقول : وأن أكثر قبيهم باطل وكذب .  
كما حدثني أعلىّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) يقول : أكثر قولهم يكذبون ، وعنى بذلك شعراء المشركين .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الرحمن بن زيد : قال رجل لأبي : يا أبا أسامة ، أ رأيت قول الله جل ثناؤه ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ) ؟ فقال له أبي : إنما هذا لشعراء المشركين ، وليس شعراء المؤمنين ، ألا ترى أنه يقول ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الخ . فقال : فرجعت عنى يا أبا أسامة ، فرج الله عنك .  
وقوله ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) وهذا استثناء من قوله ( وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ )  
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها .  
وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة وعليّ بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد

ابن عبد الله بن قسيط، عن أبي الحسن سالم البرآد، مولى تميم الداري، قال: لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يبيكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أننا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) إلى آخر السورة في حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين، عن يزيد، عن عكرمة وطاوس، قال: قال (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)، فنسخ من ذلك واستثنى، قال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) . . . الآية.

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قال: ثم استثنى المؤمنين منهم، يعني الشعراء، فقال (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس، فذكر مثله.

حدثنا الحسن قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) قال: هم الأنصار الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي حسن البراد، قال: لما نزلت (وَالشُّعْرَاءُ يُتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن سلمة.

وقوله ( وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ) اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء، فقال بعضهم: هي حال منقطعهم ومجاورتهم الناس، قالوا: معنى الكلام: وذكروا الله كثيرا في كلامهم.

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) في كلامهم.

وقال آخرون: بل ذلك في شعرهم.

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا )  
قال : ذكروا الله في شعرهم .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من  
شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا ، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه ، ولا على لسان رسوله  
فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم .

وقوله ( وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) يقول : وانتصروا ممن هجأهم من شعراء المشركين ظلما ،  
بشعرهم وهجأهم إياهم ، وإجابتهم عما هجؤهم به .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَأَنْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْتَصَرُوا ) من المشركين  
( مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) .

وقيل : عنى بذلك كله الرهط الذين ذكرت .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عليّ بن مجاهد وإبراهيم بن الخنار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله  
ابن قُسيط ، عن أبي الحسن سالم البرّاد ، مولى تميم الداري ، قال : لما نزلت ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ )  
جاء حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهم ييكون ، فقالوا  
قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء ، فتلا النبيّ صلى الله عليه وسلم ( إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ، وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن  
عبد الله بن قُسيط ، عن أبي حسن البرّاد ، قال : لما نزلت ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) ثم ذكر نحوه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى : وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن :  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال :  
عبد الله بن رواحة وأصحابه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( وَأَنْتَصَرُوا مِنْ  
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ) قال : عبد الله بن رواحة .

وقوله ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول تعالى ذكروا : وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله



من أهل مكة ( أَيْ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ ) يقول: أَيْ مَرْجِعِ يَرْجِعُونَ إليه ، وأَيْ مَعَادِ يَعُودُونَ إليه بعد تمايمهم ، فإنهم يصيرون إلى نار لا يُطْفَأُ سَعِيرُهَا ، ولا يَسْكُنُ لَهَا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، وإبراهيم بن المختار ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسيط ، عن أبي الحسن سالم البرّاد مولى تميم الداري ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ ) يعني : أهل مكة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ ) قال : وسيعلم الذين ظلموا من المشركين ، أَيْ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ .  
آخر تفسير سورة الشعراء

### تفسير سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)

قال أبو جعفر : وقد بينّا القول فيما مضى من كتابنا هذا ، فيما كان من حروف المعجم ، في فواتح السور ، فقوله ( طس ) من ذلك . وقد روى عن ابن عباس أن قوله ( طس ) : قَسَمَ أَقْسَمَهُ اللهُ ، هو من أسماء الله .  
حدثني علي بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس : فالواجب على هذا القول أن يكون معناه : والسميع اللطيف ، إن هذه الآيات التي أنزلها إليك يا محمد لآيات القرآن ، وآيات كتاب مبين : يقول : يبين لمن تدبره ، وفكّر فيه بفهم ، أنه من عند الله ، أنزله إليك ، لم تتخرّصه أنت ولم تتقولّه ، ولا أحدٌ سواك من خلق الله ، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله ، ولو تظاهر عليه الجن والإنس . وخفض قوله ( وَكِتَابٍ مُبِينٍ ) عطفًا به على القرآن . وقوله ( هُدًى ) من صفة القرآن . يقول : هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحقّ وسبيل السلام ( وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وبشارة لمن آمن به ، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد .

وفي قوله ( هُدًى وَبُشْرَى ) وجهان من العربية : الرفع على الابتداء ، بمعنى : هو هدى وبُشْرَى : والنصب على القطع من آيات القرآن ، فيكون معناه : تلك آيات القرآن الهدى والبُشْرَى للمؤمنين ، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبُشْرَى ، فصارا نكرة ، وهما صفة للمعرفة ، فنصبها .

وقوله (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ) يقول : هو هدى وبشرى لمن آمن بها ، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها . وقوله ( وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ) يقول : ويؤدون الزكاة المفروضة . وقيل : معناه : ويظهرون أجسادهم من دنس المعاصي .

وقد بيننا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يُوقِنُونَ، فيذِلُّونَ في طاعة الله ، رجاء جزيل ثوابه ، وخوف عظيم عقابه ، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث ، ولا يبالون ، أحسنوا أم أساءوا وأطاعوا ، أم عصوا ، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا ، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ ، فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة ، وقيام الساعة ، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب (زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ) يقول : حينا إليهم قبيح أعمالهم ، وسهلنا ذلك عليهم (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يقول : فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زيننا لهم ، يترددون حيارى ، يحسبون أنهم يحسنون . وقوله (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لهم سوء العذاب في الدنيا ، وهم الذين قتلوا بيد من مشركى قريش (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) ، يقول : وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة ، والأوكسوها ، باشرائهم الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا نَكَ تَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ، إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَمَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتحفظ القرآن ، وتعلمه من لدن حكيم عليم : يقول : من عند حكيم بتدبير خلقه ، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم ، والكائن من أمورهم ، والماضي من أخبارهم ، والحادث منها : (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ) وإذ من صلة عليم . ومعنى الكلام عليم حين قال موسى (لِأَهْلِهِ) وهو في مسيره من مدين إلى مصر ، وقد آذاهم برؤد ليلهم لما أصلد زنده (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا) : أي أبصرت نارا أو أحسستها ،

فامكثوا مكانكم ( سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبِيرٍ ) يعني من النار ، والهاء والألف من ذكر النار ( أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ( بِشِهَابٍ قَبَسٍ ) بإضافة الشهاب إلى القَبَس ، وترك التنوين ، بمعنى : أَوْتِيكُمْ بِشُعْلَةٍ نَارٍ أَقْبَسَهَا مِنْهَا . وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ( بِشِهَابٍ قَبَسٍ ) بتنوين الشهاب ، وترك إضافته إلى القَبَس ، يعني : أَوْتِيكُمْ بِشِهَابٍ مَقْبَسٍ .  
 والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فصيح . وكان بعض نحوي البصرة يقول : إذا جعل القَبَس بدلا من الشَّهَاب ، فالتنوين في الشهاب ، وإن أضاف الشهاب إلى القَبَس ، لم ينون الشهاب . وقال بعض نحوي الكوفة : إذا أضيف الشهاب إلى القَبَس ، فهو بمنزلة قوله ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ) مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماء ولفظاه ، وهما بالثاني أنه غير الأول قال : ومثله حَبَّةُ الْخَضْرَاءِ ، وليلة الْقَمَرَاءِ ، ويوم الْحَمِيرِ وما أشبهه . وقال آخر منهم : إن كان الشهاب هو القَبَس لم تجز الإضافة ، لأن القَبَس نعت ، ولا يضاف الاسم إلى نعته إلا في قليل من الكلام ، وقد جاء ( وَلَدَارُ الْآخِرَةِ - وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ) .

والصواب من القول في ذلك : أن الشهاب إذا أريد به أنه غير القَبَس ، فالقراءة فيه بالإضافة ، لأن معنى الكلام حينئذ ، ما بينا من أنه شُعْلَةٌ قَبَسٍ ، كما قال الشاعر :

فِي كَفِّهِ صَعْدَةٌ مُشَقَّقَةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَشُعْلَةٍ الْقَبَسِ

وإذا أريد بالشهاب أنه هو القَبَس ، أو أنه نعت له ، بالصواب في الشهاب التنوين ، لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته ، وإلى نفسه ، بل الإضافات في كلامها المعروف : إضافة الشيء إلى غير نفسه ، وغير نعته .

وقوله ( لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ) يقول : كي تصطلوا بها من البرد . وقوله ( فَلَمَّا جَاءَهَا ) يقول : فلما جاء موسى النار التي آنسها ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ) .

كما حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ ) يقول : قُدِّس .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( مَنْ فِي النَّارِ ) فقال بعضهم : عنى جلّ جلاله بذلك نفسه ، وهو الذي كان في النار ، وكانت النار نوره تعالى ذكره ، في قول جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

( ١ ) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٧٥ ) قال : « بشهاب قبس ، أي بشعلة نار . ومجاز قبس : ما اقتبست منها ومن الجمر ، قال : « في كفه » . . . البيت » . والصمدة : الفتاة تبت مستقيمة . والشاهد في البيت : إضافة الشعلة إلى القَبَس أي شعلة مقبسه من نار ، كما في قول الله عز وجل « بشهاب قبس » في قراءة من قرأه بالإضافة . ويجوز تنوين « شهاب » وجعل قبس صفة له إذا اعتبر الشهاب هو نفس القَبَس ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ، ولا إلى صفته .

في قوله ( فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) يعني نفسه ؛ قال : كان نور رب العالمين في الشجرة .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية العبدى ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن ورقاء ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبّير ، في قول الله ( بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) قال : ناداه وهو في النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، في قوله ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ) قال : هو النور .

قال معمر ، قال قتادة ( بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) قال : نور الله بُورك .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرّيج ، قال : قال الحسن البصرى ( بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) ١ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : بوركت النار .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الأشيب ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) بوركت النار ، كذلك قال ابن عباس .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) قال : بُوركت النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرّيج ، قال : قال مجاهد ( بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) قال : بوركت النار .

حدثنا محمد بن سنان القرّاز ، قال : ثنا مكّي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب : في قوله ( أَنْ بُورِكَ مِّنْ فِي النَّارِ ) : نور الرحمن ، والنور هو الله ، وسبحان الله رب العالمين .

وختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : النور ، كما ذكرت عن ذلك عنه .

وقال آخرون : معناه النار لا النور .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جرّيج ، عن سعيد بن جبّير ، أنه قال : حجاب العزّة ، وحجاب الملك ، وحجاب السلطان ، وحجاب النار ، وهي تلك النار التي نودي منها . قال : وحجاب النور ، وحجاب الغمام ، وحجاب الماء . وإنما قيل : بُورك مِّنْ فِي النَّارِ ، ولم يقل : بورك في النار ، على لغة الذين يقولون : باركك الله ، والعرب تقول : باركك الله ، وبارك فيك

(١) لعل المثلث لم يبيح بمقول القول ، اكتفاء بنص ما قبله ، لموافقة إياه لفظا معنى . وقد تكرر منه ذلك في مواضع .

وقوله (وَمَنْ حَوَّهْنَا) يقول : ومن حول النار . وقيل : عنى بمن حولها : الملائكة .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
(وَمَنْ حَوَّهْنَا) قال : يعنى الملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن الحسن ، مثله .  
وقال آخرون : هو موسى والملائكة .

حدثنا محمد بن سنان القرآزي ، قال : ثنا مكثي بن إبراهيم ، قال : ثنا موسى ، عن محمد بن كعب (وَمَنْ  
حَوَّهْنَا) قال : موسى النبي والملائكة ، ثم قال (يا موسى إني أنا الله العزيز الحكيم) .  
وقوله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) يقول : وتنزيها لله رب العالمين ، مما يصفه به الظالمون .

القول في تأويل قوله تعالى

يُمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ  
وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ  
ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ، فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبله لموسى (إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في نعمته من أعدائه (الْحَكِيمُ) في تدبيره  
في خلقه ، والهاء التي في قوله (إِنَّهُ) هاء عماد ، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية . وقال بعض  
نحوي الكوفة : يقول هي الهاء المجهولة ، ومعناها : إن الأمر والشأن : أنا الله . وقوله (وَأَلْقِ عَصَاكَ ،  
) فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ ) في الكلام محذوف ترك ذكره ، استغناء بما ذُكِرَ عما ، حذف وهو فألقاها  
فصارت حية تهتز (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) يقول : كأنها حية عظيمة ، والجنان : جنس من الحيات  
معروف .

وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن  
جرير (وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ) قال : حين تحولت حية تسمى ، وهذا الجنس  
من الحيات عنى الراجز بقوله :

يَرْفَعُنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَقَا أَعْنَاقَ جِنَانٍ وَهَامًا رُجْفًا  
وَعَنْقًا بَعْدَ الرَّسِيمِ خَبِطَقَا ١

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز للخطي ، وهو حذيفة بن بدر جد جرير بن عطية شاعر تميم . يصف إبله وسيرها في الليل .  
وأسدة : أنظم . والجنان جنس من الحيات ، إذا مشت رفعت رموسها . والهام : جمع هامة . والرجف : جمع راجفة ، أي مضطربة ،  
لاهتزازها في مشيها وسرعتها . والعنق : ضرب من السير السريع . والرسيم : سير خفيف . والخيطف : السريع . ويروى : خطفا ، وهذا  
لقب حذيفة جد جرير : الخطي ، مجيء اللفظة في شعره . وفي (اللسان : خطف) : والخيطف والخرطلي : سرعة انجذاب السير ، كأنه =

وقوله ( وَآتَى مُدْبِرًا ) يقول تعالى ذكره : ولى موسى هاربا خوفاً، منها ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) يقول : ولم يرجع ، من قولهم : عَقَّبَ فلان : إذا رجَّع على عقبه إلى حيث بدأ .  
وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) قال : لم يرجع .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة ، قال : لم يلتفت .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَكَمْ يُعَقِّبُ ) قال : لم يرجع : ( ياموسى ) : قال : لما أتى العصا صارت حية ، فرعب منها وجزع ، فقال الله ( إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) قال : فلم يعرف ذلك ، قال : فقال الله له ( أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ) قال : فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال ( سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ) قال : فالتفت فإذا هى عصا كما كانت ، فرجع فأخذها ، ثم قوى بعد ذلك ، حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها .  
وقوله ( يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) يقول تعالى ذكره : فتاداه ربه : يا موسى لا تخف من هذه الحية ، إني لا يخاف لدى المرسلون : يقول : إني لا يخاف عندى رسلى وأنبيأى ، الذين أختصهم بالنبوة ، إلا من ظلم منهم ، فعمل بغير الذى أذن له فى العمل به .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قوله ( يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) قال : لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنوب يصيبه أحدهم ، فإن أصابه أخافه حتى يأخذه منه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله الغزالي ، عن عبد الله بن المبارك ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، قال : قوله « يَا مُوسَى لَا تَخَفْ ، إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ » قال : إني إنما أخفتك لقتلك النفس ، قال : وقال الحسن : كانت الأنبياء تذب فتعاقب .  
واختلف أهل العربية فى وجه دخول «إلا» فى هذا الموضع ، وهو استثناء مع وعد الله العُفْرَانِ المستثنى من قوله ( إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ) بقوله ( فَلَمَّا تَغْمُرُ رَحِيمٌ ) . وحكم الاستثناء أن يكون ما بعده بخلاف معنى ما قبله ، وذلك أن يكون ما بعده - إن كان ما قبله منفيا - مثبتا كقوله : ما قام إلا زيد ، فزيد مثبت

« يخطف فى سيره عتقه ، أى يخذ به . وجل خيطف : أى سريع المر . ويقال : عتق خيطف وعتق ، قال جد جرير . وعتقا به الرسم خيطفا . وقيل : هو مأخوذ من الخطف ، وهو الخلس . وجل خيطف : سيره كذلك ، أى سريع المر .

له القيام ، لأنه مستثنى مما قبل إلا ، وما قبل إلا منى عنه القيام ، وأن يكون ما بعده - إن كان ما قبله - مثبتا منفيا كقولهم : قام القوم إلا زيدا ؛ فزيد منى عنه القيام ؛ ومعناه : إن زيدا لم يقم ، والقوم مثبت لهم القيام ، وإلا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، فقد أمنه الله بوعد الغفران والرحمة ، وأدخله في عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، فقال بعض نحوّي البصرة : أدخلت إلا في هذا الموضع ، لأن إلا تدخل في مثل هذا الكلام ، كمثل قول العرب : ما اشتكى إلا خيرا ؛ فلم يجعل قوله : إلا خيرا على الشكوى ، ولكنه علم أنه إذا قال : ما اشتكى شيئا ، أنه يذكر عن نفسه خيرا ، كأنه قال : ما أذكر إلا خيرا .

وقال بعض نحوّي الكوفة : يقول القائل : كيف صير خائفا من ظلم ، ثم بدّل حسنا بعد سوء ، وهو مغفور له ؟ فأقول لك في هذه الآية وجهان : أحدهما أن يقول : إن الرسل معصومة مغفور لها ، آمنة يوم القيامة ، ومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يخاف ويرجو ، فهذا وجه . والآخر : أن يجعل الاستثناء من الذين تركوا في الكلمة ، لأن المعنى : لا يخاف لدى المرسلون ، إنما الخوف على من سواهم ؛ ثم استثنى فقال (إلا من ظلمتم ثم بدّل حسنا) يقول : كان مشركا ، فتاب من الشرك ، وعمل حسنا ، فذلك مغفور له ، وليس يخاف . قال : وقد قال بعض النحويين : إن إلا في اللغة بمنزلة الواو ، وإنما معنى هذه الآية : لا يخاف لدى المرسلون ، ولا من ظلم ثم بدّل حسنا . قال : وجعلوا مثله كقول الله (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا من قبلهم) قال : ولم أجد العربية تحتل ما قالوا ، لأنى لا أجزى قام الناس إلا عبد الله وعبد الله قائم ؛ إنما معنى الاستثناء أن يخرج الاسم الذي بعد إلا من معنى الأسماء التي قبل إلا ، وقد أراه جائزا أن يقول : لى عليك ألف سوى ألف آخر ، فإن وضعت إلا في هذا الموضع صلحت ، وكانت إلا في تأويل ما قالوا ، فأما مجردة قد استثنى قليلها من كثيرها فلا ، ولكن مثله مما يكون معنى إلا بمعنى الواو ، وليست بها قوله (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) هو في المعنى ، والذي شاء ربك من الزيادة ، فلا تجعل إلا بمنزلة الواو ، ولكن بمنزلة سوى ؛ فإذا كانت «سوى» في موضع «إلا» صلحت بمعنى الواو ، لأنك تقول : عندي مال كثير سوى هذا : أى وهذا عندي ، كأنك قلت : عندي مال كثير وهذا أيضا عندي ، وهو في سوى أبعد منه في إلا ، لأنك تقول : عندي سوى هذا ، ولا تقول : عندي إلا هذا .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في قوله (إلا من ظلمتم ثم بدّل) عندي غير ما قاله هؤلاء الذين حكينا قولهم من أهل العربية ، بل هو القول الذي قاله الحسن البصري وابن جرير ومن قال قولهما ، وهو أن قوله (إلا من ظلمتم) استثناء صحيح من قوله (لا يخاف لدى المرسلون إلا من ظلمتم) منهم فأنى ذنبا ، فإنه خائف لديه من عقوبته ، وقد بين الحسن رحمه الله معنى قيل الله لموسى ذلك ، وهو قوله قال : إنى إنما أخفتك لقتلك النفس .

فإن قال قائل : فما وجه قبله إن كان قوله (إلا من ظلمتم) استثناء صحيحا ، وخارجا من عداد من لا يخاف لديه من المرسلين ، وكيف يكون خائفا من كان قد وعد الغفران والرحمة ؟ قيل : إن قوله (ثم)

بَدَلًا حَسُنَا بَعْدَ سُوءٍ ( كَلَامٌ آخِرٌ بَعْدَ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ تَنَاهَى الْخَبْرُ عَنِ الرَّسْلِ مِنْ ظَلَمٍ مِنْهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يَظْلَمْ عِنْدَ قَوْلِهِ ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ) ثُمَّ ابْتَدَأَ الْخَبْرَ عَنِ ظَلَمٍ مِنَ الرَّسْلِ ، وَسَائِرِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ : فَمَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسْنَا بَعْدَ سُوءٍ فَلِئِنْ لَهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَعَلَامَ تَعَطَّفَ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا قُلْتَ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ ( ظَلَمَ ) قِيلَ : عَلَى مَتْرُوكِ اسْتِغْنَى بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ ( ثُمَّ بَدَّلَ حَسُنَا بَعْدَ سُوءٍ ) عَلَيْهِ عَنِ إِظْهَارِهِ ، إِذْ كَانَ قَدْ جَرَى قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ نَظِيرُهُ ، وَهُوَ فَمَنْ ظَلَمَ مِنَ الْخَلْقِ . وَأَمَّا الَّذِينَ ذَكَرْنَا قَوْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَقَدْ قَالُوا عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِيَّةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ أَغْفَلُوا مَعْنَى الْكَلِمَةِ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهٍ مِنَ التَّأْوِيلِ . وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَ الْكَلَامَ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ التَّأْوِيلِ ، وَيَلْتَمَسُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ لِلْإِعْرَابِ فِي الصَّحَّةِ مَخْرَجٌ لِاعْتِدَالِ الْكَلِمَةِ عَنْ مَعْنَاهَا ، وَوَجْهٍهَا الصَّحِيحِ مِنَ التَّأْوِيلِ .

وقوله ( ثُمَّ بَدَّلَ حَسُنَا بَعْدَ سُوءٍ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : فَمَنْ أَتَى ظَلَمًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَرَكِبَ مَأْتَمًا ، ثُمَّ بَدَّلَ حَسْنَا ، يَقُولُ : ثُمَّ تَابَ مِنْ ظَلَمِهِ ذَلِكَ ، وَكَوَبَهُ الْمَأْتَمُ ، ( فَلِئِنْ غَفُورٌ ) يَقُولُ : فَلِئِنْ سَاوَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَظَلَمَهُ ذَلِكَ ، بَعْفَى عَنْهُ ، وَتَرَكَ عَقُوبَتَهُ عَلَيْهِ ، رَحِيمٌ بِهِ أَنْ أَعَاقَبَهُ بَعْدَ تَبْدِيلِهِ الْحَسَنَ بِضَدِّهِ . وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ ( إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ، ثُمَّ بَدَّلَ حَسُنَا بَعْدَ سُوءٍ ) ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِ إِسَاءَتِهِ ( فَلِئِنْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ يَدًا مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢)

يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مَخْبِرًا عَنْ قَبْلِهِ لِنَبِيِّهِ مُوسَى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) ذَكَرَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَمْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ كَفَّهُ فِي جَيْبِهِ ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ بِإِدْخَالِهِ فِي جَيْبِهِ ، لِأَنَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ . قَالَ بَعْضُهُمْ : لَمْ يَكُنْ لَهَا كُمْ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ كُمْهَا إِلَى بَعْضِ يَدِهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : ثَنَا حِجَابُ ، قَالَ : ثَنَا حُرَيْبُ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) قَالَ : الْكَفُّ فَقَطْ فِي جَيْبِكَ ، قَالَ : كَانَتْ مِدْرَعَةٌ إِلَى بَعْضِ يَدِهِ ، وَلَوْ كَانَ لَهَا كُمْ أَمْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ يَدَهُ فِي كَمِهِ .



قال : ثنى حجاج ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن عمرو بن ميمون ، قال : قال ابن مسعود : إن موسى أتى فرعون حين أتاه في زُرٍّ ما نقه ، يعني جبة صوف .

وقوله ( تَخْرُجُ بَيْضَاءَ ) يقول : تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى من غير سوءٍ ( يقول : من غير برّص في تسع آيات ، يقول تعالى ذكره : أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ، فهي آية في تسع آيات ، مُرسل أنت بهنّ إلى فرعون ، وترك ذكر مرسل لدلالة قوله ( إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ) على أن ذلك معناه ، كما قال الشاعر :

رَأَيْتُنِي بِجَبَلِيهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً      وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ

ومعنى الكلام : رأيتني مقبلا بجليها ، فترك ذكر مقبل ، استغناء لمعرفة السامعين ، معناه في ذلك إذ قال : رأيتني بجليها ، ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة .

والآيات التسع : هنّ الآيات التي بيّناهنّ فيما مضى .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تِسْعَ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ) قال : هي التي ذكر الله في القرآن : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ، والحجر ، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) يقول : إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين ، يعني كافرين بالله ، وقد بيّنا معنى الفسق فيما مضى .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَعَدُوا بِهَا ، وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ، فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا ، يعني أدلتنا وحججنا ، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته ، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل . وقوله ( مُبْصِرَةً ) يقول : يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ، ما دلت عليه .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا

(١) سبق الكلام مفصلا على هذا الشاهد في الجزء ( ٤ : ٤٩ ) وهو حميد بن ثور الهلالي . وانظره في ( اللسان : حبل وفرق ) . وفي الأساس ( روع ) . وفي معاني القرآن للفراء ( الورقة ٢٣٢ ) قال الفراء : أراد رأيتني أقبلت بجليها : بجبل الناقة ، فأضمر فعلا ، كأنه قال : رأيتني مقبلا .

مُبْصِرَةً) قال : بينة ، قالوا : هذا سحر مبين ، يقول : قال : فرعون وقومه : هذا الذي جاءنا به موسى سحر مبين ، يقول : يبين للناظرين له أنه سحر .

وقوله ( وَجَحَدُوا بِهَا ) يقول : وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ( وَجَحَدُوا بِهَا ) : قال : الجحود : التكذيب بها . وقوله ( وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ) يقول : وأيقنتها قلوبهم ، وعلّموا يقيناً أنها من عند الله ، فعاندوا بعد تبيين الحق ، ومعرفتهم به .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ) قال : يقينهم في قلوبهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) قال : استيقنوا أن الآيات من الله حق ، فلم يجحدوا بها ؟ قال : ظلماً وعلوًّا .

وقوله ( ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) يعني بالظلم : الاعتداء ، والعلو : الكبر ، كأنه قيل : اعتداء وتكبر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، في قوله ( ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) قال : تعظماً واستكباراً ، ومعنى ذلك : وجحدوا بالآيات التسع ظلماً وعلوًّا ، واستيقنتها أنفسهم أنها من عند الله ، فعاندوا الحق بعد وضوحه لهم ، فهو من المؤخر الذي معناه التقديم .  
وقوله ( فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) .

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : فانظر يا محمد بعين قلبك : كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة ، وماذا حلّ بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم ، وأعقبتهم ما فعلوا ، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعبود ، وزروع ومقام كريم ، إلى هلاك في العاجل بالفرق ، وفي الآجل إلى عذاب دائم ، لا يفر عنهم ، وهم فيه مبلسون . يقول : وكذلك يا محمد سنئي في الذين كذبوا بما جنتهم به من الآيات ، على حقيقة ماتدعوهم إليه من الحق من قومك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ، وَقَالَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا داود وسليمان علماً ، وذلك علم كلام الطير والدواب ، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه ( وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول جل

ثناؤه : وقال داود وسليمان : الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا ، على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ، وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ ، وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ،  
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦)

يقول تعالى ذكره ( وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ ) أباه ( دَاوُدَ ) العلم الذي كان آتاه الله في حياته ، والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه ، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه ( وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ ) يقول : وقال سليمان لقومه : يا أيها الناس علِّمنا منطلق الطير ، يعني فهمنا كلامها ، وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم ، إذ فهمه عنها .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب : ( وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ ) قال : بلغنا أن سليمان كان عسكريه مئة فرسخ : خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاث مئة صريجة ، وسبع مئة سريجة ، فأمر الريح العاصف فرفعته ، وأمر الرثقاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض ، إنى قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته . وقوله ( وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ( إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ) يقول : إن هذا الذي أوتينا من الخيرات ، هو الفضل على جميع أهل دهرنا ( المبين ) ، يقول : الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس .

القول في تأويل قوله تعالى

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، فَهَمُّ يُوَزَعُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم فهم يوزعون . واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( فَهَمُّ يُوَزَعُونَ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : فهم يجبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : جعل على كل صنف من يرد أولاه على أخرها ، لئلا يتقدموا في المسير ، كما تصنع الملوك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَحَشِيرَ لَيْسَلِيمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجَيْنِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ ، فَهَمْ يُوزَعُونَ ) قال : يُرَدُّ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ .  
وقال آخرون : معنى ذلك : فهم يساقون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَحَشِيرَ لَيْسَلِيمَانَ جُنُودُهُ مِنْ الْجَيْنِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهَمْ يُوزَعُونَ ) قال : يوزعون : يساقون .  
وقال آخرون : بل معناه : فهم يتقدمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( يُوزَعُونَ ) يتقدمون .  
قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : معناه : يُرَدُّ أَوْلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ ، وذلك أن الوازع في كلام العرب : هو الكاف ، يقال منه : وزع فلان فلانا عن الظلم : إذا كفه عنه ، كما قال الشاعر :  
أَلَمْ يَزْعِ الْمَسْوَى إِذْ لَمْ يُوَاتِ؟ بَلَى وَسَلَوْتُ عَنْ طَلَبِ الْفَتَاةِ  
وقال آخر :

عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعٌ  
وإنما قيل للذين يدفعون الناس عن الولاة والأمراء وزعة : لكفهم إياهم عنه .

القول في تأويل قوله تعالى

حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ ، قَالَتْ نَمْلَةٌ : يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ  
لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( حتى إذا أتوا على وادي النمل ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل . ( قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ، لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ) يقول : لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل يقال له الحكم ، عن عوف ، في قوله ( قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ) قال : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب .

(١) الوزع : كفت النفس عن هواها . وزعه وبه يزع ( يفتح الزاي وكسرهما ) وزعا : كفه . ويؤات : يوافق . قال في اللسان :  
وانته على الأمر : طارعه . والمؤاتاة : حسن المطاوعة . وآتيت على ذلك الأمر مؤاتاة : إذا وافقته وطاوعته . والعامية تقول : وآتية .  
ولانقل وآتية إلا في لغة لأهل اليمن . ومثله آسيت ، وآكلت ، وآمرت . وإنما جعلوها وأوا على تخفيف الهجزة .

(٢) البيت للنايبة الذبياني من قصيدة يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ( يختار الشعر الجاهل : بشرح مصطلق السقا ، طيبة الحلبي ١٥٦ وما بعدها ) قال : صفا : أفاق . والوازع : الكاف الزاجر عن الهو . والصبيا : الصبوة ، والميل إلى التشبه بأعمال الصبيان من العرش والهو .

القول في تأويل قوله تعالى

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبُّ أَوْزَعَنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ  
وَالِدِيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فتبسّم سليمان ضاحكا من قول الغملة التي قالت ما قالت ، وقال ( رَبُّ أَوْزَعَنِي  
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) يعني بقوله ( أَوْزَعَنِي ) ألهمني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( قال  
رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ) يقول : اجعلني .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( رَبُّ أَوْزَعَنِي أَنْ  
أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ) قال في كلام العرب ، تقول : أوزع فلان بفلان ، يقول : حرص  
عليه . وقال ابن زيد ( أَوْزَعَنِي ) ألهمني وحرصني على أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي .  
وقوله ( وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ) يقول : وأوزعني أن أعمل بطاعتك وماترضاه ( وَأَدْخِلْنِي  
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) يقول : وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين ، الذين اخترتهم لرسالتك ،  
وانتخبهم لوحيك ، يقول : أدخلني من الجنة مداخلهم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ  
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ) قال : مع عبادك الصالحين الأنبياء والمؤمنين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ؟ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا  
أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ (٢١)

يقول تعالى ذكره ( وَتَفَقَّدَ ) سليمان ( الطَّيْرَ ) فقال ما لي لا أرى الهدد ( وَكَانَ سَبَبُ تَفَقُّدِهِ  
الطير وسؤاله عن الهدد خاصة من بين الطير ، ما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا المعتمر بن سليمان ، قال :  
سمعت عمران ، عن أبي مجلز ، قال : جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدد : لِمَ تَفَقَّدَهُ  
سليمان من بين الطير ؟ فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسير له ، فلم يدر ما بعد الماء ،  
فقبل له : من يعلم بعد الماء ؟ قالوا : الهدد ، فذاك حين تفقده .

حدثنا محمد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا عمران بن حدير ، عن أبي مجلز ، عن ابن عباس وعبد الله ابن سلام بنحوه .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود يوضع له ست مئة كرسى ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم تجيء أشراف الجن ، فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتطيلهم ، ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فيينا هو في مسيره إذا احتاج إلى الماء ، وهو في فلاة من الأرض ، قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فيصيب موضع الماء ، قال : ثم تجيء الشياطين ، فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ، قال : ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق قف يا وقاف ، رأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض ، فيصيب الماء كيف يبصر هذا ، ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه ، قال : فقال له ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كان سليمان بن داود إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره ، حتى إذا كان ذات غداة في بعض زمانه ، غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فتفقد الطير . وكان فيها يزعمون يأتيه نوباً ، من كل صنف من الطير طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها قد حضره إلا الهدهد ، فقال : مالي لأرى الهدهد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أول ما فقد سليمان الهدهد نزل بواد ، فسأل الإنس عن مائه ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجن ، فدعا الجن فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير ، فدعا الطير فسألهم ، فقالوا : ما نعلم له ماء ، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد ، فلم يجده ، قال : فذاك أول ما فقد الهدهد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ ، فَقَالَ مَالِي لِأَرَى الْهُدْهُدَ ؟ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ) قال : تفقد الهدهد من أجل أنه كان يده على الماء إذا ركب ، وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فمن أجل ذلك تفقده ، فقال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الخنزير ما لم يبلغه الأجل ؛ فلما بلغ الأجل لم ينفعه الخنزير ، وحال القدر دون البصر ، فقد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ، ووهب بن منبه ، فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد ، وسؤاله عنه ، ليستخبره عن بُعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها ، والله أعلم بأى ذلك كان ، إذ لم يأتنا بأى ذلك كان تنزيل ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح .

فإن الصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير : إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها ، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء .

وقوله (فَقَالَ مَالِي لَأَرَى الْمُدَّ هُدَّ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ؟) يعني بقوله (مَالِي لَأَرَى الْمُدَّ هُدَّ) :  
أخطأه بصرى ، فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر ؟  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( مَالِي  
لَأَرَى الْمُدَّ هُدَّ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ ؟ ) أخطأه بصرى فى الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟  
وقوله (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) يقول : فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر ، وأنه غائب  
غير شاهد ، أقسم (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) ، وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها : أن  
ينتف ريشها .

وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا الحِمَّانِي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبَّير ، عن ابن  
عباس ، فى قوله (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عطاء ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ،  
فى (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) : عذابه : نتفه وتشميسه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه وتشميسه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريشه كله :  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قوله :  
(لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) قال : نتف ريش الهدهد كله ، فلا يعفو سنة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : نتف ريشه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله  
(لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَدَّآبَا شَدِيدًا) يقول : نتف ريشه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه حدث أن عذابه  
الذى كان يُعَذَّب به الطير ، نتف جناحه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قيل لبعض أهل العلم هذا الذبج ،  
فما العذاب الشديد ؟ قال : نتف ريشه بتركه بضعة تنزو .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن بشار ، عن ابن عباس ، في قوله ( **لَا تُعَدِّبْنَهُ عَدَا بَا شَدِيدًا** ) قال : نفيه .

حدثني سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن حسين بن أبي شدّاد ، قال : نفيه وتشميسه ، أو لأذبحه ، يقول : أو لأقتله .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( **أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ** ) يقول : أو لأقتله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن حصّين ، عن عبد الله بن شدّاد : ( **لَا تُعَدِّبْنَهُ عَدَا بَا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ** ) . . . الآية ، قال : فتلقاه الطير ، فأخبره ، فقال : ألم يستن : وقوله ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) يقول : أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحققتها . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا على بن الحسين الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمار الدهنى ، عن سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كل سلطان فى القرآن فهو حجة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) يقول : بيينة أعنره بها ، وهو مثل قوله ( **الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ** ) يقول : بغير بيينة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن رجل ، عن عكرمة ، قال : كل شيء فى القرآن سلطان ، فهو حجة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عبد الله ، بن يزيد ، عن قباث بن رزين ، أنه سمع عكرمة يقول : سمعت ابن عباس يقول : كل سلطان فى القرآن فهو حجة ، كان للهدهد سلطان .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) قال يعنر بين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) : أى بحجة عنده فى غيبته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) يقول بيينة ، وهو قول الله ( **الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ** ) بغير بيينة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( **أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ) قال : يعنر أعنره فيه .

(١) قباث بوزن سحاب ، ابن رزين النخعى ( ويقال : التجيبى ) . وقباث : اسم عربى .



القول في تأويل قوله تعالى

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَقَالَ أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢)

يعنى تعالى ذكره بقوله ( فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) فكث سليمان غير طويل، من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد.

واختلف القراء في قراءة قوله ( فَمَكَثَ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( فَمَكَثَ ) بضم الكاف، وقراه عاصم بفتحها، وكلنا القراءتين عندنا صواب، لأنهما لغتان مشهورتان، وإن كان الضم فيها أعجب إلى، لأنها أشهر اللغتين وأفصحهما.

وقوله ( فَقَالَ أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ) يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان.

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ( أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ) قال: ما لم تعلم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه ( فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ) ثم جاء الهدهد، فقال له سليمان: ما خلفك عن نوبتك؟ قال: أحطت بما لم تحيط به. وقوله ( وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) يقول: وجئتك من سبأ بخبر يقين.

وهو ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه ( وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ) : أى أدركت ملأكم لم يبلغه ملأكم.

واختلفت القراء في قراءة قوله ( مِنْ سَبَإٍ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ( مِنْ سَبَإٍ ) بالإجراء، المعنى أنه رجل اسمه سبأ. وقراه بعض قراء أهل مكة والبصرة ( مِنْ سَبَإٍ ) بترك الإجراء، على أنه اسم قبيلة، أو لامرأة.

والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، فالإجراء في سبأ، وغير الإجراء: صواب، لأن سبأ إن كان رجلاً كما جاء به الأثر، فإنه إذا أريد به اسم الرجل أجري، وإن أريد به اسم القبيلة لم يجز، كما قال الشاعر في إجرائه:

الْوَارِدُونَ وَتَسِيمٌ فِي ذَرَا سَبِيلٍ قَدَّ عَضَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ

يروى: ذرا، وذرى، وقد حدثت عن القراء عن الرؤاسي أنه سأل أبا عمرو بن العلاء كيف لم يجز سبأ، قال: لست أدري ما هو، فكان أبا عمرو ترك إجرائه، إذ لم يدر ما هو، كما تفعل العرب بالأسماء المجهولة

(١) استشهد المؤلف بهذا البيت مرة قبل هذه في (الجزء ١٤ : ١١٧) وهو من شواهد القراء في معاني القرآن (الورقة ١٧٢). ثم استشهد المؤلف به هنا مرة ثانية، على أن كلمة «سبأ» إن كان اسم قبيلة من اليمن، فهو ممنوع من الصرف، للعلمية والتأنيث، وإن لوحظ فيه أصله، وهو اسم أبي القبيلة، فهو مذكور مجرى.

التي لا تعرفها من ترك الإجراء، حكى عن بعضهم هذا أبو معرور قد جاء، فترك إجراءه، إذ لم يعرفه في أسماهم. وإن كان سباً جبلاً، أُجْرِي، لأنه يُرَاد به الجبل بعينه، وإن لم يجرفلأنه يجعل اسماً للجبل وما حوله من البقعة.

القول في تأويل قوله تعالى

إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا  
وَقَوْمَهَا يُسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)

يقول تعالى، مخبراً عن قبل الهدهد لسليان، مخبراً بعذره في مغيبه عنه: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ):  
يعنى تملك سباً، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذراً وحجة عند سليان، درأ به عنه ما كان أو عدي به، لأن  
سليان كان لا يرى أن في الأرض أحداً له مملكة معه، وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلاً حبب إليه  
الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على مملكته بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفره يعبدون غير الله، له  
في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، حقت  
للهدهد العذرة، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليان.

وقوله (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يقول: وأوتيت من كل شيء يؤتاه المملك في عاجل الدنيا، مما  
يكون عندهم من العتاد والآلة.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي عبيدة الباجي، عن الحسن، قوله  
(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يعنى: من كل أمر الدنيا.  
وقوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يقول: ولها كرسي عظيم. وعنى بالعظيم في هذا الموضع: العظيم  
في قدره، وعظم خطره، لاعظمه في الكبر والسعة.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جرير، عن عطاء الخراساني، عن  
ابن عباس، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) قال: سرير كريم، قال: حسن الصنعة. وعرشها: سرير من  
ذهب، قوائمه من جوهر ولؤلؤ.

قال: ثنى حجاج، عن أبي عبيدة الباجي، عن الحسن، قوله (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) يعنى: سرير

عظيم.

وقوله ( وَجَدَّهَا وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ) يقول : وجدت هذه المرأة ملكة سبأ ، وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس ، فيعبدها من دون الله . وقوله ( وَزَيْنَ الشَّيْطَانِ أَعْمَاتُهم ) يقول : وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وسجودهم لها من دون الله ، وحسب ذلك إليهم ( قَصَدَ هُمُ عَنِ السَّبِيلِ ) يقول : فنعهم بتزيينه ذلك لهم ، أن يتبعوا الطريق المستقيم ، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدّهم عن سبيل الحق ( فَهَمُّ لَآيَهْتَدُونَ ) يقول : فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين ، من السجود للشمس من دون الله والكفر به ، لا يهتدون لسبيل الحق ، ولا يسلكونه ، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

اختلفت القراء ، في قراءة قوله ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ) فقرأ بعض المكيين وبعض المدنيين والكوفيين ( أَلَا ) بالتخفيف ، بمعنى : ألا ياهؤلاء اسجدوا ، فأصمروا « هؤلاء » اكتفاء بدلالة « يا » عليها . وذكر بعضهم مباحا من العرب : ألا يا أرثمنا ، ألا يا تصدق علينا ، واستشهد أيضا بيت الأخطل :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدُ بِنِي بَدْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدًّا آخِرَ الدَّهْرِ

فعلی هذه القراءة « اسجدوا » في هذا الموضع جزم ، ولا موضع لقوله « أَلَا » في الإعراب . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ( أَلَّا يَسْجُدُوا ) بتشديد الألف ، بمعنى : وزين لهم الشيطان أعمالهم ، لئلا يسجدوا لله ، « أَلَّا » في موضع نصب ، لما ذكرت من معناه أنه لئلا ، ويسجدوا في موضع نصب بأن .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، مع صحة معنيهما .

واختلف أهل العربية في وجه دخول « يا » في قراءة من قرأه على وجه الأمر ، فقال بعض نحوّي البصرة : من قرأ ذلك كذلك ، فكأنه جعله أمرا ، كأنه قال لهم : اسجدوا ، وزاد « يا » بينهما التي تكون للتنبيه ، ثم أذهب ألف الوصل التي في اسجدوا ، وأذهبت الألف التي في « يا » لأنها ساكنة لقيت السين ، فصار

(١) البيت : نسبة في (اللسان: عدا) إلى الأخطل التغلبي الشاعر الأموي . قال : وقد جاء في الشعر « العدى » بمعنى الأعداء . وقال ابن الأعرابي في قول الأخطل : « ألا يا اسلمي » . . . البيت : العدى : التباعد . وقوم عدى : إذا كانوا ، متباعدين لا أرحام بينهم ولا حلف . وقوم عدى : إذا كانوا حربيا . وقد روى البيت بالكسر والضم ، مثل سوى وسوى . الأصمعي : يقال : هؤلاء قوم عدى ، مقصور ، يكون للأعداء والغرباء . ولا يقال : قوم عدى ولا يقال : قوم عدى (بضم العين) إلا أن تدخل الهاء ، فتقول : عداة ، في وزن قضاة . قال أبو زيد : طالعت عداؤهم ، أي تباعدهم وتفرقتهم . وشاهد المؤلف في هذا البيت : أن حرف النداء يا ، داخل على منادى مخوف . تقديره ألا يا هذه اسلمي . وهو نظير قول الله عز وجل : « ألا يا اسجدوا » تقديره : ألا ياهؤلاء اسجدوا . فأصمروا هؤلاء ، اكتفاء بدلالة « يا » عليها .

ألا يسجدوا . وقال بعض نحوبي الكوفة : هذه « يا » التي تدخل للنداء ، يكتفى بها من الاسم ، ويكتفى بالاسم منها ، فتقول : يا أقبل ، وزيد أقبل ، وما سقط من السواكن فعلى هذا .  
 ويعنى بقوله ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ ) يخرج الخبوء في السموات والأرض ، من غيث في السماء ، ونبات في الأرض ، ونحو ذلك .  
 وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، وإن اختلفت عبارتهم عنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن جبريغ ، قراءة عن مجاهد ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ ) قال : الغيث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ ) قال : الغيث .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : خبء السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق ، والمطر من السماء ، والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر هذه ، ولا تنبت هذه ، ففتق السماء ، وأنزل منها المطر ، وأخرج النبات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن حكيم ابن جابر ، في قوله ( أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) ويعلم كل خفية في السموات والأرض .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أسامة بن زيد ، عن معاذ بن عبد الله ، قال : رأيت ابن عباس على بغلة يسأل تبعا ابن امرأة كعب : هل سألت كعبا عن البذر تنبت الأرض العام لم يصب العام الآخر ، قال : سمعت كعبا يقول : البذر ينزل من السماء ، ويخرج من الأرض ، قال : صدقت .

قال أبو جعفر : إنما هو تبييع ، ولكن هكذا قال محمد . وقيل : يخرج الخبء في السموات والأرض ، لأن العرب تضع «مين» مكان «في» ، و«في» مكان «مين» في الاستخراج (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) يقول : ويعلم السر من أمور خلقه ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها ، وذلك على قراءة من قرأ أَلَّا بالتشديد . وأما على قراءة من قرأ بالتخفيف فإن معناه : ويعلم ما يسره خلقه الذين أمرهم بالسجود بقوله : أَلَّا يَا هَؤُلَاءِ اسْجُدُوا . وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي ( أَلَّا تَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ ) .

وقوله ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) يقول تعالى ذكره : الله الذي لا تصلح العبادة إلا له ، لا إله إلا هو ، لا معبود سواه تصلح له العبادة ، فأخلصوا له العبادة ، وأفردوه بالطاعة ، ولا تشركوا

به شيئاً ( رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) يعنى بذلك : مالك العرش العظيم الذى كل عرش ، وإن عظم فدونه ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ ) إلى قوله ( لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ) هذا كله كلام المهدد .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى

\* قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا ، فَأَلْقَيْهِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره ( قَالَ ) سليمان للمهدد ( سَنَنْظُرُ ) فيما اعتذرت به من العذر ، واحتججت به من الحججة لغيبتك عنا ، وفيما جئتنا به من الخبر ( أَصَدَقْتَ ) فى ذلك كله ( أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) فيه ( أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْهِ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ) فانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ .

فاختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : اذهب بكتابى هذا ، فألقه إليهم ، فانظر ماذا يَرْجِعُونَ ، ثم تولى عنهم منصرفاً إلى ، فقال : هو من المؤخر الذى معناه التقديم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : فأجابه سليمان ، يعنى أجاب المهدد لما فرغ ( قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَيْهِ إِلَيْهِمْ ) وانظر ماذا يرجعون ، ثم تولى عنهم منصرفاً إلى ، وقال : وكانت لها كوة مستقبلة الشمس ، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها ، فجاء المهدد حتى وقع فيها فسدّها ، واستبطأت الشمس ، فقامت تنظر ، فرى بالصحيفة إليها من تحت جناحه ، وطار حتى قامت تنظر الشمس .

قال أبو جعفر : فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن المهدد تولى إلى سليمان راجعاً ، بعد إلقائه الكتاب ، وأن نظره إلى المرأة ما الذى ترجع وتفعل ؟ كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ، ثم تولى عنهم ، فكأن قريباً منهم ، وانظر ماذا يرجعون ؛ قالوا : وفعل المهدد ، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكها ، وقولها لهم : ( لَآتَى الْكُفَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضاً .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قوله ( فَأَلْقَيْهِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ) : أى كن قريباً ( فانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ) . وهذا القول أشبه

بتأويل الآية ، لأن مراجعة المرأة قومها ، كانت بعد أن أتى إليها الكتاب ، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعونه ، قبل أن يفعل ما أمره به سليمان .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتِي بِكِتَابٍ كَرِيمٍ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ  
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىِّ وَأَتُونِي مِنْ مُسْلِمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره : فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها ، فألقاه إليها ، فلما قرأته قالت لقومها ( يا أيُّها الملأ ، إني أتيتكم إلى كتاب كريم ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كتب ، يعنى سليمان بن داود مع الهدهد : بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن داود ، إلى بلقيس بنت ذى شرح وقومها . أما بعد ، فلا تعلموا على ، وأتوني مسلمين ، قال : فأخذ الهدهد الكتاب برجله ، فانطلق به حتى أتاها ، وكانت لها كوة في بيتها إذا طلعت الشمس نظرت إليها ، فسجدت لها ، فأتى الهدهد الكوة فسداها بجناحيه ، حتى ارتفعت الشمس ولم تعلم ، ثم أتى الكتاب من الكوة ، فوقع عليها في مكانها الذي هي فيه ، فأخذته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أنها امرأة يقال لها « بلقيس » ، أحسبه قال : ابنة شراحيل ، أحد أبويها من الجن ، مؤخر أحد قدميها كحافر الدابة ، وكانت في بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاث مئة واثني عشر ، كل رجل منهم على عشرة آلاف ، وكانت بأرض يقال لها مسأرب ، من صنعاء على ثلاثة أيام ، فلما جاء الهدهد بنجرها إلى سليمان بن داود ، كتب الكتاب وبعث به مع الهدهد ، فجاء الهدهد وقد غلقت الأبواب ، وكانت تغلقت أبوابها ، وتضع مفاتيحها تحت رأسها ، فجاء الهدهد ، فدخل من كوة ، فألقى الصحيفة عليها ، فقرأتها ، فإذا فيها : ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَىِّ ، وَأَتُونِي مِنْ مُسْلِمِينَ ) .  
وكذلك كانت تكتب الأنبياء لاتنظن ، إنما تكتب جملا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : لم يزد سليمان على ما قص الله في كتابه : إنه ، وإنه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ) ففضى الهدهد بالكتاب ، حتى إذا حاذى الملكة وهي على عرشها ، أتى إليها الكتاب .

وقوله ( قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) والملا: أشرف قومها ، يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشرف قومها ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) .  
واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم ، فقال بعضهم : وصفته بذلك لأنه كان محتوما .  
وقال آخرون : وصفته بذلك لأنه كان من ملك ، فوصفته بالكرم لكرم صاحبه . ومن قال ذلك ابن زيد .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) قال : هو كتاب سليمان حيث كتب إليها .  
وقوله ( إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) كُسِرَتْ إِنْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ عَلَى الرَّدِّ عَلَى إِيَّيْهِ مِنْ قَوْلِهِ ( إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ) . ومعنى الكلام : قالت : يا أيها الملا، إني ألقى إلى كتاب ، وإنه من سليمان .

وقوله ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ) يقول : ألقى إلى كتاب كريم : ألا تعلموا علي .  
ففي أن وجهان من العربية : إن جعلت بدلا من الكتاب ، كانت رفعا بما رفع به الكتاب ، بدلا منه ؛ وإن جعل معنى الكلام : إني ألقى إلى كتاب كريم : أن لا تعلموا علي كانت نصبا ، بتعلق الكتاب بها .  
وعنى بقوله ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) : أن لا تتكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه .  
كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَلَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) :  
أن لا تمتنعوا من الذي دعوتكم إليه إن امتنعتم جاهدكم ، فقلت لابن زيد ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ) أن لا تتكبروا علي ، قال : نعم ؛ قال : وقال ابن زيد ( أَنْ لَا تَعْلَمُوا عَلَيَّ ، وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ) ذلك في كتاب سليمان إليها . وقوله ( وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ) يقول : وأقبلوا إلى مدعنين لله بالوحدانية والطاعة .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا :  
نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِيْدٍ ، وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ ، فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)  
يقول تعالى ذكره : قالت ملكة سبأ لأشرف قومها ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ) تقول : أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني ، من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إلي ، فجعلت المشورة فتيا .  
وقوله ( مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ) : تقول : ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون ، فأشاوركم فيه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : دعت قومها تشاورهم ( أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ، مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ) يقول في الكلام : ما كنت لأقطع أمرا دونك ، ولا كنت لأقضي أمرا ، فلذلك قالت ( مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا ) بمعنى : قاضية .

وقوله ( قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسًا شَدِيدًا ) يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، ففسرينا نأتمر لأمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ( قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسًا شَدِيدًا ) عرضوا لها القتال، يقاتلون لها، والأمر إليك بعد هذا، فانظري ماذا تأمرين. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان مع ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول<sup>١</sup>، مع كل قبول<sup>١</sup> مئة ألف.

حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن عطاء بن السائب، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان مع بلقيس مئة ألف قبيل، مع كل قبيل مئة ألف. قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، قال: سمعت مجاهدا يقول: كانت تحت يد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قبول، والقبول<sup>١</sup> بلسانهم: الملك تحت يد كل ملك مئة ألف مقاتل.

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) عَنُوه. وغلبت (أَفْسَدُوهَا) يقول: خربوها (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم، وتناهي الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع، فقال الله (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عَنُوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو بكر، في قوله (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) قال أبو بكر: هذا عَنُوه.

حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: ثنا أبو بكر، قال: ثنا الأعمش، عن مسلم، عن ابن عباس، في قوله (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً) أَفْسَدُوهَا (قال: إذا دخلوها عَنُوه خربوها).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس (قَالَتْ

(١) القبيل، بفتح فسكون: الملك الصغير في اليمن، وجمعه أقبال وقبول. وأما القبول، ولعله بفتح القاف، للملك الواحد، فلم أجده بالمعجم، ولعله لفظ عام عند اليمن.



إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا: وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ) قال ابن عباس: يقول الله (وكذلك يَفْعَلُونَ).

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ :  
أَتُمِدُّونَ بِنَالٍ ؟ فَمَا ، أَتَمَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)  
أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا تَيَسَّرَ لَهَا لَأَقْبَلَ لَهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)  
ذكر أنها قالت : إني مرسله إلى سليمان ، لتختبره بذلك وتعرفه به ، أملك هو ، أم نبي ؟ وقالت : إن  
يكن نبيا لم يقبل الهدية ، ولم يرضه منا ، إلا أن يتبعه على دينه ، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف .

ذكر الرواية عن قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قالت :  
( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ؟ ) قال : وبعثت إليه بوصائف  
ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لا يعرف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زَيْلَ بينهم حتى يعرف الذكر  
من الأنثى ، ثم رد الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ، ونتبع دينه ، ونلحق به .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال :  
يجوار لباسهم لباس الغلمان ، وغلمان لباسهم لباس الجوارى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قولها ( وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ  
إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ) قال : ميثي غلام وميثي جارية . قال ابن جريج ، قال مجاهد : قوله ( بِهَدِيَّةٍ )  
قال : جوار ألبستن لباس الغلمان ، وغلمان ألبستهم لباس الجوارى .  
قال ابن جريج ، قال : قالت : فإن خلص الجوارى من الغلمان ، ورد الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا  
أن نتبعه .

قال ابن جريج ، قال مجاهد : فخلص سليمان بعضهم من بعض ، ولم يقبل هديتها .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن ثابت البناني ، قال : أهدت له صفائح الذهب ،  
في أوعية الديباج ؛ فلما بلغ ذلك سليمان ، أمر الجن فوهوا له الأجر بالذهب ، ثم أمر به فألقى في الطرق ؛  
فلما جاءوا فرأوه ملقى ، ما يلتفت إليه ، صغر في أعينهم ما جاءوا به .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا

قَرِيَّةً أَفْسَدُوهَا) . . . الآية ، وقالت : إن هذا الرجل إن كان إنما همته الدنيا فسُنْزِيهِه ، وإن كان إنما يريد الدين ، فلن يقبلَ غيره (وَإِذَا مَرُسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ ، فَتَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ) ؟ حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملئك ، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها ، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك ، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر : الزنديقية ؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها ، فبعثت إلى المتأولة من أهل اليمن ، فقالت لهم ( يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ النَّاسِ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ، وَإِنَّهُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيٌّ ، وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ) إلى قوله (بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) ثم قالت : إنه قد جاءني كتاب لم يأتي مثله من ملك من الملوك قبله ، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا ، فلا طاقة لنا به ولا قوة ، وإن يكن الرجل ملكا يكثر ، فليس بأعز منا ، ولا أعدى ، فهيأت هدايا مما يهدى للملوك ، مما يفتنون به ، فقالت : إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ، ويرغب في المال ، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا حاجة ، وليس إياها يريد ، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ، ونقبه على أمره ، أو كما قالت .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَإِذَا مَرُسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) بعثت بوصائف ووصفاء ، لباسهم لباس واحد ، فقالت : إن زيل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم رد الهدية ، فهو نبي ، وينبغي لنا أن نتبعه ، وندخل في دينه ، فزيل سليمان بين الغلمان والحواري ، ورد الهدية فقال ( أُوْتِمِدُّوْنَنِي بِمَالٍ ؟ قَنَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا آتَاكُمْ ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان في الهدايا التي بعثت بها وصائف ووصفاء يختلفون في ثيابهم ، ليميز الغلمان من الحواري ، قال : فدعا بماء ، فجعل الحواري يتوضآن من المرفق إلى أسفل ، وجعل الغلمان يتوضئون من المرفق إلى فوق . قال : وكان أبي يحدثنا هذا الحديث . حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : ثنا إسماعيل ، عن أبي صالح (وَإِذَا مَرُسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ) قال : أرسلت بكنينة من ذهب ، وقالت : إن كان يريد الدنيا علمته ، وإن كان يريد الآخرة علمته .

وقوله ( فَتَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ) تقول : فأنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلها إليه ترجع رسلتي ؟ أقبول وانصراف عنا ، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا بإتباعه على دينه ؟ وأسقطت الألف من « ما » في قوله (بِمَ) ، وأصله : بما ، لأن العرب إذا كانت « ما » بمعنى : أي ؟ ثم وصلوها بحرف خافض ، أسقطوا ألفها ، تفريقا بين الاستفهام وغيره ، كما قال جل ثناؤه ( عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ) ؟ وقالوا : فيم كنتم ؟ وربما أثبتوا فيها الألف ، كما قال الشاعر :

عَلَامًا قَامَ يَشْتُمُنِي لِشَيْمٍ كَخَيْتَزِيرٍ تَمَرَّخَ فِي تَرَابٍ

(١) البيت لحسان بن ثابت ، وهو من شواهد كتاب « المعنى لابن هشام » ما « وفي قافيته روايتان أخريان : ( في دمان ، في رماد ) . قال ابن هشام : ويجب حذف ألف « ما » الاستفهامية إذا جرت ، وإبقاء الفتحة دليلا عليها ، نحو : فيم ، وإلام ؟ وعلام ؟ وبم ؟ =

وقالت (وَأَتَى مُرْسِلَةً إِلَيْهِمْ) ، وإنما أرسلت إلى سليمان وحده، على النحو الذي بيننا في قوله ( على خوفٍ من فيرعونٍ وملثيهم ) ، وقوله ( فلَمَّا جاءَ سُلَيْمَانَ قالَ أُمِّمِدُّونِني بِمَآلٍ ) .  
 إن قال قائل : وكيف قيل ( فلَمَّا جاءَ سُلَيْمَانَ ) فجعل الخبر في مجيء سليمان عن واحد ، وقد قال قبل ذلك ( فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ) فإن كان الرسول كان واحدا ، فكيف قيل ( بِمِ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ) ؟ وإن كانوا جماعة فكيف قيل ( فلَمَّا جاءَ سُلَيْمَانَ ) ؟ قيل : هذا نظير ما قد بيننا قبل ، من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد ، على وجه الخبر عن جماعة ، إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه ، يُشار إليه بعينه ، فسُمي في الخبر . وقد قيل : إن الرسول الذي وجهته ملكة سبأ إلى سليمان ، كان أمرا واحدا ، فلذلك قال ( فلَمَّا جاءَ سُلَيْمَانَ ) يُراد به : فلما جاء الرسول سليمان ، واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك ، بقول سليمان للرسول : ارجع إليهم ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ، فلما جاءوا سليمان على الجمع ، وذلك للفظ قوله ( بِمِ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ ) ؟ فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى .  
 وقوله ( قال أُمِّمِدُّونِني بِمَآلٍ ) ؟ يقول : قال سليمان لما جاء الرسول من قبيل المرأة بهداياها : أتمدونني بمال ؟ واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء أهل المدينة ( أُمِّمِدُّونِني ) بنونين ، وإثبات الياء . وقرأه بعض الكوفيين مثل ذلك ، غير أنه حذف الياء من آخر ذلك ، وكسر النون الأخيرة . وقرأه بعض قراء البصرة بنونين ، وإثبات الياء في الوصل ، وحذفها في الوقف . وقرأه بعض قراء الكوفة بتشديد النون ، وإثبات الياء . وكل هذه القراءات متقاربات ، وجميعها صواب ، لأنها معروفة في لغات العرب ، مشهورة في منطقتها .  
 وقوله ( قَنا آتاني اللهُ حَسيْرٌ مِمَّا آتاكمُ ) يقول : فما آتاني الله من المال والدنيا ، أكثر مما أعطاكم منها وأفضل . ( بَلْ أنتمُ بهديتِكُم تفرحون ) يقول : ما أفرح بهديتكم التي أهديتم لي ، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم ، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ، ومكاثرة بها ، وليست الدنيا وأمواها من حاجتي ، لأن الله تعالى ذكره قد مكنتني منها ، وملكتني فيها ما لم يملك أحد . ( ارجع إليهم ) وهذا قول سليمان لرسول المرأة ( ارجع إليهم فلتنأيتيهم يحشود لاقبيلهم ) : لاطاقة لهم بها ، ولاقدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما أتت الهدايا سليمان ، فيها الوصائف والوصفاء ، والخيل العراب ، وأصناف من أصناف الدنيا ، قال للرسول

« وعلة حذف الألف : الفرق بين الاستفهام والخبر ، فلهذا حذف في نحو : « فم أنت من ذكراها ؟ فناطرة بم يرجع المرسلون ؟ لم تقولون مالا تقولون ؟ » وأما قراءة عكرمة وعيسى : عما يتساءلون ؟ فتأدر . وأما قول حسان : « على ما قام . . . البيت ، فضرورة . والذمان كالرماد : وزنا ومعنى . ويروي : في رماد ؟ فلذلك رجحه على تفسير ابن السجري له بالسرجين . ومثله قول الآخر :

إنا قلنا بقتلنا سراتكم أهل اللواء فقيما يكثر القيل

وهذا يتضمن معنى قول المؤلف في هذا الشاهد .

الذين جاءوا به (أُتِمِدْتُ وَنَسِي بِمَالٍ؟ فَمَا آتَانِي اللَّهُ حَسِيرٌ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيْتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لأنه لا حاجة لي بهديتكم ، وليس رأيي فيه كرايكم ، فارجعوا إليها بما جئتم به من عندها ، (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجْنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجْنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا) قال : لاطاقة لهم بها .

وقوله (وَلَنُخْرِجَنَّهْمُ مِنْهَا أذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) يقول : ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون ، إن لم يأتوني مسلمين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : (وَلَنُخْرِجَنَّهْمُ مِنْهَا أذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) ، أو لتأنيب مسلمة هي وقومها .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَا تَيْبِي بَعْرَشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجَنُّ أَنَا ، أَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِي أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ، أَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي ، أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ، وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)

اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان (يا أيها الملأ أيكم يا تيبني بعرشها) فقال بعضهم : قال ذلك حين أتاه الهدهد نبأ صاحبة سبأ ، وقال له (جئتك من سبأ بنتاً يقين) وأخبره أن لها عرشاً عظيماً ، فقال له سليمان صلى الله عليه وسلم (ستنظرون صدقت أم كنت من الكاذبين) . فكان اختبار صدقه من كذبه بأن قال هؤلاء : أيكم يا تيبني بعرش هذه المرأة ، قبل أن يأتوني مسلمين ؟ وقالوا : إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدهد إلى المرأة ، بعد ما صح عنه صدق الهدهد ، بمعنى العالم بعرشها إليه ، على ما وصفه به الهدهد . قالوا : ولولا ذلك كان محالاً أن يكتب معه كتاباً إلى من لا يدري : هل هو في الدنيا أم لا ؟ قالوا : وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة ، قبل مجيء عرشها إليه ، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك ، لم يكن لقوله له (ستنظرون صدقت أم كنت من الكاذبين) معنى ، لأنه لا يلبس بخبره الثاني ، من إبلاغه إياها الكتاب ، أو ترك إبلاغه إياها ذلك ، إلا نحو الذي علم بخبره الأول ، حين قال له (جئتك من سبأ بنتاً يقين) قالوا : وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه ، وكان

محالا أن يقول نبي الله قولاً لا معنى له ، وقد قال ( سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه ، هو مصير عرش المرأة إليه ، على ما أخبره به الهدهد ، الشاهد على صدقه ، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : إن سليمان أوتي ملكا ، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره ؛ فلما فقد الهدهد سأله : من أين جئت ؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب ، قال ( جِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنْتِ ابْنِ يَثْرِبَ ) قال له سليمان : ما هذا النبا ؟ قال الهدهد : ( إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً ) بسبا ( تَمْلِكُهُمْ ) ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم ) فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا ، أنكروا أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره ، فقال لمن عنده من الجن والإنس ( يا أيها الملأ ، أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك ، وإني عليه لنقوي آمين ) . قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر ، الذي إذا دعى به أجاب : ( أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) فدعا بالاسم ، وهو عنده قائم ، فاحتمل العرش احتمالا ، حتى وضع بين يدي سليمان ، والله صنع ذلك ؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون ، يسجدون للشمس والقمر ، أخبره الهدهد بذلك ، فكتب معه كتابا ثم بعثه إليهم ، حتى إذا جاء الهدهد الملكة أتى إليها الكتاب ( قالت يا أيها الملأ إني ألقيت إلى كتاب كريم ) . . . إلى ( وأتوني مسلمين ) فقالت : لقومها ما قالت ( وإني مرسلت إليهم بهديتة ، فنظيرة بم يرجع المرسلون ) قال : وبعثت إليه بوصائف ووصفاء ، وألبستهم لباسا واحدا ، حتى لا يعترف ذكر من أنثى ، فقالت : إن زيل بينهم ، حتى يعرف الذكر من الأنثى ، ثم ردت الهدية ، فإنه نبي ، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به ، فرد سليمان الهدية ، وزيل بينهم ، فقال : هؤلاء غلمان ، وهؤلاء جوار . وقال ( أتمدوني بما قال ؟ فما أتاني الله خبير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ) . . . إلى آخر الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ) . . . الآية ؛ قال : وأنكر سليمان أن يكون لأحد على الأرض سلطان غيره ، قال لمن حوله من الجن والإنس ( أياكم يأتيني بعرشها ) . . . الآية ؟ وقال آخرون : بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب ، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة ، بعد ما خرجت رسلها من عنده ، وبعد أن أقبلت المرأة إليه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به طاقة ، وما نصنع

بمكائرتة شيئا ، وبعثت : إني قادمة عليك بملوك قومي ، حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها ، الذي كانت تجلس عليه ، وكان من ذهب ، مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، وكانت إنما يخدمها النساء ، معها ست مئة امرأة يخدمنها ، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها ، احتفظ بما قبلك ، وبسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيك ، ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف ، قبل معها من ملوك اثنين ، تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن ، فيأتونه بمسيرها ومنهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ، ممن تحت يده ، فقال ( يا أيُّها الملأ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) .

وتأويل الكلام : قال سليمان لأشراف من حضره من جنده ، من الجن والإنس : ( يا أيُّها الملأ ، أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ؟ ) يعني سريرها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ) قال : سرير في أريكة هـ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عرشها سرير في أريكة . قال ابن جريج : سرير من ذهب ، قوائمه من جوهر ولؤلؤ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ) : بسريرها .

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ؟ ) قال : مجلسها .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خص سليمان مسألة الملأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين إملاكها قبل إسلامها ، فقال بعضهم : إنما فعل ذلك لأنه أعجبه حين وصف له الهدهد صفته ، وخشي أن تسلم ، فيحرم عليه مالها ، فأراد أن يأخذ سريرها ذلك قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : أخبر سليمان الهدهد أنها قد خرجت لتأتيه ، وأخبر بعرشها فأعجبه ، كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل باللؤلؤ ، فعرف أنهم إن جاءوه مسلمين ، لم تحل لهم أموالهم ، فقال للجن ( أيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ) ؟

وقال آخرون : بل فعل ذلك سليمان ، ليعاتبها به ، ويختبر به عقلها ، هل تثبته إذا رأته ، أم تنكره ؟

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أعلم الله سليمان أنها ستأتيه ، فقال :

( أَيْكُمْ يَا تَيْبِي بَعْرَثِيهَا قَبْلَ أَنْ يَا تُونِي مُسْلِمِينَ ) حتى يعاتبها ، وكانت الملوك يتعابون بالعلم .  
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( قَبْلَ أَنْ يَا تُونِي مُسْلِمِينَ ) فقال بعضهم : معناه : قبل أن  
يأتوني مستسلمين طوعا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قَبْلَ  
أَنْ يَا تُونِي مُسْلِمِينَ ) يقول : طائعين .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : قبل أن يأتوني مسلمين الإسلام الذي هو دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ( أَيْكُمْ يَا تَيْبِي  
بَعْرَثِيهَا قَبْلَ أَنْ يَا تُونِي مُسْلِمِينَ ) بحُرْمَةِ الإسلام ، فيمنعهم وأموالهم ، يعنى الإسلام بمنعهم .  
قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب ، في السبب الذي من أجله خصّ سليمان بسؤاله الملائ من جنده  
بإحضاره عرش هذه المرأة ، دون سائر ملكها عندنا ، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ، ويعرفها بذلك قُدرة  
الله وعظيم شأنه : أنها حكّفته في بيت في جوف أبيات ، بعضها في جوف بعض ، مُغْلَقٍ مُقْفَلٍ عليها ، فأخرجه  
الله من ذلك كله ، بغير فتح أغلاق وأقفال ، حتى أوصله إلى وليه من خلقه ، وسلمه إليه ، فكان لها  
في ذلك أعظم حجة ، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان ، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته .  
فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله ( قَبْلَ أَنْ يَا تُونِي مُسْلِمِينَ ) بتأويله ، فقول ابن عباس ، الذي  
ذكرناه قَبْلُ ، من أن معناه طائعين ، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أتته مسلمة ، وإنما أسلمت بعد مقدّمها عليه ،  
وبعد محاورة جرت بينهما ومُساءلة .

وقوله ( قَالَ عِيفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ ) يقول تعالى ذكره : قال رئيس من الجنّ مارد قوى . وللعرب  
فيه لغتان : عِيفْرِيَّتُ ، وعِيفْرِيَّةُ ؛ فن قال : عِيفْرِيَّةُ ، جمعه : عِيفْرِيَّةُ ؛ ومن قال : عِيفْرِيَّتُ ، جمعه : عِيفْرِيَّتُ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج ، قال مجاهد ( قال  
عِيفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ ) قال : مارد من الجنّ ( أنا آتيتك به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله :  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن بعض أصحابه ( قال عِيفْرِيَّتُ )  
قال : داهية .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبّي ، قال :  
العفريت الذي ذكره الله اسمه : كوزن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، قال : غفريت اسمه كوزن .  
وقوله ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) يقول : أنا آتِيكَ بعرشها قبل أن تقوم من  
مقعدك هذا . وكان فيما ذُكر قاعدا للقضاء بين الناس ، فقال : أنا آتِيكَ به قبل أن تقوم من مجلسك هذا ،  
الذي جلست فيه للحكم بين الناس . وذُكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وغيره ، مثله . قال : وكان يقضى ،  
قال : قبل أن تقوم من مجلسك الذي تقضى فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ( أنا  
آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) يعنى مجلسه .  
وقوله ( وَإِنِّي عَلَى لَتَقُولُنَّ آمِينَ ) على ما فيه من الجواهر ، ولا أخون فيه .  
وقد قيل : أمين على فرج المرأة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنِّي  
عَلَيْهِ لَتَقُولُنَّ آمِينَ ) يقول : قوى على حمله ، أمين على فرج هذه .  
قوله ( قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) يقول جل ثناؤه : قال الذي عنده علم من كتاب الله ،  
وكان رجلا فيما ذُكر من بني آدم ، فقال بعضهم : اسمه بليخا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عثمة ، قال : ثنا شعبة ، عن بشر ، عن قتادة ، في قوله ( قَالَ  
الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) قال : كان اسمه بليخا .  
حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إسماعيل ، عن أبي صالح ، في قوله ( الَّذِي  
عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ) رجل من الإنس .

حدثنا ابن عرفة ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول  
الله ( قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ) قال : أنا أنظر في كتاب ربّي ، ثم آتِيكَ  
به ( قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) قال : فتكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش تحت الأرض ، حتى  
خرج إليهم :



حدثنا ابن عرفة ، قال : ثني حماد بن محمد ، عن عثمان بن مطر ، عن الزهري ، قال : دعا الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا ، لا إله إلا أنت ، انثني بعرشها ، قال : فثقل بين يديه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) قال : رجل من بني آدم ، أحسبه قال : من بني إسرائيل ، كان يعلم اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الذي عنده علم من الكتاب ) قال : الاسم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وهو : يا ذا الجلال والإكرام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : قال سليمان لمن حوله ( أَيُّكُمْ يَا تَيْبِي بَعْرُشِيَا قَبْلَ أَنْ يَا تُتُوِي مُسْلِمِيْنَ ) فقال عفريت : ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ) قال سليمان : أريد أعجل من ذلك ، فقال رجل من الإنس عنده علم من الكتاب ، يعني اسم الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( قال عفريت من الجن أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْكَ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ) لا آتِيكَ بغيره ، أقول : غيره : أمثله لك . قال : وخرج يومئذ رجل عابد في جزيرة من البحر ، فلما سمع العفريت ( قال أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) قال : ثم دعا باسم من أسماء الله ، فإذا هو يُحْمَلُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وقرأ ( فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ) ... حتى بلغ ( إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال رجل من الإنس . قال : وقال مجاهد : الذي عنده علم من الكتاب : علم اسم الله . وقال آخرون : الذي عنده علم من الكتاب ، كان آصف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال عفريت لسليمان ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّي عَلَيْكَ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ) . فزعموا أن سليمان بن داود قال : أبتغي أعجل من هذا ، فقال آصف بن برخيا ، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم ، الذي إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى : ( أنا ) يا نبي الله ( آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) .

وقوله ( أنا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : معناه : أنا آتِيكَ به قبل أن يصل إليك من كان منك على مد البصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني إبراهيم ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن

جُبَيْر (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى ، فذلك قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال غير قتادة (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قبل أن يأتيك الشخص من مدّ البصر .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من قبل أن يبلغ طرفك مداه وغايته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) تمدّ عينك ، فلا ينتهي طرفك إلى مداه ، حتى أمثله بين يديك ، قال : ذلك أريد . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، عن إسماعيل ، عن سعيد بن جبّير ، قال : أخبرت أنه قال : ارفع طرفك من حيث يجيء ، فلم يرجع إليه طرفه حتى وضع العرش بين يديه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء ، عن مجاهد ، في قوله (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : مدّ بصره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يردّ الطرف خاسئاً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) قال : إذا مدّ البصر حتى يحسّر الطرف .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره ، وذلك أن معنى قوله (يَرْتَدَّ إِلَيْكَ) يرجع إليك البصر ، إذا فتحت العين غير راجع ، بل إنما يمتدّ ماضياً إلى أن يتناهي ما امتدّ نوره . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك (أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) لم يكن لنا أن نقول : (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ) راجعاً (إِلَيْكَ طَرْفُكَ) من عند منتهاه .

وقوله (فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ) يقول : فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقراً عنده : وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك ، وهو : فدعا الله ، فأُتِيَ به ؛ فلما رآه سليمان مستقراً عنده . وذُكِرَ أن العالم دعا الله ، فغار العرش في المكان الذي كان به ، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : ذكروا أن آصف بن برخيا توطأ ، ثم رقع ركعتين ، ثم قال : يا نبي الله ، امدد عينك حتى ينتهي طرفك ،

فقد سلبان عينه ينظر إليه نحو اليمن ، ودعا آصف ، فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه ، ثم نبع بين يدي سليمان ، فلما رآه سليمان مستقراً عنده ( قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ) . . . الآية .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نبع عرشها من تحت الأرض .  
 وقوله ( قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ) يقول : هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه ، حتى حُمِلَ إلى عرش هذه في قدر ارتداد الطرف ، من مأرب إلى الشام ، من فضل ربّي الذي أفضّلته عليّ ، وعطائه الذي جاد به عليّ ، ليلوني ، يقول : ليختبرني ويمتحنني ، أشكر ذلك من فعله عليّ ، أم أكفر نعمته عليّ ، بترك الشكر له .  
 وقد قيل : إن معناه : أشكر على عرش هذه المرأة ، إذ أتيت به ، أم أكفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ ) على السرير إذ أتيت به ( أم أكفر ) إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني ؟  
 وقوله ( وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن شكر نعمة الله عليه ، وفضله عليه ، فإنما يشكر طلب نفع نفسه ، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه ، لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه ، وإنما دعاهم إلى شكره ، تعريضا منه لهم للنفع ، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعاً إلى نفسه ، ولا دفع ضرر عنها ، ( وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ) يقول : ومن كفر نعمه وإحسانه إليه ، وفضله عليه ، لنفسه ظلم ، وحفظها بجنس ، والله غني عن شكره ، لا حاجة به إليه ، لا يضره كفر من كفر به من خلقه . كريم ، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه ، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ : نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَهْتَدِيَّ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : قال سليمان لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ ، وقدمت هي عليه لخدمته : غيروا هذه المرأة سريرها :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : غيروا :

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : فلما أته ( قال نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : وتنكير العرش ، أنه زيد فيه ونقص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : غيره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) قال : مجلسها الذي تجلس فيه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول ، أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا ) : أمرهم أن يزيدوا فيه ، وينقصوا منه .

وقوله ( نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) يقول : ننظر أتعقل فثبت عرشها أنه هو الذي لها ( أم تكون من الذين ) يقول : من الذين لا يعقلون ، فلا تثبت عرشها .

وقيل : إن سليمان إنما نَكَرَ لها عرشها ، وأمر بالصَّرْحَ يعمل لها ، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها ، وأن رجلها كحافر حمار ، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) قال : زيد في عرشها ونقص منه ، لينظر إلى عقلها ، فوجدت ثابتة العقل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) أتعرفه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي ) قال : تعرفه .

حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه : ( أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ) : أي أتعقل ، أم تكون من الذين لا يعقلون ؟ ففعل ذلك لينظر أتعرفه ، أم لا تعرفه ؟

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهْكَذَا عَرْشُكَ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ . وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : لما جاءت صاحبة سبأ سليمان ، أخرج لها عرشها ، فقال لها : أهكذا عرشك ؟ قالت وشبهته به : كأنه هو .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : لما انتهت إلى سليمان وكلمته أخرج لها عرشها ، ثم قال ( أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، فلما جاءت قبيل ( أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) قال : شبهته ، وكانت قد تركته خلفها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : كان أبي يحدثنا هذا الحديث كله ، يعني حديث سليمان ، وهذه المرأة ؛ فلما جاءت ( قبيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو ) شككت .

وقوله ( وأوتينا العلم من قبلها ) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل سليمان : وقال سليمان وأوتينا العلم من قبل هذه المرأة بالله ، وبقدرته على ما يشاء ، وكنا مسلمين لله من قبلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وأوتينا العلم من قبلها ) قال :

سليمان يقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ومنع هذه المرأة صاحبة سبأ ما كانت تعبد من دون الله ، وذلك عبادتها الشمس ، أن تعبد الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وصدّها ما كانت تعبد من دون الله ) قال :

كفرها بقضاء الله غير الوثن ! أن تهتدى للحق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وصدّها ما كانت

(١) لعل العبارة سقط منها كلمة ، وهي « صدّها » . كما تدل الرواية الآتية بعد .

تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) قال : كفرها بقضاء الله ، صدّها أن تهتدى للحق . ولو قيل : معنى ذلك : وصدّها سليمان ما كانت تعبد من دون الله ، بمعنى : منعها وحال بينها وبينه ، كان وجها حسنا . ولو قيل أيضا : وصدّها الله ذلك ، بتوفيقها للإسلام ، كان أيضا وجها صحيحا .

وقوله ( إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ) يقول : إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين : وكسرت الألف من قوله «إنها» على الابتداء . ومن تأوّل قوله ( وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) التأويل الذي تأوّلنا ، كانت «ما» من قوله ( ما كَانَتْ تَعْبُدُ ) في موضع رفع بالصدّ ، لأن المعنى فيه لم يصدّها عن عبادة الله جهلها ، وأنها لاتعقل ، إنما صدّها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر ، وكان ذلك من دين قومها وآبائها ، فاتبعت فيه آثارهم . ومن تأوّل على الوجهين الآخرين ، كانت «ما» في موضع نصب .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ

مِّن قَوَارِيرَ ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبأ تريده ، أمر الشياطين فبنوا له صرحا ، وهو كهيئة السطح من قوارير ، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك ، وفهمها ، على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الصفات والوصفاء ، ليميز بين الذكور منهم والإناث ، معاتبه بذلك كذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ، قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء بياضا ، ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : ادخلي الصرح ، ليرىها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانا هو أعظم من سلطانها . ( فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ) لاتشك أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ادخلي ، إنه صرح ممرّد من قوارير ؛ فلما وقفت على سليمان ، دعاها إلى عبادة الله ، وعابها في عبادتها الشمس دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت ، وسجد معه الناس ، وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع ؛ فلما رفع سليمان رأسه قال : ويحك ماذا قلت ؟ قال : وَأُنْسِيَتْ مَا قَالَتْ ، فقالت ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) وأسلمت ، فحسن إسلامها .

وقيل : إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله ، لأن الجن خافت من سليمان أن يتزوجها ، فأرادوا أن يزهوه فيها ، فقالوا : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قالت الجن لسليمان تزهد في بلقيس : إن رجلها رجل حمار ، وإن أمها كانت من الجن ، فأمر سليمان بالصرح ، فعميل ، فسجن فيه دواب البحر : الحيتان ، والضفادع ، فلما بصرت بالصرح قالت : ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق ؟ ( فَحَسِبْتَهُ لُجَّةً ، وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا ) قال : فإذا أحسن الناس ساقا وقدماء ، قال : فضن سليمان بساقها عن موسى ، قال : فاتخذت الثور بذلك السبب .

وجائر عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأمرين : الذي قاله وهب ، والذي قاله محمد بن كعب القرظي ، ليختبر عقلها ، وينظر إلى ساقها وقدمها ، ليعرف صحة ما قيل له فيها .

وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى الصرح : ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الصَّرْحُ ) قال : بركة من ماء ، ضرب عليها سليمان قوارير ألبسها . قال : وكانت بلقيس هكباء شعثراء ، قدمها كحافر الحمار ، وكانت أمها جنية .

حدثني أحمد بن الوليد الرملي ، قال : ثنا هشام بن عمار ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كَانَ أَحَدُ أَبَوَيْ صَاحِبَةِ سَبَأٍ جِنِّيًّا ) .

قال : ثنا صفوان بن صالح ، قال : ثنا الوليد ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن بشير بن نهيك ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر النضر بن أنس . وقوله ( فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) يقول : فلما رأت المرأة الصرح حسبته لياضه واضطراب دواب الماء تحته : بلجة بحر ، كشفت عن ساقها ، لتخوضه إلى سليمان . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قَبِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) قال : وكان من قوارير ، وكان الماء من خلفه ، فحسبته بلجة . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حَسِبَتْهُ لُجَّةً ) قال : بحرا .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا ابن سوار ، قال : ثنا رَوْحُ بن القاسم ، عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكَشَفْتُ عَنْ سَاقِيهَا ) فإذا هما شعثراوان ، فقال : ألا شيء يذُهب هذا ؟ قالوا : موسى ، قال : لا ، موسى له أثر ، فأمر بالثور ، فصنعت .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن عكرمة وأبي صالح قالا : لما

تزوج سليمان بلقيس قالت له : لم تسمى حديدية قط ، قال سليمان للشياطين : انظروا ما يذهب الشعر ؟ قالوا : الثور ، فكان أول من صنع الثور .

وقوله ( إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ) يقول جل ثناؤه : قال سليمان لها : إن هذا ليس ببحر ، إنه صرخ ممرّد من قوارير ، يقول : إنما هو بناء مبنى مشيّد من قوارير .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، ( مُمَرَّدٌ ) قال : مُشَيَّدٌ .  
وقوله ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) ... الآية ، يقول تعالى ذكره  
قالت المرأة صاحبة سبأ : ربّ إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس ، وسجودي لما دونك ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ  
سُلَيْمَانَ لِلَّهِ ) تقول : وانقدت مع سليمان ، مذعنة لله بالتوحيد ، مفردة له بالألوهة والربوبية ، دون  
كل من سواه .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في ( حَسْبَيْتُهُ  
بُحَّةً ) قال : إنه صرخ ممرّد من قوارير ، فعرفت أنها قد غلبت ( قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ،  
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥)  
قَالَ : يَقُومُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ، لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦)  
يقول تعالى ذكره : ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ) وحده لاشريك  
له ، ولا تجعلوا معه إلها غيره ( فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ) يقول : فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله ،  
صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون ، فريق مصدق صالحا مؤمن به ، وفريق مكذب به ،  
كافر بما جاء به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ) قال : مؤمن  
وكافر ، قولهم صالح مرسل ، وقولهم صالح ليس بمُرسل . ويعني بقوله ( يَخْتَصِمُونَ ) يختلفون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ  
يَخْتَصِمُونَ ) قال : مؤمن ، وكافر .



وقوله ( قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ؟ ) يقول تعالى ذكره : قال صالح لقومه : يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ) قال : السيئة : العذاب . قبل الحسنة : قبل الرحمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال بالعذاب . قبل الحسنة ، قال : العافية .

وقوله ( لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) يقول : هلا تتوبون إلى الله من كفركم ، فيغفر لكم ربكم عظيم جزركم ، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة .  
وقوله ( لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) يقول : ليرحمكم ربكم ، باستغفاركم إياه من كفركم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

نَالُوا : أَطَّيْرُنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ ، قَالَ : طَّيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : قالت ثمود لرسولها صالح : أطَّيرنا بك وبمن معك : أى تشاء منا بك وبمن معك من أتباعنا ، وزجرنا الطير ، بأنا سيصينا بك وبهم المكاره والمصائب ، فأجابهم صالح ، فقال لهم : طائركم عند الله ، أى ما زجرتم من الطير لما يصيكم من المكاره ، عند الله علمه ، لا يُدرى أى ذلك كائن ؛ أما تظنون من المصائب أو المكاره ، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمخاب .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

#### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَ : طَّيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) يقول : مصائبكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( طَّيْرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ ) علمكم عند الله .

وقوله ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ) يقول : بل أنتم قوم تُختَبرون ، يختبركم ربكم إذ أرسلنى إليكم ، أتطيعونه ، فتعملون بما أمركم به ، فيجزىكم الجزيل من ثوابه ، أم تعصونه ؟ فتعملون بخلافه ، فيحلّ بكم عقابه ؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا : تَقَاسَمُوا

بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وكان في مدينة صالح ، وهي حِجْر ثمود ، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وكان إفسادهم في الأرض : كفرهم بالله ، ومعصيتهم إياه ، وإنما خصّ الله جلّ ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم ، أنهم كانوا يفسدون في الأرض ، ولا يصلحون ، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سَعَوْا فيما بلغنا في عَقْرِ الناقة ، وتعاونوا عليه ، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تِسْعَةُ رَهْطٌ ) قال : من قوم صالح .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ) هم الذين عقروا الناقة ، وقالوا حين عقروها : نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئا ، وما لنا به علم ، فدمرهم الله أجمعين .

وقوله ( قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ) يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حِجْر ثمود ، ولا يصلحون ، تقاسموا بالله : تحالفوا بالله أيها القوم ، ليحلف بعضكم لبعض : لنبيت صالحا وأهله ، فلنقتله ، ثم لنقولن لوليه : ما شهدنا مهلك أهله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ) قال : تحالفوا على إهلاكه ، فلم يصلوا إليه ، حتى هلكوا وقومهم أجمعون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

ويتوجه قوله ( تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ) إلى وجهين : أحدهما النصب على وجه الخبر ، كأنه قيل : قالوا متقاسمين وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( وَلَا يُصْلِحُونَ . تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ) وليس فيها قالوا ، فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا ، على ما وصفت . والوجه الآخر : الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض : أقسموا بالله ، فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة ( لَنُبَيِّتَنَّهُ ) بالياء والنون ، لأن القائل لهم تقاسموا ، وإن كان هو الأمر ، فهو فيمن أقسم ، كما يقال في الكلام : انهضوا بنا تمض إلى فلان ، وانهضوا تمضي إليه . وعلى الوجه الأول الذي هو وجه النصب ، القراءة فيه بالنون أفصح ، لأن معناه : قالوا متقاسمين لَنُبَيِّتَنَّهُ ، وقد

تجوز الياء على هذا الوجه ، كما يقال في الكلام : قالوا لنكرمَنَّ أباك ، وليُكْرَمَنَّ أباك ، وبالنون قرأ ذلك قرآء المدينة ، وعامة قرآء البصرة ، وبعض الكوفيين . وأما الأغلب على قرآء أهل الكوفة ، فقراءته بالياء ، وضمّ التاء جميعا . وأما بعض المكيين ، فقراءه بالياء .

وأعجب القراءات في ذلك إلى النون ، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بينت من النصب والحزم ، وإن كان كل ذلك صحيحا غير فاسد لما وصفت ، وأكرهها إلى القراءه بها الياء ، لقلة قارئ ذلك كذلك . وقوله ( لَنْبَيْتَنَّهُ ) قال : لِيَبَيْتَنَّ صالحا ، ثم يفتكوا به .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : التسعة الذين عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فإن كان صادقا ، يعني فيها وعدهم من العذاب بعد الثلاث ، عجلناه قبله ، وإن كان كاذبا ، نكون قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا لبيبتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم ، أتوا منزل صالح ، فوجدوه مشدوخين ، قد رُضِخُوا بالحجارة . وقوله ( وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) نقول لوليه : وإنا لصادقون ، أنا ما شهدنا مهلك أهله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ

مَكْرِهِمْ أَنَا دَمْرُهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح ، بمصيرهم إليه ليلا ليقتلوه وأهله ، وصالح لا يشعر بذلك ( وَمَكْرَنَا مَكْرًا ) يقول : فأخذناهم بعقوبتنا إياهم ، وتعجيلنا العذاب لهم ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بمكرنا .

وقد بيننا فيما مضى معنى : مكر الله بمن مكر به ، وما وجه ذلك ، وأنه أخذهُ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ على غيرته ، أو استدراجهم منهم من استدراج على كفره به ، ومعصيته إياه ، ثم إحلاله العقوبة به على غيرته وغفلة . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن رجل ، عن عليّ ، قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا ) قال : احتالوا الأمرهم ، واحتال الله لهم ، مكروا بصالح مكرًا ، ومكرنا بهم مكرًا ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) بمكرنا ، وشعرتنا بمكرهم . قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك ، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه ، فخرجوا إلى كهف ، وقالوا : إذا جاء يصلى قتلناه ،

ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ، وفرغنا منهم ، وقرأ قول الله تبارك وتعالى ( قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَنْقُوَنَّ لِيَوْلِيَيْهِ مَآشِدَنَا مَهْلِكِ أَهْلِهِ ، وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ) فبعث الله صخرة من المصنَّب حياتهم ، فخشوا أن تشدَّخهم ، فبادروا الغار ، فطَبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار ، فلا يدرى قومهم أين هم ؟ ولا يلدون ما فعل بقومهم ؟ فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هنا ، وأنجى الله صالحا ومن معه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ) قال : فسلط الله عليهم صخرة فقتلهم .

وقوله ( فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدركم ثمود بنيهم صالح ، كيف كانت ؟ وما الذي أورثها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم ؟ فإن ذلك سنتنا فيمن كذب رسلنا ، وطفى علينا من سائر الخلق ، فحذر قومك من قريش ، أن ينالهم بتكذيبهم إياك ، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثالات .

وقوله ( إِنَّا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ) يقول : إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين ، فلم نبق منهم أحدا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( إِنَّا ) فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء ، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( إِنَّا دَمَرْنَا هُمْ ) بفتح الألف . وإذا فُتحت كان في ( إِنَّا ) وجهان من الإعراب : أحدهما الرفع على ردِّها على العاقبة على الإتيان لها ، والآخر النصب على الردِّ على موضع كيف ، لأنها في موضع نصب إن شئت ، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه ، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ؟ كان عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندى : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيتهما قرأ القارى فصيبي .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

بأي معنى تعالى ذكره بقوله ( فَتِلْكَ يَوْمَئِذٍ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ) فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم ، ليس فيها منهم أحد ، قد أهلكهم الله فأبادهم ( بما ظلموا ) : يقول تعالى ذكره : بظلمهم أنفسهم ، بشركهم بالله ، وتكذيبهم رسولهم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن في فعلنا بشود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة ، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا ، من قومك الذين يكذبونك فيما جئتهم به من عند

ربك وعبرة . ( وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ) يقول : وأنجيننا من نعمتنا وعذابنا الذي أحلناه بشمود رسولنا صالحا والمؤمنين به ( وَكَانُوا يَتَّقُونَ ) يقول : وكانوا يتقون بإيمانهم ، وبتصديقهم صالحا ، الذي حلّ بقومهم من شمود ما حلّ بهم من عذاب الله ، فكذلك ننجيك يا محمد وأتباعك ، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم .

وذكر أن صالحا لما أحلّ الله بقومه ما أحلّ ، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام ، فنزل رملة فلسطين .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ

شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ (٥٥) \*

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا لوطا إلى قومه ، إذ قال لهم : يا قوم ( أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) أنها فاحشة ، لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد . وقوله ( أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً ) منكم بذلك من دون فروج النساء ، التي أباحها الله لكم بالنكاح . وقوله ( بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ) يقول : ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليكم ، فخالقتم لذلك أمره ، وعصيتم رسوله .

نمّ الجزء التاسع عشر من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ،

ويليه الجزء العشرون

أوله القول في تأويل قوله تعالى ( فَتَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ) . . . الخ

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عن

## ثَاوِيلِ بْنِ أَبِي الْقُرَيْبِ

« كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد »  
قرآن كريم  
« ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير » .  
محمد بن إسحاق بن عزيمة

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى ٣١٠ سنة

الجزء العشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

Handwritten text, possibly a name or title, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a name or title, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a name or title, in a cursive script.

Handwritten text, possibly a name or title, in a cursive script.



فهارس الجزء العشرين

من

جامع البيان ، عن تاويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

---

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

## ١ - فهرس الآيات

الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة
١٢	٧٩	فتوكل على الله . . .	١	٥٦	فما كان جواب قومه . . .
١٢	٨٠	إنك لا تُسمع الموتى . . .	١	٥٧	فأتجنيناه وأهله . . .
١٢	٨١	وما أنت بهادى العمى . . .	١	٥٨	وأمطرنا عليهم مطرا . . .
١٢	٨٢	وإذا وقع القول عليهم . . .	٢	٥٩	قل الحمد لله وسلام على عباده . . .
١٧	٨٣	ويوم نحشر من كل أمة فوجا . . .	٢	٦٠	أمسن خلق السموات والأرض . . .
١٧	٨٤	حتى إذا جاءوا قال أكذبتم . . .	٣	٦١	أمسن جعل الأرض قرارا . . .
١٧	٨٥	ووقع القول عليهم . . .	٤	٦٢	أمسن يجيب المضطر إذا دعاه
١٧	٨٦	ألم يروا أنا جعلنا الليل . . .	٤	٦٣	أمسن يهديكم في ظلمات البرّ
١٨	٨٧	ويوم يُسْفَخ في الصور . . .	٥	٦٤	أمسن يبدأ الخلق ثم يعيده .
٢١	٨٨	وترى الجبال تحسبها جامدة . . .	٥	٦٥	قل لا يعلم من في السموات . . .
٢٢	٨٩	من جاء بالحسنة .	٥	٦٦	بل ادّارك علمهم في الآخرة . . .
٢٢	٩٠	ومن جاء بالسيئة . . .	٨	٦٧	وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابا . . .
٢٤	٩١	إنما أمّيرت أن أعبد . . .	٨	٦٨	لقد وعدنا هذا . . .
٢٥	٩٢	وأن أتلو القرآن . . .	٩	٦٩	قل سيروا في الأرض . . .
٢٥	٩٣	وقل الحمد لله . . .	٩	٧٠	ولا تحزن عليهم . . .
		تفسير سورة القصص	٩	٧١	ويقولون متى هذا الوعد . . . ؟
٢٦	١	طسم .	٩	٧٢	قل عسى أن يكون ردّيف لكم . . .
٢٦	٢	تلك آيات الكتاب المبين .	١٠	٧٣	وإن ربك لذو فضل على الناس . . .
٢٦	٣	نثلو عليك من نبأ موسى وفرعون . . .	١٠	٧٤	وإن ربك ليعلم ما تكين صدورهم . . .
٢٧	٤	إن فرعون علا في الأرض . . .	١١	٧٥	وما من غائبة في السماء والأرض . . .
٢٨	٥	ونريد أن نمنّ على الذين . . .	١١	٧٦	إن هذا القرآن يقصّ . . .
٢٨	٦	ونمكن لهم في الأرض . . .	١٢	٧٧	وإنه لهدى ورحمة . . .
			١٢	٧٨	إن ربك يقضى بينهم بحكمه . . .

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	وأوحينا إلى أم موسى . . .	٢٩	٣٤	وأخى هارون هو أفصح مني . . .	٧٤
٨	فالتقطه آل فرعون . . .	٣١	٣٥	قال سنشدّ عضدك بأخيك . . .	٧٥
٩	وقالت امرأة فرعون . . .	٣٣	٣٦	فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات . . .	٧٦
١٠	وأصبح فؤاد أم موسى . . .	٣٥	٣٧	وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى . . .	٧٦
١١	وقالت لأخته قصبه . . .	٣٨	٣٨	وقال فرعون يا أيها الملأ . . .	٧٧
١٢	وحرّمنا عليه المراضع . . .	٤٠	٣٩	واستكبر هو وجنوده في الأرض . . .	٧٨
١٣	فرددناه إلى أمه . . .	٤١	٤٠	فأخذناه وجنوده فنبذناهم . . .	٧٨
١٤	ولما بلغ أشده واستوى . . .	٤٢	٤١	وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار . . .	٧٩
١٥	ودخل المدينة على حين غفلة . . .	٤٣	٤٢	وأبعناهم في هذه الدنيا لعنة . . .	٧٩
١٦	قال : ربّ إني ظلمت نفسي . . .	٤٦	٤٣	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٧٩
١٧	قال ربّ بما أنعمت عليّ . . .	٤٦	٤٤	وما كنت بجانب الغربي . . .	٨٠
١٨	فأصبح في المدينة خائفا يترقب . . .	٤٧	٤٥	ولكننا أنشأنا قرونا . . .	٨٠
١٩	فلما أراد أن يبطش . . .	٤٩	٤٦	وما كنت بجانب الطور . . .	٨١
٢٠	وجاء رجل من أقصى المدينة . . .	٥٠	٤٧	ولولا أن تصيهم مصيبة . . .	٨٢
٢١	فخرج منها خائفا يترقب . . .	٥٢	٤٨	فلما جاءهم الحقّ من عندنا . . .	٨٣
٢٢	ولما توجه تلقاء مدين . . .	٥٢	٤٩	قل فأتوا بكتاب من عند الله . . .	٨٦
٢٣	ولما ورد ماء مدين . . .	٥٤	٥٠	فان لم يستجيبوا لك . . .	٨٦
٢٤	فستى لهما . . .	٥٨	٥١	ولقد فصلنا لهم القول . . .	٨٧
٢٥	فجاءته إحداهما تمشي . . .	٦٠	٥٢	الذين آتيناهم الكتاب . . .	٨٧
٢٦	قالت إحداهما يا أبت استأجره . . .	٦٢	٥٣	وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به . . .	٨٩
٢٧	قال إني أريد . . .	٦٥	٥٤	أولئك يؤتون أجرهم مرتين . . .	٩٠
٢٨	قال ذلك بيني وبينك . . .	٦٥	٥٥	وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . . .	٩٠
٢٩	فلما قضى موسى الأجل . . .	٦٧	٥٦	إنك لا تهدي من أحببت . . .	٩١
٣٠	فلما أتاها نودى . . .	٧٠	٥٧	وقالوا إن نتبع الهدى معك . . .	٩٣
٣١	وألق عصاك . . .	٧١	٥٨	وكم أهلكنا من قرية . . .	٩٥
٣٢	أسلك يدك . . .	٧٢	٥٩	وما كان ربك مهلك القرى . . .	٩٥
٣٣	قال ربّ إني قتلت . . .	٧٤	٦٠	وما أوتيتم من شيء . . .	٩٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٦١	أفمن وعدناه وعدنا حسنا . . .	٩٦	١	الم . . .	١٢٧
٦٢	ويوم يناديهم . . .	٩٧	٢	أحسب الناس أن يشرّكوا .	١٢٧
٦٣	قال الذين حقّ عليهم القول . . .	٩٧	٣	ولقد فتنا الذين من قبلهم . . .	١٢٨
٦٤	وقيل ادعوا شركاءكم . . .	٩٨	٤	أم حسب الذين يعملون السيئات . . .	١٣٠
٦٥	ويوم يناديهم . . .	٩٨	٥	من كان يرجو لقاء الله . . .	١٣٠
٦٦	فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ . . .	٩٨	٦	ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه . . .	١٣٠
٦٧	فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ . . .	٩٩	٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٠
٦٨	وربك يخلق ما يشاء . . .	٩٩	٨	ووصينا الإنسان بوالديه حسنا . . .	١٣١
٦٩	وربك يعلم ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ . . .	١٠٢	٩	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٣٢
٧٠	وهو الله لا إله إلا هو . . .	١٠٢	١٠	ومن الناس من يقول آمنا بالله . . .	١٣٢
٧١	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل . . .	١٠٢	١١	وليسعلمسنّ الله الذين آمنوا . . .	١٣٣
٧٢	قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار . . .	١٠٣	١٢	وقال الذين كفروا للذين آمنوا . . .	١٣٣
٧٣	ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار . . .	١٠٣	١٣	وليسحتملينّ ألقاحم وأثقالا . . .	١٣٥
٧٤	ويوم يناديهم فيقول أين شركائي . . .	١٠٤	١٤	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٣٥
٧٥	ونزعنا من كلّ أمة شهيدا . . .	١٠٤	١٥	فأنجيناه وأصحاب السفينة . . .	١٣٦
٧٦	إن قارون كان من قوم موسى . . .	١٠٥	١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله . . .	١٣٦
٧٧	وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . . .	١١١	١٧	إنما تعبدون من دون الله آوثانا . . .	١٣٧
٧٨	قال : إنما أُوتيته على علم عندي . . .	١١٣	١٨	وإن تكذبوا فقد كذب أمّ . . .	١٣٨
٧٩	فخرج على قومه . . .	١١٤	١٩	أو لم يروا كيف يبدأ الله الخلق . . .	١٣٨
٨٠	وقال الذين أتوا العلم . . .	١١٦	٢٠	قل سيروا في الأرض . . .	١٣٨
٨١	فخسفنا به وبداره الأرض . . .	١١٦	٢١	يعذب من يشاء ويرحم من يشاء . . .	١٣٩
٨٢	وأصبح الذين تمسّوا مكانه . . .	١٢٠	٢٢	وما أنتم بمعجزين في الأرض . . .	١٣٩
٨٣	تلك الدار الآخرة . . .	١٢٢	٢٣	والذين كفروا بآيات الله ولقائه . . .	١٤٠
٨٤	من جاء بالحسنة فله خير منها . . .	١٢٣	٢٤	فما كان جواب قومه . . .	١٤١
٨٥	إن الذي فرض عليك القرآن . . .	١٢٣	٢٥	وقال إنما اتخذتم من دون الله . . .	١٤١
٨٦	وما كنت ترجو أن يُلْقَى . . .	١٢٦	٢٦	فآمن له لوط وقال إني مهاجر . . .	١٤٢
٨٧	ولا يصدنك عن آيات الله . . .	١٢٧			
٨٨	ولا تدع مع الله إلها آخر . . .	١٢٧			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	١٤٣	٣٧	فكذبوه فأخذتهم الرجفة . . .	١٤٩
٢٨	ولوطا إذ قال لقومه . . .	١٤٤	٣٨	وعادا وثمود وقد تبين لكم . . .	١٤٩
٢٩	إنكم لتأتون الرجال . . .	١٤٤	٣٩	وقارون وفرعون وهامان . . .	١٥٠
٣٠	قال رب انصرني على القوم المفسدين .	١٤٧	٤٠	فكلا أخذنا بذنبه . . .	١٥٠
٣١	ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى . . .	١٤٧	٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله . . .	١٥٢
٣٢	قال إن فيها لوطا . . .	١٤٧	٤٢	إن الله يعلم ما يدعون من دونه . . .	١٥٣
٣٣	ولما جاءت رسلنا لوطا . . .	١٤٨	٤٣	وتلك الأمثال نضربها للناس . . .	١٥٣
٣٤	إنا منزلون على أهل هذه القرية . . .	١٤٨	٤٤	خلق الله السموات والأرض . . .	١٥٤
٣٥	ولقد تركنا منها آية . . .	١٤٨	٤٥	أتل ما أوحى إليك من الكتاب . . .	١٥٤
٣٦	وإلى مدين أخاهم شعيبا .	١٤٩			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٥	١
الخلاف في معنى فراغ فؤاد أم موسى .	تأويل قوله تعالى « فما كان جواب قومه » .
٤٢	ومعنى التطهر .
الخلاف في مقدار سبب الاستواء .	٣
٤٣	بيان أن المشركين يعدلون عن الحق إلى الجور
تأويل قوله تعالى « ودخل المدينة » والسبب	مع علمهم بذلك ، تقايذا لمن مضى .
في دخولها ، والسبب الذي من أجله قتل	٥
القبطي .	من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم القيرية على
٤٩	الله .
السبب الذي دعا الإسرائيلي أن يظهر أن	٧
موسى قتل الفرعوني .	الصواب في قوله « بل ادرك علمهم في
٥١	الآخرة » .
المراد بالرجل الذي جاء موسى فأخبره	١١
بإجماعهم على قتله ، وأمره بالخروج من البلد .	بيان أن أم الكتاب أثبت ربنا فيه كل ما هو
٥٣	كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة .
ذهاب موسى إلى مدّين وما لقي من المتاعب .	١٤
٥٥	الدابة وخروجها ، وما ورد فيها من الآثار .
دخول موسى مدّين ، وما جرى له مع المرأتين	١٨
اللتين ستّقى لهما .	النفخ في الصور ، وكم عدده ؟
٦٥	٢١
خبر زواج موسى ، والاتفاق الذي كان بينه	سّير الجبال عند قيام الساعة .
وبين أبي امرأته .	٢٤
٧١	المراد بالبلدة التي حرّمها الله : « مكة » ، ومعنى
الشجرة التي رأى موسى فيها النار ، ومن أيّ	تحرّمها .
الأنواع كانت .	٢٦
٧٧	تفسير سورة القصص
فرعون أوّل من طبخ الآجر ، وصفة صرّحه .	٢٧
٨١	تأويل قوله « إن فرعون علا في الأرض » ،
تأويل قوله « وما كنت بجانب الطور » ،	وما كان يصنعه فرعون ببني إسرائيل .
وأن المنادى أمة محمد عليه الصلاة والسلام .	٢٩
٨٧	الوحي الذي أوحى إلى أم موسى ليس بوحي
تأويل قوله « ولقد وصلنا لهم القول » .	نبوّة .
٨٨	٢٩
وما قال الله في مؤمنى أهل الكتاب .	أخذ فرعون لموسى ، وتعيين اللاقط له .
٩٢	٣٣
خبر وفاة أبي طالب ، وما قاله له رسول الله	تأويل قوله « وقالت امرأة فرعون » ، وما قاله
صلى الله عليه وسلم .	فرعون لامرأته عند ذلك .

الصفحة	الصفحة
١٢٧ تفسير سورة العنكبوت	٩٦ تأويل قوله « أفمن وعدناه وعدا حسنا . . . » .
١٢٨ ما ذكر في سبب نزول قوله تعالى « أحسب الناس أن يتركوا » .	الآية ، والخلاف فيمن نزلت فيه .
١٣٥ عمر نوح حين أرسل إلى قومه ، وكم لبث فيهم حتى جاءهم الطوفان .	٩٩ تأويل قوله « وربك يخلق ما يشاء » ، وأن معناها لا يدل على نفي الاختيار عن الخلق .
١٤٢ هجرة إبراهيم ولوط من كوثى إلى الشام .	١٠٤ نداء الله للمشركين ، ونزعه من كل أمة شهيدا ، وهو الرسول .
١٤٤ ما كان يفعله قوم لوط من السيئات بمن يمرّ عليهم .	١٠٥ خبر قارون وما أوتيته من الغنى .
١٥٤ تأويل قوله « اتل ما أوحى إليك » . . .	١١٦ ما فعله قارون بموسى حتى طلب من الله أن يحنس الأرض به ، واستغاث به فلم يبعثه .
الآية . والصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر .	١٢٢ تأويل قوله « تلك الدار الآخرة » ، وأن العلو هو الكبر ، والحكم بغير العدل هو الفساد .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١١٠	تَجْهَرَةٌ		ا
		١٠٩	الْحُمْرُ		لا يَرَاهَا
٨٧	يُوصَلُ	١١٩	وَحَجَرٍ	٦٦	سَوَاءُ
١١٠	مَوَاصِلُهُ	١١٩	بِصَّبْرٍ	١٤٠	
١١٠	كَاهِلُهُ	١٢٠	بِنُكْرٍ		ب
١٢٧	وَالْعَمَلُ	١٢٠	ضُرٌّ	٨	حَبِيبٌ
١٥٤	مَثَلًا	٧٠	دَعِيرٍ		ت
١٥١	شَمَلًا	٥٣	الْقَادِرِ		عَجِيزٌ بِهَا
١٥١	جُفَلًا	١٥١	مَشْشُورٍ	١٠٩	
١٠٩	أَجْنَدَآلَهَا		ط		ج
٥٢	شَيْلِكَ	٣١	فُرَاطًا	٢١	تَهْمَلِجُ
٧٨	نِعَالِكَا		ع		ح
	م	٦٦	تَابِعٌ	٧٧	الصُّرُوحَا
١٢١	أَقْدِيمٌ	٥٥	نَزْعَا		د
	ن		ف		تَذُودُ
		١٠١	مُكَلَّفٌ	٥٥	مَوْعِدَا
١٣٤	دَاعِيَانِ	١٠١	وَمُسَلِّفٌ	٨١	أَجَاهِدَا
٧٥	مَكْتُونَا	١٠٠	مَعْرُوفٌ	٣٩	
١٣١	تَشْكُونَا	١٣٦	جَارِفٍ		ر
١٣١	يُوصِينَا		ق	٦٩	قَرَّ
١٣١	جَافُونَا	١٠٨	أَطِيقُ	٥٢	يُؤَمَّرُ



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ، إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن لقوم لوط جواب له ، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال ، إلا قيل بعضهم لبعض (أخرجوا آل لوطٍ من قريتكُم) إنهم أناسٌ يتطهرون (عما فعله نحن من إتيان الذكور في أدبارهم .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : سمعت الحسن بن مغيرة يذكر عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (أناسٌ يتطهرون) قال : من إتيان الرجال والنساء في أدبارهن . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (إنهم أناسٌ يتطهرون) قال : من أدبار الرجال وأدبار النساء ، استهزاء بهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : يتطهرون من أدبار الرجال والنساء ، استهزاء بهم يقولون ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة أنه تلا (إنهم أناسٌ يتطهرون) قال : عابوهم بغير عيب : أي إنهم يتطهرون من أعمال السوء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنَ الْعَذَابِ (٥٧) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ، فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا ، حين أحللناه بهم ، ثم (قدرناها) يقول

فإن امرأته قدرناها : جعلناها بتقديرنا ( من الغابرين ) من الباقين ( وأمطرنا عليهم مطراً ) وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ( فسَاءَ مَطَرُ الْمُشْكِرِينَ ) يقول : فسَاءَ ذلك المطرُ مطرُ القوم الذين أنذرهم الله عقابه ، على معصيتهم إياه ، وخوفهم بأسه ، بإرسال الرسول إليهم بذلك .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ، ءَآلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ ) يا محمد ( الْحَمْدُ لِلَّهِ ) على نعمه علينا ، وتوفيقه لإيانا لما وفقنا من الهداية ( وَسَلَامٌ ) يقول : وآمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط ، وقوم صالح ، على الذين اصطفاهم ، يقول : الذين اجتباهم لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه ، دون المشركين به ، الجاحدين نبوة نبيه .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا طلق ، يعني ابن غنام ، عن ابن ظهير ، عن السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس ( وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) قال : أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبية .  
حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : قلت لعبد الله بن المبارك : رأيت قول الله ( قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ) من هؤلاء ، فحدثني عن سفیان الثوري ، قال : هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( آله خير مما يشركون ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء الذين زيننا لهم أعمالهم من قومك ، فهم يتعمهون : آله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة ، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير ، أما تشركون من أوثانكم التي لاتنفعكم ولا تضركم ، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءا ، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعا ؛ يقول : إن هذا الأمر لايشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لانفع عنده لكم ، ولا دفع ضرر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرر ، وله كل شيء . ثم ابتداء تعالى ذكره تعبد نعمه عليهم ، وأياديه عندهم ، وتعريفهم بقله شكرهم إياه ، على ما أولاهم من ذلك ، فقال ( أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ، مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش : أعبادة ماتعبدون من أوثانكم التي لاتنفع ولا تضر ،

أم عبادة من خلق السموات والأرض ؟ ( وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ) يعني مطرا ، وقد يجوز أن يكون مريدا به العيون التي فجّرها في الأرض ، لأن كل ذلك من خلقه ( فَأَنْبَتْنَا بِهِ ) يعني بالماء الذي أنزل من السماء ( حَدَّثَ آثِقٌ ) وهي جمع حديقة ، والحديقة : البستان عليه حائط محوط ، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة . وقوله ( ذَاتَ بَهْجَةٍ ) يقول : ذات منظر حسن . وقيل ذات بالتوحيد . وقد قيل حدائق ، كما قال ( وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) ، وقد بينت ذلك فيما مضى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال ، ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( حَدَّثَ آثِقٌ ذَاتَ بَهْجَةٍ ) قال : البهجة : الفُتَّاحُ مما يأكل الناس والأنعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( حَدَّثَ آثِقٌ ذَاتَ بَهْجَةٍ ) قال : من كل شيء تأكله الناس والأنعام .

وقوله ( مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ) يقول تعالى ذكره : أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق ، إذ لم يكن لكم ، لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء ، طاقة أن تفتوا شجر هذه الحدائق ، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك ، لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء . وقوله ( أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك ، وأنزل من السماء الماء ، فأنتبت به لكم الحدائق ، فقوله : أهله مردود على تأويل : أمع الله إله . ( بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ ) يقول جل ثناؤه : بل هؤلاء المشركون قوم ضلّال ، يعدلون عن الحق ، ويجورون عليه ، على عمد منهم لذلك ، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ، ولم يعدلوا عن جهل منهم ، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر ، خير ممن خلق السموات والأرض ، وفعل هذه الأفعال ، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة ، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ، وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ، وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ ؟ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضّر ولا ينفع ، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تتمد بكم ، ( وَجَعَلَ لَكُمْ ) ( خِلَالَهَا أَنْهَارًا ) : يقول : بينها أنهارا ( وجعل لها رواسي ) وهي ثوابت الجبال ، ( وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ) بين العذب والملح ، أن يفسد أحدهما صاحبه ( أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ ) سواه فعل هذه الأشياء ، فأشركتموه في عبادتكم إياه ؟ وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله ، وما عليهم من الضرر

في إشراكهم في عبادة الله غيره ، وما لهم من النفع في إفرادهم الله بالألوهة ، وإخلاصهم له العبادة ، وبراءتهم من كل معبود سواه .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ بِ  
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء النازل به عنه ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَيَكْشِفُ السُّوءَ ) قال : الضر .

وقوله ( وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ) يقول : ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم . وقوله ( أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا وَيَمَكِّنُ لَهُ الْمُعْجَنَ وَالْمِصْرَ لِيَقُولَ ) يقول : أليس الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم عليكم هذه النعم ؟ وقوله ( قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ) يقول : تذكروا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم ، تذكرون وتعتبرون حجاج الله عليكم يسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا<sup>(١)</sup> بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، أَلَيْسَ  
مَعَ اللَّهِ؟ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون بالله خير ، أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتكم فيهما الطريق ، فأظلمت عليكم السبل فيهما ؟

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) والضلمات في البر : ضلاله الطريق ، والبحر : ضلاله طريقه وموجه ، وما يكون فيه . قوله ( وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ) يقول : والذي يرسل الرياح نشرا لمنوتان الأرض . ( بين يدي رحمة ) : يعني : قدام الغيث الذي يحيي موات الأرض . وقوله ( أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول تعالى ذكره : أليس مع الله سوى الله يفعل بكم شيئا من ذلك فتعبده من دونه ، أو تشركوه في عبادتكم إياه ؟ تعالى الله : يقول : لله العلو والرفعة عن شرككم الذي تشركون به ، وعبادتكم معه ما تعبدهون .

(١) ( في اللسان : نشر ) . وقوله تعالى : وهو الذي يرسل الرياح نشرًا بين يدي رحمة ( نشرًا بضم النون والشين ) . وقرئ نشرًا ونشرا . بضم النون وفتحها وسكون الشين . والقراءة المشهورة بشرًا ، بضم وسكون .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ مَنْ يَبْدُوْا أَنْ خُلِقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ؟ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ أَمْ لَهُ مَعَ اللَّهِ؟ قُلْ: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : أم ما تشركون أيها القوم خير ، أم الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، فينشئه من غير أصل ، وابتدعه ثم يفنيه إذا شاء ، ثم يعيده إذا أراد كهيئته قبل أن يفنيه ، والذي يرزقكم من السماء والأرض ، فينزل من هذه الغيث ، وينبت من هذه النبات لأقواتكم ، وأقوات أنعامكم ، أهله مع الله سوى الله يفعل ذلك ؟ وإن زعموا أن إلها غير الله يفعل ذلك أو شيئا منه ، فقل لهم يا محمد : ( هاتوا برهانكم ) : أي حجتكم على أن شيئا سوى الله يفعل ذلك ( إن كنتم صادقين ) في دعواكم . ومن التي في « أَمْ مَنْ » وما مبتدأ في قوله : أما يشركون ، والآيات بعدها إلى قوله ( وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) بمعنى الذي ، لا بمعنى الاستفهام ، وذلك أن الاستفهام لا يدخل على الاستفهام .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)  
بَلِ أَدَارِكُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلِ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لسائلك من المشركين عن الساعة متى هي قائمة ، لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الذي قد استأثر الله بعلمه ، وحجبت عنه خلقه غيره ، والساعة من ذلك ( وَمَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وما يدري من في السموات والأرض من خلقه ، متى هم مبعوثون من قبورهم لقيام الساعة ؟

وقد حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسبة ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : قالت عائشة : من زعم أنه يُخبر الناس بما يكون في غد ، فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ( لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ) .

واختلف أهل العربية في وجه رفع الله ، فقال بعض البصريين : هو كما تقول إلا قليل منهم . وفي حرف ابن مسعود : قليلا بدلا من الأوّل ، لأنك نفيت عنه ، وجعلته للآخر . وقال بعض الكوفيين : إن شئت أن تتوهم في من المجهول ، فتكون معطوفة على : قل لا يعلم أحد الغيب إلا الله . قال : ويجوز أن تكون « من » معرفة ، ونزل ما بعد « إلا » عليه ، فيكون عطفا ، ولا يكون بدلا ، لأن الأوّل مني ، والثاني مثبت ، فيكون في النسق كما تقول : قام زيد إلا عمرو ، فيكون الثاني عطفا على الأوّل ، والتأويل جحد ، ولا يكون

أن يكون الخبر جحدا ، أو الجحد خبرا ، قال : وكذلك ما فعلوه إلا قليل ، وقليل من نصب ، فعل الاستثناء في عبادتكم إياه ، ومن رفع فعلى العطف ، ولا يكون بدلا .

وقوله ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة ( بَلِّ ادَّارَكَ ) بكسر اللام من بل وتشديد الدال من ادَّارَكَ ، بمعنى : بل تدارك علمهم . أى تتابع علمهم بالآخرة ، هل هي كائنة أم لا ؟ ، ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل : اثأقلم إلى الأرض ، وقد بيننا ذلك فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته .

وقراءته عامة قراء أهل مكة ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ ) . بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيها ذُكْرَ عنه قراءة من قرأ ( بَلِّ ادَّارَكَ ) ويقول : إن بل يجب ، والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك ( بَلِّ ادَّارَكَ ) لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبالاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذى ذكرت أن أبا عمرو أنكروه . وبنحو الذى ذكرت عن المكيين ، أنهم قرءوه ، ذُكر عن مجاهد ، أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، أنه قرأ ( أم ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ ) وكان ابن عباس فيما ذُكر عنه يقرأ بإثبات ياء في بل ، ثم يبتدئ ادَّارَكَ ؟ بفتح ألفها ، على وجه الاستفهام ، وتشديد الدال .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس في هذه الآية ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ ) : أى لم يدرك .

حدثنا محمد بن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت ابن عباس يقرأ ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ ) إنما هو استفهام أنه لم يدرك . وكأن ابن عباس وجه ذلك إلى أن مخرجه مخرج الاستهزاء بالمكذابين بالبعث .

والصواب من القراءات عندنا في ذلك ، القراءتان اللتان ذُكرت إحداهما عن قراء أهل مكة والبصرة ، وهي ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ ) بسكون لام بل وفتح ألف أدرك وتخفيف دالها ، والأخرى منهما عن قراءة الكوفة ، وهي ( بَلِّ ادَّارَكَ ) بكسر اللام وتشديد الدال من ادَّارَكَ ، لأنهما القراءتان المعروفتان في قراء الأمصار ، فأبتهما قرأ القارئ فصيب عندنا ، فأما القراءة التى ذُكرت عن ابن عباس ، فإنها وإن كانت صحيحة المعنى والإعراب ، فخلاف لما عليه مصاحف المسلمين ، وذلك أن في بل زيادة ياء في قراءاته ليست في المصاحف ، وهى مع ذلك قراءة لانعلمها قرأ بها أحد من قراء الأمصار . وأما القراءة التى ذكرت عن ابن محيصن ، فإن الذى قال فيها أبو عمرو قول صحيح ، لأن العرب تحقق ببل ما بعدها لاتنفيه والاستفهام في هذا الموضع إنكار لإثبات ، وذلك أن الله قد أخبر عن المشركين أنهم من الساعة في شك ، فقال ( بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ فِي شَكِّ مِنْهَا ، بَلِّ ادَّارَكَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا عَمُونَ ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : بل أدرك علمهم في الآخرة ، فأيقنوها إذ عاينوها ، حين لم ينفعهم يقينهم بها ، إذ كانوا بها في الدنيا مكذّبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : بصرهم في الآخرة حين لم ينفعهم العلم والبصر . وقال آخرون : بل معناه : بل غاب علمهم في الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) يقول : غاب علمهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : يقول : ضلّ علمهم في الآخرة ، فليس لهم فيها علم ، هم منها عمّون . وقال آخرون : معنى ذلك : لم يبلغ لهم فيها علم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبي ، عن جَدِّي ، قال : ثنا الحسين ، عن قتادة ، في قوله ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : كان يقرؤها ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ) قال : لم يبلغ لهم فيها علم ، ولا يصل إليها منهم رغبة . وقال آخرون : معنى ذلك : بل أدرك ، أم أدرك ؟ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : أم أدرك . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان ، عن مجاهد ( بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ ) قال : أم أدرك علمهم ؟ من أين يدرك علمهم ؟ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على قراءة من قرأ ( بَلْ أَدْرَكَ ) القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك ( وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة ، حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك ، بل هم منها عمّون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذُكِرَتْ ، لأن ذلك أظهر معانيه . وإذ كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغنى بدلالة ما ظهر منه عنه . وذلك أن معنى

الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه ( بَلِّ اِدَّارَكَ ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام ، كما قال الشاعر :

فَهَلَّ اللهُ مَا أَذْرِي أَسَلَّمِي تَغَوَّلْتِ أَمِ النَّوْمُ أَمْ كَلٌّ إِلَى حَبِيبٍ

يعنى بذلك بل كل إلى حبيب ، فيكون تأويل الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل تدارك علمهم في الآخرة : يعنى تتابع علمهم في الآخرة : أى يعلم الآخرة : أى لم يتتابع بذلك ولم يعلموه ، بل غاب علمهم عنه ، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه .

وقوله ( بَلِّ هُمْ فِي شَكِّ مِنْهَا ) يقول : بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ، بل هم منها عمون ، يقول : بل هم من العلم بقيامها عمون .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُ آبَائِنَا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ  
وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : قال الذين كفروا بالله أننا لمخرجون من قبورنا أحياء ، كهيئتنا من بعد مماتنا ، بعد أن كنا فيها ترابا قد بلىنا (لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) يقول : لقد وَعِدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ محمد ، واعدون وعَدُوا ذلك آباءنا ، فلم نر لذلك حقيقة ، ولم نبتغي له صحة ( إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١) تغولت : ترامت لى فى النوم فى صور مختلفة . والشاهد فى البيت : أن أم الأولى متصلة ، لأنها معادلة للهمة ، يقول : لا أدري أهو طيف سلمى عرض لى وترامى ، أم هو النوم يخلط على صور الأشياء ، وهى أضغاث الأحلام . وأما (أم) الثانية فإنها للإعتراب ، بمعنى (بل) . يقول : بل كل ذلك حبيب لى نفسى . يريد ما يترامى له من طيف الخيال . وما يراه فى النوم من الأحلام . والبيت من شواهد القراء فى معانى القرآن ( الورقة ٢٣٦ من مصورة الجامعة ) . وفى (اللسان : درك) : فلما من قرأ : « بل أدارك » ، فإن القراء قال : معناه لغة : تدارك ، أى تتابع علمهم فى الآخرة ؛ يريد يعلم الآخرة : تكون أولا تكون ؛ ولذلك قال : « بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون » قال : وهى فى قراءة أبى : « أم تدارك » ؛ والعرب تجعل (بل) مكان (أم) ، و (أم) مكان (بل) ، إذا كان فى أول الكلام استفهام ، مثل قول الشاعر : « فو الله ما أدرى . . . البيت . . . معنى (أم) : (بل) . وقال أبو معاذ النحوى : ومن قرأ : « بل أدرك » ، ومن قرأ : « بل أدارك » فعناهما واحد . يقول : هم علماء فى الآخرة . كقول الله تعالى : « أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا » ونحو ذلك . قال السدى فى تفسيره : اجتمع علمهم فى الآخرة ، ومعناها عنده : أى علموا فى الآخرة أن الذى كانوا يوعدون به حق . وقال الأزهرى : والقول فى تفسير أدرك وإدارك . ومعنى الآية ما قال السدى وذهب إليه أبو معاذ وأبو سعيد . والذى قاله القراء فى معنى تدارك أى تتابع علمهم فى الآخرة ، أنها تكون أولا تكون : ليس بالبين ، إنما المعنى : أنه تتابع علمهم فى الآخرة وتوطأ حين حقت القيامة ، وخسروا ، وبان لهم صدق ما وعدوا ، حين لا ينفعهم ذلك العلم . اهـ .



الأوليين) يقول : قالوا : ما هذا الوعد إلا ما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم ، فأثبتوه فيها ، وتحدثوا به ، من غير أن يكون له صحة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ؟ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك : سيروا في الأرض ، فانظروا إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ، ومساكنهم كيف هي ، ألم يخربها الله ، ويهلك أهلها ، بتكذيبهم رسلهم ، وردهم عليهم نصائحهم ، فخلت منهم الديار ، وتعفت منهم الرسوم والآثار ، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم ، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم ، في تكذيب رسل ربهم ، والله فاعل ذلك بكم إن أنتم لم تبادروا الإنابة من كفركم ، وتكذيبكم رسول ربكم . وقوله ( وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تحزن على إدمار هؤلاء المشركين عنك ، وتكذيبهم لك ، ( وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ) يقول : ولا يضق صدرك من مكروهم بك ، فإن الله ناصرك عليهم ، ومهلكهم قتلا بالسيوف .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢)

يقول تعالى ذكره : ويقول مشركو قومك يا محمد ، المكذوبك فيما أتيتهم به من عند ربك ( متى ) يكون ( هذا الوعد ) الذي تعدناه من العذاب ، الذي هو بنا فيما تقول حال ( إن كنتم صادقين ) فيما تعدوننا به . ( قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي ) يقول جل جلاله : قل لهم يا محمد : عسى أن يكون اقرب لكم ودنا ( بعض الذي تستعجلون ) من عذاب الله . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قل عسى أن يكون ردف لكم ) يقول : اقرب لكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) يقول : اقرب لكم بعض الذي تستعجلون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ) قال : رَدِفَ : أعجل لكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) قال : آزَفَ : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( رَدِفَ لَكُمْ ) اقرب لكم .

واختلف أهل العربية في وجه دخول اللام في قوله ( رَدِفَ لَكُمْ ) وكلام العرب المعروف : ردفه أمر ، وأردفه كما يقال : تبعه وأتبعه ، فقال بعض نحوي البصرة : أدخل اللام في ذلك ، فأضاف بها الفعل كما يقال ( الرَّؤْيَا تَعْتَبِرُونَ - وَلِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ) . وقال بعض نحوي الكوفة : أدخل اللام في ذلك للمعنى ، لأن معناه : ذنا لهم ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا الْحَاجَاتُ يَطْرَحُنَ بِالْفَتَىٰ ١

فأدخل الياء في يطرحن ، وإنما يقال طرحته ، لأن معنى الطرح : الرمي ، فأدخل الياء للمعنى ، إذ كان معنى ذلك يرمين بالفتى . وهذا القول الثاني هو أولهما عندى بالصواب ، وقد مضى البيان عن نظائره في غير موضع من الكتاب ، بما أغنى عن تكراره في هذا الموضع .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( تَسْتَعْجِلُونَ ) قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ) قال : من العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ رَبَّكَ لَتَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ  
مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤)

(١) هذا صدر بيت من شواهد الفراء في (معاني القرآن ص ٢٣٦ من مصورة جامعة القاهرة) وعجزه : \* وهم تعنانى معنى ركائبه . وهو في (اللسان : عناء) وفي روايته : «تعناه» في موضع تعنا في . قال : وعانى الشيء : قاساه . يقال : عاناه وتعناه ، وتعنى هو . وقال : «فقلت . . . الخ . والبيت شاهد على أن الياء في بالفتى زائدة . مثلها في قوله تعالى : «ردف لكم» .

يقول تعالى ذكره : وإن ربك يا محمد لدو فضل على الناس ، بتركة معاجلتهم بالعقوبة ، على معصيتهم إياه ، وكفرهم به ، وذو إحسان إليهم ، في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم ، فيُخلِصوا له العبادة ، ولكنهم يشركون معه في العبادة ، ما يضرهم ولا ينفعهم ، ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان . وقوله ( إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ) يقول : وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه ، ومكنون أنفسهم ، وخفي أسرارهم ، وعلانية أمورهم الظاهرة ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، وهو محصيا عليهم حتى يجازي جميعهم بالإحسان إحسانا ، وبالإساءة جزاءها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ) قال : السر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره : وما من مكتوم سر ، وخفي أمر ، يغيب عن أبصار الناظرين في السماء والأرض ، إلا في كتاب ، وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن ، من لدن ابتداء خلق خلقه ، إلى يوم القيامة . ويعني بقوله ( مُبِينٍ ) أنه يبين لمن نظر إليه ، وقرأ ما فيه ، مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) يقول : ما من شيء في السماء والأرض ، سر ولا علانية ، إلا يعلمه .

وقوله ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد ، يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها ، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى ، فقالت اليهود فيه ما قالت ، وقالت النصارى فيه ما قالت ، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء ، وهؤلاء من هؤلاء ، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها ، فقال جل ثناؤه لهم : إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه ، فاتبعوه ، وأقرأوا لما فيه ، فإنه يقص عليكم بالحق ، ويهديكم إلى سبيل الرشاد .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : إن هذا القرآن هدى ، يقول : لبيان من الله ، بتبين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ( وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ) يقول : ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه ( إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ) يقول : إن ربك يقضى بين المختلفين من بنى إسرائيل بحكمه فيهم ، فينتقم من المبطل منهم ، ويجازى المحسن منهم المحق بجزائه ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ) يقول : وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم ، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم ، العليم بالحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بنى إسرائيل فيما اختلفوا فيه ، ومن غيرهم ، من المبطل الضال عن الهدى .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى، وَلَا تَسْمِعُ الْأُصْمَاءَ

إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : فتوكل إلى الله يا محمد أمورك ، وثق به فيها ، فإنه كافيك ( إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ) لمن تأمله ، وفكر ما فيه بعقل ، وتدبره بفهم ، أنه الحق ، دون ماعليه اليهود والنصارى المختلفون من بنى إسرائيل ، ودون ماعليه أهل الأوثان ، المكذبوك فيما أتيتهم به من الحق ، يقول : فلا يحزنك تكذيب من كذبك ، وخلاف من خالفك ، وامض لأمر ربك الذى بعثك به . وقوله ( إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ) يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته ، لأن الله قد ختم عليه ألا يفهمه ( وَلَا تَسْمِعُ الْأُصْمَاءَ ) يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ( إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ ) يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم ، ولا يصغون للحق ، ولا يتدبرونه ، ولا ينصتون لقائله ، ولكنهم يعرضون عنه ، وينكرون القول به ، والاستماع له .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالَتِهِمْ، إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١)

وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)

اختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( وما أنت بهادى )

بالباء والألف ، وإضافته إلى العمى بمعنى : لست يا محمد بهادي من عمي عن الحق ( عَنْ ضَلَالَتِهِ ) وقرآته عامة قرآء الكوفة ( وَمَا أَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى ) بالباء ، ونصب العمى ، بمعنى : ولست تهديهم ( عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ) ، ولكن الله يهديهم إن شاء .

والقول في ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مشهورتان في قرآء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب . وتأويل الكلام ما وصفت : وما أنت يا محمد بهادي من أعماه الله عن الهدى والرشاد ، فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها ، إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد . وقوله ( إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ) يقول : ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه أحد ، إلا سمع من يصدق بآياتنا ، يعنى بأدلته وحججه وآى تنزيله ( فَهَمْ مُسْلِمُونَ ) . فان أولئك يسمعون منك ماتقول ويتدبرونه ، ويفكرون فيه ، ويعملون به ، فهم الذين يسمعون .

ذكر من قال مثل الذى قلنا في قوله تعالى : ( وَقَعَ )<sup>١</sup>

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) قال : حق عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) يقول : إذا وجب القول عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) قال : حق العذاب . قال ابن جريج : القول : العذاب .

ذكر من قال قولنا في معنى القول

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) والقول : الغضب .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن حفصة ، قالت : سألت أبا العالية ، عن قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ) فقال : أوحى الله إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن : قالت : فكأنما كان على وجهى غطاء فكُشف .

وقال جماعة من أهل العلم : خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية العوفى ،

(١) سقط كلام المؤلف في تأويل الآية رقم ٨٢ ويدل عليه إيراد كلام أهل التأويل فيه .

عن ابن عمر في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ) قال : هو حين لا يأمرؤن بمعروف ، ولا ينهون عن منكر .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن الحسن أبو الحسن ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ) قال : ذلك إذا ترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن ابن عمر ، في قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : حين لا يأمرؤن بالمعروف ، ولا ينهون عن المنكر .

حدثني محمد بن عمرو المقدسي ، قال : ثنا أشعث بن عبدالله السجستاني ، قال : ثنا شعبة ، عن عطية ، في قوله ( وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : إذا لم يعرفوا معروفا ، ولم ينكروا منكرا .  
وذكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ، عن ابن عمر ، قال : تخرج الدابة من صدع في الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام ، وما خرج ثلثها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن القنرات القرآز ، عن عامر ابن وائلة أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون : والله لقد رأينا الدابة ، حتى يبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يقدر على شيء ، قال : ثم تخرج فيراها الناس ، فيقولون : والله لقد رأيناها ، فيبلغ ذلك الإمام ، فيطلب فلا يرى شيئا ، فيقول : أما إنني إذا حدث الذي يذكرها قال : حتى يعد فيها القتل ، قال : فتخرج ، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون ، فتجىء إليهم فتقول : الآن تصلون ، فتخطم الكافر ، وتمسح على جبين المسلم غيرة ، قال : فيعيش الناس زمانا ، يقول هذا يا مؤمن ، وهذا يا كافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عثمان بن مطر ، عن واصل مولى أبي عبيدة ، عن أبي الطفيل عن حذيفة ، وأبي سفيان ، ثنا عن معمر ، عن قيس بن سعد ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد ، في قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمُ لَهُمْ ) قال : للدابة ثلاث خراجات : خرجة في بعض البوادي ثم تكمن ، وخرجة في بعض القرى ، حين يهريق فيها الأمراء الدماء ، ثم تكمن ، فبينما الناس عند أشرف المساجد وأعظمها وأفضلها ، إذ ارتفعت بهم الأرض ، فانطلق الناس هربا ، وتبقى طائفة من المؤمنين ، ويقولون : إنه لا ينجينا من الله شيء ، فتخرج عليهم الدابة تجلو وجوههم مثل الكوكب الدرسي ، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وتأتي الرجل يصلتي ، فتقول : والله ما كنت من أهل الصلاة

فيلتفت إليها فتحطيمه ، قال : تجلو وجه المؤمن ، وتحطيم الكافر ، قلنا : فما للناس يومئذ ؟ قال : جيران في الرباع ، وشركاء في الأموال ، وأصحاب في الأسفار .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الوليد بن جميع ، عن عبد الملك بن المغيرة ، عن عبد الرحمن بن البيهقي ، عن ابن عمر : بييت الناس يسرون إلى جمع ، وتبيت دابة الأرض تسايهم ، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها ، فما من مؤمن إلا مسحته ، ولا من كافر ولا منافق إلا تحبطه .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الحيري ، عن حيان بن عمير ، عن حسان بن حمصة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : لو شئت لانتعلت بنعل هاتين ، فلم أمس الأرض قاعدا ، حتى أفق على الأحجار التي تخرج الدابة من بينها ، ولكأني بها قد خرجت في عقب ركيب من الحاج ، قال فما حججت قط إلا خفت تخرج بعقبنا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو ، وكان منزله قريبا من الصفا ، رفع قدمه وهو قائم ، وقال : لو شئت لم أضعها حتى أضعها على المكان الذي تخرج منه الدابة .

حدثنا عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور ابن المعتز ، عن ربعي بن حراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : وذكر الدابة ، فقال حذيفة : قلت يا رسول الله ، من أين تخرج ؟ قال : من أعظم المساجد حرمة على الله ، بيئنا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون ، إذ تضطرب الأرض تحتهم ، تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلي المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبند ورأسها ملتمعة ذات وبر وریش ، لم يدركها طالب ، ولكن يقوتها هارب ، تسم الناس : مؤمن وكافر ، أما المؤمن فسترك وجهه كأنه كوكب دري ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتشرك بين عينيه نكتة سوداء كافر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو الحسين ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أوس بن خالد ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى ، فتجلبو وجه المؤمنين بالعصا ، وتخيم أنف الكافر بالخاتم ، حتى إن أهل البيت ليجتمعون ، فيقول هذا يا مؤمن ، ويقول هذا يا كافر » .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هي دابة ذات زغب وریش ، ولها أربع قوائم ، تخرج من بعض أودية تهامة ، قال : قال عبد الله بن عمر : إنها تنكس في وجه الكافر نكتة سوداء ، فتفشو في وجهه ، فيسود وجهه ، وتنكس في وجه المؤمن نكتة بيضاء ، فتفشو في وجهه ، حتى

بييض وجهه ، فيجلس أهل البيت على المائدة ، فيعرفون المؤمن من الكافر ، ويقبايعون في الأسواق ، فيعرفون المؤمن من الكافر .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : ثنا ابن لهيعة ويحيى بن أيوب ، قال : ثنا ابن الهاد ، عن عمر بن الحكم ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : تخرج الدابة من شعب ، فيمس رأسها السحاب ، ورجلاها في الأرض ماخرجتنا ، فتمرّ بالإنسان يصلي ، فتقول : ما الصلاة من حاجتك ، فتخطمه . حدثنا صالح بن مسمار ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا يزيد بن عياض ، عن محمد بن إسحاق ، أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو ، قال : تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان وعصا موسى ، فأما الكافر فتختم بين عينيه بخاتم سليمان ، وأما المؤمن فتمسح وجهه بعصا موسى فيبيض .

واختلفت القراءة في قراءة قوله ( تَكَلَّمَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( تَكَلَّمَهُمْ ) بضم التاء وتشديد اللام ، بمعنى تخبرهم وتحديثهم ، وقرأه أبو زرعة بن عمرو ( تَكَلَّمَهُمْ ) بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى : تَسَمَّهُمْ .

والقراءة التي لأستجيز غيرها في ذلك ، ما عليه قرآء الأمصار .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ لَحْمٌ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمَهُمْ ) قال : تحديثهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تَكَلَّمَهُمْ ) وهي في بعض القراءة تحديثهم ، تقول لهم : إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( تَكَلَّمَهُمْ ) قال : كلامها : تنبئهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون .

وقوله ( أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ) اختلفت القراءة في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء الحجاز والبصرة والشام ( إِنَّ النَّاسَ ) بكسر الألف من « إن » على وجه الابتداء بالخبر عن الناس أنهم كانوا ( بآيات الله لا يوقنون ) وهي وإن كسرت في قراءة هؤلاء ، فإن الكلام لها متناول ، وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة وبعض أهل البصرة ( أَنَّ النَّاسَ كَانُوا ) بفتح أن ، بمعنى : تكلمهم بأن الناس ، فيكون حينئذ نصبا ، بوقوع الكلام عليها .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قرآءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضتان في قرآء الأمصار ، فبآيتهما قرأ القاري فصيبي .



## القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا، فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ،  
قَالَ : أَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ، أَمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا ، يعني جماعة منهم ، وزمرة ( مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ) يقول : ممن يكذب بأدلتنا وحججنا ، فهو يحبس أولهم على آخرهم ، ليجتمع جميعهم ، ثم يساقون إلى النار . وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ، فَهُمْ يُوزَعُونَ ) يعني : الشيعة عند الحشر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ) قال : زمرة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ) قال : زمرة زمرة ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يقول : فهم يدفعون .  
حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : يحبس أولهم على آخرهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَهُمْ يُوزَعُونَ ) قال : وزعة ترد أولاهم على آخرهم .

وقد بينت معنى قوله ( يُوزَعُونَ ) فيما مضى قبل بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .  
وقوله ( حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ ) قال أكذبتهم بآياتي ( يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء من كل أمة فوج من يكذب بآياتنا ، فاجتمعوا ، قال الله : ( أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي ) أي بحججي وأدلتني ، ( وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ) يقول ولم تعرفوها حتى معرفتها ؟ ( أَمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) من تكذيب أو تصديق ؟

## القول في تأويل قوله تعالى

وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ، وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره : ووجِبَ السُّخْطُ والغضب من الله على المكذِبين بآياته ، بما ظلموا ، يعنى بتكذيبهم بآيات الله ، يوم يُحْشَرُونَ فهم لا يَنْطِقُونَ ، يقول : فهم لا يَنْطِقُونَ بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حلَّ بهم ، ووقع عليهم من القول . وقوله ( أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ ) يقول تعالى ذكره : ألم ير هؤلاء المكذِبون بآياتنا تصریفنا الليل والنهار ، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سَكَنًا لهم يسكنون فيه ويهدؤون ، راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهاراً ، وهذا مضيئاً يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها ، فيقبلون فيه لمعايشهم ، فيتفكرون في ذلك ، ويتدبروا ، ويعلموا أن مُصَرَّفَ ذلك كذلك ، هو الإله الذى لا يُعجزه شيء ، ولا يتعدَّر عليه إمامة الأحياء ، وإحياء الأموات بعد الممات ، كما لم يتعدَّر عليه الذهاب بالنهار ، والحجىء بالليل ، والحجىء بالنهار ، والذهاب بالليل ، مع اختلاف أحوالهما ( إنَّ في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول تعالى ذكره : إن في تصويرنا الليل سَكَنًا ، والنهار مبصراً ، لدلالة لقوم يؤمنون بالله ، على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت ، وحجة لهم على توحيد الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَفْزِعٌ مِّنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلٌّ أَتَوْهُ

دُخْرِينَ (٨٧)

يختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى ، وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد ، غير أننا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم يذكر هناك من الأخبار ، فقال بعضهم : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه .

ذكر بعض من لم يذكر فيما مضى قبل من الخبر عن ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) قال : كهيئة البوق . حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : الصُّورُ : البوق ، قال : هو البوق ، صاحبه آخذ به ، يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن ، بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها ، قد برك على ركة إحدى رجليه ، فأشار ، فدَبَرَكَ على ركة يساره مُقْعَبًا على قدمها ، عقبها تحت فخذة وأليته ، وأطراف أصابعها في التراب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : الصُّورُ كهيئة القرن ، قد رفع إحدى ركبتيه إلى السماء ، وخفض الأخرى ، لم يلق جفون عينه على مُنْمَضٍ منذ خلق الله السموات ، مستعداً مستجداً ، قد وضع الصُّور على فيه ، ينتظر متى يؤمر أن ينفخ فيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن زياد « قال أبو جعفر : والصواب : يزيد بن أبي زياد » عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار

عن أبي هريرة: أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا رسول الله، ما الصور؟ قال: قرن»، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الأولى: نَفَخَةُ الْفَرْعِ، والثانية: نَفَخَةُ الصَّعْقِ، والثالثة: نَفَخَةُ الْقِيَامِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مَرُءُ اللَّهِ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفَخَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: انْفُخْ نَفَخَةَ الْفَرْعِ، فَيَنْفُخُ نَفَخَةَ الْفَرْعِ، فَيَفْرِغُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيَمُدُّ بِهَا وَيَطْوِيهَا، فَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ (مَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) فَيَسْتَبِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْجُحُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًّا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُنَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) فَتَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوثِقَةِ فِي الْبَحْرِ، تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ، تُكْفَأُ بِأَهْلِهَا، أَوْ كَالْفَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْوَتْرِ، تُرَجِّحُهُ الْأَرْيَاحُ، فَتَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، فَتَدْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَفْطَارَ، فَتَمَلِّقَهَا الْمَلَائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وُجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ، وَيُوتَى النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ (يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). فَيَبِينُ مَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطْرِ إِلَى قَطْرِ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ لِيْلِكَ مِنَ الْكَرْبِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هِيَ كَالْمَهْلِ، ثُمَّ خَسِفَ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، وَانْتَبَرَتِ نَجُومُهَا، ثُمَّ كَشِطَّتْ عَنْهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالْأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَعْنَى اللَّهُ حِينَ يَقُولُ (فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)؟ قَالَ: أَوْلَئِكَ الشُّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، أَوْلَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمْ اللَّهُ فَرَعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمَنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللَّهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شِرَارِ خَلْقِهِ.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا إسماعيل بن رافع، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا فَرَعَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلَقَ الصُّورَ، فَأَعْطَاهُ مَلَكًا، فَهَوَّ وَأَضِعَهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بِبَصَرِهِ إِلَى الْعَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ: قَرْنٌ، قُلْتُ: فَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: عَظِيمٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ عَظْمَ دَائِرَةٍ فِيهِ، لَكَعَرَضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا مَرُءُ اللَّهِ فَيَنْفُخُ نَفَخَةَ الْفَرْعِ، فَيَفْرِغُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ»، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي كُرَيْبٍ عَنِ الْخَارِجِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ «كَالسَّفِينَةِ الْمُرْفَاقَةِ فِي الْبَحْرِ». وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَنُفَخَ فِي صُورِ الْخَلْقِ.

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ) : أى فى الخلق ، قوله ( فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ففزع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من الجن والإنس والشياطين ، من هول مايعاينون ذلك اليوم .

فلان قال قائل : وكيف قيل : ففزع ، فجعل فزَعَ وهى فعل مردودة على ينفخ ، وهى يَفْعُلُ ؟ قيل : العرب تفعل ذلك فى المواضع التى تصلح فيها إذا ، لأن إذا يصلح معها فعل ويفعل ، كقولك : أزورك إذا زرتنى ، وأزورك إذا تزورنى ، فإذا وضع مكان إذا يوم ، أجرى مجرى إذا . فلان قيل : فأين جواب قوله ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ ) ؟ قيل : جائز أن يكون مضمرا مع الواو ، كأنه قيل : ( وَوَقَعَ النُّقُولُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَسْطِقُونَ ) وذلك يوم ينفخ فى الصور . وجائز أن يكون متروكا ، اكتفى بدلالة الكلام عليه منه ، كما قيل ( وَلَوْ بَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) . . . فترك جوابه . . .

وقوله ( إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) قيل : إن الذين استثناهم الله فى هذا الموضع من أن ينالهم الفزع يومئذ : الشهداء ، وذلك أنهم أحياء عند ربهم يُرْزَقُونَ ، وإن كانوا فى عداد الموتى عند أهل الدنيا ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرناه فى الخبر الماضى .

وحدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام عن حدثه ، عن أبى هريرة ، أنه قرأ هذه الآية ( فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ) قال : هم الشهداء . وقوله ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ ) يقول : وكل أنوفه صاغرين . وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ ) يقول : صاغرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ ) قال : صاغرين . حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ ) قال : الداخر : الصاغر الراغم ، قال : لأن المرء الذى يفزع إذا فزع إنما همته الهرب من الأمر الذى فزع منه ، قال : فلما نُفِخَ فى الصور فزعوا ، فلم يكن لهم من الله منسجى .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ دَاخِرِينَ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ ) بمد الألف من أنوفه ، على مثال فاعيلوه ، سوى ابن مسعود ، فإنه قرأه ( وَكُلُّ أُنْفُوسٍ ) على مثال فَعَلَوْهُ ، واتبعه على القراءة به المتأخرون : الأعمش وهمة ، واعتل الذين قرءوا ذلك على مثال فاعيلوه ، بإجماع القراء على قوله ( وَكُلُّهُمُ آتِيهِ ) قالوا : فكذلك قوله : آتوه فى الجمع . وأما الذين قرءوا على قراءة عبد الله ، فلأنهم ردوه على قوله ( فَفَزِعَ ) كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى : ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ) وأتوه كلهم داخرين ، كما يقال فى الكلام : رأى وفرّ وعاد وهو صاغر .

(١) آتوه : جمع آتى بوزن فاعل . وأصله آتوه نقلت الضمة من الياء لاستقلالها إلى التاء ، ثم حذفت الياء ، لسكونها وسكون الواو بعدها فصار آتوه على وزن فاعوه . ووزنها قبل حذف الياء فاعلوه ، وهو الذى أراد المؤلف .

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قرآنة الأمصار ، ومتقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيـب .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ، صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، إِنَّهُ خَبِيرٌ  
بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره : وترى الجبال يا محمد ، تحسبها قائمة وهي تمر .

كالذي حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً ) يقول : قائمة ، وإنما قيل : وهي تمر مرّ السحاب لأنها تجمع ثم تسير ، فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة ، وهي تسير سيرا حثيثا ، كما قال الجعديّ :

بَارِعَنَ مِثْلَ الطُّودِ تَحْسَبُ أَتْمُهُمْ وَقُوفٌ لِحَاجِ وَالرَّكَّابُ هَمَلِيحٌ

قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) ، وأوثق خلقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول : أحكم كل شيء .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول : أحسن كل شيء خلقه وأوثقه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) قال : أوثق كل شيء وسوى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَتَقَنَ ) : أوثق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ) ، يقول تعالى ذكره : إن الله ذو علم وخبرة بما يفعل عباده : من خير وشر ، وطاعة له ومعصية ، وهو مجازي جميعهم على جميع ذلك ، على الخير الخير ، وعلى الشر الشر نظيره .

(١) الأرعن : يريد به الجيش العظيم ، شبه بالجبل الضخم ذي الرعان ، وهي : الفضول ، كرعان الجبال . والرعن : الأنف العظيم من الجبل ، تراه متقدما . وقيل الأرعن : هو المضطرب لكثرتة . والعلود : الجبل العظيم . والحاج : جمع حاجة ، وهملج : تمشي الهملجة ، والهملجة سير حسن في سرعة . والبيت شاهد على أن الشيء الضخم تراه وهو يتحرك ، فتحسبه ساكنا ، مع أنه مسرع في سيره جدا ، وذلك كسير الجيش ، وكسير السفينة في البحر ، يحسبها الناطر إليها وهي مجدة في سيرها ، كأنها واقفة . وذلك هو شأن الجبال عند القيامة : تراها كأنها جامدة ، وهي تسير مسرعة كالسحاب .

## القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا، وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ؛ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ؟ (٩٠)

يقول تعالى ذكره : من جاء الله بتوحيده والإيمان به ، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه ، فله من هذه الحسنة عند الله خير يوم القيامة ، وذلك الخير أن يثيبه الله منها الجنة ، ويؤمنه من فزع الصيحة الكبرى ، وهي النفخ في الصور ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) يقول : ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه ، وجحود وحدانيته ، ( فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ ) في نار جهنم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا الفضل بن دكين ، قال : ثنا يحيى بن أيوب البجلي ، قال : سمعت أبا زرعة ، قال : قال أبو هريرة ، قال يحيى : أحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ » ، قال : وهى لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) قال : وهى الشرك .

حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا أبو يحيى الحماني ، عن النضر بن عربي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَرْعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ) : قال : من جاء بلا إله إلا الله . ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) ، قال : بالشرك .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) يقول : من جاء بلا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) وهو الشرك .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : بالشرك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : كلمة الإخلاص . ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه ، قال ابن جريج : وسمعت عطاء يقول فيها الشرك ، يعنى في قوله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي الخجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، قال : كان يخلف ما يستثنى ، أن ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) : قال : لا إله إلا الله ، ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) : قال : الشرك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء مثله .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) قال : الشرك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا سعيد بن سعيد ، عن علي بن الحسين ، وكان رجلا غزاة ، قال : بيانا هر في بعض خكواته ، حتى رقع صوته : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛ قال : فردّ عليه رجل : ما تقول يا عبد الله ؟ قال : أقول ماتسمع ، قال : أما إنها الكلمة التي قال الله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، وَهُمْ مِنْ فَتْرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : الإخلاص . ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : الشرك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) يعني : الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) : يقول : الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ) قال : السيئة : الشرك ، الكفر .

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : ثنا حفص بن عمر العديني ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قوله ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ) قال : شهادة أن لا إله إلا الله ( وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ) قال : السيئة : الشرك . قال الحكم ، قال عكرمة : كل شيء في القرآن السيئة فهو الشرك .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) فنها وصل إليه الخير ، يعني ابن عباس بذلك من الحسنه وصل إلى الذي جاء بها الخير .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا حسين الشهيد ، عن الحسن ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال : له منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قال : من جاء بلا إله إلا الله ، فله خير منها خيرا ٧ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) يقول : له منها حظ . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ) قال : له منها خير ، فأما أن يكون خيرا من الإيمان فلا ، ولكن منها خير : يصيب منها خيرا .

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم ، عن عكرمة ،

(١) يريد أن (من) ليست للتفصيل ، ولذلك قدمها على خير ، وإنما هي لتعليل أو نحوه .

قوله (مَنْ جَاءَ بِإِلْحَسَنَةٍ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال: ليس شيء خيرا من لإله إلا الله، ولكن له منها خير. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (مَنْ جَاءَ بِإِلْحَسَنَةٍ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) قال: أعطاه الله بالواحدة عشرة، فهذا خير منها. واختلفت القراء في قراءة قوله (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) فقرأ ذلك بعض قراء البصرة (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) بإضافة فرع إلى اليوم. وقرأ ذلك جماعة قراء أهل الكوفة (مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ) بتنوين فرع.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأ القارئ فصيب، غير أن الإضافة أعجب إلى، لأنه فِرْعَ معلوم. وإذا كان ذلك كذلك، كان معرفة، على أن ذلك في سياق قوله (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفِرْعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) فإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه عُسِي بِقَوْلِهِ (وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ) من الفِرْعَ الذي قد جرى ذكره قبله. وإذا كان ذلك كذلك، كان لاشك أنه معرفة، وأن الإضافة إذا كان معرفة، به أولى من ترك الإضافة، وأخرى: أن ذلك إذا أضيف فهو أبين أنه خبر عن أمانه من كل أهوال ذلك اليوم، منه إذا لم يُصِف ذلك، وذلك أنه إذا لم يصف كان الأغلب عليه أنه جعل الأمان من فرع بعض أهواله. وقوله (هَلْ تُجِزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول تعالى ذكره: يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كَتَبَكُمْ اللهُ لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم، وترك «يقال لهم»: اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد (قُلْ إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ) وهي مكة، الذي حرّمها على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما، أو يظلموا فيها أحدا، أو يصاد صيدها، أو يختلج خلالها، دون الأوثان التي تعبدونها أيها المشركون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) يعني: مكة. وقوله (وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ) يقول: ولرب هذه البلدة الأشياء كلها ملكا، فإياه أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ، لامن لا يملك شيئا. وإنما قال جل ثناؤه (رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا) فخصها بالذكر دون سائر



البُلْدَان ، وهو ربّ البلاد كلها ، لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين هم أهل مكة بذلك ، نعمته عليهم ، وإحسانه إليهم ، وأن الذى ينبغى لهم أن يعبدوه هو الذى حرّم بلدهم ، فنع الناس منهم ، وهم فى سائر البلاد يأكل بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، لامن لم تجر له عليهم نعمة ، ولا يقدر لهم على نفع ولا ضرر . وقوله ( وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) يقول : وأمرنى ربى أن أسلم وجهى له حنيفا ، فأكون من المسلمين الذين دانوا بدين خليله إبراهيم ، وجدكم أيها المشركون ، لامن خالف دين جدّه الحقّ ، ودان دين إبليس عدو الله .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ ، فَمَنْ أَهْتَدِيَ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ

الْمُنذِرِينَ (٩٢)

يقول تعالى ذكره : قل إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة ، وأن أكون من المسلمين ، ( وأن أتلو القرآن ، فَمَنْ أَهْتَدِيَ ) يقول : فمن تبعنى وآمن بى وبما جئت به ، فسلك طريق الرشاد ( فَلِإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ) يقول : فإنما يسلك سبيل الصواب ، باتباعه إياى ، وإيمانه بى ، وبما جئت به لنفسه ، لأنه بإيمانه بى ، وبما جئت به ، يأمن نعمته فى الدنيا ، وعذابه فى الآخرة . وقوله ( وَمَنْ ضَلَّ ) يقول : ومن جار عن قصد السبيل ، بتكذيبه بى ، وبما جئت به من عند الله ( فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ) يقول تعالى ذكره : فقل يا محمد لمن ضلّ عن قصد السبيل ، وكذبك ، ولم يصدق بما جئت به من عندى ، إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله ومخطئه ، على معصيتهم إياه ، وقد أذرتكم ذلك معشر كفار قريش ، فإن قبلتم وانتهيتم عما يكرهه الله منكم من الشرك به ، فحفظوا أنفسكم تصيبون ، وإن رددم وكذبتم ، فعلى أنفسكم جنيتم ، وقد بلغنكم ما أمرت بإبلاغه إياكم ، ونصحت لكم .

## القول فى تأويل قوله

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ، آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركى قومك ( متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ) ؟ الحمد لله على نعمته علينا ، بتوفيقه إيانا للحقّ الذى أنتم عنه عمون ، سيركم ربكم آيات عذابه ومخطئه ، فتعرفون بها حقيقة نصحى كان لكم ، ويقين صدق مادعوتكم إليه من الرشاد .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( سَبِّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ) قال : في أنفسكم ، رفي السماء والأرض والرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( سَبِّرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ) : قال : في أنفسكم والسماء والأرض والرزق .

وقوله ( وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون ، ولكن لهم أجل هم بالغوه ، فإذا بلغوه ، فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . يقول تعالى ذكره لنبية صلى الله عليه وسلم : فلا يحزنك تكذيبهم إياك ، فإني من وراء إهلاكهم ، وإني لهم بالميرصاد ، فأيقن لنفسك بالنصر ، ولعدوك بالذل والخزي .

آخر تفسير سورة النمل .

ولله الحمد والمِنَّة ، وبه الثقة والعِصْمَة .

### تفسير سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى : وتقدمت أسماءه

طسّم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣)

قال أبو جعفر : قد بيننا قبل فيما مضى تأويل قول الله عزّ وجلّ ( طسّم ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويله . وأما قوله ( تلك آيات الكتاب المبين ) فإنه يعنى هذه آيات الكتاب الذى أنزلته إليك يا محمد ، المبين أنه من عند الله ، وأنت لم تتفقوا له ولم تتخترصه .

وكان قتادة فيما ذكر عنه يقول فى ذلك ما حدثنى بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( طسّم . تلك آيات الكتاب المبين ) يعنى : مبينٌ والله بركتته ورشدته وهُداه . وقوله ( تَتْلُوا عَلَيْكَ ) يقول : نقرأ عليك ونقص فى هذا القرآن من خبر موسى وفرعون بالحق .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول فى هذا القرآن نَبَأُهُمْ . وقوله ( لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : لقوم يصدقون بهذا الكتاب ، ليعلموا أن ما نلتو عليك من نبأهم فيه نبؤهم ، وتطمئن نفوسهم بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين ، سنتنا فيمن عادى موسى ، ومن آمن به من بنى إسرائيل ، من فرعون وقومه ، أن نهلكهم كما أهلكتهم ، وننجيهم منهم كما أنجيتهم منهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ، يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ، يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ ،

وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)

يقول تعالى ذكره: إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقرؤا له بالعبادة. كما حدثنا محمد بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي (إن فرعون علا في الأرض) يقول: تجبر في الأرض.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إن فرعون علا في الأرض): أي بغى في الأرض.

وقوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) يعني بالشيعة: الفِرَق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا): أي فرقا يذبح طائفة منهم، ويستحي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة، قال الله عز وجل (يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ).

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر بنو إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تترك، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلكون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا) يعني بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: فرق بينهم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: فیرقا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) قال: الشيعة: الفِرَق.

وقوله (يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ) ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده.

لعله: الحزاة، بضم الحاء، جمع الحازي، وهو المتكهن. قال في (اللسان: حزا) التحزى: التكهن؛ حزي حزيا وتحزى تكهن. ولم نجد في مادة (حوز) معنى التكهن. فلعل ما في الأصل خطأ النسخ. ويؤيد ما قلناه أنه سيجيء في صفحة ٢٩ سطر ٤ صحيحا كما قلناه.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة : يستعبد طائفة منهم ، ويذبح طائفة ، ويقتل طائفة ، ويستحي طائفة .

وقوله ( إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ) يقول : إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل ، واستعباده من ليس له استعباده وتجبره في الأرض على أهلها ، وتكبره على عبادة ربه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً ، وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥)  
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)

وقوله ( وَنُرِيدُ ) عطف على قوله ( يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ ) ومعنى الكلام : أن فرعون علا في الأرض ، وجعل أهلها من بني إسرائيل فارقاً يستضعف طائفة منهم ، ونحن نريد أن نمُنَّ على الذين استضعفهم فرعون في الأرض من بني إسرائيل ، ونجعلهم أمة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ ) قال : بنو إسرائيل .  
قوله ( وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً ) أي ولاة وملوكا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً ) أي ولاة الأمر .  
وقوله ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) يقول : ونجعلهم وراث آل فرعون ، يرثون الأرض من بعد مهلكهم .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) : أي يرثون الأرض بعد فرعون وقومه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) يقول : يرثون الأرض بعد فرعون .

وقوله ( وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ونوطي لهم في أرض الشام ومصر ( وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ

وهامانَ وَجَسُودَهُمَا ) كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل ، فكانوا من ذلك على وجل منهم ، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ، على يد موسى بن عمران نبيه ، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم ، وخراب منازلهم ودورهم . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَنَمَكَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَسُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) شيئا ما حذر القوم قال : وذكر لنا أن حازيا حزا لعدو الله فرعون ، فقال : يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل ، يسلبك ملكك ، فتتبع أبناءهم ذلك العام ، يقتل أبناءهم ، ويستحي نساءهم ، حذرا مما قال له الحازي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان لفرعون رجل ينظر له ويخبره ، يعني أنه كاهن ، فقال له : إنه يولد في هذا العام ، غلام يذهب بملككم ، فكان فرعون يذبح أبناءهم ، ويستحي نساءهم حذرا ، فذلك قوله ( وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجَسُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين ( وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ) بمعنى : ونرى نحن بالنون ، عطفاً بذلك على قوله ( وَنَمَكَنَّ لَهُمْ ) وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( وَنَرِي فِرْعَوْنَ ) على أن الفعل لفرعون ، بمعنى : ويعاين فرعون ، بالياء من يرى ، ورفع فرعون وهامان والجنود .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فهو مصيب ، لأنه معلوم أن فرعون لم يكن ليرى من موسى ما رأى ، إلا بأن يريه الله عز وجل منه ، ولم يكن ليريه الله تعالى ذكره ذلك منه إلا رآه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنِ ارْضِعِيهِ ، فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ، وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ (٧)

يقول تعالى ذكره ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) حين ولدت موسى ( أَنْ ارْضِعِيهِ ) .

وكان قتادة يقول في معنى ذلك : وأوحينا إلى أم موسى : قد فطنا في قلبها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) وحيها جاءها من الله ، فقذف في قلبها ، وليس بوحى نبوة أن أرضعي موسى ( فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ) وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ) قال : قذف في نفسها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر فرعون أن يذبح من ولد من بني إسرائيل سنة ، ويتركوا سنة ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى ، فلما أرادت وضعه ، حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها ( أن أرضعيه ) ، فإذا خيفت عليه فآلقيه في اليم .  
 واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقى موسى في اليم ، فقال بعضهم : أمرت أن تلقيه في اليم بعد ميلاده بأربعة أشهر ، وذلك حال طلبه من الرضاع أكثر مما يطلب الصبي ، بعد حال سقوطه من بطن أمه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( أن أرضعيه ) فإذا خيفت عليه قال : إذا بلغ أربعة أشهر وصاح وابتغى من الرضاع أكثر من ذلك ( فآلقيه ) حينئذ ( في اليم ) فذلك قوله ( فإذا خيفت عليه ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : لم يقل لها : إذا ولدته فآلقيه في اليم ، إنما قال لها ( أن أرضعيه ) ، فإذا خيفت عليه فآلقيه في اليم ) بذلك أمرت ، قال : جعلته في بستان ، فكانت تأتيه كل يوم فترضعه ، وتأتيه كل ليلة فترضعه ، فيكفيه ذلك . وقال آخرون : بل أمرت أن تلقيه في اليم ، بعد ولادها إياه ، وبعد رضاعها .

## ذكر من قال ذلك

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما وضعته أرضعته ، ثم دعت له نجارا ، فجعل له تابوتا ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه ، وألقته في اليم .  
 وأولى قول قيل في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه ، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم . وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه . وأى ذلك كان ، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه ، ولا خبر قامت به حجة ، ولا فطرة في العقل لبيان أى ذلك كان من أى ، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة : أن يقال كما قال جل ثناؤه . واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل .

كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فآلقيه في اليم ) قال : هو البحر ، وهو النيل . وقد بينا ذلك بشواهد ، وذكر الرواية فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته .  
 وقوله ( ولا تخافي ولا تحزني ) يقول : لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه ، ولا تحزني لفراقه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ) قال : لا تخافي عليه البحر ، ولا تحزني لفراقه ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ) .  
وقوله ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) يقول : إنا رادوا وكذلك إليك للرضاع ، لنكوني أنت ترضعيه وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله ، وفعل الله ذلك بها وبه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ) وباعثوه رسولا إلى هذه الطاغية ، وجاعلو هلاكه ونجاة بنى إسرائيل مما هم فيه من البلاء على يديه .

القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَلْقَتْهُ سَالُومًا فَرِعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا : إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيئِينَ (٨)

يقول تعالى ذكره : فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه ، وأصله من اللقطة ، وهو ما وجد ضالا ، فأخذ ، والعرب تقول : لما وردت عليه فجأة من غير طلب له ولا إرادة ، أصبته التقاطا ، ولقيت فلانا التقاطا ، ومنه قول الراجز :

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ التَّقِاطَا لَمْ أَلْقَ إِذْ وَرَدَّتْهُ فُرَاطَا

يعنى : فجأة .

واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ( آل فِرْعَوْنَ ) فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بذلك : جواري امرأة فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : أقبل الموج بالتأبوت يرفعه

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز ، لنقادة الأسدى ، أوردتهما فى ( اللسان : لفظ ) وأورد معهما بيتا ثالثا ، وهو :  
« إلا الحمام الورق والغطاطا » قال : ولقيته التقاطا : إذا لقيته من غير أن ترجوه أو تحسبه ؛ قال نقادة الأسدى : « ومنهل وردته . . . »  
الآيات الثلاثة . وقال سيبويه : التقاطا : أى فجأة ، وهو من المصادر التى وقعت أحوالا ، نحو جاء ، ركضا . ووردت الماء والشئ التقاطا : إذا هجمت عليه بفتة ، ولم تحسبه . وحكى ابن الأعرابي : لقيته لقاطا : مواجهة . وفى حديث عمر أن رجلا من تميم التقط شبكة ، فطلب أن يجعلها له . الشبكة : الآبار القريبة الماء . والتقاطه : عثوره عليها من غير طلب . اه . وقال فى ( فرط ) : وفرط التقط : متقدما لها إلى الوادى والماء . وأنشد البيت ونسبه إلى نقادة الأسدى . ( وفى غلط ) : والغطاط التقط ، بفتح العين . وقيل : ضرب من القطا ، واحده : غطاطة . وقيل القطا : ضربان ؛ فالقصار الأرجل ، الصفر الأعناق ، السود القوام . الصهب الخوافى . هى الكدرية والجنونية ( بضم أولهما ) والطوال الأرجل ، البيض البعلون ، النبر الظهور ، الواسعة العيون : هى الغطاط . وقيل : الغطاط : ضرب من الطير ، ليس من القطا ، هن غير البطون والظهور والأبدان ، سود الأجنحة . وقيل : سود بطون الأجنحة ، طول الأرجل والأعناق ، لطاف . اه . وانظر أقوالا أخرى فى ( اللسان : غطط ) . والبيت الأول فى ( معجم ما استعجم للبكرى طبعة القاهرة ، بترتيب مصطفى السقا ص ٧٧٩ ) . وفى الكتاب لسيبويه ( ١ : ١٨٦ ) .

مرة ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار ، عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن ، فوجدن التابوت ، فأدخلنه إلى آسية ، وظنن أن فيه مالا؛ فلما نظرت إليه آسية ، وقعت عليها رحمة ، فأحبته ؛ فلما أخبرت به فرعون ، أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلمه ، حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل ، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) .  
وقال آخرون : بل عني به ابنة فرعون .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : كانت بنت فرعون برصاء ، فجاءت إلى النيل ، فإذا التابوت في النيل تحفقه الأمواج ، فأخذته بنت فرعون ، فلما فتحت التابوت ، فإذا هي بصبي ، فلما اطلعت في وجهه برأت من البرص ، فجاءت به إلى أمها ، فقالت : إن هذا الصبي مبارك ، لما نظرت إليه برئت ، فقال فرعون : هذا من صبيان بني إسرائيل ، هلم حتى أقتله ، فقالت : قرّة عين لي ولك ، لا تقتلوه .  
وقال آخرون : عني به أعوان فرعون .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح فرعون في مجلس له ، كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة ؛ فبينما هو جالس ، إذ مرّ النيل بالتابوت يقذف به ، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه ، فقالت : إن هذا لشيء في البحر ، فأتوني به ، فخرج إليه أعوانه ، حتى جاءوا به ، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده ، فألقى الله عليه محبته ، وعطف عليه نفسه ، قالت امرأته آسية : ( لَاتَقْتُلُوهُ ، عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) .

ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصراب ، مما قال الله عزّ وجلّ ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ ) ، وقد بينا معنى الآل فيما مضى ، بما فيه الكفاية من إعادته هاهنا .

وقوله ( لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) فيقول القائل : ليكون موسى لآل فرعون عدواً وحزناً التقطوه ، فيقال ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) قيل : إنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك ، بل لما تقدّم ذكره . ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، في قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) قال : ليكون لهم في عاقبة أمره عدواً وحزناً لما أراد الله به ، وليس لذلك أخذه ، ولكن امرأة فرعون قالت ( قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ) فكان قول الله ( لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) لما هو كائن في عاقبة أمره لهم ، وهو كقول القائل لآخر إذا قرّعه لفعل كان فعله ، وهو يُحْسَبُ محسناً في فعله ، فأداه فعله ذلك إلى مساءة ، مندماً له على فعله : فعلت هذا لضرّ نفسك ، ولتضرّ به نفسك فعلت . وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه ، يفعله راجياً نفعه ، غير



أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو . فكذلك قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) إنما هو : فالتقطه آل فرعون ظنا منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم ، ليكون قرّة عين لهم ، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه .

وقوله ( عَدُوًّا وَحَزَنًا ) يقول : يكون لهم عدوًّا في دينهم ، وحزنًا على ما ينالهم منه من المكروه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ) عدوًّا لهم في دينهم ، وحزنًا لما يأتيهم .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( وَحَزَنًا ) بفتح الحاء والزاي . وقرأته عامة قراء الكوفة ( وَحَزَنًا ) بضم الحاء وتسكين الزاي ، والحزن ، بفتح الحاء والزاي : مصدر من حزننت حزنًا ، والحزن ، بضم الحاء وتسكين الزاي : الاسم : كالعَدَمُ والعُدْمُ ونحوه : والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وهما على اختلاف اللفظ فيهما ، بمنزلة العَدَمِ ، والعُدْمِ ، فأبتهما قرأ القارئ فصيبي .

وقوله ( إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ) يقول تعالى ذكره : إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا برئهم آثمين ، فلذلك كان لهم موسى عدوًّا وحزنًا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ،

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره ( وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ) له هذا ( قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ) يافرعون ، فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا ، أو هو . وقوله ( لَا تَقْتُلُوهُ ) : مسئلة من امرأة فرعون أن لا يقتله ، وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون ، قال فرعون : أمّا لك فنعيم ، وأمّا لي فلا ، فكان كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : قالت امرأة فرعون ( قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ ، عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) . قال فرعون : قرّة عين لك ، أمّا لي فلا . قال محمد بن قيس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ قَالَ فِرْعَوْنُ : قُرَّةُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ، لَكَانَ كَلِمًا بَجْرِيًا » .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : اتخذ فرعون ولدًا ، ودعى على أنه ابن فرعون ، فلما تحرك الغلام ، أرته أمه آسية صبيًا ، فبينما هي ترقصه وتلعب به ، إذ ناولته فرعون ،

وقالت : خذه قرّة عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرّة عين لك ، لالي . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لي قرّة عين ، إذن لآمن به ، ولكنه أبي .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قالت امرأة فرعون ( قرّة عيني لي ولك ) تعني بذلك موسى .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس قال : لما أتت بموسى امرأة فرعون قالت : ( قرّة عيني لي ولك ) قال فرعون : يكون لك ، فأما لي فلاحاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي يُخَلِّفُ بِهِ لَوْ أَقْرَبَ فِرْعَوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَبَتْ ، لَهَدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرَأَتَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ » .

وقوله ( لَانْتَقَلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) ذُكِرَ أَنَّ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ قَالَتْ هَذَا الْقَوْلَ حِينَ هَمَّ بِقَتْلِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : حِينَ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ التَّقَطُّعِ مِنَ الْيَمِّ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَوْمَ نَشَفَّ مِنْ لِحْيَتِهِ ، أَوْ ضَرَبَهُ بِعَصَا كَانَتْ فِي يَدِهِ .

ذكر من قال : قالت ذلك يوم نتف لحيته

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أُتِيَ فرعون به صبياً ، أخذه إليه ، فأخذ موسى بلحيته فتنفها ، قال فرعون : على بالذباحين ، هو هذا ، قالت آسية ( لَانْتَقَلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) إنما هو صبي لا يعقل ، وإنما صنّع هذا من صباه .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَانْتَقَلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ) قال : أَلْقِيَتْ عَلَيْهِ رَحْمَتًا حِينَ أَبْصَرْتَهُ .  
وقوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وهم لا يشعرون هلاكهم على يده .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه ، وفي زمانه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : إن هلاكهم على يديه .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : آل فرعون أنه لم عدوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وهم لا يشعرون بما هو كائن من أمرهم وأمره .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قالت امرأة فرعون آسية ( لانتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا ، وهم لا يشعرون ) يقول الله : وهم لا يشعرون أي بما هو كائن بما أراد الله به .

وقال آخرون : بل معنى قوله ( وهم لا يشعرون ) بنو إسرائيل لا يشعرون أننا التقطناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ( لانتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا ، وهم لا يشعرون ) قال : يقول : لاتدرى بنو إسرائيل أننا التقطناه .

والصواب من القول في ذلك : قول من قال : معنى ذلك : وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به ، لأنه عقيب قوله ( وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ، لانتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا ) وإذا كان ذلك عقيبها ، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذي هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ، إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبًا لَتَكُونُ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عسى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا ، فقال بعضهم : الذي عني جل ثناؤه أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا ، كل شيء سوى ذكر ابنها موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن العلاء ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد ، وحسان أبي الأشرس عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) قال : فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن رجل ، عن ابن عباس ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .  
 حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي عن ابن عباس ، قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : يقول : لا تذكر إلا موسى .  
 حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : من كل شيء غير ذكر موسى .  
 حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى :  
 حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب ، عن مطر ، في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من كل شيء إلا من هم موسى .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) : أي لاغيا من كل شيء ، إلا من ذكر موسى .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فرغ من كل شيء غير ذكر موسى .  
 وقال آخرون : بل عني أن فؤادها أصبح فارغا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ، إذ أمرها أن تلقيه في اليم ، فقال ( وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ، وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ) قال : فحزنت ونسيت عهد الله إليها ، فقال الله عز وجل ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) من وحيها الذي أوحيناه إليها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) قال : فارغا من الوحي الذي أوحى الله إليها ، حين أمرها أن تلقيه في البحر ، ولا تخاف ولا تحزن ، قال : فجاءها الشيطان ، فقال : يا أم موسى ، كرهت أن يقتل فرعون موسى ، فيكون لك أجره وثوابه ، وتوليت قتله ، فألقيتيه في البحر وغرقته ، فقال الله ( وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ) من الوحي الذي أوحاه إليها .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : ثني الحسن ، قال : أصبح فارغا من العهد الذي عهدنا إليها ، والوعد الذي وعدناها أن نرد عليها ابنها ، فنسيت ذلك كله ، حتى كادت أن تبدي به ، لولا أن ربطنا على قلبها .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : قد كانت أم موسى ترفع له حين قذفته في البحر ، هل تسمع له بذكر ، حتى أتاه الخبر بأن فرعون أصاب الغداة صبيا في النيل في التابوت ، فعرفت الصفة ، ورأت أنه وقع في يدي عدوه الذي فررت به منه ، وأصبح فؤادها فارغا من عهد الله إليها فيه ،

قد أنساها عظيم البلاء ما كان من العهد عندها من الله فيه . وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب : معنى ذلك : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الحزن ، لعلمها بأنه لم يفرق . قال : وهو من قولهم : دم فسرغ<sup>١</sup> : أى لا قود ولا دية ، وهذا قول لامعنى له ، لخلافه قول جميع أهل التأويل .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندى : قول من قال : معناه : وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شيء ، إلا من هم موسى .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لدلالة قوله ( إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) ولو كان عتني بذلك : فراغ قلبها من الوحى ، لم يعقب بقوله ( إن كادت لتبدي به ) ، لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحى ، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه ، وولوعها به ، ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة . وإذا كان ذلك كذلك ، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها ، وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخص فراغ قلبها من شيء دون شيء ، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه . وقد ذكر عن فضالة بن عبيد ، أنه كان يقرؤه ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) من الفرع .

وقوله ( إن كادت لتبدي به ) اختلف أهل التأويل في المعنى الذى عادت عليه الهاء في قوله ( به ) فقال بعضهم : هى من ذكر موسى ، وعليه عادت .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا الأعمش ، عن مجاهد وحسان أبي الأشرس ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) أن تقول : يا ابنه .

قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) : أن تقول : يا ابنه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( إن كادت لتبدي به ) : أن تقول : يا بنياه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إن كادت لتبدي به ) : أى لتبدي به أنه ابنها ، من شدة وجدها .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما جاءت أمه أخذت منها ، يعنى الرضاع ، فكادت أن تقول : هو ابني ، فعصمها الله ، فذلك قول الله ( إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ) .

وقال آخرون ( بما أوحيناه إليها ) : أى تظفر .

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا : إن كادت لتقول : يا بنياه لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك ، وأنه عقيب قوله ( وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ) فلأن يكون لو لم (١) في (السان فرغ) : يقال : ذهب دمه فرغا وفرغا (بفتح الفاء وكسرها مع سكون الراء) أى باطلا هدرا ، لم يطلب به .

يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك، من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي .  
وقال بعضهم: بل معنى ذلك: إن كادت لتبدي بموسى فتقول: هو ابني، قال وذلك أن صدرها ضاق  
فدُئِبَ إلى فرعون، وقيل ابن فرعون. وعنى بقوله (لَتُبَدِّي بِهِ) لَتُظْهِرَهُ وَتُخَبِّرَ بِهِ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حُدِّثَ عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله  
(إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ) لَتُشْعِرَ بِهِ .  
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ)  
قال: لَتُعْلِنَ بِأَمْرِهِ، لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .  
وقوله (لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) يقول: لَوْ لَا أَنْ عَصَمْنَا مِنْ ذَلِكَ بِتَثْبِيثِهَا وَتَوْفِيقِهَا  
للسكوت عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله (لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى  
قَلْبِهَا) : أَى بِالْإِيمَانِ (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) .  
حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: كادت تقول: هو ابني،  
فعصمها الله، فذلك قول الله (إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) :  
وقوله (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره: عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها  
للعهد الذي عهدنا إليها (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بوعد الله، الموقنين به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ، فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره: وقالت أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم (قُصِّيهِ) يقول: قُصِّ أُنْثَرُ  
موسى، اتبعي أثره، تقول: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن،  
قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قال: اتبعي أثره كيف يصنع به .  
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (قُصِّيهِ) أى  
قُصِّ لِأَثَرِهِ .

حدثنا ابن حميد ، ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ ) قال : اتبعني أثره .  
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ ) أي  
انظري ماذا يفعلون به .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ ) يعني :  
قصي أثره .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن  
أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصْبِيهِ ) أي قصي أثره واطلبيه  
هل تسمعين له ذكرا ؟ أحيى ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها .  
وقوله ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ ) يقول تعالى ذكره : فقصت أخت موسى أثره ، فبصرت به عن  
جُنْبٍ : يقول : فبصرت بموسى عن بُعد ، لم تدن منه ولم تقرب ، لئلا يعلم أنها منه بسبيل ، يقال منه :  
بَصُرْتُ بِهِ وَأَبْصُرْتُهُ ، لغتان مشهورتان ، وأبصرت عن جُنْبٍ ، وعن جنابة ، كما قال الشاعر :

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زَائِرًا عَنْ جَنَابَةٍ فَكَانَ حُرَيْثٌ عَنْ عَطَائِي جَاهِدًا ۱

يعني بقوله : عن جنابة : عن بُعد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَنْ جُنْبٍ ) قال : بُعد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( عَنْ جُنْبٍ )  
قال : عن بُعد . قال ابن جريج ( عَنْ جُنْبٍ ) قال : هي على الحد في الأرض ، وموسى يجرى به النيل ،  
وهما متحاذيان ، كذلك تنظر إليه نظرة ، وإلى الناس نظرة ، وقد جعل في تابوت مُقْبِرٌ ظهره وبطنه ،  
وأقفلته عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي سفيان ، عن معمر ، عن قتادة :  
( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ ) يقول : بصرت به وهي مُحَاذِيْتُهُ لم تأته .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن  
أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ ) ، والجُنْبُ : أن  
يسمو بصر الإنسان إلى الشيء البعيد ، وهو إلى جنبه لا يشعر به .

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبعة القاهرة ص ٦٥ ) قصيدة يمدح بها هودبة بن علي الخنق ، ويذم الحارث بن ولة  
ابن جبالد الرقاشي ، وقد صغراسمه تحقيرا له وذما . وعن جنابة عن بعد وغربة . ورجل جنب أيضا : معنى قريب . والجاهد : الذي  
ينكر ما يعلم . ججده حقه ، وبجقه . قاله في اللسان . والشاهد . في البيت « عن جنابة » ومعناه عن بعد .

وقوله ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول : وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) قال : آل فرعون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَبَصَّرْتَهُ بِهِ ) عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ  
لَا يَشْعُرُونَ ) أنها أخته ، قال : جعلت تنظر إليه كأنها لا تريد .  
حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أنها أخته .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ) أي لا يعرفون أنها منه بسبيل .

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ ؟ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه . ذكّر أن أختا موسى ، هي  
التي قالت لآل فرعون ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أرادوا له المراضعات ، فلم  
يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك  
قوله ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) فَقَالَتْ ) أخته ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ  
لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ ) فلما جاءت أمه أخذ منها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ )  
قال : لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن حسان ، عن سعيد  
ابن جبّير ، عن ابن عباس ( وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) قال : كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَحَرَمْنَا  
عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) قال : لا يرضع ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه .



حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ) قال : جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها ، قال : فقالت أخته ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : اجعوا المراضع ، حين ألقى الله محبتهم عليه ، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فبئرمضهم ذلك ، فيؤتى بمرضع بعد مرضع ، فلا يقبل شيئا ممن ، فقالت لم أخته حين رأت من وجدهم به ، وحرصهم عليه ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ) ، ويعني بقوله ( يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ) : يضمونه لكم . وقوله ( وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) ذكير أنها أخذت ، فقيل : قد عرفته ، فقالت : إنما عنيت أنهم للملك ناصحون .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما قالت أخته ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) أخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام ، فدُلينا على أهله ، فقالت : ما أعرفه ، ولكني إنما قلت : هم للملك ناصحون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) قال : فعَلِقوها حين قالت : وهم له ناصحون ، قالوا قد عرفته ، قالت : إنما أردت هم للملك ناصحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ) أي لمزلته عندكم ، وحرصكم على مسرة الملك ، قالوا : هاني .

القول في تأويل قوله تعالى

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : فرددنا موسى إلى أمه بعد أن التقطه آل فرعون ، لتقر عينها بابنها ، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون ، ولا تحزن على فراقه إياها ، ولتعلم أن وعد الله الذي وعدها إذ قال لها ( فإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ) ، ولا تخافي ولا تحزني . . . الآية ، حق . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ) فقرأ حتى بلغ ( لَا يَعْلَمُونَ ) ، ووعدنا أنه رآه إليها ، وجاعله من المرسلين ، ففعل الله ذلك بها . وقوله ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق ، لا يصدقون بأن ذلك كذلك .

(١) في (اللسان : رمض) : والرمض : حرقة الفيظ . وقد أرمضني هذا الأمر ، فرمضت . ويقال : أرمضني : أوجعني .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ، آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : ولما بلغ موسى أشده ، يعني حان شدة بدنه وقواه ، وانتهى ذلك منه . وقد بينا معنى الأشد فيما مضى بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( واستوى ) يقول : تناهى شبابه ، وتمّ خلقه واستحكم ، وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء ، فقال بعضهم : يكون ذلك في أربعين سنة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله : ( واستوى ) قال : أربعين سنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( ولما بلغ أشده ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . قوله ( واستوى ) قال : بلغ أربعين سنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ( ولما بلغ أشده ) قال : بضعا وثلاثين سنة .

قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ولما بلغ أشده ) قال : ثلاثا وثلاثين سنة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أشده ) واستوى قال : أربعين سنة ، وأشده : ثلاثا وثلاثين سنة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ولما بلغ أشده ) واستوى قال : كان أبي يقول : الأشد : الجسد ، والاستواء : أربعون سنة . وقال بعضهم : يكون ذلك في ثلاثين سنة .

وقوله ( آتيناها حكما وعِلما ) يعني بالحكم : الفهم بالدين والمعرفة . كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( آتيناها حكما وعِلما ) قال : الفقه والعقل والعمل قبل النبوة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( آتيناها حكما وعِلما ) قال : الفقه والعمل قبل النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ) آتاه الله حكما وعلما :  
فقها في دينه ودين آبائه ، وعلما بما في دينه وشرائعه وحدوده .  
وقوله ( وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : وكما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه ،  
بصبره على أمرنا ، كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا ، فصبر على أمرنا وأطاعنا ، وانتهى عما  
نهيناه عنه :

## القول في تأويل قوله تعالى

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ، وَهَذَا  
مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ ، فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ، قَالَ  
هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥)

يقول تعالى ذكره ( وَدَخَلَ ) موسى ( الْمَدِينَةَ ) مدينة منف من مصر ( عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) وذلك عند القائلة نصف النهار .

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا الوقت ، فقال بعضهم :  
دخلها متبعا أثر فرعون ، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد ؛ فلما حضر علم بركوبه ، فركب واتبع أثره ،  
وأدركه المقييل في هذه المدينة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كان موسى حين كبر  
يركب مراكب فرعون ، ويلبس مثل ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون ، ثم إن فرعون ركب  
مركبا وليس عنده موسى ؛ فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره ، فأدركه المقييل  
بأرض يقال لها منسف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلقت أسواقها ، وليس في طرفها أحد ، وهي التي يقول  
الله ( وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) .

وقال آخرون : بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه ، لأنه كان قد خالفهم في دينهم ، وعاب ما كانوا  
عليه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما بلغ موسى أشده واستوى ، آتاه الله  
حكما وعلما ، فكانت له من بنى إسرائيل شيعه يسمعون منه ويطيعونه ، ويجمعون إليه ، فلما استأد رأيه ،  
وعرف ما هو عليه من الحق ، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه ، فتكلم وعادى وأنكر ،

(١) استدرايه : من السداد ! أي أحكم عقله ، وقويت تجاربه .

حتى ذكر ذلك منه ، وحتى أخافوه وخافهم ، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا ، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها .

وقال آخرون : بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته ، حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده . قالوا : ومعنى الكلام : ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى : أي من بعد نسيانهم خبره وأمره .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( عَمَلَى حِينَ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : ليس غفلة من ساعة ، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره . وقال فرعون لامرأته : أخرجيه عنى حين ضرب رأسه بالعصا ، هذا الذى قُتِيَتْ فيه بنو إسرائيل . فقالت : هو صغير ، وهو كذا ، هات جمرًا ، فأنى يجمر ، فأخذ جمرًا ، فطرحها في فيه ، فصارت عقدة في لسانه ، فكانت تلك العقدة التى قال الله ( وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ) قال : أخرجيه عنى ، فأخرج ، فلم يدخل عليهم حتى كبر ، فدخل على حين غفلة من ذكره .

وأولى الأقوال بالصحة بذلك أن يقال كما قال الله جل ثناؤه : ولما بلغ أشده واستوى ، دخل المدينة على حين غفلة من أهلها .

واختلفوا في الوقت الذى عني بقوله ( عَمَلَى حِينَ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) فقال بعضهم : ذلك نصف النهار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن محمد بن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قوله ( وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : نصف النهار . قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : يقولون في القائلة ، قال : وبين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ) قال : دخلها بعد ما بلغ أشده عند القائلة : نصف النهار .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : دخل نصف النهار .

وقوله ( فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ) يقول : هذا من أهل دين موسى من بنى إسرائيل ( وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ) من القبط من قوم فرعون . ( فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ) : يقول : فاستعاثه الذى هو من أهل دين موسى ، على الذى من عدوه من القبط ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ، فَقَتَضَى عَلَيْهِ ) يقول : فلكره وكرهه في صدره يُجْمَع كفه .

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، قال : أساء موسى من حيث أساء ، وهو شديد الغضب شديد القوة ، فرّ برجل من القبط ، قد تسخر رجلا من المسلمين ، قال : فلما رأى موسى استغاث به ، قال : ياموسى ، فقال موسى : خلّ سبيله ، فقال : قد هممت أن أحمله عليك ، فوكره موسى ، فقتضى عليه ؛ قال : حتى إذا كان الغد نصف النهار ، خرج ينظر الخبر ، قال : فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حدّه ؛ قال : فقال : ياموسى ، قال : فاشتدّ غضب موسى ، قال : فأهوى ، قال : فخاف أن يكون إياه يريد ، قال : فقال ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ؟ ) قال : فقال الرجل : ألا أراك يا موسى أنت الذى قتلت ؟

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن عليّ ، قال : ثنا الأعمش ، عن سعيد بن جبير ( فوجد فيهما رجلين يقتتلان ) قال : رجل من بني إسرائيل ، يقاتل جبارا لفرعون ، فاستغاثه ، فوكره موسى ، فقتضى عليه ؛ فلما كان من الغد ، استصرخ به فوجده يقاتل آخر ، فأغاثه ، فقال : ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ) ، فعرفوا أنه موسى ، فخرج منها خائفا يترقب ، قال عثام : أو نحو هذا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فوجد فيهما رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ، وهذا من عدوه ) أما الذى من شيعته فن بنى إسرائيل ، وأما الذى من عدوه فقبلى من آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فوجد فيهما رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته وهذا من عدوه ) يقول : من القبط ( فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ) .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ابن أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « لما بلغ موسى أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سُخْرَة ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما هو يمشى ذات يوم في ناحية المدينة ، إذا هو برجلين يقتتلان : أحدهما من بني إسرائيل ، والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فغضب موسى ، واشتدّ غضبه ، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل ، وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاة من أم موسى ، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على علم ما لم يطلع عليه غيره ، فوكره موسى الفرعوني فقتله ، ولم يرها أحد إلا الله والإسرائيلي ، فقال موسى حين قتل الرجل ( هذا من عمل الشيطان ) . . . الآية » .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فوجد فيهما رجلين يقتتلان ، هذا من شيعته ) مسلم ، وهذا من أهل دين فرعون كافرا ( فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من

عَدُوِّهِ) وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق ، وشدة في البطش ، فغضب بعدوا فهازاه ، فوكره موسى وكره قتله منها وهو لا يريد قتله ، فقال ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ) قال : من قومه من بنى إسرائيل ، وكان فرعون من فارس من إصطخر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ( هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ) إسرائيل ( وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ) قبطي ( فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ) .  
وبنحو الذي قلنا أيضا ، قالوا في معنى قوله ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) قال : يُبْجَعُ كَفَهُ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَوَكَرَهُ مُوسَى ) نبى الله ، ولم يتعمد قتله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قتله وهو لا يريد قتله .

وقوله ( فَتَقَضَّى عَلَيْهِ ) يقول : ففرغ من قتله . وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء : الفراغ ، بما أغنى عن إعادته ها هنا .

ذكر أنه قتله ثم دفنه في الرمل

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ( فَوَكَرَهُ مُوسَى فَتَقَضَّى عَلَيْهِ ) ثم دفنه في الرمل .

وقوله ( قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى حين قتل القتل : هذا القتل من تسبب الشيطان لي ، بأن هيج غضبي ، حتى ضربت هذا ، فهلك من ضربتي ، ( إِنَّهُ عَدُوٌّ ) يقول : إن الشيطان عدو لابن آدم ( مُضِلٌّ ) له عن سبيل الرشاد ، بتزيينه له التبيح من الأعمال ، وتحسينه ذلك له ( مُبِينٌ ) يعنى أنه يبين عداوته لهم قديما ، وإضلاله إياهم .

القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها ، وتوبته إليه منه ، ومسلته غفرانه من ذلك ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ) بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها ، فاعف عن ذنبي ذلك ، واستره عليّ ، ولا تؤاخذني به ، فتعاقبني عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ) قال : بقتلي ، من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر ، ولم يؤمر .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : عرف المخرج ، فقال ( ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي ، فَغَفَرَ لَهُ ) .

وقوله ( فَغَفَرَ لَهُ ) يقول تعالى ذكره : فعفا الله لموسى عن ذنبه ، ولم يعاقبه به ( إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) يقول : إن الله هو الساتر على المنيبين إليه من ذنوبهم ، على ذنوبهم ، المتفضل عليهم بالعفو عنها ، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم ، بعد ما تابوا منها . وقوله ( قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أُنْعَمْتُ عَلَيْ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى ربّ بلعامك عليّ ، بعفوك عن قتل هذه النفس ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) يعني المشركين ، كأنه أقسم بذلك ، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( فَلَا تَجْعَلْنِي ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) كأنه على هذه القراءة دعا ربه ، فقال : اللهم لن أكون ظهيرا ، ولم يستثن عليه السلام حين قال ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) فابتلى .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ) يقول : فلن أعين بعدها ظلما على فجرة ، قال : وقلما قالها رجل إلا ابتلى ، قال : فابتلى كما تسمعون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، فَإِذَا الَّذِي اُسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ، قَالَ لَهُ مُوسَى : إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جنايته التي جناها ، وقتله النفس التي قتلها ، أن يؤخذ فيقتل بها ( يَتَرَقَّبُ ) يقول : يتربص الأخبار : أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس ، مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن

أبي أيوب ، قال : ثنا سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ( فأصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : خائفًا من قتله النفس ، يترقب أن يؤخذ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فأصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : خائفًا أن يؤخذ .

وقوله ( فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ) يقول تعالى ذكره : فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبًا الأخبار عن أمره وأمر القتييل ، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني ، يقاتله فرعون آخر ، فرآه الإسرائيلي ، فاستصرخه على الفرعوني : يقول : فاستغاثه أيضا على الفرعوني ، وأصله من الصراخ ، كما يقال : قال بنو فلان : يا صباحاه ! قال له موسى ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) يقول جل ثناؤه : قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه ، وقد صادف موسى نادماً على ما سلف منه من قتله بالأمس القتييل ، وهو يستصرخه اليوم على آخر : إنك أيها المستصرخ لعويٌّ : يقول : إنك لذو غواية ، مبين : يقول : قد تبينت غوايتك ، بقتالك أمس رجلاً ، واليوم آخر .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : أتي فرعون ، فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون ، فخذ لنا بحقتنا ، ولا ترخص لهم في ذلك . قال : ابغوني قاتله أو من يشهد عليه ، لا يستقيم أن نقضى بغير بيعة ولا ثبتت<sup>٢</sup> ، فاطلبوا ذلك ، فبيناهم يطوفون لا يجدون شيئاً ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى ، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني ، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) ، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس إذ قتل فيه الفرعوني ، فخاف أن يكون بعد ما قال له ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) إياه أراد ، ولم يكن أراد ، إنما أراد الفرعوني ، فخاف الإسرائيلي ، فحاجته ، فقال ( يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ) وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتتاركا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ) قال : الاستنصار والاستصراخ واحد .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ) يقول : يستغيثه .

(٢) في (اللسان : ثبت) الثبت : بالتحريك : الحجة والبينة .

(١) ابغوني قاتله : هاتوا لي قاتله .



حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما قَتَلَ موسى القَتِيلَ ، خرج فلحق بمنزله من مصر ، وتحدث الناس بشأنه ، وقيل : قتل موسى رجلا ، حتى انتهى ذلك إلى فرعون ، فأصبح موسى غاديا الغد ، وإذا صاحبه بالأمس معانق رجلا آخر من عدوه ، فقال له موسى ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) أمس رجلا ، واليوم آخر ؟

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة والشيباني ، عن عكرمة ، قال : الذي استنصره : هو الذي استنصره .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ، قَالَ : يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : فلما أن أراد موسى أن يبطش بالفرعوني الذي هو عدو له وللإسرائيلي ، قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد : ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ( فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ) قال : خافه الذي من شيعته حين قال له موسى ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال موسى للإسرائيلي ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) ثم أقبل لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ، ليطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي ، وفرق من موسى أن يبطش به ، من أجل أنه أغلظ له الكلام : يا موسى ( أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) . فتركه موسى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قال : ندم بعد أن قتل القَتِيلَ ، فقال ( هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ) قال : ثم استنصره بعد ذلك الإسرائيلي على قبطنى آخر ، فقال له موسى ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) فلما أراد أن يبطش بالقبطنى ، ظن الإسرائيلي أنه إياه يريد ، ف ( قال : يا موسى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟ قال : وقال ابن جرير ، أو ابن أبي نجيح « الطبري يشك » وهو في الكتاب ابن أبي نجيح : إن موسى لما أصبح ، أصبح نادما تائبا ، يود أن لم يبطش بواحد منهما ، وقد قال للإسرائيلي ( إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ) ، فلم الإسرائيلي أن موسى غير ناصره ؛ فلما أراد الإسرائيلي أن يبطش بالقبطنى ناه موسى ، وفرق الإسرائيلي من موسى ، ( فقال : أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟ فسعى بها القبطنى .

وقوله ( إن تُريدُ إلاَّ أنْ تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبيل الإسرائيليين لموسى : ( إن تريد ) ما تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض . وكان من فعل الجبابة : قتل النفوس ظلماً ، بغير حق . وقيل : إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي ، لأنه كان عندهم من قتل نفسين : من الجبابة .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم ، عن الشعبي قال : من قتل رجلين فهو جبار ؛ قال : ثم قرأ ( أتريدُ أنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ، إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ، وَمَا تُريدُ أنْ تَكُونُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ) إن الجبابة هكذا ، تقتل النفس بغير النفس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، ( إنْ تُريدُ إلاَّ أنْ تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ) قال : تلك سيرة الجبابة أن تقتل النفس بغير النفس . وقوله ( وَمَا تُريدُ أنْ تَكُونُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) يقول : ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها ، من طاعة الله . وذكر عن ابن إسحاق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَمَا تُريدُ أنْ تَكُونُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ) أي ما هكذا يكون الإصلاح .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْمِي ، قَالَ : يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُاتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَأَخْرُجْ  
إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)

بِكبير أن قول الإسرائيليين سمعه سامع فأفشاء ، وأعلم به أهل القتييل ، فحينئذ طلب فرعون موسى ، وأمر بقتله ؛ فلما أمر بقتله ، جاء موسى مخبر ، وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره ، وأشار عليه بالخروج من مصر ، بلد فرعون وقومه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمعي بن زيد ، قال : ثنا القاسم بن أبي أيوب ، قال : ثنى سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيليين إلى قومه ، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليين من الخبر حين يقول ( أتريدُ أنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ) ؟ فأرسل فرعون الذبّاحين لقتل موسى ، فأخذوا الطريق الأعظم ، وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة ، فاقتصر طريقاً قريباً ، حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : أعلمهم القبطي الذي هو عدو

لهما ، فأتمر المملأ ليقنلوة ، فجاء رجل من أقصى المدينة ، وقرأ ( إن ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كنا نحدث أنه مؤمن آل فرعون .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : ذهب القبطي ، يعني الذي كان يقاتل الإسرائيلي ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال : خذوه ، فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بُنَيَاتِ الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدى الطريق ، وأخذ موسى في بُنَيَاتِ الطريق ، وقد جاءه الرجل فأخبره ( إن المملأ يا تمرون بك ليقتلوك ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن أصحابه ، قالوا : لما سمع القبطي قول الإسرائيلي لموسى ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ) سعى بها إلى أهل المقتول ، فقال : إن موسى هو قتل صاحبكم ، ولو لم يسمعه من الإسرائيلي لم يعلمه أحد ؛ فلما علم موسى أنهم قد علموا خرج هاربا ، فطلبه القوم فسبقهم ؛ قال : وقال ابن أبي نجيح : سعى القبطي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال قال الإسرائيلي لموسى : ( أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس ) ؟ وقبطي قريب منهما يسمع ، فأفشى عليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمع ذلك عدو ، فأفشى عليهما . وقوله ( وجاء رجل ) ذكر أنه مؤمن آل فرعون ، وكان اسمه فيا قيل : سمعان . وقال بعضهم : بل كان اسمه شمعون .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الحبسي ، قال : اسمه شمعون ، الذي قال لموسى ( إن المملأ يا تمرون بك ليقتلوك ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أصبح المملأ من قوم فرعون قد أجمعوا لقتل موسى فيا بلغهم عنه ، فجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ، يقال له سمعان ، فقال ( يا موسى ، إن المملأ يا تمرون بك ليقتلوك ) ، فاخرج إني لك من الناصحين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ) إلى موسى ( قال يا موسى إن المملأ يا تمرون بك ليقتلوك ) ، فاخرج إني لك من الناصحين .

وقوله ( من أقصى المدينة يسعى ) يقول : من آخر مدينة فرعون ( يسعى ) يقول : يعجل :

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ) قال : يعجل ليس بالشد .

وقوله ( قال يا موسى إن المملأ يا تمرون بك ليقتلوك ) يقول جل ثناؤه : قال الرجل الذي

(١) بنيات الطريق : تصغير نبات الطريق ، وهي الطرق الصغار ، تنسب من الطرق الكبار .

جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى : ياموسى إن أشرف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك ، ويتشاورون ويرتنون فيك ؛ ومنه قول الشاعر :

ما تَأْتَمَّرُ فِينَا قَامُـرُكَ فِي يَمِينِكَ أَوْ شِمالِكَ<sup>١</sup>

يعنى : ما ترتنى وتهم به ؛ ومنه قول النَّمِيرِ بنِ تَوَلِّبِ :

أَرَى النَّاسَ قَدَ أَحْدَثُوا شَيْمَةً<sup>٢</sup> فِي كُلِّ حَادِثَةٍ يُؤْتَمَّرُ<sup>٣</sup>  
أى يُتَشَاوَرُ وَيُرْتَأَى فِيهَا .

وقوله ( فَاخْرُجْ لَأَنى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ) يقول : فاخرج من هذه المدينة ، لئى لك فى إشارتى عليك بالخروج منها من الناصحين .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ : رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ

قَالَ : عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : فخرج موسى من مدينة فرعون ، خائفا من قتله النفس أن يقتل به ، ( يترقب ) : يقول : ينتظر الطلب أن يدركه فياخذه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : سعيد ، عن قتادة ( فخرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) خائفا من قتله النفس ، يترقب الطلب ( قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( فخرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : خائفا من قتل النفس ، يترقب أن يأخذه الطَّلَبُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لى أَنه خَرَجَ على وجهه ، خائفا يترقب ، ما يدرى أى وجه يسلك ، وهو يقول ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فخرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ) قال : يترقب الطَّلَبُ مخافة .

(١) فى (اللسان : أمر) : وفى التنزيل : « إن الملا يآمرون بك ليقتلوك » قال أبو عبيدة أى يتشاورون عليك ليقتلوك . وجعل منه المؤلف قول الشاعر « ما تأممر فينا » . يريد أن ماتشاور فيه أهل الرأى فى أمرنا ، فهو أمرنا قد لا معترض عليه . لكن تفسير المؤلف لبيت بقوله « يعنى ما ترتنى ، وتهم به » : يجعل المعنى ليس من الائتار ، بمعنى المشاورة ، ولكن من الائتار بمعنى الاستبداد بالرأى ، دون مشورة أحد غير نفسه قال الأزهرى : ائتمر فلان رأيه : إذا شاور عقله فى الصواب الذى يأتىه ، وقد يصيب الذى يآتمر رأيه مرة ، ويخطئ أخرى .

(٢) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ( الورقة ١٧٨ : ١ ) . والشيمة : الخلق . يريد : أحدثوا أخلاقا لم تعرف من قبله . يشير الشاعر إلى ما حدث من إثارة الشكوك والجدل فى مسائل السياسة كالحلقة أو العقائد كالقول فى القدر أو نحو ذلك . فهذه هى الأخلاق التى أحدثها الناس فى الصدر الأول من حياة المسلمين ، بعد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتمرن بن تولب شاعر مخضرم . والشاهد فى قوله « يؤتمر » أى يحدث التشاور وتداول الآراء والجدل . ولعل الشاعر رأى مقدمات الخلاف ، وأمارات الفرقة تلوح من خلال الحوادث ، فأذمر بها .

وقوله ( قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفا : ربِّ نجني من هؤلاء القوم الكافرين ، الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بك .

وقوله ( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ) يقول تعالى ذكره : ولما جعل موسى وجهه نحو مدين ، ماضيا إليها ، شاخصا عن مدينة فرعون ، وخارجا عن سلطانه ، ( قَالَ : عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) وعسى بقوله « تلقاء » نحو مدين ، ويقال : فعل ذلك من تلقاء نفسه ، يعنى به : من قبيل نفسه ، ويقال : داره تلقاء دار فلان : إذا كانت محاذيتها ، ولم يصرف اسم مدين ، لأنها اسم بلدة معروفة ، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة ؛ ومنه قول الشاعر :

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكَ تَنَزَّلُوا وَالْعَصْمُ مِنْ شَعَفِ الْعُقُولِ الْفَادِرِ

وقوله ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) يقول : عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين ، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها .

وذكر أن الله قبض له إذ قال ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) ملكا سدَّ ده الطريق ، وعرفه إياه .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما أخذ موسى في بُنْيَات الطريق ، وجاءه ملكك على فرس بيده عتزة ، فلما رآه موسى سجد له من الفراق ، قال : لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ، فاتبعه ، فهده نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) فانطلق به ، حتى انتهى به إلى مدين .

حدثنا العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد ابن جببير ، عن ابن عباس ، قال : خرج موسى متوجها نحو مدين ، وليس له علم بالطريق ، إلا حُسن ظنه بربه ، فإنه قال ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكِرَ لي أنه خرج وهو يقول : ( رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) فهياً الله الطريق إلى مدين ، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ، ولا ظهر ولا درهم ولا رغيغ ، خائفا يترقب ، حتى وقع إلى أمة من الناس يَسْتَقُونَ بمدين .

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المرزوي ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ابن عمرو ، عن سعيد بن جببير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينها وبينها مسيرة ثمان ، قال : وكان يُقال نحو من الكوفة إلى البصرة ، ولم يكن له طعام إلا وَرَقَ الشجر ، وخرج حافيا ، فما وصل إليها ، حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام ، قال : ثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد ، عن ابن عباس ،

(١) البيت بحرير ، وقد تقدم الاستشهاد به على أن الرهبان جمع راهب في (٧ : ٣) من هذا التفسير . واستشهد به هنا على أن مدين متنوعة من الصراف ، لأنها علم على بلدة ، ففيها العلمية والتأنيث . (٢) الظهر : الدابة التي يركب ظهرها ، من حمل ونحوه .

قال : لما خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينه وبينها ثمان ليال ، كان يقال : نحو من البصرة إلى الكوفة ثم ذكر نحوه ، ومدين كان بها يومئذ قوم شعيب عليه السلام .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ) ومدين : ماء كان عليه قوم شعيب ( قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) .  
وأما قوله ( سَوَاءَ السَّبِيلِ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، نحو قولنا فيه .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : الطريق إلى مدين .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : قصد السبيل .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عباد بن راشد ، عن الحسن ( عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ) قال : الطريق المستقيم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ،  
قَالَ : مَا خَطْبُكُمَا ؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ( ٢٣ )  
يقول تعالى ذكره : ولما ورد موسى ماء مدين ( وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ ) يعني جماعة ( مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ) نَعْمَتَهُمْ ومواشيهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ) يقول : كثرة من الناس يسقون .  
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ ) قال : أناسا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقع إلى أمة من الناس يسقون بمدين أهل نَعْمَ وشاء .

حدثنا علي بن موسى وابن بشار ، قالوا : ثنا أبو داود ، قال : أخبرنا عمران القطان ، قال : ثنا أبو حمزة عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال علي بن موسى قال : مثل ماء جوبكم هذا ، يعني الخدثة . وقال ابن بشار : مثل محدثكم هذه ، يعني جرابكم هذا .

وقوله ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يقول : ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء ، امرأتين تذودان ، يعني بقوله ( تَذُودَانِ ) تحبسان غنهما ؛ يقال منه : ذاد فلان غنمه وماشيته : إذا أراد شيء من ذلك يشدّ ويذهب ، فردّه ومنعه يذودها ذوداً . وقال بعض أهل العربية من الكوفيين : لا يجوز أن يقال : ذدت الرجل بمعنى : حبسته ، إنما يقال ذلك للغنم والإبل . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إني لبعقر حوضي أذود الناس عنه بعصاي » فقد جعل الذود صلى الله عليه وسلم في الناس ؛ ومن الذود قول سويد بن كراع :

أبيت على باب القوافي كائماً  
أذودُ بها سرباً من الوحش نزعاً  
وقول الآخر :

وقد سلبت عصاك بنو تميم  
فما تدرى بأى عصا تذودُ  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( تَذُودَانِ ) يقول : تحبسان .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثني سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يعني بذلك أنهما حابستان . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، عن سعيد بن جببير ، في قوله ( امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) قال : حابستين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) يقول : تحبسان غنهما .

واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان ، فقال بعضهم : كانتا تذودان غنهما عن الماء ، حتى يصدُر عنه مواشي الناس ، ثم تسقيان ماشيتهما لضعفهما .

(١) البيت لسويد بن كراع المكل ، وكان هجا بني عبد الله بن دارم ، فاستمدوا عليه سعيد بن عبان ، فأراد ضربه ، فقال سويد قصيدة أولها : ( تقول ابنة العوف ليل ألا ترى إل ابن كراع لا يزال مفزعا ) ؟ والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن . قال عند قوله تعالى : « ووجد من دونهم امرأتين تذودان » : مجازه : تمنعان وتردان وتضربان : قال سويد بن كراع « أبيت على باب القوافي » . . . البيت وقد أورد صاحب الأغاني أبيات سويد بن كراع التي منها بيت الشاهد في الجزء ( ١٢ : ٣٤٤ ) طبعة دار الكتب . وفيه « أصادي » في موضع « أذود » قال محققه : صاداه : داراه وسأراه . ولا شاهد فيه حينئذ .

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في ( مجاز القرآن الورقة ١٧٨ ب ) قال : تلودان مجازه : تمنعان وتردان وتضربان .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك قوله : ( امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) قال : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا وتخلو لهما البئر .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ ) يعني دون القوم ، تذودان غنمهما عن الماء ، وهو ماء مدين .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : تذودان الناس عن غنمهما .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ) قال : أي حابستين شاءهما ، تذودان الناس عن شائهما .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن أصحابه ( تَذُودَانِ ) قال : تذودان الناس عن غنمهما .  
وأولى التأويلين في ذلك بالصراب قول من قال معناه : تحبسان غنمهما عن الناس ، حتى يفرغوا من سقى مواشيهم . وإنما قلنا ذلك أولى بالصراب : لدلالة قوله ( مَا خَطْبُكُمَا ؟ ) قالتا لانتسقي حتى يصدر الرعاء ) على أن ذلك كذلك ، وذلك أنهما إنما شكيا أنهما لاتسقيان حتى يصدر الرعاء ، إذ سألهما موسى عن ذؤوديهما ، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس ، كان لاشك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذؤودهما عنها الناس ، لاعت سبب تأخر سقيهما إلى أن يصدر الرعاء .  
وقوله ( قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ؟ ) يقول تعالى ذكره : قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ما شئكما عن الناس ؟ هلا تسقونها مع مواشي الناس ؟ والعرب ، تقول للرجل : ما خطبك : بمعنى ما أمرك وحالك ، كما قال الراجز :

يَا عَجَبًا مَا خَطْبُهُ وَخَطْبِي ١

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : أخبرنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، قال : قال لهما ( مَا خَطْبُكُمَا ) معترلتين لاتسقيان مع الناس .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وجد لهما رحمة ، ودخلته فيهما خشية ، لما رأى من ضعفهما ، وغلبة الناس على الماء دونهما ، فقال لهما : ما خطبكما : أي ما شأنكما ؟

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في معاني القرآن ( الورقة ١٨٧ - ١ ) قال في تفسير قوله تعالى : « ما خطبكما » : أي ما أمركما وشأنكما ؟ قال : يا عجباً ما خطبه وخطبي . والبيت : من مشطور الراجز لرؤبة بن المعجاج ( ديوانه ص ١٦ ) من أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة ، وهو عامر بن عبد الله بن قيس ، مطلعها : « اتعنتني والهوى ذو عتب »



وقوله ( قَالَتَا لَانَسْفِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ) يقول جل ثناؤه : قالت المرأتان لموسى : لانسقى ماشيتنا حتى يُصْدِرَ الرعاء ماشيتهم ، لأننا لانطبق أن نسقى، وإنما نسقى ماشيتنا ما أفضلت ماشى الرعاء في الحوض ، والرعاء : جمع راع ، والراعى : جمعه رعاء ورعاة ورُعَيان .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنى سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : لما قال موسى للمرأتين ( ماخطببكمما ؟ قَالَتَا لَانَسْفِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) : أى لانستطيع أن نسقى حتى يسقى الناس ، ثم نتبّع فضلائهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( حتى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ) قال : تنتظران تسقيان من فضول ما فى الحياض حياض الرعاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَتَا لَانَسْفِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ) امرأتان ، لانستطيع أن نزاحم الرجال ( وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) لايقدر أن يمسخ ذلك من نفسه ، ولا يسقى ماشيته ، فنحن ننتظر الناس ، حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا .

واختلفت القرآء فى قراءة قوله ( حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ) فقرأ ذلك عامة قرآء الحجاز - سوى أبى جعفر القارى - وعامة قرآء العراق - سوى أبى عمرو ( يُصْدِرَ الرَّعَاءُ ) بضم الياء ، وقرأ ذلك أبوجعفر وأبو عمرو ، بفتح الياء من يُصْدِرُ الرعاء عن الحوض . وأما الآخرون فإنهم ضموا الياء ، بمعنى : أصدر الرعاء ماشيتهم . وهما عندى قرأتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيتهما قرأ القارى فصيب .  
وقوله ( وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) يقولان : لا يستطيع من الكبر والضعف أن يسقى ماشيته .

وقوله ( فَسَقَى لهُمَا ) ذُكِرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَفَتَحَ لهُمَا عَن رَأْسِ بئر ، كان عليها حجراً لا يطبق رفعه إلا جماعة من الناس ، ثم استسقى ، فسقى لهما ماشيتهما منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجیح ، عن مجاهد ، قال : فتح لهما عن بئر حجر أعلى فيها ، فسقى لهما منها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، بنحوه ، وزاد فيه : قال ابن جريج : حجرا كان لا يطيقه إلا عشرة رهط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجّاج ، عن الحكم ، عن شريح ، قال : انتهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة رجال ، فرفعه وحده .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : رحهما موسى حين ( قَالَتَا لَانَسْفِي حَتَّى يُصْدِرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ) فَأَتَى إِلَى البئر ، فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من

أهل مَدْيَنَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا ، حَتَّى يَرْفَعُوهَا ، فَسَقَى لَهَا مُوسَى دُلُومًا ، فَأَرَوْنَا غَنَمَهُمَا ، فَرَجَعْنَا سَرِيعًا ، وَكَانَتَا ، إِنَّمَا تَسْقِيَانِ مِنْ فُضُولِ الْخِيَاضِ .

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ( فَسَقَى لَهَا ) ، فجعل يغرف في الدلو ماء كثيرا ، حتى كانت أول الرعاء رياء ، فانصرفنا إلى أبيهما بغنمهما .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : تصدق عليهما نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فسقى لهما ، فلم يلبث أن أروى غنمهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أخذ دلوها موسى ، ثم تقدم إلى السقاء بفضل قوته ، فزاحم القوم على الماء ، حتى أخرهم عنه ، ثم سقى لهما .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَسَقَى لَهُمَا ، ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما ، ثم تولى إلى ظل شجرة ، ذكّر أنها شجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( ثُمَّ تَوَلَّى ) موسى إلى ظل شجرة شجرة ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) .

حدثني العباس ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : انصرف موسى إلى شجرة ، فاستظل بظلها ، فقال : رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، قال : حثت على جمل لي ليلتين ، حتى صبحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترف ، فأهوى إليها جملي ، وكان جائعا ، فأخذها جملي ، فعالجها ساعة ، ثم لفظها ، فدعوت الله لموسى عليه السلام ، ثم انصرفت ، وقوله ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) محتاج ، وذكر أن نبي الله موسى عليه السلام قال : هذا القول ، وهو يجهد شديد ، وعرض ذلك للمرأتين تعريضا لهما ، لعلهما أن تطعماهما بما به من شدة الجوع . وقيل : إن الخير الذي قال نبي الله : ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) ، إنما عني به : شبعة من طعام .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب موسى

من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت تُسرى أمتعاه من ظاهر الصفاق ؛ فلما سقى للمرأتين ، وأوى إلى الظل ، قال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال : ورد الماء وإنه ليرآى خضرة البقل في بطنه من الهزال ، ( فقال رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : شَبَعَةُ .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ) قال : ورد الماء ، وإن خضرة البقل لُتري في بطنه من الهزال .

حدثني نصر بن عبد الرحمن ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : شَبَعَةُ يومئذ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله ، فقال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : قال هذا وما معه درهم ولادينار .

قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : ما سأل إلا الطعام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن سفيان الثوري ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : ما سأل ربه إلا الطعام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى : ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمتعاه من شدة الجوع ، وما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال ( رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : كان نبي الله يجهد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علبية ، عن عطاء بن السائب في قوله ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : بلغني أن موسى قالها وأسمع المرأة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : طعام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : طعام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ) قال : الطعام يَسْتَطْعِمُ ، لم يكن معه طعام ، وإنما سأل الطعام .

القول في تأويل قوله تعالى

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ، قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ،  
فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ : لَا تَخَفْ ، نَبَّحْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره : فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سئتي لهما ، تمشي على استحياء من موسى ، قد سترت وجهها بثوبها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو السائب والفضل بن الصباح ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهذيل ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في قوله ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : مسترة بكم درعها ، أو بكم قميصها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حماد بن عمرو الأسدي ، عن أبي سينان ، عن ابن أبي الهذيل عن عمر رضي الله عنه ، قال : واضعة يدها على وجهها مسترة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : قد سترت وجهها بيديها .  
قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نَوْفٍ ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : قائلة بيديها على وجهها ، ووضع أبي يده على وجهه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون : ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : ليست بسلفع من النساء : خراجة ولاجة ، واضعة ثوبها على وجهها ، تقول : ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : لم تكن سلفعا من النساء : خراجة ولاجة ، قائلة بيدها على وجهها ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا قُرَّةُ بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول ، في قوله ( فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : بعيدة من البداء .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ) قال : أنه تمشي على استحياء منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَبِجَاءِ تِهِ إِحْدَاهُمَا تَمَشَّى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ )  
قال : واضعة يدها على جبينها .

وقوله ( قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) يقول تعالى ذكره : قالت المرأة  
التي جاءت موسى تمشي على استحياء : إن أبي يدعوك ليجزيك : تقول : يثيبك أجر ما سقيت لنا .  
وقوله ( فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ ) يقول : فضى موسى معها إلى أبيها ، فلما جاء أباهما  
وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط ، قال له أبوها ( لَاتَخَفْ ) فقد ( نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ ) يعنى : من فرعون وقومه ، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أنت بها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : ثنا الأصبع ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا سعيد بن حبيب ،  
عن ابن عباس ، قال : استنكر أبو الجاريتين سرعة صدورهما بغنمهما حنفلًا بيطانا ، فقال : إن لكما اليوم لشأنا .  
قال أبو جعفر : أحسبه قال : فأخبرناه الخبر ؛ فلما أتاه موسى كلمه ، قال ( لَاتَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان ، ولنا في مملكته .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما  
سريعا سألهما ، فأخبرناه خبر موسى ، فأرسل إليه إحداهما ، فأنته تمشي على استحياء ، وهو يستحي منه  
( قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) فقام معها وقال لها : امضي ، فشت بين  
يديه ، فضربتها الريح ، فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلني ، ودليني على الطريق إن أخطأت .  
فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص قال ( لَاتَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَبِجَاءِ تِهِ إِحْدَاهُمَا تَمَشَّى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ،  
قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) قال : قال مطرف : أما والله لو كان عند نبي  
الله شيء ، ما تتبع مذقيهما ، ولكن إنما حمله على ذلك الجهد . ( فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ  
قَالَ : لَاتَخَفْ نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : رجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان  
فيها ، فأنكر شأنهما ، فسألهما ، فأخبرناه الخبر ، فقال لإحداهما : عَجَلِي عَلَى بَه ، فأنته على استحياء ، فجاءته ،  
فقالت : ( إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ) فقام معها ، كما ذُكِرَ لي ، فقال لها : امشي  
خلني ، وانعني لي الطريق ، وأنا أمشي أمامك ، فلما لانظر إلى أدبار النساء ؛ فلما جاءه أخبره الخبر ،  
وما أخرجه من بلاده ؛ ( فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَاتَخَفْ ، نَجَّوْتِ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .  
وقد أخبرت أباهما بقوله : إِنَّا لَانظُرُ إِلَى أَدْبَارِ النِّسَاءِ .

(١) مذقيهما : مثنى ، ذق ، وهو اللبن يخلط بالماء ، ويشرب . يريد أن موسى عليه السلام ، لم يكن معه مال ولا زاد .

## افول في تأويل قوله تعالى

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى ، لأبيها حين أتاه موسى ، وكان اسم إحداهما صفورا ، واسم الأخرى لييا ، وقيل : شرفا كذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الرمادي ، عن شعيب الحبشي ، قال : اسم البخاريين لييا ، وصفورا ، وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن : حبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إحداهما صفورا ابنة يثرون ، وأختها شرفا ، ويقال : ليا ، وهما اللتان كانتا تزدودان . وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف ، فقال بعضهم : كان اسمه يثرون .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى ابن أخى شعيب يثرون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : الذي استأجر موسى يثرون ابن أخى شعيب عليه السلام . وقال آخرون : بل اسمه : يثري .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى : يثري صاحب مدين .

حدثني أبو العالية العبدى : إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى : يثري صاحب مدين .

حدثني أبو العالية العبدى : إسماعيل بن الهيثم ، قال : ثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي حمزة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي المرأة : يثري .

وقال آخرون : بل اسمه شعيب ، وقالوا : هو شعيب النبي عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرّة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ، ولكنه سيد أهل الماء يومئذ .

قال أبو جعفر : وهذا مما لا يترك علمه إلا بخبر ، ولا يخبر بذلك تجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى

(١) يثرون ويثري : كذا في الأصل . وفي العرائس (قصص الأنبياء ، لأبي إسحاق : أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري المعروف بالثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ص ١٧٤ : « يثرون » ) ولعله تحريف من الناسخ .

بالصواب، مما قاله الله جل ثناؤه ( وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ ) تعني بقولها : استأجره ، ليرعى عليك ماشيتك ( إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) تقول : إن خير من تستأجره للرعى ، القوي على حفظ ماشيتك ، والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها ، الأمين الذي لا تخاف خيانتة ، فيما تأمنه عليه . وقيل : إنها لما قالت ذلك لأبيها ، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه ، فقال لها : وما علمك بذلك ، فقالت : أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر ، وأما الأمانة فما رأيت من غصص البصر عني .

وبنحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصبع بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : فأحفظته الغسيرة أن قال : وما يدريك ما قوته وأمانته ؟ قالت : أما قوته ، فما رأيت منه حين سقني لنا ، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه . وأما أمانته ، فإنه نظر حين أقبلت إليه ، وشخصت له ، فلما علم أني امرأة ، صوب رأسه فلم يرفعه ، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك ، ثم قال : امشي خلني ، وانعني لى الطريق ، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين ، فسرتني عن أبيها ، وصدقها وظن به الذي قالت .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله لموسى ( إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) يقول : أمين فيما ولي ، أمين على ما استودع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ ، إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : إن موسى لما سقني لهما ، ورأت قوته ، وحرك حجراً على الركبية ، لم يستطعه ثلاثون رجلاً ، فأزاله عن الركبية ، وانطلق مع الجارية حين دعته ، فقال لها : امشي خلني وأنا أمامك ، كراهية أن يرى شيئاً من خلفها مما حرّم الله أن ينظر إليه ، وكان يوماً فيه ربح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، في قوله ( يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال لها أبوها : ما رأيت من أمانته ؟ قالت : لما دعوته مشيت بين يديه ، فجعلت الريح تضرب ثيابي ، فتتلزق بجسدي ، فقال : كوني خلني ، فإذا بلغت الطريق فاذهبي ، قالت : ورأيت يملأ الحوض بسجل واحد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : غصص طرفه عنهما ، قال محمد بن عمرو في حديثه : « حين » أو « حتى » سقى لهما ، فصدرتا . وقال الحارث في حديثه : « حتى » سقى بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قال : فتح عن  
بئر حَجْرًا على فيها ، فسقى لهما بها ، والأمين : أنه غضَّ بصره عنهما حين سقى لهما فصدرتا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالدة الأحمر وهاني بن سعيد ، عن الحجاج ، عن القاسم ، عن مجاهد  
( إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : رفع حجرا لا يرفعه إلا فيثام من الناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، قال عمرو بن ميمون ، في قوله  
( الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : كان يوم ربيع ، فقال : لامشي أمامي ، فيصفك الريح لي ، ولكن امشي خلني ،  
ودليني على الطريق ؛ قال : فقال لها : كيف عرفت قوته ؟ قالت : كان الحجر لا يطيقه إلا عشرة ، فرفعه وحده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن  
شريح في قوله ( الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : أما قوته : فأنهى إلى حجر لا يرفعه إلا عشرة ، فرفعه وحده . وأما  
أمانته : فلأنها مشت أمامه فوصفها الريح ، فقال لها : امشي خلني ، وصني لي الطريق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن عمرو ، عن زائدة ، عن الأعمش ، قال : سألت تميم بن  
إبراهيم : بم عرفت أمانته ؟ قال : في طرفه ، بغض طرفه عنها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ  
الْأَمِينُ ) قال : القوي في الصنعة ، الأمين فيما ولي . قال : وذكر لنا أن الذي رأته من قوته : أنه لم تلبث  
ماشيتها حتى أرواها ، وأن الأمانة التي رأته منه : أنها حين جاءت تدعوه ، قال لها : كوني ورائي ، وكره  
أن يستدبرها ، فذلك ما رأته من قوته وأمانته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( يا أبتِ  
اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) قال : بلغنا أن قوته كانت سرعة ما أروى  
غنمهما . وبلغنا أنه ملأ الحوض بدلو واحد . وأما أمانته فإنه أمرها أن تمشي خلفه .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يا أبتِ  
اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) وهي الجارية التي دعت ، قال الشيخ : هذه  
القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ، رأيت أمانته ، ما يدريك ماهي ؟ قالت : مشيت قدامه ، فلم يجب أن  
يخونني في نفسي ، فأمرني أن أمشي خلفه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يا أبتِ  
اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ) فقال لها : وما علمك بقوته وأمانته ، فقالت :  
أما قوته فإنه كشف الصخرة التي على بئر آل فلان ، وكان لا يكشفها دون سبعة نفر . وأما أمانته فلأن لما  
جئت أدعوه ، قال : كوني خلف ظهري ، وأشير لي إلى منزلك ، فعرفت أن ذلك منه أمانة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَتْ يا أبتِ اسْتَأْجِرْهُ إنَّ خَيْرَ  
(١) الدلو الذي يستقى به من البئر ونحوها : يذكر ويؤنث ( عن اللسان ) .



مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) لما رأت من قوته، وقوله لها ما قال : أَنْ امشِي خَلِي ، لئلا يرى منها شيئا مما يكره ، فزاده ذلك فيه رغبة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَ

عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره ( قَالَ ) أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى : ( إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ ) يعني بقوله ( عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ) : على أن تثبتني من تزويجها ، رعى ماشيتي ثماني حجاج ، من قول الناس : أجزك الله فهو يَأْجُرُكَ ، بمعنى : أثابك الله ؛ والعرب تقول : أَجَرْتُ الْأَجِيرَ أَجْرَهُ ، بمعنى : أعطيته ذلك ، كما يقال : أَخَذْتَهُ فَأَنَا أَخَذْتَهُ . وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب : أَجَرْتُ غَلَامِي فَهُوَ مُأْجُورٌ ، وَأَجْرَتُهُ فَهُوَ مُؤْجَرٌ ، يريد : أفعالته . قال : وقال بعضهم : أَجْرُهُ فَهُوَ مُؤْجِرٌ ، أَرَادَ فاعلته ؛ وكان أباهما عندي جعل صدق ابنته التي زوجهما موسى ، رعى موسى عليه ماشيته ثماني حجاج ، والحجاج : السنون .

وقوله ( فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ) يقول : فإن أتممت الثماني الحجاج التي شرطتها عليك ، بلإنكاحي إياك إحدى ابنتي ، فجعلتها عشر حجاج ، فلم أحسان من عندك ، وليس مما اشترطته عليك ، بسبب تزويجك ابنتي . ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ ) باشرط الثماني الحجاج عشرا عليك ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ) في الوفاء بما قلت لك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ) أي في حسن الصحبة ، والوفاء بما قلت .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ: ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ، وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : قال موسى لأبي المرأتين ( ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ) أي هذا الذي قلت من أنك تزوجني إحدى ابنتيك على أن أجزك ثماني حجاج ، وأجب بيني وبينك ، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه . وقوله ( أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ ) يقول : أي الأجلين من الثماني الحجاج والعشر الحجاج قضيت ، يقول : فرغت منها ، فوفيتكها رعى غنمك وماشيتك ( فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ) يقول : فليس لك أن تعتدي عليّ ، فتطالبني بأكثر منه ، و« ما » في قوله ( أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ ) صلة يوصل بها « أي » على الدوام ، وزعم أهل العربية أن هذا أكثر في كلام العرب من أي ، وأنشد قول الشاعر :

(١) يظهر أن في عبارة الأصل سقطا ، يعلم من عبارة الفراء في شرح البيت الآتي . وقوله « على الدوام » أي أن ( ما ) الزائدة تلحق بلفظ أي دائما ، وقوله وزعم أهل العربية الخ : يريد أن أهل العربية قالوا إن ما إما أن تلحق بلفظ أي ، أو تجيء بعد ما تصيف إليه « أي » وهذا أكثر في كلام العرب كما يعلم من الشاهدين الآتين بعد .

وَأَيْتُهُمَا مَا أَتْبَعَنِي فَلْيَسْبِغِي حَرِيرِيصٌ عَلَى أَثَرِ الدِّي أَنَا تَابِعٌ

وقال عباس بن مرداس :

فَأَيُّ مَا وَأَيْتِكَ كَانَ شَرًّا فَتَقِيدَ إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَرَاهَا

وقوله (وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ) كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال موسى ( ذَلِكَ بَيْتِي وَبَيْتِكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ) قال : نعم . ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ) فزوجته ، وأقام معه يكفيه ، ويعمل له في رعاية غنمه ، وما يحتاج إليه منه ، وزوجة موسى صفورا أو أختها : شرفا أو لينا . حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : البخارية التي دعتهم هي التي تزوج .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال له ( إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَتُكَلِّمَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ) . . . إلى آخر الآية ، قال : وأينهما تريد أن تنكحني ؟ قال : التي دعتك ، قال : لا . ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها ، فقال : هي عندك كذلك ، فزوجته . وبنحو الذي قلنا في قوله ( أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ) إما ثمانيا ، وإما عشرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن عمارة بن غزية ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل قال ( أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ) قال : فقال القاسم : ما أبالي أي ذلك كان ، إنما هو موعد وقضاء .

وقوله ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ) يقول : والله على ما أوجب كل واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول ، شهيد وحفيظ .

كالذي حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ) قال : شهيد على قول موسى وختمته . وذكر أن موسى وصاحبه لما تعاقدا بينهما

(١) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ٢٤١) على أن (ما) قد تزداد بعد المضاف إلى «أي» أداة الجزاء . قال : قوله «أيما الاجلين» فجعل ما وهي صلة من صلوات الجزاء مع أي . وهي في قراءة عبد الله : «أي الاجلين ما قضيت فلا عدوان على» . وهذا أكثر في كلام العرب من الأول . ويتضح من هذا أن عبارة المؤلف قاصرة أو فيها جزء ساقط قبل قوله : «وزعم أهل العربية» . . . الخ .  
(٢) البيت لعباس بن مرداس . وقد تقدم الاستشهاد به في مواضع والشاهد هنا في زيادة «ما» بعد ما أضيف إليه . أي والمقامة : المجلس . وقيد إلى المقامة : دعاء عليه بأن يعسى ، فلا يصل إلى مجلس قومه إلا إذا قيد .

هذا العقد ، أمر إحدى ابنتيه أن تعطى موسى عصاً من العصى التي تكون مع الرعاة ، فأعطته إياه ، فذكر بعضهم أنها العصا التي جعلها الله له آية . وقال بعضهم تلك عصا أعطاه إياها جبريل عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أمر يعني أبا المرأتين إحدى ابنتيه أن تأتيه ، يعني أن تأتي موسى بعصاً ، فأنته بعصاً ، وكانت تلك العصا عصاً استودعها إياه مملكت في صورة رجل ، فدفعها إليه ، فدخلت البخارية ، فأخذت العصا ، فأنته بها ، فلما رآها الشيخ قال : لا ، أنتيه غيرها ، فألقها تريد أن تأخذ غيرها ، فلا يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردّها ، وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها ، فلما رأى ذلك عمد إليها ، فأخرجها معه ، فرعى بها ، ثم إن الشيخ ندم وقال : كانت ودیعة ، فخرج يتلقى موسى ، فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال موسى : هي عصاى ، فأني أن يعطيه ، فاختصما ، فرضيا أن يجعل بينهما أول رجل يلقاهما ، فأتاهما ملك يمشي ، فقال : ضعوها في الأرض ، فمن حملها فهي له ، فبالجها الشيخ فلم يطفها ، وأخذ موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشرين سنين . قال عبد الله ابن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : قال يعني أبا البخارية لما زوجها موسى لموسى : أدخل ذلك البيت فخذ عصا ، فتوكأ عليها ، فدخل ، فلما وقف على باب البيت ، طارت إليه تلك العصا ، فأخذها ، فقال : اردّها وخذ أخرى مكانها ، قال : فردّها ، ثم ذهب ليأخذ أخرى ، فطارت إليه كما هي ، فقال : لا أردّها ، فعل ذلك ثلاثا ، فقال : ارددها ، فقال : لا أجد غيرها اليوم ، فالتفت إلى ابنته ، فقال لابنته : إن زوجك لنبى .

ذكر من قال التي كانت آية عصاً أعطاه موسى جبرائيل عليه السلام :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي بكر ، قال : سألت عكرمة قال : أما عصا موسى ، فلما خرج بها آدم من الجنة ، ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل عليه السلام ، فلقى موسى بها ليلا ، فدفعها إليه .

القول في تأويل قوله تعالى

\* فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : فلما وفى موسى صاحبه الأجل الذى فارقه عليه ، عند إنكاحه إياه ابنته ، وذكر أن الذى وقّاه من الأجلين ، أتمهما وأكملهما ، وذلك العشر الحجج ، على أن بعض أهل العلم قد روى عنه أنه قال : زاد مع العشر عشرًا أخرى .

ذكر من قال : الذي قضى من ذلك هو الحجج العشر

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت ابن عباس : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : خيرهما وأوفاهما .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، سئل : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأخبرهما .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن أخيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قضى موسى أخير الأجلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عبيدة ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، سئل ابن عباس : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأوفاهما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال يهودى بالكوفة وأنا أتجهز للحج : إني أراك رجلاً تتبع العلم ، أخبرني أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا الآن قادم على حبيب العرب ، يعني ابن عباس ، فسأله عن ذلك ؛ فلما قدمت مكة ، سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبي إذا وعد لم يخلف ، قال سعيد : قدمت العراق ، فلقبت اليهودى ، فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى هذا ، والله العالم .

قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألت رجل من أهل النصرانية : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لأعلم ، وأنا يومئذ لأعلم ، فلقبت ابن عباس ، فذكرت له الذي سألتني عنه النصراني ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانيا واجب عليه ، لم يكن نبي الله نقص منها شيئا ، وتعلم أن الله كان قاضيا عن موسى عِدته التي وعده ، فإنه قضى عشرين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ) قال : حدث ابن عباس ، قال : رعى عليه نبي الله أكثرها وأطيبها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيّ الأجلين قضى موسى ؟ » فقال : أوفاهما وأتمهما .

حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا الحميد بن أبي بكر عبد الله بن الزبير ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا إبراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سألت جبرائيل : أيّ الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : إن النبي

(١) في الخلاصة للخرزمي : عبد الله بن الزبير بن عبد الله ( أبو عبيد الله ) الأسدي الحميري المكي أحد الأئمة .

صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل « أَيْ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى ؟ قَالَ سَوَّفَ أَسْأَلُ إِسْرَافِيلَ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : سَوَّفَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : أَبْرَهُمَا وَأَوْفَاهُمَا »

ذكر من قال : قضى العشر الحجج وزاد على العشر عشرًا أخرى

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ) قال : عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرًا أخرى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قضى الأجل عشر سنين ، ثم مكث بعد ذلك عشرًا أخرى .

حدثني المثني ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، قال : ثنا أنس ، قال : لما دعا نبي الله موسى صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير لونها ، فلك ولدها ، فعمد ، فرفع خيالا على الماء ، فلما رأته الخيال ، فزعت ، فجالت جولة ، فولدت كلهن بُلُقًا ، إلا شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام .

وقوله ( وَسَارَ بِأَهْلِيهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ) يقول تعالى ذكره : فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله شاخصا بهم إلى منزله من مصر ، آنس من جانب الطور ، يعني بقوله : آنس : أبصر وأحس ، كما قال العجاج :

آنَسَ خَيْرُ بَانَ فَضَاءً فَانْكَدَّرُ دَأَى جَنَاحِيهِ مِنْ الطُّورِ قَرَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل ، غير أنا نذكر هاهنا بعض ما لم نذكر قبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ) قَالَ لِأَهْلِيهِ : امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) : أي أحسست نارا .

وقد بينا معنى الطور فيما مضى بشواهد ، وما فيه من الرواية عن أهل التأويل .

وقوله ( لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) يقول : قال موسى لأهله : تمهلوا وانتظروا . إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا ( لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا ) يعني من النار ( بِخَبِيرٍ أَوْ جَدْوَةٍ مِنَ النَّارِ ) يقول : أو آتيتكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ، وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة ، ومنه قول ابن مقبل :

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز للعجاج الراجز (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٧ - ورقم البيت الأول هو ٧٦ ورقم الثاني هو ٧٤ . وفي رواية الأول : «أبصر» في موضع «آنس» وما بمعنى . والخريان بالكسر : جمع حرب كسب ، وهو ذكر الحباري ، وقيل هو الحباري كلها . ومن جموعه أيضا : أخراب ، وغراب . وانكدر : أسرع وانقض . والضمير في الفعلين للبازي المذكور في البيت قبله ، وقد شبه الممدوح عمر بن عبيد الله بالبازي ينقض على أعدائه ، كما ينقض البازي على الحباري ، فيصيدها . وانظر شرح البيت الثاني معلولا في الجزء ( ٩ : ٢٤٣ ) . وهذه الأرجوزة يمدح بها العجاج عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولاه ابن الزبير العراق ، لغارية عبيد الله بن بشر بن المساجوز من الخوارج ، فمهد في حربهم إلى أخيه عثمان بن عبيد الله بن معمر ، فقتل . ( انظر البلاذري مخطوط بدار الكتب المصرية ) .

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الْجِدَا غَيْرَ حَوَارٍ وَلَا دَعِيرٍ  
وفي الجذوة لغات للعرب ثلاث : جذوة بكسر الجيم ، وبها قرأت قرآء الحجاز والبصرة وبعض أهل الكوفة ، وهي أشهر اللغات الثلاث فيها . وجذوة بفتح الجيم ، وبها قرأ أيضا بعض قرآء الكوفة .<sup>٢</sup> وهذه اللغات الثلاث وإن كن مشهورات في كلام العرب ، فالقراءة بأشهرها أعجب إلى ، وإن لم أنكر قراءة من قرأ بغير الأشهر منهن .

وبنحو الذي قلنا في معنى الجذوة قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) يقول شهاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَوْجَذْوَةٌ ) والجذوة : أصل شجرة فيها نار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعْنَتِي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) قال : أصل الشجرة في طرفها النار ، فذلك قوله ( أَوْجَذْوَةٌ ) ٧ قال : السَّعْفُ فِيهِ النَّارُ . قال معمر ، وقال قتادة ( أَوْجَذْوَةٌ ) : أو شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) قال : أصل شجرة . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) قال : أصل شجرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْجَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ) قال : الجذوة : العود من الحطب الذي فيه النار ، ذلك الجذوة . وقوله ( لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ) يقول : لعلكم تسخنون بها من البرد ، وكان في شتاء .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ: أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

(١) البيت تميم بن أبي بن مقبل (السان : جذا) قال : يقال لأصل الشجرة جذية وجذاة (الأولى بكسر الجيم ، والثانية بفتحها) . الأسمى : جذم كل شيء وجذيه : أصله . والجذاء : أصول الشجر النظام العادية . التي بل أعلاها . وبن أسفلها ، قال تميم بن مقبل « باتت حواطب ليل » . . . . البيت . اه : والحواطب : جمع حاطبة ، وهي الأمة تجمع الحطب . وقال أبو عبيدة في مجازي القرآن : « جذوة من النار » : أي قطعة غليظة من الحطب ، ليس فيها لب ، وهي مثل الجذمة ، من أصل الشجرة : قال ابن مقبل . « باتت حواطب ليل » . . . . البيت . اه . والخوار : الضعيف . والدعر : العود يدخن كثيرا ولا يتقد ، وهو الرديء الدخان . وقيل : الدعر من الحطب : الببال .

(٢) سقط من قلم الناسخ اللمعة الثالثة ، وهي : جذوة (بضم الجيم) وبها قرئ أيضا .

يقول تعالى ذكره : فلما أتى موسى النار التي آنس من جانب الطور ، نُودى من شاطئ الوادي الأيمن .  
يعنى بالشاطئ : الشط ، وهو جانب الوادي وعدوته ، والشاطئ : يجمع شواطئ وشطآن ، والشط : الشطوط ،  
والأيمن : نعت من الشاطئ ، عن يمين موسى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ) قال ابن عمرو  
في حديثه عند الطور . وقال الحارث في حديثه من شاطئ الوادي الأيمن عند الطور ، عن يمين موسى .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَمَّا آتَاهَا  
نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ) قال : شيق الوادي عن يمين موسى ، عند الطور .  
وقوله ( فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ) من صلة الشاطئ .  
وتأويل الكلام : فلما آتاها نادى الله موسى من شاطئ الوادي الأيمن ، في البقعة المباركة منه ، من الشجرة :  
( أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) .  
وقيل : إن معنى قوله ( مِنْ الشَّجَرَةِ ) : عند الشجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا آتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ  
الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ) قال : نُودى من عند الشجرة : ( أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ )  
وقيل : إن الشجرة التي نادى موسى منها ربه : شجرة عوسج . وقال بعضهم : بل كانت شجرة العليق .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( فِي الْبُقْعَةِ  
الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ) قال : الشجرة : عوسج . قال معمر ، عن قتادة عصا موسى من العوسج :  
والشجرة من العوسج .

حدثنا ابن حيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض من لايتهم ، عن بعض أهل العلم ( إِنِّي  
آنَسْتُ نَارًا ) قال : خرج نحوها ، فإذا هي شجرة من العليق ، وبعض أهل الكتاب يقول : هي عوسجة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله  
قال : رأيت الشجرة التي نودى منها موسى عليه السلام ، شجرة سمراء خضراء ترف .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَلْقِ عَصَاكَ ، فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا

تَخَفَ ، إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ (٣١) أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ، وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ، فَذَا نِكَ بُرْهَانٍ مِّن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره: نُودِيَ موسى: (أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها موسى ، فصارت حية تسعى (فَلَمَّا رَأَاهَا) موسى (تَهَيَّأْتُ) يقول: تتحرك وتضطرب (كَأَنَّهَا جَانٌّ) والجنان: واحد الجنان، وهي نوع معروف من أنواع الحيات ، وهي منها عظام . ومعنى الكلام: كأنها جانٌّ من الحيات (وَأَلَىٰ مُدْبِرًا) يقول: ولي موسى هاربا منها .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَلَىٰ مُدْبِرًا فَارًا مِنْهَا) ، (وَأَلَمُ يُعَقِّبُ) يقول: ولم يرجع على عقبه .

وقد ذكرنا الرواية في ذلك ، وما قاله أهل التأويل فيما مضى ، فكرهنا إعادته ، غير أننا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَلَمُ يُعَقِّبُ) يقول: ولم يعقب: أي لم يلتفت من الفرق .

حدثنا موسى ، قال: ثنا عمرو ، قال: ثنا أسباط ، عن السدي (وَأَلَمُ يُعَقِّبُ) يقول: لم ينتظر . وقوله (يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ) يقول تعالى ذكره: فنودي موسى: يا موسى أقبل إلى ولا تخف من الذي تهرب منه (إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ) من أن يضرك ، إنما هو عصاك . وقوله (أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) يقول: أدخل يدك، وفيه لغتان: سلكته ، وأسلكته في جيبك ، يقول: في جيب قميصك .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة (أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) : أي في جيب قميصك .

وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله أمر أن يدخل يده في الجيب ، دون الكم .

وقوله (تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) يقول: تخرج بيضاء من غير برّص .

كما حدثنا بشر ، قال: ثنا ابن المفضل ، قال: ثنا قرّة بن خالد ، عن الحسن ، في قوله (أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) قال: فخرجت كأنها المصباح، فأيقن موسى أنه لقي به . وقوله (وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) يقول: واضمم إليك يدك .

كما حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال: ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال: قال ابن عباس (وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال: يدك .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ) قال:



وجناحاه: الذراع، والعضد: هو الجناح، والكف: اليد، اضمم يدك إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء .  
وقوله (مِنَ الرَّهْبِ) يقول: من الخوف والفرق الذي قد نالك من معاينتك ما عاينت من هول الحياة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : الفرق .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ  
الرَّهْبِ ) : أي من الرعب .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (مِنَ الرَّهْبِ) قال : مما  
دخله من الفرق من الحياة والخوف ، وقال : ذلك الرعب ، وقرأ قول الله ( يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال :  
خوفا وطمعا .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والبصرة (مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الراء  
والهاء . وقرأته عامة قراء الكوفة (مِنَ الرَّهْبِ) بضم الراء، وتسكين الهاء، والقول في ذلك: أنهما قراءتان  
متفقتا المعنى مشهورتان في قراء الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فصب .  
وقوله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : فهذان اللذان أريتكما ياموسى من  
تحول العصا حية ، ويدك وهي سمراء ، بيضاء تلمع من غير برص ، برهانان : يقول : آيتان وحجتان .  
وأصل البرهان : البيان ، يقال للرجل : يقول القول إذا سئل الحجة عليه : هات برهانك على ما تقول : أي  
هات تبيان ذلك ومصادقه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ )  
العصا واليد : آيتان .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول  
الله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ) تبيانان من ربك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ) هذان برهانان .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ  
رَبِّكَ ) ، فقرأ ( هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) على ذلك آية نعرفها ، وقال : برهانان : آيتان من الله .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( فَذَانِكَ ) ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى ابن كثير وأبي عمرو

( فَذَانِكَ ) بتخفيف النون ، لأنها نون الـثين ، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو ( فَذَانِكَ ) بتشديد النون . واختلف أهل العربية في وجه تشديدها ، فقال بعض نحوِّي البصرة : نقل النون من ثقلها للتوكيد ، كما أدخلوا اللام في ذلك . وقال بعض نحوِّي الكوفة : شددت فرقا بينها وبين النون التي تسقط للإضافة ، لأن هاتان وهذان لاتضاف . وقال آخر منهم : هو من لغة من قال : هذا آقال ذلك ، فزاد على الألف ألفا ، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة ، وقال في ذانك إنما كانت ذلك فيمن قال : هذان يا هذا ، فكرهوا تثنية الإضافة فأعقبوها باللام ، لأن الإضافة تعقب باللام . وكان أبو عمرو يقول : التشديد في النون في ( ذَانِكَ ) من لغة قريش ( إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَكِهِ ) يقول : إلى فرعون وأشراف قومه ، حجة عليهم ، ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ) يقول : إن فرعون وملاه كانوا قوما كافرين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا ، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : قال موسى : رب إني قتل من قوم فرعون نفسا ، فأخاف إن أنيتهم فلم أبن عن نفسي بحجة أن يقتلون ، لأن في لساني عقدة ، ولا أبن معها ما أريد من الكلام ، وأخي هارون هو أفصح مني لسانا ، يقول : أحسن بيانا عما يريد أن يبينه ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا ) يقول : عونا يصدقني : أي يبين لهم عنى ما أخطبهم به .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) : أي يبين لهم عنى ما أكلهم به ، فإنه يفهم ما لا يفهمون . وقيل : إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه ، لأن الـثين إذا اجتمعا على الخبر ، كانت النفس إلى تصديقهما ، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) لأن الـثين أخرى أن يصدقا من واحد .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) قال عونا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي ) : أى عوناً .  
وقال آخرون : معنى ذلك : كما يصدقنى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( رِدَاءٌ يُصَدِّقُنِي )  
يقول : كى يصدقنى .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي )  
يقول : كما يصدقنى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
( رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ) يقول : كما يصدقنى . والردء فى كلام العرب : هو العون ، يقال منه : قد أردأت  
فلانا على أمره : أى أكفيته وأعنته .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( يُصَدِّقُنِي ) فقراءته عامة قراء الحجاز والبصرة ( رِدْءًا يُصَدِّقُنِي )  
يجزم يصدقنى . وقراء عاصم وحزمة ( يُصَدِّقُنِي ) برفعه ، فن رفعه جعله صلة للردء ، بمعنى : فأرسله معى  
ردءاً من صفته يصدقنى ؛ ومن جزمه جعله جواباً لقوله فأرسله ، فإنك إذا أرسلته صدقنى ، على وجه الخبر .  
والرفع فى ذلك أحبّ القراءتين إلىّ ، لأنه مسألة من موسى ربه أن يرسل أخاه عوناً له بهذه الصفة .  
وقوله ( إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ) يقول : إنى أخاف أن لا يصدقون على قولى لهم إنى أرسلت إليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

قَالَ : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مَلَأَةً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِئَاتِنَا ، أَنْتُمْ  
وَمَنْ أَتَبَعَكُمَا الْغَالِيُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : قال الله لموسى ( سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ) ؛ أى نقويك ونعينك بأخيك ، تقول العرب  
إذا أعزّ رجل رجلاً ، وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم ، قد شدّ فلان على عضد فلان ، وهو من عاضده على  
أمره : إذا أعانه ، ومنه قول ابن مقبل :

عاضدتها بعتودٍ غيرٍ معتلتٍ كأنه وقفُ عاجٍ ، بات مكنوناً

(١) البيت تميم بن أبى بن مقبل ، قاله المؤلف ، نقلاً عن مجاز القرآن لأبى عبيدة ، قال : شنشد عضدك بأخيك : أى ستقويك به  
ونعينك به . يقال إذا أعزّ رجل رجلاً ومنعه : قد شدّ فلان على عضد فلان . وهو من عاضده على أمره ، أى عاونته عليه وآزرته :  
قال ابن مقبل : « عاضدته . . . بات مكنوناً » . يعنى قوساً ، أى عاضدها بسهم . اه . انظر المصورة ( رقم ٢٦٠٥٩ بجامعة  
القاهرة ) : والعتود : السدرة أو الطلحة ، ولعل سهم بن مقبل كان من شجر السدر أو الطلح . والمعتلت : إما من اعتلت الزند  
إذا لم يور ، فهو حينئذ يكسر اللام : وإما من اعتلت الرجل زنده : أخذه من شجر لا يدري أبورى أم يصله . وقال أبو حنيفة :  
اعتلت زنده ، إذا اعترض الشجر اعتراضاً ، فاتخذها ما وجد ، والذنين لغة ، عته أيضاً . وهو حينئذ يفتح اللام . والوقف من العاج : =

يعني بذلك : قوسا عاضدها بسهم . وفي العَضُد لغات أربع : أجودها : العَضُد ، ثم العَضُدُ ، ثم العَضُدُ ، والعَضُدُ . يجمع جميع ذلك على أعضاء .

وقوله ( وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا ) يقول : ونجعل لكما حجة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَكُمْ سُلْطَانًا ) حجة .

حدثنا القاسم ، قال : قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن ابن جريح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا )

والسلطان : الحجة .

وقوله ( فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء . وقوله

( بِآيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره : فلا يصل إليكما فرعون ( بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمُ الْغَالِبُونَ ) فالباء

في قوله بآياتنا من صلة غالبون . ومعنى الكلام : أنها ومن اتبعكما الغالبون فرعون وملأه بآياتنا : أي بحجبتنا

وسلطاننا الذي نجعله لكما .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا يَئِينَةً ، قَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا

فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء موسى فرعون وملأه بأدلتنا وحجبتنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة

ما جاء به موسى من عند ربه ، قالوا لموسى : ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخترسته كذبا وباطلا

وما سمعنا بهذا الذي تدعوننا إليه من عبادة من تدعوننا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ، إِنَّهُ

لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : وقال موسى مجيبا لفرعون : ربي أعلم بالحق منا يا فرعون من المبطل ، ومن الذي

جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب ، والبيان عن واضح الحججة من عنده ، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار

الآخرة منا . وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون ، وجميل مخاطبة ، إذ ترك أن يقول له ،

بل الذي هرق قومه ، وأهلك جنوده ، وأضل أتباعه ، أنت لا أنا ، ولكنه قال ( رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ

— كهية السوار ، يريد ما في السهم من خطوط سود شمة له كالتى تكون في الوقف من العاج ، وقوله « بات مكنونا » هذه رواية

أبي عبيدة ، ولعل ما في الأصل تحريف من الناسخ . ومعناه : أن السهم قد أهد وهيس . ووضع في الكنانة ، وهي جعبة السهام ، ويق فيها

إلى أن ركب في القوس .

مِنْ عِنْدِهِ ، وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ . ثم بالغ في ذمّ عدوّ الله بأجل من الخطاب ، فقال ( إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) يقول : إنه لا ينجح ولا يدرك طلبهم الكافرون بالله تعالى ، يعنى بذلك فرعون أنه لا يفلح ولا ينجح ، لكفره به .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ  
فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم : ( يا أيُّها الملأ ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري ) فتعبده ، وتصدّقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ، ومعبودا سواي ، ( فأوقد لي ياهامانُ على الطين ) يقول : فاعمل لي آجرا . وذكر أنه أوّل من طبخ الآجر وبنى به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فأوقد لي ياهامانُ على الطين ) قال : على المدر يكون لبينا مطبوخا .

قال ابن جريج : أوّل من أمر بصنعة الآجر وبنى به فرعون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فأوقد لي ياهامانُ على الطين ) قال : فكان أوّل من طبخ الآجر يبنى به الصرح .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( فأوقد لي ياهامانُ على الطين ) قال : المطبوخ الذي يوقد عليه هو من طين يبتون به البنيان .

وقوله ( فأجعل لي صرحا ) يقول : ابن لي بالآجر بناء ، وكل بناء مسطح : فهو صرح كالقصر ؛

ومنه قول الشاعر :

يَهْمَنُ نَعَامٌ بَنَاهَا الرَّجَا لُ تَحْسَبُ أَعْلَامَهُنَّ الصَّرُوحَا

يعنى بالصرح : جمع صرح .

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، يصف طرف المفازة ( اللسان : نعم ) . قال : النعامة : كل بناء أو ظلة أو علم يهتدى به من أعلام المفاوز . وقيل : كل بناء على الجبل كالظلة والعلم . والجمع : نعامة . قال أبو ذؤيب يصف طرق المفازة : « يهن نعامة . . . البيت » قال : . وروى الجوهري عجزه « تلقى التفائض فيه السريحا » قال : والتفائض : الهزلي من الإبل : اه . وفي ( اللسان : نفس ) : النفيضة نحو الطليعة ، وهم الجماعة يبعثون في الأرض متجسسين ، لينظروا : هل فيها عدو وخوف ؟ والجمع التفائض . هذا تفسير الأصمعي . وهكذا رواه أبو عمرو بالفاء إلا أنه قال في تفسيره إنها الهزلي من الإبل . قال ابن بري : النعامة : عشب يستظل تحته . والرجال : الرجال . والسريح : سيور تشد بها النعال ، يريد أن تعال التفائض تقطعت . والصرح : جمع صرح ، وهو كما في ( اللسان : صرح ) بيت واحد يبنى منفردا ضحفا ، طويلا في السماء . قال أبو ذؤيب :

عَلَى طَرُقٍ كَتَحُجُورِ الظُّبَا ، تَحْسَبُ أَرَامَهُنَّ الصَّرُوحَا

وقال الزجاج في قوله تعالى : « قيل لها ادخلي الصرح » قال : الصرح في اللغة القصر ، والصحن . يقال : هذه صرح الدار وقارعها : =

وقوله (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ) يقول : أنظر إلى معبود موسى ، الذي يعبد ، ويدعو إلى عبادته (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) فيما يقول من أن له معبودا يعبد في السماء ، وأنه هو الذي يؤيده وينصره ، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين ، فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح ، فارتقى فوقه .

فكان من قصته وقصة ارتقائه ، ما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قال فرعون لقومه (يا أيها الملأ ما عليمتُ لكم من إله غيري ، فأوقد لي يا هامان على الطين ، فاجعل لي صرحا) لعل أذهب في السماء ، فأنظر إلى إله موسى ، فلما بُنِيَ له الصرح ، ارتقى فوقه ، فأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء ، فردت إليه وهي متلخصة دما ، فقال : قد قتلت إله موسى ، تعالى الله عما يقولون .

### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : واستكبر فرعون وجنوده في أرض مصر عن تصديق موسى ، واتباعه على مادعاهم إليه من توحيد الله ، والإقرار بالعبودية له (بغير الحق) يعني تعديا وعتوا على ربهم (وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) يقول : وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يعثون ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، فركبوا أهواءهم ، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنه لم يجاز على أعمالهم الخبيثة .

وقوله (فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ) يقول تعالى ذكره : فجمعنا فرعون وجنوده من القبط (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) يقول : فألقيناهم جميعهم في البحر ، فغرقناهم فيه ، كما قال أبو الأسود الدؤلي :

نَظَرْتُ إِلَىٰ عُنُوتَانِهِ فَنَبَذْتُهُ كَنَبَذِكَ نَعْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكَا

وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر ، كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : (فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) قال : كان اليم بحرا يقال له إساف ، من وراء مصر ، غرقهم الله فيه .

وقوله (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) يقول تعالى ذكره : فانظر يا محمد بعين قلبك : كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم ، فكفروا بربهم وردوا على رسوله نصيحته ، ألم نهلكهم فنورث ديارهم وأمواهم أوليائنا ، ونحوهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز ، ومقام كريم ، بعد أن كانوا

حسن أي ساحتها وعرضها . وقال بعض المفسرين : الصرح : بلاط اتخذ لها من قوارير . والصرح : الأرض الملمسة . والصرح : متن من الأرض مستو . اه . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : الصرح : البناء والقصر . ولم يزد ، وروى البيت كرواية صاحب اللسان . (١) البيت لأبي الأسود الدؤلي ، كما قاله المؤلف وهو منقول عن مجاز القرآن لأبي عبيدة (الورقة ١٨٠ ب) قال : « فأخذناه وجنوده » أي فجمعناه وجنوده . « فنبدناهم في اليم » : أي فألقيناهم في البحر ، وأهلكناهم وغرقناهم . قال أبو الأسود الدؤلي : « نظرت إلى عنوانه » . . . البيت . اه . وفي « اللسان » نبد : التبد : طرحك الشيء من يدك ، أمامك أو ورائك . ونبذت الشيء : إذا رميته وأبعدته .

مستضعفين ، تقتل أبناؤهم ، وتُستحيا نساؤهم ، فإنما كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون مخولوك ولإيهاهم ديار من كذبك ، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم ، ومهلكوهم قتلا بالسيف ، سنة الله في الذين خلّوا من قبل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَجَعَلْنَاهُمْ آئَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره : وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتهم أهل العتوة على الله ، والكفر به ، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار ( وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ) يقول جل ثناؤه : ويوم القيامة لا ينصرهم الله إذا عدّ بهم ناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون ، فاضمحت تلك النصرة يومئذ . وقوله ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) يقول تعالى ذكره : وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خيزيا وغضبا منا عليهم ، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبوار والثناء السيئ ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة ، فحزروهم بها الخزي الدائم ، ومهينوهم المهوان اللازم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) قال : لعنوا في الدنيا والآخرة ، قال : هو كقوله ( وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودِ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ) لعنة أخرى ، ثم استقبل فقال ( هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ) وقوله ( هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ) يقول تعالى ذكره : هم من القوم الذين قبحهم الله ، فأهلكهم بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسوله موسى عليه السلام ، فجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمتعتبين .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت قبله ، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ( بَصَائِرَ لِلنَّاسِ ) يقول : ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من

أمر دينهم (وَهْدَى) يقول : وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يقول : ليتذكروا نِعَمَ الله بذلك عليهم ، فيشكروه عليها ولا يكفروا .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ الْأُولَى ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد وعبد الوهاب ، قالوا : ثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ما أهلك الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض ، بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسحوا قردة ، ألم تر أن الله يقول ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ الْأُولَى بِصَافِرٍ لِلنَّاسِ ، وَهَدَى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما كنت يا محمد بجانب غربي الجبل ( إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) يقول : إذ فرضنا إلى موسى الأمر ، فيما أزمناه وقومه ، وعهدنا إليه من عهد ( وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ) يقول : وما كنت لذلك من الشاهدين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتَ ) يا محمد ( بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ ) يقول : بجانب غربي الجبل ( إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : غربي الجبل .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، قال : إنكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد أجيتم قبل أن تسألوا ، وقرأ ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ، وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ  
وَإِنَّا ، وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره بقوله ( وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا ) ولكننا خلقنا أمتا فأحدثناها من بعد ذلك ( فَتَطَاوَلَ )



عَلَيْهِمُ الْعُمْرُ) . وقوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) يقول : وما كنت مقبياً في أهل مدين ، يقال : تويت بالمكان أتوى به ثواء ، قال أعشى ثعلبة :

أَتَوَى وَقَصَرَ لَيْلَهُ لِيَزُودَا فَفَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةَ مَوْعِدَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ) قال : التأوى : المقيم ( تَتَلَوُ عَلَيْهِمُ آيَاتِنَا ) يقول : تقرأ عليهم كتابنا ( وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ ) : يقول : لم تشهد شيئاً من ذلك يا محمد ، ولكننا كنا نحن نفعل ذلك ، ونرسل الرسل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا، وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ

مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن ( سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبُّوهُمْ الزُّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ) ... الآية . كما حدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة ، في قول الله ( وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نادى : يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني . حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا حرمة بن قيس النخعي ، قال : سمعت هذا الحديث من أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة ( وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت لكم قبل أن تدعوني .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر عن سليمان ، وسفيان عن سليمان ، وحجاج عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن علي بن مدرك ، عن أبي زرعة بن عمرو ، عن أبي هريرة ، في قوله ( وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ) قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، واستجبت

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (اللسان: ثوى . والديوان طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧) . وهو من قصيدة قالها لكسرى حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن ويلة على بعض السواد . وفي البيت : ليلة . . . فطست . في موضع ليله . . . ومضى . وفي رواية مجاز القرآن لأبي عبيدة : فضى ، ورواية الديوان أحسن ، لقوله بعده : « ومضى حاجته » . قال شارح الديوان : ثوى وأتوى : بمعنى واحد ، أى أقام . وقصر : تولى . وأخلف فلانا وجد موعده خلفاً ( بكسر الخاء ) أى خلفاً . يقول : عدل عن سفره ، فأقام ، وتخلف ليلة ليزود من قتيلة ، فطست الليلة ، وأخلفته قتيلة الموعود .

لكم قبل أن تدعوني ، قال : وهو قوله حين قال موسى ( وَآكُتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي  
الْآخِرَةِ ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج مثل ذلك .

وقوله ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : لم تشهد شيئا من ذلك يا محمد ، فتعلمه ، ولكننا  
عرفناك ، وأنزلنا إليك ، فاقصصنا ذلك كله عليك في كتابنا ، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك ، رسولا إلى  
من ابتعثناك إليه من الخلق ، رحمة منا لك ولهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) ماقصصنا  
عليك . ( لِيَتَذَكَّرَ قَوْمًا ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً  
مِّن رَّبِّكَ ) قال : كان رحمة من ربك النبوة .

وقوله ( لِيَتَذَكَّرَ قَوْمًا مَا أَنَا لَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ) : يقول تعالى ذكره : ولكن أرسلناك بهذا  
الكتاب وهذا الدين ، لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير ، وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، بعثه الله إليهم رحمة ، لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام ، وإشراكهم به الأوثان والأنداد .

وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ) يقول : ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون ، من كفرهم بربهم ، فنيبوا  
إلى الإقرار لله بالوحدانية ، وإفراده بالعبادة ، دون كل ما سواه من الآلهة .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( وَلَكِنَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ) قال :  
الذي أنزلنا عليك من القرآن ( لِيَتَذَكَّرَ قَوْمًا مَا أَنَا لَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ لَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ،  
فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلناك يا محمد إليهم ، لو حل بهم بأسنا ، أو أتاهم  
عذابنا ، من قبل أن نرسلك إليهم ، على كفرهم بربهم ، واكتسابهم الآثام ، واجترامهم المعاصي : ربنا هلا  
أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك ، فتتبع أدلتك ، وآتى كتابك الذي تنزله على  
رسولك ، ونكون من المؤمنين بألوهيتك ، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة على  
شركهم ، من قبل ما أرسلناك إليهم ، ولكننا بعثناك إليهم نذيرا بأسنا على كفرهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة

بعد الرسل . والمصيبة في هذا الموضع : العذاب والنقمة . ويعنى بقوله ( بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ) بما اكتسبوا .

القول في تأويل قوله تعالى

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ، قَالُوا : لَوْ لَّا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَىٰ ؛ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا  
أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ، قَالُوا : سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ، وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير ، فبعثناك إليهم نذيرا ( الحق من عندنا ) ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، بالرسالة من الله إليهم ، قالوا : تمرّدا على الله ، وتماديا في الغي : هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب ، يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك من قريش ، القائلين لك ( لَوْ لَّا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ) : أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجّة من اليهود ، بما أوتي موسى من قبلك :

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : يهود تأمر قريشا أن تسأل محمدا مثل ما أوتي موسى ، يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لقريش يقولوا لهم : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَالُوا لَوْ لَّا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ) قال : اليهود تأمر قريشا ، ثم ذكر نحوه ( قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ) . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرآء المدينة والبصرة : ( قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ) بمعنى : أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ، وقالوا له ولمحمد صلى الله عليه وسلم في قول بعض المفسرين ، وفي قول بعضهم الموسى وهارون عليهما السلام ، وفي قول بعضهم : لعيسى ومحمد : ساحران تعاونا . وقرأ عامة قرآء الكوفة ( قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ) بمعنى : وقالوا للتوراة والفرقان ، في قول بعض أهل التأويل ، وفي قول بعضهم : للإنجيل والفرقان .

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القراء في قراءته .

ذكر من قال عُرِي بالساحرين اللذين تظاهرا : محمد وموسى صلى الله عليهما

حدثنا سليمان بن محمد بن معدى كرب الرعي ، قال : ثنا بقيه بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، يحدث عن ابن عباس ، في قول الله ( سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : موسى ومحمد : حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : سمعت مسلم بن يسار ، قال : سألت ابن عباس ، عن هذه الآية ( سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا ) قال : موسى ومحمد .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار : أن ابن عباس ، قرأ (ساحِرَانِ) قال : موسى ومحمد ، عليهما السلام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شعبة ، عن كيسان أبي حمزة ، عن مسلم بن يسار ، عن ابن عباس ، مثله .

ومن قال : موسى وهارون ، عليهما السلام

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ساحِرَانِ تَطَاهَرَا) قال : يهود لموسى وهارون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد (قَالُوا سَاحِرَانِ تَطَاهَرَا) قول يهود لموسى وهارون ، عليهما السلام .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبيرة وأبي رزين : أن أحدهما قرأ (ساحِرَانِ تَطَاهَرَا) ، والآخر : (سَحْرَانِ) ، قال الذي قرأ (سَحْرَانِ) قال : التوراة والإنجيل . وقال الذي قرأ (ساحِرَانِ) قال : موسى وهارون .

وقال آخرون : عَسَنُوا بالساحرين : عيسى ومحمدا ، صلى الله عليهما وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن ، قوله (ساحِرَانِ تَطَاهَرَا) قال : عيسى ومحمد ، أو قال موسى ، صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عَسَنُوا بذلك التوراة والفرقان ، ووجه تأويله إلى قراءة من قرأ (سَحْرَانِ تَطَاهَرَا)

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَحْرَانِ تَطَاهَرَا) يقول : التوراة والقرآن .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (قَالُوا سَحْرَانِ تَطَاهَرَا) يعني : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (قَالُوا سَحْرَانِ تَطَاهَرَا) قال : كتاب موسى ، وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عنوا به التوراة والإنجيل

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : كنت إلى جنب ابن عباس وهو يتعوذ بين الركن والمقام ، فقلت : كيف تقرأ ، سَحْرَانِ ، أو ساحران ؟ فلم يردّ عليّ شيئا ، فقال

عكرمة : ساحران ، وظننت أنه لو كره ذلك أنكره عليّ ، قال حميد : فلقبت عكرمة بعد ذلك ، فذكرت ذلك له ، وقلت : كيف كان يقرؤها ؟ قال : كان يقرأ ( سِحْرَانِ تَظَاهِرَا ) أي : التوراة والإنجيل .

ذكر من قال : عَنُوا بِهِ الْفُرْقَانَ وَالْإِنْجِيلَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ، أنه قرأ ( سِحْرَانِ تَظَاهِرَا ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهِرَا ) قالت ذلك أعداء الله اليهود ، للإنجيل والفرقان ، فمن قال ( ساحِرَانِ ) فيقول : محمد ، وعيسى ابن مريم .  
 قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأه ( قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهِرَا ) : بمعنى : كتاب موسى ، وهو التوراة ، وكتاب عيسى ، وهو الإنجيل .

وإنما قلنا : ذلك أولى القراءتين بالصواب ، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب ، وهو قوله : ( وَقَالُوا لَوْلَا أَوْتِي مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى ) والذي يليه من بعده ذكر الكتاب ، وهو قوله ( فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَنْتَبِعُهُ ) فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره . وإذ كان ذلك هو الأَوْلَىٰ بالقراءة ، فمعلوم أن معنى الكلام : قل يا محمد : أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أوتي موسى من قبل ، وقالوا لما أوتي موسى من الكتاب ، وما أوتيته أنت ، سحران تعاوننا .  
 وقوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : وقالت اليهود : إنا بكل كتاب في الأرض : من توراة ، وإنجيل ، وزبور ، وفرقان : كافرون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل ، وخالفه فيه مخالفون .

ذكر من قال مثل الذي قلنا في ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قالوا : نكفر أيضا بما أوتي محمد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قال : يهود أيضا : نكفر بما أوتي محمد أيضا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقالوا إنا بكل الكتابين : الفرقان والإنجيل ، كافرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد ، عن الضحاك ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) يقول : بالإنجيل والقرآن .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) : يعنون الإنجيل والفرقان .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) قال : هم أهل الكتاب ، يقول : بالكتابين : التوراة والفرقان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ) الذي جاء به موسى ، والذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين للتوراة والإنجيل : هما سحران تظاهرا : اتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما لطريق الحق ، ولسبيل الرشاد ( أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) في زعمكم أن هذين الكتابين سحران ، وأن الحق في غيرهما .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : فقال الله تعالى ( قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ) . . . الآية .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فقال الله ( ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا ) من هذين الكتابين ؛ الذي بعث به موسى ، والذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

يقول تعالى ذكره : فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل : سحران تظاهرا ، الزاعمون أن الحق في غيرهما ، من اليهود يا محمد ، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وأن الذي ينطقون به ، ويقولون في الكتابين ، قول كذب وباطل ، لاحقيقة له ، ولعل قائلنا أن يقول : أو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والإنجيل من الإفك والزور ، المسموهما سحرين : باطل من القول ، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما ؟ قيل : هذا كلام

خرج مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به المقول لهم : أو لم يكفروا بما أرتى موسى من قبل ، من كفار قريش . وذلك أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قريش : أو لم يكفر هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا : هلا أوتى محمد مثل ما أوتى موسى ، بالذى أوتى موسى من قبل هذا القرآن ، ويقولوا للذى أنزل عليه وعلى عيسى ( سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ) ، فقولوا لهم : إن كنتم صادقين أن ما أوتى موسى وعيسى سحر ، فأتوتى بكتاب من عند الله ، هو أهدى من كتابيهما ، فإن هم لم يجيبوكم إلى ذلك فاعلموا أنهم كذّابة ، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمدا ، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم ، ويرتكون الحق وهم يعلمون ، يقول تعالى ذكره : ومن أضلّ عن طريق الرشاد ، وسبيل السّداد ، ممن اتبع هوى نفسه بغير بيان من عند الله ، وعهد من الله ، ويترك عهد الله الذى عهدته إلى خلقه فى وحيه وتنزيله . ( إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) يقول تعالى ذكره : إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشاد ، القوم الذين خالفوا أمر الله ، وتركوا طاعته ، وكذبوا رسوله ، وبدّلوا عهدته ، واتبعوا أهواء أنفسهم ، إيثارا منهم للطاعة الشيطان على طاعة ربهم .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

«وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ

بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره : ولقد وصلنا يا محمد لقومك من قريش ولليهود من بنى إسرائيل ، القول بأخبار الماضين ، والنبأ عما أحللتنا بهم من بأسنا ، إذ كذبوا رسلنا ، وعما نحن فاعلون بمن اقتنى آثارهم ، واحتذى فى الكفر بالله ، وتكذيب رسله مثالمهم ، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا ، وأصله من وصل الحبال بعضها ببعض ، ومنه قول الشاعر :

فَقَلَّ لِيَسْنِي مَرَّوَانَ مَابَالَ ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ مَا يَزَالُ يُوصَلُّ

وبنحر الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله ، فقال بعضهم : معناه بيئنا . وقال بعضهم : معناه : فصلنا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ليث ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال : فصلنا لهم القول .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ) قال :

(١) البيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ( مصورة الجامعة ، الورقة ١٨١ ب ) قال : « ولقد وصلنا لهم القول » أى أتمناه . ( فى اللسان : وصل ) : وفى التنزيل العزيز « ولقد وصلنا لهم القول » : أى وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى : بعضها ببعض . والذمة : العهد . والحبل : العهد . وقوله « ما يزال يوصل » أى قدرت ويصل ، ويجدد ما يلى منه ، حتى كثر فيه الترفيع .

وصل الله لهم القول في هذا القرآن، يخبرهم كيف صنع بمن مضى، وكيف هو صانع؟ (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).  
حدثنا القاسم، قال: ثنا محمد بن عيسى أبو جعفر، عن سفیان بن عيينة: وصلنا: بيئنا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ) الخبير، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عابثوا الآخرة، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشبابها. وقرأ (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة، كما أنجزنا للأتبياء ما وعدناهم، نقضى بينهم وبين قومهم.

واختلف أهل التأويل، فبمن عني بالهاء والميم من قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ) فقال بعضهم: عني بهما قريشا.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: قريش.  
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ) قال: لقريش.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) قال: يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.  
وقال آخرون: عني بهما اليهود.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا عفان بن مسلم، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: ثنا عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، عن رفاعة القرظي، قال: نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

حدثنا ابن سنان، قال: ثنا حيان، قال: ثنا حماد، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) حتى بلغ (إِنَّا كُنَّا، مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) في عشرة أنا أحدهم، فكان ابن عباس أراد بقوله يعني محمدا، لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرؤن بنبوته ويصدقونه.

وقوله (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) يعني بذلك تعالى ذكره قوما من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون، فيقرؤن أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.



## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله تعالى ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) قال : يعني من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ) . . . إلى قوله ( لَانْتَبَغَى الْجَاهِلِينَ ) في مسلمة أهل الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ) . . . إلى قوله ( الْجَاهِلِينَ ) قال : هم مُسْلِمَةُ أهل الكتاب . قال ابن جرير : أخبرني عمرو بن دينار : أن يحيى بن جعدة أخبره ، عن علي بن رفاعه ، قال : خرج عشرة رهط من أهل الكتاب ، منهم أبو رفاعه ، يعني أباه ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا ، فأوذوا ، فنزلت ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ) قبل القرآن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) قال : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق ، يأخذون بها ، وينتهون إليها ، حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، وصدقوا به ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك ، وذكر أن منهم سلمان ، وعبد الله بن سلام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ) . . . إلى قوله ( مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) : ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل ، ثم أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فأمنوا به ، فسأناهم الله أجرهم مرتين بما صبروا : بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث ، فذلك قوله ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ، قَالُوا : ءَأَمَّنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا يُتْلَى هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن ( قَالُوا آمَنَّا بِهِ ) يقول : يقولون : صدقنا به ( إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ) يعني من عند ربنا نزل ، إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن مسلمين ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم من الكتب ، وفي كتبهم صفة محمد ونبوته ، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن ، فلذلك قالوا ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا، وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت صفتهم ، يؤتَوْنَ ثواب عملهم مرتين بما صبروا . واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه ، فقال بعضهم : وعدهم ما وعد جل ثناؤه ، بصبرهم على الكتاب الأول ، واتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، وصبرهم على ذلك . وذلك قول قتادة ، وقد ذكرناه قبل .

وقال آخرون : بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ، واتباعهم إياه حين بعث . وذلك قول الضحاك بن مزاحم ، وقد ذكرناه أيضا قبل ، ومن وافق قتادة على قوله عبد الرحمن ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) على دين عيسى ، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أسلموا ، فكان لهم أجرهم مرتين : بما صبروا أول مرة ، ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام .

وقال قوم في ذلك بما حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : إن قوما كانوا مشركين أسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم ، فنزلت ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) وقوله ( وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) يقول : ويدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في طاعة الله ، إما في جهاد في سبيل الله ، وإما في صدقة على محتاج ، أو في صلة رحيم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذَا يُلْتَمَىٰ عَلَيْهِمْ ) قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) قال الله ( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ) وأحسن الله عليهم الثناء كما سمعون ، فقال ( وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ ، سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ، لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب : اللغو ، وهو الباطل من القول . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ )

وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ \* لَانْتَبِغِي الْجَاهِلِينَ ) لايجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم ، أتاهم من أمر الله ماوقدهم عن ذلك .

وقال آخرون: عُنِيَ باللغو في هذا الموضع : ما كان أهل الكتاب الحقوه في كتاب الله ، مما ليس هو منه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا ) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذه لأهل الكتاب ، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله ، وقالوا : هو من عند الله ، إذا سمعه الذين أسلموا ، ومرّوا به يتلونه ، أعرضوا عنه ، وكانهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى ، ألا ترى أنهم يقولون : ( إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ) .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) قال : نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا ، فكان قومهم يؤذونهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جويرية ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) قال : كان ناس من أهل الكتاب أسلموا ، فكان المشركون يؤذونهم ، فكانوا يصفحون عنهم ، يقولون ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ \* لَانْتَبِغِي الْجَاهِلِينَ ) .

وقوله ( أَعْرَضُوا عَنْهُ ) يقول : لم يصغوا إليه ولم يستمعوه ( وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) وهذا يدل على أن اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع ، إنما هو ما قاله مجاهد ، من أنه سماع القوم من يؤذيه بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم ، وأنهم أجابوهم بالجميل من القول ( لَنَا أَعْمَالُنَا ) قد رضينا بها لأنفسنا ، ( وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ) قد رضيتم بها لأنفسكم . وقوله ( سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ) يقول : آمّنة لكم منا أن نُسَابِكُمْ ، أو تسمعوا منا ما لانحبون ( لَانْتَبِغِي الْجَاهِلِينَ ) يقول : لانريد محاورة أهل الجهل ومساببتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( إِنَّكَ ) يا محمد ( لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) هدايته ، ( وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ) أن يهديه من خلقه ، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله . ولو قيل : معناه : إنك لا تهدي من أحببته ، لقربته منك ، ولكن الله يهدي من يشاء ، كان مذهبا ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) : يقول جل ثناؤه : والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدى للرشاد ، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته ، إذ دعاه إلى الإيمان بالله ، إلى ما دعاه إليه من ذلك .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب والحسين بن عليّ الصّدائقيّ ، قالوا : ثنا الوليد بن القاسم ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه عند الموت : « قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ أَشْهَدُ كَلِمَةً بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال : لولا أن تعبّرني قريش ، لأقررت عينك ، فأنزل الله ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) . . . الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن يزيد بن كيسان ، قال : ثنا أبو حازم الأشجعيّ ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه : « قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » ، ثم ذكر مثله . حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن يزيد بن كيسان سمع أبا حازم الأشجعيّ ، يذكر عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب ، أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عَمَّاهُ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ » فذكر مثله ، إلا أنه قال : لولا أن تعبّرني قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحو حديث أبي كريب الصّدائقيّ .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : ثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : ثنا يونس ، عن الزهريّ قال : ثنا سعيد بن المسيب ، عن أبيه ، قال : « لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عَمَّ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ ، فقال أبو جهل وعبد الله ابن أبي أمية : يا أبا طالب : أترغب عن ملّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملّة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما والله لا أستغفركم لك ما لم آمن أنه عنك ، فأنزل الله ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ) ، وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي ) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهريّ ، عن سعيد بن المسيب عن أبيه ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن أبي سعيد بن رافع ، قال : قلت لابن عمر : ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) : نزلت في أبي طالب ؟ قال : نعم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : قول

محمد لأبي طالب : قل كلمة الإخلاص ، أجادل عنك بها يوم القيامة ، قال محمد بن عمرو في حديثه : قال :  
يا بن أخي ، ملة الأشياخ ، أو سنة الأشياخ . وقال الحارث في حديثه : قال يا بن أخي ، ملة الأشياخ .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي  
مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : قال محمد لأبي طالب « اشهد بكلمة الإخلاص أجادل عنك بها يوم  
القيامة ، قال : أي ابن أخي ، ملة الأشياخ ، فأنزل الله ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) قال : نزلت هذه  
الآية في أبي طالب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ) :  
ذكر لنا أنها نزلت في أبي طالب قال الأصم عند موته يقول لا إله إلا الله ، لكنا نحل له بها الشفاعة ، فأبى عليه .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريب ، عن عطاء ، عن عامر ، لما حضر أبا طالب الموت ، قال له النبي  
صلى الله عليه وسلم : « يا عمه ، قل لا إله إلا الله ، أشهدك لك بها يوم القيامة ، فقال له : يا بن  
أخي ، إنه لولا أن يكون عليك عار ، لم أبال أن أفعل ، فقال له ذلك مرارا ، فلما مات اشتد ذلك على النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : ما تنفع قرابة أبي طالب منك ، فقال : بلى والذي نفسي بيده إنه الساعة  
ليني ضحضاح من النار ، عليه نعلان من نار ، تغلي منهنهما أم رأسه ، وما من أهل النار  
من إنسان هو أهون عند آبا منه ، وهو الذي أنزل الله فيه ( إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) :

وقوله ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) يقول : وهو أعلم بمن قضى له الهدى :

كالذي حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ) قال :  
بمن قدر له الهدى والضلالة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا إِن تَبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ تَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا ، أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْبَبُوا  
إِلَيْهِ عَمَرَتْ كُلُّ شَيْءٍ ، رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : وقالت كفار قريش : إن تبع الحق الذي جئنا به معك ، وتبرا من الأنداد  
والآلهة ، يتخطفنا الناس من أرضنا ، بإجماع جميعهم على خلافنا وحرابنا . يقول الله لنبيه : قل : ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ  
لَهُمْ حَرَمًا ) يقول : أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا  
سكانه فيه بسوء ، وآمنا على أهله من أن يصيبهم بها غارة ، أو قتل ، أو سب .

(١) الذي في الدر عن قتادة قال : اتهمته عند موته أن يقول الخ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن ابن عباس ، أن الحارث بن نوفل ، الذي قال ( إن نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) وزعموا أنهم قالوا : قد علمنا أنك رسول الله ، ولكننا نخاف أن نتخطف من أرضنا ، أو لم نتمكن لهم ) الآية . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) قال : هم أناس من قريش قالوا لمحمد : إن نتبعك يتخطفنا الناس ، فقال الله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ) : قال : كان يغير بعضهم على بعض .

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) قال الله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول : أو لم يكونوا آمنين في حرمهم لا يغزون فيه ولا يخافون ، يجبي إليه ثمرات كل شيء . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال : كان أهل الحرم آمنين يذهبون حيث شاءوا ، إذا خرج أحدهم فقال : إني من أهل الحرم لم يتعرض له ، وكان غيرهم من الناس إذا خرج أحدهم قُتِلَ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا ) قال : آمنكم به ، قال : هي مكة ، وهم قريش .

وقوله ( يُحِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) يقول يجمع إليه ، وهو من قولهم : جبيت الماء في الخوض : إذا جمعته فيه ، وإنما أريد بذلك : يحمل إليه ثمرات كل بلد .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس في ( يُحِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : ثمرات الأرض .

وقوله ( رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا ) يقول : ورزقناهم من لدنا ، يعني : من عندنا ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُ مِنْ أَرْضِنَا ) لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرما آمنا ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كل أرض نجبي إليهم ، فهم يجهلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون ، لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتُمْ مَعِيشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : وكم أهلكتنا من قرية أبطرتها معيشتها ، فبطرت ، وأشبرت ، وطغت ، فكفرت بها . وقيل : بطرت معيشتها ، فجعل الفعل للقرية ، وهو في الأصل للمعيشة ، كما يقال : أسفتهك رأيك فسفيتها ، وأبطرك مالك فبطرته ، والمعيشة منصوبة على التفسير . وقد بينا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها ) قال : البطر : أشر أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله ، وقال : ذلك البطر في النعمة ( فتلك مساكينهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ) يقول : فتلك دور القوم الذين أهلكتناهم بكفرهم وبرهم ومنازلهم ، لم تسكن من بعدهم إلا قليلا ، يقول : خربت من بعدهم ، فلم يعمر منها إلا أفلها ، وأكثرها خراب ، ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سكينت قليلا ، فإن معناه : فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها ، كما يقال : قضيت حقلك إلا قليلا منه .  
وقوله ( وكنا نحن الوارثين ) يقول : ولم يكن لما خربنا من مساكنهم منهم وارث ، وعادت كما كانت قبل سكتناهم فيها ، لا مالك لها إلا الله ، الذي له ميراث السموات والأرض .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ وَإِنَّا لَمَّا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره ( وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم ) أي يبعث في أم القرى ، وهي أم القرى ، يتلو عليهم آيات كتابنا ، والرسول : محمد صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( حتى يبعث في أمها رسولا ) وأم القرى مكة ، وبعث الله إليهم رسولا : محمدا صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ) يقول: ولم نكن لنهلك قرية وهي بالله مؤمنة ، إنما نهلكها بظلمها أنفسها ، بكفرها بالله ، وإنما أهلكنا أهل مكة بكفرهم بربهم ، وظلم أنفسهم .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ) قال الله : لم يهلك قرية بليمان ، ولكنه يهلك القرى بظلم ، إذا ظلم أهلها ، ولو كانت قرية آمنست لم يهلكوا مع من هلك ، ولكنهم كذبوا وظلموا ، فبذلك أهلکوا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : وما أُعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد ، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا ، وهو من زينتها التي يُستزین به فيها ، لا يغني عنكم عند الله شيئاً ، ولا ينفعكم شيء منه في معادكم ، وما عند الله لأهل طاعته وولايته ، خير مما أُوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها وأبقى ، يقول : وأبقى لأهله ، لأنه دائم لانفاد له .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في قوله ( وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ) قال : خير ثواباً ، وأبقى عندنا ( أفلا تعقلون ) يقول تعالى ذكره : أفلا عقول لكم أيها القوم تدبرون بها ، فتعرفون بها الخير من الشر ، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما ، وتؤثرون الدائم الذي لانفاد له من النعيم ، أعلى الغاني الذي لا بقاء له .

القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيمٌ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ

الْمُحْضَرِينَ (٦١)

يقول تعالى ذكره : أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة ، فأمن بما وعدناه وصدق وأطاعنا ، فاستحق بطاعته إيانا ، أن ننجز له ما وعدناه ، فهو لاقٍ ما وعد ، وصائر إليه ، كمن متَّعناه في الحياة الدنيا متاعها ، فتمتع به ، ونسى العمل بما وعدنا أهل الطاعة ، وترك طلبه ، وآثر لذة عاجلة على آجلة ، ثم هو



يوم القيامة إذا ورد على الله من المخضرين ، يعنى من المشهدين عذاب الله ، وأليم عقابه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ قُنُوعٌ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ) قال : هو المؤمن سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه ( كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) هو هذا الكافر ، ليس والله كالمؤمن ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) : أى فى عذاب الله .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ابن عمرو فى حديثه : قوله ( مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : أحضروها . وقال الحارث فى حديثه ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) أهل النار ، أحضروها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : أهل النار ، أحضروها .  
واختلف أهل التأويل فىمن نزلت فيه هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى أبي جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا أبو النعمان الحكيم بن عبد الله العجلي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب عن مجاهد ( أَمْ قُنُوعٌ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ، كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : نزلت فى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى أبي جهل بن هشام .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَمْ قُنُوعٌ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ ) قال : النبي صلى الله عليه وسلم .  
وقال آخرون : نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما ، وأبي جهل لعنه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا بدك بن المحسب التغلبي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ( أَمْ قُنُوعٌ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) قال : نزلت فى حمزة وعلى بن أبي طالب ، وأبي جهل .  
قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة عن أبان بن تغلب ، عن مجاهد ، قال : نزلت فى حمزة وأبي جهل

القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ

(١) فى الخلاصة للخزرجي : بدل بن المغير ، بضم الميم وفتح المهمله والموحدة ، البربوعى ، أبو المنبر ( كمنطع ) البصرى . قال أبو حاتم : صدوق . توفى فى حدود سنة خمس عشرة ومئتين .

رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا، تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ، مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره: ويوم ينادى رب العزة الذين أشركوا به الأوثان والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: (أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أنهم لي في الدنيا شركاء؟ (قال الذين حق عليهم القول) يقول: قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته، وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بني آدم: (ربنا هؤلاء الذين اغوينا، اغويناهم كما غوينا).  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة، في قوله (هؤلاء الذين اغوينا، اغويناهم كما غوينا) قال: هم الشياطين.  
وقوله (تبرأنا إليك) يقول: تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك (ما كانوا إيانا يعبدون):  
يقول: لم يكونوا يعبدوننا.

القول في تأويل قوله تعالى

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ، فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره: وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا (ادعوا شركاءكم) الذين كنتم تدعون من دون الله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) يقول: فلم يجيبوهم. (ورأوا العذاب) يقول: وعابوا العذاب (لأنهم كانوا يهتدون) يقول: فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ؟ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ، فَهُمْ

لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)

يقول تعالى ذكره: ويوم ينادى الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم (ماذا أجبتهم المرسلين) فيما أرسلناهم به إليكم، من دعائكم إلى توحيدنا، والبراءة من الأوثان والأصنام (فعميت عليهم الأنباء يومئذ):  
يقول: فخفيت عليهم الأخبار، من قولهم: قد عمى عنى خبر القوم: إذا خفى: وإنما عسى بذلك أنهم عميت عليهم الحجة، فلم يدروا ما يحتجون، لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المعذرة، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها، ولا خبر يُخبرون به، مما تكون لهم به نجاة ومخلص.  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ) قال : الحجج ، يعني الحججة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ) قال : الحجج .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، في قوله ( وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ) قال : بلا إله إلا الله ، التوحيد .  
وقوله ( فَهُمُ لَآيْتِسَاءَ لُونٌ ) بالأنساب والقراية .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَهُمُ لَآيْتِسَاءَ لُونٌ ) قال : لا يتساءلون بالأنساب ، ولا يتأتون بالقرابات ، إنهم كانوا في الدنيا إذا التقوا تساءلوا وتماتوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ( فَهُمُ لَآيْتِسَاءَ لُونٌ ) قال : بالأنساب . وقيل معنى ذلك : فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْحَجَجُ يَوْمَئِذٍ ، فسكتوا ، فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ، فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧)

يقول تعالى ذكره ( فَأَمَّا مَنْ تَابَ ) من المشركين ، فأتاب وراجع الحق ، وأخلص لله الألوهة ، وأفرد له العبادة ، فلم يشرك في عبادته شيئا ( وَآمَنَ ) يقول : وصدق بنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ( وَعَمِلَ صَالِحًا ) يقول : وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ( فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ) . يقول : فهو من المسُجِحِينَ المُدْرِكِينَ طَلِبَتِهِمْ عند الله ، الخالدين في جينانه ، وعسى من الله واجب .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره ( وَرَبِّكَ ) يا محمد ( يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) أن يخلقه ، ( وَيَخْتَارُ ) لولايته الخيرة من خلقه ، ومن سبقت له منه السعادة . وإنما قال جل ثناؤه ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ) والمعنى : ما وصفت ، لأن المشركين كانوا فيما ذُكِرَ عنهم يختارون أموالهم ، فيجعلونها لأنفسهم ، فقال الله لنبية محمد

صلى الله عليه وسلم : وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه ، ما هو في سابق علمه أنه خَيْرَهم ، نظير ما كان من هؤلاء المشركين لآلهم خيار أموالهم ، فكذلك اختياري لنفسى ، واجتباي لولائى ، واصطفائى لخدمتى وطاعتى ، خيار مملكتى وخلقى .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَكُمْ الْخَيْرَةُ ) قال : كانوا يجعلون خَيْرَ أموالهم لآلهم فى الجاهلية . فإذا كان معنى ذلك كذلك ، فلا شك أن « ما » من قوله ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَكُمْ الْخَيْرَةُ ) : فى موضع نصب ، بوقوع يختار عليها ، وأنها بمعنى الذى .

فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما وصفت ، من أن « ما » اسم منصوب بوقوع قوله ( وَيَخْتَارُ ) عليها ، فأين خبر كان ؟ فقد علمت أن ذلك إذا كان كما قلت ، أن فى كان ذِكْرًا من ما ، ولا بد لكان إذا كان كذلك من تمام ، وأين التمام ؟ قيل : إن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها أحيانا ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها ، ذكر الفراء أن القاسم بن معن أنشده قول عنترة :  
أَمِينٌ سُهَيْبَةٌ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ  
فرفع معروفا بحرف الصفة ، وهو لاشك خبر لذا ، وذكر أن المفضل أنشده ذلك :

• لَوْ أَنَّ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ •

ومنه أيضا قول عمر بن أبى ربيعة :

(١) البيت من شعر عنترة بن عمرو بن شداد العبسى (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده ص ٣٩٤) والرواية فيه رواية المفضل ، التى أشار إليها المؤلف :

أَمِينٌ سُهَيْبَةٌ دَمْعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ كَانَ ذَا مِنْكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ

قال شارحه : سهبة ، وقيل سمية : امرأة أبيه . روى صاحب الأغاني بسنده عن علي بن سليمان الأخطش الأصغر : قال : أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، عن محمد بن حبيب ، قال أبو سعيد : وذكر ذلك أبو عمرو الشيبانى ، قالا : كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه ، حرشت عليه امرأة أبيه . وقالت إنه . . . عن نفسى ، فغضب من ذلك شداد ( شداد : أبوه فى بعض الروايات ) غضبا شديدا . وضربه ضربا مبرحا ، وضربه بالسيف ، فوقعت عليه امرأة أبيه ، وكفته عنه ؛ فلما رأت ما به من الجراح بكت . وقوله « مدروف » : من ذرفت عينه تذرِفُ ذريقا ، وذرفانا : وهو قتل يكاد يتصل . وقوله « لو أن ذا منك قبيل اليوم معروف » : أى قد أنكرت هذا الخنو والإشفاق منك ؛ لأنه لو كان معروفا قبل ذلك لم ينكره . اه . . . . . وعلى هذه الرواية لاشاهد فى البيت . أما على رواية المؤلف ، وهى التى نقلها الفراء عن القاسم بن معن القاضى ، فإنه جعل قوله « لو كان ذا منك قبل اليوم معروف » برفع معروف على أنه خبر بعد الصفة . أى الجار والمجرور « منك » ، التى هى خبر عن ذا ، قال : لأن العرب تجعل لحروف الصفات إذا جاءت الأخبار بعدها ، أخبارا ، كفعلها بالأسماء إذا جاءت بعدها أخبارها . . . . . ثم أنشد البيت وقال : « فرفع معروفا بحرف الصفة وهو لاشك خبر لذا » . اه . قلت : وكان مراده أن حرف الصفة موضوع موضع ضمير مبتدأ ، ومعروف خبره ، وكأنه قال : لو كان ذا هو معروف ، أو نحو ذلك . وفى هذا التعبير من التعمس ما فيه . ولو قال إن « معروف » خبر عن مبتدأ مخلوف تقديره : هو منك معروف ، والجملة خبر كان ، لكان أوضح تعبيراً . ولم أجد البيت ولا توجيه إعرابه فى معانى القرآن للقراء .

قُلْتُ أُجِيبِي عَاشِقًا بِمُحِبَّتِكُمْ مُكَلَّفٌ  
فِيهَا ثَلَاثٌ كَالدُّمَى وَكَاعِيبٌ وَمُسْلِفٌ

فمكلف من نعت عاشق ، وقد رفعه بحرف الصفة ، وهو الباء ، في أشباه لما ذكرنا بكثير من الشواهد ، وكذلك قوله ( وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَكُمْ الْخَيْرَةُ ) رفعت الخيرة بالصفة ، وهي لم ، وإن كانت خبرا لما ، لما جاءت بعد الصفة ، ووقعت الصفة موقع الخبر ، فصار كقول القائل : كان عمرو أبوه قائم ، لاشك أن قائما لو كان مكان الأب ، وكان الأب هو المتأخر بعده ، كان منصوبا ، وكذلك وجه رفع الخيرة ، وهو خبر لما .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن تكون « ما » في هذا الموضع جرحا ، ويكون معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ، ويختار ما يشاء أن يختاره ، فيكون قوله ( وَيَخْتَارُ ) نهاية الخبر عن الخلق والاختيار ، ثم يكون الكلام بعد ذلك مبتدأ بمعنى : لم تكن لهم الخيرة : أي لم يكن للخلق الخيرة ، وإنما الخيرة لله وحده ؟ قيل : هذا قول لا يفتي فساده على ذي حجا ، من وجوه ، لو لم يكن بخلافه لأهل التأويل قول ، فكيف والتأويل عن ذكرنا بخلافه ، فأما أحد وجوه فساده ، فهو أن قوله ( ما كان لكم الخيرة ) لو كان كما ظنه من ظنه ، من أن « ما » بمعنى الجحد ، على نحو التأويل الذي ذكرت ، كان إنما جحد تعالى ذكره ، أن تكون لهم الخيرة فيما مضى قبل نزول هذه الآية ، فأما فيما يستقبلونه فلهم الخيرة ، لأن قول القائل : ما كان لك هذا ، لاشك إنما هو خبر عن أنه لم يكن له ذلك فيما مضى . وقد يجوز أن يكون له فيما يستقبل ، وذلك من الكلام لاشك خلف ، لأن ما لم يكن للخلق من ذلك قديما ، فليس ذلك لهم أبدا . وبعد ، لو أريد ذلك المعنى ، لكان الكلام : فليس . وقيل : وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ليس لهم الخيرة ، ليكون نفيًا عن أن يكون ذلك لهم فيما قبل وفيما بعد .

والثاني : أن كتاب الله أبين البيان ، وأوضح الكلام ، ومحال أن يوجد فيه شيء غير مفهوم المعنى ، وغير جائز في الكلام أن يقال ابتداء : ما كان لفلان الخيرة ، ولما يتقدم قبل ذلك كلام يقتضي ذلك ، فكذلك قوله « وَيَخْتَارُ ، ما كان لكم الخيرة » ولم يتقدم قبله من الله تعالى ذكره خبر عن أحد ، أنه ادعى أنه كان له الخيرة ، فيقال له : ما كان لك الخيرة ، وإنما جرى قبله الخبر عما هو صائر إليه أمر من تاب من شركه ، وآمن وعمل صالحا ، وأتبع ذلك جل ثناؤه الخبر عن سبب إيمان من آمن وعمل صالحا منهم ، وأن ذلك إنما هو لاختياره إياه للإيمان ، وللسابق من علمه فيه اهتدى . ويزيد ما قلنا من ذلك إبانة قوله ( وَرَبُّكَ يَعْلَمُ )

(١) البيهقي لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الغزوي شاعر الغزل زمن بني أمية ، كما قال المؤلف . ومكلف : من الكلف بالشيء ، وهو الحب والولوع بالشيء ، كلف بالشيء كلفا وكلفة ، فهو كلف ومكلف : لمج به . وثلاث : أي جوار أو نساء . والدمى : جمع دمية ، وهي التمثال من العاج أو الرخام أو نحوهما . والكاعب : الفتاة التي تكعب ثديها وبرز . والمسلف : قال في (اللسان : سلف) : المسلف من النساء : النصف . وقيل : هي التي بلغت خمسا وأربعين ونحوها ، وهو وصف خص به الإناث ، قال عمر بن أبي ربيعة « فيها ثلاث . . الخ البيت » . وعمل الشاهد في البيت : أن قوله مكلف بالرفع ، على أنه خبر ، لأنه وقع بعد حرف الجر الذي وضع موضع المبتدأ ، كأنه قال : أجيبني عاشقا هو مكلف . وهو في معنى الشاهد الذي قبله من قول عنتر « لو كان ذا منك قبل اليوم معرف . . هـ » .

مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) فأخبر أنه يعلم من عباده السرائر والظواهر ، ويصطفى لنفسه ويختار لطاعته من قد علم منه السريرة الصالحة ، والعلانية الرضية .

والثالث : أن معنى الحَيِّرَةِ في هذا الموضع : إنما هو الحَيِّرَةُ ، وهو الشيء الذي يختار ، من البهائم والأنعام والرجال والنساء ، يقال منه : أُعْطِيَ الحَيِّرَةَ والحَيِّرَةَ ، مثل الطَّيِّرَةِ والطَّيِّرَةَ ، وليس بالاختيار ، وإذا كانت الحَيِّرَةُ ما وصفنا ، فمعلوم أن من أجود الكلام أن يقال : وربك يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، لم يكن لهم حَسِيرٌ بهيمة أو خبير طعام ، أو خير رجل أو امرأة .

فإن قال فهل يجوز أن تكون بمعنى المصدر ؟ قيل : لا ، وذلك أنها إذا كانت مصدرا كان معنى الكلام : وربك يخلق ما يشاء ويختار كون الحَيِّرَةَ لهم . وإذا كان ذلك معناه ، وجب أن لا تكون الشرار لهم ، من البهائم والأنعام ، وإذا لم يكن لهم شرار ذلك ، وجب ألا يكون لها مالك ، وذلك ما لا ينبغي خطؤه ، لأن لخيارها ولشرارها أربابا ، يملكونها بتمليك الله إياهم ذلك ، وفي كون ذلك كذلك فساد توجيه ذلك إلى معنى المصدر :

وقوله سبحانه وتعالى (عَمَّا يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره ، تنزيها لله وتبرئة له ، وعلوا عما أضاف إليه المشركون من الشرك ، وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه . وتأويل الكلام : سبحانه الله وتعالى عن شركهم . وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى : وتعالى عن الذي يشركون به .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد يعلم ما تخفى صدور خلقه ، وهو من أكننت الشيء في صدري : إذا أضمرته فيه ، وكننت الشيء : إذا صُنَّته . وما يعلنون : يقول : وما يبدونه بألسنتهم وجوارحهم . وإنما يعني بذلك أن اختياره من يختار منهم للإيمان به ، على علم منه بسرائر أمورهم وبوادبها ، وأنه يختار للخير أهله ، فيوفقهم له ، ويولئى الشر أهله ، ويخليهم وإياه . وقوله ( وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) يقول تعالى ذكره : وربك يا محمد المعبود ، الذي لا تصلح العبادة إلا له ، ولا معبود تجوز عبادته غيره ( لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى ) يعني في الدنيا والآخرة ( وَلَهُ الْحُكْمُ ) يقول : وله القضاء بين خلقه ( وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : وإليه تردون من بعد مماتكم ، فيقضى بينكم بالحق .

#### القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءً ؟ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ؟ (٧١)

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: أيها القوم، أرايتم إن جعل الله عليكم الليل دائماً، لانهار إلى يوم القيامة يعقبه. والعرب تقول لكل ما كان متصلاً لا ينقطع، من رخاء أو بلاء أو نعمة: هو سراًمد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (سراًمداً): دائماً لا ينقطع.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (إن جعل الله عليكم الليل سراًمداً) يقول: دائماً.

وقوله: (من إله غير الله يا أيها الذين آمنوا) يقول: من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار؟ فتستضيئون به (أفلا تسمعون) يقول: أفلا ترعون ذلك سمعكم، وتفكرون فيه فتعظون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل، ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار، وذهب بالليل، فينم باختلافهما كذلك عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟ (٧٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لمشركي قومك (أرايتم) أيها القوم (إن جعل الله عليكم النهار سراًمداً) دائماً لاليل معه أبداً (إلى يوم القيامة، من إله غير الله)؟ من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء (يا أيها الذين آمنوا) بليلاً تسكنون فيه؟ (أفلا تبصرون؟) أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم، رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك، دون غيره، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)

يقول تعالى ذكره: (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون) بكم أيها الناس (جعل لكم الليل والنهار)، فخالف بينهما،

فجعل هذا الليل ظلاما (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وتهدهوا وتستقروا ، لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تتصرفون نهارا لمعايشكم ، وفي الهاء التي في قوله (لِتَسْكُنُوا فِيهِ) وجنهما : أن تكون من ذكر الليل خاصة ، ويضمّر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى . والثاني : أن تكون من ذكر الليل والنهار ، فيكون وجه توحيدها وهي لهما ، وجه توحيد العرب في قولهم : إقبالك وإدبارك يؤذيني ، لأن الإقبال والإدبار فعل ، والفعل يُوحّد كثيره وقليله ، وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه ، فتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم ، وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم ، بفضلته الذي تفضل عليكم .

وقوله (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول تعالى ذكره : ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك ، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر ، وتخلصوا له الحمد ، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم بذلك شريك ، فلذلك ينبغي ألا يكون له شريك في الحمد عليه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ؟ (٧٤) وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ، فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ لِلَّهِ ، وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥)

يعنى تعالى ذكره : ويوم ينادى ربك يا محمد هؤلاء المشركين ، فيقول لهم : (أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أيها القوم في الدنيا أنتم شركائي ؟

وقوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وأحضرنا من كل جماعة شهيداً ، وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته ، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة . وقيل : وتزعنا من قوله : تزع فلان بحجة كذا ، بمعنى : أحضرها وأخرجها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وشهيداًها : نبيها ، يشهد عليها أنه قد بلغ رسالة ربه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) قال : رسولاً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .

وقوله (فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) : يقول : فقلنا لأمة كل نبي منهم ، التي ردت نصيحته ، وكذبت بما جاءها به من عند ربهم ، إذ شهد نبيها عليها ، بإبلاغه إياها رسالة الله (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) : يقول : فقال لهم : هاتوا حجتكم على إشرائكم بالله ما كنتم تشركون ، مع إعدار الله إليكم ، بالرسالة وإقامته عليكم بالحجج .

(١) في الأصل : لرسول ، باللام .



وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَقَلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) أي بيئتم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَقَلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) قال : حججكم  
لما كنتم تعبدون وتقولون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَقَلْنَا هَاتُوا  
بُرْهَانَكُمْ ) قال : حججكم بما كنتم تعبدون .  
وقوله ( فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ ) يقول : فعلموا حينئذ أن الحجة البالغة لله عليهم ، وأن الحق لله ،  
والصدق خبره ، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم ( وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ) يقول : واضمحلت ،  
فذهب الذي كانوا يُشركون بالله في الدنيا ، وما كانوا يتخرصون ، ويكذبون على ربهم ، فلم ينفعهم هنالك ،  
بل ضرهم ، وأصلهم نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

\* إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ، وَأَعْتَبْنَا مِنْهُمُ الْقُرُونِ مَا إِنْ مَقَاتِحَهُ لَتَنُوًّا  
بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ، إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦)

يقول تعالى ذكره ( إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ) ، وهو قارون بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب ( كان من قوم  
موسى ) يقول : كان من عشيرة موسى بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه . وذلك أن  
قارون هو قارون بن يصر بن قاهت ، وموسى : هو موسى بن عمران بن قاهت ، كذا نسبة ابن جريج .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ  
قَوْمِ مُوسَى ) قال : ابن عمه : ابن أخى أبيه ، فإن قارون بن يصر ، هكذا قال القاسم ، وإنما هو يصر بن  
قاهت ، وموسى بن عومر بن قاهت ، وعومر بالعربية : عمران .

وأما ابن إسحاق فإن ابن حميد حدثنا ، قال : ثنا سلمة عنه ، أن يصر بن قاهت تزوج « سميت » بنت  
بتاويت بن بركنان بن بقران بن إبراهيم ، فولدت له عمران بن يصر ، وقارون بن يصر ، فنكح عمران « بنت » ،  
بنت شمويل بن بركنان بن بقران بن يصر ، فولدت له هارون بن عمران ، وموسى بن عمران ، صلى الله عليه وآله ،  
فوسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخى قارون ، وقارون هو عمه ، أخو أبيه لأبيه ولأمه . وأكثر أهل العلم  
في ذلك على ما قاله ابن جريج .

(١) في كتاب العرائس (قصص الأنبياء للعلبي المفسر) : سميت بنت يتادم بن بركنان بن يشمان بن إبراهيم . وفي صفحة ٢١٣ طبعة الحلبي :  
عن ابن إسحاق : تزوج يصر بن قاهت « سميت بنت ماريب بن بركنان بن بقران بن يصر » وفي أسماء العبرانيين اختلاف كثير بين العلماء .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، في قوله ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) : قال : كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سماك بن حرب ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه ، وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو الله نافق ، كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال كان ابن عمه فبغى عليه .

قال : ثنا يحيى القطان ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال : كان ابن عمه .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضَّبَّعِيُّ ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون .

وقوله ( فَبَغَى عَلَيْهِمْ ) يقول : فتجاوز حده في الكبر والتجسُّب عليهم .

وكان بعضهم يقول : كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع ، قالوا : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن شهر بن حوشب ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ) قال : زاد عليهم في الثياب شبرا . وقال آخرون : كان بغيه عليهم بكثرة ماله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : إنما بغى عليهم بكثرة ماله .  
وقوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) يقول تعالى ذكره :  
وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتحه ، وهي جمع مِفْطَح ، وهو الذي يفتح به الأبواب .  
وقال بعضهم : عني بالمفاتح في هذا الموضع : الخزائن لِتَشْقِيلِ الْعَصْبَةِ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ما قلنا في معنى مفاتح

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن خيشمة ، قال : كانت مفاتح قارون تحمل على ستين بغلا ، كل مفاتح منها باب كنز معلوم ، مثل الأصبع من جلود .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيشمة ، قال : كانت مفاتح كنوز قارون من

جلود كل مفتاح ، مثل الأصبع ، كل مفتاح على خزانة على حدة ، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغرّ محجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن خيثمة ، في قوله ( ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) قال : نجد مكتوبا في الإنجيل : مفاتيح قارون وقر ستين بغلا غرّا مُحَجَّلَةً ، ما يزيد كل مفتاح منها على أصبع ، لكل مفتاح منها كنز .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد ، قال : كانت المفاتيح من جلود الإبل . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : مفاتيح من جلود كفاتح العيدان . وقال قوم : عنى بالمفاتيح في هذا الموضع : خزائنه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، في قوله ( ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي حنيفة ، عن الضحاك ( ما إنَّ مَفَاتِحَهُ ) قال : أوعيته . وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : تَتَّقُلُ بالعصبة .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) يقول : تَتَّقُلُ . وأما العصبة فإنها الجماعة .

واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع . فأما مبلغ عدد العصبة ، في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه ، والرواية في ذلك ، والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، فقال بعضهم : كانت مفاتيحه تنوء بعصبة ، مبلغ عددها أربعون رجلا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبي صالح ، قوله ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : أربعون رجلا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْعُصْبَةَ مَا بَيْنَ الْعَشْرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) يزعمون أن العصبة : أربعون رجلا ، ينقلون مفاتيحه من كثرة عددها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ) قال : أربعون رجلا . وقال آخرون : ستون ، وقال : كانت مفاتيحه تحمل على ستين بغلا . حدثنا كذلك ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن خيثمة . وقال آخرون : كانت تحمل على مابين ثلاثة إلى عشرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقال آخرون : كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : ما بين العشرة إلى الخمسة عشر .

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) قال : العُصْبَةُ : خمسة عشر رجلا . وقوله ( أُولَى الْقُوَّةِ ) يعني : أولى الشدة .

وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ( أُولَى الْقُوَّةِ ) قال : خمسة عشر .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ) وكيف تنوء المفاتيح بالعُصْبَةُ ، وإنما العُصْبَةُ هي التي تنوء بها ؟ قيل : اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب ، فقال بعض أهل البصرة : مجاز ذلك : ما إن العُصْبَةُ ذوى القُوَّةِ لتنوء بمفاتيح نعمه . قال : ويقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هو تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمّله ، قال : رالعرب قد تفعل مثل هذا ، قال الشاعر :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ<sup>١</sup>

والمعنى : فديت بنفسي وبمالي نفسه . وقال آخر :

(١) البيت : من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ، ( الورقة ١٨٢ ب ) عند تفسير قوله تعالى : « ما إن مفاتيحه لتنوء » قال : أى مفاتيح خزائنه . ومجازه : ما إن العُصْبَةُ ذوى القُوَّةِ لتنوء بمفاتيح نعمه . يقال في الكلام : إنها لتنوء بها عجيزتها ، وإنما هي تنوء بعجيزتها ، كما ينوء البعير بحمّله . والعرب قد تفعل مثل هذا ، قال : « فديت بنفسه نفسى . . . البيت . . . والمعنى : فديت بنفسي ومالى »

وَتَرَكَبُ خَيْلًا لَاهَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ ١

وإنما تشق الضياطرة بالرماح . قال : والخيل هاهنا : الرجال .

وقال آخر منهم ( ما إن مفايحهُ ) قال : وهذا موضع لا يكاد يبدأ فيه « إن » ، وقد قال : إن الموت

الذي تفترون منه فإنه ملاقيكم . وقوله ( لَتَنوُءُ بالعُصْبَةِ ) إنما العصبة تنوء بها ؛ وفي الشعر :

تَنوُءُ بِهَا فَتَشْقِلُهَا عَجِيزُهَا ٢

وليست العجيرة تنوء بها ، ولكنها هي تنوء بالعجيزة ؛ وقال الأعشى :

مَا كُنْتُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانَ مُغَمَّرًا إِذْ شَبَّ حَرُّ وَقُودِهَا أَجْدَا لَهَا ٣

وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يُنكر هذا الذي قاله هذا القائل ، وابتداء إن بعد ما ، ويقول ذلك

جائز مع ما ومن ، وهو مع ما ومن أجود منه مع الذي ، لأن الذي لا يعمل في صلته ، ولا تعمل صلته فيه ،

فلذلك جاز ، وصارت الجملة عائد ما ، إذ كانت لا تعمل في « ما » ، ولا تعمل « ما » فيها ؛ قال : وحسن

مع « ما » و « من » ، لأنهما يكونان بتأويل النكرة إن شئت ، والمعرفة إن شئت ، فتقول : ضربت رجلا

ليقومن ، وضربت رجلا إنه لحسن ، فتكون « من » و « ما » تأويل هذا ، ومع الذي أقيح ، لأنه لا يكون

بتأويل النكرة .

وقال آخر منهم في قوله ( لَتَنوُءُ بالعُصْبَةِ ) : نَوُءُهَا بالعصبة : أن تُشَقِّلَهُمْ ، وقال المعنى : إن مفايحهُ

لَتَشْقِيءُ العَصْبَةَ : تميلهن من ثقلها ، فإذا أدخلت الباء قلت تَنوُءُ بهم ، كما قال ( آتُونِي أَفْرَغْ عَلَيْهِ

قِطْرًا ) قال والمعنى : آتوني بقطر أفرغ عليه ؛ فإذا حُدِّفت الباء ، زدت على الفعل ألفا في أوله ، ومثله ( فأجاءها

نفسه . وقوله « وما آلوك . . . الخ » هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . ومعناه : ما أستطيع . والعرب تقول : أتاني فلان في حاجة

فاستطعت رده . وأتاني في حاجة فألوت فيها : أي اجتهدت . ( اللسان : ألا يألو ) .

قلت : وجعل المؤلف البيت في القالب نظير الآية « ما إن مفايحهُ لتنوء بالعصبة » أي ما إن العصبة أول القوة تنوء وتعجز عن حمله ،

كما قال أبو عبيدة .

(١) البيت لخداش بن زهير ( اللسان : غطر ) . والضياطرة : جمع ضيطر ، كالضيطرى والجمع : ضياطر وضياطرة . وهم العظام من

الرجال ؛ وفي كلام علي عليه السلام : من يعذرفي مع هؤلاء الضياطرة ، وهم الضخام الذين لا غناء عندهم . قال في اللسان : وقول خداهش

ابن زهير : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ، أي لأنهم لا يحسنون حملها ، ولا

العلمن بها . ( قلت : وعلى هذا التوجيه ، لا شاهد في البيت ) . ويجوز أن يكون على القلب ، أي تشق الضياطرة الحمر بالرماح ، يعني

أنهم يقتلون بها . والموادة : المصالحة والموادعة . قلت : وعلى التوجيه الثاني من كلام ابن سيده ، يصح الاستشهاد بالبيت ، لما فيه من

القلب . قال أبو عبيدة : وإنما يشق الضياطرة بالرماح . اهـ . قلت وهو شاذ كالذي قبله .

(٢) لم أقف على هذا الشعر .

(٣) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٣١ ) وهو من قصيدة يمدح بها قيس

ابن معد يكره . والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ثانية بعد الأولى ، كأنهم جعلوا الأولى بكرا . والمغمر : الذي لم يجرب الأمور .

وشب النار : أوقدها . والأجدال : جمع جدل ( بكسر الجيم ، وسكون الذا ) وهو ما عظم من أصول الشجر المنقطع ، يجعل حطبها ووقودا

لنار . والبيت خطاب للممدوح يقول له الشاعر : أقسم بمن جعل الشهور علامة ومواقيت للناس ( في البيت الذي قبل البيت ) أنك لم تكن

في الحرب شديدة جاهلا بإدارتها على الأعداء ، حين أوقد حرها الأجدال والحطب . وقد جعل الشاعر الحر هو الذي أوقد الأجدال . وفي هذا

قلب للمعنى ، والأصل : إذا شبت الأجدال حر الحرب . وعلى هذا القلب استشهد به المؤلف ، وهو كالشاهدين قبله .

المخاض) معناه : فجاء بها المخاض ؛ وقال : قد قال رجل من أهل العربية : ما إن العصبه تَسْنُو بمفاتها ، فحوك الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر :

إِنَّ سِرَاجًا لِكَثْرِمٍ مَفْخَرَةٌ      تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجْهَرَةٌ<sup>١</sup>

وهو الذي يحلّى بالعين ، قال : فإن كان سمع أثرا بهذا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى ، قال : وأنشدني بعض العرب :

حَتَّى إِذَا مَا التَّامَّتْ مَوَاصِلُهُ      وَنَاءَ فِي شِقِّ الشَّمَالِ كَاهِلُهُ<sup>٢</sup>

يعنى : الرامى لما أخذ القوس ، ونزع مال عليها . قال : ونرى أن قول العرب : ما ساءك ، وناءك من ذلك ، ومعناه : ما ساءك وأناك من ذلك ، إلا أنه أتى الألف لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما فهتأى ومرأتى ، ومعناه : إذا أفردت وأمرأتى فحذفت منه الألف لما أتبع ما ليس فيه ألف .

وهذا القول الآخر في تأويل قوله ( لَتَسْنُوْا بِالْعُصْبَةِ ) : أولى بالصواب من الأقوال الأخرى ، لمعنيين : أحدهما : أنه تأويل موافق لظاهر التنزيل . والثاني : أن الآثار التي ذكرنا عن أهل التأويل : بنحو هذا المعنى جاءت ، وأن قول من قال : معنى ذلك : ما إن العصبه لتسوء بمفاتها ، إنما هو توجيه منهم إلى أن معناه : ما إن العصبه لتنهض بمفاتها ؛ وإذا وجه إلى ذلك لم يكن فيه من الدلالة على أنه أريد به الخبر عن كثرة كنوزه ، على نحو ما فيه ، إذا وجه إلى أن معناه : إن مفاتها تثقل العصبه وتميلها ، لأنه قد نهض العصبه بالقليل من المفاتيح وبالكثير ؛ وإنما قصد جل ثناؤه الخبر عن كثرة ذلك ، وإذا أريد به الخبر عن كثرتيه ، كان لاشك أن الذى قاله من ذكرنا قوله ، من أن معناه : لتسوء العصبه بمفاتها ، قول لامعنى له ، هذا مع خلافه تأويل السلف في ذلك .

(١) البيتان من شواهد الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٤٢ ) وقد تقدم الاستشهاد به في ( ٢ : ٨١ ) من هذا التفسير ، على مثل ما استشهد به هنا ، مع أبيات أخر . وقلنا في تفسيره هناك : جهرت فلانا العين تجهره : نظرت إليه قرأته عظيما ، فعل هو فيها . هذا هو أصل المعنى ، ولكن الشاعر قلب المعنى . فجعل العين تحل بالمرء إذا رأته ، فهو كالشاهدين الذين قبله . وقال الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة ٢٤٠٥٩ ) في التعليق على قول الله تعالى : « ما إن مفاتها لتسوء بالعصبه أول القوة » ونومها بالعصبه أن تثقلهم . والعصبه هاهنا : أربعون رجلا . ومفاتها : خزانته . والمعنى : ما إن مفاتها لتسوء بالعصبه ، أى تميلهم من ثقلها ؛ فإذا دخلت الباء قلت : تسوء بهم ، كما قال : « آتوني أفرغ عليه قطرا » والمعنى : اتونى بقطر أفرغ عليه . فإذا حذفت الباء رددت في الفعل ألفا في أوله . ومثله : فأجابها المخاض . معناه : فجاء بها المخاض . وقد قال رجل من أهل العربية : إن المعنى : ما إن العصبه لتسوء بمفاتها ، فحوك الفعل إلى المفاتيح ، كما قال الشاعر : « إن سراجا . . . البيت » ، وهو الذى يحل بالعين . فإن كان سمع بهذا أثرا ، فهو وجه ، وإلا فإن الرجل جهل المعنى . اهـ .

(٢) البيتان : ما أنشده بعض العرب الفراء ( انظر معاني القرآن له ص ٢٤٢ ، واللسان : ناء ) قال الفراء بعد الذى نقلناه من قوله في الشاهد السابق : ولقد أنشدني بعض العرب : حتى إذا ما التأممت مواصلة وناء في شق الشمال كاهله . يعنى الرامى لما أخذ القوس ونزع ، مال على شقه ، فذلك نوءه عليها . ونرى أن قول العرب « ما ساءك وناءك » : من ذلك ، ومعناه : ساءك وأناك ، إلا أنه أتى الألف ، لأنه متبع لساءك ، كما قالت العرب : أكلت طعاما ، فهتأى ومرأتى . ومعناه إذا أفردت : وأمرأتى ، فحذفت منه الألف ، لما أن أتبع ما لا ألف فيه .

وقوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول: إذ قال قومه: لا تفرح ولا تبسط فرحا، إن الله لا يحب من خلقه الأثيرين البسطيرين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) يقول: المرححين .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: المتبذخين الأثيرين البسطيرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم .

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن جابر، قال: سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: الأثيرين البسطيرين البذخين .

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، عن مجاهد، في قوله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: يعني به البغي .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: المتبذخين الأثيرين، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .  
حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله، إلا أنه قال: المتبذخين .

حدثنا محمد بن عبد الله المخزومي، قال: ثني شيبابة، قال: ثني ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: الأثيرين البسطيرين :

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، إذ قال له قومه (لَا تَفْرَحْ) : أي لا تفرح (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) : أي إن الله لا يحب المرححين .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: الأثيرين البسطيرين، الذين لا يشكرون الله فيما أعطاهم .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني هشيم، قال: أخبرنا العوام، عن مجاهد، في قوله (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) قال: هو فرح البغي .

اقول في تأويل قوله تعالى

وَأُتْبِعَ فِيمَا أَتَىكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)

يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قبل قوم قارون له : لا تبغ باقارون على قومك، بكثرة مالك ، واتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا . وقوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) يقول : ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا ، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة ، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) يقول : لا تترك أن تعمل لله في الدنيا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن ابن عباس ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : أن تعمل فيها لآخرتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة بن خالد ، عن عون بن عبد الله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : إن قوما يضعونها على غير موضعها ، ولا تنس نصيبك من الدنيا، تعمل فيها بطاعة الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : العمل بطاعته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : تعمل في دنياك لآخرتك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : العمل فيها بطاعة الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عيسى الجُرَشِيِّ ، عن مجاهد ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : أن تعمل في دنياك لآخرتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن مجاهد ، قال : العمل بطاعة الله : نصيبه من الدنيا ، الذي يُثَاب عليه في الآخرة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك ، فلنما تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا ، فيما رزقك الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) : قال الحسن : ما أحلَّ الله لك منها ، فإن لك فيه غيبي وكفاية .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن قتادة : ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) قال : طلب الحلال .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن الحسن ( وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ) : قال : قدّم الفضل ، وأمسك ما يبلغك .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الحلال فيها .  
 وقوله ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) يقول : وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاكه الله ، في وجوهه وسبله ، كما أحسن الله إليك ، فوسع عليك منه ، وبسط لك فيها .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ) قال : أحسن فيما رزقك الله ( وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ) يقول : ولا تلمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ) يقول : إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي .

## القول في تأويل قوله تعالى

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ، أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا ، وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨)

يقول تعالى ذكره : قال قارون لقومه الذين وعظوه : إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي ، علمه الله مني ، فرضى بذلك عني ، وفضلني بهذا المال عليكم ، لعلمه بفضلي عليكم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ( قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) قال : على خبر عندي .  
 قال : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ) قال : لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا ، وقرأ ( أَوْلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا ) . . . الآية .  
 وقد قيل : إن معنى قوله ( عِنْدِي ) بمعنى : أرى ، كأنه قال : إنما أوتيته لفضل علمي فيها أرى .

وقوله ( أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ) يقول جل ثناؤه : أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أرقى الكنوز لفضل علم عنده ، علمته أنا منه ، فاستحق بذلك أن يؤقى ما أوتى من الكنوز ، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا ، وأكثر جمعا للأموال ؛ ولو كان الله يؤقى الأموال من يؤتبه لفضل فيه ، وخير عنده ، ولرضاه عنه ، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال ، الذين كانوا أكثر منه مالا ، لأن من كان الله عنه راضيا ، فحال أن يهلكه الله ، وهو عنه راض ، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا .

وقوله ( وَلَا يُسْتَلْعَى عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قيل : إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن عمر ، عن قتادة ( وَلَا يُسْتَلْعَى عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : يدخلون النار بغير حساب . وقيل : معنى ذلك : أن الملائكة لاتسأل عنهم ، لأنهم يعرفونهم بسيماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا يُسْتَلْعَى عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) كقوله ( يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهِمُ ) زُرْقًا سُودَ الْوُجُوهِ ، والملائكة لاتسأل عنهم ، قد عرفتهم . وقيل : معنى ذلك : ولا يستل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون : فيم أهلكوا ؟

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ( وَلَا يُسْتَلْعَى عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : عن ذنوب الذين مضوا فيم أهلكوا ، فالهاء والميم في قوله ( عَنْ ذُنُوبِهِمُ ) على هذا التأويل : لمن الذي في قوله ( أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ) وعلى التأويل الأول الذي قاله مجاهد وقتادة للمجرمين ، وهي بأن تكون من ذكر المجرمين أولى ، لأن الله تعالى ذكره غير سائل عن ذنوب مذنب غير من أذنب ، لا مؤمن ولا كافر . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعلوم أنه لا معنى لخصوص المجرمين ، لو كانت الهاء والميم اللتان في قوله ( عَنْ ذُنُوبِهِمُ ) لمن الذي في قوله ( مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ) من دون المؤمنين ، يعني لأنه غير مسئول عن ذلك مؤمن ولا كافر ، إلا الذين ركبوه واكتسبوه .

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ !

إِنَّهُ لَدَوْحٌ عَظِيمٌ (٧٩)

يقول تعالى ذكره : فخرج قارون على قومه في زينته ، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا طلحة بن عمرو ، عن أبي الزبير ، عن جابر ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في القيرمز .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : على برادين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم المعصفرات .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : عليه ثوبان معصفران .

وقال ابن جريج : على بغلة شبيهة عليها الأرجوان ، وثلاث مئة جارية على البغال الشهب ، عليهن ثياب حمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبي ويحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر وصفر .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، أنه سمع إبراهيم النخعي ، قال في هذه الآية ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب حمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم النخعي ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن إبراهيم مثله .

حدثنا محمد بن عمرو بن عليّ المقدمي ، قال : ثنا إسماعيل بن حكيم ، قال : دخلنا على مالك بن دينار عشية ، وإذا هو في ذكر قارون ، قال : وإذا رجل من جيرانه عليه ثياب معصفرة ، قال : فقال مالك :

( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : في ثياب مثل ثياب هذا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) : ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة ، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) قال : خرج في سبعين ألفا ، عليهم المعصفرات ، فيما كان أبي يذكر لنا ( قال الذين يريدون

الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ! ) يقول تعالى ذكره : قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون : يا ليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ! ( إنه لردو حظ عظيم ) يقول :

إن قارون لردو نصيب من الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ: وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا  
الصَّابِرُونَ (٨٠)

يقول تعالى ذكره: وقال الذين أوتوا العلم بالله، حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته، للذين قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون: وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ وَأَطِيعُوهُ، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به ووبرسه، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة، خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون. وقوله (وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) يقول: ولا يلقاها: أى ولا يوفق لقبيل هذه الكلمة، وهى قوله (ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) والهاء والألف: كناية عن الكلمة. وقال (إِلَّا الصَّابِرُونَ) يعنى بذلك: الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ما عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال، على لذات الدنيا وشهواتها، فجدوا في طاعة الله، ورفضوا الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ، فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنْ  
الْمُنْتَصِرِينَ (٨١)

يقول تعالى ذكره: فخسفنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنه ذكير أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوسا معه، وهم على مثل الذى هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى.

ذكر من قال ذلك

: حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كل ألف دينار ديناراً، وكل ألف شيء شيئاً، أو قال: وكل ألف شاة شاة، «الطبرى يشك»، قال: ثم أتى بيته فحسبته، فوجده كثيراً، فجمع بنى إسرائيل، فقال: يا بنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا، وأنت سيدنا، فرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلاتة البغى، فتجعلوا لها جُعلاً، فتقذفه بنفسها، فدعواها، فجعل لها جُعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بنى إسرائيل قد اجتمعوا، لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم في برّاح من الأرض، فقال: يا بنى إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجّناه حتى يموت «الطبرى يشك»، فقال له

قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا ، قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاة . قال : ادعوا ، فإن قالت ، فهو كما قالت ؛ فلما جاءت قال لها موسى : يا فلاة ، قالت : يا بسببك ، قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي ، فوثب ، فسجد وهو بينهم ، فأوحى الله إليه : سر الأرض بما شئت ، قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أقدامهم ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى حقيبتهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ قال : فجعلوا يقولون : يا موسى يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذيهم ، فانطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، يقول لك عبادي : يا موسى ، يا موسى ، فلا ترجمهم ؟ أما لو إياي دَعَوَا ، لوجدوني قريباً مجيباً ؛ قال : فذلك قول الله ( فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ) وكانت زينته أنه خرج على دوابٍ سُقِرَ عليها سُروجٌ حُمْرٌ ، عليهم ثيابٌ مُصَبَّغَةٌ بِالْبَهْرَمَانِ ٢ ( قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أُوْتِيَ قَارُونُ ) . . . إلى قوله ( إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ) يا محمد ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) . حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : لما أمر الله موسى بالزكاة ، قال : رَمَوْه بالزنا ، فجزع من ذلك ، فأرسلوا إلى امرأة كانت قد أعطوها حكمها ، على أن ترميه بنفسها ؛ فلما جاءت عظم عليها ، وسأها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وأنزل التوراة على موسى إلا صدقت . قالت : إذ قد استحلقتني ، فإني أشهد أنك برئ ، وأنت رسول الله ، فخرت ساجداً بيكي ، فأوحى الله تبارك وتعالى : ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض ، فرها بما شئت ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا : يا موسى يا موسى ، فخذهم ، فقال : خذيهم ، فأخذتهم إلى ماشاء الله ، فقالوا يا موسى يا موسى ، فخذهم . قال : وأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى ، فقالوا : ادع لنا ربك ؛ قال : فدعاهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ، أما إياي لو دَعَوَا لأجبتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ) قال : قيل للأرض خذيهم ، فأخذتهم إلى أعقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى ركبهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أحقابهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فأخذتهم إلى أعناقهم ؛ ثم قيل لها : خذيهم ، فَخَسَفَ بِهِمْ ، فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ) . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ) قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضي في ناحية بني إسرائيل ، وقارون في ناحية ، قال : فدعا بغيبة كانت في بني إسرائيل ، فجعل لها جعلاً على أن ترمي موسى بنفسها ، فتركته إذا كان يوم تجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى ، أناه قارون

(١) الحقو : مقعد الإزار . جمعه : أحق ، وأحقاء ، وحقى ( بشد الياء ) وحقاء ( اللسان حقا ) .

(٢) البهرمان ، بفتح الياء والراء : المصفر أو ضرب منه ( اللسان : بهرم ) .

فقال : يا موسى ما حدث من سرق ؟ قال : أن تنقطع يده ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فما حدث من زنى ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويؤسرك بمن ؟ قال : بفلاتة ، فدعاها موسى ، فقال : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، آصدق قارون ؟ قالت : اللهم إذ نشدتنى ، فاني أشهد أنك برىء ، وأنت رسول الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي جعلا على أن أرميك بنفسى ؛ قال : فوثب موسى ، فخر ساجدا لله ، فأوحى الله إليه : أن ارفع رأسك ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : يا أرض خذيهما ، فأخذتهما حتى بلغوا الحقن ، قال : يا موسى ؛ قال : خذيهما ، فأخذتهما حتى بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذيهما ، قال : فذهبا . قال فأوحى الله إليه يا موسى : استغاث بك فلم تغته ، أما لو استغاثت بي لأجبتته ولأغثته .

حدثنا بشر بن هلال الصواف ، قال : ثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، قال : ثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة ؛ فلما خرج منها ، جلس وتساند عليها ، وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود ( وقال يا أيها الملأ أياكم " يأتيني بعمرشها قبل أن يأتوني مسلمين ) . . . إلى قوله ( إن ربي غني كريم ) ثم سكت عن ذكر سليمان ، فقال ( إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ) وكان قد أوتي من الكنوز ما ذكر الله في كتابه ( ما إن مقارحه لتنوء بالعصبة أُولي القوة ) ، ( قال إنما أوتيته على علم عندى ) قال : وعادى موسى ، وكان مؤذيا له ، وكان موسى يصفح عنه ويعفو ، للقرابة ، حتى بنى دارا ، وجعل باب داره من ذهب ، وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ، ويحدثونه ويضحكونه ، فلم تدعه شقوته والبلاء ، حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالحنانة ، مشهورة بالسب ، فأرسل إليها فجاءته ، فقال لها : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك في نسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون : ألا تنهى عني موسى ، قالت : بلى ، فلما جلس قارون ، وجاء الملأ من بني إسرائيل ، أرسل إليها ، فجاءت فقامت بين يديه ، فقلب الله قلبها ، وأحدث لها توبة ، فقالت في نفسها : لأن أحدث اليوم توبة ، أفضل من أن أؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله له . فقالت : إن قارون قال لي : هل لك أن أمولك وأعطيك ، وأخلطك بنسائي ، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندى ، فتقولى : يا قارون ألا تنهى عني موسى ، فلم أجد توبة أفضل من أن لا أؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكذب عدو الله ؛ فلما تكلمت بهذا الكلام ، سقط في يدي قارون ، ونكس رأسه ، وسكت الملأ ، وعرف أنه قد وقع في هلكة ، وشاع كلامها في الناس ، حتى بلغ موسى ؛ فلما بلغ موسى اشتد غضبه ، فتوضأ من الماء ، وصلّى وبكى ، وقال : يا رب عدوك لي مؤذ ، أراد فضيحتي وشيئي ، يا رب سلطني عليه ، فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك ، فجاء موسى إلى قارون ، فلما دخل عليه ، عرف الشر في وجه موسى له ، فقال : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذيهما ، قال : فاضطربت داره ، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين ، وجعل يقول : يا موسى ، فأخذتهما إلى ركبهم ، وهو يتصرع

إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذبيهم ، قال : فاضطربت داره وساخت ، وخُسِفَ بقارون وأصحابه إلى سُرْرِهِمْ ، وهو يتضرع إلى موسى : يا موسى ارحمني ؛ قال : يا أرض خذبيهم ، فخُسِفَ به وبداره وأصحابه . قال : وقيل لموسى صلى الله عليه وسلم : يا موسى ما أفضلك . أما وعزتي لو إياي نادى لأجبهه حدثني بشر بن هلال ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، قال : بلغني أنه قيل لموسى : لا أُعْبِدُ الأَرْضَ لأحد بعدك أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الحميد الحماني ، عن سفيان ، عن الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، قال عبد الحميد ، عن أبي نصر ، عن ابن عباس ، ولم يذكر ابن مهدي أبا نصر ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ) قال : الأرض السابعة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : بلغنا أنه يخسف به كل يوم مِثَّةٌ قامة ، ولا يبلغ أسفل الأرض إلى يوم القيامة ، فهو يتجسسجّل فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبان ، عن جعفر بن سليمان ، قال : سمعت مالك بن دينار ، قال : بلغني أن قارون يُخَسَفُ به كل يوم مِثَّةٌ قامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ) ذكر لنا أنه يُخَسَفُ به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها ، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

وقوله ( قَمًا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) يقول : فلم يكن له جند يرجع إليهم ، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه ، بل تبرءوا منه ( وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ) يقول : ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحلّ به نعمته ، فيمتنع لقوته منها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قَمًا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ ) أي جند ينصرونه ، وما عنده منعة يمتنع بها من الله .

وقد بيننا معنى الفئة فيما مضى ، وأنها الجماعة من الناس ، وأصلها الجماعة التي يوء إليها الرجل عند الحاجة إليهم ، للعون على العدو ، ثم تستعمل ذلك العرب في كل جماعة كانت عوناً للرجل ، وظهوراً له ؛ ومنه قول خفاف :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُمْ حَيًّا لِقَاحًا      وَجَدَكَ بَيْنَ نَاصِحَةٍ وَحَجْرٍ  
أَشَدَّ عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ آدَا      وَأَكْبَرَ مِنْهُمْ فِئَةً بِصَبْرٍ

(١) البيتان من شعر خفاف بن ندية ، وهما من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١٨٣ ب) قال عند قوله تعالى : « فا كان له من فئة » أي من أعوان وظهور ، قال : خفاف : فلم أر مثلهم حيا لقاحا . . . . . البيتين . وفي « (اللسان : لقع) : وحى لقاح : لم يدبوا للملوك ، ولم يملكوا ، ولم يصبهم في الجاهلية سباء . وقال ثعلب : الحى اللقاح : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقت =

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْتَطِعُ اللَّهُ بِرِزْقِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ، لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ، وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

يقول تعالى ذكره : وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس من الدنيا ، وغناه وكثرة ماله ، وما بسط له منها بالأمس ، يعنى قبل أن ينزل به منازل من سخط الله وعقابه ، يقولون : ويكأن الله . . .

اختلف في معنى ( وَيَكَانَهُ اللَّهُ ) فأما قتادة ، فإنه روى عنه في ذلك قولان :

أحدهما : ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال في قوله ( وَيَكَانَهُ ) قال : ألم تر أنه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَكَانَهُ ) : أو لا ترى أنه .

وحدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : ثنا محمد بن كثير ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة : ( وَيَكَانَهُ ) قال : ألم تر أنه .

والقول الآخر : ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَيَكَانَهُ اللَّهُ يَسْتَطِعُ الرِّزْقَ ) قال : أو لم يعلم أن الله ( وَيَكَانَهُ ) : أو لا يعلم أنه .

وتأول هذا التأويل الذي ذكرناه عن قتادة في ذلك أيضا بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة ، واستشهد لصحة تأويله ذلك كذلك ، بقول الشاعر :

سَأَلْتَنِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي ، قَدَّ جِئْتَنَا بِنُكْرٍ  
وَيَكَانُ مَنْ يَكُنُّ لَهُ نَشَبٌ يُحْسَبُ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضُرٍّ

= لم تطارح الفحل . وناصحة بالفساد : لعله تحريف ناصحة ، وهي كما في معجم البلدان : ماء لمعاوية بن حزن بنجد . وحجر ( يفتح مسكون ) : قصبة الإمامة . والآد والأيد : القوة . والفتة : الجماعة من الناس ، وهو من الكلمات الثانية الوضع . ( ١ ) البيتان لزيد بن عمرو بن نفيل ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادي ٣ : ٩٥ - ٩٧ ) وقبلهما بيت ثالث وهو :

تِلْكَ عِيرَسَايَ تَنْطِقَانِ عَلَيَّ عَمَّيْدٍ إِلَى الْيَوْمِ قَوْلَ زُورٍ وَهَيْتَرٍ

والشاعر ينكر حال زوجته معه ، بعد أن كبر وانقر . وفي البيت الثاني : « أن رأنا مال قليلا . . الخ » والعرس : الزوجة . والمتر بفتح الهاء : مصدر هتره هترا من باب نصر : إذا مزق عرضه . وبكسر الهاء : الكذب ، والداهية ، والأمر العجب ، والسقط من الكلام ، والخطأ فيه . وبالضم : ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . والتكر : الأمر القبيح المنكر . والنشب : المال الأصيل ، من الناطق والصامت . والشاهد في قوله « ويكأن » فقد اختلف فيها البصريون والكوفيون : أي كلمة واحدة أم كلمتان ؟ فقال سيبويه : سألت الخليل عن قوله تعالى : « ويكأنه لا يفلح الكافرون » وعن قوله « ويكأن الله » فزعم أنها : « وي » مفصلة من « كأن » . والمعنى على أن القوم اتنبهوا ، فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا ، فقبل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ؟ وقال الفراء في معاني القرآن ( مصورة الجامعة الورقة ٢٤٣ ) : « ويكأن » . . . في كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنع الله ؟ وأنشدني : « ويكأن من يكن . . البيت » . وأخبرني شيخ من أهل البصرة قال : سمعت أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ، ويك ؟ فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه أما ترى وراء البيت . . . إلى آخر ما نقله عنه المؤلف . قلت : والذي قاله الخليل وسيبويه من حيث اللفظ أقرب إلى الصواب ، لأن الكلمة مركبة من ثلاثة أشياء : « وي » ، والكاف ، وأن . والذي قاله الفراء من جهة المعنى : حسن واضح .



وقال بعض نحوِّي الكوفة : «ويكأن» في كلام العرب : تقرير ، كقول الرجل : أما ترى إلى صنْع الله وإحسانه ، وذكر أنه أخبره من سماع أعرابية تقول لزوجها : أين ابنا ، فقال : ويكأنه وراء البيت ، معناه : أما ترى وراء البيت ؟ قال : وقد يندَّ هَبَّ بها بعض النحويين إلى أنها كلمتان ، يريد : وَيَبْكُ أَنَّهُ ، كأنه أراد وَيَبْكُ ، فحذف اللام ، فتجعل «آن» مفتوحة بفعل مضمر ، كأنه قال : وَيَبْكُ اعلمُ أنه وراء البيت ، فأضمر «اعلم» . قال : ولم نجد العرب تُعَمِّلُ الظنَّ مضمرًا ، ولا العلم وأشباهه في «آن» ، وذلك أنه يبطل إذا كان بين الكلمتين ، أو في آخر الكلمة ، فلما أضمر جرى مجرى المتأخر ، ألا ترى أنه لا يجوز في الابتداء أن يقول : يا هذا ، أنك قائم ، ويا هذا آنُ قمت ، يريد : علمت ، أو اعلم ، أو ظننت ، أو أظن . وأما حذف اللام من قولك : وَيَبْكُ حتى تصير : وَيَبْكُ ، فقد تقوله العرب ، لكثرتها في الكلام ، قال عنتره :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الْفَوَارِسِ وَيَبْكُ عَسْتَرِ أَقْدِيمِ!

قال : وقال آخرون : إن معنى قوله ( وَيَبْكُ ) : «وى» منفصلة من كأن ، كقولك للرجل : وى أما ترى ما بين يديك ؟ فقال : «وى» ثم استأنف ، كأن الله يبسط الرزق ، وهي تعجب ، وكان في معنى الظن والعلم ، فهذا وجه يستقيم . قال : ولم تكتبها العرب منفصلة ، ولو كانت على هذا لكتبوها منفصلة ، وقد يجوز أن تكون كُسِّرَ بها الكلام ، فوُصِلت بما ليست منه .

وقال آخر منهم : إن «وى» تنبيه ، وكان حرف آخر غيره ، بمعنى : لعل الأمر كذا ، وأظن الأمر كذا ، لأن كأن بمنزلة أظن وأحسب وأعلم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة : القول الذي ذكرنا عن قتادة ، من أن معناه : ألم تر ، ألم تعلم ، للشاهد الذي ذكرنا فيه من قول الشاعر ، والرواية عن العرب ؛ وأن «ويكأن» في خطِّ المصحف حرف واحد . ومضى وجه ذلك إلى غير التأويل الذي ذكرنا عن قتادة ، فإنه بصير حرفين ، وذلك أنه إن وجه إلى قول من تأوله بمعنى : وَيَبْكُ اعلم أن الله ، وجب أن يفصل «ويبك» من «آن» ، وذلك خلاف خطِّ جميع المصاحف ، مع فساده في العربية ، لما ذكرنا . وإن وجهه إلى قول من يقول : «وى» بمعنى التنبيه ، ثم استأنف الكلام بكأن ، وجب أن يُفَصَّلَ «وى» من «كأن» ، وذلك أيضا خلاف خطوط المصاحف كلها .<sup>٢</sup>

فإذا كان ذلك حرفا واحدا ، فالصواب من التأويل : ما قاله قتادة ، وإذا كان ذلك هو الصواب ، فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس ، يقولون لَمَّا عابنوا ما أحلَّ الله به من

(١) البيت لعنتره بن عمرو بن شداد العبسي ، من معلقته ( مختار الشعر الجاهل بشرح مصطفى السقا ص ٣٧٩ ) قال شارحه : يريد أن تأويل أصحابه عليه ، والتجاءم إليه . شق نفسه ، ونق له . اه . ووى : كلمة يقولها المتعجب من شيء ، وهي بدائية ثنائية الوضع . لأنها من أسماء الأصوات ، ثم صارت اسم فعل ، وقد تدخلها كاف الخطاب ، وقد يزيدون عليها لاما ، فتصير ويل أو الخاء ، فتصير وبع ، وتستعمل الأولى في الإنذار بالشر ، والثانية في الإشمار بالرحمة ، فيقال ويلك ، وويحك ، وويبك ، وويبك . مثل ويلك . وروايته البيت هنا كروايته في معاني القرآن للقراء ( ص ٢٤٣ ) فقد نقله في كلامه الذي نقله المؤلف ، وذكر فيه هذا الشاهد . وفي مختار الشعر : قبل الفوارس : في موضع : قول الفوارس : وما معنى .

(٢) قلت : العجب من المؤلف ، على إمامته وعلو كعبه في العلم ، كيف يجعل رسم المصاحف دليلا على المعنى ، مع أن المصاحف مختلفة رسمها اختلافا بينا وليس لاختلاف المعاني أي دخل في ذلك الرسم ، وإنما وجد إلى أسباب أخرى .

نقمته ، ألم تر يا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فَيُوسِعُ عَلَيْهِ ، لا لفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه ، كما كان بسط من ذلك لقارون ، لا لفضله ولا لكرامته عليه ( وَيَقْدِرُ ) يقول : ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك ، ويقتر عليه ، لا لهوانه ، ولا لسخطه عمله .

وقوله ( لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) يقول : لولا أن تفضل علينا ، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس . ( تَلْحَسَفَ بِنَا ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار سوى شيبة ( تَلْحَسَفَ بِنَا ) بضم الخاء ، وكسر السين ، وذُكر عن شيبة والحسن ( تَلْحَسَفَ بِنَا ) بفتح الخاء والسين ، بمعنى : تحسف الله بنا .  
وقوله ( وَيَكَاَنَّهُ لَيَفْتَلِحُ الْكَافِرُونَ ) يقول : ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ، فتُنْجِجُ طَلِبَاتِهِمْ .

#### القول في تأويل قول تعالى

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)

يقول تعالى ذكره : تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبوا عنه ولا فسادا : يقول : ولا ظلم الناس بغير حق ، وعملا بمعاصي الله فيها .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن زياد بن أبي زياد ، قال : سمعت عكرمة يقول ( لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ) قال : العلو : التكبر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ) قال : العلو : التكبر في الحق ، والفساد : الأخذ بغير الحق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مسلم البطين ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : التكبر في الأرض بغير الحق ( وَلَا فَسَادًا ) أخذ المال بغير حق .

قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : البغي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ) قال : تعظما وتجبوا ، ( وَلَا فَسَادًا ) : عملا بالمعاصي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أشعث السمان ، عن أبي سلمان الأعرج ، عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك صاحبه ، فيدخل في قوله ( تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ) .

وقوله (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) يقول تعالى ذكره : والجنة للمتقين ، وهم الذين اتقوا معاصي الله ، وأدّوا فرائضه .

وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي الجنة للمتقين .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ، فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ سَمِعُوا السَّبِّاتِ  
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)

يقول تعالى ذكره : من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد ، فله خير ، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم ، ومن جاء بالسيئة ، وهي الشرك بالله .

كما حدثنا بشر ، قال ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) : أي له منها حظّ خير ، والحسنة : الإخلاص ، والسيئة : الشرك .

وقد بينّا ذلك باختلاف المختلفين ، ودلّلنا على الصواب من القول فيه .

وقوله (فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ سَمِعُوا السَّبِّاتِ) يقول : فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة (إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : إلا جزاء ما كانوا يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ إِنْ لَرَآدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ  
هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥)

يقول تعالى ذكره : إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاك القرآن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) قال : الذي أعطاكه .

وختلف أهل التأويل في تأويل قوله (لَرَآدُكَ إِلَيَّ مَعَادٍ) فقال بعضهم : معناه : لمُصِيرِكَ إلى الجنة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشر ، عن خَصِيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى معدنك من الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جببير عن ابن عباس ، قال : إلى الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إبراهيم بن حبان ، سمعت أبا جعفر ، عن ابن عباس ، عن أبي سعيد الخدري ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : معاده آخرته الجنة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في ( إِنْ أَلَدَى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الجنة ليسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ، قال : الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي صالح ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الجنة .

حدثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، قال : يردك إلى الجنة ، ثم يسألك عن القرآن .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عكرمة ومجاهد ، قالا : إلى الجنة حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء ومجاهد وأبي قزعة والحسن ، قالوا : يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يحيى بك يوم القيامة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن والزهرى ، قالا : معاده يوم القيامة . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يحيى بك يوم القيامة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هذفة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : معادك من الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : كان الحسن يقول : إى والله ، إن له لمعادا يبعثه الله يوم القيامة ، ويدخله الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : لرادك إلى الموت .

## ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن وهب الواسطي ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى ، قال : ثنا سفیان بن سعيد الثورى ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : الموت .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفیان ، عن السدى ، عن رجل ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت .

قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، عن سعيد ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى الموت .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن السدى عن سمع ابن عباس ، قال إلى الموت .  
حدثنا أبو كُرَيْب وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبّير ، قال : إلى الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبّير في قوله ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا أبو ثَمَيْلَة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : إلى الموت ، أو إلى مكة .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لَرَادُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِى خَرَجْتَ مِنْهُ ، وَهُوَ مَكَّةُ .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى بن عبيد ، عن سفیان العصفريّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مكة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : يقول : لَرَادُكَ إِلَى مَكَّةَ ، كَمَا أَخْرَجَكَ مِنْهَا .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : أخبرنا يونس بن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، قال : مولده بمكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى عن يونس ابن أبى إسحاق ، قال : سمعت مجاهدا يقول : ( لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن عمرو ، وهو ابن أبى إسحاق ، عن مجاهد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولدك بمكة .

حدثني الحسين بن على الصدائى ، قال : ثنا أبى ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن مجاهد أبى الحجاج ، في قوله ( إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُكَ إِلَى مَعَادٍ ) قال : إلى مولده بمكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن أبيه ، عن مجاهد قال : إلى مولدك بمكة .

والصواب من القول في ذلك عندي: قول من قال: لرادك إلى عادتك من المرات، أو إلى عادتك حيث ولدت، وذلك أن المعاد في هذا الموضع: المتفعل من العادة، ليس من العود، إلا أن يوجهه موجه تأويل قوله (لرادك) لمصيرك، فيتوجه حينئذ قوله (إلى معاد) إلى معنى العود، ويكون تأويله: إن الذي فرض عليك القرآن لمصيرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك.

فإن قال قائل: فهذه الوجوه التي وصفت في ذلك قد فهمناها، فما وجه تأويل من تأوله بمعنى: لرادك إلى الجنة؟ قيل: ينبغي أن يكون وجه تأويله ذلك كذلك على هذا الوجه الآخر، وهو لمصيرك إلى أن تعود إلى الجنة.

فإن قال قائل: أو كان أخرج من الجنة، فيقال له: نحن نعيدك إليها؟ قيل: لذلك وجهان: أحدهما: أنه إن كان أبوه آدم صلى الله عليهما أخرج منها، فكأن ولده بإخراج الله إياه منها، قد أخرجوا منها، فن دخلها فكأنما يرد إليها بعد الخروج. والثاني أن يقال: إنه كان صلى الله عليه وسلم دخلها ليلة أسرى به، كما روى عنه أنه قال: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا، فَتَقَلْتُ لِمَنْ هَذَا؟ فَتَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ»، ونحو ذلك من الأخبار التي رويت عنه بذلك، ثم رُدَّ إلى الأرض، فيقال له: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك لمصيرك إلى الموضع الذي خرجت منه من الجنة، إلى أن تعود إليه، فذلك إن شاء الله قول من قال ذلك.

وقوله (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد هؤلاء المشركين: ربّي أعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجا، ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم. وقوله (مُّبِينٍ) يعني أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره، أنه ضلال وجور عن الهدى.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ، فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا  
لِّلْكَافِرِينَ (٨٦)

يقول تعالى ذكره: وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن، فتعلم الأنبياء والأخبار عن الماضين قبلك، والحادثة بعدك، مما لم يكن بعد، مما لم تشهده ولا تشهده، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش، إلا أن ربك رحمتك، فأنزله عليك، فقوله (إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ) استثناء منقطع.

وقوله (فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ) يقول: فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك، بانزله عليك هذا الكتاب، ولا تكونن عوناً لمن كفر بربك على كفره به. وقيل: إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم. وإن معنى اللام: إن الذي فرض عليك القرآن، فأنزله عليك، وما كنت ترجو أن ينزل عليك، فتكون نبياً قبل ذلك، لرادك إلى معاد.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ، وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ (٨٧)

يقول تعالى ذكره: ولا يصرفنك عن تبليغ آيات الله وحججه، بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد، هؤلاء المشركون، بقولهم (لنؤلا أو نقي مثل ما أو نقي موسى). وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها. (ولا تكونن من المشركين) يقول: ولا تترك الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالته، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه، وخلافه أمره.

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِلَّا إِلَهُهُ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ (٨٨)

يقول تعالى ذكره: ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبودا آخر سواه. وقوله (لا إله إلا هو) يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله، الذي كل شيء هالك إلا وجهه. واختلف في معنى قوله (إلا وجهه) فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو. وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، واستشهدوا لتأويلهم ذلك كذلك بقول الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخْصِيَهُ رَبُّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

وقوله (له الحكم) يقول: له الحكم بين خلقه، دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم (وإليه ترجعون) يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضى بينكم بالعدل، فيحازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم.

آخر تفسير سورة القصص

## تفسير سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)

(١) البيت: من الأبيات الخمسين التي استشهد بها سيبويه ولا يعرف قائلها. وهو شاهد عند النحاة على أن أصله «أستغفر الله من ذنب» ثم أسقط الجار، فاتصل المحرور بالفعل، فنصب مفعولا به. واشتهد به المؤلف هنا تبعا للفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة، الورقة ٢٤٤) قال: كل شيء هالك إلا وجهه: إلا هو. وقال الشاعر: «أستغفر الله... البيت» أي أوجه عمل.

ﷺ قال أبو جعفر : وقد بيننا معنى قول الله تعالى ذكره (الم) وذكرنا أقوال أهل التأويل في تأويله ، والذي هو أولى بالصواب من أقوالهم عندنا ، بشواهد فيها مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .  
وأما قوله ( أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) فإن معناه : أظنّ الذين خرجوا يا محمد من أصحابك من أذى المشركين إياهم ، أن تركتهم بغير اختبار ، ولا ابتلاء امتحان ، بأن قالوا : آمنة بك يا محمد ، فصدّقناك فيما جئتنا به من عند الله ، ككلامنا لنختبرهم ، ليتبين الصادق منهم من الكاذب .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) قال : يُبْتَلَوْنَ في أنفسهم وأموالهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) : أي لا يُبْتَلَوْنَ .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، في قوله ( وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) قال : لا يُبْتَلَوْنَ .

فإن الأولى منصوبة بحسب ، والثانية منصوبة في قول بعض أهل العربية ، بتعلق يتركوا بها ، وأن معنى الكلام على قوله ( أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا ) لأن يقولوا آمنا ، فلما حذفت اللام الخافضة من لأن ، نصبت على ما ذكرت . وأما على قول غيره فهي في موضع خفض باضمار الخافض ، ولا تكاد العرب تقول تركت فلانا أن يذهب ، فتدخل أن في الكلام ، وإنما تقول تركته يذهب ، وإنما أدخلت أن هاهنا لاكتفاء الكلام بقوله ( أَنْ يُسْرَكُوا ) إذ كان معناه : أحسب الناس أن يتركوا وهم لا يفتنون ، من أجل أن يقولوا آمنا ، فكان قوله ( أَنْ يُسْرَكُوا ) مكثفة بوقوعها على الناس ، دون أخبارهم . وإن جعلت « أن » في قوله ( أَنْ يَقُولُوا ) منصوبة بنية تكرير أحسب ، كان جائزا ، فيكون معنى الكلام : أحسب الناس أن يتركوا : أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ (٣)

ﷺ يقول تعالى ذكره : ولقد اخترنا الذين من قبلهم من الأمم ، ممن أرسلنا إليهم رسلنا ، فقالوا مثل ما قالته أمثك يا محمد بأعدائهم ، وتمكيننا إياهم من أذاهم ، كموسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتليناهم بفرعون وملئهم ، وكعيسى إذ أرسلناه إلى بني إسرائيل ، فابتلينا من اتبعه بمن تولى عنه ، فكذلك ابتلينا أتباعك



بمخالفتك من أعدائك ( فَكَيْعَلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ) منهم في قيلهم آمننا ( وَكَيْعَلَمَنَّ الكاذبين ) منهم في قيلهم ذلك ، والله عالم بذلك منهم قبل الاختبار ، وفي حال الاختبار ، وبعد الاختبار ، ولكن معنى ذلك : وَلَيُظْهِرَنَّ اللهُ صِدْقَ الصَّادِقِ مِنْهُمْ فِي قِيلِهِ آمَنَّا بِاللَّهِ ، مِنْ كَذِبِ الكاذبِ مِنْهُمْ ، بِابْتِلَائِهِ إِيَّاهُ بَعْدَوَهُ ، ليعلم صدقته من كذبه أولياؤه ، على نحو ما قد بينناه فيما مضى قبل .  
وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين عدّتهم المشركون ، ففتن بعضهم ، وصبر بعضهم على أذاهم ، حتى أتاهم الله بفرج من عنده .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : نزلت ، يعني هذه الآية : ( الم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا ) ... إلى قوله ( وَكَيْعَلَمَنَّ الكاذبين ) في عمّار بن ياسر ، إذ كان يُعدّ في الله .  
وقال آخرون : بل نزل ذلك من أجل قوم كانوا قد أظهروا الإسلام بمكة ، وتخلّفوا عن الهجرة ، والفتنة التي فتنت بها هؤلاء القوم على مقالة هؤلاء ، هي الهجرة التي امتحنوا بها .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن مطر ، عن الشعبي ، قال : إنها نزلت ، يعني ( الم . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا ) . . . الآيتين في أناس كانوا بمكة أقرّوا بالإسلام ، فكتب إليهم أصحاب محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : إنه لا يقبل منكم إقرارا بالإسلام حتى تهجروا ، فخرجوا عامدين إلى المدينة ، فاتبعهم المشركون ، فردّوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية ، فكتبوا إليهم : إنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج ، فإن اتبّعنا أحد قائلنا ، قال : فخرجوا ، فاتبعهم المشركون ، فقاتلوه ثم ، فمنهم من قُتِل ، ومنهم من نجا ، فأنزل الله فيهم : ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ فَتَنَّا ) قال : ابتلينا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) قال : ابتلينا الذين من قبلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي هاشم ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) أي ابتلينا .

القول في تأويل قوله تعالى

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

يقول تعالى ذكره : أم حسب الذين يشركون بالله فيعبدون معه غيره ، وهم المعنيون بقوله ( الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ) يقول : أن يُعْجِزُونَا فيفوتونا بأنفسهم ، فلا تقدر عليهم ، فننتقم منهم ، لشركهم بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ) أي الشرك ، أن يسبقونا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَنْ يَسْبِقُونَا ) : أن يُعْجِزُونَا .  
وقوله ( سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ساء حكمهم الذي يحكمون بأن هؤلاء الذين يعملون السيئات يسبقوننا بأنفسهم .

القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا

يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)

يقول تعالى ذكره : من كان يرجو الله يوم لِقائه ، ويطمع في ثوابه ، فإن أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب ، آتٍ قريبا ، وهو السميع ، يقول : والله الذي يرجو هذا الراجي بلقائه ثوابه ، السميع لقوله : آمنّا بالله ، العليم بصدق قلبه ، إنه قد آمن من كذبه فيه . وقوله ( وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن يجاهد عدوه من المشركين ، فإنما يجاهد لنفسه ، لأنه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده ، والمُحَرَّب من العقاب ، فليس بالله إلى فعله ذلك حاجة ، وذلك أن الله غني عن جميع خلقه ، له الملك والخلق والأمر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : والذين آمنوا بالله ورسوله ، فصح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم ، وفتنتهم ، ولم يتردوا عن أديانهم بأذى المشركين إياهم ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ) التي

سلفت منهم شركهم (وَلَسَجَزِيَّتَهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : ولتثيبنهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم ، أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم ، مع تكفيرنا سيئات أعمالهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ،  
إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ) فيما أنزلنا إلى رسولنا (بِوَالِدَيْهِ) أن يفعل بهما (حُسْنًا) . واختلف أهل العربية في وجه نصب الحسن ؛ فقال بعض نحوِّي البصرة : نُصِبَ ذَلِكَ عَلَى نِيَّةِ تَكْرِيرِ وَصِيئِنَا . وكان معنى الكلام عنده : ووصينا الإنسان بوالديه ، ووصيناه حُسْنًا . وقال : قد يقول الرجل وصيته خيرا : أي بخير .

وقال بعض نحوِّي الكوفة : معنى ذلك : ووصينا الإنسان أن يفعل حُسْنًا ، ولكن العرب تسقط من الكلام بعضه ، إذا كان فيما بقي الدلالة على ماسقط ، وتعمل ما بقي فيما كان يَعْمَلُ فِيهِ المَحذُوفُ ، فنصب قوله (حُسْنًا) وإن كان المعنى ما وصفت وصينا ، لأنه قد ناب عن الساقط ، وأنشد في ذلك :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إِذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أَبِي دَهْمَاءَ إِذْ يُوصِينَا  
خَيْرًا بِهَا كَأَنَّا جَافُونَا ١

وقال : معنى قوله : يُوصِينَا خيرا : أن نعمل بها خيرا ، فاكتفى بـوصينا منه ، وقال ذلك نحو قوله (فَطَفِقَ مَسْحًا) أي يمسح مسحًا .

وقوله (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، فَلَا تُطِعْهُمَا) يقول : ووصينا الإنسان ، فقلنا له : إن جاهدك والداك لتشرك بي ما ليس لك به علم أنه ليس لي شريك ، فلا تطعهما فتشرك بي ما ليس لك به علم ، ابتغاء مرضاتهما ، ولكن خالفهما في ذلك (إلى مرجعكم) : يقول تعالى ذكره : إلى معادكم ومصيركم يوم القيامة (فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يقول : فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا ، من صالح الأعمال وسيئاتها ، ثم أجازيكم عليها : المحسن بالإحسان ، والمسيء بما هو أهله . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب سعد بن أبي وقاص .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) ... إلى قوله (فَأَنْبِئِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر ، قالت أمه ، والله لا يظلي بيت حتى يرجع ، فأنزل الله في ذلك أن يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا ، ولا يطيعهما في الشرك .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الصريع ، وهي من شواهد الفراء في معاني القرآن (ص ١٧٨) قال : والعرب تقول : أوصيك به غيرا ، وأمرك به غيرا ، وكان معناه : أمرك أن تفعل به ، ثم تحذف أن ، فتوصل الخبر بالوصية ، وبالأمر ، قال الشاعر :  
« عجبت ... الأبيات » .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩)

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الأعمال ، وذلك أن يؤدوا فرائض الله ، ويحتبوا محارمه (لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) في مدخل الصالحين ، وذلك الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ؟ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يقول : أقررنا بالله فوحدناه ، فإذا آذاه المشركون في إقراره بالله ، جعل فتنة الناس إياه في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة ، فارتد عن إيمانه بالله ، راجعا على الكفر به (وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ) يا محمد أهل الإيمان به (لَيَقُولَنَّ) هؤلاء المرتدون عن إيمانهم ، الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله : (إِنَّا كُنَّا) أيها المؤمنون (مَعَكُمْ) ننصركم على أعدائكم كذبا وإفكا ، يقول الله (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أيها القوم من كل أحد (بِمَا فِي صُدُورِ) جميع خلقه ، القائلين آمنا بالله ، فإذا أُوذِيَ في الله ارتد عن دين الله وغيرهم ؟ فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية ، ولا يستتر عنه سر ولا علانية .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) قال : فتنته أن يرتد عن دين الله إذا أُوذِيَ في الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) . . . إلى قوله (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) قال : أناس يؤمنون بألسنتهم ، فإذا أصابهم بلاء من الله ، أو مصيبة في أنفسهم ، افتنوا ، فجعلوا ذلك في الدنيا ، كعذاب الله في الآخرة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضمحاك يقول : قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ) . . . الآية ، نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون ، فإذا أُوذوا ، وأصابهم بلاء من المشركين ، رجعوا إلى الكفر ، مخافة من يؤذيه ، وجعلوا أذى الناس في الدنيا كعذاب الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( فإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) قال : هو المنافق : إذا أذى في الله رجوع عن الدين وكفر ، وجعل فتنة الناس كعذاب الله .

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل الإيمان كانوا بمكة ، فخرجوا مهاجرين ، فأدركوا وأخذوا فأعطوا المشركين لما نالهم أذاهم ، ما أرادوا منهم .

ذكر الخبر بذلك

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبير ، قال : ثنا محمد بن شريك ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بإسلامهم ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم ، فأصيب بعضهم قبل بعض ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروهوا ، فاستغفروا لهم ، فنزلت ( إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ؟ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : فكتب إلى من بقى بمكة من المسلمين بهذه الآية ، أن لا عنبر لهم ، فخرجوا ، فلحقهم المشركون ، فأعطوهم الفتنة ، فنزلت فيهم هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ) . . . إلى آخر الآية ، فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فخرجوا وأيسوا من كل خير ، ثم نزلت فيهم ( ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا ، إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) فكتبوا إليهم بذلك : إن الله قد جعل لكم مخرجاً ، فخرجوا ، فأدركهم المشركون ، فقاتلوه ، حتى نجا من نجا ، وقتل من قتل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ) . . . إلى قوله ( وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ) قال : هذه الآيات أنزلت في القوم الذين ردَّهم المشركون إلى مكة ، وهذه الآيات العشر مدنية إلى هاهنا ، وسائرهما مكية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)

يقول تعالى ذكره : وليعلمنَّ الله أولياء الله ، وحزبه أهل الإيمان بالله منكم أيها القوم ، وليعلمنَّ المنافقين منكم ، حتى يمتيزوا كل فريق منكم من الفريق الآخر ، باظهار الله ذلك منكم ، بالحن والابتلاء والاختبار وبمسارعة المسارع منكم إلى الهجرة من دار الشرك ، إلى دار الإسلام ، وتناقل المتناقل منكم عنها .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ ، وَمَا هُمْ بِحَمِلِينَ

مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره : وقال الذين كفروا بالله من قريش ، للذين آمنوا بالله منهم ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ) يقول : قالوا كونوا على مثل ما نحن عليه من التكذيب بالبعث بعد الممات ، ووجود الثواب والعقاب على الأعمال ، ( وَلَنْحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ) يقول : قالوا فإنكم إن اتبعتم سبيلنا في ذلك ، فبعثتم من بعد الممات ، وجوزيتم على الأعمال ، فإننا نتحمل آثام خطاياكم حينئذ .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنْحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ) قال : قول كفار قريش بمكة لمن آمن منهم ، يقول : قالوا : لا نبتعث نحن ولا أنتم ، فاتبعونا ، إن كان عليكم شيء فهو علينا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ) هم القادة من الكفار ، قالوا لمن آمن من الأتباع : اتركوا دين محمد ، واتبعوا ديننا ، وهذا أعنى قوله ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا ، وَلَنْحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ) وإن كان خرج محترج الأمر ، فإن فيه تأويل الجزاء ، ومعناه : ما قلت : إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم ، كما قال الشاعر :

فَقُلْتُ ادْعِي وَأَدْعُ فَإِنْ أُنْدَى لِيصَوْتِ أَنْ يُنَادِيَ دَاعِيَانِ

يريد : ادعى ولأدع ، ومعناه : إن دعوت دعوت .

وقوله ( وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) وهذا تكذيب من الله للمشركين القائلين للذين آمنوا ( اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنْحْمِلَ خَطَايَاكُمْ ) يقول جل ثناؤه : وكذبوا في قلوبهم ذلك لهم ، ما هم بحاملين من آثام خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون فيما قالوا لهم ووعدوهم ، من حمل خطاياهم إن هم اتبعوهم .

(١) البيت لدثار بن شيبان النخعي (اللسان : ندى) قال : وفلان أندى صوتا من فلان : أي أهد مذهبها ، وأرفع صوتا . وأنشد الأصمعي لدثار بن شيبان النخعي :

تقول خليلي لما اشتكتنا سدرتنا بنو القرم الهجان  
فقلت ادعى وادع فإن أندى لصوت أن يتأدى داعيان

وفي فرائد القلائد ، وهي شرح الشواهد الصغير للمعنى في باب إعراب الفعل : قاله الأعشى أو الخطيئة ، فيما زعم ابن يعيش ، أو ربيعة ، جشم فيما زعم الترخشي أودثار بن شيبان النخعي ، فيما زعم ابن بري . والشاهد في « أدعو » حيث نصب الواو فيه بتقدير « أن » بعد واو الجمع ، أي وأن أدعو . ويروي : وادع « على الأمر ، بحذف اللام ، إذ أصله : ولأدع . اه . وهذا التوجيه الثاني هو توجيه الفراء في معاني القرآن (مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ص ٢٤٤) قال : وقوله « اتبعوا سبيلنا ولنحمل » : هو أمر فيه تأويل جزاء ، كما أن قوله « ادخلوا مساكنكم لا يحطمتكم » نهي فيه تأويل الجزاء ، وهو كثير في كلام العرب . قال الشاعر : « فقلت ادعى وادع » . . . البيت . أراد ادعى ولأدع ، فإن أندى ، فكأنه قال : إن دعوت دعوت . اه . وقد نقله المؤلف بجذافير .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ، وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : وليحملن هؤلاء المشركون بالله القائلون للذين آمنوا به اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم : أوزار أنفسهم وآثامها ، وأوزار من أضلوا وصدّوا عن سبيل الله مع أوزارهم ، وليسئَلَنَّ يوم القيامة عما كانوا يكذبونهم في الدنيا ، بوعدهم إياهم الأباطيل ، وقيلهم لهم : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم فيفترون الكذب بذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ) أي أوزارهم . ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) يقول : أوزار من أضلّوا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ) ، ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) . وقرأ قوله ( لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ . أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ) قال : فهذا قوله ( وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ، فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ

ظَالِمُونَ (١٤)

وهذا وعيد من الله تعالى ذكره هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ، ولنحمل خطاياكم ، يقول لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : لا يجزئتك يا محمد ما تلقى من هؤلاء المشركين أنت وأصحابك من الأذى ، فإني وإن أمليت لهم ، فأطلت إملاءهم ، فإن مصير أمرهم إلى البوار ، ومصير أمرك وأمر أصحابك إلى العلوّ والظفر بهم ، والنجاة مما يحلّ بهم من العقاب ، كفعلنا ذلك بنوح ، إذ أرسلناه إلى قومه ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم إلى التوحيد ، وفراق الآلهة والأوثان ، فلم يزداهم ذلك من دعائه إياهم إلى الله ، من الإقبال إليه ، وقبول ما أتاهم به من النصيحة من عند الله ، إلا فرارا .  
وذكر أنه أرسل إلى قومه وهو ابن ثلاث مئة وخمسين سنة .

كما حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عون بن أبي شداد ، قال : إن الله أرسل نوحا إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاث مئة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاث مئة سنة ، فأخذهم الطوفان ، يقول تعالى ذكره : فأهلكهم الماء الكثير ، وكلّ ماء كثير فاشّ طامّ فهو عند العرب طوفان ، سيلا كان أو غيره ، وكذلك الموت إذا كان فاشيا كثيرا ، فهو أيضا عندهم طوفان ؛ ومنه قول الراجز :

أَفَنَاهُمْ طُوفَانُ مَوْتٍ جَارِفٍ

وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ ) قال : هو الماء الذي أرسل عليهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : الطوفان : الغرق .

وقوله ( وَهُمْ ظَالِمُونَ ) يقول : وهم ظالمون أنفسهم بكفرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ، وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحا وأصحاب سفينة ، وهم الذين حملهم في سفينته ، من ولده وأزواجهم . وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ، وذكرنا الروايات فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع . ( وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول : وجعلنا السفينة التي أنجيناها وأصحابها فيها ، عبرة وعظة للعالمين ، وحجة عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ) . . . الآية . قال : أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي . ولو قيل : معنى ( وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) : وجعلنا عقوبتنا لإياهم آية للعالمين ، وجعل الماء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَاهَا ) كناية عن العقوبة أو السخط ، ونحو ذلك ، إذ كان قد تقدم ذلك في قوله ( فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ) كان وجهها من التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيضا يا محمد إبراهيم خليل الرحمن ، إذ قال لقومه : اعبدوا الله أيها القوم ، دون غيره من الأوثان والأصنام ، فإنه لا إله لكم غيره ، واتقوه : يقول :

(١) هذا بيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٨٤ - ١ ) قال : الطوفان : مجازة كل ماء طام فاش ، من سيل كان أو من غيره وهو كذلك من الموت إذا كان جارفا فاشيا كثيرا . قال : « أفناهم طوفان . . البيت » . ونقله المؤلف بحروفه . وفي (اللسان : طوف) : والطوفان الماء الذي يمشي كل مكان . وقيل المطر الغالب ، الذي يفرق من كثرتة . وقيل : الطوفان : الموت العظيم . وقيل : الطوفان من كل شيء : ما كان كثيرا محيطا مطيفا بالجماعة كلها ، كالغرق الذي يشتمل على المدن الكثيرة ، والقتل الذريع ، والموت الجارف ، يقال له طوفان . وبذلك كله فسر قوله تعالى : « فأخذهم الطوفان وهم ظالمون » .



وانتقوا منقطه بأداء فرائضه ، واجتنبوا معاصيه ( ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) ما هو خير لكم مما هو شر لكم .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا، إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا، فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبيل خليله إبراهيم لقومه: إنما تعبدون أيها القوم من دون الله أوثانا، يعني: مثلاً. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) أصناما .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) فقال بعضهم: معناه: وتصنعون كذبا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: تصنعون كذبا . وقال آخرون: وتقولون كذبا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: وتقولون إفكا . حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) يقول: تقولون كذبا . وقال آخرون: بل معنى ذلك: وتنحيتون إفكا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) قال: تنحيتون: تصوّرون إفكا . حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا): أي تصنعون أصناما . حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا): الأوثان التي ينحيتونها بأيديهم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: معناه: وتصنعون كذبا . وقد بينّا معنى الخلق فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . فتأويل الكلام إذن: إنما تعبدون من دون الله أوثانا، وتصنعون كذبا وباطلا . وإنما في قوله ١: (إِفْكًا) مردود على إنما، كقول القائل: إنما تفعلون كذا، وإنما تفعلون كذا .

(١) لعل مراده: وإنما المقدرة في قوله إنكنا: مردود . . . الخ، والمقصود منه واضح .

وقرأ جميع إقرء الأمصار ( وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ) بتخفيف الخاء من قوله ( وَتَخْلُقُونَ ) وضم اللام ، من الخلق . وذُكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ( وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ) بفتح الخاء ، وتشديد اللام ، من التخليق . والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرء عليه .  
وقوله ( إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ) يقول جل ثناؤه : إن أوثانكم التي تعبدونها ، لا تقدر أن ترزقكم شيئاً ، فابتغوا عند الله الرزق ، يقول : فالتمسوا عند الله الرزق ، لا من عند أوثانكم ، تدركوا ما تبتغون من ذلك ( وَأَعْبُدُوهُ ) : يقول : وذِلُّوا له ، ( وَأَشْكُرُوا لَهُ ) على رزقه إياكم ، ونعمه التي أنعمها عليكم ، يقال : شكرته ، وشكرت له أفصح من شكرته . وقوله ( إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : إلى الله تُرَدُّونَ من بعد مماتكم ، فيسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره ، وأنتم عباده وخلقه ، وفي نعمه تتقلبون ، ورزقه تأكلون .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)

يقول تعالى ذكره : وإن تكذبوا أيها الناس رسولنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيما دعاكم إليه من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم ، والبراءة من الأوثان ، فقد كذبت جماعات من قبلكم رسلها ، فيما دعتم إليه الرسل من الحق ، فحلت بها من الله سخطه ، ونزل بها منه عاجل عقوبته ، فسيبلكم سبيلها فيما هو نازل بكم بتكذيبكم إياه ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) يقول : وما على محمد إلا أن يبلغكم عن الله رسالته ، ويؤدّي إليكم ما أمره بأدائه إليكم ربه . ويعنى بالبلاغ المبين : الذي يبين لمن سمعه ما يراد به ، ويفهم به ما يعنى به .

## القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : أو لم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء طفلاً صغيراً ، ثم غلاماً يافعاً ، ثم رجلاً مجتمعاً ، ثم كهلاً ؟ يقال منه : أبدأ وأعاد ، وبدأ وعاد ، لغتان بمعنى واحد . وقوله ( ثُمَّ يُعِيدُهُ ) يقول ثم هو يعيده ، من بعد فنائه وبلاه ، كما بدأه أول مرة خلقاً جديداً ، لا يتعدّر عليه ذلك ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) سهل كما كان يسيراً عليه إبداءه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) : بالبعث بعد الموت .  
وقوله ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره لحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الممات ، الجاحدين الثواب والعقاب : سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الله الأشياء ، وكيف أنشأها وأحدثها ، وكما أوجدتها وأحدثها ابتداء ، فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئاً ، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيها . ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) يقول : ثم الله يبدئ تلك البداية الآخرة بعد الفناء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ) خلق السموات والأرض ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) : أى البعث بعد الموت .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ) قال : هى الحياة بعد الموت ، وهو النشور .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفنائه ، كهيئته قبل فنائه ، وعلى غير ذلك مما يشاء فعله قادر ، لا يعجزه شيء أراد .

القول في تأويل قوله تعالى

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ (٢١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ثم الله ينشئ النشأة الآخرة خلقه من بعد فناءهم ، فيعذب من يشاء منهم على ما أسلف من جرمه في أيام حياته ، ويرحم من يشاء منهم ممن تاب وآمن وعمل صالحاً ( وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ ) يقول : وإليه ترجعون وتردون .

وأما قوله ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) فإن ابن زيد قال في ذلك ما حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ) : قال : لا يعجزه أهل الأرضيين في الأرضيين ، ولا أهل السموات في السموات ، إن عصوه ، وقرأ ( مَثَلُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ، وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) .

وقال في ذلك بعض أهل العربية من أهل البصرة : ( وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ) معجزين قال : وهو من غامض العربية ، للضمير الذي لم يظهر في الثاني . قال : ومثله قول حسان

ابن ثابت :

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاهُ ۱٤

أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر «مَنْ». قال: وقد يقع في وهم السامع أن النصر والمدح لمن هذه الظاهرة؛ ومثله في الكلام: أكرم من أتك وأتى أبك، وأكرم من أتك ولم يأت زيدا. تريد: ومن لم يأت زيدا فيكفني باختلاف الأفعال مَنْ إعادة من، كأنه قال: آمن يهجو، ومن يمدحه، ومن ينصره. ومنه قول الله عز وجل: (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) وهذا القول أصح عندى في المعنى، من القول الآخر، ولو قال قائل: معناه: ولا أنتم بمعجزين في الأرض، ولا أنتم لو كنتم في السماء بمعجزين، كان مذهبا. وقوله (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يقول: وما كان لكم أيها الناس من دون الله من ولي يلى أموركم، ولا نصير ينصركم من الله، إن أراد بكم سوا، ولا يمنعكم منه إن أحل بكم عقوبته.

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

يقول تعالى ذكره: والذين كفروا حُجِّجَ اللهُ، وأنكروا أدلته، وجحدوا لقاءه والورود عليه، يوم تقوم الساعة (أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي) يقول تعالى ذكره: أولئك يكفرون من رحمتي في الآخرة، لما عاينوا ما أعد لهم من العذاب، وأولئك لهم عذاب مٌوجِع.

فإن قال قائل: وكيف اعترض بهذه الآيات من قوله (وَأَنْ تَكْتَدِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) ... إلى قوله (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) وترك ضمير قوله (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) وهو من قصة إبراهيم.

وقوله (إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) ... إلى قوله (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ، وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ، إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل: فعل ذلك كذلك، لأن الخبر عن أمر نوح وإبراهيم وقومهما، وسائر مَنْ ذَكَرَ اللهُ مِنَ الرُّسُلِ وَالْأُمَّمِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَغَيْرِهَا، إِنَّمَا هُوَ تَذْكِيرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِهِ النَّبِيُّ يَبْتَدِئُ بِذِكْرِهِمْ قَبْلَ الْإِعْتِرَاضِ بِالْخَبَرِ، وَتَحْذِيرٌ مِنْهُ لَمْ أَنْ يَحْلَ بِهَمَّ مَاحِلٌ بِهِمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: فَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تَرْجِعُونَ، فَكَذَّبْتُمْ أَنْتُمْ مَعْشَرَ قَرِيشٍ رَسُولَكُمْ مُحَمَّدًا، كَمَا كَذَّبَ أُولَئِكَ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ جَعَلَ مَكَانَ: فَكَذَّبْتُمْ: وَإِنْ تَكْذَبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْخَبَرِ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمِهِ، وَتَتِمُّمِ قِصَّتِهِ وَقِصَّتِهِمْ بِقَوْلِهِ (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ).

(١) البيت لحسان بن ثابت وقد تقدم الاستشهاد به، وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن (الورقة ٢٤٤ من مصورة الجامعة) قال: وقوله «وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء» يقول القائل: وكيف وصفهم أنهم لا يعجزون في الأرض ولا في السماء، وليسوا من أهل السماء؟ فالمعنى، والله أعلم، ما أنتم بمعجزين في الأرض، ولا من في السماء بمعجز. وهو من غامض العربية، للضمير الذي لم يظهر في الثاني. ومثله قول حسان: «فن يهجو... البيت». أراد: ومن ينصره ويمدحه، فأضمر «من»، وقد يقع في وهم السامع أن المدح والنصر لمن هذه الظاهرة. ومثله في الكلام: أكرم من أتك. وأتى أبك، وأكرم من أتك ولم يأت زيدا؛ تريد: ومن لم يأت زيدا. اهـ.

## القول في تأويل قوله تعالى

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم إبراهيم له إذ قال لهم : اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، إلا أن قال بعضهم لبعض : اقتلوه أو حرقوه بالنار ، ففعلوا ، فأرادوا إحراقه بالنار ، فأصرموا له النار ، فألقوه فيها ، فأنجاه الله منها ، ولم يسلطها عليه ، بل جعلها عليه برّدا وسلاما .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله فما كان جواب قوم إبراهيم (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه ، فأنجاه الله من النار) قال : قال كعب : ما حقت منه إلا وثاقه (إن في ذلك آيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في إنجائنا لإبراهيم من النار ، وقد أتى فيها وهي تسعّر ، وتصييرناها عليه برّدا وسلاما ، لأدلة وحججا لقوم يصدقون بالأدلة والحجج ، إذا عاينوا ورأوا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ

بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ، وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ (٢٥)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل إبراهيم لقومه (وقال) إبراهيم لقومه : يا قوم (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) .

واختلفت القراء في قراءة قوله (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض الكوفيين (مَوَدَّةً) بنصب مودة بغير إضافة بينكم ، بنصبها . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ) بنصب المودة وإضافتها إلى قوله (بَيْنِكُمْ) ، وخفض بينكم . وكان هؤلاء الذين قرءوا قوله (مَوَدَّةً) نصبا وجهوا معنى الكلام : إلى إنما اتخذتم أيها القوم أوثانا مودة بينكم ، فجعلوا إنما حرفا واحدا ، وأوقعوا قوله (اتخذتم) على الأوثان ، فنصبوها بمعنى : اتخذتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا ، تتحابون على عبادتها ، وتتوادون على خدمتها ، فتتواصلون عليها . وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة (مَوَدَّةً بَيْنِكُمْ) برفع المودة ، وإضافتها إلى البين ، وخفض البين . وكان الذين قرءوا ذلك كذلك ، جعلوا « إن ما » حرفين ، بتأويل : إن الذين اتخذتم من دون الله أوثانا ، إنما هو مودتكم للدنيا ، فرفعوا مودة على خبر إن . وقد يجوز أن يكونوا على قراءتهم ذلك رفعا بقوله « إنما » أن تكون حرفا واحدا ، ويكون الخبر متناهيا عند قوله (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) ثم ابتدئ الخبر فيقال : ما مودتكم تلك الأوثان بنافتكم ،

إنما مودة بينكم في حياتكم الدنيا ، ثم هي منقطعة ، وإذا أريد هذا المعنى كانت المودة مرفوعة بالصفة ، بقوله ( في الحياة الدنيا ) وقد يجوز أن يكونوا أرادوا برفع المودة ، رفعها على ضمير هي .  
وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعاني ، لأن الذين اتخذوا الأوثان آفة يعبدونها ، اتخذوها مودة بينهم ، وكانت لهم في الحياة الدنيا مودة ، ثم هي عنهم منقطعة ، فبأي ذلك قرأ القارئ فصيح ، لتقارب معاني ذلك ، وشهرة القراءة بكل واحدة منهن في قراء الأمصار .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ) قال : صارت كل خلة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة ، إلا خلة المتقين .  
وقوله ( ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ، وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا ) يقول تعالى ذكره : ثم يوم القيامة أي المتوادون على عبادة الأوثان والأصنام ، والمتواصلون على خدماتها عند ورودكم على ربكم ، ومعابنتكم ما أعد الله لكم على التواصل ، والتواد في الدنيا من أليم العذاب ، يكفر بعضكم ببعض : يقول : يتبرأ بعضكم من بعض ، ويلعن بعضكم بعضا .  
وقوله ( وَمَا وَاكُمُ النَّارُ ) يقول جل ثناؤه : ومصير جميعكم أيها العابدون الأوثان وما تعبدون النار . ( وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ) يقول : وما لكم أيها القوم المتخذو الآلهة ، من دون الله مودة بينكم ، من أنصار ينصرونكم من الله ، حين يصليكم نار جهنم ، فينقلونكم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ، وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٦)

يقول تعالى ذكره : فصدق إبراهيم خليل الله لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) يقول : وقال إبراهيم : إني مهاجر دار قومي ، إلى ربى : إلى الشام .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ) قال : صدق لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) قال : هو إبراهيم .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ ) : أى فصدقته لوط ( وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ) قال : هاجرا جميعا من كوثى ، وهى من سواد الكوفة إلى الشام . قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إِنَّمَا سَتَكُونُ هِجْرَةَ بَعْدَ هِجْرَةِ ، يَنْحَازُ

أَهْلُ الْأَرْضِ إِلَى مُهَاجِرِ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ شِرَارُ أَهْلِهَا ، حَتَّى تَلْفِظَهُمْ وَتَقْدَرَهُمْ وَتَحْشُرَهُمُ النَّارَ مَعَ الْقِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ) قال : صدقه لوط ، صدق إبراهيم قال : أرأيت المؤمنين ، أليس آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به ؟ قال : فالإيمان : التصديق . وفي قوله ( لَأَتِي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) قال : كانت هجرته إلى الشام . وقال ابن زيد في حديث الذئب الذي كلم الرجل ، فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَمَّنْتُ لَهُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَيْسَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ مَعَهُ » يعني أمنت له : صدقته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ ) وقال لَأَتِي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) قال : إلى حرَّان ، ثم أمر بعد بالشام الذي هاجر إبراهيم ، وهو أول من هاجر . يقول : ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَتِي مُهَاجِرٌ ) . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ لَأَتِي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ) إبراهيم القائل : إني مهاجر إلى ربي . وقوله ( إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول : إن ربي هو العزيز الذي لا يذل من نصره ، ولكنه يمنعه ممن أراده بسوء ، وإليه هجرته ، الحكيم في تدبيره خلقه ، وتصريفه إياهم فيما صرفهم فيه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : ورزقناه من لدنا إسحاق ولدا ، ويعقوب من بعده ولد ولد .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ) قال : هما ولدا إبراهيم .

وقوله ( وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ) بمعنى الجمع ، يراد به الكتب ، ولكنه خرج مُخْرَجَ قَوْلِهِمْ : كَثُرَ الدَّرْهُمُ وَالِدِينَارٌ عِنْدَ فُلَانٍ .

وقوله ( وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) يقول تعالى ذكره : وأعطيناه ثواب بلائه في الدنيا ( وَإِنَّهُ ) مع ذلك ( فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) فله هناك أيضا جزاء الصالحين ، غير منتقص حظُّه بما أعطى في الدنيا من الأجر على بلائه في الله ، عما له عنده في الآخرة .

وقيل : إن الأجر الذي ذكره الله عز وجل ، أنه آتاه إبراهيم في الدنيا : هو الثناء الحسن ، والولد الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : الثناء .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة ، يسأله عن قوله ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) قال : قال أجره في الدنيا أن كل ملة تتولاه ، وهو عند الله من الصالحين ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال : أصاب .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن مندل ، عن ذكره ، عن ابن عباس ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : الولد الصالح والثناء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) يقول : الذكر الحسن .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وآتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ) قال : عافية وعملا صالحا ، وثناء حسنا ، فليست بلاق أحدا من الملل إلا يرى إبراهيم ويتولاه ( وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : إِنَّا كُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر لوطا إذ قال لقومه : ﴿ إِنَّا كُمْ لَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ ( ما سَبَقَكُمْ بِهَا ) يعني بالفاحشة التي كانوا يأتونها ، وهي إتيان الذُّكْرَانَ ( مِنِّ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) : وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم ، قالوا : ثنا إسماعيل بن عُلَيْبَةَ ، عن ابن أبي نجیح ، عن عمرو بن دينار ، في قوله ( إِنَّا كُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ) قال : ما نترأّ ذكر على ذكر ، حتى كان قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى

أَءَأْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ . وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ، فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا : أَأَنْتُمْ بَعْدَآءِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قبل لوط لقومه ( أَأَنْتُمْ ) أيها القوم ( لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ ) في أدبارهم



( وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ ) يقول : وتقطعون المسافر بين عليكم بفعلكم الخبيث ، وذلك أنهم فيما ذُكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مرّ عليهم من المسافرين ، ومن ورد بلادهم من الغرباء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ ) قال : السبيل : الطريق . المسافر إذا مرّ بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به ، وعملوا به ذلك العمل الخبيث : وقوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) اختلف أهل التأويل في المنكر الذي عناه الله ، الذي كان هؤلاء القوم يأتونه في ناديهم ، فقال بعضهم : كان ذلك أنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا رَوْحُ بن عَطِيفَةَ الثَّقَفِيُّ ، عن عمرو بن مصعب ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال الضراط .

وقال آخرون : بل كان ذلك أنهم كانوا يحذفون من مرّ بهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وابن وكيع قالوا : ثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أمّ هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : « كانوا يحذفون أهل الطريق ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » ، فهو المنكر الذي كانوا يأتون : حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا أبو أسامة ، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، مثله . حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا سليم بن أخضر ، قال : ثنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، أن أمّ هانئ سألت عن هذه الآية ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) فقالت : سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : كانوا يحذفون أهل الطريق ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة يقول في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : كانوا يؤذون أهل الطريق ، يحذفون من مرّ بهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة قال : الحذف . حدثنا موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : كان كل من مرّ بهم حذفوه ، فهو المنكر .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : ثنا سماك بن حرب ، عن باذام ، عن أبي صالح مولى أمّ هانئ ، عن أمّ هانئ ، قالت : « سألت رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن هذه الآية ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال « كانوا يجلسون بالطريق ،  
فيسخرون أبناء السبيل ، ويسخرون منهم » .

وقال بعضهم : بل كان ذلك إتيانهم الفاحشة في مجالسهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كان يأتي بعضهم بعضا في  
مجالسهم ، يعنى قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا ثابت بن محمد اللبتي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور  
ابن المعتز ، عن مجاهد ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : كان يجامع بعضهم بعضا  
في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ  
الْمُنْكَرَ ) قال : كان يأتي بعضهم بعضا في المجالس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون  
الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) قال : المجالس ،  
والمُنْكَرَ : إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ )  
قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ  
الْمُنْكَرَ ) قال : ناديتهم : المجالس ، والمنكر : عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون بالراكب  
فيأخذونه ويركبونه . وقرأ ( أْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) ، وقرأ ( مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ ) .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَتَأْتُونَ  
فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ ) يقول : في مجالسكم .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معناه : وتحذفون في مجالسكم المارة بكم ، وتسخرون  
منهم ، لما ذكرنا من الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) :  
يقول تعالى ذكره : فلم يكن جواب قوم لوط إذ نهاهم عما يكرهه الله من إتيان الفواحش التي حرمها الله ،  
إلا قبيلهم : ائتنا بعذاب الله الذي تعدنا ، إن كنت من الصادقين فيما تقول ، والمنجزين لما تعد .

## القول في تأويل قول تعالى

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى، قَالُوا: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، إِنْ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١)

يقول تعالى ذكره ( ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ) من الله بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ( قائلوا إننا مهلكوا أهل هذه القرية ) يقول : قالت رسل الله لإبراهيم : إنا مهلكوا أهل هذه القرية ، قرية سدوم ، وهي قرية قوم لوط ( إن أهلها كانوا ظالمين ) يقول : إن أهلها كانوا ظالمى أنفسهم بمعصيتهم الله ، وتكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ) . . . إلى قوله ( نحن أعلم بمن فيها ) قال : فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا ، قال : فقال رأيتم إن كان فيها عشرة آيات من المسلمين أتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة آيات ، ولا خمسة ، ولا أربعة ، ولا ثلاثة ، ولا اثنان ؛ قال : فحزن على لوط وأهل بيته ، فقال ( إن فيها لوطاً ، قائلوا نحن أعلم بمن فيها ، لننجيناه وأهلته ، إلا امرأته كانت من الغابرين ) فذلك قوله ( يجادلنا في قوم لوط ، إن إبراهيم لحليم أواه منيب ) . فقالت الملائكة : ( يا إبراهيم أعرض عن هذا ، إنه قد جاء أمر ربك ، ولأنهم آتيتهم عذاب غير مردود ) فبعث الله إليهم جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فانتصف المدينة وما فيها بأحد جناحيه ، فجعل عاليها سافلها ، وتبعهم بالحجارة بكل أرض .

## القول في تأويل قول تعالى

قَالَ : إِنَّ فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا ، لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم للرسول من الملائكة ، إذ قالوا له ( إننا مهلكوا أهل هذه القرية ) إن أهلها كانوا ظالمين ) فلم يستنوا منهم أحدا ، إذ وصفوهم بالظلم : إن فيها لوطاً ، وليس من الظالمين ، بل هو من رسل الله ، وأهل الإيمان به ، والطاعة له ، فقالت الرسل له : ( نحن أعلم بمن فيها ) من الظالمين الكافرين بالله منك ، وإن لوطاً ليس منهم ، بل هو كما قلت من أولياء الله ، لننجيناه وأهله من الهلاك الذي هو نازل بأهل قريته ( إلا امرأته كانت من الغابرين ) الذين أبقتهم الدهور والأيام ، وتناولت أعمارهم وحياتهم ، وأنها هالكة من بين أهل لوط مع قومها .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ، وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ، وَقَالُوا : لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ، إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره ( وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ) من الملائكة ( سِيءَ بِهِمْ ) يقول : ساءته الملائكة بمجيئهم إليه ، وذلك أنهم تَضَيَّفُوهُ ، فسأوه بذلك ، فقوله ( سِيءَ بِهِمْ ) : فَعِيلَ بِهِمْ مِنْ سَاءَهُ بِذَلِكَ .

وذكر عن قتادة أنه كان يقول : ساء ظنه بقومه ، وضاق بضيقه ذَرْعًا .

حدثنا بذلك الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن ( وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ) يقول : وضاق ذرعه بضيقهم ، لما علم من خبث فعل قومه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ) قال : بالضياقة ، مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه .

وقوله ( وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ) يقول تعالى ذكره : قالت الرسل للوط : لا تخف علينا أن يصل إلينا قومك ، ولا تحزن مما أخبرناك من أنا مهلكوهم ، وذلك أن الرسل قالت له ( يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ، لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّا مَنجُوكَ ) من العذاب الذي هو نازل بقومك ( وَأَهْلَكَ ) يقول : ومنجو أهلِكَ معك ( إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ ) فلأنها هالكة فيمن يهلك من قومها ، كانت من الباقيين الذين طالت أعمارهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبل الرسل للوط ( إِنَّا مُنْزِلُونَ ) بالوط ( عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ) سُدُومَ ( رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ) يعني عذاباً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا ) : أى عذاباً .

وقد بيئنا معنى الرجز وما فيه من أقوال أهل التأويل ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ) يقول : بما كانوا يأتون من معصية الله ، ويركبون من الفاحشة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره: ولقد أبقينا من فعلتنا التي فعلنا بهم آية ، يقول : عبرة بينة ، وعظة واعظة ، لقوم يعقلون عن الله حُجَّتْجَه ، ويتفكرون في مواعظه ، وتلك الآية البينة هي عندي : عُنُقُ آثَارِهِمْ ، ودروس معالمهم .  
وذكر عن قتادة في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) قال : هي الحجارة التي أمطرت عليهم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً ) قال : عبرة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ، وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ

مُفْسِدِينَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وأرسلت إلى مدين أخاهم شعيبا ، فقال لهم : يا قوم اعبدوا الله وحده ، وذئبوا له بالطاعة ، واخضعوا له بالعبادة ( وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ) يقول : وارجوا بعبادتكم إياي جزاء اليوم الآخر ، وذلك يوم القيامة ( وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ) يقول : ولا تكثروا في الأرض معصية الله ، ولا تقيموا عليها ، ولكن توبوا إلى الله منها وأنيبوا .  
وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يتأول قوله ( وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ) بمعنى : واخشوا اليوم الآخر . وكان غيره من أهل العلم بالعربية ينكر ذلك ويقول : لم نجد الرجاء بمعنى الخوف في كلام العرب إلا إذا قارنه بالتحذير .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ ، فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثَمِينَ (٣٧)

يقول تعالى ذكره : فكذب أهل مدين شعيبا ، فيما أتاهم به عن الله من الرسالة ، فأخذتهم رجفة العذاب ، فأصبحوا في دارهم جاثمين جثوما ، بعضهم على بعض مواتي .  
كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ) : أي ميتين .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلِهِمْ ، فَصَدَّاهُمْ عَنِ

السَّبِيلِ ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره : واذكروا أيها القوم عادا وثمود ، وقد تبين لكم من مساكنهم خرابها وخلأؤها

منهم بوقائعنا بهم ، وحلول سَطَوْتَنَا بِجَمِيعِهِمْ ( وَزَيْنَ تَهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَا تَهْمُ ) يقول : وحسن لهم الشيطان كفرهم بالله ، وتكذيبهم رسله ( فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ ) يقول : فردهم بتزيينه لهم ما زين لهم من الكفر ، عن سبيل الله ، التي هي الإيمان به ورسله ، وما جاءوهم به من عندهم ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : وكانوا مستبصرين في ضلالهم ، مُعْجَبِينَ بِهَا ، يحسبون أنهم على هدى وصواب ، وهم على الضلال . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَصَدَّ هُمْ عَنِ السَّبِيلِ ) ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : كانوا مستبصرين في دينهم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) في الضلالة .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) في ضلالهم مُعْجَبِينَ بِهَا .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ) يقول : في دينهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد قارون وفرعون وهامان ، ولقد جاء جميعهم موسى بالبينات ، يعني بالواضحات من الآيات ، فاستكبروا في الأرض عن التصديق بالبينات من الآيات ، وعن اتباع موسى صلوات الله عليه (وما كانوا سابقين) : يقول تعالى ذكره : وما كانوا سابقينا بأنفسهم ، فيفوتونا ، بل كنا مقتدرين عليهم :

القول في تأويل قوله تعالى

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ ، وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعدابنا ( فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ) وهم قوم لوط ، الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود ، والعرب تسمى الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا ؛ ومنه قول الأخطل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ إِذَا الْعِشَارُ تَرَوَّحَتْ  
تَرْمِي الْعِضَاءَ بِحَاصِبٍ مِّنْ تَلْجِجِهَا

هَدَجَ الرِّثَالِ تَكْبُهُنَّ شَمَالًا  
حَتَّى بَدَيْتَ عَلَى الْعِضَاءِ جُفَالًا<sup>١</sup>

وقال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا  
بِحَاصِبٍ كَتَدِيفِ القُطْنِ مَسْثُورًا<sup>٢</sup>

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس :  
( فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ) قوم لوط .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا )  
وهم قوم لوط ( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) .

اختلف أهل التأويل في الذين عتوا بذلك ، فقال بعضهم : هم ثمود قوم صالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس  
( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) : ثمود .  
وقال آخرون : بل هم قوم شعيب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ )  
قوم شعيب .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله قد أخبر عن ثمود وقوم شعيب من أهل مدين أنه  
أهلكهم بالصيحة في كتابه ، في غير هذا الموضع ، ثم قال جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم : فن الأمم التي  
أهلكناهم ، مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ، ومنهم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، فلم يَخْصُصِ الخبر بذلك عن بعض مَنْ  
أخذته الصيحة من الأمم دون بعض ، وكلا الأمتين أعنى ثمود ومدين قد أخذتهم الصيحة .  
وقوله ( وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) : يعني بذلك قارون .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : قال ابن عباس :

(١) البيتان للأعطل ، وقد سبق الاستشهاد بهما في غير هذا الموضع من التفسير انظره في (١٥ : ١٢٤) .  
(٢) البيت للفرزدق ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (مصورة الجامعة الورقة رقم ١٨٥) قال : « أرسلنا عليه حاصبا » :  
أى ريمحا عاصفا فيها حصى ، ويكون في كلام العرب الحاصب من الجليد ونحوه أيضا . وقال الفرزدق : « مستقبليين شمال الشام » . . .  
البيت . اهـ .

( وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ) : قارون ( وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ) يعنى : قوم نوح وفرعون وقومه .  
واختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : عنى بذلك قوم نوح عليه السلام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس :  
( وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ) : قوم نوح .  
وقال آخرون : بل هم قوم فرعون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا ) قوم فرعون .  
والصواب من القول فى ذلك ، أن يقال : عنى به قوم نوح وفرعون وقومه ، لأن الله لم يخص بذلك  
إحدى الأمتين دون الأخرى ، وقد كان أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما ، فهما معنيتان به .  
وقوله ( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولم  
يكن الله ليهلك هؤلاء الأمم الذين أهلكهم بذنوب غيرهم ، فيظلمهم بإهلاكه إياهم بغير استحقاق ، بل إنما  
أهلكهم بذنوبهم ، وكفرهم بربهم ، وجحودهم نعمه عليهم ، مع تنابح إحسانه عليهم ، وكثرة أياديه عندهم ،  
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، بتصرفهم فى نعم ربهم ، وتقلبهم فى آلائه ، وعبادتهم غيره ، ومعصيتهم من  
أنعم عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ  
الْبَيْوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)

يقول تعالى ذكره : مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرتها ونفعها عند  
حاجتهم إليها فى ضعف احتياهم ، وقبح رواياتهم ، وسوء اختيارهم لأنفسهم ، كمثلى العنكبوت فى ضعفها ،  
وقلة احتياها لنفسها ، اتخذت بيتا لنفسها ، كما يكتنيسها ، فلم يغن عنها شيئا عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء  
المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخطه ، أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله ، شيئا ،  
ولم يدفعوا عنهم ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ) . . . إلى آخر  
الآية ، قال : ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ، أن مثله كمثل بيت العنكبوت .



حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ) قال : هذا مثل ضربه الله للمشرك ، مَثَلُ إلهه الذي يدعو من دون الله ، كمثل بيت العنكبوت ، واهن ضعيف لا ينفعه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ) قال : هذا مثل ضربه الله ، لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً ، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا .

وقوله ( وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ) يقول : وإن أضعف البيوت ( لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله ، في قلة غنائهم عنهم ، كغناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ، ويقربونهم إلى الله زلي .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ  
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)

اختلف القراء في قراءة قوله ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( تَدْعُونَ ) بالتاء ، بمعنى الخطاب لمشركي قريش . ( إِنَّ اللَّهَ ) أيها الناس ( يَعْلَمُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ) . وقرأ ذلك أبو عمرو ( إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ) بالياء بمعنى الخبر عن الأمم ، إن الله يعلم ما يدعو هؤلاء الذين أهلكتهم من الأمم من دونه من شيء .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : قراءة من قرأ بالتاء ، لأن ذلك لو كان خبراً عن الأمم الذين ذكر الله أنه أهلكتهم ، لكان الكلام : إن الله يعلم ما كانوا يدعون ، لأن القوم في حال نزول هذا الخبر على نبي الله ، لم يكونوا موجودين ، إذ كانوا قد هلكوا فبادوا ، وإنما يقال : إن الله يعلم ما تدعون إذا أريد به الخبر عن موجودين ، لا عن قد هلك .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر كما وصفنا : إن الله يعلم أيها القوم ، حال ماتعبدون من دونه من شيء ، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضركم ، إن أراد الله بكم سوءاً ، ولا يغني عنكم شيئاً ، وإن مثله في قلة غنايته عنكم ، مَثَلُ بيت العنكبوت في غنايته عنها .

وقوله ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول : والله العزيز في انتقامه من كفر به ، وأشرك في عبادته معه غيره ، فانفروا أيها المشركون به عقابه ، بالإيمان به قبل نزوله بكم ، كما نزل بالأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة عليكم ، فإنه إن نزل بكم عقابه ، لم تغن عنكم أولياؤكم الذين اتخذتموهم من دونه أولياء ، كما لم يغن

عَشْرَهُمْ مَنْ قَبْلِكُمْ أُولِيَاءُؤُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِهِ ، الْحَكِيمِ فِي تَدْبِيرِهِ خَلَقَهُ ١ ، فَهَلِكِ مِنْ اسْتَوْجِبَ الْهَلَاكَ ، فِي الْحَالِ الَّتِي هَلَكَ صَلاَحُ ، وَالْمُؤَخَّرِ مِنَ أَخْرَجَ هَلَكَ مِنْ كَفْرَةٍ خَلَقَهُ بِهِ إِلَى الْحَيْنِ الَّتِي فِي هَلَكَ الصَّلاَحِ . وَقَوْلُهُ ( وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَهَذِهِ الْأَمْثَالُ ، وَهِيَ الْأَشْبَاهُ وَالنِّظَائِرُ ( نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ) : يَقُولُ : نَمَثَّلُهَا وَنَشَبِّهُهَا ، وَنَحْتَجُّ بِهَا لِلنَّاسِ ، كَمَا قَالَ الْأَعَشِيُّ :

هَلْ تَنْذَكُرُ الْعَهْدَ مِنْ تَنْمَصِّ إِذْ تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلًا ٢

( وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَمَا يَعْقِلُ أَنَّهُ صَيَّبَ بِهَذِهِ الْأَمْثَالِ الَّتِي نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ مِنْهُمْ الصَّوَابُ وَالْحَقُّ ، فَمَا ضُرِبَتْ لَهُ مَثَلًا ، إِلَّا الْعَالِمُونَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ .

القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤١)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : خلق الله يا محمد السموات والأرض وحده ، منفردا بخلقها ، لا يشركه في خلقها شريك ( إن في ذلك آية ) : يقول : إن في خلقه ذلك ، لحجة لمن صدق بالحجج إذا عاينها ، والآيات إذا رآها .

القول في تأويل قوله تعالى

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم ( أتل ) : يعنى اقرأ ( ما أوحى إليك من الكتاب ) يعنى ما أنزل إليك من هذا القرآن ( وأقم الصلاة ) يعنى : وأد الصلاة التى فرضها الله عليك بحدودها . ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) : اختلف أهل التأويل فى معنى الصلاة التى ذكرت فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بها القرآن الذى يقرأ فى موضع الصلاة ، أو فى الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أبي الوفاء ، عن أبيه ، عن ابن عمر ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ) قال : القرآن الذى يقرأ فى المساجد .

(١) العبارة من أول قوله « كما لم يفن عنهم . . . إلى هنا : عسرة الفهم . فلتأمل .

(٢) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٣٧ ) وفيه « فى » فى موضع « من » و « فى » أوجه . وتنص ، بفتح أوله وثانيه ، بعده ميم مشددة مضمومة . وصاد مهملة : موضع . هكذا ذكره أبو حاتم ، وأنه للأعشى :

هل تعرف الدرقي تنص إذ      تضرب لى قاعدة بها مثلا

وتنص فى ديار حبر ، لأنه مدح بها ذا فالتش الخيمرى ، وزعم أنه قال له : مالك لا تمدحنى ، وضرب له مثلا . ( انظر معجم ما استجتم للبكرى . ترتيب مصطفى السقا ص ٣٢٢ ) . والبيت من شواهد أبى عبيدة فى مجاز القرآن ( ١١٨٥ ) وروايته : هل تذكر العهد فى تنص . والمؤلف اششهد به عند قوله تعالى : وتلك الأمثال نضربها للناس . قال أبو عبيدة : مجازه : هذه الأشباه والنظائر نضرب بها .

وقال آخرون : بل عني بها الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) يقول : في الصلاة منهي ومزدد جبر عن معاصي الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن العلاء بن المسيب ، عن ذكره ، عن ابن عباس ، في قول الله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد بصلاته من الله إلا بعدا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا خالد ، قال : قال العلاء بن المسيب ، عن سمرة بن عطية ، قال : قيل لابن مسعود ، إن فلانا كثير الصلاة ، قال : فإنها لا تنفع إلا من أطاعها ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، قال : من لم تأمره صلته بالمعروف ، وتنهه عن المنكر ، لم يزد بها من الله إلا بعدا .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا علي بن هاشم بن البريد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا صلاة لمن لم يطيع الصلاة ، وطاعة الصلاة : أن تنهى عن الفحشاء والمنكر » قال : قال سفيان . ( قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ ) قال : فقال سفيان : إني والله تأمره ونهاه .

قال علي : وحدثنا إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ تَنْهَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، لَمْ يَزِدْ دِينَهُ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بَعْدًا » .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، قال : من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزد من الله إلا بعدا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة والحسن ، قال : من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر ، فإنه لا يزداد من الله بذلك إلا بعدا .

والصواب من القول في ذلك أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال ابن عباس وابن مسعود .

فإن قال قائل : وكيف تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر ، إن لم يكن معنيها ما يتلئ فيها ؟ قيل : تنهى من كان فيها ، فتحول بينه وبين إتيان الفواحش ، لأن شغله بها ، يقطع عن الشغل بالمنكر ، ولذلك قال ابن مسعود : من لم يطيع صلته ، لم يزد من الله إلا بعدا ، وذلك أن طاعته لها : إقامة إياها بحدودها ، وفي طاعته لها مزد جبر عن الفحشاء والمنكر .

حدثنا أبو حميد الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، في قول الله : ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ) قال : إذا كنت في صلاة ، فأنت في معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والفحشاء : هو الزنا . والمنكر : معاصي الله . ومن أتى فاحشة أو عصي الله في صلته بما يفسد صلته ، فلا شك أنه لا صلاة له .

وقوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : قال لي ابن عباس : هل تدري ما قوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : قلت : نعم ، قال : فما هو ؟ قال : قلت : التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ونحو ذلك ، قال : لقد قلت قولاً عجيباً ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه ، إذا ذكرتموه ، أكبر من ذكركم إياه . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن ابن ربيعة ، عن ابن عباس قال : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن ربيعة ، قال : سألت ابن عباس ، عن قول الله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) فقلت : ذكره بالتسبيح والتكبير والقرآن : حسن ، وذكره عند المحارم فيحتجز عنها ، فقال : لقد قلت قولاً عجيباً ، وما هو كما قلت ، ولكن ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة ، عن ابن عباس ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا محمد بن المنثري وابن وكيع ، قال ابن المنثري ، ثنا عبد الأعلى ، وقال ابن وكيع : ثنا عبد الأعلى : قال : ثنا داود ، عن محمد بن أبي موسى ، قال : كنت قاعداً عند ابن عباس ، فجاءه رجل ، فسأل ابن عباس عن ذكر الله أكبر ، فقال ابن عباس : الصلاة والصوم ، قال : ذاك ذكر الله ، قال رجل : إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا ، قال ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله العباد : أكبر من ذكر العباد إياه ، فقال ابن عباس : صدق والله صاحبك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القسبي ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس ، فقال : حدثني عن قول الله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود ، عن عكرمة ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله للعبد : أفضل من ذكره إياه .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : هو قوله ( فاذكروني أذكركم ) وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه . حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ ) لعباده إذا ذكروه : ( أكبر ) من ذكركم إياه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله عبده : أكبر من ذكر العبد ربه ، في الصلاة أو غيرها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، عن ابن عباس ، قال : ذكر الله إياكم إذا ذكركموه : أكبر من ذكركم إياه .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرة ، عن سلمان ، مثله .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن صالح بن أبي عريب ، عن كثير بن مرة الحضرمي ، قال : سمعت أبا الدرداء ، يقول : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأحبها إلى مليكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير من أن تغزوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، وخير من إعطاء الدنانير والدرهم ؟ قالوا : ما هو ؟ قال : ذكركم ربكم ، وذكر الله أكبر . »

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، عن أبي قرة ، عن سلمان ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : قال ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .  
قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : سألت أبا قرة ، عن قوله ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة قالا : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .  
قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، قال : هو كقوله ( اذْكُرُونِي اذْكُرْكُمْ ) فذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

قال : ثنا حسن بن علي ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن عبد الله ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد لربه .  
قال : ثنا أبو يزيد الرازي ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن شعبة ، قال : ذكر الله لكم : أكبر من ذكركم له .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولذكركم الله أفضل من كل شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، عن العيزار بن حريث ، عن رجل ، عن سلمان ، أنه سئل : أي العمل أفضل ؟ قال : أما تقرأ القرآن ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) : لا شيء أفضل من ذكر الله .

حدثنا ابن حميد أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا علي بن عياش ، قال : ثنا الليث ، قال : ثنا معاوية ، عن ربيعة بن يزيد ، عن إسماعيل بن عبيد الله ، عن أم الدرداء ، أنها قالت ( وَلَدِكُمْ اللهُ أَكْبَرُ ) فإن صليت فهو من ذكر الله ، وإن صُمت فهو من ذكر الله ، وكل خير عمله فهو من ذكر الله ، وكل شرّ تجتنبه فهو من ذكر الله ، وأفضل ذلك : تسبيح الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لاشيء أكبر من ذكر الله ، قال : أكبر الأشياء كلها ، وقرأ ( أقيم الصلاة لذكركم ) قال : لذكر الله : وإنه لم يصفه عند القتال إلا أنه أكبر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رجل لسكمان : أيّ العمل أفضل ؟ قال : ذكر الله .

وقال آخرون : هو محتمل للوجهين جميعا ، يعنون القول الأوّل الذي ذكرناه ، والثاني .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّة ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لها وجهان : ذكر الله أكبر مما سواه ، وذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا خالد الخذاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : لها وجهان : ذكر الله إياكم : أكبر من ذكركم إياه ، وذكر الله عند ما حرّم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لذكر الله العبد في الصلاة : أكبر من الصلاة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدي ، عن أبي مالك ، في قوله ( وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ) قال : ذكر الله العبد في الصلاة ، أكبر من الصلاة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وللصلاة التي أتيت أنت بها ، وذكرك الله فيها ، أكبر مما نهيتك الصلاة ، من الفحشاء والمنكر .

حدثني أحمد بن المغيرة الحمصي ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، قال : ثنا أرطاة ، عن ابن عون ، في قول الله ( إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ) والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر .

قال أبو جعفر : وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه .

وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ) يقول : والله يعلم ما تصنعون أيها الناس في صلاتكم ، من إقامة حدودها ، وترك ذلك ، وغيره من أموركم ، وهو مجازيكم على ذلك ، يقول : فاتقوا أن تضيعوا شيئا من حدودها ، والله أعلم .

تم الجزء العشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري

ويليه الجزء الحادي والعشرون

أوله : القول في تأويل قوله تعالى ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ )

# جَامِعُ الْبَيْتَانِ

عن

## نَافِلَاتِ الْقُرْآنِ

• كتاب أنزلناه إليك لتخرج  
الناس من الظلمات إلى النور بإذن  
ربهم إلى صراط العزيز الحميد •  
قرآن كريم  
• ما أعلم على أديم الأرض أعلم  
من ابن جرير •  
محمد بن إسحاق بن خزيمة

تأليف

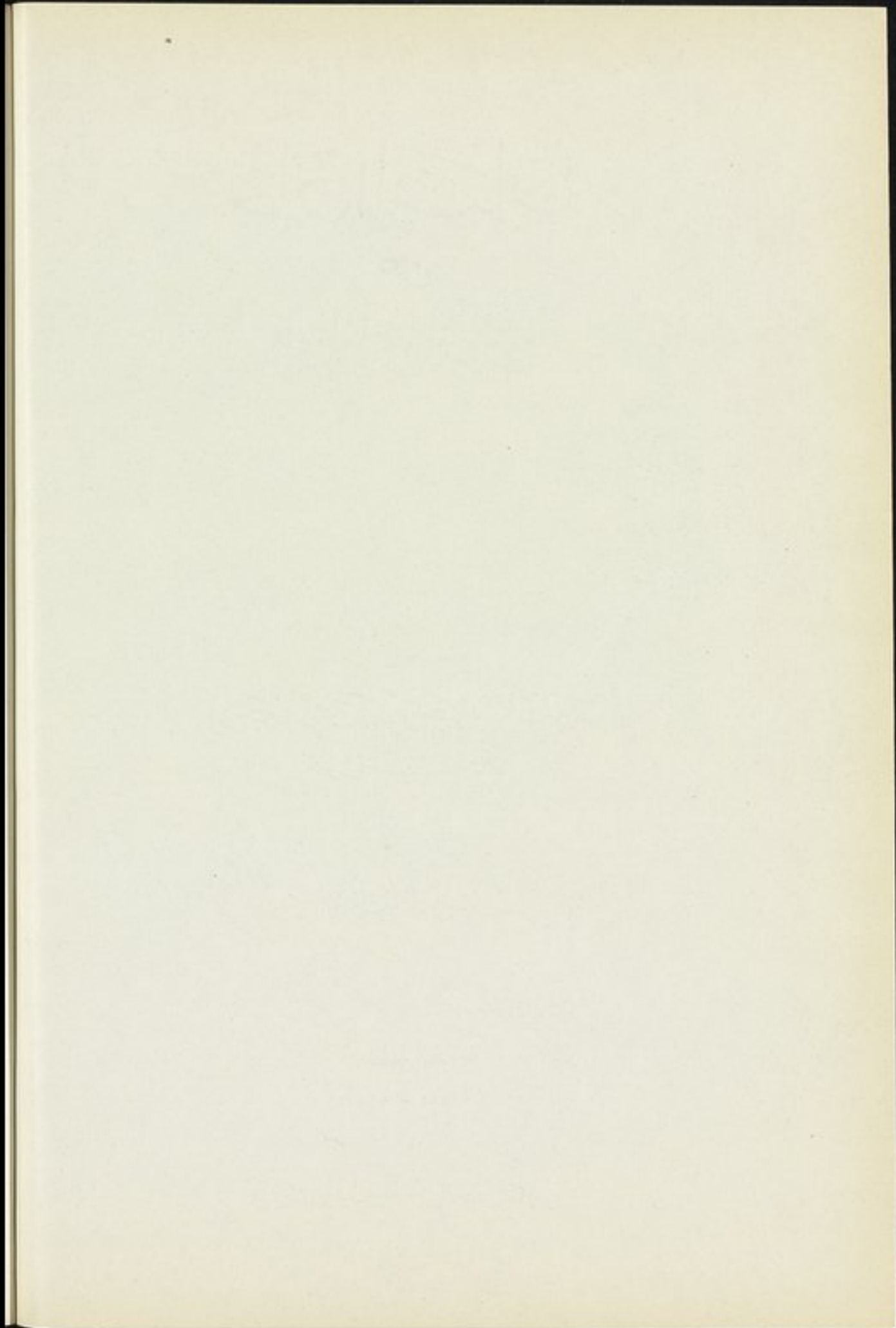
أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المتوفى سنة ٣١٠هـ

الجزء الحادي والعشرون

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصرة





فهارس الجزء الحادى والعشرين

من

جامع البيان ، عن تأويل آى القرآن

لأبى جعفر : محمد بن جرير الطبرى

الفهرس الأول : للآيات المفسرة .

الفهرس الثانى : للموضوعات .

الفهرس الثالث : للقوافى .

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب . . .	١	٦٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا . . .	١٤
٤٧	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب . . .	٤	٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا . . .	١٥
٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب . . .	٤	<u>تفسير سورة الروم</u>		
٤٩	بل هو آيات بينات في صدور . . .	٥	١	الم .	١٥
٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات . . .	٦	٢	غُلبت الروم .	١٥
٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب . . .	٦	٣	في أدنى الأرض . . .	١٥
٥٢	قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا . . .	٧	٤	في بضع سنين لله الأمر . . .	١٥
٥٣	ويستعجلونك بالعذاب . . .	٧	٥	بنصر الله ينصر من يشاء . . .	١٥
٥٤	يستعجلونك بالعذاب . . .	٨	٦	وعد الله لا يخلف الله وعده . . .	٢٢
٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم . . .	٨	٧	يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا . . .	٢٢
٥٦	يا عبادى الذين آمنوا . . .	٩	٨	أو لم يتفكروا فى أنفسهم . . .	٢٤
٥٧	كل نفس ذائقة الموت . . .	١٠	٩	أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا . . .	٢٤
٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٠	١٠	ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى . . .	٢٥
٥٩	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . . .	١٠	١١	الله يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٢٥
٦٠	وكأين من دابة لا تحمل رزقها . . .	١١	١٢	ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون .	٢٦
٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات . . .	١١	١٣	ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء . . .	٢٦
٦٢	الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده . . .	١٢	١٤	ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون .	٢٦
٦٣	ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء . . .	١٢	١٥	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٢٦
٦٤	وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . . .	١٢	١٦	وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا . . .	٢٨
٦٥	فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين . . .	١٣	١٧	فسبحان الله حين تمسون . . .	٢٨
٦٦	ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا . . .	١٣	١٨	وله الحمد فى السموات والأرض . . .	٢٨
٦٧	أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا . . .	١٣	١٩	يخرج الحى من الميت . . .	٣٠
			٢٠	ومن آياته أن خلقكم من تراب . . .	٣٠

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم . . .	٣١	٤٩	وإن كانوا من قبل . . .	٥٤
٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض . . .	٣١	٥٠	فانظر إلى آثار رحمة الله . . .	٥٥
٢٣	ومن آياته منّاكم بالليل والنهار . . .	٣٢	٥١	ولئن أرسلنا ريحا فأرأوه مصفرا . . .	٥٥
٢٤	ومن آياته يُريكم البرق خوفا وطمعا . . .	٣٢	٥٢	فإنك لا تُسمع الموتى ولا تسمع الصم . . .	٥٥
٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء . . .	٣٤	٥٣	وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم . . .	٥٥
٢٦	وله من في السموات والأرض . . .	٣٤	٥٤	الله الذي خلقكم من ضعف . . .	٥٦
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده . . .	٣٤	٥٥	ويوم تقوم الساعة . . .	٥٧
٢٨	ضرب لكم مثلا من أنفسكم . . .	٣٨	٥٦	وقال الذين أوتوا العلم . . .	٥٧
٢٩	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم . . .	٣٩	٥٧	فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا . . .	٥٨
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفا . . .	٤٠	٥٨	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن . . .	٥٨
٣١	مبينين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة . . .	٤٢	٥٩	كذلك يطبع الله على قلوب . . .	٥٨
٣٢	من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا . . .	٤٢	٦٠	فاصبر إن وعد الله حق . . .	٥٨
٣٣	وإذا مسّ الناس ضرّ دَعَوْا . . .	٤٣	<u>تفسير سورة لقمان</u>		
٣٤	ليكفروا بما آتيناهم . . .	٤٣	١	الم . . .	٥٩
٣٥	أم أنزلنا عليهم سلطانا . . .	٤٤	٢	تلك آيات الكتاب الحكيم . . .	٥٩
٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا . . .	٤٤	٣	هدى ورحمة للمحسنين . . .	٥٩
٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق . . .	٤٤	٥	الذين يقيمون الصلاة . . .	٥٩
٣٨	فآت ذا القربى حقه . . .	٤٥	١	أولئك على هدى من ربهم . . .	٦٠
٣٩	وما آتيتم من ربا ليربو . . .	٤٥	٦	ومن الناس من يشتري . . .	٦٠
٤٠	الله الذي خلقكم ثم رزقكم . . .	٤٨	٧	وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا . . .	٦٤
٤١	ظهر الفساد في البر والبحر . . .	٤٨	٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	٦٥
٤٢	قل سيروا في الأرض . . .	٥٠	٩	خالدين فيها . . .	٦٥
٤٣	فأقم وجهك للدين القيم . . .	٥١	١٠	خلق السموات بغير عمد ترونها . . .	٦٥
٤٤	من كفر فعليه كفره . . .	٥١	١١	هذا خلق الله فأروني ماذا خلق . . .	٦٦
٤٥	ليجزى الذين آمنوا . . .	٥٢	١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة . . .	٦٧
٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات . . .	٥٢	١٣	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه . . .	٦٨
٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلا . . .	٥٣	١٤	ووصينا الإنسان بوالديه . . .	٦٩
٤٨	الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا . . .	٥٣			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٥	وإن جاهدك على أن تشرك بي...	٧٠	٧	الذى أحسن كل شئ خلقه...	٩٣
١٦	يابنى إنها إن تك مثقال حبة...	٧١	٨	ثم جعل نسله من سُلالة من ماء مهين...	٩٣
١٧	يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف...	٧٣	٩	ثم سَوَّاهُ ونفخ فيه من رُوحه...	٩٦
١٨	ولا تصعر خدك للناس...	٧٤	١٠	وقالوا: أءذا ضلَّكُنَّا فى الأرض...	٩٦
١٩	واقصد فى مشيك...	٧٦	١١	قل: يتوفاكم ملك الموت...	٩٧
٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم...	٧٧	١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم...	٩٨
٢١	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله...	٧٩	١٣	ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها...	٩٨
٢٢	ومن يسلم وجهه إلى الله...	٧٩	١٤	فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا...	٩٩
٢٣	ومن كفر فلا يحزنك كفره...	٨٠	١٥	إنما يؤمن بآياتنا الذين...	٩٩
٢٤	نمتهم قليلا...	٨٠	١٦	تنجأى جنسُهم عن المضاجع...	٩٩
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض...	٨٠	١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قُرة أعين...	١٠٣
٢٦	لله ما فى السموات والأرض...	٨٠	١٨	أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا...	١٠٧
٢٧	ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام...	٨٠	١٩	أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات...	١٠٧
٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة...	٨٢	٢٠	وأما الذين فسقوا فإِواهم النار...	١٠٧
٢٩	ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار...	٨٣	٢١	ولسنُد يقهم من العذاب الأدنى...	١٠٨
٣٠	ذلك بأن الله هو الحق...	٨٣	٢٢	ومن أظلم ممن ذكَّر بآيات ربه...	١١١
٣١	ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر...	٨٤	٢٣	ولقد آتينا موسى الكتاب...	١١٢
٣٢	وإذا غشيهم موج كالظلل...	٨٤	٢٤	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا...	١١٢
٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم...	٨٦	٢٥	إن ربك هو يفصل بينهم...	١١٣
٣٤	إن الله عنده علم الساعة...	٨٧	٢٦	أولم يهد لهم كم أهلكتنا...	١١٣
<u>تفسير سورة السجدة</u>					
١	الم...	٨٩	٢٨	ويقولون متى هذا الفتح...	١١٥
٢	تنزيل الكتاب لا ريب فيه...	٨٩	٢٩	قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا...	١١٥
٣	أم يقولون افتراه...	٨٩	٣٠	فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون...	١١٥
٤	الله الذى خلق السموات والأرض...	٩٠	<u>تفسير سورة الأحزاب</u>		
٥	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض...	٩١	١	يا أيها النبى اتق الله...	١١٧
٦	ذلك عالم الغيب والشهادة...	٩٣	٢	واتبع ما يوحي إليك من ربك...	١١٧

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣	وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . . .	١١٧	١٧	قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ . . .	١٣٧
٤	مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ . . .	١١٧	١٨	قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ . . .	١٣٩
٥	إِذْ عَوْهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ . . .	١٢٠	١٩	أَشْحَمَ عَلَيْكُمْ . . . . .	١٣٩
٦	النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ . . .	١٢١	٢٠	يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا . . .	١٤٢
٧	وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ . . .	١٢٥	٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ . . .	١٤٣
٨	لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ . . .	١٢٦	٢٢	وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ . . .	١٤٣
٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ . . .	١٢٦	٢٣	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ . . .	١٤٤
١٠	إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ . . .	١٢٩	٢٤	لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصَدَقَتِهِمْ . . .	١٤٤
١١	هَنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ . . .	١٢٩	٢٥	وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغِيظِهِمْ . . .	١٤٨
١٢	وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ . . . . .	١٢٩	٢٦	وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . . .	١٤٩
١٣	وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ . . .	١٣٤	٢٧	وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ . . .	١٤٩
١٤	وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آقْطَارِهَا . . .	١٣٥	٢٨	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ :	١٥٥
١٥	وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ . . .	١٣٧	٢٩	وَإِنْ كُنْتُمْ تَرُدُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . . .	١٥٥
١٦	قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْقِيَارُ . . .	١٣٧	٣٠	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا بُرِّتِ . . .	١٥٨

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٣٤ كل من فى السموات والأرض تحت تصرف الله وتقديره .	١ تأويل قوله « ولا تجادلوا أهل الكتاب » . والصواب فى الذين ظلموا أنهم من امتنعوا عن الجزية .
٣٦ الشواهد الدالة على أن أفعل فى قوله « وهو أهون عليه » بمعنى اسم الفاعل .	٤ كان النبيّ أمياً لا يقرأ ولا يكتب .
٣٨ تأويل قوله « ضرب لكم مثلاً من أنفسكم » . وأنهم آجحفوا بما اتخذوه من الآلهة .	٥ فى الكتب السابقة أنه صلى الله عليه وسلم أمى ، وأن ذلك من آياته .
٤٠ قوام هذه الأمة بثلاث .	٩ تأويل قوله « يا عبادى الذين آمنوا » . . . الخ . وأنه ندب إلى الحرّيب من الأرض التى لم تمكن عبادة الله فيها .
٤٢ معنى الإنابة إليه تعالى .	١١ تأويل قوله « وكأين من دابة » . وأنه لا ينبغى أن يؤخر ضيق الرزق عن الهجرة .
٤٥ تأويل قوله « وما آتيتم من رباً » . والنهى عن كون الرجل يعطى لثياب على عطائه .	١٤ تأويل قوله « ومن أظلم » . وأن الاستفهام للتقرير ، والشاهد عليه .
٤٩ تأويل قوله « ظهر الفساد فى البر والبحر » .	١٥ تفسير سورة الروم
٥٤ الرياح أربع .	١٨ طرف من تاريخ حرب الروم وفارس .
٥٩ تفسير سورة لقمان	٢٢ تأويل قوله « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » ، وأن ذلك لاتعلق له بالآخرة .
٦٣ الصواب فى المراد من هو الحديث .	٢٧ تأويل قوله « ويوم تقوم الساعة » . . . الآية . ومعنى « يحسبون » ، وسوق الشواهد عليه .
٦٥ تأويل قوله « خلق السموات بغير عمد ترونها » . . . الآية .	٢٨ تأويل قوله « فسبحان الله » . ودلالاتها على طلب الصلوات الخمس .
٦٧ ما أوتيه لقمان من الحكمة .	٣٢ تأويل قوله « ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً » .
٦٨ مواعظه لابنه .	
٧٧ تأويل قوله « ألم تروا أن الله سخر لكم » . . . الآية . ومعنى النعم الظاهرة والباطنة .	
٨٠ معلومات الله لاتنتهى .	
٨٥ تأويل قوله « وإذا غشيهم موج » . . . الخ ، وذكر الشواهد .	
٨٧ مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا الله خمس .	

الصفحة	الصفحة
١٢٣	٨٩
كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، ثم نُسخ ذلك بالتوارث بالأرحام .	تفسير سورة السجدة
١٢٧	٩١
غزوة الخندق .	تأويل قوله « يدبر الأمر » . . . الآية . ومعنى عروج الأمر وسوق الخلاف فيه :
١٣٥	٩٣
تأويل قوله « وإذ قالت طائفة منهم » : وما كان يفعله المنافقون من الهَرَب من عسكر المسلمين :	معنى إحسان خلق كل شئ .
١٣٩	٩٦
تأويل قوله « قد يعلم الله المعوقين » ، وتثبيط المنافقين الناس عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم .	تأويل قوله « وقالوا أئذا ضلنا » . وأن الضلال بمعنى الفناء ، والشاهد عليه .
١٤٣	٩٩
تأويل قوله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » . . . الآية . وأن ذلك عتاب للمتخلفين .	معنى نجافى الجنوب ، وبماذا يكون ذلك ؟
١٥٠	١٠٣
خبر غزوة بنى قُرَيْظَةَ .	ما أعدّ للمتقين فى الجنة من الكرامة .
١٥٦	١٠٨
تأويل قوله « يا أيها النبي قل لأزواجك » . . . الآية ، وتخيير رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجه :	تأويل قوله « ولنذيقنهم من العذاب الأدنى » وأن بلاء الدنيا من العذاب الأدنى .
	١١٢
	١١٦
	١١٧
	١١٨
	١٢٠

٣ - فهرس القوافى

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل	١٢٥	سَطْرَه		ا
		١٤٥	هَوْبِرَه		النَّوى
٢٧	هَطِيلُ	٨٥	وَخَسْرَه	١١٤	لايَراها
٢٧	مُكْتَهِيلُ	١٣٦	تَمْرًا	١٣٥	
٢٧	الأَصْلُ	١٣٦	شَرًّا		ب
٣٧	وأَطْوَلُ		س	١٤٥	نَجِبِ
٣٧	أَوَّلُ	٢٦	مُكْرَسًا	٩٥	دَبَّابِ
٣٧	وأَفْضَلُ	٢٦	وأَبْلَسًا	٦٦	مَلْهَبًا
٣٧	أَوَّلُ		ط		ح
٩٥	فَعُولُ		قَانِيطِ	١٥	رَاحِ
١٥٣	يُخَذَلِ	٤٤	ع	٣٣	أَكْدَحِ
١٥٣	مُقْلَقَلِ		أَخْضَعُ		د
٩٦	ضَلالًا	٣٦	المُضَاجِعِ	٩٧	أَحَدُ
	م	١٠٢	ف	٩٧	العَدَدُ
٧١	الدَّمِ		خَلْفُ	٣٧	بِأَوْحَدِ
٣٣	وَمَيْسَمِ	٥١	ق	١٥٤	المُمددِ
١٤٥	المُتَلَوِّمِ		دَمَشَقُ	٣٣	مُحَلِّدِ
٧٤	فَتَقَوِّمًا	١٠٠	أَرْفَقُ		ر
	ن	١٠٠	ك	٢٧	الحَسْبُ
٨٥	الدَّانِ		هَلَكُوا	٢٧	شَكَرُ
٩٥	حَصِينِ	٦٩			



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى

\* وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقَوْلُوا آمَنَّا  
بِالَّذِي آتَيْنَا وَإِنَّا وَآنَزَلِ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)

يقول تعالى ذكره : ( وَلَا تُجَادِلُوا ) أيها المؤمنون بالله وبرسوله ، اليهود والنصارى ، وهم ( أَهْلَ  
الْكِتَابِ ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) يقول : إلا بالجميل من القول ، وهو الدعاء إلى الله بآياته ، والتنبيه  
على حُججه .

وقوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : إلا  
الذين أبوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية ، ونصبوا دون ذلك لكم حرباً ، فإنهم ظلمة ، فأولئك جادلوهم  
بالسيف ، حتى يُسَلِّمُوا أو يُعْطُوا الجزية .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا يزيد ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا  
تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) ، إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : من قاتل ولم  
يُعْطِ الجزية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خَصِيف ، عن مجاهد ، بنحوه ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ :  
مَنْ قَاتَلَكُمْ وَلَمْ يُعْطِكِ الْجِزْيَةَ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ )  
قال : إن قالوا شراً ، فقولوا خيراً ، ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) ، فانتصروا منهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : قالوا

مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله متغلولة ، أو الله فقير ، أو آذوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، قال : هم أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ) قال : أهل الحرب ، ممن لا عهد له ، جادلته بالسيف .

وقال آخرون : معنى ذلك : ( ولا تجادلوا أهل الكتاب ) الذين قد آمنوا به ، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم ( إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ) . فأقاموا على كفرهم ، وقالوا : هذه الآية محكمة ، وليست بمنسوخة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ) قال : ليست بمنسوخة ، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم ، لعلهم يحسنون شيئا في كتاب الله ، لا تعلمه أنت ، فلا تجادله ، ولا ينبغي أن تجادل إلا الذين ظلموا ، المقيم منهم على دينه . فقال : هو الذي يجادل ، ويقال له بالسيف . قال : وهؤلاء يهود . قال : ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد ، إنما كانوا يهودا هم الذين كلموا وحالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغدرت النصير يوم أحد ، وغدرت قريظة يوم الأحزاب .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال ، وقالوا : هي منسوخة نسخها قوله ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ) ثم نسخ بعد ذلك ، فأمر بقتالهم في سورة براءة ، ولا مجادلة أشد من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يقرؤا بالخراج .

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله ( إلا الذين ظلموا منهم ) : إلا الذين امتنعوا من أداء الجزية ، ونصبوا دونها الحرب .

فإن قال قائل : أو غير ظالم من أهل الكتاب ، إلا من لم يؤد الجزية ؟ قيل : إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله ، وتكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ظلمة ، فإنه لم يعن بقوله ( إلا الذين ظلموا منهم ) ظلموا أنفسهم . وإنما عنى به : إلا الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أذن للمؤمنين بجادل ظلمة أهل

(١) يقال له بالسيف : أى يرفع عليه السيف . قال في (اللسان : قول) : والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ، وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده : أى أخذ ، وقال برجله : أى مشى وقال الشاعر : « وقالت له العينان سمعا وطاعة » أى أومات . وقال بثوب : أى رفعه . وكل ذلك على المجاز والانتساع . وفي الأصل : « يقال له السبت » ، تحريف من الناسخ .

الكتاب بغير الذي هو أحسن ، بقوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) فاعلم إذ كان قد أُذِنَ لهم في جدالهم أن الذين لم يُؤذَنَ لهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن ، غير الذين أُذِنَ لهم بذلك فيهم ، وأنهم غير المؤمن ، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلا في غير الحق ، لأنه إذا جاء بغير الحق ، فقد صار في معنى الظلمة ، في الذي خالف فيه الحق . فإذا كان ذلك كذلك ، تبين أن لامعنى لقول من قال : عنى بقوله (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ) أهل الإيمان منهم ، وكذلك لامعنى لقول من قال : نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال ، وزعم أنها منسوخة ، لأنه لاخبر بذلك يقطع العذر ، ولا دلالة على صحته من فِطْرَةِ عقل .

وقد بيننا في غير موضع من كتابنا ، أنه لايجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلا بحجة يجب التسليم لها ، من خبر أو عقل .

وقوله (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم ، وأخبروكم عنها بما يمكن ، ويجوز أن يكونوا فيه صادقين ، وأن يكونوا فيه كاذبين ، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك ، فقولوا لهم (آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ) مما في التوراة والإنجيل (وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ) يقول : ومعبودنا ومعبودكم واحد (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) يقول : ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا علي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْتَدُّوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم قال : ثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عطاء بن يسار ، قال : كان ناس من اليهود يحدثون ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تَكْتَدُّوهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ » .

قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان ، عن عمارة بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، عن عبد الله ، قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق ، أو تصدقوا بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب ، إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه ، كتالية المال .

وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا)

(١) تالية : اسم فاعل من تلاه يتلوه : إذا تبعه . يريد : داعية تدعوه إلى الاستسكان بدينه . وتالية المال : لعل المراد به : التابغة التي تتبع أمانتها من صفار الإبل ونحوها .

ظَلَمُوا مِنْهُمْ ) قال : قالوا مع الله إله ، أو له ولد ، أو له شريك ، أو يد الله مغلوله ، أو الله فقير ، أو آذوا محمداً . ( وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ) لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره : كما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد من الرسل ( كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ) هذا ( الْكِتَابَ ، فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ) من قبلك من بنى إسرائيل ( يُؤْمِنُونَ بِهِ ) ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ) يقول : ومن هؤلاء الذين هم بين ظهركم اليوم ، من يؤمن به ، كعبد الله بن سلام ، ومن آمن برسوله من بنى إسرائيل .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلا الذى يجحد نعمنا عليه ، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه ، عنادا لنا .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ) قال : إنما يكون الجحود بعد المعرفة .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ، إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : ( وَمَا كُنْتُمْ ) يا محمد ( تَتْلُوا ) يعنى تقرأ ( مِنْ قَبْلِهِ ) يعنى من قبل هذا الكتاب الذى أنزلته إليك ( مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ) يقول : ولم تكن تكتب بيمينك ، ولكنت كنت أمياً ( إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) يقول : ولو كنت من قبل أن يوحى إليك تقرأ الكتاب ، أو تخطه بيمينك ( إِذَا لَارْتَابَ ) يقول : إذن لشك بسبب ذلك فى أمرك ، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذى تنلوه عليهم ، ( الْمُبْطِلُونَ ) القائلون إنه سجع وكهانة ، وإنه أساطير الأولين .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ) : قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ) قال : كان نبي الله لا يقرأ كتاباً قبله ، ولا يخطه بيمينه ، قال : كان أمياً ، والأمر : الذى لا يكتب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن إدريس الأودي ، عن الحكم ، عن مجاهد ( وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ) قال : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخط بيمينه ، ولا يقرأ كتابا ، فنزلت هذه الآية .  
وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله ( إذا لارتاب المبطلون ) قالوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إذا لارتاب المبطلون ) إذن لقالوا : إنما هذا شيء تعلمه محمد صلى الله عليه وسلم وكتبه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الخارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إذا لارتاب المبطلون ) قال قريش .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ، وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩)

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم ) فقال بعضهم : عنى به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : معنى الكلام : بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرأ ، وأنه أمي ، آيات بيّنات في صدورهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم ) قال : كان الله تعالى أنزل شأن محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل ، لأهل العلم ، وعلمه لهم ، وجعله لهم آية ، فقال لهم : إن آية نبوته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتابا ، ولا يخطه بيمينه ، وهي الآيات البيّنات .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ) قال : كان نبي الله لا يكتب ولا يقرأ ، وكذلك جعل الله نعمة في التوراة والإنجيل ، أنه نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب ، وهي الآية البيّنة في صدور الذين أوتوا العلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم ) من أهل الكتاب ، صدقوا بمحمد ونعته ونبوته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، ( بل هو آيات بيّنات ) قال : أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم ، بل هو آية بيّنة في صدور الذين أوتوا العلم ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : عنى بذلك القرآن ، وقالوا : معنى الكلام : بل هذا القرآن آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم ، من المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، قال : قال الحسن ، فى قوله : ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) القرآن آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم ، يعنى المؤمنين .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عُنِيَ بذلك : بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ، ولا تخطه بيمينك ، آيات بيّنات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن قوله ( بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو بأن يكون خبرا عنه ، أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذى قد انقضى الخبر عنه قبل .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما يجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأدلته ، ويُنكر العلم الذى يعلم من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، بيعت محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ومبعثه إلا الظالمون ، يعنى الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عز وجل .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ، قُلْ : إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٠)

يقول تعالى ذكره : وقالت المشركون من قريش : هلا أنزل على محمد آية من ربه ، تكون حجة الله علينا ، كما جعلت الناقة لصالح ، والمائدة آية ليعسى ، قل يا محمد ، إنما الآيات عند الله ، لا يقدر على الإتيان بها غيره ، وإنما أنا نذير مبين ، وإنما أنا نذير لكم ، أنذركم بأس الله وعقابه ، على كفركم برسوله . وما جاءكم به من عند ربكم مبين : يقول : قد أبان لكم إنذاره .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : أو لم يكف هؤلاء المشركين يا محمد ، القائلين : لولا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آية من ربه ، من الآيات والحجج ( أننا أنزلنا عليك ) هذا ( الكتاب ) يُتلى عليهم ؟ يقول

يُقرأ عليهم ( إن في ذلك لَرَحْمَةً ) يقول : إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة .

وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين ، أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يكتبوا فيها بعض ما يقول اليهود ، فلما أن نظر فيها ألقاها ، ثم قال : كفى بها حماقة قوم ، أو ضلالة قوم ، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم ، إلى ما جاء به غير نبيهم ، فنزلت ( أو لم يكن فيهم ) أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ : كَفَى بِاللَّهِ يَنِّي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للقائلين لك : لولا أنزل عليك آية من ربك ، الجاحدين بآياتنا من قومك ، كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم شاهدا لي وعلى ، لأنه يعلم الحق منا من المبطل ، ويعلم ما في السموات وما في الأرض ، لا يخفى عليه شيء فيهما ، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله ، الحق على ثباته على الحق ، والمبطل على باطله ، بما هو أهله ( والَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ ) يقول : صدقوا بالشرك ، فأقروا به وكفروا به : يقول : وجحدوا الله ( أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) يقول : هم المغبونون في صفتهم .

وبنحو الذي قلنا في قوله ( والَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( والَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ ) : الشرك .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَأَجَلَ مُسَمًّى جَاءَهُمُ الْعَذَابُ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره : ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك : لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب ،

ويقولون: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ)، ولولا أجل سميته لهم ، فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه ، بلعاهم العذاب عاجلا . وقوله ( وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْضَاتٌ مِنْ رَبِّكَ ) يقول : وليأتينهم العذاب فجأة ، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه .  
وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ) قال : قال ناس من جهلة هذه الأمة (اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنَيْنَا بِعَذَابِ الْيَمِّ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)

يقول تعالى ذكره : يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ، ونزوله بهم ، والنار بهم محيطة ، لم يبق إلا أن يدخلوها . وقيل : إن ذلك هو البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، قال : سمعت عكرمة يقول في هذه الآية : ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) قال : البحر .  
أخبرنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ، وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره ( وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ) يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم ، ومن تحت أرجلهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ) : أي في النار .

وقوله ( وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ) يقول جل ثناؤه : ويقول الله لهم : ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ في الدنيا من معاصي الله ، وما يسخطه فيها . وبالباية في يقول ( ذُوقُوا ) قرأت عامة قرآء الأمصار ، خلا أبي جعفر ، وأبي عمرو ، فإنهما قرآ ذلك بالنون ( وَنَقُولُ ) . والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء ، لإجماع الحجة من القرآء عليها .



## القول في تأويل قوله تعالى

يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ، فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ (٥٦)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده : يا عبادي الذين وحدوني وآمنوا بي وبرسولي محمد صلى الله عليه وسلم (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) .

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض ، فقال بعضهم : أريد بذلك : أنها لم تضيق عليكم ، فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقَام فيه ، ولكن إذا عمِلَ بمكان منها بمعاصي الله ، فلم تقدرُوا على تغييره ، فاهربوا منه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمِلَ فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) قال : إذا عمِلَ فيها بالمعاصي ، فاخرج منها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، قال : اهربوا فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن شريك ، عن منصور ، عن عطاء ، قال : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا ، فإن أرضي واسعة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن عطاء (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : مجانبة أهل المعاصي .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فهاجروا وجاهدوا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ) ، فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ ( فقلت : يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين ، فقال : نعم .

وقال آخرون : معنى ذلك : إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن شدّاد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي ، عن غيثلان بن جرير المِعْوَلِيّ ، عن مطرف بن عبد الله بن الشَّخْبَرِ العامريّ ، في قول الله (إن أَرْضِي وَاسِعَةٌ) : قال : إن رزقي لكم واسع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن شدّاد ، عن غيلان بن جرير ، عن مطرف بن الشَّخْبَرِ (إِنَّ أَرْضِي وَأَسِيعَةَ) قال : رزق لكم واسع .  
 وَأولى القولين بتأويل الآية: قول من قال : معنى ذلك : إن أَرْضِي واسعة ، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله (فَلْيَأْيَ فاعْبُدُونِ) على ذلك ، وأن ذلك هو أظهر معنييه ، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسَعَةٍ ، فالغالب من وصفه إياها بذلك ، أنها لاتضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع ، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب .  
 وقوله (فَلْيَأْيَ فاعْبُدُونِ) يقول : فأخْلِصُوا لى عبادتكم وطاعتكم ، ولا تطيعوا فى معصيتي أحدا من خلقى .

#### القول فى تأويل فرد تعالى

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ، ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه : هاجروا من أرض الشرك من مكة ، إلى أرض الإسلام المدينة ، فإن أَرْضِي واسعة ، فاصبروا على عبادتي ، وأخْلِصُوا طاعتي ، فإنكم ميتون ، وصائرون إلى ، لأن كل نفس حية ذائقة الموت ، ثم إلينا بعد الموت تُرْجَعُونَ ، ثم أخبرهم جل ثناؤه عما أعدت للصابرين منهم على طاعته ، من كرامته عنده ، فقال : (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا) ، يعنى صدقوا الله ورسوله ، فيما جاء به من عند الله ، (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) : يقول : وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه ، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا) يقول : لننزلهم من الجنة على .

واختلفت القُرْءاء فى قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) بالباء وقراءته عامة قراء الكوفة بالفاء (لَنُنْشِئَنَّهُمْ) .

والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار ، قد قرأ بكل واحدة ، منهما علماء من القُرْءاء متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصييب ، وذلك أن قوله (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) من بوائه منزلا : أى أنزلته ، وكذلك لنشؤينهم ؛ إنما هو من أثويته مَسْكَنًا إذا أنزلته منزلا ، من النواء ، وهو المقام . وقوله (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) يقول : تجرى من تحت أشجارها الأنهار . (خَالِدِينَ فِيهَا) يقول : ما كثرين فيها إلى غير نهاية (نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) يقول : نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرف التى يُشْؤِيهِمُوهَا الله فى جنتائه ، تجرى من تحتها الأنهار ، الذين صبروا على أذى المشركين فى الدنيا ، وما كانوا يتكفون منهم ، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه ، وجهاد أعدائه (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فى أرزاقهم

وجهاد أعدائهم ، فلا يَتَنَكَّلُونَ عَنْهُمْ ، ثقة منهم بأن الله مُعَلِّي كَلِمَتِهِ ، ومُوَهِّين كَيْدِ الْكَافِرِينَ ، وأن مَاقَسِمَ لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ فَلَنْ يَنْقُوتَهُمْ .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ، وبرسوله من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه ، ولا تخافوا عييلة ولا إقتارا ، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها ، يعني غذاءها لا تحملها ، فترفعه في يومها لغدها ، لعجزها عن ذلك . ( اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ) يوما بيوم . ( وَهُوَ السَّمِيعُ ) لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العييلة ( العليم ) ما في أنفسكم ، وما إليه صائر أمركم ، وأمر عدوكم من إذلال الله إياهم ، ونصرتكم عليهم ، وغير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها ) قال : الطير والبهائم لا تحمل الرزق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت عمران ، عن أبي مجلز ، في هذه الآية ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم ) قال : من الدواب ما لا يستطيع أن يدخر لغد ، يوفق لرزقه كل يوم حتى يموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن علي بن الأقر ( وكأين من دابة لا تحمل رزقها ) قال : لا تدخر شيئا لغد .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ؟ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟ (٦١)

يقول تعالى ذكره : ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فسؤاها ، وسخَّر الشمس والقمر لعباده ، يجرىان دائبين لمصالح خلق الله ، ليقولنَّ الذي خلق ذلك وفعلته الله . ( فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ) يقول جل ثناؤه : فأنى يُصْرَفُونَ عن صنع ذلك ، فيعدلون عن إخلاص العبادة له .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَنى يُؤْفَكُونَ ) : أى يعدلون .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَيَقْدِرُ لَهُ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢)

يقول تعالى ذكره : الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه ، ويضيق فيقتصر لمن يشاء منهم : يقول : فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس ، بيدي دون كل أحد سواى ، أبسط لمن شئت منها ، وأقتصر على من شئت ، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوكم خوف العيلة ( إن الله بكل شئ عليم ) يقول : إن الله عليم بمصالحكم ، ومن لا يصلح له الا البسط فى الرزق ، ومن لا يصلح له إلا التقدير عليه ، وهو علم بذلك .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ، لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ولما سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء ، وهو المطر الذى ينزله الله من السحاب ( فأحيا به الأرض ) يقول : فأحيا بالماء الذى نزل من السماء الأرض ، وإحياؤها : إنباتة النبات فيها ( من بعد موتها ) من بعد جفد وبها وقحوطها . وقوله ( ليقولنن الله ) يقول : ليقولن الذى فعل ذلك ، الله الذى له عبادة كل شئ . وقوله ( قل الحمد لله ) يقول : وإذا قالوا ذلك ، قل الحمد لله ( بل أكثرهم لا يعقلون ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون ما لهم فيه النفع من أمر دينهم ، وما فيه الضر ، فهم لجهلهم يحسبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله ، ينالون بها عند الله زلفة وقربة ، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون ، مستوجبون الخلود فى النار .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ، لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤)

يقول تعالى ذكره : ( وما هذه الحياة الدنيا ) التى يتمتع منها هؤلاء المشركون ( إلا لهو ولعب ) يقول : إلا تلهيل النفوس بما تلتذ به ، ثم هو مستقص عن قريب ، لابقاء له ولا دوام ( وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ) يقول : وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة ، التى لازوال لها ولا انقطاع ولا موت معها . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وإن الدار الآخرة لهى الحيوان ) ، لو كانوا يعلمون ( حياة لاموت فيها ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) قال : لاموت فيها .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ) يقول : باقية .  
وقوله ( لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) يقول : لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك ، لقصروا عن تكذيبهم بالله ، وإشراكهم غيره في عبادته ، ولكنهم لا يعلمون ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)

يقول تعالى ذكره : فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر ، فخافوا الغرق والهلاك فيه ( دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) يقول : أخلصوا لله - عند الشدة التي نزلت بهم - التوحيد ، وأفردوا له الطاعة ، وأذعنوا له بالعبادة ، ولم يستغيثوا بأنفسهم وأندادهم ، ولكن بالله الذي خلقهم ( فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ ) يقول : فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلمهم ، فصاروا إلى البرّ ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم ، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابا .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ) فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم ، ثم يشركون بعد ذلك .

## القول في تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ؟ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ؟ (٦٧)

يقول تعالى ذكره : فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ ، إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ ، يشركون بالله الآلهة والأنداد ( لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ) يقول : ليجهلوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم .  
( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) بكسر اللام ، بمعنى : وكى يتمتعوا آتيناهم ذلك . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) بسكون اللام ، على وجه الوعيد والتوبيخ : أى اكفروا ، فإنكم سوف تعلمون ماذا يلقون من عذاب الله بكفرهم به : وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد ، وذلك أن الذين قرعوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفًا بها على اللام التي في قوله ( لِيَكْفُرُوا ) ، وأن قوله ( لِيَكْفُرُوا ) لما كان معناه : كى يكفروا كان الصواب في قوله ( وَلِيَتَمَتَّعُوا ) أن يكون :

وكى يتمتعوا ، إذ كان عطفاً على قوله : ليكفروا عندهم ، وليس الذى ذهبوا من ذلك بمذهب ، وذلك لأن لام قوله ( لِيَكْفُرُوا ) صلحت أن تكون بمعنى كى ، لأنها شرط لقوله : إذا هم يشركون بالله ، كى يكفروا بما آتيناهم من النعم ، وليس ذلك كذلك فى قوله ( وَلِيَسْتَمْتَعُوا ) لأن إشرافهم بالله كان كفراً بنعمته ، وليس إشرافهم به تمتعاً بالدنيا ، وإن كان الإشراف به يسهل لهم سبيل التمتع بها ، فإذا كان ذلك كذلك فتوجهه إلى معنى الوعيد أولى وأحق من توجيهه إلى معنى : وكى يتمتعوا . وبعد ، فقد ذكر أن ذلك فى قراءة أبيّ ( وَتَمَتَّعُوا ) وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام ، بمعنى الوعيد .

وقوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ) يقول تعالى ذكره ، مذكراً هؤلاء المشركين من قريش ، القائلين : لولا أنزل عليه آية من ربه ، نِعَمْتَهُ عَلَيْهِمْ ، التى خصهم بها دون سائر الناس غيرهم ، مع كفرهم بنعمته ، وإشرافهم فى عبادته الآلهة والأنداد ، أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش ، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا ، فيشكرونا على ذلك ، وينزجروا عن كفرهم بنا ، وإشرافهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم فى عبادتنا : ( أنا جعلنا ) بلدهم حَرَمًا ، ( حرمتنا ) على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب ( آمنا ) ، يأمن فيه من سكنه فأوى إليه من السبأ والخوف والحرام الذى لا يأمنه غيرهم من الناس ( وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْرِيمٍ ) يقول : وتُسَلَّبُ الناس من حولهم قتلاً وسياء .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله ( أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْرِيمٍ ) قال : كان لهم فى ذلك آية أن الناس يُعْزَوْنَ وَيُتَخَطَّفُونَ ، وهم آمنون .

وقوله ( أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ) يقول : أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان ، بأن يصدقوا ، وبنعمة الله التى خصهم بها ، من أن جعل بلدهم حرماً آمناً يكفرون ، يعنى بقوله « يكفرون » : يمحذون . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ) : أى بالشرك ( وَيَبْنِعُمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ) : أى يمحذون .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى  
لِّلْكَافِرِينَ (٦٨)

يقول تعالى ذكره : ومن أظلم أبها الناس ، ممن اختلق على الله كذباً ، فقالوا إذا فعلوا فاحشة : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، والله لا يأمر بالفحشاء . ( أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ) يقول : أو كذب بما بعث الله به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم من توحيده ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، لما جاءه هذا الحق من عند الله ( أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ؟ ) يقول : أليس فى النار مَثْوًى وَمَسْكَنٌ لمن كفر بالله ، ووجد توحيده ، وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقرير ، وليس باستفهام ، إنما هو كقول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ  
إنما أخبر أن للكافرين بالله مسكننا في النار ، ومنزلا يشؤون فيه .

القول في تأويل قوله تعالى

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

يقول تعالى ذكره : والذين قاتلوا هؤلاء المقتربين على الله كذبا ، من كفار قريش ، المكذبين بالحق لما جاءهم فينا ، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ، ونصرة ديننا ( لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ) يقول : لنوفقتهم لإصابة الطرق المستقيمة ، وذلك إصابة دين الله ، الذي هو الإسلام ، الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ( وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : وإن الله لمع من أحسن من خلقه ، فجاهد فيه أهل الشرك ، مُصَدِّقًا رَسُولَهُ فَمَا جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، بِالْعَوْنِ لَهُ ، وَالنُّصْرَةَ عَلَى مَنْ جَاهَدَ مِنْ أَعْدَائِهِ .

وينحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا )

فقلت له : قاتلوا فينا ، قال : نعم .

آخر تفسير سورة العنكبوت

## تفسير سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي آذَانِي الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ  
سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ،  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥)

(١) البيت لجرير بن عطية بن الحظف ، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان ( ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٩٨ ) بالمطايا : جمع مطية ، وهي الإبل يركب مطاها في الأسفار ، أي ظهرها . والراح : جمع راحة اليد . والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبي عبيدة على أن المراد بالاستفهام فيه التقرير ، لاحقيقة الاستفهام . والتقرير : حمل المخاطب على أن يتقرر بالمستول عنه ويعترف به . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ، الورقة ( ١٨٦ ) عند قوله تعالى : « أليس في جهنم مثوى للكافرين » : مجازه مجاز الإيجاب ، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والإيجاب ، فهي هاهنا للإيجاب . وقال جرير : « ألسن . . . البيت » ، فهذا لم يشك ، ولكن أو جب لم أنهم كذلك ، ولولا ذلك ما أتاهوه ، والرجل يعاتب عبده ويقول : أفعلت كذا ؟ وهو لا يشك . ويرى أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله : نعم نحن كذلك .

قال أبو جعفر: قد بيننا فيما مضى قبل، معنى قوله (الم) وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله (غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) اختلفت القراء في قراءته، فقراءته عامة قراء الأمصار: (غَلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين، بمعنى: أن فارس غلبت الروم.

وروى عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك: ما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنى أبي، عن الحسن الجفري، عن سليط، قال: سمعت ابن عمر يقرأ (الم غَلِبَتِ الرُّومُ) فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أى شيء غلبوا؟ قال: على ريف الشام.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا، الذى لا يجوز غيره (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ) بضم الغين، لإجماع الحجة من القراء عليه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم (في أدنى الأرض): من أرض الشام إلى أرض فارس (وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم. (سَيَغْلِبُونَ) فارس (في بيض سنين . لِيَلَّه الْأَمْرُ) مِنْ قَبْلِ غَلَبِهِمْ فارس (وَمِنْ بَعْدِ) غَلَبِهِمْ إياها، يقضى في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهاره عليه (وَيَوْمَ مَئِدٍ يَنْفِرُ الْمُؤْمِنُونَ يَنْصُرُ اللَّهُ) يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونصرة الروم على فارس (يَنْصُرُ) الله تعالى ذكره (مَنْ يَشَاءُ) من خلقه، على من يشاء، وهو نصرة المؤمنين على المشركين بيدر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) يقول: والله الشديد انتقامه من أعدائه، لا يمنع من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل (الرَّحِيمُ) بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته، أن يعذبه.

وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن سعيد، أو سعيد الثعلبي . الذى يقال له أبو سعد من أهل طبرسوس، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سفیان بن سعيد الثوري، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس، لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إنهم سيهزمون، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا؛ قال: فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين، قال: فضت فلم يغلبوا؛ قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أفلا جعلته دون العشر، قال سعيد: والبيض مادون العشر، قال: فغلب الروم، ثم غلبت؛ قال: فذلك قوله (الم . غَلِبَتِ الرُّومُ) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ



سَيَغْلِبُونَ فِي بِيضَعٍ سِنِينَ) قال: البيضع: ما دون العشر (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا موسى بن هارون البردي، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن شهاب، عن عبيد الله، عن ابن عباس، قال: «لما نزلت (الم. غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) . . . الآية، ناحب أبو بكر قريشا، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: إني قد ناحبتهم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هَلَا احْتَسَبْتَ، فَإِنَّ الْبِيضَعَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التَّسْعِ». قال الجُمَحِيُّ: المناجبة: المراهنة، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (الم. غَلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) قال: قدم مضى، كان ذلك في أهل فارس والروم، وكانت فارس قد غلبتهم، ثم غلبت الروم بعد ذلك، ولقي النبي صلى الله عليه وسلم مشركي العرب، يوم التقت الروم وفارس، فنصر الله النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين، على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم، وفرح المؤمنون بنصر الله إياهم، ونصر أهل الكتاب على العجم. قال عطية: فسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك، فقال: التقينا مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر الله أهل الكتاب على الجوس، وفرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على الجوس، فذلك قوله (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ).

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله (الم. غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) غلبتهم فارس، ثم غلبت الروم.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدُّخَانُ، واللُّزَامُ، والبَطْشَةُ، والقَمَرُ، والرُّومُ.

حدثنا ابن المشني، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، قال: قد مضى (الم. غَلِبَتِ الرُّومُ).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (الم. غَلِبَتِ الرُّومُ) . . . إلى قوله (أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) قال: ذكّر غلبة فارس إياهم، وإدالة الروم على فارس، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرمة «أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذ أذرعات، بها التقوا، فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يكره أن يظهر الأميون من الجوس ، على أهل الكتاب من الروم . ففرح الكفار بمكة وشتموا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب ، والنصارى أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس ، على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهنن عليكم ، فأنزل الله ( ألم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ، وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بَيْضِ سِنِينَ . لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَ يُنْزَلُ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ) . . . الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ، ولا يقيرن الله أعينكم . فوالله ليظهنن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم : فقام إليه أنس بن خلف ، فقال : كذبت يا أبا فضيل ، فقال له أبو بكر رضى الله عنه : أنت أكذب يا عدو الله ، فقال : أنا حينك عشر قلائص منى ، وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت ، إلى ثلاث سنين ؛ ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : ما هكتدا ذكرت ، إنمما البيض ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدة في الخطر ، ومادة في الأجل . فخرج أبو بكر ، فلقى أبياً ، فقال : لعلك ندمت ، فقال : لا ، فقال : : أزايدك في الخطر ، وأمادك في الأجل ، فاجعلها مئة قلووس لمئة قله ص ، إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لاتلد إلا الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إني أريد أن أبعث إلى الروم جيشاً ، وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشبرى على آيهم أستعمل ، فقالت : هذا فلان ، وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صرد ، وهذا فترخان ، وهو أنفذ من سينان ، وهذا شهربراز ، وهو أحلم من كذا ، فاستعمل أيهم شئت ؛ قال : إني قد استعملت الخليم ، فاستعمل شهربراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، وظهر عليهم ، فقتلهم ، وخرّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم ؛ قال أبو بكر : فحدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني ، فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا . قال : أما إنك لو رأيتها ، لرأيت المدائن التي خربت ، والزيتون الذي قطع ، فأنتيت الشام بعد ذلك فرأيت .

قال عطاء الخراساني : ثنى يحيى بن يعنم ، أن قيصر بعث رجلاً يدعى «قطمة» بجيش من الروم ، وبعث كسرى شهربراز ، فالتقيا بأذرعات وبصري ، وهى أدنى الشام إليكم ، فلقيت فارس الروم ، فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كفار قريش ، وكرهه المسلمون ، فأنزل الله ( ألم . غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) . . . الآيات ، ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يزل شهربراز يطوهم ، ويخرّب مدائنهم ، حتى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى ، فبلغهم موته ، فأنهزم شهربراز وأصحابه ، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك ، فأتبعوهم يقتلونهم . قال : وقال عكرمة في حديثه : لما ظهرت فارس على الروم جلس فترخان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى ، فبلغت كسرى ، فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابي ، فابعث إلى

برأس فرسخان، فكتب إليه : أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرسخان ، إن له نكاية وضربا في العدو ، فلا تفعل . فكتب إليه : إن في رجال فارس حكمة منه ، فعجل إلى برأسه ، فراجعه ، فغضب كسرى ، فلم يجبه ، وبعث بريدا إلى أهل فارس ، إن قد نزلت عنكم شهبراز ، واستعملت عليكم فرسخان ؛ ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة : إذا ولي فرسخان الملك ، وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه ؛ فلما قرأ شهبراز الكتاب ، قال : سمعا وطاعة ، ونزل عن سريره ، وجلس فرسخان ، ودفع الصحيفة إليه ، قال : اثتوني بشهبراز ، فقد تم لي ضرب عنقه ، قال : لا تعجل حتى أكتب وصيتي ، قال : نعم ، فدعا بالسفط ، فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال : كل هذا راجعت فيك كسرى ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد ، فرد الملك ، وكتب شهبراز إلى قيصر ملك الروم : إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد ، ولا تبلغها الصحف ، فالتفتي ، ولا تلتفتي إلا في خمسين روميا ، فإني ألقاك في خمسين فارسيا ، فأقبل قيصر في خمسين ألف رومي ، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتى أنه عيونه أن ليس معه إلا خمسون رجلا ، ثم بسط لهما ، والتفتيا في قبة ديباج ضربت لهما ، مع كل واحد منهما سيكين ، فدعيا ترجمانا بينهما ، فقال شهبراز : إن الذين خربوا مدائنك أنا وأخي ، بكيدنا وشجاعتنا ، وإن كسرى حسدنا ، فأراد أن أقتل أخي ، فأبيت ، ثم أمر أخي أن يقتلني ، فقد خلعنا جميعا ، فنحن نقاتله معك ، فقال : قد أصبتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فشا : قال : أجل ، فقتلا الترجمان جميعا بسكينهما ، فأهلك الله كسرى ، وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، وفرح ومن معه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لم . غلبت الروم ) قال : غلبتهم فارس على أدنى الشام ( وهم من بعد غلبتهم سيغليون ) . . . الآية ، قال : لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدق المسلمون ربهم ، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس ، فاقتمرواهم والمشركون خمس قلائص ، خمس قلائص ، وأجلا بينهم خمس سنين ، فولى قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه ، وولى قمار المشركين أبي بن خلف ، وذلك قبل أن ينهي عن القمار ، فحل الأجل ، ولم يظهر الروم على فارس ، وسأل المشركون قمارهم ، فذكر ذلك أصحاب النبي للنبي صلى الله عليه وسلم قال : لم تكونوا أحقأء أن تؤجلوا دون العشر ، فإن البيضة ما بين الثلاث إلى العشر ، وزايد وهم في القمار ، وماذوهم في الأجل ، ففعلوا ذلك ، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البيضة سنين من قمارهم الأول ، وكان ذلك مرجعه من الحديبية ، وفرح المسلمون بصلحهم الذي كان ، وبظهور أهل الكتاب على الجوس ، وكان ذلك مما شدد الله به الإسلام وهو قوله ( ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) . . . الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، في قوله ( لم . غلبت الروم ) . . . إلى قوله ( ويومئذ يفرح المؤمنون ) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب ، قال : فنزل القرآن بذلك ، قال : وكان المسلمون يجربون ظهور الروم على فارس ، لأنهم أهل الكتاب :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن عبد الله ، قال : « كانت فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب ، وهم أقرب إلى دينهم : فلما نزلت ( الم . غُلِبَتِ الرُّومُ ) ... إلى ( فِي بَيْضَعِ سِنِينَ ) قالوا : يا أبا بكر : إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال : صدق ، قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ فبايعوه على أربع قلائص ، إلى سبع سنين ، فضت السبع ، ولم يكن شيء ، ففرح المشركون بذلك ، وشقَّ على المسلمين ، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما يبضع سنين عندكم ؟ قالوا : دون العشر ، قال : اذهبوا فزأيدهم وأزداد سفتين » قال : فما مضت السنان ، حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ( الم . غُلِبَتِ الرُّومُ ) . . . إلى قوله ( وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، ومطر عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله قال : مضت الروم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الم . غُلِبَتِ الرُّومُ ) في أدنى الأرض ( قال : أدنى الأرض : الشام ) ( وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ) قال : كانت فارس قد غلبت الروم ، ثم أدبيل الروم على فارس ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الروم ستغلب فارسا ، فقال المشركون : هذا مما يتخترص محمد ، فقال أبو بكر : تستأجوني؟ والمناجبة : المجاملة ، قالوا : نعم ، فناحبهم أبو بكر ، فجعل السنين أربعة أو خمسا ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن البيضع فيما بين الثلاث إلى التسع ، فارجع إلى القوم ، فزد في المناجبة ، فرجع إليهم ، قالوا : فناحبهم فزد ، قال : فغلبت الروم فارسا ، فذلك قول الله ( وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصِرُوا اللَّهَ لِيُنْصِرَهُمْ مِنْ يَشَاءُ ) يوم أدبيلت الروم على فارس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق الفزاري ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ( الم . غُلِبَتِ الرُّومُ ) قال : غلبت وغلبت ؛ فأما الذين قرءوا ذلك ( غُلِبَتِ الرُّومُ ) بفتح الغين ، فلأنهم قالوا : نزلت هذه الآية خيرا من الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سليمان ، يعني الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم ظهر الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، فنزلت ( الم . غُلِبَتِ الرُّومُ ) على فارس .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن سليمان ، عن عطية ، عن

أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، غلبت الروم على فارس ، ففرح المسلمون بذلك ، فأنزل الله ( الم٣ . غَلِبَتِ الرُّومُ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين ، لأنهم أهل كتاب ، فأنزل الله ( الم٣ . غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) قال : كانوا قد غلبوا قبل ذلك ، ثم قرأ حتى بلغ ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ) .

وقوله ( فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدم قبل ، وأذكر قول من لم يذكر قوله . حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) يقول : في طرف الشام . ومعنى قوله أدنى : أقرب ، وهو أفعال من الدنو والقرب . وإنما معناه : في أدنى الأرض من فارس ، فترك ذكر فارس استغناءً بدلالة ما ظهر من قوله ( فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ) عليه منه . وقوله ( وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ) يقول : والروم من بعد غلبة فارس إياهم ، سيغلبون فارس . وقوله ( مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ ) مصدر من قول القائل : غلبته غلبة ، فحذفت الهاء من الغلبة . وقيل : من بعد غلبتهم ، ولم يقل : من بعد غلبتهم للإضافة ، كما حذفت من قوله ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) للإضافة . وإنما الكلام : وإقامة الصلاة .

وأما قوله ( سَيَغْلِبُونَ ) فإن القراء أجمعين على فتح الياء فيها ، والواجب على قراءة من قرأ ( الم٣ . غَلِبَتِ الرُّومُ ) بفتح الغين ، أن يقرأ قوله ( سَيَغْلِبُونَ ) بضم الياء ، فيكون معناه : وهم من بعد غلبتهم فارس ، سيغلبهم المسلمون ، حتى يصح معنى الكلام ، وإلا لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء ، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون ، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر .

وقوله ( فِي بَضْعِ سِنِينَ ) قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى ، وأتينا على الصحيح من أقوالهم ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا خلاد بن أسلم الصفار ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : قلت له : ما البضع ؟ قال : زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع .

وأما قوله ( لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ) فإن القاسم حدثنا ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ) دولة فارس على الروم ( وَمِنْ بَعْدُ ) دولة الروم على فارس .

وأما قوله ( وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ) فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل ، وبيننا معناه .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : وعد الله جل ثناؤه ، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم ، ونصب ( وَعَدَ اللَّهُ ) على المصدر ، من قوله ( وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ) لأن ذلك وعد من الله لهم ، أنهم سيغلبون ، فكأنه قال : وعد الله ذلك المؤمنين وعدا ( لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ) يقول تعالى ذكره : إن الله نبي بوعدة للمؤمنين ، أن الروم سيغلبون فارس ، لا يخلفهم وعدة ذلك ، لأنه ليس فى مواعيده خلف ( وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول : ولكن أكثر قريش الذين يكذبون بأن الله منجز وعده المؤمنين ، من أن الروم تغلب فارس ، لا يعلمون أن ذلك كذلك ، وأنه لا يجوز أن يكون فى وعد الله إخلاف .

## القول فى تأويل قوله تعالى

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ (٧)

يقول تعالى ذكره : يعلم هؤلاء المكذبون بحقيقة خبر الله ، أن الروم ستغلب فارس . (ظاهرا) من حياتهم الدنيا ، وتدبير معايشهم فيها ، وما يصلحهم ، ( وهم عن ) أمر آخرتهم ، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك ( غافلون ) ، لا يفكرون فيه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميمة يحيى بن واضح الأنصارى ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : ثنا يزيد النحوى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يعنى معايشهم ، متى يحصدون ومتى يتغرسون .  
حدثنى أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا عمرو بن عثمان بن عمر ، عن عاصم بن على ، قال : ثنا أبو تميمة ، قال : ثنا ابن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : متى يزرعون ، متى يتغرسون .  
حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : هو السراج أو نحوه .  
حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبي ، قال : ثنا أبو قتبية ، قال : ثنا شعبة ، عن شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : السراجون .  
حدثنا أحمد بن الوليد الرملى ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا شعبة ، عن شريك ، عن عكرمة ، فى قوله ( يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) قال : الحرأزون والسراجون .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم وما يصلحهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم مثله .  
حدثني بشر بن آدم ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، وعن منصور عن إبراهيم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني الكفار ، يعرفون نحران الدنيا ، وهم في أمر الدين جهال .  
حدثني ابن وكيع ، قال : ثني أبي ، عن سفيان ، عن أبيه ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : معاشهم ، وما يصلحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من حيرتها وتصرفها وبغيها (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : يعلمون متى زرعهم ، ومتى حصادهم .

قال : ثنا حفص بن راشد الهلالي ، عن شعبة ، عن شريقي ، عن عكرمة (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : السراج ونحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : صرفها في معيشتها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ<sup>١</sup>) .

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) قال : تسرق الشياطين السمع ، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت ، ينبغي لها أن تكون في الأرض ، قال : ويُرْمَوْنَ بِالشَّهْبِ ، فلا ينجو أن يحترق ، أو يصيبه شرر منه ؛ قال : فيسقط فلا يعود أبدا ؛ قال : ويرى بذلك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس ، قال : فيحملون عليه ألف كذبة ، قال : فما رأيت الناس يقولون : يكون كذا وكذا ، قال : فيجىء الصحيح منه كما يقولون ، الذي سمعوه من السماء ، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه .

(١). كذا في التسخ ، ولم يذكر التفسير ، ولعله سقط من قلم الناسخ ، أو لعله كلمة «نحوه» أو «مثله» ، وكثيرا ما يتركها .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ (٨)

يقول تعالى ذكره : أو لم يتفكّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك ، فى خلق الله إياهم ، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً ، ثم صرّفهم أحوالاً وتارات ، حتى صاروا رجالاً ، فيعلموا أن الذى فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فناءهم خلقاً جديداً ، ثم يجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، لا يظلم أحداً منهم ، فيعاقبه بجرم غيره ، ولا يحرم أحداً منهم جزاء عمله ، لأنه العدل الذى لا يجوز ، ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالعدل ، وإقامة الحق ، (وأجل مسمى) : يقول : وبأجل مؤقت مسمى ، إذا بلغت ذلك الوقت ، أفنى ذلك كله ، وبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار ، وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم جاحدون منكرون ، جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فناءهم ، وغفلة منهم عن الآخرة .

القول فى تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ، وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ، وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : أو لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله ، الغافلون عن الآخرة من قريش ، فى البلاد التى يسلكونها تجراً ، فينظروا إلى آثار الله فىمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة ، كيف كان عاقبة أمرها فى تكذيبها رسلها ، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة ، وأثاروا الأرض ، واستخرجوا الأرض ، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمّر هؤلاء ، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم ، فلم يقدروا على الامتناع ، مع شدة قواهم ، مما نزل بهم من عقاب الله ، ولا نفعهم عمارتهم ما عمروا من الأرض ، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات ، فكذبوهم ، فأحلّ الله بهم بأسه ، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله ، ووجودهم آياته ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم .

وينحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وأثاروا الأرض) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) ، كانوا أشدّ منهن قوّة ، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) قال : ملكوا الأرض وعمروها :



حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وأثاروا الأرض ) قال : حرثوها .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أو لم يسيروا في الأرض ) . : إلى قوله ( وأثاروا الأرض وعمروها ) كقوله ( وآثارا في الأرض ) ، وقوله ( وعمروها ) أكثر مما عمّر هؤلاء ، ( وجاءتهم رسلهم بالبينات ) .

## القول في تأويل قوله تعالى

مَّمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السَّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : ثم كان آخر أمر بمن كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، بالله ، وكذبوا رسله ، فأساءوا بذلك من فعلهم ( السوأى ) : يعنى الخلة التى هى أسوأ من فعلهم ، أما فى الدنيا ، فالسوار والهلاك ، وأما فى الآخرة فالنار لا يخرجون منها ، ولا هم يستعتبون : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَّمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السَّوْأَى ) : الذين أشركوا السوءى : أى النار .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مَّمَّ كَانَ عَقِبَةُ الَّذِينَ آسَأُوا السَّوْأَى ) يقول : الذين كفروا جزأهم العذاب .  
وكان بعض أهل العربية يقول : السوأى فى هذا الموضع : مصدر ، مثل البقوى ، وخالفه فى ذلك غيره فقال : هى اسم .  
وقوله ( أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ) يقول : كانت لهم السوأى ، لأنهم كذبوا فى الدنيا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزئون : يقول : وكانوا بحجج الله ، وهم أنبيأؤه ورسله ، يسخرون .

## القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١)

يقول تعالى ذكره : الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردا بإنشائه ، من غير شريك ولا ظهير ، فيحدثه من غير شىء ، بل بقدرته عز وجل ، ثم يعيده خلقا جديدا ، بعد إفنائه وإعدامه ، كما بدأه خلقا سويا ، ولم يك شيئا . ( ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ) يقول : ثم إليه من بعد إعادتهم خلقا جديدا يردون ، فيحشرون لفصل القضاء بينهم ، ( وَ لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ آسَأُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَ لَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شَرِّكَائِهِمْ شَفَعَاءُ ،  
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء الساعة التى فيها يفصل الله بين خلقه ، وينشر فيها الموتى من قبورهم ، فيحشرهم إلى موقف الحساب ( يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) يقول : يئس الذين أشركوا بالله ، واكتسبوا فى الدنيا مساوى الأعمال من كل شر ، ويكتثبون ويقتدمون ، كما قال العجاج :

ياصاح هل تعرف رسيماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلساً  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُبْلِسُ ) قال : يكتئب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) أى فى النار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قول الله ( وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ) قال : المبلس : الذى قد نزل به الشر ، إذا ألبس الرجل ، فقد نزل به بلاء .

وقوله ( وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِنْ شَرِّكَائِهِمْ شَفَعَاءُ ) يقول تعالى ذكره : ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم ، من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم ، على مادعهم إليه من الضلالة ، فيشاركونهم فى الكفر بالله ، والمعونة على أذى رسله . ( شفعاء ) يشفعون لهم عند الله ، فيستنقذوهم من عذابه ، وكانوا بشركائهم كافرين ) يقول : وكانوا بشركائهم فى الضلالة ، والمعونة فى الدنيا على أولياء الله كافرين ، يجحدون ولايتهم ، ويتبرعون منهم ، كما قال جل ثناؤه ( إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ، وَرَأَوْا الْعَذَابَ ، وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ، فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا ) .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ  
يَجْبُرُونَ (١٥)

(١) البستان من الرجز للعجاج ( ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٣١ ) ومعانى القرآن للفراء ( الورقة ٢٤٧ ) وعجاز القرآن لأبي عبيدة ( الورقة ١٨٦ ب ) قال أبو عبيدة فى تفسير قوله تعالى : « ويقوم تقوم الساعة يبلس المجرمون » : أى يتنسون ، ويكابون ويؤسبون . قال « يا صاح . . . البستان . وفى ( اللسان : كرس ) : ورسم مكرس ( اسم مفعول ) : ومكرس ( اسم فاعل ) وهو الذى قد بعرت فيه الإبل وبولت ، فركب بعضه بعضاً . وقال فى ( بلس ) : ألبس الرجل : قطع به ، عن ثعلب . وأبلس : سكت ؛ وأبلس من رحمة الله : أى يبس وندم .

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله (يومئذ)، يقول في ذلك اليوم يتفرقون، يعني: يتفرق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين، إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال، إلى النار، فهناك يميز الله الخبيث من الطيب.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) قال: فرقة والله لاجتماع بعدها (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسوله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون، ويبلندون بالسماع، وطيب العيش الهنيء، وإنما خصّ جل ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك، قول أعشى بن ثعلبة:

ماروضة من رياض الحُسنِ معشبةٌ      خصصراءُ جادَ عليها مُسبِلٌ هَطِيلٌ  
يُصاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ      مؤزَّرٌ بعميمٍ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ  
يوما بأطيبِ منها نشرَ رائحةً      ولا بأحسنِ منها إذ دنا الأُصلُ<sup>١</sup>

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيد من الأرايح، والعيش الهنيء، فيما يحبون، ويسرون به، ويغبطون عليه. والحبرة عند العرب: السرور والغبطة؛ قال العجاج:

فالحمدُ لله الذي أعطى الحبرَ      موالِيَ الحقِّ إن المتولى شكراً<sup>٢</sup>

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ) قال: يكرمون. وقال آخرون: معناه: ينعمون.

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٧). والرواية فيه: من رياض الحزن. وهو المرتفع من الأرض. وأورد أبو عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٧) البيت الأول والثالث. والرواية فيه: من رياض الحزم. وهو بمعنى الحزن أي الغليظ من الأرض. قال أبو عبيدة: «في روضة يحبرون»: مجازة: يفرحون ويسرون. وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحا؛ قال الأعشى: «ماروضة... الخ». أ. قلت: ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات، لأن الريح تهب عليها، فتبهج رائحتها، ولأن الأقدام لا تلتظها، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها، فيزكو زرعها وينضج. والمسبل: المطر. والمهطل الغزير، والكوكب: النور. والشرق: الزاهي. والمؤزر الذي حوله نبات آخر، فهو كالإزار له. والمكتهل: الذي قد بلغ وتم. والنشر: تصوع الرائحة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت الغروب، أو قبيله بقليل، حين تصفر الشمس، وتدنو من الغروب.

(٢) البيتان للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، و (مجاز القرآن لأبن عبيدة الورقة ١٨٧ ب) وقد أورد عطقا على قول الأعشى الذي قبله. وفي (اللسان: حبر): الحبر بفتح فسكون (والحبر بفتحين) والحبرة (بفتح فسكون) والخبور: كلة السرور. قال العجاج: «فالحمد لله... البيت». من قولم حبري هذا الأمر حبرا، أي سرفي. وقد حرك الباء فيهما، وأصله التسكين. وأحرفي الأمر: سرفي. وروى الشبر اه.

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يُحْسِرُونَ ) قال : يَنْتَعِمُونَ .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْسِرُونَ ) قال : ينعمون .  
وقال آخرون : يُلْتَذُّونَ بِالسَّمَاعِ وَالْغَنَاءِ .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن موسى الحرسي ، قال : ثنا عامر بن يساف ، قال : سألت يحيى بن أبي كثير ، عن قول الله ( فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْسِرُونَ ) قال : الخبيرة : اللذة والسماع .  
حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير في قوله ( يُحْسِرُونَ ) قال : السماع في الجنة .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عامر بن يساف ، عن يحيى بن أبي كثير ، مثله .  
وكل هذه الألفاظ التي ذكرنا عن ذكرناها عنه ، تعود إلى معنى ما قلنا .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ، فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوا رسله ، وأنكروا البعث بعد الممات ، والنشور للدار الآخرة ، فأولئك في عذاب الله مُحْضَرُونَ ، وقد أحضرهم الله إياها ، فجمعهم فيها ، ليدوقوا العذاب ، الذي كانوا في الدنيا يكذبون .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا

وَحِينَ تَنْظُرُونَ (١٨)

يقول تعالى ذكره : فسبحوا الله أيها الناس : أي صلوا له حين تمسون ، وذلك صلاة المغرب ، وحين تصبحون ، وذلك صلاة الصبح ( وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : وله الحمد من جميع خلقه ، دون غيره ، في السموات من سكانها من الملائكة ، والأرض من أهلها ، من جميع أصناف خلقه فيها ،

(١) كذا في الأصل بحذف ضمير الرابط . أي يكذبون به .

( وَعَشِيًّا ) يقول : وَسَبَّحُوهُ أَيضاً عَشِيًّا ، وذلك صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) يقول : وَحِينَ تَدْخُلُونَ فِي وَقْتِ الظَّهْرِ .

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رَزِين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس : ( هل تجدد )<sup>١</sup> ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله ، قال : نعم ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) الفجر ( وَعَشِيًّا ) العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) الظهر ، قال : ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرَاتٍ لكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رَزِين ، قال : سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن ، قال : نعم ، فقرأ ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) قال : صلاة المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) قال : صلاة الصبح ( وَعَشِيًّا ) قال : صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) صلاة الظهر ، ثم قرأ ( وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم بن أبي عياض ، عن ابن عباس ، قال : جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة : ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) قال : المغرب والعشاء . ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : الفجر . ( وَعَشِيًّا ) : العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس ، بنحوه . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن ليث ، عن الحكم ، عن أبي عياض ، عن ابن عباس في قوله ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) . . . إلى قوله ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) قال : جمعت الصلوات ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) المغرب والعشاء ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) صلاة الصبح ( وَعَشِيًّا ) صلاة العصر ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) صلاة الظهر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازي ، عن أبي سينان ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) : المغرب والعشاء . ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : الفجر . ( وَعَشِيًّا ) : العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : الظهر ، وكل سجدة في القرآن فهي صلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ) : لصلاة المغرب ( وَحِينَ تَصْبِحُونَ ) : لصلاة الصبح . ( وَعَشِيًّا ) : لصلاة العصر . ( وَحِينَ تَظْهَرُونَ ) : صلاة الظهر أربع صلوات .

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ

(١) ( هل تجدد ) : ساقطة من الأصل ، وأوردتها الشوكاني في تفسيره فتح القدير ( ٤ : ١١٤ ) وسقط منه بعدها كلمة « ميقات » التي أوردتها المؤلف هنا .

تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ . قال حين تمسون : صلاة المغرب ، وحين تصبحون : صلاة الصبح ، وعشيا : صلاة العصر ، وحين تظهرون : صلاة الظهر .

### القول فى تأويل قوله تعالى

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ، وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩)

يقول تعالى ذكره : صلّوا فى هذه الأوقات التى أمركم بالصلاة فيها أيها الناس ، لله الذى يخرج الحيّ من الميت ، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت ، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ ( ويحيى الأرض بعد موتها ) فينبثها ، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدّوبها ( وكذلك تُخْرَجُونَ ) يقول : كما يحيى الأرض بعد موتها ، فيخرج نباتها وزرعها ، كذلك يحييكم من بعد مماتكم ، فيخرجكم أحياء من قبوركم ، إلى موقف الحساب . وقد بيّنا فيما مضى قبل تأويل قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) ، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع ، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك إن شاء الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : يخرج من الإنسان ماء ميتا ، فيخلق منه بشرا ، فذلك الميت من الحيّ ، ويخرج الحيّ من الميت ، فبمعنى بذلك أنه يخلق من الماء بشرا ، فذلك الحيّ من الميت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قوله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ( يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ) قال : التّطنّفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ ، ويخرج الرجل منها حيا وهى ميتة .

### القول فى تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره : ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس ، من إنشاء وإفناء ، وإيجاد

(١) قوله « ماء ميتا » بحسب الظاهر للأعين المجرّدة ؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر ، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت . والله سبحانه يخرج النبات الحى من الأرض الميتة وأمثلة المفسرين القدماء تحتاج إلى تحقيق .

وإعدام ، وأن كل موجود فخلقه خلقه أياكم من تراب ، يعني بذلك خلق آدم من تراب ، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب ، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم ، كنعو الذي قد بينا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه ، من قولهم : فعلنا بكم وفعلنا .

وقوله ( **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِبَشَرٍ تَنْتَشِرُونَ** ) يقول : ثم إذا أنتم معشر ذرية من خلقناه من تراب ( **بِشَرٍ تَنْتَشِرُونَ** ) يقول : تنصرفون .  
وبنعو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ** ) خلق آدم عليه السلام من تراب ( **ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بِبَشَرٍ تَنْتَشِرُونَ** ) يعني : ذريته .

القول في تأويل قوله تعالى

**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)**

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ، ليسكن إليها ، وذلك أنه خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا** ) خلقها لكم من ضلع من أضلاعه .

وقوله ( **وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ) يقول : جعل بينكم بالمصاهرة والخثونة مودة تنوادون بها ، وتتواصلون من أجلها ، ورحمة رحمتكم بها ، فعطف بعضكم بذلك على بعض ( **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ) يقول تعالى ذكره : إن في فعله ذلك لعبرا وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته ، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء إلا إرادته ، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه .

القول في تأويل قوله تعالى

**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافُ السِّنِّيَّتِكُمْ وَالْوَلْنِيَّتِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢)**

يقول تعالى ذكره : ومن حججه وأدلته أيضا ، على أنه لا يُعجزه شيء ، وأنه إذا شاء أمات من كان حيا من خلقه ، ثم إذا شاء أنشده وأعاده ، كما كان قبل إمامته إياه ، خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه ، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء إلا إرادته ( **وَالاخْتِلافُ السِّنِّيَّتِكُمْ** ) يقول : واختلاف

منطق ألسنتكم ولغاتها) (وَأَلْوَانِكُمْ) يقول : واختلاف ألوان أجسامكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ) : يقول : إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة لخلق الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لحيثهم التي كانوا بها قبل ماتهم ، من بعد فناءهم . وقد بيّنا معنى العالمين فيما مضى قبل .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَبْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ  
يَسْمَعُونَ (٢٣)

يقول تعالى ذكره : ومن حُججه عليكم أيها القوم ، تقديره الساعات والأوقات ، ومخالفته بين الليل والنهار ، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه ، وتنامون فيه ، وجعل النهار مضيئا لتصرفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق ربكم . (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) يقول تعالى ذكره : إن في فعل الله ذلك كذلك ، لعبرا وذكري ، وأدلة على أن فاعل ذلك لا يعجزه شيء أراده (لقوم يسمعون) مواظ الله ، فيتعظون بها ويعتبرون ، فيفهمون حجج الله عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
مَوْتِهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ومن حججه (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) لكم إذا كنتم سافرا ، أن تمطروا فتأذوا به (وطمعا) لكم ، إذا كنتم في إقامة أن تمطروا ، فتحبوا ونخصبوا (وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) يقول : وينزل من السماء مطرا ، فيحيى بذلك الماء الأرض الميتة ، فتنبث ويخرج زرعها بعد موتها ، يعنى جدوها ودروسها (إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ) يقول : إن في فعله ذلك كذلك لعبرا وأدلة (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الله حججه وأدلته .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) قال : خوفا للمسافر ، وطمعا للمقيم . واختلف أهل العربية فى وجه سقوط « أن » فى قوله (يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) فقال بعض نحوى البصرة : لم يذكر هاهنا « أن » ، لأن هذا يدل على المعنى ؛ وقال الشاعر :



ألا أيهَذَا الرَّاجِرِي أَحْضَرَ الْوَعْيَ وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدي

قال : وقال :

لَوْ قُلْتُ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْسَمِ بِفَضْلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسَمِ

وقال : يريد : ما في قومها أحد . وقال بعض نحويي الكوفيين : إذا أظهرت « أن » فهي في موضع رفع ، كما قال ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَمِنَامِكُمْ ) فإذا حذف جعلت من مؤدبة عن اسم متروك ، يكون الفعل صلة ، كقول الشاعر :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا أَمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتغِي العَيْشَ أَكْذَحُ

كأنه أراد : فبينما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها ، وكذلك : ومن آياته يريكم آية البرق ، وآية لكذا ، وإن شئت أردت : ويريك من آياته البرق ، فلا تضمر « أن » ولا غيره . وقال بعض من أنكرو قول البصري : إنما ينبغي أن تحذف « أن » من الموضع الذي يدل على حذفها ، فأما في كل موضع فلا ، فأما مع أَحْضَرَ الوعى ، فلما كان زجرتك آن تقوم ، وزجرتك لأن تقوم ، يدل على الاستقبال ، جاز حذف « أن » ، لأن الموضع معروف ، لا يقع في كل الكلام ، فأما قوله : ومن آياته أنك قائم ، وأنتك تقوم ، وأن تقوم ، فهذا الموضع لا يحذف ، لأنه لا يدل على شيء واحد .

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الحلبي ص ٣١٧ ) . ورواية البيت عند البصريين « أحضر » بالرفع ، لأنه لما أضمر ( أن ) قبله ذهب عملها ، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمره ، إلا في المواضع العشرة المخصوصة . وعند الكوفيين « أحضر » بالنصب ، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة ، لقوة الدلالة عليها ؛ فكأنه قال : أن أحضر . والوعى : الحرب . وأصله أصوات المخاريب فيها . يقول : أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب ، وتحصيل اللذات ، هل تختلف في الدنيا إذا كفت عن الحرب ؟ وقوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق . . . الخ » إما أن يتعلق « من آياته » بيريكم ، فيكون في موضع نصب ، ومن لا يتداه الغاية أو « يريكم » على إضمار ( أن ) كما قال طرفة : « ألا أيهَذَا . . . البيت » برفع أحضر ، كرواية البصريين ، والتقدير : أن أحضر ، فلما حذف ( أن ) ارتفع الفعل ، فيكون التقدير : ومن آياته إرادتكم إياكم البرق .

(٢) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربيعي التميمي ، وهو راجز إسلامي ، كان في زمن العجاج ، وقد نسبة إليه سيبويه في الكتاب ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادي ٢ : ٣١١ ) . وأنشده الفراء في معاني القرآن عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم » على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا ( من يفتح الميم ) في مبتدأ الكلام ( بمن يكسر الميم ) ، فيقولون : منا يقول ذلك ، ومنا لا يقوله ؛ وذلك أن ( من بالكسر ) بعض لما هي منه ، فلذلك أدت عن المعنى المتروك ؛ قال الله تعالى : « وما منا إلا له مقام معلوم » وقال « وإن منكم إلا واردها » . ولا يجوز إضمار ( من ) بالفتح في شيء من الصفات ( حروف الجر ) إلا على هذا الذي نبأته به ، وقد قالها الشاعر في ( في ) ولست أشبهها . قال : لو قلت . . . البيت ، وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من ( بالكسر ) من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول : فينا الصالحون ، وفينا دون ذلك ، فكأنك قلت : منا . وقال الفراء في قوله تعالى : « ومن آياته يريكم البرق » . فن أضمر ( أن ) فهي في موضع اسم مرفوع ، كما قال : « ومن آياته منامكم » فإذا حذف أن ، جعلت من ( بالكسر ) مؤدبة عن اسم متروك يكون الفعل ( في ) صلة له ، كقول الشاعر وما الدهر إلا تارتان . . . الخ البيت . كأنه أراد : فبينما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك ومن آياته آية البرق ، وآية لكذا . وإن شئت يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر أن ولا غيره . اهـ .

(٣) البيت تميم بن أبي بن مقبل ، وهو شاعر إسلامي ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادي ٢ : ٣٠٨ ) وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف محذوف ، أي تارة أموت فيها أو أموتها ، وتارة أخرى أبغى العيش فيها . هكذا قدره سيبويه . وقال الفراء في ( معاني القرآن ، الورقة ٢٤٧ ) : كأنه أراد : فبينما ساعة أموتها ، وساعة أعيشها . وكذلك : ومن آياته آية البرق ، وآية لكذا . وإن شئت : يريكم من آياته البرق ، فلا تضمر ( أن ) ولا غيره . اهـ . وأنشده البيت الزجاج في تفسيره ، عند قوله تعالى : « من الذين هادوا يحرّفون الكلم » أي قوم يحرّفون ، كهذا البيت . والمعنى منهما : تارة أموت فيها . فحذف تارة ، وأقام الجملة التي هي صفة نائية عنها . . . الخ .

بَيِّنَةٌ وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ «مِنْ» فِي قَوْلِهِ (وَمِنْ آيَاتِهِ) ، تَدَلُّ عَلَى الْمَحذُوفِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَأْتِي بِمَعْنَى التَّبْعِيضِ . وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ ، كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهَا تَقْتَضِي الْبَعْضَ ، فَلِذَلِكَ تَحذف الْعَرَبُ مَعَهَا الْاسْمَ لِذِلَالَتِهَا عَلَيْهِ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

بَيِّنَةٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَمِنْ حُجَجِهِ أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ ، قِيَامَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ ، خُضُوعًا لَهُ بِالطَّاعَةِ ، بِغَيْرِ عَمْدٍ تَرَى ( ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) يَقُولُ : إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ ، إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ، مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِهِ لِإِيَّاكُمْ . وَيُنْحَوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : ثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ) قَامَتَا بِأَمْرِهِ بِغَيْرِ عَمْدٍ ( ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) قَالَ : دَعَاهُمْ فَخَرَجُوا مِنَ الْأَرْضِ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ ، فِي قَوْلِهِ ( إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ) يَقُولُ : مِنَ الْأَرْضِ .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)

بَيِّنَةٌ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : وَهُوَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ وَجَنٍّ وَإِنْسٍ ، عُبِيدٌ وَمَلِكٌ ( كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ) يَقُولُ : كُلُّ لَّهُ مُطِيعُونَ ، فَيَقُولُ قَائِلٌ : وَكَيْفَ قِيلَ : ( كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ) وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَكْثَرَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ لَهُ عَاصُونَ ؟ فَتَقُولُ : ائْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ اخْتِلَافَهُمْ ، ثُمَّ نُسِبِينَ الصَّوَابَ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ كَلَامٌ مَخْرُجٌ مَخْرُجٌ الْعُمُومِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ ، وَمَعْنَاهُ : كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ فِي الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَالْمَوْتِ ، وَالْفَنَاءِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ، لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ عَصَاهُ بَعْضُهُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، قَالَ : ثَنَا عُمَى ، قَالَ : ثَنَا أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

قوله ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ) . . . إلى ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) يقول : مطيعون ، يعنى الحياة والنشور والموت ، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة . وقال آخرون : بل معنى ذلك : كل له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم . ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) : أى مطيع مقر بأن الله ربه وخالقه . وقال آخرون : هو على الخصوص ، والمعنى : وله من فى السموات والأرض ، من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( كُلُّ لَهُ قَانِتُونَ ) قال : كل له مطيعون ، المطيع : القانت ، قال : وليس شىء إلا وهو مطيع ، إلا ابن آدم ، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله . وفى قوله ( وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ) قال : هذا فى الصلاة ، لاتتكلموا فى الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب فى الصلاة ، قال : وأهل الكتاب يمشى بعضهم إلى بعض فى الصلاة ، قال : ويتقابلون فى الصلاة ، فإذا قيل لهم فى ذلك ، قالوا : لكى تذهب الشحناء من قلوبنا ، تسلم قلوب بعضها لبعض ، فقال الله : وقوموا لله قانتين ، لاتزولوا كما يزولون . قانتين : لاتتكلموا كما يتكلمون . قال : فأما ما سوى هذا كله فى القرآن من القنوت ، فهو الطاعة ، إلا هذه الواحدة .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب : القول الذى ذكرناه عن ابن عباس ، وهو أن كل من فى السموات والأرض من خلق الله ، مطيع فى تصرفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت ، وما أشبه ذلك ، وإن عصاه فيها يكسبه بقوله ، وفيها له السبيل إلى اختياره ، وإيثاره على خلافه .

وإنما قلت : ذلك أولى بالصواب فى تأويل ذلك ، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم ، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون ، فغير جائز أن يخبر عن عاص هو عاص ، أنه له قانت فيما هو له عاص . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذى فيه عاص هو ما وصفت ، والذى هو له قانت ما بينت .

وقوله ( وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ) يقول تعالى ذكره : والذى له هذه الصفات تبارك وتعالى ، هو الذى يبدأ الخلق من غير أصل ، فينشئه ويوجده ، بعد أن لم يكن شيئاً ، ثم يفنيه بعد ذلك ، ثم يعيده ، كما بدأه بعد فثائه ، وهو أهون عليه .

اختلف أهل التأويل ، فى معنى قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) فقال بعضهم : معناه : وهو هين عليه .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد العطار ، عن سفيان عمن ذكره ، عن منذر الثورى ، عن الربيع بن خثيم ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : ما شئء عليه بعزير .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) يقول : كل شئء عليه هين . وقال آخرون : معناه : وإعادة الخلق بعد فناهم أهون عليه من ابتداء خلقهم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : يقول : أسير عليه .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : الإعادة أهون عليه من البداية ، والبداءة عليه هين .

حدثني ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة قرأ هذا الحرف ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، قال : فنزلت هذه الآية ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) : يقول : إعادته أهون عليه من بدئه ، وكل على الله هين . وفي بعض القراءة : وكل على الله هين .

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين ، غير القولين اللذين ذكرت ، وهو أن يكون معناه : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون على الخلق : أى إعادة الشئء أهون على الخلق من ابتدائه . والذى ذكرنا عن ابن عباس فى الخبر الذى حدثنى به ابن سعد ، قول أيضا له وجه .

وقد وجه غير واحد من أهل العربية قول ذى الرمة :

أخى قَفَرَاتٍ دَبَّيْتُ فِي عِظَامِهِ شَفَافَاتُ أَعْجَازِ الْكِرَى فَهُوَ أَخْضَعُ<sup>١</sup>

إلى أنه بمعنى خاضع ، وقول الآخر :

(١) البيت فى ديوان ذى الرمة طبع جامعة كمبردج سنة ١٩١٩ ص ٣٤٨ . قال فى شرحه : شفافات : بقايا أعجاز الكرى ، أواخر النوم ، فاستعار له المنهل ، فكأنه قد سكر ، فهو أخضع .

لَعَمْرُكَ إِنَّ الزُّبْرَقَانَ لَبَازِلٌ  
كَرِيمٌ لَهُ عَن كُلِّ ذَمٍّ تَأَخَّرُ  
لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السَّنِينِ وَأَفْضَلُ  
وَفِي كُلِّ أَسْبَابِ الْمَكَارِمِ أَوْلُ ١

إلى أنه بمعنى : وفاضل ؛ وقول معنى :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ  
عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوْلُ ٢

إلى أنه بمعنى : وإني لوجيل ؛ وقول الآخر :

تَمَّتْ مِرْيَةُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أُمْتُ  
فَتَيْلِكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ٣

إلى أنه بمعنى : لست فيها بواحد ؛ وقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا  
بَيْنَنَا دَعَائِمَهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ٤

إلى أنه بمعنى : عزيزة طويلة ، قالوا ومنه قولهم في الأذان : الله أكبر ، بمعنى : الله كبير ؛ وقالوا : إن قال قائل :

(١) البيتان لم أفت على قائلهما . والزُّبْرَقَانُ بن بدر من سادات بني تميم . والسنون جمع سنة ، والمراد بها الجذب والقحط . والشاهد في قول الشاعر « وأفضل » فإنه بمعنى « فاضل » ولا تفضيل فيه ، كما قال المؤلف : على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل ، كما يأتي في الشواهد الأخرى ، أي وهو أفضل من غيره على كل حال .

(٢) البيت لمن أوس المزني (ذيل الأمان لأبي على القالي ص ٢١٨) . واستشهد به المؤلف على أن قوله : « لأوجيل » : أي لوجيل وانظر شرح البيت وإعرابه في خزنة الأدب الكبرى للبغدادي (٣ : ٥٠٥ - ٥٠٦) .

(٣) البيت لمالك بن القين الخزرجي الأنصاري ، حققه الأستاذ عبد العزيز الميمني في شرح ذيل الأمان ص (١٠٤) وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام ، وقد بلغه أنه يتمنى موته . وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان (كما في مروج الذهب لسمعودي) ، ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما في ذيل الأمان ص (٢١٨) والأبيات الثلاثة هي :

تَمَّتْ مِرْيَةُ رِجَالٍ أَنْ أُمْتُ وَإِنْ أُمْتُ  
فَمَا عَيْشٌ مَنْ يَرْجُو رَدَايَ بَضَائِرِي  
فَتَيْلِكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ  
تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَأَنَّ قَدِ

وقوله « خلاف الذي مضى » : يريد : أن يخلف على ميراثه أو عمله . وقد استشهد المؤلف على أن قوله « بأوحد » معناه : بواحد ، مثل قول الله تعالى : « وهو أهون عليه » : أي هين عليه ، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التي للتفضيل إلا أنه لا تفضيل هنا ، وإنما هو مجرد الوصف ، بدون تفضيل . وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثيل بها ، وليست من شعره . قال القالي فرد عليه هشام بيتين ، وهما :

وَمَنْ لَا يَغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ  
يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ  
وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبٌ

ثم قال : فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ  
عَلَى أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوْلُ

وقد بين البغدادي في خزنة الأدب الكبرى (٥٠٠ - ٥٠٢) أن هذا الشاهد وما مثله يمكن أن يجعل على التفضيل ، لا على مجرد الوصف . فراجعه ثمه .

(٤) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ٧١٤) . وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (الورقة ١٨٧ ب) قال أبو عبيدة : أي عزيزة طويلة . فإن احتج محتج فقال : إن الله عز وجل لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف الخلق ، فزعم أن « وهو أهون عليه » : على الخلق ؛ فإن الحجية عليه قول الله عز وجل : « وكان ذلك على الله يسيرا » . وفي آية أخرى : « ولا يشوهد حفظهما » أي لا يثقله .

إن الله لا يوصف بهذا ، وإنما يوصف به الخلق ، فزعم أنه وهو أهون على الخلق ، فإن الحججة عليه قول الله : ( وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ) ، وقوله ( وَلَا يَشْأُدُهُ حِفْظُهُمَا ) : أى لا يثقله حفظهما .  
وقوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ) يقول : والله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ليس كمثل شىء ، فذلك المثل الأعلى ، تعالى ربنا وتقدس .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ ) يقول : ليس كمثل شىء .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) مثله أنه لا إله إلا هو ، ولا ربّ غيره .  
وقوله ( وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) يقول تعالى ذكره : وهو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الحكيم فى تدبيره خلقه ، وتصريفهم فيما أراد ، من إحياء وإماتة ، وبعث ونشر ، وما شاء .

القول فى تأويل قوله تعالى

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ، تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، كَذَلِكَ فَصَّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : مثّل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم : هل لكم مما ملكت أيمانكم : يقول : من ممالئكم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم ، فكيف رضيتم أن تكون آهنتكم التى تعبدونها لى شركاء فى عبادتكم إياى ، وأنتم وهم عبيدى ومالئكى ، وأنا مالك جميعكم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ) قال : مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركاً مملوكه فى فراشه وزوجته ، فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ : هَلْ لَّكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ )

قال : هل تجد أحدا يجعل عبده هكذا في ماله ؟ فكيف تعتمد أنت ، وأنت تشهد أنهم عبيدى وخلقى ، وتجعل لهم نصيبا في عبادتى ، كيف يكون هذا ؟ قال : وهذا مثل ضربه الله لهم ، وقرأ ( كَذَلِكَ نُنْصَلُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( تَخَافُوهُمْ كَخَيْفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم ، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضهم بعضا . ذكر من قال ذلك

حدثت عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : في الآلهة ، وفيه يقول : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضهم بعضا . وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم ، أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضهم بعضا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال قال : أبو مجلز : إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك ، وليس له ذلك ، كذلك الله لا شريك له .

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك : القول الثاني ، لأنه أشبههما بما دل عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين ، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم في عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده ، وعيرهم بفعالهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما حولناكم من نعمنا ، فهم سواء ، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذى هو بينكم وبينهم ، كخيفة بعضهم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة ، فالخيفة التى ذكرها تعالى ذكره ، بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذى بينهما إياه ، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ، لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الورثة ، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة .

وقوله ( كَذَلِكَ نُنْصَلُّ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ) يقول تعالى ذكره : كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على إنشاء ما نشاء ، وإفناء ما نحب ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه ، ودلنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار ، الذى بيده ملكوت كل شيء ، كذلك نبين حججنا في كل حق لقوم يعقلون ، فيتدبرونها إذا سمعوها ، ويعتبرون فيتعظون بها .

القول في تأويل قوله تعالى

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ؟ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩)

يقول تعالى ذكره : ما ذلك كذلك ، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان ، لأن لهم

شركا فيما رزقهم الله من ملك أيانهم ، فهم وعبيدهم فيه سواء ، يخافون أن يقاسمهم ما هم شركاؤهم فيه ، فرضوا الله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم ، فأشركوهم في عبادته ، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ، اتبعوا أهواءهم ، جهلا منهم لحق الله عليهم ، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته ( قَسَنَ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ) يقول : فمن يسدّد للصواب من الطرق ، يعنى بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ؟ ( وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ) يقول : وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه ، فينقدونه من الضلال الذى يتبليه به تعالى ذكره .

### القول فى تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : فسدّد وجهك نحو الوجه الذى وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته ، وهى الدين ، حنيفا ، يقول : مستقيا لدينه وطاعته ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، يقول : صنعة الله التى خلق الناس عليها ، ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ) وذلك أن معنى ذلك : فطر الله الناس على ذلك فطرة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) قال : الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعا ، يقرّون بذلك ، وقرأ ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ) قالوا بلى شهدنا ) قال : فهذا قول الله ( كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ) بعد .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فِطْرَةَ اللَّهِ ) قال : الإسلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبي صالح ، عن يزيد بن أبي مرزوم ، قال : مرّ عمر بمعاذ بن جبل ، فقال : ما قوام هذه الأمة ؟ قال معاذ : ثلاث ، وهنّ المنجيات : الإخلاص ، وهو الفطرة ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) . والصلاة ؛ وهى الملة . والطاعة ؛ وهى العصمة ، فقال عمر : صدقت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا أيوب ، عن أبي قلابة أن عمر قال لمعاذ : ما قوام هذه الأمة ؟ ثم ذكر نحوه .



وقوله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) يقول : لا تغيير لدين الله ، أى لا يصلح ذلك ، ولا ينبغي أن يفعل .  
 واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدينه .  
 حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى  
 عكرمة يسأله عن قول الله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) : إنما هو الدين ، وقرأ ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) ،  
 ذلك الدين القسيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن حسين بن واقد ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة :  
 ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) قال : الإسلام .

قال : ثنا أبي ، عن نضر بن عربي ، عن عكرمة ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .  
 قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي ، عن عبد الجبار بن الورد ، عن القاسم بن أبي بزّة ، قال : قال مجاهد ، فسل عنها  
 عكرمة ، فسألته ، فقال عكرمة : دين الله تعالى ماله أخزاه الله ، ألم يسمع إلى قوله ( فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي  
 فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ) لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) : أى لدين الله .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن عكرمة ، قال : لدين الله .  
 قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال سعيد بن جبّير ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال :  
 لدين الله .

قال : ثنا المحاربي ، عن جوير ، عن الضحاک ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ )  
 قال : دين الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن مسعر وسفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن إبراهيم ، قال ( لا تَبْدِيلَ  
 لَخَلْقِ اللَّهِ ) قال : لدين الله .

قال : ثنا أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : لدين الله .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تغيير لخلق الله من البهائم ، بأن يُخصى الفحول منها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن رجل ، سأل ابن عباس ، عن خصاء  
 البهائم ، فكرهه ، وقال ( لا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ) .

قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، قال : قال عكرمة : الإخضاء .

قال : ثنا حفص بن غياث ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : الإخضاء .

وقوله ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ ) يقول تعالى ذكره : إن إقامتك وجهك للدين حنيفا غير مغير ولا مبدل هو الدين القيم ، يعنى المستقيم ، الذى لا عوج فيه عن الاستقامة ، من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية ، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثه .

وقد وجه بعضهم معنى الدين فى هذا الموضع إلى الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو ليلى ، عن بريدة ( ذَلِكَ الدِّينُ الْقَسِيمُ ) قال : الحساب القيم ( رَلَكَيْنِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذى أمرتك يا محمد به بقولى ( فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ) : هو الدين الحق ، دون سائر الأديان غيره .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ( مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) : نائبين راجعين إلى الله مقبلين .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ) قال : المنيب إلى الله : المطيع لله ، الذى أناب إلى طاعة الله وأمره ، ورجع عن الأمور التى كان عليها قبل ذلك . كان القوم كفارا ، فترعوا ورجعوا إلى الإسلام .

وتأويل الكلام : فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفا ، ( منيبين إليه ) : إلى الله ، فالمنيبون حال من الكاف التى فى وجهك .

فإن قال قائل : وكيف يكون حالا منها ، والكاف كناية عن واحد ، والمنيبون صفة لجماعة ؟ قيل : لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله فى هذا الموضع ، أمر منه له ولأمته ، فكأنه قيل له : فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفا لله ، منيبين إليه .

وقوله ( وَاتَّقُوهُ ) يقول جل ثناؤه : وخافوا الله وراقبوه أن تفرطوا فى طاعته ، وتركبوا معصيته . ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) : يقول : ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه ، وركوبكم معاصيته ، وخلافكم الدين الذى دعاكم إليه .

وقوله ( مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) يقول : ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم ، وخالفوه ففارقوا ( وَكَانُوا شِيَعًا ) : يقول : وكانوا أحزابا ، فرقا كاليهود والنصارى .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) : وهم اليهود والنصارى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ) . إلى آخر الآية ، قال : هؤلاء يهود ، فلو وجه قوله ( مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَنَهُمْ ) إلى أنه خير مستأنف منقطع عن قوله ( وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ، وأن معناه : من الذين فرقوا دِيَنَهُمْ . ( وَكَانُوا شِيَعًا ) أحزابا ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) كان وجهها يحتمله الكلام . وقوله ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) يقول : كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فرقوا دينهم الحق ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ، بما لديهم فرحون : يقول : بما هم به متمسكون من المذهب ، فرحون مسرورون ، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : وإذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله لها آخر ، ضر ، فأصابهم شدة وجذب وقحوط ( دَعَوْا رَبَّهُمْ ) يقول : أخلصوا لربهم التوحيد ، وأفردوه بالدعاء والتضرع إليه ، واستغاثوا به منيبين إليه ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ( ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً ) يقول : ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر ، وفرجهم عنهم ، وأصابهم رخاء وخصب وسعة ، إذا فريق منهم : يقول : إذا جماعة منهم بربهم يشركون ، يقول : يعبدون معه الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ، فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤)

يقول تعالى ذكره متوعدا هؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضر عنهم كفروا به ، ليكفروا بما أعطيناهم ، يقول : إذا هم بربهم يشركون ، كفى يكفروا : أى يجحدوا النعمة التي أنعمنا عليهم ، بكشف الضر الذي كانوا فيه ، وإبدالى ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية ، وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره ، الذي قال بما آتيناهم . وقوله ( فَتَمَتَّعُوا ) يقول : فتمتعوا أيها القوم بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا ( فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ) إذا وردتم على ربكم ، ماتلقون من عذابه ، وعظيم عقابه ، على كفركم به في الدنيا . وقد قرأ بعضهم ( فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ) بالياء ، بمعنى : ليكفروا بما آتيناهم ، فقد تمتعوا على وجه الخبر ، فسوف يعلمون .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا ، فَهَوَ يَتَّكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون فى عبادتنا الآلهة والأوثان ، كتابا بتصديق ما يقولون ، وبحقيقة ما يفعلون ( فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ) يقول : فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم ، وإنما يعنى جل ثناؤه بذلك : أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابا ، ولا أرسل به رسولا ، وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه ، اتباعا منهم لأهوائهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون ) يقول : أم أنزلنا عليهم كتابا فهو ينطق بشركهم .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ، وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء ، وعافية فى الأبدان والأموال ، فرحوا بذلك ، وإن تصيبهم منا شدة من جذب وقحط وبلاء فى الأموال والأبدان ( بما قدمت أيديهم ) يقول : بما أسلفوا من سبب الأعمال بينهم وبين الله ، وركبوا من المعاصى ( إذا هم يقنطون ) يقول : إذا هم يياسون من الفرج ، والقنوط : هو الإياس ، ومنه قول حميد الأرقط :

قَدَّ وَجَدُوا الْحَجَّاجَ غَيْرَ قَانِطٍ ۱

وقوله ( إذا هم يقنطون ) هو جواب الجزاء ، لأن إذا نابت عن الفعل بدلالها عليه ، فكأنه قيل : وإن تصيبهم سيئة بما قدمت أيديهم وجدتهم يقنطون ، أو تجدهم ، أو رأيتهم ، أو تراهم . وقد كان بعض نحوي البصرة يقول : إذا كانت « إذا » جوابا لأنها متعلقة بالكلام الأول بمنزلة الفاء .

## القول فى تأويل قوله تعالى

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧)

(١) البيت لحميد الأرقط ( مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٨ ب ) قال : « إذا هم يقنطون » : أى ييسون ، قال حميد الأرقط « قد وجدوا . . . البيت » . وفى ( اللسان : قنط ) : القنوط : اليأس . وفى التهذيب اليأس من الخير . وقيل : أشد اليأس من الشيء . وقنط يقنط ويقنط ( كضرب ونصر ) وقنط قنطا ( كعقب ) فهو قنط ، وقرئ : ولا تكن من القنطين . وأما قنط يقنط ( بالفتح فهما ) وقنط يقنط ( بالكسر فهما ) فإنما هو على الجمع بين القنطين ، كما قاله الأخفش .

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء بصيبيهم والخصب ، ويأسون من الفرج عند شدة تنالهم ، يعيون قلوبهم ، فيعلموا أن الشدة والرخاء بيد الله ، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ، فيوسعه عليه ، ويقدر على من أراد ، فيضيقه عليه ( إن في ذلك آياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ) يقول : إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه ، وقدره على من قدره عليه ، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر ، للدلالة ، واضحة لمن صدق حجج الله ، وأقر بها إذا عاينها ورآها .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَنَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ،  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبر ، والمسكين وابن السبيل ، ما فرض الله لهما في ذلك .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن ( فَنَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ) قال : هو أن توفيهم حقهم إن كان عندك يسر ، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولاً ميسوراً ، قل لهم الخير .

وقوله ( ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : إيتاء هؤلاء حقوقهم التي أزمها الله عباده ، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك ( وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يقول : ومن يفعل ذلك مبتغياً وجه الله به ، فأولئك هم المنجحون ، المدركون طلباتهم عند الله ، الفائزون بما ابتغوا والتسوا بإتيانهم إياهم ما آتوا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ  
تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)

يقول تعالى ذكره : وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضاً من عطية ، لتزداد في أموال الناس ، برجوع ثوابها إليه ، ممن أعطاه ذلك ، فلا يربو عند الله ، يقول : فلا يزداد ذلك عند الله ، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغياً به وجهه . ( وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ ) يقول : وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ، فأولئك ، يعني الذين يتصدقون بأموالهم ملتجئين بذلك وجه الله هم ، المضعفون ، يقول : هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب من قول العرب : أصبح القوم مُسْتَمِينِينَ مُعْطِشِينَ ، إذا سميت إيلهم وعطشت .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ ) قال : هو ما يعطى الناس بينهم بعضهم بعضا ، يعطى الرجل الرجل العطية ، يريد أن يعطى أكثر منها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببر ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : هو الرجل يعطى الرجل العطية ليثيبه . قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببر ، مثله .

حدثنا ابن ربيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور بن صفية ، عن سعيد بن جببر ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ ) قال : الرجل يُعْطَى لِيثَابِ عَلَيْهِ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : الهدايا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : هي الهدايا . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : يُعْطَى ماله يبتغى أفضل منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : هو الرجل يُهْدَى إِلَى الرجل الهدية ، ليثيبه أفضل منها .

قال : ثنا محمد بن حميد المعمرى ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه : هو الرجل يعطى العطية ويهدى الهدية ، ليثاب أفضل من ذلك ، ليس فيه أجر ولا وزر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ ) قال : ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا ، ومجازاة الناس ، ذلك الربا الذى لا يقبله الله ، ولا يجزى به .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون ، يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها ، وهذا للناس عامة .

وأما قوله ( وَلَا تَمْنُنَ تَسْتَكْثِرُ ) فهذا للنبي خاصة ، لم يكن له أن يعطى إلا الله ، ولم يكن يعطى ليعطى أكثر منه .

وقال آخرون : إنما عنى بهذا الرجل : يعطى ماله الرجل ليعينه بنفسه ، ويخدمه ويعود عليه نفعه ، لالطلب أجر من الله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ومحمد بن فضيل ، عن زكريا ، عن عامر ، ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : هو الرجل يلترق بالرجل ، فيخيف له ويخدمه ، ويسافر معه ، فيجعل له ربح بعض ماله ، ليجزيه ، وإنما أعطاه التماس عونه ، ولم يرد وجه الله .  
وقال آخرون : هو إعطاء الرجل ماله ، ليكثر به مال ؟ من أعطاه ذلك ، لا طلب ثواب الله :

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي حصين ، عن ابن عباس ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) قال : ألم تر إلى الرجل يقول للرجل : لأموالك ، فيعطيه ، فهذا لا يربو عند الله ، لأنه يعطيه لغير الله ، ليشترى ماله .

قال : ثنا عمرو بن عبد الحميد الأملي ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ) ، قَلَّا يَتْرَبُو عِنْدَ اللَّهِ ) قال : كان هذا في الجاهلية يعطى أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله .  
وقال آخرون : ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، وأما لغيره فحلال .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي رواد ، عن الضحاک ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَتْرَبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ قَلَّا يَتْرَبُوَ عِنْدَ اللَّهِ ) هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، هذا الربا الحلال .  
وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة : ( لِيَتْرَبُو ) بفتح الياء من يربو ، بمعنى : وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس . وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة ( لِيَتْرَبُوْا ) بالتاء من تربوا وضمها ، بمعنى : وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس .  
والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار مع تقارب معنيهما ، لأن أرباب المال إذا أربوا ربا المال ، وإذا ربا المال فباربأ أربابه إياه ربأ . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءتين قرأ القارئ فصيب .

وأما قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) قال : هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها ، وأكثر من ذلك .

حُدِّثَتْ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، قَوْلُهُ ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ) قَالَ : هِيَ الْهَبَةُ ، يَهَبُ الشَّيْءُ ، يَرِيدُ أَنْ يُثَابَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ مِنْهُ ، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ، لَا يُؤَجَّرُ فِيهِ صَاحِبُهُ ، وَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ ) قَالَ : هِيَ الصَّدَقَةُ ، تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ) قَالَ مَعْمَرٌ ، قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، مِثْلَ ذَلِكَ .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شَرِّكُمْ مَن يَفْعَلُ  
مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ سَبَّحْنَاهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

يقول تعالى ذكره للمشركين به ، معترفهم قبح فعلهم ، وخبث صنيعهم : الله أيها القوم الذى لا تصلح العبادة إلا له ، ولا ينبغي أن تكون لغيره ، هو الذى خلقكم ولم تكونوا شيئا ، ثم رزقكم وخولكم ، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك ، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء ، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ) للبعث بعد الموت .

وقوله ( هَلْ مِنْ شَرِّكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ ) يقول تعالى ذكره : هل من آلهتكم وأوثانكم التى تجعلونهم لله فى عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شىء ، فيخلق أو يرزق ، أو يميت ، أو ينشر ؟ وهذا من الله تقربيع هؤلاء المشركين . وإنما معنى الكلام : أن شركاءهم لا تفعل شيئا من ذلك ، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئا من ذلك ؟ ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن القرية التى افتراها هؤلاء المشركون عليه ، بزعمهم أن آلهتهم له شركاء ، فقال جل ثناؤه سبحانه : أى تنزيها لله وتبرئة ( وَتَعَالَى ) يقول : وعلوا له ( عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يقول : عن شرك هؤلاء المشركين به . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَلْ مِنْ شَرِّكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَيْءٌ ) لا والله ( سَبَّحْنَاهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ) يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ، لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)



يقول تعالى ذكره : ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه .  
واختلف أهل التأويل في المراد من قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) فقال بعضهم : عني بالبرّ :  
القلوات ، وبالبحر : الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عَثَمٌ ، قال : ثنا النضر بن عربيّ ، عن مجاهد ( وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى  
فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ) . . . الآية ، قال : إذا ولي سعى بالتعدّي والظلم ، فيحبس الله القطر ،  
( قَيْهَلِكِ الْحَرِّ وَالنَّسْلِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ) قال : ثم قرأ مجاهد ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) . . . الآية ، قال : ثم قال : أما والله ما هو بحرٌكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن النضر بن عربيّ ، عن عكرمة ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ )  
قال : أمّا إني لأقول بحرٌكم هذا ، ولكن كل قرية على ماء جار .  
قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن عمرو بن قُروخ ، عن حبيب بن الزبير ، عن عكرمة ( ظَهَرَ الْفَسَادُ  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) قال : إن العرب تسمى الأمصار بحرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : هذا قبل أن يبعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، امتلأت ضلالة  
وظلما ، فلما بعث الله نبيه ، رجع راجعون من الناس :

قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) أما البرّ فأهل العمود ، وأما البحر فأهل القُرى والريف .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) قال : الذنوب ، وقرأ ( لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن الحسن ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ ) بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : أفسداهم الله بذنوبهم ، في بحر الأرض وبرها ، بأعمالهم الخبيثة .  
وقال آخرون : بل عني بالبرّ : ظهر الأرض ، الأمصار وغيرها ، وبالبحر البحر المعروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) :  
قال : في البرّ : ابن آدم الذي قتل أخاه ، وفي البحر : الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا .  
حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر : يعني ابن عُلَيْبَةَ ، قال : سمعت ابن أبي نجيح ، يقول في قوله  
( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) قال : بقتل ابن آدم ، والذي كان يأخذ  
كل سفينة غصبا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية ( ظَهَرَ الْفَسَادُ  
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ) قال : قلت : هذا البرّ والبحر أي فساد فيه ؟ قال : فقال : إذا قلّ المطر ، قلّ الغوُص .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ ) قال : قتل ابن آدم أخاه ، والبحر : قال أخذ الملك السفن غصبا .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن الله تعالى ذكره ، أخبر أن الفساد قد ظهر في البر والبحر عند العرب في الأرض القفار ، والبحر بحران : بحر ملح ، وبحر عذب ، فهما جميعا عندهم بحر ، ولم يخص جلا ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر ، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر ، عذبا كان أو ملحا . وإذا كان ذلك كذلك ، دخل القرى التي على الأنهار والبحار .

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت ، ظهرت معاصي الله في كل مكان ، من بر وبحر ( بما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ) : أي بذنوب الناس ، وانتشر الظلم فيهما .

وقوله ( وَلِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا ) يقول جلا ثناؤه : ليصيبيهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا ، ومعصيتهم التي عصوا ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يقول : كي ينيبوا إلى الحق ، ويرجعوا إلى التوبة ، ويتركوا معاصي الله .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أشعث ، عن الحسن ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون . قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يوم بدر ، لعلهم يتوبون .

قال : ثنا أبو أسامة ، عن زائدة ، عن منصور عن إبراهيم ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : إلى الحق . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) : لعل راجعا أن يرجع ، لعل تابيا أن يتوب ، لعل مستعيبا أن يستعيب . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قررة ، عن الحسن ، ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يرجع من بعدهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( لِيُذِيقَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( لِيُذِيقَهُمْ ) بالياء ، بمعنى : ليذيقهم الله بعض الذي عملوا ، وذكر أن أبا عبد الرحمن السلمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ: سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ

مُشْرِكِينَ (٤٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك : سيروا في البلاد ، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم ، وكذبوا رسالته ، كيف كان آخر أمرهم ، وعاقبة تكذيبهم رسول الله وكفرهم ، ألم نهلكهم بعذاب منا ، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم ، كان أكثرهم مشركين يقول : فعملنا ذلك بهم ، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : فوجه وجهك يا محمد نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك (للدِّينِ الْقَاسِمِ) لطاعة ربك ، والميلة المستقيمة التي لا عوجاج فيها عن الحق (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ) . يقول تعالى ذكره : من قبل مجيء يوم من أيام الله ، لا مرد له لحبيته ، لأن الله قد قضى بحبيته ، فهو لا محالة جاء (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يوم يجيء ذلك اليوم يصدع الناس ، يقول : يتفرق الناس فرقتين ، من قوهم : صدعت الغنم صدعتين : إذا فرقها فرقتين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير . وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ) الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ ، يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) يقول : يتفرقون .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (يَصَّدَّعُونَ) قال : يتفرقون إلى الجنة ، وإلى النار .

## القول في تأويل قوله تعالى

مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمْسُهُمْ يَمَّهُدُونَ (٤٤)

يقول تعالى ذكره : من كفر بالله ، فعليه أوزار كفره ، وآثام جحوده نعيم ربه ، (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا) : يقول : ومن أطاع الله ، فعمل بما أمره به في الدنيا ، وانتهى عما نهاه عنه فيها (فَلَا نَفْسٍ يَمْسُهُمْ يَمَّهُدُونَ) يقول : فلا نفسهم يستعدون ، ويسوون المضجع ، ليسلموا من عقاب ربهم ، وينجوا من عذابه ، كما قال الشاعر :  
أَمَّهُدْ لِنَفْسِكَ حَانَ السَّقْمُ وَالتَّلْفُ وَلَا تُضَيِّعَنَّ نَفْسًا مَا كَلَّمَا خَلَفًا !

(١) البيت لسليمان بن يزيد المدوني (مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٨٩ - ١) قال في تفسير قوله تعالى : « فلا نفسهم يمهدون » : (من (بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنين والجمع . ومجازها هنا مجاز الجميع . ويمهد : أي يكسب ويعمل ويستعد . قال سليمان بن يزيد =

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **فِيْلًا تَنْفُسِيْمٌ** ) **يَمْهَدُوْنَ** ) قال : **يُسَوُّوْنَ** المضاجع .

حدثنا ابن المنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلاءي ، قالوا : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **فِيْلًا تَنْفُسِيْمٌ** ) **يَمْهَدُوْنَ** ) قال : فى القبر .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( **فِيْلًا تَنْفُسِيْمٌ** ) **يَمْهَدُوْنَ** ) قال : للقبر .

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، قال : سمعت مجاهدا يقول : فى قوله ( **فِيْلًا تَنْفُسِيْمٌ** ) **يَمْهَدُوْنَ** ) قال : فى القبر .

القول فى تأويل قوله تعالى

**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)**

يقول تعالى ذكره : ( **يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا** ) بالله ورسوله ( **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ) يقول : وعملوا بما أمرهم الله ( **مِنْ فَضْلِهِ** ) الذى وعد من أطاعه فى الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ( **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ) يقول تعالى ذكره : إنما خص بجزائه من فضله ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله ، إنه لا يحب أهل الكفر به . واستأنف الخبر بقوله ( **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ) وفيه المعنى الذى وصفت .

القول فى تأويل قوله تعالى

**وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ، وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦)**

يقول تعالى ذكره : ومن آياته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كل شىء ( **أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ** ) بالغيث والرحمة . ( **وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ** ) يقول : ولينزل عليكم من رحمته ، وهى الغيث الذى يحيى به البلاد . ولتجرى السفن فى البحار بها بأمره إياها . ( **وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ** ) يقول : ولتلتمسوا من أرزاقه ومعاشكم التى قسمها بينكم ( **وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ) يقول : ولتشكروا ربكم على ذلك ، أرسل هذه الرياح مبشرات :

= العدى : « امهد لنفسك . . . البيت » وحان : قرب . والتلف : الموت . وفى اللسان : ( مهد ) : مهد لنفسه يمهد مهذا ( كفتح ) : كسب وعمل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الرِّيحُ مُبَشِّرَاتٌ ) قال : بالمطر . وقالوا في قوله ( وَلَيُبَدِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) مثل الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَيُبَدِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) قال : المطر . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَيُبَدِّقَنَّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ) : المطر .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، فَأَتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ،  
وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

يقول تعالى ذكره مسلينا نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيما يلقي من قومه من الأذى فيه ، بما ليتى من قبله من رسله من قومهم ، ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم ، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم ، وفي أممهم ، ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلا إلى قومهم الكفرة ، كما أرسلناك إلى قومك العابدى الأوثان من دون الله ( فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ) يعنى : بالواضحات من الحجج على صدقهم ، وأنهم لله رسل ، كما جئت أنت قومك بالبينات ، فكذبوهم كما كذبتك قومك ، وردوا عليهم ما جاءهم به من عند الله ، كما ردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ( فَأَتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ) يقول : فانتقمنا من الذين أجمعوا الآثام ، واكتسبوا السيئات من قومهم ، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرى قومك . ( وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ) : يقول ونجينا الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله ، إذ جاءهم بأسنا ، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك ( وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ) على الكافرين ، ونحن ناصروك ومن آمن بك على من كفر بك ، ومظفروك بهم .

القول في تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ، فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ، فَتَرَى  
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨)

يقول تعالى ذكره : الله يرسل الرياح فتثير سحابا ، يقول : فتنشئ الرياح سحابا ، وهى جمع سحابة ، ( فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ) : يقول : فينشره الله ، ويجمعه في السماء كيف يشاء : وقال : فيبسطة ، فوحد

الهاء ، وأُخرج مخرج كناية المذكر ، والسحاب جمع كما وصفت ، ردّاً على لفظ السحاب ، لاعلى معناه ، كما يقال : هذا تمر جيد .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ( فَيَبَسُّطُهُ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَيَبَسُّطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ) ويجمعه . وقوله ( وَيَجْعَلُهُ كَيْسَفًا ) : يقول : ويجعل السحاب قطعاً متفرقة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَجْعَلُهُ كَيْسَفًا ) : أى قطعاً .

وقوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ ) يعنى : المطر . ( يَخْرُجُ مِنْ خِيَالِهِ ) : يعنى : من بين السحاب .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِيَالِهِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن قطن ، عن حبيب ، عن عبيد بن عمير ( يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَشِيرُ

سحاباً ) قال : الرياح أربع : يبعث الله ريحاً ، فتقم الأرض قمماً ، ثم يبعث الله الثانية فتشير سحاباً ، فيجعله فى السماء كَيْسَفًا ، ثم يبعث الله الرياح الثالثة ، فتؤلف بينه فيجعله ركاماً ، ثم يبعث الرياح الرابعة فتمطر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( فَتَرَى الْوَدْقَ ) قال : القطر .

وقوله ( فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ) يقول : فإذا صرف ذلك

الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه ، رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٤٩)

يقول تعالى ذكره : وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده ، من قبل أن يُنزل عليهم هذا الغيث ، من قبل هذا الغيث ( لمبلسين ) : يقول : لمكتئبين حزينين ، باحتباسه عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَّلَ

عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ) : أى قانطين .

واختلف أهل العربية فى وجه تكرير من قبله ، وقد تقدم قبل ذلك قوله ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَّلَ

عَلَيْهِمْ ) فقال بعض نحوئى البصرة : ردّ من قبله على التوكيد نحو قوله ( فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ) وقال غيره : ليس ذلك كذلك ، لأن مع ( مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ ) حرفاً ليس مع

الثانية ، قال : فكانه قال : من قبل التنزيل ، من قبل المطر ، فقد اختلفنا ، وأما ( كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ) : وكسّد بأجمعين ،

لأن كلا يكون اسماً ويكون توكيداً ، وهو قوله أجمعون . والقول عندى فى قوله ( مِنْ قَبْلِهِ ) على

وجه التوكيد .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَأَنْظِرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؟ إِنَّ ذَلِكَ لَمَحْيِ الْمَوْتَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

اختلفت القراء في قوله ( فانظرُ إلى آثارِ رحمةِ الله ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( إلى أثرِ رحمةِ الله ) على التوحيد ، بمعنى : فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده ، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( فانظرُ إلى آثارِ رحمةِ الله ) على الجماع ، بمعنى : فانظر إلى آثار الغيث الذي أصاب الله به من أصاب ، كيف يحيي الأرض بعد موتها .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها ، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به ، وإذا أحياها الغيث ، فإن الله هو الحي به ، فبأى القراءتين قرأ القارى فصيح . فتأويل الكلام إذن : فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب ، كيف يحيي بها الأرض الميتة ، فينبئها ويعشها ، من بعد موتها ودثورها ، إن ذلك يحيي الموتى . يقول جل ذكره : إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث ، يحيي الموتى من بعد موتهم ، وهو على كل شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير ، لا يعجز عنه شيء أرادته ، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١)

يقول تعالى ذكره : ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبت الغيث الذي أنزلناه من السماء ، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضهم ، وأعشبت ونبتت به زروعهم ، ما أنبتته أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفرا ، قد فسد بتلك الرياح التي أرسلناها ، فصار من بعد خضرته مصفرا ، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به ، يكفرون بربهم .

## القول في تأويل قوله تعالى

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَوْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ  
الْعُمِّيِّ عَنِ ضَلَلَّتِهِمْ، إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِثَائِنَا، فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣)

يقول تعالى ذكره ( فإنك ) يا محمد ( لا تسمع الموتى ) ويقول : لا تجعل لهم أسماعا يفهمون بها عنك ما تقول لهم ، وإنما هذا مثل معناه : فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم ، فسلبهم فهم ما يتلى عليهم من مواضع تنزيله ، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم : الله أسماعهم ، بأن تجعل لهم أسماعا .

وقوله ( وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ) يقول : وكما لا تقدر أن تسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء ، إذا هم وآتوا عنك مدبرين ، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه ، لسماع ذلك وفهمه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ) : هذا مثل ضربه الله للكافر ، فكما لا يسمع الميت الدعاء ، كذلك لا يسمع الكافر ( وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ ) إذا وآتوا مدبرين ) يقول : لو أن أصمّ ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع ، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع .

وقوله ( وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيَّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : وما أنت يا محمد بمسدّد من أمماه الله عن الاستقامة ، وحقّجة الحقّ ، فلم يوفقه لإصابة الرشّد ، فصارفه عن ضلالته التى هو عليها ، وركوبه الجائر من الطرق ، إلى سبيل الرشاد ، يقول : ليس ذلك بيدك ولا إليك ، ولا يقدر على ذلك أحد غيرى ، لأنى القادر على كل شيء . وقيل : بهادى العمى عن ضلالهم ، ولم يقل : من ضلالهم . لأن معنى الكلام ما وصفت ، من أنه : وما أنت بصارفهم عنه ، فحمل على المعنى . ولو قيل : من ضلالهم كان صواباً . وكان معناه : ما أنت بما نعيمهم من ضلالهم .

وقوله ( إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ) يقول تعالى ذكره لنبىه : ما تسمع السماع الذى ينتفع به سامعه فيعقله ، إلا من يؤمن بآياتنا ، لأن الذى يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبّره وفهمه وعقله ، وعمل بما فيه ، وانتهى إلى حدود الله ، الذى حدّ فيه ، فهو الذى يسمع السماع النافع .  
وقوله ( فَهُمْ مُسْلِمُونَ ) يقول : فهم خاضعون لله بطاعته ، متذللون لمواعظ كتابه .

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤)

يقول تعالى ذكره هؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركى قريش ، محتجا عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء . ( اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ) أيها الناس ( مِنْ ضَعْفٍ ) يقول : من نُطْفَةٍ وماء مهين ، فأنشأكم بشراً سوياً ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ) يقول : ثم جعل لكم قوّة على التصرف ، من بعد خلقه إياكم من ضعف ، ومن بعد ضعفكم ، بالصغر والطفولة ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ) يقول : ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء فى شبابكم وشيبة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ) أى من نطفة ( ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا ) المرم ( وَشَيْبَةً ) الشَّمَط . وقوله ( يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره : يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشباب وشيب ( وَهُوَ الْعَلِيمُ ) بتدبير خلقه ( الْقَدِيرُ ) على ما يشاء ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، فكما فعل هذه الأشياء ، فكذلك يبيت خلقه ويحييهم إذا شاء . يقول : واعلموا أن الذى فعل هذه الأفعال بقدرته يحيى الموتى إذا شاء .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)

يقول تعالى ذكره : ويوم تجيء ساعة البعث ، فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون ، وهم الذين كانوا يكفرون بالله فى الدنيا ، ويكتسبون فيها الآثام ، وإقسامهم : حلفهم بالله . ( مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ) : يقول : يقسمون بأنهم لم يلبثوا فى قبورهم غير ساعة واحدة ، يقول الله جل ثناؤه : كذلك فى الدنيا كانوا يُؤْفَكُونَ : يقول : كذبوا فى قلوبهم وقسمتهم ما لبثنا غير ساعة ، كما كانوا فى الدنيا يكذبون ويخلفون على الكذب وهم يعلمون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ) أى يكذبون فى الدنيا ، وإنما يعنى بقوله ( يُؤْفَكُونَ ) عن الصدق ، ويصدون عنه إلى الكذب .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ، لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ، فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦)

كان قتادة يقول : هذا من المقدم الذى معناه التأخير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ) قال : هذا من مقادير الكلام . وتأويلها : وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم : لقد لبثتم فى كتاب الله .<sup>١</sup> وذكر عن ابن جرير أنه كان يقول : معنى ذلك : وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله ، والإيمان بالله وكتابه .

(١) فى فتح القدير للشوكاني : ( ٤ : ٢٢٤ ) قال الواحدي : والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير ، على تقدير : وقال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله . وهذا غير ما قدره قتادة فى حديثه الذى رواه المؤلف هنا .

وقوله ( فِي كِتَابِ اللَّهِ ) يقول : فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ( فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ) يقول : فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ( وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون ، وأنكم مبعوثون من بعد الموت ، فلذلك كنتم تكذبون .

القول في تأويل قوله تعالى

فِيَوْمٍ مِّثْلَ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧)

يقول تعالى ذكره : فيوم يبعثون من قبورهم ( لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ ) يعنى المكذبين بالبعث في الدنيا ( معذرتهم ) : وهو قولهم : ما علمنا أنه يكون ، ولا أنا نُبعث ( وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ) يقول : ولا هؤلاء الظلمة يُستترجعون يومئذ عما كانوا يكذبون به في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا :  
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)

يقول تعالى ذكره : ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجا عليهم ، وتنبها لهم على وحدانية الله . وقوله ( وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ ) يقول : ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية : يقول : بدلالة على صدق ما تقول ( لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ) يقول : ليقولن الذين جحدوا رسالتك ، وأنكروا نبوتك ، إن أنتم أيها المصدقون محمدا فيما أتاكم به ( إلا مبطلون ) فيما تجيئوننا به من هذه الأمور .

القول في تأويل قوله تعالى

كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)

يقول تعالى ذكره : كذلك يطعم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله ، من هذه العبر والعظات ، والآيات البيِّنات ، فلا يفقهون عن الله حجة ، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آى كتابه ، فهم لذلك في طغيانهم يترددون .

القول في تأويل قوله تعالى

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، وَلَا يَسْتَخِفِّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

يقول تعالى ذكره : فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم ، وبلغهم رسالة ربك ، فإن وعد الله الذى وعدك ، من النصر عليهم ، والظفر بهم ، وتمكينك وتمكين أصحابك وتبأعك في الأرض ، حق . ( وَلَا يَسْتَخِفِّكَ )

الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ) يقول : ولا يستخفنَ حلمك وأيك ، هؤلاء المشركون بالله ، الذين لا يوقنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالبعث بعد الممات ، فيثبطوك عن أمر الله ، والنفوذ لما كلفك من تبليغهم رسالته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن علي بن ربيعة ، أن رجلا من الخوارج ، قرأ خلف علي رضي الله عنه ( لَيْتَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) فقال علي ( فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زُرعة ، عن علي بن ربيعة ، قال : نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه ، وهو في صلاة الفجر ، فقال ( وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة ( فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) قال : قال رجل من الخوارج خلف علي في صلاة الغداة ( وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) . فأنصت له علي رضي الله عنه ، حتى فهم ما قال ، فأجابه وهو في الصلاة : ( فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخيفنك الذين لا يوقنون ) .

آخر تفسير سورة الروم

### تفسير سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يَقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

وقد تقدم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره ( الم ) . وقوله ( تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ) : يقول جل ثناؤه : هذه آيات الكتاب الحكيم بيانا وتفصيلا . وقوله ( هُدًى وَرَحْمَةً ) يقول : هذه آيات الكتاب بيانا ورحمة من الله ، رحم به من اتبعه ، وعمل به من خلقه ، وبنصب الهدى والرحمة على النقط من آيات الكتاب قرأت قرآء الأمصار غير حمزة ، فإنه قرأ ذلك رفعا ، على وجه الاستئناف ، إذ كان منقطعا عن الآية التي قبلها ، بأنه ابتداء آية ، وأنه مدح . والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف ، وقع موقع الحال ، إذا كان فيه معنى مدح أو ذم . وكلتا القراءتين : صواب عندي ، وإن كنت إلى النصب أميل ، لكثرة القراء به .

وقوله (للمُحْسِنِينَ) وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن ، يقول تعالى ذكره : هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا ، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه (الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللَّهَ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يقول: الذين يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) مَنْ جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ ، المفروضة في أموالهم : (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم يجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون .

القول في تأويل قوله تعالى

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين رصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) : يقول : وهؤلاء هم المنشجحون المدركون ما رَجَّوْا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ،  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّبِينٌ (٦)

يختلف أهل التأويل ، في تأويل قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) فقال بعضهم : من يشتري الشراء المعروف بالتمن ، ورووا بذلك خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن خلاد الصقفار ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَاتِ ، وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَلَا التَّجَارَةُ فِيهِنَّ ، وَلَا أُمَّتُهُنَّ ، وَفِيهِنَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن خلاد الصقفار ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، إلا أنه قال « أَكُلُّ مُتَمَسِّهِنَّ حَرَامٌ » وقال أيضا : « وَفِيهِنَّ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) » .

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سليمان بن حيان ، عن عمرو ابن قيس الكلبي ، عن أبي المهلب ، عن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة . قال : وثنا إسماعيل بن عبيد الله بن زحَر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لَا يَحِلُّ تَعْلِيمُ الْمُغَنِّيَاتِ ، وَلَا بَيْعُهُنَّ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ ، وَتَمَسُّهُنَّ حَرَامٌ ، وَقَدْ نَزَلَ تَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ » .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : من يختار هو الحديث ويستحبه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى  
كُفُورَ الْخَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) والله لعله أن لا ينفق فيه مالا ، ولكن اشتراؤه :  
استحبابه ، يحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينعف .

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا ابن شوذب ، عن مطر ،  
في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ الْخَدِيثِ ) قال : اشتراؤه : استحبابه .

وأولى التأويلين عندي بالصواب : تأويل من قال : معناه : الشراء ، الذي هو بائع ، وذلك أن ذلك  
هو أظهر معنييه .

فان قال قائل : وكيف يشتري هو الحديث ؟ قيل : يشتري ذات هو الحديث ، أو ذا هو الحديث ،  
فيكون مشتريا هو الحديث .

وأما الحديث ، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو الغناء والاستماع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يزيد بن يونس ، عن أبي صخر ،  
عن أبي معاوية البجلي ، عن سعيد بن جبيرة ، عن أبي الصهباء البكري ، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو  
يسئل عن هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ الْخَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ )  
فقال عبد الله : الغناء ، والذي لا إله إلا هو ، يردّها ثلاث مرّات .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : أخبرنا حميد الخراط ، عن عمار ، عن سعيد  
ابن جبيرة ، عن أبي الصهباء ، أنه سأل ابن مسعود ، عن قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ  
الْخَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا علي بن عابس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ( وَمِنَ  
النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ الْخَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عمران بن عينة ، قال : ثنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبيرة ،  
عن ابن عباس ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ الْخَدِيثِ ) قال : الغناء وأشباهه .

حدثنا ابن وكيع ، والفضل بن الصباح ، قالوا : ثنا محمد بن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة  
عن ابن عباس ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْتَرَى كُفُورَ الْخَدِيثِ ) قال : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبيرة  
عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي ، قال : ثنا عبید الله ، قال : ثنا ابن أبي ليلى ، عن الحكمم ،

(١) أبو الصهباء « كما في خلاصة الخزرجي » : هو صهيب الهاشمي ، عن مولاة ابن عباس ، وعمل ، وابن مسعود . ولم يقل في

نسبه البكري . وهناك صهيب المسكي أبو موسى الخذاء ، ولم يكن بأبي الصهباء .

عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : هو الغناء والاستماع له ، يعنى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) .

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا سفيان ، عن قابوس بن أنى ظبيان ، عن أبيه ، عن جابر ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغناء والاستماع له .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى ، عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم أو مقسم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : شراء المغنية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص والمخاربي ، عن ليث ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : الغناء . حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) قال : باطل الحديث : هو الغناء ونحوه .

حدثنا ابن بشارو ابن المننى ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن الحكم عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنى ، عن سفيان ، عن حبيب عن مجاهد قال : الغناء .

قال : ثنا أنى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعى ، عن سفيان ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغناء ، وكل لعب هو .

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطى ، قال : ثنا على بن حفص الهمداني ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء والاستماع له ، وكل هو . حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : المغنى والمغنية بالمال الكثير ، أو استماع إليه ، أو إلى مثله من الباطل .

حدثنى يعقوب وابن وكيع ، قال : ثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : هو الغناء أو الغناء منه ، أو الاستماع له .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثام بن على ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن شعيب بن يسار ، عن عكرمة قال ( لَهْوَ الْحَدِيثِ ) : الغناء .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهبلي ، قال : ثنا عثمان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة ، عن عبيد مثله .

حدثنا الحسين بن الزبير بن النخعي ، قال : ثنا أبو أسامة وعبيد الله ، عن أسامة ، عن عكرمة ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) قال : الغناء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، قال : الغناء . وقال آخرون : عنى باللهو : الطبل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا حجاج الأعمش ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : اللهو : الطبل . وقال آخرون : عنى باللهو الحديث : الشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ) يعنى الشرك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ) قال : هؤلاء أهل الكفر ، ألا ترى إلى قوله ( وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَتلى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَانَ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ) فليس هكذا أهل الإسلام ، قال : وناس يقولون : هي فيكم ، وليس كذلك ، قال : وهو الحديث الباطل الذي كانوا يكتفون فيه .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى به كل ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسوله ، لأن الله تعالى عمّ بقوله ( لَهْوَ الْحَدِيثِ ) ولم يخص بعضا دون بعض ، فذلك على عمومته ، حتى يأتي ما يدل على خصوصه ، والغناء والشرك من ذلك .

وقوله ( لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) يقول : ليصد ذلك الذى يشتري من هو الحديث عن دين الله وطاعته ، وما يقرب إليه من قراءة قرآن ، وذكر الله .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ) قال : سبيل الله : قراءة القرآن ، وذكر الله إذا ذكره ، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية .

وقوله ( بِغَيْرِ عِلْمٍ ) يقول : فعل ما فعل من اشتراه هو الحديث ، جهلا منه بما له في العاقبة عند الله من

وزر ذلك وإثمه . وقوله (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة (وَيَتَّخِذُهَا) رفعا ، عطفًا به على قوله (يَشْتَرِي) كأن معناه عندهم : ومن الناس من يشتري هو الحديث ، ويتخذ آيات الله هزوا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (وَيَتَّخِذَهَا) نصبًا عطفًا على يضل ، بمعنى : ليضل عن سبيل الله ، وليتخذها هزواً .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في آء الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى ، فصيب الصواب في قراءته ، والهاء والألف في قوله (وَيَتَّخِذَهَا) من ذكر سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) قال : سبيل الله . وقال آخرون : بل ذلك من ذكر آيات الكتاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : يحسب المرء من الضلالة ، أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع . (وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا) يستهزئ بها ويكذب بها . وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربيهما منها ، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب ، واتخاذ ذلك هزواً هو استهزؤه به .

وقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون هو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ، لهم يوم القيامة عذاب مُدَلٍّ مخزٍ في نار جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ، فَبَشَّرَهُ

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)

يقول تعالى ذكره : وإذا تلى على هذا الذى اشترى هو الحديث للإضلال عن سبيل الله ، آيات كتاب الله ، فقرئت عليه (وآيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا) يقول : أدبر عنها ، واستكبر استكبارا ، وأعرض عن سماع الحق والإجابة عنه (كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ، كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) يقول : ثقلا ، فلا يطيق من أجله سماعه .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا) قال : ثقلا . وقوله (فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) : يقول تعالى ذكره : فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تليت عليه استكبارا بعذاب له من الله يوم القيامة مَوْجِع ، وذلك عذاب النار .



## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَلِدِينَ فِيهَا، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا،

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)

يقول تعالى ذكره: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله فوحدوه، وصدقوا رسوله واتبعوه (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ): يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه (لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ) يقول هؤلاء بساتين النعيم (خَالِدِينَ فِيهَا): يقول: ما كئبن فيها إلى غير نهاية (وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا): يقول: وعدهم الله وعدا حقا، لاشك فيه، ولا خلف له (وَهُوَ الْعَزِيزُ): يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادقين عن سيئه، (الْحَكِيمُ) في تدبير خلقه.

## القول في تأويل قوله تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه (خَلَقَ السَّمَوَاتِ) السبع (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا)، وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا.

وقد حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن عمران بن حدير، عن عكرمة، عن ابن عباس: (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لعلها بعمد لا ترونها.

وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، قال: إنها بعمد لا ترونها.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلها بعمد لا ترونها.

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا محمد، عن سماك، عن عكرمة في هذا الحرف: (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: ترونها بغير عمد، وهي بعمد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: قال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد.

وقال ابن عباس (بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) قال: لها عمد لا ترونها.

وقوله (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي،

وهى ثوابت الجبال . ( أن تميد بكم ) ، أن لا تميد بكم ، يقول : أن لا تضطرب بكم ، ولا تتحرك بمئة ولا بسرة ، ولكن تستقر بكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وألقى في الأرض رواسي ) : أى جبالا ( أن تميد بكم ) أثبتنا بالجبال ، ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقتنا ، وذلك كما قال الراجز :  
والمهترُ يأتي أن يزال ملهبا

بمعنى : لا يزال .

وقوله ( وبث فيها من كل دابة ) يقول : وفرق في الأرض من كل أنواع الدواب . وقيل : الدواب اسم لكل ما أكل وشرب ، وهو عندى لكل مادب على الأرض . وقوله ( وأنزلنا من السماء ماء ، فأنبثنا فيها من كل زوج كريم ) : يقول تعالى ذكره : وأنزلنا من السماء مطرا ، فأنبثنا بذلك المطر في الأرض من كل زوج ، يعنى : من كل نوع من النبات كريم ، وهو الحسن النبتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( من كل زوج كريم ) : أى حسن .

القول فى تأويل قوله تعالى

هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى عددت عليكم أيها الناس أنى خلقته فى هذه الآية ، خلق الله الذى له الوهة كل شىء ، وعبادة كل خلق ، الذى لا تصلح العبادة لغيره ، ولا تنبغى لشىء سواه ، فأرونى أيها المشركون فى عبادتكم إياه ، من دونه من الآلهة والأوثان ، أى شىء خلق الذين من دونه ، من آلهتكم وأصنامكم ، حتى استحققت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه ، كما استحق ذلك عليكم خالقكم ، وخالق هذه الأشياء التى عدتها عليكم :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا خَلَقُ اللَّهِ ) ما ذكر من خلق السموات والأرض ، وما بث من الدواب ، وما أثبت من كل زوج كريم ، ( فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ) الأصنام الذين تدعون من دونه .

وقوله ( بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ) يقول تعالى ذكره : ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئا ، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم ، وذهابهم عن سبيل الحق ، فهم ( فى ضلال ) : يقول : فهم فى جور عن الحق ، وذهاب عن الاستقامة ( مبين ) : يقول : يسبين لمن تأمله ، ونظر فيه ، وفكّر بعقل ، أنه ضلال لا هدى .

(١) آية من شواهد القراءة فى معانى القرآن ( الورقة ٢٥١ ) . قال عند تفسير قوله تعالى : « وألقى فى الأرض رواسي أن تميد بكم » : « لئلا تميد بكم ، و ( أن ) فى هذا الموضع تكفى من ( لا ) كما قال الشاعر : « والمهر يأتي أن يزال ملهبا » . معناه : يأتي أن لا يزال . اهـ

القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ، وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين ، والعقل ، والإصابة في القول .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نبوة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) أي الفقه في الإسلام ، قال قتادة : ولم يكن نبيا ، ولم يوح إليه .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : الحكمة : الصواب ، وقال غير أبي بشر : الصواب في غير النبوة .  
حدثنا ابن المنني ، ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال : كان لقمان رجلا صالحا ، ولم يكن نبيا .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي وابن حميد ، قالوا : ثنا حكام ، عن سعيد الزبيدي ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، قاضيا على بني إسرائيل :  
حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن مجاهد ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، عظيم الشفتين ، مُشَقَّقُ القدمين .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا سليمان بن بلال ، قال : ثنا يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : كان لقمان الحكيم أسود من السودان مصر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا .

حدثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي ، قال : ثنا الأوزاعي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن حرملة ، قال : جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل ، فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم ، كان أسود نوبيا ذا مشافر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي الأشهب ، عن خالد الربيعي ، قال : كان لقمان عبدا حبشيا

نجارا ، فقال له مولاة : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، قال : أخرج أطيّب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال : أخرج أحبّ مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاة : أمرتك أن تخرج أطيّب مضغتين فيها فأخرجتهما ، وأمرتك أن تخرج أحبّ مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال له لقمان : إنه ليس من شيء أطيّب منهما إذا طابا ، ولا أحبّ منهما إذا خبثا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : كان لقمان عبدا أسود ، غليظ الشفتين ، مصفح القدمين ، فأناه رجل ، وهو في مجلس أناس يحدثهم ، فقال له : ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قال : فما بلغ بك ما أرى ؟ قال : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعينى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ) قال : القرآن .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : الحكمة : الأمانة .  
وقال آخرون : كان نبيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة ، قال : كان لقمان نبيا .  
وقوله ( أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ) : يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا لقمان الحكمة ، أن احمد الله على ما آتاك من فضله ، وجعل قوله ( أَنْ اشْكُرْ ) ترجمة عن الحكمة ، لأن من الحكمة التي كان أوتيتها ، كان شكره الله على ما آتاه . وقوله ( وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ) يقول : ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه ، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب ، ويتقذه به من الهلكة ( وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ) يقول : ومن كفر نعمة الله عليه ، إلى نفسه أساء ، لأن الله معاقبه على كفرانه إياه ، والله غنى عن شكره إياه على نعمه ، لاحتاجة به إليه ، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه ، ولا ينقص كفرانه إياه من ملكه . ويعنى بقوله ( حميدٌ ) محمود على كل حال ، له الحمد على نعمه ، كفر العبد نعمته أو شكره عليها ، وهو مصروف من مفعول إلى فاعيل .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد ( إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) يقول : لخطأ من القول عظيم .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ، حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ، وَفِصْلَهُ فِي عَمَّيْنِ : أَنْ أَشْكُرَ لِي  
وَلِوَالِدَيْكَ ، إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)

يقول تعالى ذكره : وأمرنا الإنسان ببرّ والديه (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) يقول : ضعفا على ضعف ، وشدة على شدة ، ومنه قول زهير :

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلِ وَأَهْنٍ خَلَقِي لَوْ كَانَ قَوْمُكَ فِي أَسْبَابِهِ هَلَكُوا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أنهم اختلفوا في المعنى بذلك ، فقال بعضهم : عنى به الحمل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) يقول : شدة بعد شدة ، وخلقاً بعد خلق .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله (وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) يقول : ضعفا على ضعف .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) أي جهدا على جهد .

وقال آخرون : بل عنى به : وهن الولد وضعفه على ضعف الأم .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ) قال : وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى (مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطلق السقا ، طبعة الخليلي ص ٢٥٤) . وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب ، قال :

هَلَّا سَأَلْتَنِي الصَّيْدَاءِ كَلِّهِمْ بِأَيِّ حَبْلِ جِوَارٍ كُنْتُ أُمْتَسِكُ

ومنى بيت الشاهد : هو حبل شديد محكم ، فن تمسك به نجما ، وليس بحبل ضعيف من تعلق به هلك . قالوا : وكان الحارث ابن ورقاء الصيداوي من بني أسد ، أغار على بني عبد الله بن غطفان ، فغمم ، واستاق إبل زهير وراعيه يسارا ، فخاطبه زهير بهذه القصيدة ، وذكره بأنه كان في عهده وجواره ، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي ، فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو ما يفضحه في أحياء العرب . وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى : « وهنا على وهن » : أي ضعفا إلى ضعفها . واستشهد بالبيت . اهـ . وفيه : الواهي بمعنى الضعيف .

وقوله ( وَفِصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ ) يقول : وفِطامه في انقضاء عامين . وقيل : ( وَفِصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ ) وترك ذكر انقضاء ، اكتفاء بدلالة الكلام عليه ، كما قيل ( وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ) يراد به أهل القرية . وقوله ( أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ) يقول : وعهدنا إليه أن اشكر لى على نعمى عليك ، ولوالديك تربيتهما إياك ، وعلاجهما فيك ما عاجلنا من المشقة ، حتى استحکم قواك . وقوله ( إِلَى الْمَصِيرِ ) يقول : إلى الله مصيرك أيها الإنسان ، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك ، وعما كان من شكرك لوالديك ، وبرك بهما ، على ما لقينا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك ، وما اصطنعنا إليك في برهما بك ، وتحننهما عليك .

وذكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه .

ذكر الرواية الواردة في ذلك

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، قال : حلفت أم سعد أن لا تأكل ولا تشرب ، حتى يتحول سعد عن دينه ، قال : فأبى عليها ، فلم تزل كذلك حتى غشي عليها ، قال : فأتاها بنوها فسقوها ، قال : فلما أفاقت دعت الله عليه ، فنزلت هذه الآية : ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ) . . . إلى قوله ( فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك بن حرب ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : قالت أم سعد لسعد : أليس الله قد أمر بالبر ، فوالله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا ، حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهها بعضا ، ثم أوجروها ، فنزلت هذه الآية ( وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سماك بن حرب ، قال : قال سعد بن مالك : نزلت في ( وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) قال : لما أسلمت ، حلفت أمى لا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا ، قال : فناشدتها أول يوم ، فأبت وصبرت ، فلما كان اليوم الثاني ناشدتها ، فأبت ، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت ، فقلت : والله لو كانت لك مئة نفس ، لخرجت قبل أن أدع ديني هذا ، فلما رأته ذلك ، وعرفت أنى لست فاعلا ، أكلت .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت أبا هبيرة يقول : قال : نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص ( وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ،  
وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري ، مما لا تعلم أنه لي شريك ، ولا شريك له تعالى ذكره علواً كبيراً ، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي ، ( وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) يقول : وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما ، فيما لا تتبعه عليك فيه ، فيما بينك وبين ربك ولا إثم . وقوله ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) يقول : واسلك طريق من تاب من شركه ، ورجع إلى الإسلام ، واتبع محمداً صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ) : أي من أقبل إلى .  
وقوله ( إِلَى مَرَجِعِكُمُ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) : فإن إلى مصيركم ومعادكم بعد مماتكم ، فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشر ، ثم أجازيكم على أعمالكم ، المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

فإن قال لنا قائل : ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه ؟ قيل ذلك أيضا ، وإن كان خيرا من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به ، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه ، فكان معنى الكلام ( وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ) ولا تطع في الشرك به والدبك ( وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ) فإن الله وصى بهما ، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله ، وفيه هذا المعنى ، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته .

القول في تأويل قوله تعالى

يٰٓأَيُّهَا إِنَّمَا إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)

اختلف أهل العربية في معنى الماء والألف اللتين في قوله ( إِنَّمَا ) فقال بعض نحوِّي البصرة : ذلك كناية عن المعصية والخطيئة . ومعنى الكلام عنده : يا بني إن المعصية إن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، أو إن الخطيئة . وقال بعض نحوِّي الكوفة : وهذه الماء عماد . وقال : أنت تَكُ ، لأنه يراد بها الحبة ، فذهب بالتأنيث إليها ، كما قال الشاعر :

وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ  
كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنْ الدَّمِ ١

(١) البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٢٣ ) وهو من قصيدة يهجو بها عمير ابن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر ، ليهاجيه . ورقم البيت (٣٤) ومعنى تشرق : تفس ، وصدر القناة : علاها . والقناة : الرمح . اهـ . وفي «فرائد القلائد» شرح مختصر الشواهد المعنى . قال : والشاهد في شرفت حيث أنت مع أن فاعله مذكر وهو الصدر والقياس شرق ، ولكن لما كان الصدر الذي هو مضاف بعض المضاف إليه أعطى له حكمه . اهـ .

وقال صاحب هذه المقالة : يجوز نصب المثقال ورفعه ، قال : فمن رفعه بترك ، واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها ، ومن نصب جعل في تكن اسما مضمرًا مجهولًا ، مثل الماء التي في قوله ( إِنَّهَا إِنْ تَكُ ) قال : ومثله قوله ( فَلِئِنَّهَا لَآتَعْمَى الْأَبْصَارُ ) قال : ولو كان إن يك مثقال حبة كان صوابًا ، وجاز فيه الوجهان . وأما صاحب المقالة الأولى ، فإن نصب مثقال في قوله ، على أنه خبر ، وتمام كان ، وقال : رفع بعضهم فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر .

وأولى القولين بالصواب عندى ، القول الثانى ، لأن الله تعالى ذكره ، لم يبعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم ، فيقال : إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت بها الله ، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما . فإذا كان ذلك كذلك ، كانت الماء في قوله ( إِنَّهَا ) بأن تكون عمادا أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية . وأما النصب في المثقال ، فعلى أن في « تك » مجهولًا ، والرفع فيه على أن الخبر مضمر ، كأنه قيل : إن تك في موضع مثقال حبة ، لأن التكرات تضمّر أخبارها ، ثم يترجم عن المكان الذى فيه مثقال الحبة .

وعنى بقوله ( مِثْقَالِ حَبَّةٍ ) : زينة حبة . فتأويل الكلام إذن : إن الأمر إن تك زينة حبة من خردل من خير أو شر عملته ، فتكن في صحرة ، أو في السموات ، أو في الأرض ، يأت بها الله يوم القيامة ، حتى يوفيك جزاءه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَا بُتَى إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَيْرٍ دَلَّ ) من خير أو شر .  
واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( فَتَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ ) فقال بعضهم : عنى بها الصحرة التى عليها الأرض ، وذلك قول روى عن ابن عباس وغيره ، وقالوا : هى صحرة خضراء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عبد الله بن الحارث ، قال : الصحرة خضراء على ظهر حوت .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن عبد الله ، وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « خلق الله الأرض على حوت ، والحوت : هو النون الذى ذكر الله فى القرآن ( ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ) ، والحوت فى الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والمملك على صحرة ، والصحرة فى الريح ، وهى الصحرة التى ذكر لقمان ليست فى السماء ، ولا فى الأرض . »



وقال آخرون : عنى بها الجبال ، قالوا : ومعنى الكلام : فتكن في جبل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ ) : أى جبل وقوله ( يَا أَيُّهَا اللَّهُ ) كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله ، ولا أعرف يأتي به ، بمعنى يعلمه ، إلا أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان ، إنما وصف الله بذلك ، لأن الله يعلم أماكنه ، لا يخفى عليه مكان شيء ، منه ، فيكون وجهها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ويحيى ، قالوا : ثنا أبو سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ( فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ ، أَوْ فِي الْأَرْضِ يَا أَيُّهَا اللَّهُ ) قال : يعلمها الله . حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك ، مثله . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ) يقول : إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير ، بموضعها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ) : أى لطيف باستخراجها ، خبير بمسقرها .

القول في تأويل قوله تعالى

يَبْنِيْ أَيْمِ الصَّلَاةِ . وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧)

يقول تعالى ذكره مخبرا عن أئمة لقمان لابنه : ( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ) بحدودها ( وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ) : يقول : وأمر الناس بطاعة الله ، واتباع أمره ( وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول : وأنه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه ( وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ) يقول : واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله ، إذا أنت أمرتهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، ولا يصدتلك عن ذلك ما نالك منهم . ( إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ) : يقول : إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزمها منه .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ )

المُنْكَرِ ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ) قال : اصبر على ما أصابك من الأذى فى ذلك . ( إنَّ ذلكَ مِن عَزْمِ الأُمُورِ ) قال : إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور ، يقول : مما أمر الله به من الأمور .

#### القول فى تأويل قول تعالى

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)

اختلفت القراء فى قراءة قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ ) فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين ( وَلَا تُصَعِّرْ ) على مثال « تُفَعِّلْ » . وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة ( وَلَا تُصَاعِرْ ) على مثال « تُفَاعِلْ » .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارى فصيىب . وتأويل الكلام : ولا تُعْرِضْ بوجهك عن كلمته ، تكبرا واستحقارا لمن تكلمه ، وأصل الصَّعَّرَ : داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها ، حتى تَلْفَيْتْ أعناقها عن رءوسها ، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس ، ومنه قول عمرو بن خُصَيْبٍ التَّغْلِبِيّ :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّما

واختلف أهل التأويل فى تأويله ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : ولا تكبر ، فتحقير عباد الله ، وتُعْرِضُ عنهم بوجهك إذا كلموك .

(١) البيت لعمرو بن حنى ( بالنون ) التغلبى ( معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ) وهو فارس جاهل مذكور ، يقول فى قتلهم عمرو بن هند ، على رواية محمد بن داود :

نُعَاطِي المُلُوكَ الحَقَّ مَا قَصَدُوا بِنَا      وَلَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمَحْرَمٍ  
أَنْفَتُ لَهُمْ مِنْ عَقْلِ عَمْرُو بْنِ مَرْثَدٍ      إِذَا وَرَدُوا مَاءَ وَرْمُحِ بْنِ هَرْمَمٍ  
وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ      أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّما

قال : يريد : فتقوم أنت . وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التى أولها :

يُعَيْرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَنْ تَرَى      أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بَأْنَ بِتَكْرَمًا

وبعد البيت ، وآخره : « أقمنا له من ميله فتقوما » . وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبى . وقال أبو عبيدة فى تفسيره قوله تعالى « ولا تصعر خدك للناس » : مجازه : لا تقلب وجهك ، ولا تعرض بوجهك فى ناحية ، من الكبر ؛ ومنه الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها ، حتى يلفت أعناقها عن رءوسها . وقال عمرو بن حنى التغلبى : « وكنا . . . فتقوما » . ونسب البيت فى ( اللسان صعر ) للمتلمس جرير بن عبد المسيح . قال : الصعر : ميل فى الوجه . وقيل : الصعر : ميل فى الخد خاصة . وربما كان خلقة فى الإنسان والظلم . وقيل : هو ميل فى العنق ، وانقلاب فى الوجه إلى أحد الشقين . وقد صعر خده وصاعره : أماله من الكبر ، قال المتلمس : وكنا . . . فتقوما » . يقول : إذا أمال متكبر خده أذلتناه حتى يتقوم ميله . اهـ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تُصَعِّرْ ) قال : الصدود والإعراض بالوجه عن الناس .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن جعفر بن برقان ، عن يزيد في هذه الآية : ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : إذا كلمك الإنسان لتويت وجهك ، وأعرضت عنه محقرة له .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان الرقي ، عن جعفر بن ميمون بن مهران ، قال : هو الرجل يكلم الرجل ، فيلوي وجهه .

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود ، قال : ثنا محمد بن ربيعة ، قال : ثنا أبو مكي ، عن عكرمة ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : لا تعرض بوجهك .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) يقول : لا تعرض عن الناس ، يقول : أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : تصعير الخد : التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي مكي ، عن عكرمة ، قال : الإعراض .  
وقال آخرون : إنما ناه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر ، لاعلى وجه التكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة ، فيراه فيعرض عنه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ) قال : هو الرجل بينه وبين أخيه حنة ، فيعرض عنه .  
وقال آخرون : هو التشديق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن جعفر الرازي ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قال : هو التشديق

أو التشديق « الطبري يشك » .

حدثنا يحيى بن طلحة ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم بمنله .

وقوله (وَلَا تَمْسُرْ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا) يقول : ولا تمش في الأرض مختالا .  
 كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، يقول  
 في قوله (وَلَا تَمْسُرْ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا) يقول : بالخيلاء .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا تَمْسُرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا  
 تَمْسُرْ فِي الْأَرْضِ مَرَّحًا ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال : نهاه عن التكبر ، قوله (إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر ذى فخر .  
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
 الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) قال :  
 متكبر . وقوله : فخور : قال : يعدد ما أعطى الله ، وهو لا يشكر الله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)

يقول : وتواضع في مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ، ولكن اتند .  
 وينحى الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، غير أن منهم من قال : أمره بالتواضع في مشيه ، ومنهم  
 من قال : أمره بترك السرعة فيه .

ذكر من قال : أمره بالتواضع في مشيه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد (وَأَقْصِدْ  
 فِي مَشْيِكَ) قال : التواضع .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : نهاه  
 عن الخيلاء .

ذكر من قال : نهاه عن السرعة

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عبد الله بن عقبة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، في قوله  
 (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) قال : من السرعة .  
 قوله (وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ) يقول : واخفض من صوتك ، فاجعله قصدا إذا تكلمت .  
 كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ) قال :  
 أمره بالاعتصاف في صوته .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَاعْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ)  
 قال : اخفض من صوتك .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) فقال بعضهم : معناه : إن أقيح الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالوا : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة وأبان بن تغلب ، قالوا : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) قال : إن أقيح الأصوات ( **لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) أي أقيح الأصوات لصوت الحمير ، أوله زفير ، وآخره شهيق ، أمره بالاعتصام في صوته .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقول : ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) صوت الحمير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن أشر الأصوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن يحيى بن واضح ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة والحكم بن عتيبة ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ** ) قال : أشر الأصوات .  
قال جابر : وقال الحسن بن مسلم : أشد الأصوات .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) قال : لو كان رفع الصوت هو خيرا ما جعله للحمير .  
وقوله وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : إن أقيح أو أشر الأصوات ، وذلك نظير قولهم : إذا رأوا وجهها قبيحا ، أو منظرا شديعا : ما أنكر وجه فلان ، وما أنكر منظره .  
وأما قوله ( **لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ) فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة ، فإن ذلك لوجهين إن شئت ، قلت : الصوت بمعنى الجمع ، كما قيل ( **لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ** ) وإن شئت قلت : معنى الحمير : معنى الواحد ، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدي عما يؤدي عنه الجمع .

القول في تأويل قوله تعالى

**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٢٠)**

يقول تعالى ذكره ( **أَلَمْ تَرَوْا** ) أيها الناس ( **أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ** ) من شمس وقمر ونجم وسحاب ( **وَمَا فِي الْأَرْضِ** ) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع ، يجري ذلك كله

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : أي أقيح الأصوات صوت الخ .

لمنافعكم ومصالحكم ، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذكم ، تمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعة ،  
( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ )  
على الواحدة ، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام ، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلا الله . وقرأته عامة قراء المدينة  
والبصرة ( نِعْمَهُ ) على الجماع ، ووجهوا معنى ذلك ، إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد، مما فى السموات  
والأرض ، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله ( شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ ) قالوا : فهذا جمع النعم .  
والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار، متقاربتا المعنى ، وذلك أن  
النعمة قد تكون بمعنى الواحدة ، ومعنى الجماع ، وقد يدخل فى الجماع الواحدة . وقد قال جل ثناؤه  
( وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ) فمعلوم أنه لم يُعَنَّ بِذَلِكَ نعمة واحدة . وقال فى موضع آخر : ولم  
يك من المشركين ، شاكرًا لِأَنْعُمِهِ ، فجمعها ، فبأى القراءتين قرأ القارئ ذلك فصيب .

ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد ، وفسره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا مستور الهناتى ،  
عن حميد الأعرج ، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) ،  
وفسرها الإسلام .

حدثت عن القراء ، قال : ثنا شريك بن عبد الله ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه  
قرأ ( نِعْمَةً ) واحدة . قال : ولو كانت نعمه ، لكانت نعمة دون نعمة ، أو نعمة فوق نعمة « الشك »  
من القراء .

حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حميد ، قال : قرأ مجاهد ( وَأَسْبَغَ  
عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : كان يقول : هى لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ( وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَتَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، قال : لا إله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن عيسى ، عن قيس ، عن ابن عباس  
( نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ) قال : لا إله إلا الله . وقوله ( ظَاهِرَةً ) يقول : ظاهرة على الألسن قولاً، وعلى  
الأبدان وجوارح الجسد عملاً . وقوله ( وَبَاطِنَةً ) يقول : وباطنة فى القلوب اعتقاداً ومعرفة .

وقوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ) يقول تعالى ذكره : ومن الناس

من يخاصم في توحيد الله ، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم ( ولا هُدَى ) : يقول : ولا بيان بين به صحة ما يقول ( وَلَا كِتَابٍ مُّسْتَبِيرٍ ) يقول : ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى ، بين حقيقة دعواه : كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّسْتَبِيرٍ ) ليس معه من الله برهان ولا كتاب .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١)

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله ، جهلا منهم بعظمة الله ، اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله ، وصدقوا به ، فإنه يتفرق بين الحق منا والمبطل ، ويفصل بين الضال والمهتدي ، فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان ، فإنهم كانوا أهل حق ، قال الله تعالى ذكره ( أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم ، واتباعهم إياه على ضلالهم ، وكفرهم بالله ، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ( إلى عَذَابِ السَّعِيرِ ) يعني : عذاب النار التي تتسعر وتلتهب .

## القول في تأويل قوله تعالى

\* وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ، وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : ومن يعبد وجهه متذللا بالعبودة ، مقرأ له بالألوهة ( وَهُوَ مُحْسِنٌ ) يقول : وهو مطيع لله في أمره ونهيه ( فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ) يقول : فقد تمسك بالطرف الأوثق ، الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به ، وهذا مثل ، وإنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن ، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن أبي السوءاء ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد ابن جبیر ، عن ابن عباس ( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ) قال : لاله إلا الله .

وقوله ( وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول : وإلى الله مرجع عاقبة كل أمر : خيره وشره ، وهو المسائل أهله عنه ، ومجازيهم عليه .

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ، إِيَّانَا مَرْجِعُهُمْ فَتُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) تُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإن مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجزيهم عليها جزاءهم (إن الله عليمٌ بذات الصدور) يقول: إن الله ذو علم بما تكتنه صدورهم من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان: وقوله (تُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا) يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلاً قليلاً يتمتعون فيها (ثم نضطرهم إلى عذابٍ غليظٍ) يقول: ثم نوردهم على كفره منهم عذاباً غليظاً، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرب منها.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦)

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك (من خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ اللهُ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) يقول تعالى ذكره لبيبه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذى خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئاً وهم يخلقون، ثم قال تعالى ذكره (بل أكثرهم لا يعلمون): يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذى له الحمد، وأين موضع الشكر. وقوله (الله ما فى السموات والأرض) يقول تعالى ذكره: الله كل ما فى السموات والأرض من شيء، ملكا كانا ما كان ذلك الشيء، من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد (إن الله هو الغنى الحميد) يقول: إن الله هو الغنى عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه، لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه، الحميد، يعنى الممود على نعمه التى أنعمها على خلقه.

## القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها برئت أقلاماً (والبحر يمدُّهُ) يقول: والبحر مداد، والهاء فى قوله (يمدُّهُ) عائدة على البحر. وقوله (من بعده سبعة أبحور) ما نفدت



كَلِمَاتُ اللَّهِ ) وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام ، وبذلك المداد ، لتكسرت تلك الأقلام ، ولنقد ذلك المداد ، ولم تنقد كلمات الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عثية ، عن أبي رجاء ، قال : سألت الحسن عن هذه الآية ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) قال : لو جعل شجر الأرض أقلاما ، وجعل البحر مدادا ، وقال الله : إن من أمرى كذا ، ومن أمرى كذا ، لنفد ماء البحور ، وتكسرت الأقلام .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، في قوله ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) قال : لو بُرِيَتْ أقلاما والبحر مدادا ، فكتب بتلك الأقلام منه ( ما نَقِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ) ولو مدّه سبعة أبحر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ) ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَمْجُرٍ مَا نَقِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ) قال : قال المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينقد ، قال : لو كان شجر البر أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب مجادلة كانت من اليهود له .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنى رجل من أهل مكة ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس « أن أحبار يهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة : يا محمد أريت قوله ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) إيانا تريد أم قومك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُلا ، فقالوا : ألسنت تلو فيما جاءك : أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما في علم الله قليل ، وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ ، فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَمْجُرٍ مَا نَقِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ) : أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنى ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) فقالوا : تزعم أنم نؤت من العلم إلا قليلا ، وقد أوتينا التوراة ، وهي الحكمة ( وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ) قال : فنزلت ( وَكَوْنُ أَنْ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَمْجُرٍ مَا نَقِدَتْ كَلِمَاتُ

الله) قال : ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة ، فهو كثير طيب ، وهو في علم الله قليل . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار ، قال : لما نزلت بمكة ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) يعنى اليهود ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أتاه أحبار يهود ، فقالوا : يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول ( وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) أفتعنيننا أم قومك ؟ قال : كَلَّا قَدْ عَنَيْتُ ، قالوا : فإنك تلو : أنا قد أوتينا التوراة ، وفيها تبيان كل شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هِيَ فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ ، وَقَدْ آتَاكُمْ اللَّهُ مَا إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٌ ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ) . . . إلى قوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ ) فقراءته عامة قراء المدينة والكرفة والبحر رفعا على الابتداء ، وقراءته قراء البصرة نصبا ، عطفًا به على « ما » في قوله ( وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ وَبَاتِيهَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَصِيبٌ عِنْدِي . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) يقول : إن الله ذو عزة في انتقامه ممن أشرك به ، وادعى معه إلها غيره ، حكيم في تدبيره خلقه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨)

يقول تعالى ذكره : ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ، وذلك أن الله لا يتعذر عليه شيء أراد ، ولا يمتنع منه شيء شاءه ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) فواء خلق واحد وبعثه ، وخلق الجميع وبعثهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) يقول : كن فيكون ، للقليل والكثير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ) قال : يقول : إنما خلق الله الناس كلهم وبعثهم كخلق نفس واحدة وبعثها ، وإنما صلح أن يقال : إلا كنفس واحدة ، والمعنى : إلا كخلق نفس واحدة ، لأن المحذوف فعل يدل عليه قوله ( مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ ) والعرب تفعل ذلك في المصادر ، ومنه قول الله ( تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) والمعنى : كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت .

وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم ، من ادعائهم له الشركاء والأنداد ، وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال ، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩)

يقول تعالى ذكره ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد بعينك ( أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ) يقول : يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) يقول : يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات الليل .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ) نقصان الليل في زيادة النهار ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) نقصان النهار في زيادة الليل . وقوله ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ، كُلَّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول تعالى ذكره : وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم ، كل يجرى : يقول : كل ذلك يجرى بأمره إلى وقت معلوم ، وأجل محدود ، إذا بلغه كورت الشمس والقمر . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرَى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول : لذلك كله وقت ، وحد معلوم ، لا يجاوزه ولا يعدوه . وقوله ( وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ) يقول : وأن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شر ذوخبرة وعلم ، لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيكم على جميع ذلك . وخرج هذا الكلام خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعنى به المشركون ، وذلك أنه تعالى ذكره ، نبه بقوله ( أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) على موضع حجته من جهيل عظمته ، وأشرك في عبادته معه غيره ، يدل على ذلك قوله ( ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ) .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

يقول تعالى ذكره : هذا الذى أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل فى النهار ، والنهار فى الليل ، وغير ذلك من عظيم قدرته ، إنما فعله بأنه الله حقاً ، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به ، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه ، ولا تصلح الألوهة إلا لمن فعل ذلك بقدرته .

وقوله ( وَأَنْ مَّا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ) يقول تعالى ذكره : وبأن الذى يدعونه هؤلاء المشركون من دون الله ، الباطل الذى يضمحل ، فيبيد ويفنى ( وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ) يقول تعالى ذكره : وبأن الله هو العلى ، يقول : ذوالعلو على كل شيء ، وكل ما دونه فله متذلل منقاد ، الكبير الذى كل شيء دونه ، فله متصاغر .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ، لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد أن السفن تجرى فى البحر نعمة من الله على خلقه ( لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ) يقول : ليرىكم من عبده وحججه عليكم ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) يقول : إن فى جرى الفلك فى البحر دلالة على أن الله الذى أجراها هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ( لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) يقول : لكل من صبر نفسه عن محارم الله ، وشكره على نعمه فلم يكفره .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مُطَرِّفٌ يقول : إن من أحب عباد الله إليه : الصبار الشكور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : الصبر نصف الإيمان ، والشكر نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله ، ألم تر إلى قوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ - إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ - ) .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ) قال : الصبر : نصف الإيمان ، واليقين : الإيمان كله .

إن قال قائل : وكيف خص هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور ، دون سائر الخلق ؟ قيل : لأن الصبر والشكر من أفعال ذوى الحجج والعقول ، فأخبر إن فى ذلك لآيات لكل ذى عقل ، لأن الآيات جعلها الله عبيراً لذوى العقول والتمييز .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ، فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)

يقول تعالى ذكره : وإذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر ، إذا ركبوا في الفلك ، موج كالظلل ، وهي جمع ظلّة ، شبه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء ؛ قال نابغة بنى جعدة في صفة بحر :

بِمَاشِيهِمْ أَخْضَرُ ذُو ظِلَالٍ عَلَى حَافَتِهِ فِلْتَقِ الدَّنَانِ ١

وشبه الموج وهو واحد بالظل ، وهي جمع ، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء ، ويركب بعضه بعضا كهيئة الظل ، وقوله ( دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ) يقول تعالى ذكره : وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل ، فخافوا الغرق ، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة ، لا يشركون به هنالك شيئا ، ولا يدعون معه أحدا سواه ، ولا يستغيثون بغيره . قوله ( فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ) مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك ، إلى البرِّ ( فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ) يقول : فهم مقتصد في قوله ، وإقراره بربه ، وهو مع ذلك مضمّر الكفر به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحديثي الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ) قال : المقتصد في القول وهو كافر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ) قال : المقتصد : الذي على صلاح من الأمر .

وقوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) يقول تعالى ذكره : وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلا كل غدّار بعده ، والختار عند العرب : أقبح الغدر ؛ ومنه قول عمرو بن معدى كرب :  
وَأِنَّكَ لَوَ رَأَيْتَ أَبَا عَمْسِيرٍ مَلَأَتْ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَسْرٍ ؟  
وقوله ( كَفُورٍ ) يعني : جحودا للنعم ، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة .  
وبنحو الذي قلنا في معنى الختار ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : كل غدّار .

(١) البيت في ( مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩١ ب ) قال عند تفسير قوله تعالى : « وإذا غشيهم موج كالظلل » : واحدها : ظلة . ومجازه : من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه . قال نابغة الجعدي وهو يصف البحر : « يماشين . . . فلق الدنان » . يريد : أن البحر يمتد ممتد في سيرهن . وظلال البحر : أمواجه ، لأنها ترفع فنظل السفينة ومن فيها . والدنان بالبدال المهملة : جمع دن بالفتح : هو راقود الحمر الكبير .

(٢) البيت في ( مجاز القرآن لأبي عبيدة ، الورقة ١٩١ ب ) عند تفسير قوله تعالى : « كل ختار كفور » قال : الختر : الكبر والغدر ، قال عمرو بن معدى كرب : « وإنتك لو رأيت . . . البيت » . وفي ( اللسان : ختر ) : الختر : شبهه بالغدر والخديعة . وقيل : هو الخديعة بعينها . وقيل : هو أسوأ الغدر وأقبحه . ختر يختر ، فهو ختار ، وختار : المبالغة . والفعل من بابي ضرب ونصر .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( كَلُّ خَتَّارٍ ) قال : غدار .  
حدثني يعقوب وابن وكيع ، قالوا : ثنا ابن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : غدار .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) الختار : الغدار ، كل غدار بذمته ، كفور بربه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : كل جحد كفور .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ) قال : الختار : الغدار ، كما تقول : غدرتني .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، قال : سمعت قتادة قال : الذي يغدر بعهد .  
قال : ثنا البخاري ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : الغدار .  
ثنا : أبي قال ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية الكاهلي ، عن علي رضي الله عنه قال : المكر غدر ، والغدر كفر .

## القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣)

يقول تعالى ذكره : أيها المشركون من قريش ، اتقوا الله ، وخافوا أن يحيل بكم خطئه في يوم لا يغني والد عن ولده ، ولا مولود هو مغل عن والده شيئا ، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب ، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل ، إلا وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا . وقوله ( إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ) يقول : اعلموا أن مجيء هذا اليوم حق ، وذلك أن الله قد وعدا عباده ولا خُلف لوعده ( فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ) يقول : فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذاتها ، فتميلوا إليها ، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم . وقوله ( وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) يقول : ولا يخدعنكم بالله خادع . والغرور بفتح الغين : هو ما غر الإنسان من شيء ، كائنا ما كان ، شيطانا كان أو إنسانا ، أو دنيا ؛ وأما الغرور بضم الغين : فهو مصدر من قول القائل : غررتني غرورا .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الغرور ) قال : الشيطان .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله ( وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) :  
ذاكم الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروري ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( الغرور ) قال : الشيطان .  
وكان بعضهم يتأول الغرور بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن لهيعة ، عن عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير ، قوله ( وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ) قال : أن تعمل بالمعصية ، وتتمنى المغفرة :

## القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

يقول تعالى ذكره : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ، وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَاَلِدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ) هو آيتكم ، عليم إتيانه إياكم عند ربكم ، لا يعلم أحد متى هو جائيكم ، لا آيتكم إلا بغثة ، فاتقوه أن يفتجأكم بغثة ، وأنتم على ضلالتكم لم تنبيوا منها ، فتصبروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قبيل لكم به ؛ وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة . والمعنى : ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه ، فقال ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) التي تقوم فيها القيامة ، لا يعلم ذلك أحد غيره ( وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ) من السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ( وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ) : أرحام الإناث ( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ) يقول : وما تعلم نفس حتى ماذا تعمل في غد ، ( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ) يقول : وما تعلم نفس حتى بأي أرض تكون منيبتها ( إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) يقول : إن الذي يعلم ذلك كله ، هو الله دون كل أحد سواه ، إنه ذو علم بكل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، خبير بما هو كائن ، وما قد كان .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) : قال : « جاء رجل ( قال أبو جعفر ) : أحسبه أنا قال : إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن امرأتى حبلى ، فأخبرني

ماذا تلد؟ وبلادنا محلّ جدّبة، فأخبرنى متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى ولدت، فأخبرنى متى أموت؟  
فأنزل الله (إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث) . . . إلى آخر السورة، قال: فكان  
مجاهد يقول: هنّ مفاتيح الغيب التي قال الله (وعنده مفاتيح الغيب، لا يعلمها إلا هو) .  
حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إن الله عنده علم الساعة) . . .  
الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا (إن الله عنده  
علم الساعة) فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة؟ فى أى سنة؟ أو فى أى شهر؟ أو ليل؟  
أو نهار؟ (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً ينزل؟ (ويعلم ما فى الأرحام):  
فلا يعلم أحد ما فى الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمراً أو أسوداً، أو ما هو؟ (وما تدري نفس ماذا  
تكتسب غداً) خير أم شرّ ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غداً، لعلك المصاب غداً؟  
(وما تدري نفس بأى أرض تموت) ليس أحد من الناس يدرى أين مَضَجَعُهُ من الأرض؟ فى بحر  
أو برّ أو سهل أو جبل؟ تعالى وتبارك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن معوية، عن الشعبي، قال: قالت عائشة: من قال: إن  
أحدًا يعلم الغيب إلا الله فقد كذب، وأعظم الفرية على الله، قال الله (لا يعلم من فى السموات والأرض  
الغيب إلا الله).

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن شعيب «أن رجلاً قال:  
يا رسول الله، هل من العلم علم لم تؤته؟ قال: لقد أتيتُ علمًا كثيرًا، وعلمًا حسنًا، أو كما قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (إن الله عنده علم  
الساعة وينزل الغيث) . . . إلى (إن الله عليم خبير) لا يعلمهنّ إلا الله تبارك وتعالى» .  
حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنى عمرو بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس» ، ثم قرأ هؤلاء الآيات (إن الله عنده  
علم الساعة) . . . إلى آخرها» .

حدثني على بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر  
يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنّ إلا الله، إن الله  
عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام» . . . الآية، ثم قال: لا يعلم  
ما فى غدٍ إلا الله، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث إلا الله، ولا يعلم أحد متى قيام  
الساعة إلا الله، ولا يعلم أحد ما فى الأرحام إلا الله، ولا تدري نفس بأى أرض تموت» .  
حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفاتيح الغيب خمس»، لا يعلمها إلا الله، إن الله عنده علم



السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود قال : « كلُّ شَيْءٍ أُوتِيَهُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِلَّا عِلْمَ الْغَيْبِ الْخَمْسِ : ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ) ؟ »

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت ( وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا ) .

قال : ثنا جرير وابن علية ، عن أبي حنبل ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَمَنْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ : ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنزَلُ الْغَيْثَ ) ... الآية » .

حدثني أبو شريحيل ، قال : ثنا أبو البيان ، قال : ثنا إسماعيل ، عن جعفر ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود ، قال : كلُّ شَيْءٍ قَدْ أُوتِيَ نَبِيِّكُمْ ، غَيْرَ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الْخَمْسِ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ( إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ) ... إِلَى آخِرِهَا . وَقِيلَ : بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ؟ وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى : ( بِأَيَّةِ أَرْضٍ ) فَمَنْ قَالَ : ( بِأَيِّ أَرْضٍ ) اجْتِزَاءً بِتَأْنِيثِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يَظْهَرَ فِي أَيِّ تَأْنِيثِ آخَرَ ، وَمَنْ قَالَ : ( بِأَيَّةِ أَرْضٍ ) فَانْتِ : أَيُّ قَالَ : قَدْ تَجَزَى بِأَيِّ مِمَّا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، فَلَا بَدَأَ مِنَ التَّأْنِيثِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ ، مَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ ، فَيُقَالُ لَهَا : بِأَيَّةِ ، وَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ ، فَيُقَالُ لَهُ بِأَيِّ ، وَيُقَالُ : أَيُّ امْرَأَةٍ جَاءَتْكَ وَجَاءَكَ ، وَأَيَّةِ امْرَأَةٍ جَاءَتْكَ .

آخر تفسير سورة لقمان

### تفسير سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

الْم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مَّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

قال أبو جعفر : قد مضى البيان عن تأويل قوله ( ألم ) بما فيه الكفاية .

وقوله ( تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ ) يقول تعالى ذكره : تنزيل الكتاب الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، لاشك فيه ( مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) : يقول : من رب الثقلين : الجن ، والإنس .

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (الم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ) لاشك فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذى أنزل على محمد لاشك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا صحيح كاهن، ولا هو مما تحترسه محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين (قالوا أساطيرُ الأولين اكتتبها، فهى تملى علينا بكفرةٍ وأصيلاً) وقول الذين قالوا (إن هَذَا إِلَّا فُكٌّ افْتَرَاهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ).

وقوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبيل نفسه، وتكذبه، و«أم» هذه تقرير، وقد بينا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام فى أضعاف كلام قد تقدم بعضه، أنه يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل فى مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره، فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون، من أن محمدا افتراه، بل هو الحق والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك، لتنذر قوما بأس الله وسطوته، أن يحل بهم على كفرهم به (ما أتاهم من نذيرٍ من قبيلك) يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذيرٌ ينذرهم بأس الله على كفرهم قبيلك. وقوله (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) يقول: ليتبينوا سبيل الحق، فيعرفوه ويؤمنوا به. وبمثل الذى قلنا فى تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) قال: كانوا أمةً أميةً، لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

القول فى تأويل قوله تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟ (٤)

يقول تعالى ذكره: المعبود الذى لانصلح العبادة إلا له أيها الناس (الذى خلق السموات والأرض وما بينهما) من خلق (فى ستة أيام) ثم استوى على عرشه فى اليوم السابع، بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) فى اليوم السابع، يقول: مالكم أيها الناس إله إلا من فعل هذا الفعل، وخلق هذا الخلق العجيب فى ستة أيام.

وقوله (ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ): يقول: ما لكم أيها الناس دونه ولى يلى أمركم، وينصركم منه إن أراد بكم ضراً، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه

فاتخذوا وليا ، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم ، فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء ، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو ، لأنه لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ( أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ) : يقول تعالى ذكره : أفلا تعتبرون وتفكِّرون أيها الناس ، فتعلموا أنه ليس لكم دونه ولي ولا شفيع ، فتفردوا له الألوهة ، وتخلصوا له العبادة ، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ

مِمَّا تَعُدُّونَ (٦)

يقول تعالى ذكره : الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه ، من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه . واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) فقال بعضهم : معناه : أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض ، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدون من أيام الدنيا ، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام ، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك ، فذلك ألف سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن معروف ، عن ليث ، عن مجاهد ( في يومٍ كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ) يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، وذلك مقدار ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ) من أيامكم ( كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) يقول : مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدون من أيامكم من أيام الدنيا ، خمس مئة سنة نزوله ، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : تعرج الملائكة إلى السماء ، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه ، وهو مسيرة ألف سنة .

قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن سيالك ، عن عكرمة ( أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال : من أيام الدنيا . حدثنا هشاد بن السري ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الحارث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ) من أيامكم هذه ، مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام .

وذكر عن عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة قال : تنحدر الأمور وتضعّد من السماء إلى الأرض في يوم واحد ، مقداره ألف سنة ، خمس مئة حتى ينزل ، وخمس مئة حتى يعرج .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة ، التى خلق الله فيها الخلق ، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( ألف سنة مما تعدّون ) قال : ذلك مقدار المسير . قوله ( كألف سنة مما تعدّون ) ، قال : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وكل يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ) قال : الستة الأيام التى خلق الله فيها السموات والأرض .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ) : يعنى هذا اليوم من الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات والأرض وما بينهما .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة ، ثم تعرج إليه الملائكة ، في يوم كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، في قوله ( ثم يعرج إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة ) قال : هذا في الدنيا ، تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ( في يومٍ كان مقداره ألف سنة ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيام الآخرة .  
حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية ( يعرج إليه في يومٍ كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ) قال : ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا ، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذى دبره .

ذكر من قال ذلك

ذكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه قال : يقضى أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ،

(١) الذى في الدر المنثور : من أيام الدنيا ، وهو واضح اه .

ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً ، ثم كذلك أبداً ، قال : يوم كان مقداره ، قال : اليوم أن يقال لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة ، كن فيكون ، ولكن سماه يوماً ، سماه كما بينا كل ذلك عن مجاهد ، قال : وقوله ( ( إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) ) قال : هو هو سواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة ، مقدار العروج ألف سنة مما تعدون .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ) قال بعض أهل العلم : مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه ، إلى أن يبلغ عروجه ، ألف سنة ، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه .  
وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : معناه : يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ، ونزوله إلى الأرض ، ألف سنة مما تعدون من أيامكم ، خمس مئة في النزول ، وخمس مئة في الصعود ، لأن ذلك أظهر معانيه ، وأشبهها بظاهر التنزيل .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ

الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨)

يقول تعالى ذكره : هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات ( هو عالم الغيب ) يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس ، فلا تبصرونه ، مما تكنه الصدور ، وتخفيه النفوس ، وما لم يكن بعد ما هو كائن . ( والشهادة ) : يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعابنته وما هو موجود ( العزيز ) يقول : الشديد في انتقامه ممن كفر به ، وأشرك معه غيره ، وكذب رسله ( الرحيم ) بمن تاب من ضلالاته ، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله ، والعمل بطاعته ، أن يعذبه بعد التوبة .

وقوله ( الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) بسكون اللام . وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين : ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ) بفتح اللام .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنها قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، صحيحنا المعنى ، وذلك أن الله أحكم خلقه ، وأحكم كل شيء خلقه ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : أتقن كل شيء وأحكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : ثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب ، قال : ثنا شريك ، عن خصيف

(١) في التاج (شكب) ؛ إشكاب ؛ لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامري ، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا .

عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكن أحكم خلقها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو النضر ، قال : ثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أما إن است القرد ليست بحسنة ، ولكنه أحكمها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال أنقن كل شىء خلقه . حدثنى محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ) : أحصى كل شىء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الذى حسن خلق كل شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) حسن على نحو ما خلق .

وذكر عن الحجاج ، عن ابن جريج ، عن الأعرج ، عن مجاهد قال : هو مثل أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ؛ قال : فلم يجعل خلق البهائم فى خلق الناس ، ولا خلق الناس فى خلق البهائم ، ولكن خلق كل شىء فقدره تقديرا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أعلم كل شىء خلقه ، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه أظم خلقه ما يحتاجون إليه ، وأن قوله ( أَحْسَنَ ) إنما هو من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن خصيف ، عن مجاهد ( أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) قال : أعطى كل شىء خلقه ، قال : الإنسان إلى الإنسان ، والفرس للفرس ، والحمار للحمار . وعلى هذا القول ، الخلق والكل منصوبان بوقوع أحسن عليهما .

بَيِّنَةٌ وَأولى الأقوال فى ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه ( الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ) : بفتح اللام قول من قال : معناه أحكم وأنقن ، لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين : إما هذا الذى قلنا من معنى الإحكام والإتقان ، أو معنى التحسين الذى هو فى معنى الجمال والحسن ؛ فلما كان فى خلقه ما لا يشك فى قبضه وسماجته ، علم أنه لم يُعْصَنَ به أنه أحسن كل ما خلق ، ولكن معناه أنه أحكمه وأنقن صنعته ؛ وأما على القراءة الأخرى التى هى بتسكين اللام ، فإن أولى تأويلاته به قول من قال : معنى ذلك أعلم أولهم كل شىء خلقه ، هو أحسنهم ، كما قال ( الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ) لأن ذلك أظهر معانيه . وأما الذى وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى : الذى أحسن خلق كل شىء ، فإنه جعل الخلق نصبا ،

بمعنى التفسير ، كأنه قال : الذي أحسن كل شيء خلقاً منه . وقد كان بعضهم يقول : هو من المقدم الذي معناه التأخير ، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر :

وَطَعْنِي إِلَيْكَ اللَّيْلَ حِضْنِيهِ أَنْبَى

بمعنى : وطعني حِضْنِي اللَّيْلَ إِلَيْكَ ؛ ونظير قول الآخر :

كَأَنَّ هِنْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا

يَوْمَ التَّقْيِينَا عَلَى أَدْحَالِ دَبَّابٍ<sup>٢</sup>

أى كأن ثنايا هند وبهجتها .

وقوله ( وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ) يقول تعالى ذكره : وبدأ خلق آدم من طين ( ثُمَّ جَعَلْنَا نَسْلَهُ ) يعنى ذريته من سلالة ، يقول : من الماء الذي انسل فخرج منه . وإنما يعنى من إراقة من مائه ، كما قال الشاعر :

فَجَاءَتْ بِهِ عَضْبُ الْأَدِيمِ غَضْنَفَرًا

سُلَالَةٌ فَتَرَجَّ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ<sup>٣</sup>

وقوله ( مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ) يقول : من نطفة ضعيفة رقيقة .

وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ) وهو خلق آدم ، ثم جعل نسله : أى ذريته من سلالة من ماء مهين ، والسلالة : هى الماء المهين الضعيف .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن أبي يحيى الأعرج ، عن ابن عباس ، فى قوله ( مِنْ سُلَالَةٍ ) قال : صفو الماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ) قال : ضعيف نطفة الرجل ،

ومَهِينٌ : فعيل من قول القائل : مَهْنُ فلان ، وذلك إذا زلّ وضعف .

(١) البيت (فى مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ١) قال عند تفسير قوله تعالى « الذى أحسن كل شيء خلقه » : مجازه : أحسن خلق كل شيء . والعرب تفعل هذا ، يقدمون ويؤخرون . قال : « وطعني إليك . . . البيت » معناه : وطعني حين حِضْنِي اللَّيْلَ إِلَيْكَ . وفى ( اللسان : حِضْنٌ ) : وحِضْنَا المفازة شقاها ، والفلاة : ناحيتها . وحِضْنَا اللَّيْلَ : جانبها . وحِضْنَا الجبل ما يطيف به ، وحِضْنَا الشيء : جانبها . والهدان بوزن كتاب : الأحمق الخافى الوشم الثقيل فى الحرب . وفى حديث عثمان : جباناً هداناً .

(٢) البيت فى مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ( الورقة ١٩٢ - ١ ) عند تفسير قوله تعالى « أحسن كل شيء خلقه » . بعد الشاهد السابق : « وطعني إليك . . . البيت » . ثم قال : كأن ثنايا هند وبهجتها . وهو أيضاً فى ( اللسان : دب ) قال : قال الأزهرى : وبأخلصاء رمل يقال له الدباب ، وبجذاته دحلان كثير ( يضم الدال ) ومنه قول الشاعر :

كَأَنَّ هِنْدًا ثَنَايَاهَا وَبَهْجَتَهَا

مَوْلِيَّةٌ أَنْفُ جَادِ الرَّبِيعِ بِهَا

عَلَى أِبَارِقٍ قَدْ هَمَّتْ بِأَعْشَابِ

والأدحال والدحلان : جمعا دحل ، بالفتح ، وهو ثقب ضيقه ، ثم يتسع أسفله ، حتى يمضى فيه .

(٣) البيت : فى مجاز القرآن لأبي عبيدة الورقة ١٩٢ - ب عند قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » فى سورة المؤمنین ( الجزء ١٨ : ٨ ) فراجعهُ نمة .

القول فى تأويل قوله تعالى

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ، قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)

يقول تعالى ذكره : ثم سوى الإنسان الذى بدأ خلقه من طين خلقا سويا معتدلا ، (ونفخ فيه من روحه) فصار حيا ناطقا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون) يقول : وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات ، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة ، تعقلون بها الخير من سوء ، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك . وقوله (قليلا ما تشكرون) يقول : وأنتم تشكرون قليلا من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَقَالُوا : أءَآذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءَأَنَّا لِنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ؟ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)

يقول تعالى ذكره : وقال المشركون بالله ، المكذَّبون بالبعث (أيذآ ضللنا فى الأرض) : أى صارت لحومنا وعظامنا ترابا فى الأرض ، وفيها لغتان : ضللنا ، وضللنا ، بفتح اللام وكسرها ، والقراءة على فتحها ، وهى الجوداء ، وبها نقرأ . وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ (أيذآ ضللنا) بالصاد ، بمعنى : أنتننا ، من قولهم : صل اللحم وأصل : إذا أنتن . وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم : (أيذآ ضللنا فى الأرض) أى إذا هلكت أجسادنا فى الأرض ، لأن كل شئ غلب عليه غيره حتى خفى فيما غلب ، فإنه قد ضل فيه ، تقول العرب : قد ضل الماء فى اللبن : إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه ؛ ومنه قول الأخطل لجرير :  
كُنْتُ الْقَدَى فِي مَوْجِ أَكْدَرٍ مُزِيدٍ قَدَفَ الْآتِي بِهِ فَضَلَّ ضَلَالًا  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

(١) البيت للأخطل (ديوانه طبعه بيروت ص ٥٠) . والقذى : ما يقع فى العين من تراب أو تبن ونحوه ، مما يطيره الريح . والأكدر : الكدر ، غير الصافي ، لأنه آقى من بعيد ، وهو شديد الجرى ، يخالطه التراب والغناء ، ولذلك قال : « مزبد » ، وهو الذى علاه الزبد لتحركه واضطرابه . والآقى : السيل يأتى من مكان بعيد ، أو من بلد إلى بلد . وقيل هذا البيت بيت آخر مرتبط به فى المعنى ، قال الأخطل :

وَإِذَا سَمَا لِلْمَسْجِدِ فَرَعَا وَأَثِيلَ وَاسْتَجْمَعَ الْوَادِي عَلَيْكَ فَسَالَا

فرعا وأثيل هما بكر وتغلب . يريد أنه إذا اجتمع فرعا وأثيل فى مكان يوم فطار مع القبائل ، وصاروا أشبه بالسيل فى كثرتهم ، لم تكن أنت يا جرير بالإضافة إليهم إلا كفضاء غرقت فى ذلك السيل الكدر ، فصلت فيه ولغابت ، ولم يوقف لها حل أثر . ولذلك قال شارح الديوان : والمراد من البيت أن أبا جرير حقيق نسيب ، بالقياس إلى من ذكرهم . والبيت شاهد على أن الضلال : غياب الشئ فى الشئ . حتى لا يحس له أثر .



ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ )  
يقول : أَيْدَا هَلَكْنَا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَيْدَا ضَلَكْنَا  
فِي الْأَرْضِ ) هَلَكْنَا .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد : قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
( أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ ) يقول : أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَنْبَعَثَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟ يَكْفُرُونَ بِالْبَعْثِ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ( وَقَالُوا أَيْدَا ضَلَكْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنَأُ لَسِنِي  
خَلَقْتِي جَدِيدًا ) قال : قالوا : أَيْدَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَنْبَعَثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ؟

وقوله ( بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما هؤلاء المشركين جحود قدرة  
الله على ما يشاء ، بل هم بلقاء ربهم كافرون ، حذرا لعقابه ، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه ، فهم  
من أجل ذلك يمحذون لقاء ربهم في المعاد .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ : يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ، ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١)

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المشركين بالله ( يتوفاكم ملك الموت ) ، يقول : يستوفى عددكم  
بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ، ومنه قول الراجز :

إِنَّ بَنِي الْأَدْرَمِ لَيَسْؤُونَ مِنْ أَحَدٍ وَلَا تَوَفَّاهُمْ قَرِيشٌ فِي الْعَدَدِ ١

( ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ) يقول : من بعد قبض ملك الموت أرواحكم ، إلى ربكم يوم القيامة تردون  
أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم ، فيجازي الحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ يَتَوَفَّاهُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي  
وُكِّلَ بِكُمْ ) قال : ملك الموت يتوفاكم ، ومعه أعوان من الملائكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيتان لمنظور الوري (السان : وقي) قال : وتوفيت عدد القوم إذا عدتهم كلهم . وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوري  
( يسكون الباء ) : إن بني الأدرم ليسوا من أحد . . . . البيتان .

أى لا تجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفى بهم عددهم . وفي رواية السان : الأدرم في موضع الأدرم من رواية أبي عبيدة . ولم  
يصرح أبو عبيدة باسم الشاعر منظور الوري ، ولعل صاحب السان رأى نسخة من مجاز القرآن فيها اسم الشاعر . وأنشد البيت صاحب  
النتاج في ( وقي ) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عدتهم لهم ، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبري : إن بني الأدرم ليسوا من أحد .  
والأدرم فيه بالذال آخر الحروف ، لا بالميم ، كما في نسخة مجاز القرآن التي بأيدينا . وفي (السان : وقي) : أورد ابن منظور البيت  
كرواية المؤلف ، ونسبه إلى منظور الوري . اهـ .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله ( يَتَوَفَّأَكُم مَلَائِكَةُ الْمَوْتِ ) قال : حُوت له الأرض ، فجُعِلت له مثل الطَّسْت ، يتناول منها حيث يشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، بنحوه .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ، فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا ، إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢)

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : ( لَوْ تَرَى ) يا محمد هؤلاء القائلين ( أَيْذًا صَلَّكْنَا فِي الْأَرْضِ أَيْنًا لَبِئْسَ خَلْقٌ جَدِيدٌ ) إذ هم ( نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) ، حياء من ربهم ، للذى سلف منهم من معاصيه فى الدنيا ، يقولون : يا ( رَبَّنَا أَبْصَرْنَا ) ما كنا نكذب به من عقابك أهل معاصيك ، ( وَسَمِعْنَا ) منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به فى الدنيا ، ( فَأَرْجِعْنَا ) يقول : فارددنا إلى الدنيا ( نَعْمَلْ ) ، فيها بطاعتك ، وذلك العمل الصالح ، ( إِنَّا مُوقِنُونَ ) : يقول : إنا قد أيقنا الآن ما كنا به فى الدنيا جهالا من وحدانيتك ، وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك ، ولا ينبغى أن يكون رب سواك ، وأنت نجى وتميت ، وتبعث من فى القبور بعد الممات والقيامة ، وتفعل ما تشاء .

وبنحو ما قلنا فى قوله : ( نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ ) ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قوله ( وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) قال : قد حزنوا واستحيوا .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ، وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣)

يقول تعالى ذكره : ( وَلَوْ شِئْنَا ) يا محمد ( لَآتَيْنَا ) هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ( هُدًى ) ، يعنى : رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ( وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ) يقول : وجب العذاب منى لهم ، وقوله ( لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ) يعنى من أهل المعاصى والكفر بالله منهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى )

قال : لو شاء الله لهدى الناس جميعا ، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية ، فضلت أعناقهم لها خاضعين ،  
(وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) حق القول عليهم .

القول في تأويل قوله تعالى

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا، إِنَّا نَسِينَاكُمْ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)

يقول تعالى ذكره : يقال لهؤلاء المشركين بالله، إذا هم دخلوا النار : ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا ، ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) يقول : إنا تركناكم اليوم في النار . وقوله ( وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ) يقول : يقال لهم أيضا : ذوقوا عذابا تُحَلِّدُون فيه إلى غير نهاية ( بِمَا كُنتُمْ ) في الدنيا ( تَعْمَلُونَ ) من معاصي الله . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن قتادة ( فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) قال : نسوا من كل خير ، وأما الشر فلم ينسوا منه .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِنَّا نَسِينَاكُمْ ) يقول : تركناكم .

القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

يقول تعالى ذكره : ما بصدق بحججنا وآيات كتابنا إلا القوم الذين إذا ذكروا بها، ووُعظوا، ( خَرُّوا ) الله ( سُجَّدًا ) لوجوههم ، تذللًا له ، واستكانة لعظمته ، وإقرارا له بالعبودية ( وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ) يقول : وسبَّحوا الله في سجودهم بحمده ، فيبرئونه مما يصفه أهل الكفر به ، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ( وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ) يقول : يفعلون ذلك ، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح ، لا يستكفون عن التذلل له والاستكانة .  
وقيل : إن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن قوما من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة ، ذُكر ذلك عن حجاج ، عن ابن جريج .

القول في تأويل قوله تعالى

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)

يقول تعالى ذكره : تتجافى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله ، الذين وصفت صفتهم ، وترفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم ، ولا ينامون ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ) في عفوه عنهم ،

وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُشْفِقُونَ ) فى سبيل الله ، ويؤدّون منه حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه . ( وتَسْجَايَ ) : تتفاعل من الخفاء ، والخفاء : النسب ، كما قال الراجز :  
 وَصَاحِبِي ذَاتُ هِيَابٍ دَمَشْقُ وَأَبْنُ مِلاطٍ مُتَجَايٍ أَرْفَقُ  
 يعنى : أن كرمها صبية عن ابن ملاط ، وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع ، لتركهم الاضطجاع للنوم ، شغلا بالصلاة .

واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم جل ثناؤه ، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع ، فقال بعضهم : هى الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقال : نزلت هذه الآية فى قوم كانوا يصلون فى ذلك الوقت . ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المننى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبي عمرو ، قال : قال قتادة ، قال أنس ، فى قوله ( كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ) قال : كانوا يتنفلون فيما بين المغرب والعشاء ، وكذلك تتجافى جنوبهم .

قال : ثنا ابن أبى عدي ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ، فى قوله ( تَسْجَايَ جُنُوبُهُمْ ) عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : يصلون ما بين هاتين الصلاتين .

حدثنى على بن سعيد الكيندى ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ( تَسْجَايَ جُنُوبُهُمْ ) عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : ما بين المغرب والعشاء .

حدثنى محمد بن خلف ، قال : ثنا يزيد بن حبان ، قال : ثنا الحارث بن وجيه الراسبي ، قال : ثنا مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية نزلت فى رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ( تَسْجَايَ جُنُوبُهُمْ ) عَنِ الْمَضَاجِعِ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن أنس : ( تَسْجَايَ جُنُوبُهُمْ ) عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : كانوا يتطوعون فيما بين المغرب والعشاء .

(١) البيتان للزفیان ( انظرهما فى الملحق بديوان العجاج ١٠٠ ) . والهاب : النشاط والإسراع فى السير . والدمشق : الناقة الخفيفة السريعة ، وأنشد أبو عبيدة قول الزفیان :

وَمَنْهَلٍ طَامٍ عَلَيْهِ الْغَلْفَقُ يُنِيرُ أَوْ يُسْدِي بِهِ الْخَوْرَقُ  
 وَرَدْتُهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ أَبْلَقُ وَصَاحِبِي ذَاتُ هِيَابٍ دَمَشْقُ  
 كَأَمَّا بَعْدَ الْكَلَالِ زَوْرَقُ

ولم يذكر البيت الثانى ، وهو محل الشاهد عند المؤلف . وفى ( اللسان : ملط ) قال النضر : الملاطان : ما عن يمين الكركرة وشمالها . وأبنا ملاطى البعير : هما العضدان ، وقيل كفتاه ، وأبنا ملاط : العضدان والكفتان . الواحد : ابن ملاط . وقال ابن السكيت : أبنا ملاط : العضدان . والمتجافى : البائن عن جنبها ، وذلك أقوى لسيرها . والأرفق : المنفلت المرفق عن الجنب ، وهو أرفق ، وناقه ورفقاء . اه . وقال الأزهرى : الذى حفظه بهذا المعنى : ناقة دفتاه ، وجمل أدفق ، إذا انفتق مرققه عن جنبه . وفى ( اللسان : دفق ) ورجل أدفق : إذا انحى صلبه من كبر أو غم . وأنشد المفضل : وابن ملاط متحاف أدفق • اه وأنشد أبو عبيدة البيهقي فى مجاز القرآن ( الورقة ١٩٢ - ١ ) ولم ينسبه . ثم قال : ادفق ( بالبدال ) أى متنع عن كركرتها . اه .

قال : ثنا أبو ، عن سفيان ، عن رجل ، عن أنس ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال ما بين المغرب والعشاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : كانوا يتنفلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء . وقال آخرون : عُنِيَ بها صلاة المغرب <sup>١</sup> .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة ، عن عطاء ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : عن العتمة . وذكر عن حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال يحيى بن صبيح ، عن أبي سلمة ، قال : العتمة . وقال آخرون : لانتظار صلاة العتمة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد ، عن أنس بن مالك ، أن هذه الآية ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) نزلت في انتظار الصلاة التي تُدْعَى العتمة . وقال آخرون : عُنِيَ بها قيام الليل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : قيام الليل . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) قال : هؤلاء المهجدون لصلاة الليل . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) يقومون يصلون من الليل .

وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ) ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ) وهم قوم لا يزالون يذكرون الله ، إما في صلاة ، وإما قياما ، وإما قعودا ، وإما إذا استيقظوا من منامهم ، هم قوم لا يزالون يذكرون الله .

(١) لعله صلاة العتمة ، يعني العشاء ، كما تفيد الآثار بعد .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) . . . إلى آخر الآية ، يقول : تتجافى لذكر الله ، كلما استيقظوا ذكروا الله ، إما في الصلاة ، وإما في قيام ، أو في قعود ، أو على جنوبهم ، فهم لا يزالون يذكرون الله .

والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم ، شغلا منهم بدعاء ربهم ، وعبادته خوفا وطمعا ، وذلك نُبُوَ جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك ، يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه ، في صفة نبي الله صلى الله عليه وسلم :

بَيِّتٌ يُجَانِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَشَقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

فإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به ، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم ، من أحوال الليل وأوقاته ، حالا ووقتا دون حال ووقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كل آناء الليل وأوقاته . وإذا كان كذلك كان من صلى ما بين المغرب والعشاء ، أو انتظر العشاء الآخرة ، أو قام الليل أو بعضه ، أو ذكر الله في ساعات الليل ، أو صلى العتمة ، ممن دخل في ظاهر قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) لأن جنبه قد جفا عن مضجعه ، في الحال التي قام فيها للصلاة ، قائما صلى أو ذكر الله ، أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا ، وهو على القيام أو القعود قادر ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنى به قيام الليل : أعجب إلى ، لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام ، وبه جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك ما حدثنا به ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت عروة بن الزبير يحدث عن معاذ بن جبل ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصومُ جنةٌ ، والصدقةُ تكفِّرُ الخطيئةَ ، وقيامُ العبدِ في جوفِ الليلِ » وتلا هذه الآية ( تَتَجَاوَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ) .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا يحيى بن حماد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سليمان ، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه . حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ بن جبل ، قال : قال لي رسول الله صلى الله

(١) البيت لعبد الله بن رواحة الأنصاري أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم . ويجازي : يباعد . واستشقت : ثقلت . والمضاجع : جمع مضجع ، وهو الفراش يتام فيه أو موضعه . والبيت شاهد ثان على التجافى في قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » : معناه : تبعده قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٩٥ - ب ) أي ترتفع عنها وتتحنى ، لأنهم يصلون بالليل . ٨١ .

عليه وسلم : « إن شئت أنبأتك بأبواب الخبير : الصومُ جنةٌ ، والصدقةُ تكفرُ الخطيئةَ ، وقيامُ الرَّجُلِ في جوفِ اللَّيْلِ ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ( تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) . »  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يزيد بن حيان ، عن حماد بن سلمة ، قال : ثنا عاصم بن أبي النجود ، عن شهر بن حوشب ، عن معاذ بن جبل ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قوله ( تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) قال : قيامُ العبيدِ مِنَ اللَّيْلِ . »

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، عن مجاهد ، قال : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ، ففاضت عيناه ، حتى تحادرت دموعه ، فقال ( تَتَجَاوَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ) . »  
وأما قوله ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ) . . . الآية ، فإن بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُسْفِكُونَ ) قال : خوفاً من عذاب الله ، وطمعاً في رحمة الله ، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله ، وفي سبيله .

#### القول في تأويل قوله تعالى

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)

يقول تعالى ذكره : فلا تعلم نفسٌ ذى نفسٍ ما أخفى الله لؤلؤا الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين ، مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة ( جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يقول : ثواباً لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ٢ ، قال : قال عبد الله : « إن في التوراة مكتوباً : لقد أعدَّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وما لم يسمعه ملك مقرب . قال : ونحن نقرؤها ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) . »

حدثنا خلاد ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن ابن مسعود ، قال : « مكتوب في التوراة : على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع

(١) أنظر تفسير المؤلف للآية في صدر الكلام عليها ص ٩٩ .

(٢) عبيدة بن ربيعة بضم الين . وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء . وهو الذي يروي عنه أبو إسحاق كما في الخلاصة . وفي الأصل أبي عبيدة . ولعل « أبي » زيادة من الناسخ .

ما لآعين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله قال : خبي لهم ما لآعين رأيت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال سفيان : فيما علمت : على غير وجه الشك .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق قال : سمعت أبا عبيدة ، قال : قال عبد الله ، قال : يعنى الله : « أعددت لعبادى الصالحين ما لم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب ناظر ( لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) » .  
حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن صلت ، عن قيس بن الربيع ، عن أبى إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة الحارثي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « إن فى التوراة : للذين تنجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة ، ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر ، ولم تسمع أذن ، وإنه لى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا الأشجعي ، عن ابن أبيجر ، قال : سمعت الشعبي يقول : سمعت المغيرة ابن شعبة يقول على المنبر : « إن موسى صلى الله عليه وسلم سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظا ، فقيل له : رجل يؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة ، قال فيقال له : ادخل ، فيقول : أين وقد أخذ الناس أخذاتهم ؟ فيقال : اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا ، فيكون لك مثل الذى كان لهم ، ولك أخرى شهوة نفسك ، فيقول : أشهى كذا وكذا ، وأشهى كذا ؛ ويقال : لك أخرى ، لك لذة عينك ، فيقول : ألد كذا وكذا ، فيقال : لك عشرة أضعاف مثل ذلك . وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظا ، فقال : ذلك شىء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض . قال الشعبي : فإنها فى القرآن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخِيتَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) » .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : ثنا الحميدى ، قال : ثنا ابن عيينة ، وحدثنى به القرقساني ، عن ابن عيينة ، عن مطرف بن طريف ، وابن أبيجر : سمعت الشعبي يقول : سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم : « إن موسى سأل ربه : أى رب ، أى أهل الجنة أدنى منزلة ؟ قال : رجل يجيبى بعد ما دخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له : ادخل ، فيقول : كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ما كان للملك من ملوك الدنيا ، فيقول : بئس ، أى رب قد رضيت ، فيقال له : إن لك هذا ومثله ومثله ومثله ، فيقول : رضيت أى رب رضيت ، فيقال له : إن لك هذا وعشرة أمثاله معه ، فيقول : رضيت أى رب ، فيقال له : فإن لك مع هذا ما اشتهت نفسك ، ولدت عينك ؛ قال : فقال موسى : أى رب ، رأى أهل الجنة أرفع منزلة ؟ قال : إياها أردت ، وسأحدثك



عَنْهُمْ ، غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامِيَّ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ : وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) .

حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، في قوله ( وكان عرشه على الماء ) وكان عرش الله على الماء ، ثم اتخذ لنفسه جنة ، ثم اتخذ دونها أخرى ، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة ؛ قال : ومن دونهما جنتان ؛ قال : وهي التي لا تعلم نفس ، أو قال : هما التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ، جزاء بما كانوا يعملون . قال : وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها ، أو ما فيهما ، يأتيهم كل يوم منها أو منهما تحفة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبيرة ، بنحوه . حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبي الجهم الهوزني أو غيره ، قال : « الجنة مئة درجة ، أولها درجة فضة ، أرضها فضة ، ومساكنها فضة ، وآنيها فضة ، وترابها المسك . والثانية ذهب ، وأرضها ذهب ، ومساكنها ذهب ، وآنيها ذهب ، وترابها المسك . والثالثة لؤلؤ ، وأرضها لؤلؤ ، ومساكنها لؤلؤ ، وآنيها لؤلؤ ، وترابها المسك . وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وتلا هذه الآية ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي وعبد الرحيم ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَأَقْرَبُ وَإِنْ شِئْتُمْ » ، قَالَ اللَّهُ ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية وابن نمير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » قال أبو هريرة : ومن به ما أطلعكم عليه ، أقرءوا إن شئتم ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) قال أبو هريرة : فقرأها : ( قُرَاتِ أَعْيُنٍ ) . »

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن الحكم بن أبان ، عن الغطريف ، عن جابر ابن زيد ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عن الروح الأمين ، قال : ( يُوَفِّي بِحَسَنَاتِ الْعَبْدِ وَسَيِّئَاتِهِ ، فَيَنْقُصُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، فَإِنْ بَقِيََتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَسِعَ اللَّهُ لَهَا فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : فَدَخَلَتْ عَلَى يَزْدَاد ، فَحَدَّثَتْ بِمَثَلِ هَذَا ؛ قَالَ : قُلْتُ : فَأَيْنَ ذَهَبَتِ الْحَسَنَةُ ؟ قَالَ :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ) ، فى أصحاب الجنة (وَعِنْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ، قلت : قوله ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) قال : العبد يعمل سرا أسره إلى الله لم يعلم به الناس ، فأسر الله له به م القيامة قرّة أعين .  
حدثني العباس بن أبى طالب ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا سلام بن أبى مطيع ، عن قتادة ، عن عقبه بن عبد الغافر ، عن أبى سعيد الخدرى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عن ربه ، قال : « أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بِشَرِّ » .

حدثني أبو السائب ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى أبو صخر ، أن أباه حازم حدثه ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : « شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال فى آخر حديثه : فيها ما لا عين رأت ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بِشَرِّ » ، ثم قرأ هذه الآية ( تَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ) . . . إلى قوله ( جزاء بما كانوا يعملون ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن عوف ، عن الحسن ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بِشَرِّ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ذلك عن ربه ، : « قَالَ رَبُّكُمْ : أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بِشَرِّ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) قال : أخفوا عملا فى الدنيا ، فأثابهم الله بأعمالهم .

حدثني القاسم بن بشر ، قال : ثنا سليمان بن حرب ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أبى رافع ، عن أبى هريرة ، قال حماد : أحسبه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْؤُسُ ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْتَنِي شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا أَعْيُنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِي بِشَرِّ » .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ) فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين ، وبعض الكوفيين ( أُخْفِيَ ) بضم الألف ، وفتح الياء ، بمعنى فُخِئِلَ . وقرأ بعض الكوفيين ( أُخْفِيَ لَهُم ) بضم الألف وإرسال الياء ، بمعنى أُفْعِلَ ، أُخْفِيَ لَهُم أَنَا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا : أنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، لأن الله إذا أخفاه فهو مُخْفِيٌّ ، وإذا أُخْفِيَ فليس له مُخْفٍ غيره ، « وما » فى قوله ( فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم ) فلإنها إذا جُعِلَتْ بمعنى الذى ، كانت نصبا بوقوع « تَعْلَمُ » عليها ، كيف قرأ القارى أُخْفِيَ ، وإذا وجهت إلى معنى « أى » ،

كانت رفعا، إذا قرئ أخخني بنصب الياء، وضم الألف، لأنه لم يسم فاعله، وإذا قرئ أخخني، بارسال الياء، كانت نصبا بوقوع أخخني عليها.

### القول في تأويل قوله تعالى

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا؟ لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ، نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذب بوعده الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، المصدق بوعده ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه؟ كلا. لا يستوون عند الله: يقول: لا يعتدل الكفار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال (لا يستوون) فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمنا، وفاسقا، لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمنا واحدا، وبالفاسق: فاسقا واحدا، وإنما أريد به جميع الفساق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما، ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وذكر أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، والوليد بن عتبة.

### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنى ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في علي بن أبي طالب، والوليد بن عتبة بن أبي معيط، كان بين الوليد وبين علي كلام، فقال الوليد بن عتبة: أنا أبسط منك لسانا، وأحد منك سنانا، وأرد منك للكيتية، فقال علي: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) ... إلى قوله (به تكذبون).

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) قال: لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة.

وقوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) يقول تعالى ذكره: أما الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعنى بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة، ويأوون إليها. وقوله (نزلا بما كانوا يعملون) يقول بما نزل: أنزلها جزاء منه ذم بما كانوا في الدنيا يعملون بطاعته. وقوله (وأما الذين فسقوا) يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته (فما وآههم النار) يقول: فساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة: النار (كلما أرادوا

أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ، وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا ( تَكْذِبُونَ ) أَنْ اللَّهُ أَعَدَّهَا لِأَهْلِ الشَّرْكِ بِهِ .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا ) : أشركوا ( وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ) والقوم مكذَّبون كما ترون .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْكَبِيرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)

اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الأليم ، الذى وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة ، فقال بعضهم : ذلك مصائب الدنيا فى الأنفس والأموال .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ) يقول : مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها ، مما يبئلى الله بها العباد حتى يتوبوا .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْكَبِيرِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : العذاب الأليم : بلاء الدنيا ، قيل : هى المصائب .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ) قال : المصائب فى الدنيا . قال : والدخان قد مضى . والبطشة والزام .

قال أبو موسى : ترك يحيى بن سعيد ، يحيى بن الجزار ، نقصان رجل .

حدثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر ، قالا : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، أنه قال : فى هذه الآية ( وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْكَبِيرِ ) قال : مصائب الدنيا ، والزام والبطشة ، أو الدخان ، شك شعبة فى البطشة أو الدخان .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ، عن يحيى بن الجزار ، عن ابن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، بنحوه ، إلا أنه قال : المصائب والزام والبطشة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حبيب ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن عروة ، عن الحسن العرنى ،

عن يحيى بن الجزار ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبي بن كعب ، قال : المصيبات يصابون بها في الدنيا : البطشة ، والدخان ، واللزوم .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : المصائب في الدنيا .  
 قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جوير ، عن الضحاك ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : المصيبات في دنياهم وأموالهم .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، حدثه ، عن الحسن ، قوله ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) : أى مصيبات الدنيا .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : أشياء يصابون بها في الدنيا .  
 وقال آخرون : عُسِي بها الحدود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : الحدود .  
 وقال آخرون : عُسِي بها القتل بالسيف ، قال : وقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ، ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : يوم بدر .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله مثله .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مسروق ، عن عبد الله ، مثله .  
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف عن حدثه ، عن الحسن بن علي ، أنه قال ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل بالسيف صبوا .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ( وَلَسْتُدْبِقَنَّهُمْ \* مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل بالسيف ، كل شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى ، إنما هو السيف .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَسُنْدٌ يَقْتَنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : القتل والجوع لقريش في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان مجاهد يحدث عن أبي بن كعب أنه كان يقول ( وَلَسُنْدٌ يَقْتَنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم بدر .  
وقال آخرون : عُنِيَ بذلك سنون أصابهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( وَلَسُنْدٌ يَقْتَنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : سنون أصابهم .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، مثله .  
وقال آخرون : عُنِيَ بذلك : عذاب القبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد : ( وَلَسُنْدٌ يَقْتَنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : الأدنى في القبور ، وعذاب الدنيا .  
وقال آخرون : ذلك عذاب الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَسُنْدٌ يَقْتَنَهُمْ مِنْ الْعَذَابِ الْأَدْنَى ) قال : العذاب الأدنى : عذاب الدنيا .  
وأولى الأقوال في ذلك أن يقال : إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذبين بوعيده في الدنيا : العذاب الأدنى ، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر ، والعذاب : هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم ، إما شدة من مجاعة ، أو قتل ، أو مصائب يصابون بها ، فكل ذلك من العذاب الأدنى ، ولم يخص الله تعالى ذكره ، إذ وعدم ذلك أن يعذبهم بنوع من ذلك دون نوع ، وقد عذبهم بكل ذلك في الدنيا : بالقتل والجوع ، والشدائد ، والمصائب في الأموال ، فأوفى لهم بما وعدتهم .  
وقوله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يقول : قبيل العذاب الأكبر ، وذلك عذاب يوم القيامة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : يوم القيامة .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن مسروق ، عن عبد الله :  
مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة في الآخرة . حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) يوم القيامة حدث به قتادة ، عن الحسن .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ) قال : العذاب الأكبر : عذاب الآخرة .

وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) يقول : كفى يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن السدي ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا : أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) قال : يتوبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) : أي يتوبون .

القول في تأويل قوله تعالى

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ، إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)

يقول تعالى ذكره : وأي الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه ، وآى كتابه ورسله ، ثم أعرض عن ذلك كله ، فلم يتعظ بمواعظه ، ولكنه استكبر عنها .

وقوله ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ) يقول : إنا من الذين اكتسبوا الآثام ، واجتروا السيئات ، منتقمون .

وكان بعضهم يقول : عسني بالمجرمين في هذا الموضع : أهل القدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن مروان ابن سفيح ، عن يزيد بن رفيع ، قال : إن قول الله في القرآن ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ) هم

أصحاب القدر ، ثم قرأ ( إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ) . . . إلى قوله ( خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ) .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا مروان ، قال : أخبرنا وائل بن داود ، عن ابن سفيح ، عن يزيد

ابن ربيع بنحوه ، إلا أنه قال فى حديثه : ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ( إنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ) . . . إلى آخر الآيات .

وقال آخرون فى ذلك ، بما حدثنى به عمران بن بكَّار الكُلاعى ، قال : ثنا محمد بن المبارك ، قال : ثنا إسماعيل بن عياش ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبيد الله ، عن عبادة بن نسي ، عن جنادة بن أبى أمية ، عن معاذ بن جبل ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَتْهُنَّ فَقَدَ أَجْرَمَ : مَنْ اعْتَقَدَ لِيَوَاءَ فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ ، أَوْ مَشَى مَعَ ظَالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدَ أَجْرَمَ ، يَقُولُ اللَّهُ ( إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ) . »

#### القول فى تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ، وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣)

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، كما آتيناك الفرقان يا محمد ( فلا تكن فى مريئة من لِقائه ) يقول : فلا تكن فى شك من لقائه ، فكان قتادة يقول : معنى ذلك : فلا تكن فى شك من أنك لِقَيْتَهُ ، أو تلقاه ليلة أُسرى بك ، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى العالية الرياحى ، قال : حدثنا ابن عم نبيكم ، يعنى ابن عباس ، قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى ابْنُ عِمْرَانَ رَجُلًا آدَمَ طَوَّالًا جَعْدًا ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَرَأَيْتُ عَيْسَى رَجُلًا مَرْبُوعَ الْخَلْقِ ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبَّطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ ، وَالِدَ جَالٍ فِي آيَاتِ آرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ، أَنَّهُ قَدْ رَأَى مُوسَى ، وَلَقَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ . »

وقوله ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا موسى هُدًى لبني إسرائيل ،

يعنى : رشادا لهم يرشدون باتباعه ، ويصييون الحق بالافتداء به ، والانتقام بقوله .  
وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ) قال جعل الله موسى هُدًى لبني إسرائيل .

وقوله ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا من بني إسرائيل أمة ، وهى : جمع إمام ، والإمام الذى يؤتم به فى خير أو شر ، وأريد بذلك فى هذا الموضع أنه جعل منهم قادة فى الخير ، يؤتم بهم ، ويُهتدى بهديهم .



كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) قال : رؤساء في الخير . وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره : يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك ، وتقويتنا إياهم عليه .

وقوله ( لَمَّا صَبَرُوا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( لَمَّا صَبَرُوا ) بفتح اللام وتشديد الميم ، بمعنى : إذ صبروا ، وحين صبروا . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( لَمَّا ) بكسر اللام وتخفيف الميم ، بمعنى : لصبرهم عن الدنيا وشهواتها ، واجتهادهم في طاعتنا ، والعمل بأمرنا . وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود ( بِمَصْبَرُوا ) ، وما إذا كسرت اللام من ( لَمَّا ) في موضع خفض ، وإذا فتحت اللام وشدت الميم ، فلا موضع لها ، لأنها حينئذ أداة .

والقول عندي في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام إذا قرئ ذلك بفتح اللام وتشديد الميم : وجعلنا منهم أمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم ، وتقويتنا إياهم على الهداية ، إذ صبروا على طاعتنا ، وعزفوا أنفسهم عن لذات الدنيا وشهواتها . وإذا قرئ بكسر اللام على ما قد وصفنا .

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : قال أبي ، سمعنا في ( وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ) قال : عن الدنيا .

وقوله ( وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ) يقول : وكانوا أهل يقين بما دهم عليه حججنا ، وأهل تصديق بما تبين لهم من الحق ، وإيمان برسولنا ، وآيات كتابنا وتنزيلنا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٣٥)

يقول تعالى ذكره : إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون ، من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب ، وغير ذلك من أسباب دينهم ، فيفريق بينهم بقضاء فاصل ، يلجأ به لأهل الحق الجنة ، ولأهل الباطل النار .

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ، كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ أَقْرَبُوا إِلَيْهِمْ أَمْ يَكْفُرُونَ؟ (٣٦)

يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم ؟

كما حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ )

(١) لعله فيكون على الخ .

لَهُمْ) يقول : أو لم يبين لهم ، وعلى القراءة بالياء في ذلك قرآء الأمصار ، وكذلك القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القرآء ، بمعنى : أو لم يبين لهم ، إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم ، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا ، فيتعظوا وينزجروا . وقوله ( كَمْ ) إذا قرئ ( يَهْدِ ) بالياء : في موضع رفع بيهد . وأما إذا قرئ ذلك بالنون ( أو لم يَهْدِ ) فإن موضع « كم » وما بعدها نصب . وقوله ( يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ ) . يقول تعالى ذكره : أو لم يبين لهم كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم ، كعاد وثمود .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أو لم يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ ) عاد وثمود ، وأنهم إليهم لا يُرْجَعُونَ .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكتناهم من قبل هؤلاء المكذبين بآيات الله من قُربش ، من أهلها الذين كانوا سكانها وعمَّارها ، بإهلاكنا إياهم لما كذبوا رسلنا ، وجحدوا بآياتنا ، وعبدوا من دون الله آلهة غيره ، التي يمرُّون بها فيعابنونها ، لآيات لهم ، وعظمت يتعظون بها ، لو كانوا أولى حِجًّا وعقول ، يقول الله ( أَفَلَا يَسْمَعُونَ ) عظمت الله ، وتذكيره إياهم آياته ، وتعريفهم مواضع حججه ؟

#### القول في تأويل قوله تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ، فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ  
وَأَنْفُسُهُمْ ، أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)

يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء المكذَّبون بالبعث بعد الموت ، والنشر بعد الفناء ، أنا بقُدْرَتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة ، التي لانبات فيها ، وأصله من قولهم : ناقة جرُز : إذا كانت تأكل كل شيء ، وكذلك الأرض الجُرُوز : التي لا يبق على ظهرها شيء إلا أفسدته ، نظير أكل الناقة الجُرُوز كل ما وجدته ، ومنه قولهم للإنسان الأكلول : جرُوز ، كما قال الواجز :

حَسْبُ جَرُوزٌ وَإِذَا . . . . .

(١) هذا جزء من بيت من مشطور الرجز ، أورده الشوكاني في تفسيره المسمى فتح القدير ( ٤ : ٢٤٩ ، طبعة مصعلق البابي الحلبي وأولاده ) . وهاك البيت بهامه مع ما يليه :

حَسْبُ جَرُوزٌ وَإِذَا جَاعَ بَيْكِي وَيَأْكُلُ التَّمْرَ وَلَا يُلْقِي النَّوِي

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى : « أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُوز » . قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٩٣ - ) الأرض الجُرُوز : أي اليابسة الغليظة التي لم يصيبها مطر . اه . وقال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٢٥٣ ) : الجُرُوز التي لانبات فيها . ويقال لنانة إنها جُرُوز : إذا كانت تأكل كل شيء ، وللإنسان : إنه جُرُوز : إذا كان أكلولا . وسيف جراز : إذا كان لا يبق شيئا إلا قطعه .

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يقي شيئا إلا قطعه سيف جراز ، وفيه لغات أربع : أرض جرّز ، وجرّز ، وجرّز وجرّز ، والفتح لبني تميم فيما بلغني .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (الأرضُ الجرّزُ) أرض باليمن .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : أرض باليمن .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أو كم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز؟) قال : أبين ونحوها .

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : ثنا عبد الرزاق بن عمر ، عن ابن المبارك ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : ونحوها من الأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن رجل ، عن ابن عباس ، في قوله (إلى الأرض الجرّز) قال : الجرّز : التي لا تمطر إلا مطرا لا يغني عنها شيئا ، إلا ما يأتيها من السيول .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن جويبر ، عن الضحاك (إلى الأرض الجرّز) ليس فيها نبت .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أو كم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) المغسبة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أو كم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرّز) قال : الأرض الجرّز : التي ليس فيها شيء ، ليس فيها نبات ، وفي قوله (صعيدا جرّزا) قال : ليس عليها شيء ، وليس فيها نبات ولا شيء ، (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ) يقول تعالى ذكره ، فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها ، على يبسها وغلظها ، وطول عهدها بالماء ، زرعاً خضيراً تأكل منه مواشيهم ، وتتغذى به أبدانهم وأجسامهم ، فيعيشون به (أفلا يبصرون) يقول تعالى ذكره : أفلا يرون ذلك بأعينهم ، فيعلموا برؤيتهموه أن القلرة التي بها فعلت ذلك ، لا يتعذر على أن أحبي بها الأموات ، وأنشبرهم من قبورهم ، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم .

القول في تأويل قوله تعالى

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) ، قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مِنْتَظِرُونَ (٣٠)

(١) إين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء ، وباء مفتوحة : اسم رجل كان في الزمان القديم ، ويقال : ذو إين ، وهو الذي ينسب إليه عدن إين من بلاد اليمن . فلعل راوى الأثر يريد هذا الموضع . (انظر البكري في المعجم) .

يقول تعالى ذكره : ويقولون هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك : ( مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ) واختلف في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم ، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب ؟ ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) قال : قال أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ان لنا يوما أوشك أن نستريح فيه ، وننعم فيه ، فقال المشركون ( مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) . وقال آخرون : بل عَسَى بذلك : فتح مكة .

والصواب من القول في ذلك : قول من قال : معناه : ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم ؟ يعنون العذاب ، يدل على أن ذلك معناه ، قوله ( قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ) ولا شك أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده ، ولو كان معنى قوله ( مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ) على ما قاله من قال : يعنى به : فتح مكة ، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة ، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله ؛ فعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل ، وفساد ما خالفه . وقوله ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) يعنى : إن كنتم صادقين في الذى تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، وعبادتنا الآلهة والأوثان . وقوله ( قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم يوم الحكم ، وجيء العذاب : لا ينفع من كفر بالله وبآياته وإيمانهم الذى يحدثونه في ذلك الوقت .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ ) قال : يوم الفتح إذا جاء العذاب . حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( يَوْمَ الْفَتْحِ ) يوم القيامة ، ونصب اليوم في قوله ( قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ) رداً على امتى ، وذلك أن « متى » في موضع نصب . ومعنى الكلام : أتى حين هذا الفتح إن كنتم صادقين ؟ ثم قيل يوم كذا ، وبه قرأ القرأ .

وقوله ( وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ) يقول : ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة . وقوله ( فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ) وانتظروا لأنهم منتظرون ) يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله ، القائلين لك : متى هذا الفتح ؟ المستعجلينك بالعذاب ، وانتظر ما الله صانع بهم ، (لأنهم منتظرون) : يقول إن المشركين منتظرون ما تعدهم ، من العذاب وجيء الساعة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ ) ، وانتظروا لأنهم منتظرون ) يعنى يوم القيامة .

آخر تفسير سورة السجدة ، والله الحمد والمنة

## تفسير سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)  
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( يا أيُّها النبي اتَّقِ اللَّهَ ) بطاعته ، وأداء فرائضه ، وواجب حقوقه عليك ، والانتفاء عن محارمه ، وانتهاك حدوده ( وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ) الذين يقولون لك : اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك ، حتى نجالسك ( وَالْمُنَافِقِينَ ) الذين يظهرون لك الإيمان بالله ، والنصيحة لك ، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبيلا ، فلا تقبل منهم رأيا ، ولا تستشرهم مستنصحا بهم ، فإنهم لك أعداء ( إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ) يقول : إن الله ذو علم بما تضمرة نفوسهم ، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة ، مع الذي ينطوون لك عليه ، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك ، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه ( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) يقول : واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه ، وآي كتابه . ( إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) يقول : إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن ، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده خبيراً : أي ذا خبرة ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ) أي هذا القرآن ( إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ) .

القول في تأويل قوله تعالى

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣)

يقول تعالى ذكره : وفوض إلى الله يا محمد أمرك ، وثق به : ( وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ) : يقول : وحسبك بالله فيما بأمرك وكيلا ، وحفيظا بك .

القول في تأويل قوله تعالى

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ، وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ إِلَّاسِي تَظْهِرُونَ مِنْهُنَّ

أُمَّهَاتِكُمْ ، وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ، ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) فقال بعضهم : عني بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، وصفوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بأنه ذو قلبين ، فنى الله ذلك عن نبيه ، وكذبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبا كُرَيْب ، قال : ثنا حفص بن نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، عن قابوس بن أبي ظبيان نأ أباه حدثه ، قال : قلنا لابن عباس : « رأيت قول الله ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) ما عني بذلك ؟ » قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فصلى ، فخطر خطرة<sup>١</sup> ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : إن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم ، فأنزل الله ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) .

وقال آخرون : بل عني بذلك : رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهييه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) قال : كان رجل من قريش يسمى من دهييه<sup>٢</sup> ذا القلبين ، فأنزل الله هذا في شأنه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) قال : إن رجلا من بني فيهر ، قال : إن في جوفى قلبين أعقيل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد « وكذب » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) قال قتادة : كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

قال قتادة : وكان الحسن يقول : كان رجل يقول لى : نفس تأمرنى ، ونفس تنهانى ، فأنزل الله فيه ما تسمعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال : كان رجل يسمى ذا القلبين ، فنزلت ( ما جعل الله ليرجل من قلبين في جوفيه ) .

(١) خطر خطرة : مها سيرة .

(٢) الدهو والدهى والدعاء : العقل .

وقال آخرون: بل عني بذلك زيد بن حارثة، من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تبتأه ،  
فضرب الله بذلك مثلاً .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، في قوله  
( مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ) قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ، ضرب الله  
له مثلاً يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه  
قلبان يعقل بهما ، على النحو الذي روى عن ابن عباس ، وجائز أن يكون ذلك تكديبا من الله لمن وصف  
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وأن يكون تكديبا لمن سمي القرشي الذي ذكر أنه سمي ذا القلبين من  
دهيه ، وأى الأمرين كان فهو نبي من الله عن خلقه من الرجال ، أن يكونوا بتلك الصفة .

وقوله ( وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ) يقول تعالى ذكره : ولم  
يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللاتي تقولون هن : أنتن علينا كظهور أمهاتنا ، أمهاتكم ، بل جعل ذلك من  
قبيلكم كذبا ، وألزمكم عقوبة لكم كفارة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي  
تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ) : أي ما جعلها أمك ، فإذا ظاهر الرجل من امرأته ، فإن الله لم يجعلها  
أمه ، ولكن جعل فيها الكفارة .

وقوله ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ) يقول : ولم يجعل الله من ادعى أنه ابنك وهو ابن غيرك ،  
ابنك بدعواك .

وذكر أن ذلك نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل تبنيه زيد بن حارثة .

#### ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَدْعِيَاءَكُمْ أبنَاءَكُمْ ) قال : نزلت  
هذه الآية في زيد بن حارثة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ  
أبنَاءَكُمْ ) قال : كان زيد بن حارثة حين من الله ورسوله عليه ، يقال له : زيد بن محمد كان تبتأه ،  
فقال الله ( مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ ) قال : وهو يذكر الأزواج والأخت ، فأخبره أن  
الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم ، ولا أدعياءكم أبناءكم .

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ) وما جعل دعيتك ابنك ، يقول : إذا ادعى رجل رجلا وليس بابنه ( ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ) . . . الآية ، وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : «من ادعى إلى غير أبيه متعمداً، حرم الله عليه الجنة» .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن أشعث ، عن عامر ، قال : ليس في الأديعاء زيد ، وقوله ( ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ) يقول تعالى ذكره هذا القول ، وهو قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي ، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه ، إنما هو قولكم بأفواهكم ، لاحقيقة له ، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادعيت بنوته ، ولا نصير الزوجة أمماً بقول الرجل لها : أنت على كظهر أمي . ( وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ) : يقول : والله هو الصادق الذي يقول الحق ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه ، وبه تكون المرأة للمولود أمماً إذا حكيم بذلك . ( وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ) يقول تعالى ذكره : والله بين لعباده سبيل الحق ، ويرشدهم لطريق الرشاد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ ، فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)

يقول الله تعالى ذكره : انسبوا أديعاءكم الذين أحقتم أنسابهم بكم لآبائهم ، يقول لنييه محمد صلى الله عليه وسلم : ألحق نسب زيد بأبيه حارثة ، ولا تدعه زيدا بن محمد . وقوله ( هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) : يقول دعاؤكم إياهم لآبائهم ، هو أعدل عند الله ، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ، ونسبتكموهم إلى من تبناهم وادعاهم وليسوا له بنين .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ) : أي أعدل عند الله . وقوله ( فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ) يقول تعالى ذكره : فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أديعائكم من هم ، فتنسبوهم إليهم ، ولم تعرفوهم ، فتلحقوهم بهم ، ( فإخوانكم في الدين ) : يقول : فهم إخوانكم في الدين ، إن كانوا من أهل ملتكم . ( ومواليكم ) إن كانوا محرريكم وليسوا ببنيتكم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ



الله) : أى أعدل عند الله (فإن لم تعلموا آباءهم فلم يخوانكم في الدين ومواليكم) فإن لم تعلموا من أبوه ، فإنما هو أخوك ومولاك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن عيينة بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : قال أبو بكر : قال الله ( ادعوهم لآبائهم هو أفسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فادعواكم في الدين ومواليكم ) فأنا ممن لا يعرف أبوه ، وأنا من إخوانكم في الدين ، قال : قال أبي : والله إنى لأظنه لو علم أن آباءه كان حمارا ، لانتفى إليه .

وقوله ( ولئیس علیکم جناح فيما أخطأتم به ) يقول : ولا حرج عليكم ولا وِزْر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه ، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه ، وهو ابن لغيره ( ولكن ما تعمدت قلوبكم ) يقول : ولكن الإثم والحرج عليكم ، في نسبتكموه إلى غير أبيه ، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ( ولئیس علیکم جناح فيما أخطأتم به ) يقول : إذا دعوت الرجل لغير أبيه ، وأنت ترى أنه كذلك . ( ولكن ما تعمدت قلوبكم ) يقول الله : لا تدعوه لغير أبيه متعمدا . أما الخطأ فلا يؤخذكم الله به ، ( ولكن يؤخذكم بما تعمدت قلوبكم ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تعمدت قلوبكم ) قال فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره ، وما أتى في قوله ( ولكن ما تعمدت قلوبكم ) : خفض ، ردأ على « ما » التي في قوله ( فيما أخطأتم به ) وذلك أن معنى الكلام : ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن فيما تعمدت قلوبكم .

وقوله ( وكان الله غفورا رحيما ) يقول الله تعالى ذكره : وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر من زوجته ، فقال الباطل والزور من القول ، وذنب من ادعى ولد غيره ابنا له ، إذا تاب ورجع أمر الله ، وانتهى عن قيل الباطل ، بعد أن نهاهما ربهما عنه ، ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك ، بعد توبتهما من خطيئتهما .

القول في تأويل قوله تعالى

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ، وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ، إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ، كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦)

يقول تعالى ذكره : النبي محمد أولى بالمؤمنين ، يقول : أحق بالمؤمنين به من أنفسهم ، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم ، فيجوز ذلك عليهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز ، كما كلما قضيت على عبدك جاز .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) قال : هو أب لهم .

حدثنا محمد بن المنثى ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : ثنا فليح ، عن هلال بن على ، عن عبد الرحمن ابن أبي عمرة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) وأيمنا مؤمن ترك مالا فليورثته وعصبته من كانوا ، وإن ترك دينا أو ضياعا فليأتمني وأنا مولاه » .  
حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسن بن على ، عن أبي موسى إسرائيل بن موسى ، قال : قرأ الحسن هذه الآية ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وأزواجه أمهاتهم ) قال : قال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم ( أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ) قال الحسن : وفي القراءة الأولى ( أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وهو أب لهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال في بعض القراءة ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم ) وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيمنا رجل ترك ضياعا فأنا أولى به ، وإن ترك مالا فهو ليورثته » .  
وقوله ( وأزواجه أمهاتهم ) يقول : وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم ، في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته ، كما يحرم عليهم نكاح أمهاتهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ) ، وأزواجه أمهاتهم ) يعظم بذلك حقهن ، وفي بعض القراءة ( وهو أب لهم ) .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأزواجه أمهاتهم ) محرمات عليهم .

وقوله ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ) يقول تعالى ذكره : وأولوا الأرحام الذين ورثت بعضهم من بعض ، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضا ، بالهجرة والإيمان دون الرحم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ) لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئا ، فأنزل الله هذه الآية ، فخلط المؤمنون بعضهم ببعض ، فصارت الموارث بالملل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ) إلا أن تفتعلوا إلى أوليائكم معروفا ) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين المهاجرين والأنصار أول ما كانت الهجرة ، وكانوا يتوارثون على ذلك ، وقال الله ( ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أمتانكم ، فاتوهم نصيبهم ) قال : إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم ، قال : فكان هذا أولا ، فقال الله ( إلا أن تفتعلوا إلى أوليائكم معروفا ) يقول : إلا أن توصوا لهم ( كان ذلك في الكتاب مستظورا ) أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، قال : وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولى رحم ، حتى يهاجروا إلى المدينة ، وقرأ قال الله ( والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ) . . . إلى قوله ( وفساد كبير ) ، فكانوا لا يتوارثون ، حتى إذا كان عام الفتح ، انقطعت الهجرة ، وكثر الإسلام ، وكان لا يقبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبي ومن معه إلا أن يهاجر ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بعث : « اغدوا على اسم الله لا تغلوا ولا تولوا ، ادعوهم إلى الإسلام ، فإن أجابوكم فاقبلوا وادعوهم إلى الهجرة ، فإن هاجروا معكم ، فلهم مآلكم ، وعليهم ما عليكم ، فإن أبوا ولم يهاجروا واختاروا دارهم فأقروهم فيها ، فههم كالأعراب تجرى عليهم أحكام الإسلام ، وليس لهم في هذا القسمة نصيب » . قال : فلما جاء الفتح ، وانقطعت الهجرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » وكثر الإسلام ، وتوارث الناس على الأرحام حيث كانوا ، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين ، وكان لهم في القسمة نصيب ، وإن أقاموا وأبوا ، وكان حقهم في الإسلام واحد ، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكل أحد ، حين جاء الفتح .

فغنى الكلام على هذا التأويل : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة ، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين ، أولى بالميراث ، ممن لم يؤمن ، ولم يهاجر .

وقوله ( إلا أن تفتعلوا إلى أوليائكم معروفا ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معنى ذلك : إلا أن توصوا لنوى قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن حجاج ، عن سلم ، عن ابن الحنفية ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) قالوا : يوصى لقربته من أهل الشرك .  
 قال : ثنا عبدة ، قال : قرأت على ابن أبي عمرو ، عن قتادة ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) قال : للقربة من أهل الشرك وصية ، ولا ميراث لهم .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) قال : إلى أوليائكم من أهل الشرك ، وصية ، ولا ميراث لهم .  
 حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ويحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى ابن أبي كثير ، عن عكرمة ( إلى أوليائكم معروفاً ) قال : وصية .  
 حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى محمد بن عمرو ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) فقال : العطاء ، قلت له : المؤمن للكافر بينهما قرابة ، قال : نعم ، عطاؤه إياه حياءً : ووصية له .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم ، بحق الإيمان والهجرة والحلف ، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) قال : حلفاؤكم الذين والى بينهم النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار ، إمساك بالمعروف والعقل ، والنصر بينهم .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن تؤصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً ) يقول : إلا أن تؤصوا لهم .  
 وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : أن يقال : معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم وبينكم ، من المهاجرين والأنصار ، معروفاً من الوصية لهم ، والنصرة والعقل عنهم ، وما أشبه ذلك ، لأن كل ذلك من المعروف ، الذى قد حث الله عليه عباده .  
 وإنما اخترت هذا القول ، وقلت : هو أولى بالصواب من قبل من قال : عسى بذلك الوصية للقربة من أهل الشرك ، لأن القريب من المشرك ، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى ، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك ، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولداً بقوله ( لا تتخذوا عدوتى وعدوتكم

أولياء) وغير جائز أن ينههم عن اتخاذهم أولياء ، ثم يصفهم جل ثناؤه بأنهم لهم أولياء . وموضع « أن » من قوله (إلا أن تَفْعَلُوا) نصب على الاستثناء . ومعنى الكلام : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم معروفا . وقوله ( كان ذلك في الكتاب مسطوراً ) يقول : كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله : أي في اللوح المحفوظ مسطورا : أي مكتوبا ، كما قال الراجز :

في الصُّحُفِ الأُولَى التي كانَ سَطَّرَ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كان ذلك في الكتاب مسطوراً ) : أي أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . وقال آخرون : معنى ذلك : كان ذلك في الكتاب مسطورا : لا يرث المشرك المؤمن .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ،

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)

يقول تعالى ذكره : كان ذلك في الكتاب مسطورا ، إذ كتبنا كل ما هو كائن في الكتاب ، « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » كان ذلك أيضا في الكتاب مسطورا ، ويعنى بالميثاق : العهد ، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل ( وَمِنْكَ ) يا محمد ( وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) يقول : وأخذنا من جميعهم عهدا مؤكدا ، أن يصدق بعضهم بعضا . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ) قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « كُنْتُ أَوَّلَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ » ، ( وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) ميثاق أخذه الله على النبيين خصوصا ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن يتبع بعضهم بعضا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، قال : كان قتادة إذا تلا هذه الآية ( وَإِذْ

(١) البيت من مشطور الراجز ، وهو للعجاج الراجز ، من أرجوزته المطولة التي ملح بها عمر بن عبد الله بن معمر ، وقد بعثه عبد الملك ل حرب أبي فديك الخارجي ، فانتصر عليه . (دهوان العجاج طبع ليبس سنة ١٩٠٣ ص ١٩) . والبيت شاهد على أن معنى سطر : كتب . والسطر : الخط والكتابة .

أَخَذْنَا مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ، وَمِنْكَ ( وَمِنْ نُوحٍ ) قَالَ : كَانَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( مِنْ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ) قال : في ظهر آدم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ) قال : الميثاق الغليظ : العهد .

#### القول في تأويل قوله تعالى

لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ، وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨)

يقول تعالى ذكره : أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم ، كما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أمهم ، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة .  
وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ) قال : المبلغين المؤدبين من الرسل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ) قال : المبلغين المؤدبين من الرسل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد ( لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ) قال : الرسل المؤدبين المبلغين .

وقوله ( وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ) : يقول : وأعدَّ للكافرين بالله من الأمم عذابا موجعا .

#### القول في تأويل قوله تعالى

يَسْأَلُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩)

يقول تعالى ذكره ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) : التي أنعمها على جماعتكم ، وذلك حين حوَّصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق ( إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ) : يعني

جنود الأحزاب : قريش ، وغطفان ، ويهود بني النضير ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ) وهي فيما ذكر :  
ريح الصبا .

كما حدثنا محمد بن المنثي ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، قال : قالت الجنب  
للشمال ليلة الأحزاب : انطلقى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الشمال : إن الحرّة لانسرى  
بالليل ، قال : فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا .

حدثنا ابن المنثي ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا الزبير ، يعني ابن عبد الله ، قال : ثنا ربيع بن  
أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، قال : « قلنا يوم الخندق : يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر ، فهل  
من شيء تقوله ؟ قال : نَعَمْ قُولُوا : اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رُوعَاتِنَا ، فَضَرْبَ اللَّهِ وَجْوهَ  
أَعْدَائِهِ بِالرَّيحِ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ بِالرَّيحِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن عمرو ، عن نافع ، عن عبد الله ،  
قال : « أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح ، إلى المدينة ، فقال : اتنا بطعام ولحاف  
قال : فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذن لي وقال : مَنْ لَقِيْتَمِنْ أَحْسَابِي فَمَرُّهُمْ  
يَرْجِعُوا ، قال : فذهبت والريح تسبق كل شيء ، فجعلت لا ألقى أحدا إلا أمرته بالرجوع إلى النبي صلى  
الله عليه وسلم ، قال : فما يكوي أحد منهم عنقه ؛ قال : وكان معي ثرس لي ، فكانت الريح تضربه على ،  
وكان فيه حديد ، قال : فضربت الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي ، فأنفذها إلى الأرض » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة : قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب  
القرظي ، قال : قال فتى من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وصحبتهم ؟ قال : نعم يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ، قال الفتى : والله لو  
أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ، لحملناه على أعناقنا . قال حذيفة : يا بن أخي ، والله لقد رأيتنا مع رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر  
لنا ما فعل القوم ؟ يشرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام أحد ، ثم صلى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم هويّا من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ  
الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، يَشْرَطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجْعَةَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ  
يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ، فما قام رجل من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ،  
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة أذهب  
فادخل في القوم فانتظر ما يفعلون ، ولا تحذثن شيئا حتى تأتينا ، قال : فذهبت فدخلت  
في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقير لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ؛ فقام أبو سفيان فقال :  
يامعشر قريش ، لينظر امرؤ من جلسه ، فقال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي ، فقلت :

(١) هويّا ، بهاء مفتوحة أو مضمومة ، وياء مشددة ، وهو الساعة الممتدة من الليل (اللسان : هوى) .

من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ؛ ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، واختلفت بنه قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ماترون ، والله ما يطمئن لنا قيدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فلانى مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ، لو شئت لقتلته بسهم ؛ قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى في مِرط لبعض نسائه ؛ فلما رأى أنى أدخلنى بين رجله ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإنى لفيه ؛ فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ ) قال : الأحزاب : عيينة بن بدر ، وأبو سفيان ، وقريظة .

وقوله ( فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ) قال : ریح الصبا أرسيت على الأحزاب يوم الخندق ، حتى كفأت قدورهم على أفواهاها ، ونزعت فساطيطهم ، حتى أظعنهم . وقوله ( وَجُنُودًا كَمْ تَرَوُهَا ) قال : الملائكة ولم تقا تل يومئذ .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا كَمْ تَرَوُهَا ) قال : يعنى الملائكة ، قال : نزلت هذه الآية يوم الأحزاب ، وقد حُصِر رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا ، فخذق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عيينة بن حصن ، أحد بنى بدر ، ومن تبعه من الناس ، حتى نزلوا بعقوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاتبته اليهود أبا سفيان وظاهره ، فقال حيث يقول الله تعالى ( إِذْ جَاءَ وَكُفُّوا مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ) فبعث الله عليهم الرعب والريح ، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا نارا أطفأها الله ، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كل حتى يقول : يا بنى فلان هلم إلى ، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال : النجاء ، النجاء أتيتم ، لما بعث الله عليهم من الرعب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ) . . . الآية ، قال : كان يوم أبى سفيان يوم الأحزاب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، فى قول الله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا كَمْ تَرَوُهَا ) والجند قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجند التى أرسل الله عليهم مع الريح : الملائكة .

(١) العقوة : الساحة وما حول الدار . ( عن النسان : عا ) .



وقوله (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) يقول تعالى ذكره : وكان الله بأعمالكم يومئذ ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجهد والشدة ، وثباتهم لعدوتهم ، وغير ذلك من أعمالهم ، بصيرا لا يخفى عليه من ذلك شيء ، يُحصيه عليهم ، ليجزيهم عليه .

#### القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠) ، هُنَا لِكَ آيَاتِنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَزُلْزِلُوا زُلْزَالًا شَدِيدًا (١١) ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)

يقول تعالى ذكره : وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاءتكم جنود الأحزاب من فوقكم ، ومن أسفل منكم . وقيل : إن الذين أتوهم من أسفل منهم ، أبو سفيان في قریش ومن معه . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ) قال عبيدة بن بشر في أهل نجد ، ومن أسفل منكم ، قال : أبو سفيان . قال : وواجهتهم قريظة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : ذكرت يوم الخندق وقرأت : (إِذْ جَاءَ وَكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ) ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) قالت : هو يوم الخندق .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان مولى آل الزبير ، عن عمرو بن الزبير ، وعن لآتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر ابن قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن محمد بن كعب القرظي ، وعن غيرهم من علمائنا : أنه كان من حديث الخندق ، أن نفرًا من اليهود ، منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحبي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذاة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا مكة على قريش ، فدعوتهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفقد يننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله فيهم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ آتَوْا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

(١) نسيه إلى أبيه الأعلى . (٢) في بعض نسخ السيرة لابن إسحاق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وليس فيه ابن الربيع .

(٣) كذا في السيرة . (٣ : ٢٢٥) طبعة المجلسي . وفي الأصل : منهم .

وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ) . . . إلى قوله ( وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ) . فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ما قالوا، ونشيطوا لما دعواهم له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك ، واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من اليهود ، حتى جاءوا غطفان من قَيْسِ عَيْلان، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا فيه ، فأجابوهم . فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُبَيْدَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ بَدْرٍ ، في بني فزارة، والحارث ابن عوف بن أبي حارثة المُرِّي في بني مِرَّة، ومِسْعَرُ بْنُ رُحَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ بْنِ طَرِيفِ بْنِ نُحَيْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَبِثِ بْنِ غَطَفَانَ ، فيمن تابعه من قومه من أشجع . فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما اجتمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الحُرُفِ والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة . وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذي نَقَمَى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْعِ ، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذَّرَارِي والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدو الله حُسَيْنُ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، حتى أتى كعب بن أسد القُرَظِيَّ، صاحب عَقْدِ بَنِي قَرِيظَةَ وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ، فلما سمع كعب بحسبي بن أخطَبِ ، أغلق دونه حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُسَيْنُ : يا كعب افتح لي ، قال : وَيَحْكُ يَا حُسَيْنُ ، إنك امرؤ مشنوم ، إنى قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا ، قال : وَيَحْكُ ، افتح لي أكلمك ، قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل معك منها ، فأحفظ الرجل ، ففتح له ، فقال : يا كعب جئت بك بعز الدهر ، ويحمر طم ، جئتك بقريش على قادتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وساداتها، حتى أنزلتهم بذي نَقَمَى إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئتنى والله بذي الدهر ، ويجتاهم قد هراق ماءه، يبرعد ويبرق ليس فيه شيء ، فدعنى ومحمدا وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلا صيدا قوا وفاء ، فلم يزل حُسَيْنُ بكعب يفتله في الذروة والغارب، حتى سمح له، على أن أعطاهم عهدا من الله وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا، أن أدخل معك في حصنك، حتى يصيبني ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرى مما كان عليه ، فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد ابن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عباد بن ديلم، أخى بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث

(١) في السيرة (الجلي ٣ : ٢٦) : فاجتمعوا معهم فيه ، وسقط منها قوله : فأجابوهم .

(٢) في السيرة (الجلي ٣ : ٢٣٠) زغابة ، بزى مفتوحة ، وغين (وانظر السهيل ٢ : ١٨٩) .

ابن الخزرج، وختوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا: أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنأ أعرفه، ولا تفتشوا في أعضاد الناس. وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجتهدوا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبت ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقده. فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربي من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة. أي كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع: حبيب بن عدي وأصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين. وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قبيصة، أحد بني حارثة ابن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا لعمورة من العدو، وذلك عن مالا من رجال قومه، فآذن لنا فلنرجع إلى دارنا، ولأنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار<sup>٣</sup>.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثنى يزيد بن رومان، قوله (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم) فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وعظمتان.

وقوله (وإذ زأغت الأبصار) يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرها، وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وإذ زأغت الأبصار): شخصت. وقوله (وبكغت القلوب الحناجير) يقول: تبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر.

كما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة: وبكغت القلوب الحناجير) قال: من الفرع.

وقوله (وتظنون بالله الظنونا) يقول: وتظنون بالله الظنون الكاذبة، وذلك كظن من ظن منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنوا من ظن، ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره.

حدثنا بشر، قال: ثنا هود بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن الحسن (وتظنون بالله الظنونا)

(١) في إحدى نسخ السيرة (الجلي ٣: ٢٢٣): فيما نالوا... الخ.

(٢) كذا في السيرة (الجلي ٣: ٢٢٣). وفي الأصل بدون أي.

(٣) في بعض المراجع: والحصا. وكتبها بالألف.

قال : ظنونا مختلفة: ظن المنافقون أن محمدا وأصحابه يُسْتَأْصَلُونَ، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَتَنْظُرُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة ، وبعض الكوفيين ( الظُّنُونًا ) بإثبات الألف ، وكذلك ( وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا ، فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلًا ) في الوصل والوقف . وكان اعتلال المعتل في ذلك لهم ، أن ذلك في كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف في هذه الأحرف كلها . وكان بعض قرآء الكوفة يثبت الألف فيهن في الوقف ، ويحذفها في الوصل ، اعتلالا بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها ، فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف ، ولا تفعل ذلك في حَسْبِ الأبيات ، فإن هذه الأحرف ، حَسُنَ فيها إثبات الألفات ، لأنهن رءوس الآى ، تمثيلا لها بالقوافي . وقرأ ذلك بعض قرآء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه ، في الوقف والوصل ، اعتلالا بأن ذلك غير موجود في كلام العرب ، إلا في قوافي الشعر ، دون غيرها من كلامهم ، وأنها إنما تفعل ذلك في القوافي ، طلبا لإتمام وزن الشعر ، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يَصِحَّ الشعر ، وليس ذلك كذلك في القرآن ، لأنه لا شىء يضطرهم إلى ذلك في القرآن ، وقالوا : هن مع ذلك في مصحف عبد الله ، بغير ألف .

وأولى القراءات في ذلك عندى بالصواب : قراءة من قرأه بحذف الألف في الوصل والوقف ، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب ، مع شهرة القراءة بذلك في قرآء الميصرين : الكوفة ، والبصرة ، ثم القراءة بإثبات الألف فيهن ، في حالة الوقف والوصل ، لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف ، أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين . وإذا كانت العلة في إثبات الألف في بعض الأحوال ، كونه مثبتا في مصاحف المسلمين ، فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة ، لأنه مُثَبَّت في مصاحفهم ، وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال ، موجودة في حال أخرى ، والقراءة مختلفة ، وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير ، لأن قوافي الشعر إنما تلحق فيها الألفات في مواضع الفتح ، والياء في مواضع الكسر ، والواو في مواضع الضم ، طلبا لثمة الوزن ، وأن ذلك لو لم يُفْعَل كذلك ، بطل أن يكون شعرا ، لاستحالة عن وزنه ، ولا شىء يضطر تالى القرآن إلى فعل ذلك في القرآن .

وقوله ( هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ) : يقول : عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين ، وُصَّ القوم ، وعُرف المؤمن من المنافق .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : مُحْصُوا . وقوله ( وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ) يقول : وحسروا بالفتنة تحريكا شديدا ، وابتلوا وقتلوا .

وقوله ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) : شك في الإيمان ، وضعف في اعتقادهم إياه : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، وذلك فيما ذكر قول معتب بن قشير .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ) يقول : معتب بن قشير ، إذ قال ما قال يوم الخندق .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) قال : تكلمهم بالنفاق يومئذ ، وتكلم المؤمنون بالحق والإيمان ، قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ) قال : قال ذلك أناس من المنافقين : قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم ، وقد حصرتنا هاهنا ، حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ؛ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا : حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم : يا فلان أرايت إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ ، وَإِذَا هَلَكَ كَيْسَرِي فَلَا كَيْسَرِي بَعْدَهُ » ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَسْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فأين هذا من هذا ، وأحدنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف ؟ ( ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ) . فقال له : كذبت ، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرك ، قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فدعاه فقال : ما قلت ؟ فقال : كذب على يا رسول الله ، ما قلت شيئا ، ما خرج هذا من فمي قط ، قال الله : ( يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ) . . . حتى بلغ ( وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ) قال : فهذا قول الله : ( إِنَّ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْدَبُ طَائِفَةً ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، قال : « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذكيت الأحزاب ، من أمر الشيخين ، طرف بن حارثة ، حتى بلغ المداد ، ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة ، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي ، وكان رجلا قويا ، فقال الأنصار : سلمان منا ، وقال المهاجرون : سلمان منا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سلمان مينا أهل البيت » . إقال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والشعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار ، في أربعين ذراعا ، فحفرنا

(١) في المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٢ : ١٠٢ روى الطبراني بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزني ، أنه صل الله عليه وسلم خط الخندق من أمر الشيخين . . . وهما أطمان طرف بن حارثة ، حتى بلغ المداد . . .

تحت دوبار حتى بلغنا الصَّرى<sup>١</sup>، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروية<sup>٢</sup>، فكسرت حديدنا، وشققت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نجاوز خطه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأما، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مروية، فكسرت حديدنا، وشققت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فرنا فيها بأمرك، فإننا لا نحب أن نجاوز خطك. فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق، ورفينا نحن التسعة على شفة الخندق، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان، فضرب الصخرة ضربة صدعها، وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، يعنى: لآبى المدينة، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فصدعها وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة، فكسرها، وبرقت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها، حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح، ثم أخذ بيد سلمان فرقى، فقال سلمان: بأبى أنت وأبى يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت قط، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم، فقال: «هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأما؟ قد رأيناك تضرب، فيخرج برق كاللج، فرأيناك تكبر فنكبر، ولا نرى شيئا غير ذلك، قال «صدقتم ضربت ضربتى الأولى، فبرق الذى رأيتم، أضاعت لي منه قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليتها، ثم ضربت ضربتى الثانية، فبرق الذى رأيتم، أضاعت لي منه قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليتها، ثم ضربت ضربتى الثالثة، وبرق منها الذى رأيتم، أضاعت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرائيل عليه السلام أن أمتى ظاهرة عليتها، فأبشروا، يبتلغهم النصر، وأبشروا، يبتلغهم النصر، وأن وعدنا النصر بعد الحصر، فطبقت الأحزاب، فقال المسلمون (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) . . . الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يُحدِّثكم ويمنِّحكم ويعدِّكم الباطل، يُخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفرس، ولا تستطيعون أن تبرزوا؟ وأنزل القرآن: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا).

القول فى تأويل قوله تعالى

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ، فَارْجِعُوا، وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ،

(١) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و «دوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها: حتى

إذا بلغنا. (٢) فى بعض المراجع: مدورة. والصرى: الماء.

يَقُولُونَ ، إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) ، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ، ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا ، وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا سِيرًا (١٤)

يعني تعالى ذكره بقوله ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ) : وإذا قال بعضهم : يا أهل يثرب . ويثرب : اسم أرض ، فيقال : إن مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية من يثرب . وقوله ( لَا مُقَامَ لَكُمْ ) : فارجعوا ) : بفتح الميم من مقام يقول : لا مكان لكم ، تقومون فيه ، كما قال الشاعر :

فَأَتَيْتِي مَا وَأَيْتَكَ كَانَ شَرًّا فَتَقَيْدًا إِلَى الْمَقَامَةِ لَا يَبْرَاهَا

قوله ( فَارْجِعُوا ) يقول : فارجعوا إلى منازلكم . أمّرتهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفرار منه ، وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن ذلك من قيل أوس بن قَيْظِيٍّ ومن وافقه على رأيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد ، بن رومان ( وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ ) . . . إلى ( فِرَارًا ) يقول : أوس بن قَيْظِيٍّ ، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه : والقراءة على فتح الميم من قوله ( لَا مُقَامَ لَكُمْ ) بمعنى : لا موضع قيام لكم ، وهي القراءة التي لأستجيز القراءة بخلافها ، لإجماع الحجة من القراء عليها . وذكر عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، أنه قرأ ذلك ( لَا مُقَامَ لَكُمْ ) بضم الميم ، يعني : لإقامة لكم .

وقوله ( وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ ) ، يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ، وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ) يقول تعالى ذكره : ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا فِرَارًا ) قال : هم بنو حارثة ، قالوا : بيوتنا محلبة ، نخشى عليها السرقة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

(١) البيت لعماس بن مرداس ، وقد سبق الاستشهاد به في ( ٢٠ : ٦٦ ) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ( الورقة ١٩٣ - ب ) : عند تفسير قوله تعالى « لا مقام لكم » : مفتوحة الأول . ومجازها : لا مكان لكم تقومون فيه . ومثله : قوله « فإني ما وأيتك كان شرا » . . . البيت .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) قال : نحشى عليها السرقة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( **وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ** ) ، وإنما مما يتلى العدو ، وإنما نخاف عليها السرقة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجد بها عدوا ، قال الله : ( **إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا** ) يقول : إنما كان قولهم ذلك ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) إنما كان يريدون بذلك الفرار .

حدثنا محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا عبيد الله بن حمران ، قال : ثنا عبد السلام بن شداد أبو طلوت ، عن أبيه ، في هذه الآية ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ، **وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ** ) قال : ضائعة .

وقوله ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) يقول : ولودخلت المدينة على هؤلاء القائلين ( **إِنَّ بَيْتُوتَنَا عَوْرَةٌ** ) من أقطارها ، يعنى : من جوانبها ونواحيها ، واحدها : قَطْرٌ ، وفيها لغة أخرى : قُسْرٌ ، وأقطار : ومنه قول الراجز :

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَدَهْنَ أَوْ تَمْرًا فَوَلَّهِنَّ قُسْرَكَ الْأَشْرَاءِ

وقوله ( **ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ** ) يقول : ثم سُئِلُوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ( **لَا تَوَّهَا** ) يقول : لفعلوا ورجعوا عن الإسلام ، وأشركوا . وقوله ( **وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا** ) يقول : وما احتبسوا عن إيجابتهم إلى الشرك إلا يسيرا : قليلا ، ولأسرعوا إلى ذلك .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) : أى لو دُخِلَ عليهم من نواحي المدينة ( **ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ** ) : أى الشرك ( **لَا تَوَّهَا** ) يقول : لا أعطوها ، ( **وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا** ) يقول : إلا أعطوه طيبة به أنفسهم ، ما يحتبسونه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا** ) يقول : لو دُخِلت المدينة عليهم من نواحيها ( **ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَّا تَوَّهَا** ) سُئِلُوا أَنْ يَكْفُرُوا لكفروا ؛ قال : وهؤلاء المنافقون لو دُخِلت عليهم الجيوش ، والذين يريدون قتالهم ، ثم سُئِلُوا أَنْ يكفروا لكفروا ؛ قال : والفتنة : الكفر ، وهى التى يقول الله : ( **الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ** ) : أى الكفر . يقول : يحملهم الخوف منهم ، وخبث الفتنة التى هم عليها من النفاق ، على أن يكفروا به .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( **لَا تَوَّهَا** ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ، وبعض قراء مكة : ( **لَا تَوَّهَا** )

(١) البيتان من مشطور الرجز . ولم أفت على قائلهما . والشاهد فيهما فى قوله « قترك » بضم فسكون ، بمعنى القطر ، وهو الجانب والناحية . قال أبو عبيدة : « من أقطارها » أى من جوانبها ونواحيها . واحدها : قطر ، وفى « اللسان » قطر : قتر « القتر » بضم فسكون ، و ( القتر ) بضمين : الناحية والجانب . لغة فى القطر . وهى الأقطار . اه . وفى ( اللسان : قطر ) : وفى التنزيل « من أقطار السموات والأرض » : أقطارها : نواحيها ، واحدها : قطر ، وكذلك أقطارها ، واحدها : قتر . اه .



بقصر الألف ، بمعنى جاءوها . وقرأه بعض المكيين ، وعامة قرآء الكوفة والبصرة : ( لآ تَوَّهَا ) بمدّ الألف ، بمعنى : لآ عَطَوْهَا ، لقوله : ثم سئلوا الفتنة ؛ وقالوا : إذا كان سؤال كان إعطاء ، والمدّ أعجب القراءتين إلى ، لما ذكرت ، وإن كانت الأخرى جائزة .

## القول في تأويل قوله تعالى

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

يقول تعالى ذكره : ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه ، ويقولون : إن بيوتنا عورة ، عاهدوا الله من قبل ذلك ، أن لا يولوا عدوهم الأدبار ، إن لقوهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، فما أوفوا بعهدهم ( وكان عهد الله مسئولاً ) يقول : فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه .

وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة ، لما كان من فعلهم في الخندق ، بعد الذي كان منهم بأحد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسئولاً ) وهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفتشوا يوم أحد مع بني سلميعة ، حين هما بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها ، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ، لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسئولاً ) قال : كان ناس غابوا عن وقعة بدر ، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة ، فقالوا : لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ، فساق الله ذلك إليهم ، حتى كان في ناحية المدينة .

## القول في تأويل قوله تعالى

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ( قل ) يا محمد هؤلاء الذين يستأذنونك في الانصراف عنك ، ويقولون : إن بيوتنا عورة : ( لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ) يقول : لأن ذلك ، أو ما كتب الله منهما ، واصل إليكم بكل حال ، كبرهتم أو أحببتهم . ( وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) :

يقول : وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم ، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذى كتبت لكم ، ثم يأتيكم ما كتبت لكم وعليكم .  
وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ، وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) وإنما الدنيا كلها قليل .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفیان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن ربيع بن خثيم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : إلى آجالهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن أبي رزين ، عن ربيع ابن خثيم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : ما بينهم وبين الأجل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا : ثنا سفیان ، عن منصور ، عن الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم مثله ، إلا أنه قال : ما بينهم وبين آجالهم .

حدثنا ابن المنثى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبي رزين ، أنه قال في هذه الآية : ( فَلْيَبْضُحَكُوا قَلِيلًا ، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ) قال : ليضحكوا في الدنيا قليلا ، ولْيَبْكُوا في النار كثيرا . وقال في هذه الآية ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : إلى آجالهم . أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خثيم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن أبي رزين ، عن الربيع بن خثيم ( وَإِذَا لَمْ تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ) قال : الأجل ، ورفع قوله ( تَمْتَعُونَ ) ولم ينصب بإذن ، للواو التى معها ، وذلك أنه إذا كان قبلها واو ، كان معنى « إذن » التأخير بعد الفعل ، كأنه قيل : ولو فرؤا لا يمتعون إلا قليلا إذن ، وقد ينصب بها أحيانا وإن كان معها واو ، لأن الفعل متروك ، فكأنها لأوّل الكلام .

وقوله ( قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ) : يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون : إن بيوتنا عورة ، هربا من القتل : من ذا الذى يمنعكم من الله إن هو أرا د بكم سوءا فى أنفسكم ، من قتل أو بلاء أو غير ذلك ، أو عافية وسلامة ؟ وهل ما يكون بكم فى أنفسكم من سوء أو رحمة ، إلا من قبيله ؟

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ( قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ؟ ) : أى أنه ليس الأمر إلا ما قضيت .  
وقوله ( وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ) : يقول تعالى ذكره : ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءا فى أنفسهم وأموالهم ، من دون الله وليا يليهم بالكفاية ، ولا نصيرا ينصرهم من الله ، فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء فى ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى

«قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا» (١٨)  
 أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ، كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ  
 الْمَوْتِ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ، أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ، أَوْلَيْتُكَ لَمْ يُؤْمِنُوا، فَأَحْبَطَ  
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩)

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوقون الناس منكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيصدونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقا منهم، وتخليلا عن الإسلام وأهله (والقائلين لإخوانهم: هلمم إلينا): أي تعالوا إلينا، ودعوا محمدا، فلا تشهدوا معه مشهده، فإننا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه. (ولا يأتون البأس إلا قليلا) يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا، إلا تعذيرا، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ) قال: هؤلاء ناس من المنافقين، كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لجمالهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقوله (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا): أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ): أي أهل النفاق (وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا): أي إلا دفعنا وتعذيرا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ)، والقائلين لإخوانهم) . . . إلى آخر الآية، قال: هذا يوم الأحزاب. «انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد أخاه بين يديه شيواء ورغيف ونبيذ، فقال له: أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلم إلى هنا. فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يخلف به لا يستقبلها محمد أبدا، فقال: كذبت والذي يخلف به؛ قال: وكان أخاه من أبيه وأمه، أما والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وسلم أمرك؛ قال: وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره؛ قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره: (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا)».

(١) كذا في الأصل، وفي الدر المنثور للسيوطي: لا يستق لها.

وقوله ( أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمُ ) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به هؤلاء المنافقين ، فى هذا الموضوع من الشح ، فقال بعضهم : وصفهم بالشح عليهم فى الغنيمة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمُ ) فى الغنيمة .

وقال آخرون : بل وصفهم بالشح عليهم بالخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمُ ) قال : بالخير ، المنافقون ، وقال

غيره : معناه : أشح عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أن يقال : إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالحبس والشح ، ولم يخص

وصفهم من معانى الشح ، بمعنى دون معنى ، فهم كما وصفهم الله به أشح على المؤمنين بالغنيمة والخير

والنفقة فى سبيل الله ، على أهل مسكنة المسلمين . ونصب قوله ( أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمُ ) على الحال من ذكر

الاسم الذى فى قوله ( وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ) : كأنه قيل : هم جنباء عند البأس ، أشحاء عند قسَم الغنيمة ، بالغنيمة .

وقد يحتمل أن يكون قَطْعًا من قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ) فىكون تأويله : قد يعلم الله

الذين يعرِّقون الناس عن القتال ، وَيَشِحُّون عند الفتح بالغنيمة . ويجوز أن يكون أيضا قَطْعًا من قوله :

هلم إلينا أشح ، وهم هكذا أشح . ووصفهم جل ثناؤه بما وصفهم من الشح على المؤمنين ، لما فى أنفسهم

لهم من العداوة والضغْن .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ( أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمُ )

أى للضغْن الذى فى أنفسهم .

وقوله ( فإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ ) . . . إلى قوله ( مِنَ الْمَوْتِ ) يقول تعالى ذكره : فإذا حضر البأس ،

وجاء القتال ، خافوا الهلاك والقَتْل ، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك ليوا إذا بك ، تدور أعينهم ، خوفًا من القتل ،

وفرارا منه . ( كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ) : يقول : كدوران عين الذى يُغْشَى عليه من الموت

النازل به ( فإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ ) يقول : فإذا انقطعت الحرب واطمأنوا ( سَلَقْتُمْ بِالْمَنِينَةِ حِدَادِي ) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ

إِلَيْكَ تَدْوِرُ أَعْيُنُهُمْ ) من الخوف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ( فإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ

رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِرُ أَعْيُنُهُمْ ) ، كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ : أى إعظاما وفرقا منه .

وأما قوله ( سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ) . فإنه يقول : عَضُّوكم بِالسِّنَةِ ذَرِبَةً . ويقال للرجل الخطيب الذَّرِبُ اللسان : خطيب مِسَلَّتْ وَمِصَلَّتْ ، وخطيب سَلَّقَ وَصَلَّقَ .  
وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسَلِّقُونَ المؤمنين به ، فقال بعضهم : ذلك سَلَقَهُمْ إِيَّاهُمْ عند الغنيمة ، بمسألهم القَسَمَ لهم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ) أما عند الغنيمة ، فأشح قوم ، وأسوأ مَقَاتِمَةً ، أعطونا أعطونا ، فإننا قد شهدنا معكم . وأما عند البأس فأجبن قوم ، وأخذله للحق .  
وقال آخرون : بل ذلك سَلَقَهُمْ إِيَّاهُمْ بالأذى .

ذكر ذلك عن ابن عباس

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ) قال : استقبلوكم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ) قال :  
كسلكوكم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم يَسَلِّقُونَهُمْ من القول بما يُتَّجَبُونَ ، نفاقاً منهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني يزيد بن رومان ( فإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ) في القول بما يُتَّجَبُونَ ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحمّلهم حِسْبَةً ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجوا ما بعده .

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل : قول من قال ( سَلَقُواكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ ) فأخبر أن سَلَقَهُمْ المسلمون شُحْحًا منهم على الغنيمة والخير ، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك ، أن ذلك لطلب الغنيمة . وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة ، دخل في ذلك قول من قال : معنى ذلك : سَلَقُواكم بالأذى ، لأن فعلهم ذلك كذلك ، لاشكّ أنه للمؤمنين أذى .

وقوله ( أَشِحَّةً عَلَى الخَيْرِ ) يقول : أَشِحَّةً على الغنيمة ، إذا ظفر المؤمنون . وقوله ( لَمْ يُؤْمِسُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ) : يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين وصفت لك صفتهم في هذه الآيات ، لم يصدقوا الله ورسوله ، ولكنهم أهل كفر ونفاق ، فأحبط الله أعمالهم ، يقول : فأذهب الله أجور أعمالهم وأبطلها .  
وذكر أن الذي وُصِفَ بهذه الصفة كان بَدْرِيًّا ، فأحبط الله عمله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ ) ،

وكان ذلك على الله يسيراً) قال: فحدثني أبى أنه كان يدرياً، وأن قوله (أحبط الله أعمالهم) : أحبط الله عمله يوم بدر.

وقوله (وكان ذلك على الله يسيراً) يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذى كانوا يعملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم، على الله يسيراً.

#### القول فى تأويل قوله تعالى

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا، وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْنَ لَوْ أَنَّهَمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ، يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ، وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وغطفان.

كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان: (يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا): قريش وغطفان.

وقوله (لَمْ يَذْهَبُوا) يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جُبُنَا وهلأنا منهم.

وينحر الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا): قال: يحسبونهم قريباً.

وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا، فإذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا، وَدُّوا لَوْ أَنَّهَمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ).

وقوله (وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْنَ لَوْ أَنَّهَمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحد هم حزب. (يَوَدُّوْنَ) يقول: يتمنونوا من الخوف والحين أنهم غيب عنكم فى البادية مع الأعراب، خوفاً من القتل. وذلك أن قوله: (لَوْ أَنَّهَمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ) تقول: قد بدا فلان: إذا صار فى البدو، فهو يبدو، وهو باد؛ وأما الأعراب: فلأنهم جمع أعرابي، وواحد العرب: عربى. وإنما قيل أعرابي لأهل البدو، فرقاً بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر.

وقوله (يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ) يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون، أيها المؤمنون، الناس عن أنبائكم يعنى عن أخباركم بالبادية: هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعا أخباركم بهلاككم، أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم. (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا): يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو

كانوا أيضا فيكم ما نفعوكم ، وما قاتلوا المشركين إلا قليلا : يقول : إلا تعديرا ، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ) قال : أخباركم . وقرأت قرآء الأمصار جميعا سوى عاصم الجحدري : ( يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ) بمعنى : يسألون من قدم عليهم من الناس ، عن أبناء عسكركم وأخباركم ، وذكر عن عاصم الجحدري ، أنه كان يقرأ ذلك ( يَسْأَلُونَ ) بتشديد السين ، بمعنى : يتساءلون : أي يسأل بعضهم بعضا عن ذلك .  
والصواب من القول في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، لإجماع الحجة من القرآء عليه .

القول في تأويل قوله تعالى

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ  
كَثِيرًا (٢١) وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ، قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.  
وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)

اختلفت القرآء في قراءة قوله ( أُسْوَةٌ ) : فقرأ ذلك عامة قرآء الأمصار ( إِسْوَةٌ ) بكسر الألف ، خلا عاصم بن أبي النجود ، فإنه قرأه بالضم ( أُسْوَةٌ ) ، وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر ، ويقرأ قوله ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ ) بالضم ، وهما لغتان . وذكر أن الكسر في أهل الحجاز ، والضم في قيس ، يقولون : أسوة ، وأخوة . وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسكره بالمدينة ، من المؤمنين به ، يقول لهم جل ثناؤه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أن تأسوا به ، وتكونوا معه حيث كان ، ولا تتخلفوا عنه ( لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ) يقول : فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة ، لا يرغب بنفسه ، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن رومان ، قال : ثم أقبل على المؤمنين ، فقال ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ) ألا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به ( وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ) يقول : وأكثر ذكر الله في الخوف والشدة والرخاء .

وقوله ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ) يقول: ولما عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار ، قالوا تسليبا منهم لأمر الله ، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم ، الذى وعدهم بقوله ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ) . . . إلى قوله ( قَرِيبٌ ) : هذا ما وَعَدَنَا اللهُ ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم ، وتسليمهم لأمره الثناء ، فقال : وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيمانا بالله ، وتسليبا لقضائه وأمره ، ورزقهم به النصر ، والظفر على الأعداء .

وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ ) . . . الآية قال : ذلك أن الله قال لهم فى سورة البقرة ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ) . . . إلى قوله ( إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ) قال : فلما مسَّهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب فى الخندق ، تأوَّل المؤمنون ذلك ، ولم يزدهم ذلك إلا إيمانا وتسليبا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ، قال : ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء ، يختبرهم به : ( قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ) : أى صَبَرُوا عَلَى الْبَلَاءِ ، وَتَسَلَّمُوا لِلْقَضَاءِ ، وَتَصَدَّقُوا بِتَحْقِيقِ مَا كَانَ اللهُ وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ) وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة ، فقال : ( أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ ، وَزُلْزِلُوا ، حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ) خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله ( مَتَى نَصْرُ اللهِ ، أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ ) . هذا والله البلاء والنقص الشديد . وإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء ( قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ) وتصديقا بما وعدهم الله ، وتسليبا لقضاء الله .

#### القول فى تأويل قوله تعالى

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) ، لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ ، إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)



يقول تعالى ذكره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالله ورسوله (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) : يقول : أوفوا بما عاهدوه عليه ، من الصبر على البأساء والضراء وحين البأس (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) : يقول : فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله ، وأوجه له على نفسه ، فاستشهد بعض يوم بدر ، وبعض يوم أحد ، وبعض في غير ذلك من المواطن . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) قضاءه والقراغ منه ، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده ، والنصر من الله ، والظفر على عدوه . والنَّحْبُ : النذر في كلام العرب . والنَّحْبُ أيضا في كلامهم وجوه غير ذلك ، منها الموت ، كما قال الشاعر :

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرُ ١

يعنى : منيته ونفسه ؛ ومنها الخطر العظيم ، كما قال جرير :

بِطَخْفَةِ جَالِدِنَا الْمُلُوكِ وَخَيْلِنَا عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرِيرِينَ عَلَى نَحْبِ ٢

أى على خطر عظيم ؛ ومنها النحب ، يقال : نحب في سيره يومه أجمع : إذا مد ، فلم ينزل يومه وليلته ؛ ومنها التنحب ، وهو الخطار ، كما قال الشاعر :

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِتِجِ الْمَاجِدِ الْمُشْكُومِ ٣

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) : أى وفوا الله بما عاهدوه عليه . (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ؛ ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصره ، والشهادة على ماضى عليه أصحابه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) قال : عهده ، فقتل أو عاش . (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) يوما فيه جهاد ، فيقضى نحبَه ، عهده فيقتل أو يصدق في لقائه .

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة وصدرة عشية فر الحارثيون بعدما « وهو بر : اسم رجل ، أراد ابن هوبر (اللسان : هبر) . وقال أبو عبيدة في جاز القرآن ، عند قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبَه » : أى نذره الذى كان . والنحب أيضا النفس : أى الموت . قال ذو الرمة : قضى نحبَه . . . أى نفسه ، وإنما هو أيضا يزيد بن هوبر ، ه . وفى الديوان (طبعة كبرج سنة ١٩١٩ ص ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر ، وهو رجل من بني الحارث بن كعب .

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطمي (أبو عبيدة ، جاز القرآن ، الورقة ١٧٤ ب) و (اللسان : نحب) قال : وجعله جرير ابن الخطمي : الخطر العظيم ، قال : « بطخفة . . البيت » ، أى خطر عظيم . وطخفة ، بفتح الطاء وكسرهما : جبل أحمر طويل في ديار بني تميم . كانت به وقعة بين بني يربوع ، وقابوس بن النعمان ، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشا وأمر عليه ابنة قابوس ، وأخاه حسان ، فهزمهم بنو يربوع بطخفة ، وأسروهما ، حتى منوا عليهما ، فذلك الذى أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكري : طخفة) .

(٣) البيت لفرزدق (ديوانه طبعه الصاوى بالقاهرة ص ٧٥٩) والتنحب هنا : مصدر نحب ، بشد الحاء ، أى صاح أو نادى بشدة . وأصل التنحب : الدأب على الشيء ، والإكباب عليه لا يفارقه (اللسان : نحب) . وجعله المؤلف بمعنى الخطار ، ولعله يريه الخطارة بالنفس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ )  
 قال : عهده . ( وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ) قال : يوما فيه قتال ، فيصدق في اللقاء .  
 قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن مجاهد ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ ) قال : مات على العهد .  
 قال : ثنا أبو أسامة ، عن عبد الله بن فلان « قد ساء ، ذهب عنى اسمه » ، عن أبيه ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ  
 قَتَايَ نَحْبَهُ ) قال : نذره .

حدثنا ابن إدريس ، عن طلحة بن يحيى ، عن عمه عيسى بن طلحة « أن أعرابيا أتى النبي صلى الله  
 عليه وسلم ، فسأله : مَنْ الَّذِينَ قَتَصُوا نَحْبَهُمْ ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ودخل طلحة من باب  
 المسجد وعليه ثوبان أخضران ، فقال : هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَتَصُوا نَحْبَهُمْ » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوَذَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ  
 نَحْبَهُ ) قال : موته على الصدق والوفاء . ( وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ) الموت على مثل ذلك ، ومنهم من  
 بدل تديلا .

حدثني محمد بن عمار ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن سعيد بن مسروق ،  
 عن مجاهد ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ) قال : النحب : العهد .  
 حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا  
 اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ ) على الصدق والوفاء ( وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ) من نفسه  
 الصدق والوفاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ )  
 قال : مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان ( وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ ) ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي بكير ، قال شريك بن عبد الله ، أخبرنا عن سالم ، عن سعيد بن  
 جببير ، عن ابن عباس ( قَتَيْتُهُمْ مِّنْ قَتَايَ نَحْبَهُ ) قال : الموت على ما عاهد الله عليه ( وَمِنْهُمْ  
 مَّنْ يَنْتَظِرُ ) الموت على ما عاهد الله عليه .

وقيل : إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا ، فعاهدوا الله أن يقاتلوا للمشركين مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ، فنهى من أوفى فقضى نحبه ، ومنهم من بدل ، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه ، وكان  
 منتظرا ، على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن  
 أنس « أن أنس بن النضر تغيب ، عن قتال بدر ، فقال : تغيبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ، لئن رأيت قتالا لسييرين الله ما أصنع ، فلما كان يوم أحد ، وهزم الناس ، لقي سعد بن معاذ  
 (١) الذي في الدر المنثور بدله : وآخرون ما بدلوا تديلا .

فقال : والله إني لأجد ريح الجنة ، فتقدم فقاتل حتى قُتل ، فنزلت فيه هذه الآية ( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الله بن بكير ، قال : ثنا حميد ، قال : « زعم أنس بن مالك قال : غاب أنس بن النضر ، عن قتال يوم بدر ، فقال : غبت عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين ، لئن أشهدني الله قتالا ، لآسرين الله ما أصنع . فلما كان يوم أحد ، انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون ، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ، يعني المسلمين ، فشى بسيفه ، فلقبه سعد ابن معاذ ، فقال : أي ساعد إني لأجد ريح الجنة دون أحد ، فقال سعد : يا رسول الله ، فما استطعت أن أصنع ما صنع ، قال أنس بن مالك : فوجدناه بين القتلى ، به بيض وثمانون جراحة ، بين ضربة بسيف ، وطعنة برمح ، ورمية بسهم ، فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه ، قال أنس : فكنا نتحدث أن هذه الآية : ( مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) نزلت فيه ، وفي أصحابه . »

حدثنا سوار بن عبد الله ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت حميدا يحدث ، عن أنس بن مالك ، أن أنس بن النضر ، غاب عن قتال بدر ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا طلحة بن يحيى ، عن موسى وعيسى بن طلحة ، عن طلحة : « أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكانوا لا يجرون على مسأله ، فقالوا للأعرابي : سله ( مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ) من هو ؟ فسأله ، فأعرض عنه ، ثم سأله ، فأعرض عنه ، ثم دخلت من باب المسجد وعلى ثياب خضر ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أين السائلُ عمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ ؟ قال الأعرابي : أنا يا رسول الله ، قال : هَذَا مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ . »

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الحميد الحماني ، عن إسحاق بن يحيى الطلحي ، عن موسى بن طلحة ، قال : قام معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ . »

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبى ، قال : ثنا سليمان بن أيوب ، قال : ثنا أبي ، عن إسحاق ، عن يحيى بن طلحة ، عن عمه موسى بن طلحة ، عن أبيه طلحة ، قال : لما قدمنا من أحد ، وصرنا بالمدينة ، سعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر ، فخطب الناس وعزاهم ، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر ، ثم قرأ ( رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ) . . . الآية ، قال : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ، من هؤلاء ؟ فالتفت وعلى ثوبان أخضران ، فقال : أيها السائلُ هَذَا مِنْهُمْ . »

وقوله ( وَمَا بَدَلْتُمْ بِإِيمَانِكُمْ ) : وما غيروا العهد الذى عاقلوا ربهم تغييرا ، كما غيره المعوقون القائلون لإخوانهم : هلم إلينا ، والقائلون : إن بيوتنا عورة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ) يقول : ما شككوا وما تردّدوا في دينهم ، ولا استبدلوا به غيره .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ) : لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون .

وقوله ( لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ) يقول تعالى ذكره : ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ - لِيَجْزِيََ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ) يقول : ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه ، ووفاءهم له به ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ ) بكفرهم بالله ونفاقهم ( أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) من نفاقهم ، فيهديهم للإيمان .  
وينحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) يقول : إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان .

إن قال قائل : ما وجه الشرط فى قوله ( وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ) بقوله ( إِنْ شَاءَ ) ، والمنافق كافر ، وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق ، فيقال : ويعذبه إن شاء ؛ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى توهمته . وإنما معنى ذلك : ويعذب المنافقين ، بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم ، حتى يموتوا على كفرهم إن شاء ، فيستوجبوا بذلك العذاب ، فالاستثناء إنما هو من التوفيق ، لامن العذاب ، إن ماتوا على نفاقهم .  
وقد بين ما قلنا فى ذلك قوله ( أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ) فعنى الكلام إذن : ويعذب المنافقين إذ لم يهدم للتوبة ، فيوفقهم لها ، أو يتوب عليهم ، فلا يعذبهم .

وقوله ( إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَانَ عَقُورًا رَحِيمًا ) يقول : إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين ، رحيمًا بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا

عَزِيزًا (٢٥)

يقول تعالى ذكره ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) به وبرسوله من قُرَيْشٍ وَعُطْفَانَ . ( بِغَيْظِهِمْ ) : يقول : بكرههم وعمهم ، بفوتهم ما أملوا من الظفر ، وخيبهم مما كانوا طمَعُوا فِيهِ مِنَ الْغَلْبَةِ . ( لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) يقول : لم يصيبوا من المسلمين مالا ولا إسارًا ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) : يجنود من الملائكة ، والريح التى بعثها عليهم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) الأحزاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب ، ردَّ الله أبا سفيان وأصحابه بغضهم ، لم ينالوا خيرا . ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) : بالجنود من عنده ، والريح التي بعثت عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ) : أي قريش وغطفان .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا شبابة ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، قال : « حُبِسْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَنِ الصَّلَاةِ ، فَلَمْ نَصِلْ الظُّهْرَ ، وَلَا الْعَصْرَ ، وَلَا الْمَغْرِبَ ، وَلَا الْعِشَاءَ ، حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعِشَاءِ بَهْوَى كَفِينَا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ : ( وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ) ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ ، وَصَلَّى الظُّهْرَ ، فَأَحْسَنَ صَلَاتَهَا ، كَمَا كَانَ يَصَلِّي فِي وَقْتِهَا ، ثُمَّ صَلَّى الْعِصْرَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ كَذَلِكَ ، جَعَلَ لِكُلِّ صَلَاةٍ إِقَامَةً ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ صَلَاةُ الْخَوْفِ : ( فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ) . »

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثنا ابن أبي ذئب ، عن المقبري ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبي سعيد الخدري قال : حُبِسْنَا يَوْمَ الْخَنْدَقِ ، فَذَكَرْنَا نَحْوَهُ .

وقوله ( وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) يقول : وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ فَعَلَهُ بِخَلْقِهِ ، فَيَنْصُرُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ ، عَلَى مَنْ شَاءَ أَنْ يَخْذَلَهُ ، لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ . ( عَزِيزًا ) : يقول : هُوَ شَدِيدٌ أَنْتِقَامُهُ مِمَّنْ أَنْتَقَمَ مِنْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ . كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ) : قويا في أمره ، عزيزا في نعمته .

القول في تأويل قوله تعالى

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك هو مظاهرهم إياه ، وعنى بذلك بنى قريظة ، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله ( مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) يعنى : من أهل التوراة ، وكانوا يهود . وقوله ( مِينَ صِيَاصِيهِمْ ) يعنى : من حصونهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) قال قريظة ، يقول : أنزلهم من صياصيبهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِينَ أَهْلِ الْكِتَابِ ) وهم بنو قريظة ، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه ، فنكثوا العهد الذى بينهم وبين نبي الله ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه ، وقد غسلت شقه ، إذ أتاه جبرائيل صلى الله عليه وسلم ، فقال : عفا الله عنك ، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة ، فأنهض إلى بنى قريظة ، فإني قد قطعت أوتارهم ، وفتحت أبوابهم ، وتركتهم فى زلزال ولبال ؛ قال : فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سلك سكة بنى غنم ، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب ؛ قال : فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحاصرهم وناداهم : يا إخوان القردة ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت فحاشا ، فزلوا على حكم ابن معاذ ، وكان بينهم وبين قومه حليف ، فرجوا أن تأخذه فيهم هواده ، وأوما إليهم أبو لبابة أنه الذببح ، فأنزل الله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وأن تسي ذرارئهم ، وأن عقارهم للمهاجرين ، دون الأنصار . فقال قومه وعشيرته : آثرت المهاجرين بالعقار علينا ؟ قال : فإنكم كنتم ذوى عقار ، وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم . وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر وقال : قَضَىٰ فِيكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري « معتمرا بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليها قطيفة من ديباج ؛ فقال : أقدم وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، ما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالحمد بالسير إلى بنى قريظة ، وأنا عامد إلى بنى قريظة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ،

فأذن في الناس : إن من كان سامعا مطيعا فلا يُصَلِّينَ العصر إلا في بني قريظة، وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه برأيته إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس ، فسار على بن أبي طالب رضى الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فرجع حتى ليقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخيـاب، قال : لم ؟ أظنك سمعت لي منهم أذى ، قال : نعم يا رسول الله ، قال : لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا ؛ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : يا إخوتان القيردّة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم : ما كنت جهولا . ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصّورين قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : يا رسول الله ، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء ، عليها رحالة ، عليها قطفة ديباج ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك جبرائيلُ بعث إلى بني قريظة ينزل بهم حصونهم ، وينذف الرعب في قلوبهم ؛ فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريظة ، نزل على بئر من آبارها ، في ناحية من أموالهم ، يقال لها : بئر أنا ، فتلاحق به الناس ، فأناه رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلّين أحد العصر إلا في بني قريظة ، فصلّوا العصر ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنّفهم به رسوله .

والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري ، قال : « وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة ، حتى جهّدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب . وقد كان حسيّ بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ؛ فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصور عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خللا ثلاثا ، فخذوا أيها قالوا : وما هن ؟ قال : نبايع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبى مرسل ، وإنه الذى كنتم تجدونه في كتابكم ، فتأمّنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم . قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه على ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجلا مصّلتين بالسيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلا يهمننا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لتتخذن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإذا أبيتم هذه على ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا ، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غيره . قالوا : نفسد سببتنا ، ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ؟ أمّا من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك ؟ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما . قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبّابة بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا من حلفاء الأوس ، نستشيره

في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهتس إليه النساء والصبيان ،  
 سيكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار  
 بيده إلى حلقة ، إنه الذببح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماى ، حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله .  
 ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من  
 عمده ، وقال : لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت ؛ وعاهد الله لا يبطأ بنى قريظة أبدا ، ولا يرانى الله  
 في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما  
 إنّه لو كان جاءني لاستغفرت له ، أما إذ فعل ما فعل ، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه ،  
 حتى يتوب الله عليّ ؛ ثم إن ثعلبة بن سعينة ، وأسيد بن سعينة ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من بنى هذيل ،  
 ليسوا من بنى قريظة ، ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها  
 قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فرّ بحرس  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟  
 قال : عمرو بن سعدى ؛ وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدّهم برسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا ، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمي إقالة عترة الكرام .  
 ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه ، حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم  
 ذهب ، فلا يدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا . فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ،  
 فقال : ذاك رجل نجّاه الله بيوفائه . قال : وبعض الناس كان يزعم أنه كان أوثيق بمرمة فيمن أوثق  
 من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت ريمته ملقاة ، ولا يدرى أين  
 ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، فالله أعلم .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول  
 الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قبّل بنى قريظة ، حاصر بنى قيسنق ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله  
 إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فوجههم له ؛ فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكمكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فدأك إلى  
 سعد بن معاذ ؛ وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من أسلم ، يقال  
 لها ربيعة في مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ؛  
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالحنديق : اجعلوه في خيمة  
 ربيعة حتى أعوده من قريب ؛ فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى قريظة ، أنه قومه  
 فاحتملوه على حمار ، وقد وطشوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاك ذلك ،



لنُحَسِّنَ فِيهِمْ ؛ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ : قَدْ آتَى لَسَعْدِ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأْتُمْ ، فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، فَنَعَى إِلَيْهِمْ رِجَالَ بَنِي قَرِيظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ مِنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ ؛ فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ ، فَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا أَكْ مَوَالِيكَ ، لَنُحَكِّمَ فِيهِمْ ، فَقَالَ سَعْدُ : عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ ، أَنْ الْحُكْمَ فِيهِمْ كَمَا حَكَمْتَ . قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ مَعْرِيضٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِجْلَالًا لَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ . قَالَ سَعْدُ : فَإِنِّي أَحْكَمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ ، وَتُقَسَّمُ الْأَمْوَالُ ، وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ . ثُمَّ اسْتَنْزَلُوا ، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَارِ ابْنَةِ الْحَارِثِ : امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَوَاقِ الْمَدِينَةِ ، الَّتِي هِيَ سَوَاقُ الْيَوْمِ ، فَخَنَدَقَ بِهَا خَنَادِقَ ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ ، يُخْرِجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا ، وَفِيهِمْ عَدُوُّ اللَّهِ حُبَيْبُ بْنُ أَخْطَبٍ ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدِ رَأْسِ الْقَوْمِ ، وَهُمْ سِتُّ مِئَةٍ أَوْ سَبْعُ مِئَةٍ ، وَالْمَكْثَرُ مِنْهُمْ يَقُولُ : كَانُوا مِنَ الثَّمَانِ مِئَةً إِلَى التَّسْعِ مِئَةٍ ، وَقَدْ قَالُوا لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ وَهُمْ يَذْهَبُ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَالًا : يَا كَعْبُ ، مَا تَرَى مَا بَصُنْعِ بِنَا ؟ فَقَالَ كَعْبُ : أَيْ كُلِّ مَوْطِنٍ لَا تَعْقِلُونَ ؟ أَلَا تَرَوْنَ الدَّاعِيَ لَا يَنْزِعُ ، وَأَنَّهُ مِنْ يَدِّ هَبِّ بَيْتِكُمْ ، فَمَا يَرْجِعُ ، هُوَ وَاللَّهُ الْقَتْلُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الدَّأْبَ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأُتِيَ بِحُبَيْبِ بْنِ أَخْطَبِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ حِلَّةٌ لَهُ فُتَّاحِيَّةٌ ، قَدْ شَقَّقَهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، كَمَا وَضَعَ الْأَنْمَلَةَ ، أَنْمَلَةً أَنْمَلَةً ، لِنَلَا يُسَلِّبَهَا ، بِمَجْمُوعَةٍ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِجَبَلٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا لَمْتُ نَفْسِي فِي عِدَاؤِكَ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ يَحْتَذِلُ اللَّهُ يُحْتَذِلُ ؛ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، كِتَابُ اللَّهِ وَقُدْرَةُ ، وَمَسْخُومَةٌ قَدْ كُتِبَتْ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ ؛ فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جُوَالِ الثُّعَلْبِيِّ :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنَ أَخْطَبِ نَفْسَهُ  
وَلَكِنَّهُ مَنْ يَحْتَذِلُ اللَّهُ يُحْتَذِلُ  
لِحَاهِدَةٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُدْرَتَهَا  
وَقَلْقَلَتْ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلٍ ١

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : « لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ، قَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لَعِنْدِي

(١) البيهقي جبال بن جوال الثعلبي ، من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة ( عن الروض الأنف للسبيل ، والاستيعاب لابن عبد البر . وانظر سيرة ابن هشام طبعة الخليلي ٣ : ٢٥٢ ) ومعنى قتل أي تحرك . وقد قال البيهقي عند مقتل حبيس بن أخطاب ، رأس بني قريظة .

تحدثت معى ، وتضحك ظهراً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجلاً بالسوق ، إذ هتف هاتف باسمها ، ابن فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت قلت : ويملك مالك ؟ قالت : أقتل ؟ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قال : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبى منها : طيب نفس ، وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ) والصياصبي : الحصون والآطام التي كانوا فيها ( وقذف في قلوبهم الرعب ) .

حدثنا عمرو بن مالك البكرى ، قال : ثنا وكيع بن الجراح ؛ وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أنبى ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ( من صياصبيهم ) قال : من حصونهم .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( من صياصبيهم ) يقول : أنزلهم من صياصبيهم ، قال : قصورهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( من صياصبيهم ) : أى من حصونهم وآطامهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم ) قال : الصياصبي : حصونهم التي ظنوا أنها مانعهم من الله تبارك وتعالى . وأصل الصياصبي : جمع صبيصة ، وعنى بها هاهنا : حصونهم ؛ والعرب تقول لطرف الجبل : صبيصة ؛ ويقال لأصل الشيء : صبيصة ؛ يقال : جز الله صبيصة فلان : أى أصله ؛ ويقال لشوك الحماكة : صياصبي ، كما قال الشاعر :

كَوْقَعِ الصَّيَاصِبيِّ فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ ١

وهى شوكتنا الديك .

وقوله ( وقذف في قلوبهم الرعب ) يقول : وألقى فى قلوبهم الخوف منكم ( فريقتا تقتتلون ) يقول : تقتلون منهم جماعة ، وهم الذين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، حين ظهر عليهم ( وتأسررون فريقتا ) يقول : وتأسرون منهم جماعة ، وهم نساؤهم وذرايعهم الذين سبوا .

(١) هذا عجز بيت لدرديد بن الصمة ، وصدده . فجت إليه والرياح تنوش . ( لسان العرب : صيص ) . قال أبو عبيدة فى ( عجاز القرآن ، الورقة ١٩٤ - ١ ) عند قوله تعالى : « من صياصبيهم » : أى من حصونهم وأصولهم . وهى أيضا شوكة الحماكة ، قال : كوقع الصياصبي فى النسج الممدد . وهى شوكتنا الديك ، وهى قرن البقرة أيضا . اهـ . وفى ( اللسان : صيص ) : والصبيصة : شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة ، قال درديد بن الصمة « فجت إليه . . البيت » . ومنه صبيصة الديك التي فى رجله . وصياصبي البقر : قرونها . وربما كانت تتركب فى الرماح مكان الأستة . والصياصبي : الحصون . وكل شيء امتنع به ، وتحصن به فهو صبيصة . ومنه قيل للحصون الصياصبي .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ) الذين ضربت أعناقهم ( وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ) الذين سبوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ) : أى قتل الرجال وسبى الذراري والنساء ( وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ) يقول : وملككم بعد مهلكهم أرضهم ، يعنى مزارعتهم ومغارسهم وديارهم ، يقول : ومساكنهم وأموالهم ، يعنى سائر الأموال غير الأرض والدور .

وقوله ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّشُوهَا ) : اختلف أهل التأويل فيها ، أى أرض هي ؟ فقال بعضهم : هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التى فتحها الله بعد ذلك على المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّشُوهَا ) قال : قال الحسن : هي الروم وفاوس ، وما فتح الله عليهم .  
وقال آخرون : هي مكة .  
وقال آخرون : بل هي خيبر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى يزيد بن رومان ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّشُوهَا ) قال : خيبر .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَأُورَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ ) قال : قَرْيَظَةُ وَالنَّضِيرُ أَهْلُ الْكِتَابِ ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّشُوهَا ) قال : خيبر .  
والصواب من القول فى ذلك : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض بنى قَرْيَظَةَ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وأرضاً لم يَطَّشُوهَا يومئذ ، ولم تكن مكة ولا خيبر ، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن ، مما كان وطئوه يومئذ ، ثم وطئوا ذلك بعد ، وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل فى قوله ( وَأَرْضًا لَمْ تَطَّشُوهَا ) لأنه تعالى ذكره لم يخص من ذلك بعضاً دون بعض . ( وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ) يقول تعالى ذكره . وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك ، وعلى نصره إياهم ، وغير ذلك من الأمور ، ذا قدرة ، لا يتعدر عليه شيء أراده ، ولا يمنع عليه فعل شيء حاول فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ، فَتَعَالَيْنَ أُمَتَّعَنَّكُمْ وَأَسْرَحَنَّكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ( قُلْ ) يا محمد ( لَا زَوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنْ ) يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة ، عند فراقهم إياهن بالطلاق بقوله : ( وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ) . ر قوله : ( وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ) يقول : وأطلقكن على ما أذن الله به ، وأدب به عباده بقوله ( إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ) ، ( وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ) يقول : وإن كنتم تردون رضا الله ورضا رسوله وطاعتها فأطعنهما ( فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ ) وهن العاملاتُ منهن بأمر الله وأمر رسوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من عرض الدنيا ، إما زيادة في النفقة ، أو غير ذلك ، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شهراً فيما دُكر ، ثم أمره الله أن يخبرهن بين الصبر عليه ، والرضا بما قسم لهن ، والعمل بطاعة الله ، وبين أن يمتعهن ويفارقهن إن لم يرضين بالذى يقسم لهن . وقيل : كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها .

ذكر الرواية بقول من قال : كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن أبي الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج صلوات ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال عمر : إن شئتم ألا نعلمن لكم شأنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يتكلم ويرفع صوته ، حتى أذن له . قال : فجعلت : أقول في نفسي : أى شيء أكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يضحك ، أو كلمة نحوها ، فقلت : يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألني النفقة فصككتها صككة ، فقال : ذلك حبسني عنكم ، قال : فأتى حفصة ، فقال : لانسألى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كانت لك من حاجة فإلى ، ثم تتبّع نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل يكلمهن ، فقال لعائشة : أيفرك أنك امرأة حسناء ، وأن زوجك يحبك ؟ لتفهمين ، أو ليزلن فيك القرآن ، قال : فقالت أم سلمة : يا ابن الخطأب ، أو ما بقى لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه ، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها ؟ قال : ونزل القرآن ( يا أيها النبي قُلْ لَا زَوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) . . . إلى قوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) قال : فبدأ بعائشة فخبرها ، وقرأ عليها القرآن ، فقالت : هل بدأت بأحد من نسائك قبلى ؟ قال : لا ، قالت : فإني أختار الله ورسوله ، والدار الآخرة ، ولا تخبرهن بذلك ، قال : ثم تبعهن فجعل يخبرهن ويقرأ عليهن القرآن ، ويخبرهن بما صنعت عائشة ، فتابعن على ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( يا أيها النبي قُلْ لَا زَوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنْ ) وأسرحكن سراحاً جميلاً . . . إلى قوله ( أَجْرًا عَظِيمًا ) قال : قال الحسن و قتادة : خسرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شيء كن

أردنه من الدنيا . وقال عكرمة في غيرة : كانت غارتها عائشة ، وكان تحته يومئذ تسع نسوة ، خمس من قریش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وكانت تحته صفية ابنة حبي الخيبرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرة بنت الحارث من بنى المصطلق ، وبدأ بعائشة ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، روى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن كلهن على ذلك ، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة ، في قول الله : ( يا أيها النبي قل لا أزواجك إن كننن تردن الحياة الدنيا وزينتها ) . . . إلى قوله ( عظيميا ) قالوا : أمره الله أن يخبرهن بين الدنيا والآخرة والجنة والنار . قال قتادة : وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا ، وكان تحته تسع نسوة : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وسودة بنت زمعة ، وأم سلمة بنت أبي أمية ، وزينب بنت جحش ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرة بنت الحارث من بنى المصطلق ، وصفية بنت حبي بن أخطب ، وبدأ بعائشة ، وكانت أحبهن إليه ، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، روى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتابعن على ذلك . حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، وهو قول قتادة قال : « لما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك ، فقال : ( لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ) فقصره الله عليهن ، وهن التسع اللاتي اخترن الله ورسوله . »

#### ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد « في قول الله ( تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ، وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ) . . . الآية ، قال : كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فهجرن شهرا ، نزل التخيير من الله له فيهن ( يا أيها النبي قل لا أزواجك إن كننن تردن الحياة الدنيا وزينتها ) فقرأ حتى بلغ ( ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) فخبرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله ، على أنهن أمهات المؤمنين ، لا ينكحن أبدا ، وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهن ، لمن وهب نفسه له ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ويرجى من يشاء ، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها ، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل ، فلا جناح عليه ، ذلك أدنى أن تقر أعينهن ، ولا يحزن ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائ عليهن ، إثار بعضهن على بعض ، أدنى أن يرضين ، قال : ومن ابتغيت ممن عزلت ، من ابتغى أصابه ، ومن عزل لم يصبه ، فخبرهن بين أن يرضين بهذا ، أو يفارقهن ، فاخترن الله ورسوله ، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت ، وكان على ذلك وقد شرط له هذا الشرط ، ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله . »

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : « لما نزل الحيار ، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : لآتي أريد أن أذكر لك أمرا ، فلا

تَقْضِي فِيهِ شَيْئًا حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبِيكَ ، قالت : قلت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : فردّه عليها ، فقالت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : فقرا عليين ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) . . . إلى آخر الآية ؛ قالت : قلت : بل نختار الله ورسوله ؛ قالت : ففرح بذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن عائشة ، قالت : « لما نزلت آية التخيير ، بدأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعائشة ، فقال : يا عائشة إني عارضٌ عليكِ أمراً ، فلا تتفتني فيه بشيءٍ حتى تعرّضيه على أبويك ، أبي بكرٍ وأمّ رومان ، فقالت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : قال الله ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ) إلى ( عَطْفِيَا ) ، فقالت : إني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ولا أوامر في ذلك أبوي أبا بكرٍ وأمّ رومان ، فضحك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم استقرأ الحُجْرَةَ فقال : إن عائشة قالت كذا ، فقلن : ونحن نقول مثل ما قالت عائشة .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ، عن عائشة « أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نزل إلى نساءه أمر أن يخبرهن ، فدخل على فقال : سأذكر لك أمراً ولا تعجلى حتى تستشيري أباك ، فقلت : وما هو يا نبي الله ؟ قال : إني أمرتُ أن أخسبركن ، وتلا عليها آية التخيير ، إلى آخر الآيتين ؛ قالت : قلت : وما الذى تقول : لاتعجلى حتى تستشيري أباك ؟ فإني أختار الله ورسوله ؛ فسرت بذلك ، وعرض على نساءه ، فتابعن كلهن ، فاخترن الله ورسوله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني موسى بن عليّ ، ويونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن « أن عائشة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت : لما أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتخيير أزواجه ، بدأني ، فقال : إني ذاكيرٌ لك أمراً ، فلا عليكِ أن لاتعجلى حتى تستأمرى أبويك . قالت : قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه ؛ قالت : ثم تلا هذه الآية ( يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَأَسْرَحِكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ) قالت : قلت : ففى أىّ هذا أستأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ؛ قالت عائشة : ثم فعل أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ما فعلت ، فلم يكن ذلك حين قاله لهن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاخترنه طلاقاً ، من أجل أنهن اخترنه .

القول فى تأويل قوله تعالى

يُنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

يقول تعالى ذكره لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : ( يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة ) يقول : من يزني منكن الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحد ، يضاعف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضعفين ، على فجور أزواج الناس غيرهم .

كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ) قال : يعني عذاب الآخرة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ) بالألف غير أبي عمرو ، فإنه قرأ ذلك ( يُضَعَّفُ ) بتشديد العين تأولاً منه في قراءته ذلك أن يضعف ، بمعنى : تضعيف الشيء مرة واحدة ، وذلك أن يجعل الشيء شيئين ، فكأن معنى الكلام عنده : أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة ، مثل عذاب سائر النساء غيرهن ، ويقول : إن ( يُضَاعَفُ ) بمعنى أن يجعل إلى الشيء مثلاً ، حتى يكون ثلاثة أمثاله ، فكأن معنى من قرأ ( يُضَاعَفُ ) عنده كان ، أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء ، من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اختار يضعف على يضاعف . وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك يُضَاعَفُ ، ما كان يقول في ذلك ، ويقولون : لانعلم بين ويضعف ويضاعف فرقا .

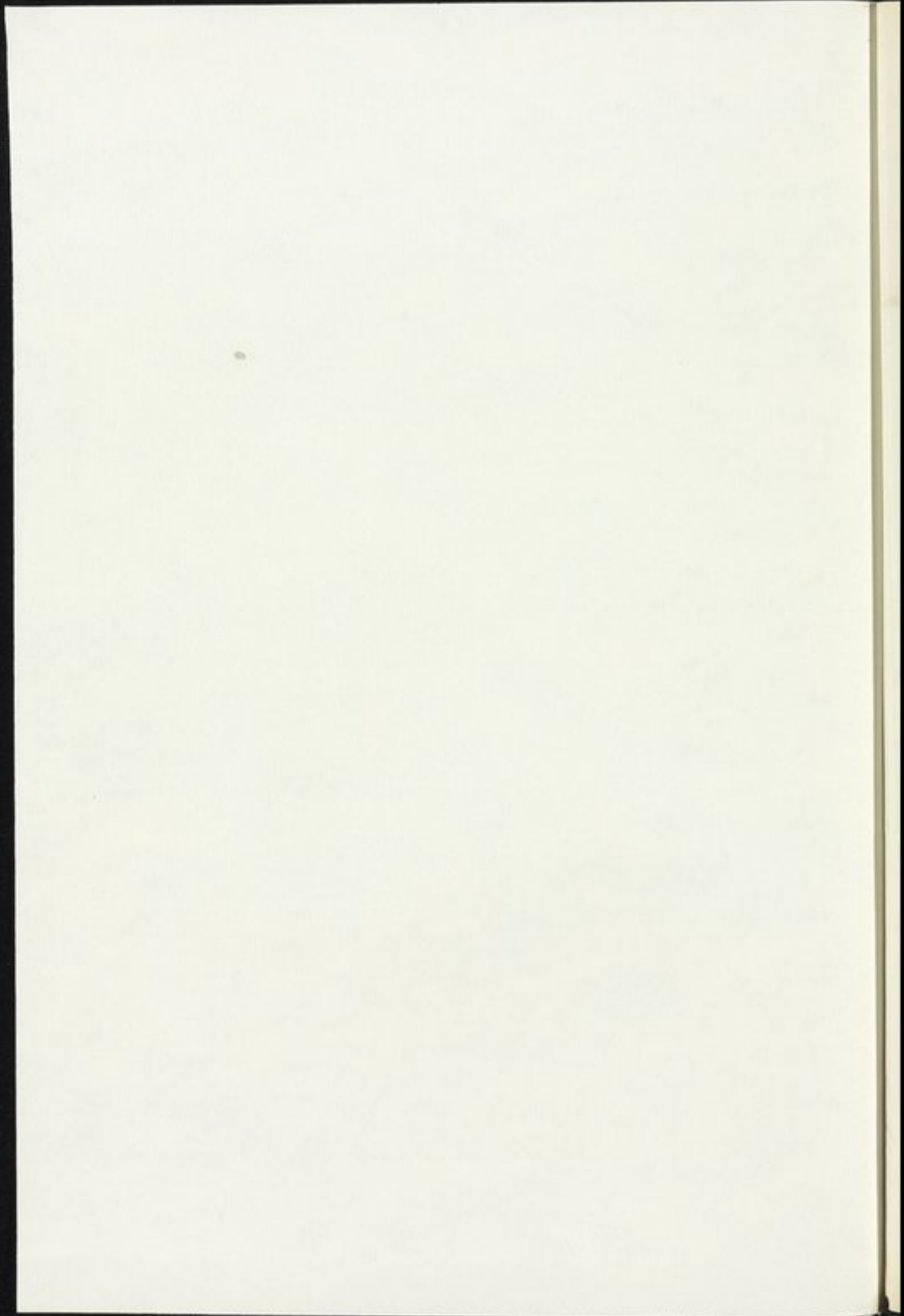
والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك ( يُضَاعَفُ ) . وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو ، فتأويل لانعلم أحداً من أهل العلم ادعاه غيره ، وغير أبي عبيدة معمر بن المثنى ، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا يبرهان له من الوجه الذي يجب التسليم له .

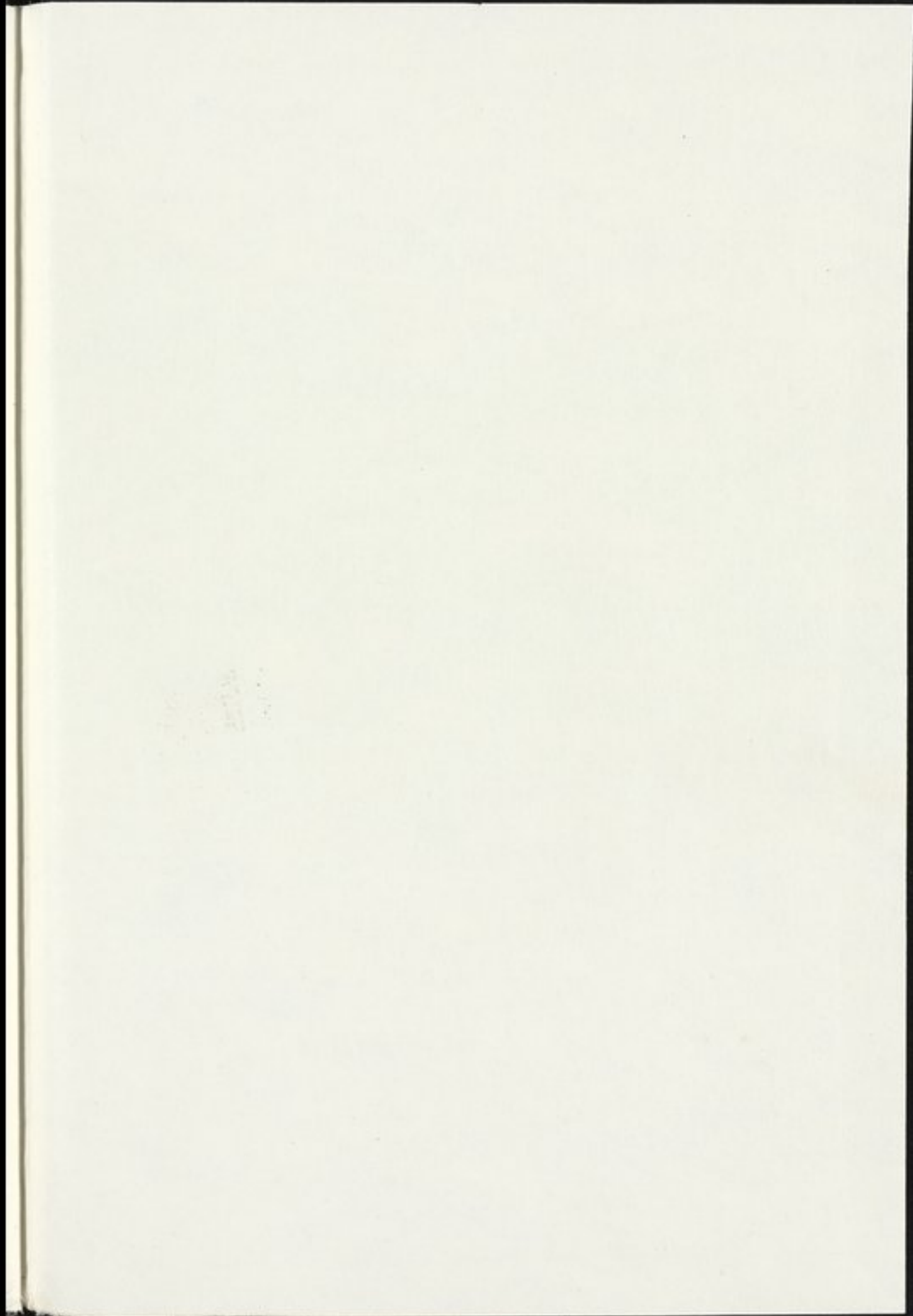
وقوله ( وكان ذلك على الله يسيراً ) يقول تعالى ذكره : وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيراً ، والله أعلم .

F

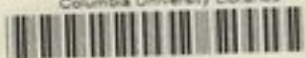
تم الجزء الحادى والعشرون من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبرى  
وبليه الجزء الثانى والعشرون  
وأوله : القول فى تأويل قوله تعالى ( وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ )







Columbia University Libraries



0040583724



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

